

﴿ ٦٥ ﴾ سورة الكهف ﴿ وَاللَّيْلُ نَازِلًا عَلَيْنَا ﴾

﴿ ١١٤ ﴾ سورة طه ﴿ وَقِيلَ يَا رَأْسُكَ زَاوِيًا عَلَيْنَا ﴾

صَلَّى
الْعِظِيمِ

إلهام التفسير

الجزء الأول

من تفسير سورة الفاتحة (١) إلى تفسير سورة الأنعام (٦)

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ {٣٣} سورة الفرقان

من أحدث النفايس - وهو مكون من ٤ أجزاء

للفقيه بالله تعالى

شكيب عبد الرحمن أحمد العبادلة

" أبو أحمد العبادلة "

طبعه ونقحه وراجعته المهندس محمود شكيب العبادلة



شهادة تسجيل مصنف

رقم (94 - 2011م)

تشهد وزارة الاقتصاد بأن المصنف موضوع هذه الشهادة قد تم تسجيله بإدارة حقوق النشر والتأليف بتاريخ 28 / 2 / 2011م، وذلك وفقاً للنسخة المودعة لدى الإدارة ووفقاً للبيانات التالية:

- 1) اسم المصنف : إلهام التفسير
- 2) نوع المصنف : مادة مكتوبة
- 3) وصف المصنف : عبارة عن اسطوانة مدمجة مثبت عليها مادة مكتوبة عن تفسير للقرآن الكريم، وذلك حسب النسخة المودعة لدينا.
- 4) اسم المؤلف : السيد/شكيب عبدالرحمن أحمد العبادلة الجنسية:فلسطين
- 5) أسم صاحب حقوق المصنف : نفس البيانات أعلاه

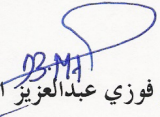
وقد سلمت الشهادة إلى السيد/SAMEH ELABADLA الجنسية:غينيا

بصفته: الوكيل القانوني عن صاحب حقوق المصنف بموجب توكيل موثق لدى سفارة دولة دولة الإمارات العربية المتحدة بتاريخ 2011/2/22م

ملاحظة:

- لا يجوز تداول المصنف بناءً على هذه الشهادة، حيث يتعين الحصول على إجازة تداول مصنف من الجهة المختصة بالدولة.
- أي كشط أو تعديل في بنود هذه الشهادة أو فصل في مرفقاتها المختومة يُلغىها.

حررت في : 28 / 2 / 2011م


/ فوزي عبدالعزيز الجابري
مدير إدارة حقوق النشر والتأليف



طلب رقم (105 لسنة: 2011 بتاريخ 23 / 2 / 2011م)

www.economy.ae

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، الحمدُ لله حمدَ الشاكرين ، الحمدُ لله كما أمر ، الحمدُ لله كلما طلعت شمسٌ أو غابَ قمرٌ ، الحمدُ لله عددَ ذراتِ الرمالِ وكلِّ حصى وحجرٍ ، الحمدُ لله عددَ ذراتِ المطرِ ، الحمدُ لله عددَ ورقِ الشجرِ ، الحمدُ لله في الحضرِ وفي السفرِ ، الحمدُ لله كلما صعدَ جبلٌ أو نُزلَ مُنحدرٌ ، الحمدُ لله على الأهلِ والمالِ والولدِ ، الحمدُ لله الذي آمنًا في هذا البلدِ ، الحمدُ لله الذي لم يتخذِ صاحبةً ولا ولدًا ، الحمدُ لله الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفؤًا أحدٌ ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريكَ له ، خَلَقَ الأكوانَ ، وسيرَ الليلَ والنهارَ ، وخلقَ الإنسَ والجانَ ، وكلَّ يومٍ هو في شأنٍ ، بديعٌ في كونه ، كريمٌ في رزقه ، واسعٌ في رحمته ، عزيزٌ في سلطانه ، سريعٌ في حسابه ، لطيفٌ بعباده ، وهو اللطيفُ الخبيرُ ، وأشهدُ أن سيدنا ونبينا وحبیبنا وشفیعنا وعظیمنا سيدنا محمدًا صَلَّى اللهُ عليه وسلّم نبيُّ الرحمة ، ونبيُّ الهدى ، ونبيُّ العلم ، قالَ بالقرآن ، وهدى بالسنة والبيان ، وصدقَ باللسان ، وهو شفيعُ الإنسِ والجانِ ، حبيبُ الرحمن ، والصلاة والسلامُ على النبيِّ العدنانِ ، اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على سيدنا محمد ، وعلى سائرِ الأنبياءِ والمرسلين ، وعلى الملائكةِ وعلى الأولياءِ والصالحين ، وعلى آله وصحبه وسلِّم وباركْ أجمعين ، صلاةٌ تُرضيك وتُرضيه وترضى بها عنا يا ربِّ العالمين.

أما بعد ، ، ،

” الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا {١} قِيَمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا {٢} مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا {٣} وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا {٤} مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا {٥} ” الكهف.

ولما أمر الله تعالى العلماء أن يُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ أَمْرَهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ” وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ” ١٨٧ آل عمران. وكما قال تعالى: ” وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ” ٦٤ النحل ، وقال تعالى: ” إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ” ١٠٥ النساء.

وذمّ الذين لا يفسرونه ولا يتدبرون معانيه بقوله تعالى: ” أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ” ٢٤ محمد.

((وأفضل التفسير))

تفسير القرآن بالقرآن فمن لم يجد فبالسنة وإلا بالاجتهاد لما أكده رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذ بن جبل إلى اليمن أميراً قال له: (بما تحكم؟؟) قال: بكتاب الله. قال: (فإن لم تجد؟؟). قال: بسنة رسول الله. قال: (فإن لم تجد؟؟). قال: أجتهد رأيي. فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره وقال: (الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله). [حديث معاذ رضي الله عنه رواه أبو داود والترمذي وأحمد وابن ماجه - ابن كثير ج ٤ ص ٢٠٥].

وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فأمنوا به) [ابن كثير ج ١ ص ٣٤٧].
 والمعصية تحجب الفهم ، قال تعالى: " وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ " ٢٨٢ البقرة. وقال تعالى: " بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " ١٤ المطففين. وقال تعالى: " سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ " ١٤٦ الأعراف.

وعن أبي جحيفة: قلت لعلي رضي الله عنه: (هل عندكم شيء من الوحي غير القرآن؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يعطيه الله تعالى رجلاً في القرآن وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وأن لا يُقتل مسلم بكافر). [رواه البخاري وأخرجه أحمد وأبو داود والنسائي - سبل السلام ج ٣ ص ٢٣٤].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ألا إنها ستكون فتنة. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله تعالى ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو صراط الله المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنوا به. من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن حكم به عدل ومن دُعي إليه هدي إلى صراط مستقيم). [كذا في المصابيح وروح البيان - خزينة الأسرار ص ٥٣]. وفي رواية مصنف ابن أبي شيبة: حدثنا حسين بن علي عن حمزة الزيات

عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث عن علي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذي لا تزبغ به الأهواء ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة رد ولا تنقضي عجائبه هو الذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي من عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم). خذها إليك يا أعور.

وصدق الله العظيم حيث يقول: " وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ " ٨٩ النحل.

وروى الشعبي عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن الكلالة فقال: (أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه: الكلالة من لا ولد له ولا والد). [ابن كثير ج ١ ص ٤٦٠].

والعلم علمان:

أ. علم مكتسب: أي يتعلمه المرء من التعليم والتدريس ومن الناس.

ب. وعلم موهبة من الله: أي علم يقذفه الله تعالى في قلب الرجل المؤمن والتقوي والصالح كما علم الله العبد الصالح وهو الخضر عليه السلام ما لم يعلمه رسوله ونبيه وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام حين تصور أنه لا يوجد من هو أعلم منه. وكما علم آدم الأسماء كلها ولم يعلم الملائكة وهم خاصته وأهل علمه. وكما قال الغلام لعمر عندما قال له فليتكلم من هو أكبر منك أو أسن منك قال يا عمر لو كان بالسن لكان من هو أسن منك أحق منك في تولي الخلافة. وكما قيل: المرء بأصغريه قلبه ولسانه. فصدق الله حيث قال: " وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ " ٢٨٢ البقرة.

فالقرآن له معان كثيرة ومن يرد الله به خيرا يعلمه التأويل. قال تعالى: " وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ " ٤٣ العنكبوت. وقال تعالى: " وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٦٩ البقرة. وعن ابن عباس مرفوعاً: (الحكمة القرآن). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٢].

وختاماً: عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار). [رواه البخاري ج ٤ ص ٢٠٧].

وأسالُ الله العلي القدير لي التوفيق في هذا التفسير ليكون لي به عنده زلفى وحسن مآب وينفع الله به جميع المسلمين اللهم آمين.

وقد سميته ((إلهام التفسير)) جعله الله هدى ونوراً مبيناً لي ولجميع المؤمنين اللهم آمين وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم وبارك أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وأحب أن أنبه وأنوه لقارئ تفسيري أنني قد أدرجت في تفسيري هذا بعض الفوائد والمرويات التي ورد ذكرها في كتب مثل نزهة المجالس وخزينة الأسرار وغيرها إحياءً لما في هذه الكتب من علوم غفل أو تغافل عنها الكثيرون بدعوى احتواء هذه الكتب على الكثير من المرويات الضعيفة والمنكرة وفي هذا غبن لأصحاب هذه الكتب والمؤلفات من العلماء الأجلاء وطعن في دينهم وفي علمهم وفي نزاهتهم وهدم لما بنوه وما بذلوه من جهد في سبيل العلم ينبغي أن يُشكر لا أن يُجحد والمؤمن ينبغي أن يكون معولاً للبناء لا معولاً للهدم وكما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي في البخاري ومسلم: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً).

وكما في الحديث الذي في صحيح مسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر

وَالْحَمَّى). والظن في هذه الكتب ومؤلفيها من العلماء ليس من التواد ولا من صفة المؤمن لأن المؤمن كما في الحديث: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ وَلَا اللَّعَانِ وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ). بل المؤمن يقول في حق هؤلاء كما في كتاب الله تعالى: " وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ " ١٠ الحشر. لأن كلاً من هؤلاء العلماء في كتبهم ومؤلفاتهم حتى لو أخطأ في شيء من كتابه وهو لا يتعمده فلا يُنكر كل كتابه فهؤلاء قد اجتهدوا وفي الحديث: (إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ).

ولقارئ تفسيري هذا ولأن هناك من قد يعترض على إدراجي في تفسيري هذا بعضاً مما جاء في هذه الكتب أو يكون همه الاعتراض فقط بدعوى ضعف هذه الرويات مصداقاً لقوله تعالى: " وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا "؛ هـ الكهف. فهؤلاء أقول أنني ما أدرجت منها إلا ما رأيت فيه الفائدة وما فيه زيادة المعنى والتوضيح على التفسير وما مالت نفسي إلى قبوله والتسليم بما جاء فيه وكما قيل: (الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا).

ودعوى ضعف هذه الرويات فأولاً إن أكثر ما أدرجته من هذه الرويات من هذه الكتب هو في الفضائل ومرويات الفضائل بل وحتى مرويات التفسير يُتساهل في روايتها ونقلها كما هو معلوم عند العلماء وكما هو سيرة السلف رضوان الله عليهم ففي كتاب الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي: (أنا محمد بن أحمد ابن يعقوب أنا محمد بن نعيم الضبي نا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي بمرونا أحمد بن سيار قال سمعت أبا قدامة يقول قال يحيى بن سعيد [القطان]: ((تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث)). ثم ذكر ليث ابن

أبي سلم وجويبر بن سعيد والضحاك ومحمد بن السائب وقال: ((هؤلاء لا يُحمد أمرهم ويُكتب التفسير عنهم))). وكذا قال الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية في علم الرواية في باب التشدد في أحاديث الأحكام والتجوز في فضائل الأعمال نقلاً عن أئمة السلف رضوان الله عليهم ما نصه: (قد ورد عن غير واحد من السلف أنه لا يجوز حمل الأحاديث المتعلقة بالتَّحليل والتَّحريم إلا عمَّن كان بريئاً من التُّهمة بعيداً من الظُّنة وأما أحاديث التَّريغ والمواعظ ونحو ذلك فإنه يجوز كتبها عن سائر المشايخ. أخبرنا أبو سعد الماليني قال أنَّ عبد الله بن عديّ قال ثنا إسحاق ابن إبراهيم بن إسماعيل الغزيّ قال ثنا أبي قال حدَّثنا رواد بن الجراح قال سمعت سفيان الثَّوريّ يقول: ((لا تأخذوا هذا العلم في الحلال والحرام إلا من الرؤساء المشهورين بالعلم الذين يعرفون الزيادة والنقصان فلا بأس بما سوى ذلك من المشايخ)). أخبرنا أبو بكر البرقانيّ قال أنَّ محمَّد بن الحسن بن محمَّد السرويّ قال أنَّ عبد الرحمن ابن أبي حاتم قال ثنا أبي وعليّ بن الحسن الهسنجاني قال سمعنا يحيى بن المغيرة قال سمعت ابن عيينة يقول: ((لاتسمعوا من بقية ما كان في سنة واسمعوا منه ما كان في ثواب وغيره)). ثنا محمَّد بن يوسف القطان النيسابوري لفظاً قال أنَّ محمَّد بن عبد الله بن محمَّد الحافظ قال سمعت أبا زكريا يحيى بن محمَّد العنبري يقول سمعت أبا العبَّاس أحمد بن محمَّد السجزي يقول سمعت النوفلي يعني أبا عبد الله يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول: ((إذا روينَا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحلال والحرام والسُّنن والأحكام تشدَّدنا في الأسانيد وإذا روينَا عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فضائل الأعمال وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد)). حدَّثت عن عبد العزيز بن جعفر أنا أبو بكر أحمد بن محمَّد بن هارون الخلال قال أخبرني الميمونيّ قال سمعت أبا عبد

الله [أحمد بن حنبل] يقول: ((أحاديث الرِّقَاق يُحْتَمَلُ أَنْ يُتَسَاهَلَ فِيهَا حَتَّى يَجِيءَ شَيْءٌ فِيهِ حَكْمٌ)). أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب قال أن محمد بن نعيم قال سمعت أبا زكريا العنبري يقول: ((الخبر إذا ورد لم يُحْرَمَ حَلَالاً وَلَمْ يُحَلَّ حَرَاماً وَلَمْ يَوْجِبْ حَكْماً وَكَانَ فِي تَرْغِيبٍ أَوْ تَرْهِيْبٍ أَوْ تَشْدِيدٍ أَوْ تَرْخِيصٍ وَجِبَ الْإِغْمَاضُ وَالتَّسَاهُلُ فِي رَوَاتِهِ)). انتهى النقل من كلام الخطيب البغدادي.

وثانياً تعريزاً لما سبق فإن الضعف الذي في هذه المرويات هو في سندها ورواتها لا في متنها ومضمونها كما هو معلوم وعلى هذا لا يمكن الحكم والجزم ببطلان هذه المرويات بشكل مطلق فالذي عَلمَ فائدة آية الكرسي لأبي هريرة رضي الله عنه هو الشيطان كما في الحديث المعروف والذي يقول أبو هريرة رضي الله عنه في آخره عن هذا الشيطان كما في البخاري: (فَجَاءَ يَحْتُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لِأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ أَنْكَ تَزْعُمُ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ قَالَ دَعْنِي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا قُلْتُ مَا هُوَ قَالَ إِذَا أُوْبِتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ قَالَ مَا هِيَ قُلْتُ قَالَ لِي إِذَا أُوْبِتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَقَالَ لِي لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ وَكَأَنَّا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَّقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ لَا قَالَ ذَلِكَ شَيْطَانٌ). ولا شيء أكذب من الشيطان للإنسان ولكنه صلى الله عليه وسلم قال

لأبي هريرة رضي الله عنه: (صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ). ولم يمنعه من الانتفاع بما دله عليه الشيطان من خير فلم يقل له لا تأخذ قوله لأنه شيطان والشيطان كذوب وكما سبق القول: (الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ حَيْثُمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا). وحتى في النقل عن أهل الكتاب ممن ليسوا بمسلمين أصلاً قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري: (بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ).

وها هو الصديق أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه الذي أخبره بخبر الإسراء هم أئمة الكفر والشرك من قريش وقالوا له كما في مستدرک الحاكم على الصحيحين: (هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس قال: أوقال ذلك؟ قالوا: نعم قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: أوتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبو بكر الصديق). فما هو قد صدق الخبر وصدق ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق فيما نُسب إليه رغم أن من جاءه بالخبر عنه هم أئمة الكفر والشرك وهؤلاء لا يُؤتمنون بطبيعة الحال فيما ينسبونه للنبي صلى الله عليه وسلم ورغم ذلك ورغم أن ما جاءوا به من خبر مما لا تستوعبه العقول بل وتنكره فقد سلم به الصديق ولم ينكره ابتداءً وصدق بما نسبه هؤلاء المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحق بذلك لقب ورتبة الصديق رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

وأكثر ما في ديننا هو من الغيبيات التي لا تسعها عقولنا والتي أمرنا بالتسليم بها والإيمان والتصديق بها كخبر الإسراء الذي لم تسعه عقول كفار قريش فأنكروه وصدقهم المؤمنون وعلى رأسهم الصديق رضي الله عنه.

وقد مدح الله تعالى المؤمنين بالغيب في كتابه العزيز فقال عز من قائل: " الم * ذَلِكَ كِتَابٌ لَّا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * " ١-٥ البقرة.

وأكثر ما أوردته في تفسيري من هذه الكتب هو في فوائد سور القرآن. وكلام الله تعالى له من الفوائد ما تعجز العقول عن إدراكه. وبركة كلام الله تعالى مما تحار فيه العقول والألباب فهو كلام الله تعالى الذي قال الله تعالى فيه: " وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ " ٢٠، ٤١؛ فصلت. وفيه فوائد جمة لا يعلمها إلا الله تعالى ومنها الشفاء للأمراض زيادة على الرحمة العامة للعباد وزيادة على هدايتهم إلى الطاعات والأمر بالمعروف وإرشادهم إلى اجتناب المعاصي والنهي عن المنكر كما قال تعالى في حق هذا القرآن: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاء تَكْمٌ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ " ٥٧ يونس. وكما قال تعالى: " وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا " ٨٢ الإسراء. وكما قال تعالى: " قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ " ٤٤؛ فصلت.

فعلى من يسارع ويجازف بإنكار بركة كلام الله تعالى وما فيه من فوائد لأن عقله ينكرها استعظاماً لها عليه أن يضع هذه الآيات نصب عينيه وعليه أن يتذكر قوله تعالى: " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ " ٦٧ الزمر. وقوله تعالى: " وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ " ٥٠ الأنبياء. صدق الله العظيم.

هذا ولا أدعي العصمة أو الكمال في كل ما جئت به في تفسيري هذا فالكمال لله وحده وما أصبت فيه فمن الله وبتوفيق الله وما أخطأت فيه مما لم أتعمد به فمني ومن الشيطان وأستغفر الله تعالى لي ولقارئ تفسيري هذا ولسائر المسلمين عامتهم وأئمتهم وعلمائهم.

” رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ”.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إلهام التفسير

شكيب عبد الرحمن أحمد العبادلة

الملقب " أبو أحمد العبادلة "

تمهيد

نبذة ومقدمة عن القرآن

أولاً: (التأويل أو التفسير)

والتأويل هو التفسير كما قال تعالى: " بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ " ٣٩ يونس.

وجاء في الحديث في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن عباس قال: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل). [ابن كثير ج ١ ص ٣].

وقال تعالى: " وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا " ٣٣ الفرقان.
معنى (التفسير أو التأويل):

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى: كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا " ١٠٥ النساء. [ابن كثير ج ١ ص ٣].

وقال الربيع: لا يزال يجيء من تأويله أمر حتى يوم الحساب [ابن كثير ج ٢ ص ٢٢٠].

وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) أي السنة [ابن كثير ج ١ ص ٣].

أي معنى التفسير أو التأويل هو بيان وتوضيح وتقريب المعنى للقارئ أو السامع والإتيان بكلمات مرادفة وقريبة للمعنى تشرح تلك الكلمة أو الجملة أو الآية شرحاً وافياً يفهم منه المعنى بصورة ميسرة ومبسطة وموضحة ومفهومة للقارئ أو السامع.

وأما جميع سور القرآن فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به وقيل وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة ، فأفضلها وأعظمها فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص عند العلماء المحققين لقول الله تعالى : " وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ " ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : (والذي نفسي بيده ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها وأنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أعطيته) ، ولقوله عليه الصلاة والسلام إذ قال له رجل يا رسول الله أي سورة في القرآن أعظم؟ قال : (قل هو الله أحد). قال فأية في القرآن أعظم؟ قال : آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) [خزينة الأسرار ص ٢].

وأما جميع آيات القرآن العظيم فستة آلاف ومائتان وستة وثلاثون آية على القول المشهور فأعظمها وأفضلها وأشرفها آية الكرسي [خزينة الأسرار ص ٢].

وقال أبو بكر الأنباري حدثنا إسماعيل بن إسحق القاضي حدثنا حجاج بن منهال حدثنا همام عن قتادة قال نزل في المدينة من القرآن " البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والرعد والنحل والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق و " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ " إلى رأس العشر و " إِذَا زُلْزِلَتْ " و " إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ " هؤلاء السور نزلت بالمدينة المنورة وسائر السور بمكة [ابن كثير ج ١ ص ٧].

والسور التي نزلت في المدينة تسمى " مدنية " وهي سور تكليف وجهاد وقتال والسور " المكية " نزلت على الرسول عليه الصلاة والسلام بمكة وهي الأمر بالتوحيد والإثبات بالدلالات والآيات الكونية.

وقال سلام أبو محمد الحماني إن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو؟ قال فحسبنا فأجمعوا أنه ثلاثمائة ألف

وأربعون ألف وسبعمائة وأربعون حرفاً. قال فأخبروني عن نصفه فإذا هو إلى الفاء من قوله في الكهف (وَلْيَتَلَطَّفْ) وثلثه الأولى عند رأس مائة آية من براءة والثاني على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء والثالث إلى آخره. وسبعه الأول إلى الدال من قوله تعالى (فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ) والسبع الثاني إلى التاء من قوله تعالى في سورة الأعراف (حَبِطَتْ) والثالث إلى الألف الثانية من قوله تعالى في الرعد (أَكُلْهَا) والرابع إلى الألف من قوله في الحج (جعلنا منسكا) والخامس إلى الهاء من قوله في الأحزاب (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ) والسادس إلى الواو من قوله تعالى في الفتح (الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ) والسابع إلى آخر القرآن. قال سلام أبو محمد علمنا ذلك في أربعة أشهر. قالوا وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن فالأول إلى آخر (الأنعام) والثاني إلى (وَلْيَتَلَطَّفْ) من سورة الكهف والثالث إلى (آخر الزمر) والرابع إلى (آخر القرآن) وقد حكى الشيخ أبو عمرو الداني في كتابه (البيان) خلافاً في هذا كله فالله أعلم [ابن كثير ج ١ ص ٧].

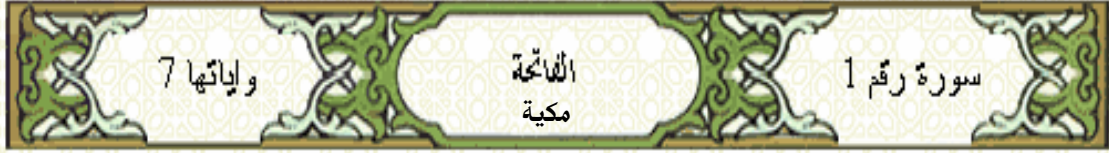
(جمع القرآن في مصحف) أول من سمى المصحف مصحفاً أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأول من جمع القرآن أبو بكر الصديق. قال الجلال السيوطي: أخرج ابن أشته في كتاب المصاحف من طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر التمسوا له اسماً فقال بعضهم السُّفْرُ وقال بعضهم المصحف فإن الحبشة يسمونه المصحف وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه المصحف. ثم أورده من طريق آخر عن ابن بريدة. [الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ٥٩].

وروى البخاري والترمذي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال أرسل أبو بكر إليّ بعد مقتل أهل اليمامة فإذا عمر جالس عنده فقال أبو بكر إن عمر جاءني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة (أي في غزوة مسيلمة الكذاب) بقراء القرآن وإني

أخشى أن يستحر (يزيد ويستمر) القتل بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقلت لعمر كيف نفع ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: ((هو والله خير)) فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد فقال لي أبو بكر: ((إنك رجل شاب عاقل لا يتهمك أحد قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه)). قال زيد: ((فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن)) فقلت فكيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو بكر: ((هو والله خير)) فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فتتبع القرآن أجمعه مما عندي وعند غيري من الرقاع والعسب واللحاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة (لقد جاءكم رسول من أنفسكم ... إلى آخر السورة) مع خزيمة أو أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله تعالى ثم عند عمر ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم أجمعين.

وروى البخاري وأبو داود والترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه). وقال الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود قال: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن) [ابن كثير ج ١ ص ٣].

والقرآن هو حلال وحرام ومحكم ومتشابه وبشير ونذير وقصة ومثل. وسبب النزول خاص والحكم عام لجميع المسلمين إلى يوم القيامة. والنسخ للحكم وليس للنص ويثاب تاليه ويتعبد به عند تلاوته.



﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

{بِسْمِ اللَّهِ} بدأ سبحانه وتعالى بثلاثة أسماء من أسمائه بافتتاح سور القرآن وأول هذه الأسماء هو الله أي إله الآلهة. وهو اسم الذات ، وهو اسم الله الأعظم. وجميع الأسماء الأخرى له صفة.

{الرَّحْمَنِ} رحمن الدنيا والآخرة وهو ثاني اسم بعد اسم الذات ورحمن عطوف على جميع مخلوقاته يرحمهم في الدنيا ويرزقهم ويعطف عليهم. وأخرج الترمذي وصححه عن عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا الرحمن خلقتُ الرحمَ وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) [ابن كثير ج ١ ص ٢٠] وهو ثاني اسم بعد اسم الله الأعظم "الله" ويُستجابُ للداعي به لقوله تعالى: " قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ... " ١١٠ الإسراء.

{الرَّحِيمِ} مأخوذة من الرحمة بخلقه (والرحيم أرق من الرحمن) والرحيم بالمؤمنين يوم القيامة كما قال تعالى: " وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا " ٤٣ الأحزاب.

وقيل: (الرحمن: كشاف الكروب ، والرحيم: غفار الذنوب) ، (والله: مجيب الدعوات ، والرحمن: منزل البركات ، والرحيم: يعفو عن السيئات).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: (إجلال القرآن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومفتاح القرآن بسم الله الرحمن الرحيم) [نزهة المجالس ص ٤١ - خزينة الأسرار ص ٧٨].

والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم سنة ، كما قال تعالى: " فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ " ٩٨ النحل.

وقال القرطبي: قال ابن مسعود رضي الله عنه: (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم هكذا أقرأني جبريل على اللوح المحفوظ) قال في شرح المذهب: وعليه الجمهور ودونه في الفضيلة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

ومعنى أعوذ بالله أي أستجير وأحتمي بالله وقيل أعوذ بالله: اللهم أعذني. والشيطان هو إبليس وذريته.

ويُسْرُ في الصلاة بقراءة البسمة عند قراءة الفاتحة في الصلاة الجهرية عند الإمام أبي حنيفة.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: (صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بالحمد لله رب العالمين) ، ولمسلم: لا يذكرون " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " في أول قراءة ولا في آخرها [ابن كثير ج ١ ص ١٧].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

{الْحَمْدُ لِلَّهِ} أي الفضل والشكر والثناء والمدح لله وحده وهو إله الكون وخالقه وموجده. والحمد أبلغ وأجمع للشكر والثناء وهو دائماً لله وحده أما الشكر فهو على نعمة واحدة أو معروف واحد كما قال تعالى: " فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ". وهي كلمة رضيها الله لنفسه. {رَبِّ} مربّي وخالق ومنشئ ومالك والمتصرف في كونه وخالقه. {الْعَالَمِينَ} جميع العالم والكون كله وجميع الخلائق وما في السموات وما في الأرض وما بينهما.

ومن شكر الله طلب الزيادة كما قال تعالى: " لئن شكرتم لأزيدنكم " ٧ إبراهيم.
 وإذا قال العبد " الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " قال الله تعالى: (حمدني عبدي).
 والعالمين: جميع العوالم. قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى في مسنده
 حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبيد بن واقد القيسي أبو عباد حدثني محمد ابن
 عيسى بن كيسان حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: (قَالَ الْجَرَادُ
 فِي سَنَةِ مِنْ سَنِي عَمْرِ التِّي وَلِي فِيهَا فَسَأَلَ عَنْهُ فَلَمْ يَخْبِرْ بِشَيْءٍ فَاغْتَمَ لِذَلِكَ فَأَرْسَلَ
 رَاكِبًا يَضْرِبُ إِلَى الْيَمَنِ وَآخِرَ إِلَى الشَّامِ وَآخِرَ إِلَى الْعِرَاقِ يَسْأَلُ هَلْ رَوَى مِنْ الْجَرَادِ
 شَيْءٌ أَمْ لَا؟ قَالَ فَاتَاهُ الرَّكَّابُ الَّذِي مِنْ قَبْلِ الْيَمَنِ بِقَبْضَةٍ مِنْ جَرَادٍ فَأَلْقَاهَا بَيْنَ
 يَدَيْهِ فَلَمَّا رَأَاهَا كَبُرَ ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (خَلَقَ
 اللَّهُ أَلْفَ أُمَّةٍ سِتْمِائَةَ فِي الْبَحْرِ وَأَرْبَعِمِائَةَ فِي الْبَرِّ فَأُولَ شَيْءٍ يَهْلِكُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ
 الْجَرَادُ فَإِذَا هَلَكَ تَتَابَعَتْ مِثْلَ النِّظَامِ إِذَا قَطَعَ سَلْكُهُ)) [ابن كثير ج ١ ص ٢٤].
 وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن
 الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها) رواه
 مسلم والترمذي والنسائي.

﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

{الرَّحْمَنِ} العطوف بالرحمة على جميع خلقه في الدنيا والآخرة فهو يرزقهم
 جميعاً مسلمهم وكافرهم في الدنيا ويعطف عليهم بالرحمة وفي الحديث القدسي:
 (أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن
 قطعها قطعته) [ابن كثير ج ١ ص ٢٠].

وهو ثاني اسم بعد اسم الذات اسم الله الأعظم (الله) ويستجاب للداعي به لقوله تعالى: " قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى " ١١٠ الإسراء.

{الرَّحِيمِ} فهو رحيم رؤوف بخلقه وقد سبقت رحمة الله تعالى غضبه ففي الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل: سبقت رحمتي غضبي.

وإذا قال العبد "الرحمن الرحيم" قال الله تعالى: عبدي دعاني باسمين رقيقين أحدهما أرق من الآخر الرحيم أرق من الرحمن كلاهما رقيقان. ورحيم بالمؤمنين يوم القيامة دون سواهم فيدخلهم الجنة كما قال تعالى: " وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ".

وإذا قال العبد "الرحمن الرحيم" قال الله تعالى أثنى علي عبدي.

﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾

{مَلِكِ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فهو مالك وحاكم وممتلك وبملكه وحوزته وتحت أمره وحكمه وقدرته وسلطانه ويمتلك وتعود الملكية له {يَوْمِ الدِّينِ} يوم القيامة لأن كل امرئ يحاسب على قدر ما فرط في دينه فمن فرط دخل النار ومن اتبع دين الإسلام وترك غيره دخل الجنة لأن الدين عند الله الإسلام كما قال تعالى: " إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ " وقال تعالى: " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ٨٥ آل عمران وقال تعالى: " لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ " ٦ الكافرون.

وإذا قال العبد "مالك يوم الدين" قال الله مجدني عبدي.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

{إِيَّاكَ} لك يا الله وحدك {نَعْبُدُ} نعبدك وحدك ونخلص لك العبادة والطاعة والأعمال الصالحة من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وذكر وتسبيح وصدقات {وَإِيَّاكَ} وبك وحدك {نَسْتَعِينُ} نطلب المساعدة والمساندة والمؤازرة والإعانة ونستعين بك على قضاء جميع حوائجنا ونستعين بك في جميع أمورنا في الدنيا والآخرة وهمومهما وأحزانهما وشروهما ونستعين بك في أرزاقنا وأقواتنا وفي عملنا وفي شفائنا وفي معيشتنا كلها أي لك العبادة وبك الاستعانة.

وإذا قال العبد "إياك نعبد وإياك نستعين" قال الله تعالى هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

{أَهْدِنَا} دلنا وأرشدنا {الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} دين الإسلام واهدنا طريق الجنة وهو طريق الحق والعدل والصواب والإيمان بالله وحده لا شريك له.

وفي صحيح ابن حبان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطأ فقال: (هذا سبيل الله) ثم خط خطأً عن يمينه وعن شماله ثم قال: (وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه) ثم تلا: " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لكل شيء آفة وإن آفة هذا الدين الأهواء).

وإذا قال العبد "اهدنا الصراط المستقيم" قال الله تعالى هذا لعبدي ولعبي ما سأل.

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾

{صِرَاطَ} طريق وسبيل {الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} تفضلت عليهم بنعمة الإيمان والتقوى والصلاح والهدى ويوم القيامة أنعمت عليهم بالجنة وجعلتهم من أهلها {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} غير وخلاف من غضبت عليهم سواء من اليهود أو غيرهم وكل من غضب الله تعالى عليه فهو منهم فالقاتل مثلاً مغضوب عليه من الله تعالى كما قال تعالى: " وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا " ٩٣ النساء.

{وَلَا الضَّالِّينَ} ولا طريق الضالين عن الهدى وعن الإيمان والإسلام وضالين عن الحق والعدل والصواب سواء من النصارى أو من غيرهم ممن ضل وتاه وغوى وابتعد عن الحق والهدى والرشاد والتقوى والصلاح وعن الإيمان وممن ضل عن سواء السبيل. (ومعنى الضالين) هم من ضل وتاه وغوى وابتعد عن جادة الطريق وابتعد عن الحق والعدل والصواب والهدى وعن دين الإسلام وعن الإيمان وكما قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ " ٩٠ آل عمران.

وإذا قال العبد "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين" قال الله تعالى هذا لعبدي ولعبدي ما سأل. ويُسن أن يقول العبد بعدها بعد سكتة قصيرة " آمين " يعني اللهم استجب.

وجاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا آمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) [ابن كثير ج ١ ص ٣١].

وروى ابن مردويه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين) [ابن كثير ج ١ ص ٣١].

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا قال أحدكم في الصلاة آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه) [ابن كثير ج ١ ص ٣١].

وفي صحيح مسلم عن أبي موسى مرفوعاً: (إذا قال الإمام ولا الضالين فقولوا "آمين" يجبكم الله) [ابن كثير ج ١ ص ٣١].

وعند الإمام أبي حنيفة يُسر بكلمة آمين في الصلاة الجهرية خلف الإمام لأنها ليست من الفاتحة.

وفي صحيح مسلم من حديث العلاء بن عبد الرحمن مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل إذا قال العبد "الحمد لله رب العالمين" قال الله حمدني عبدي وإذا قال "الرحمن الرحيم" قال الله أثنى علي عبدي فإذا قال "مالك يوم الدين" قال الله تعالى مجدني عبدي وإذا قال "إياك نعبد وإياك نستعين" قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين" قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل) [ابن كثير ج ١ ص ٢٦].

وفي شرح القلوب لابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال جبريل: (إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول إذا وقف العبد بين يدي للصلاة وقال "الله أكبر" أرفع الحجاب الذي بيني وبينه وإذا قال "الحمد" يقول لمن الحمد؟ فيقول "لله" فيقول ومن الله؟ فيقول "رب العالمين" فيقول ومن رب العالمين؟ فيقول "الرحمن الرحيم" فيقول ومن الرحمن الرحيم؟ فيقول "مالك يوم

الدين" فيقول يا عبدي أنا مالك يوم الدين فيقول العبد "إياك نعبد وإياك نستعين" فيقول يا عبدي إذا كنت إياي تعبد وإياي تستعين فسل تعط فيقول "اهدنا" فيقول الله تعالى أي الهدى تريد؟ فيقول "الصراط المستقيم" فيقول أي الصراط تريد؟ فيقول "صراط الذين أنعمت عليهم" فيقول يا ملائكتي اشهدوا أنني قد جعلت عبدي من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فيقول "غير المغضوب عليهم ولا الضالين" فيقول الله تعالى اشهدوا أنه قد جعلته من الذين أنعمت عليهم ولم أجعله من المغضوب عليهم ولا الضالين فيقول العبد "آمين" فتقول الملائكة آمين [نزها المجالس ص ٤١].

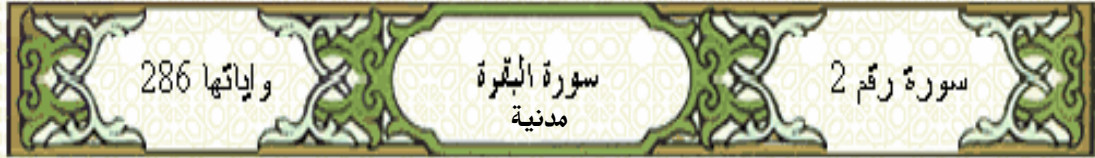
تسميتها وسببه:

(١) سميت الفاتحة فاتحة لأنه يفتح بها الصلاة في كل ركعة من الفرض أو الواجب أو السنة وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: (صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بالحمد لله رب العالمين) [ابن كثير ج ١ ص ١٧].

(٢) والفاتحة سميت "السبع المثاني" لأن آياتها بالبسملة سبع والمثاني لأنها تثنى على الله تعالى في الصلاة في كل ركعة ، وقيل لأنها نزلت مرتين مرة بمكة والثانية بالمدينة.

(٣) تسمى أم القرآن لأنها أصل القرآن وهي تحتوي عليه وروى البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن البصري أنه قال: أنزل الله عز وجل مائة وأربعة كتب من السماء أودع علومها أربعة منها التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور الفرقان ثم أودع علوم القرآن المفصل ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة.

وجميع ما في القرآن من التمجيد والتحميد والثناء تحت قوله "الحمد لله" وجميع ما فيه من أسماء الله الحسنی وصفاته العلیا تحت قوله "رب" وجميع ما فيه من العبادة والطاعة تحت "العالمين" وما فيه من العفو والغفران تحت قوله "الرحمن الرحيم" وجميع ما فيه من الوعيد وذكر القيامة تحت قوله "مالك يوم الدين" وجميع ما فيه من العبادة والطاعة تحت قوله "إياك نعبد" وجميع ما فيه من السؤال والتضرع تحت قوله "وإياك نستعين" وجميع ما فيه من سؤال الهداية وخوف الخاتمة تحت قوله "اهدنا" وجميع ما فيه من الإنعام والإكرام وذكر المقربين تحت قوله "الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم" وجميع ما فيه من ذكر المشركين تحت قوله "غير المغضوب عليهم ولا الضالين".



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

{الْم} هذه الحروف المقطعة سواء في سورة البقرة أو السور الأخرى التي تفتتح بها هي مختصر لآيات قرآنية أخرى وهي كما يقال (انظر صفحة كذا) أي (انظر آية كذا) كما في قوله تعالى: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ " ١ النمل. وكذلك قوله تعالى: " الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ " ١ يونس. وقوله تعالى: " الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ " ١ الحجر. وذلك لأن الإشارة والرمز هما سنة من سنن الأنبياء والرسل السابقين والصدّيقين وقد أمر الله تعالى رسوله زكريا عليه السلام بذلك كما جاء في قوله تعالى: " قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا " ٤١ آل عمران. وكما قال تعالى عن مريم عليها السلام: " فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا " ٢٩ مريم.

وحروف أوائل سور القرآن جعلها الله تعالى كذلك إشارة ورمزاً ودليلاً على فصاحة القرآن ومعجزاته حيث اشتهرت العرب بالفصاحة والشعر فأنزل الله تعالى القرآن معجزة لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما أرسل المعجزات السابقة للرسول حيث أنه لما اشتهر قوم موسى عليه السلام بالسحر أرسل إلى موسى عليه السلام معجزة العصا تلقف ما يأفكون من السحر في شكل حية أو ثعبان مبين ولما

كان كذلك قوم عيسى عليه السلام يشتهرون بالطب أرسل الله معجزة إلى عيسى عليه السلام يشفي الأكمه (الأعمى) والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله. وكذلك لما اشتهر العرب بالفصاحة والشعر أرسل رسوله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بمعجزة القرآن وحروف أوائل سور القرآن الكريم وهي رمز وفصاحة ومختصر لآيات أخرى اكتفى سبحانه وتعالى بالرمز لها محاكاة لفصاحة العرب وهي إشارة إلى آيات أخرى من القرآن إما سابقة وإما لاحقة (أي لم تنزل بعد) وهي بدل كلمة (انظر صفحة كذا) عندنا أي (انظر آية كذا) لأن القرآن نزل منجماً ومتفرقاً حسب الأحداث وكثيراً ما تكمل القصة في سورة أخرى أو في عدة سور متفرقة.

ونورد قصة توضح ذلك أنه روي أنه بينما أحد ملوك العرب في مجلسه بين جلسائه إذ دخل عليهم أحد الشعراء فقال الملك للشاعر (واو) فقال الشاعر (إِنَّ) رداً عليه فأمر الملك بسجن الشاعر فتعجب الحاضرون من ذلك وطلبوا من الملك أن يوضح لهم الأمر ويفصح لهم! فقال الملك عندما قلت له (واو) يعني " وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ " ٢٢٤ الشعراء فقال لي (إِنَّ) يعني " إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ " ٣٤ النمل. وليس المراد هذه القصة ولكن لتقريب الفهم والمعنى للقارئ وهذا يدل على ذكاء وفصاحة العرب وعلى أن القرآن جاء معجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم وقد فهمه السابقون كما دلت عليه هذه القصة وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إذا خفي عليكم شيء من القرآن فاطلبوه من الشعر فإنه ديوان العرب).

حيث حروف أوائل السور للقرآن الكريم هي رمز وإشارة إلى آيات أخرى إما سابقة بالنزول أو لم تنزل بعد حيث أن القرآن الكريم كله معلوم من الأزل لله تعالى ومكتوب في اللوح المحفوظ وقد أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة

بالسماء الدنيا وينزل به سيدنا جبريل عليه السلام منجماً ومفرقاً حسب الوقائع والأحداث حتى يُستوعب ويُفهم معانيه طبقاً للأحداث كما قال تعالى: " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ " ٣٢ الفرقان. وإلا ما فائدة حروف أوائل سور القرآن لو كانت طلاسماً لا معنى لها فتكون عندها مضيعة للوقت ولغو وحاش لله أن تكون كذلك ولو لم يكن لها معنى ما فائدة قوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " وقال ابن كثير ج ١ ص ٣٧: (فقد أخطأ خطأ كبيراً من قال ذلك). وصدق الله العظيم حيث يقول: " فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ " وقد فهم الملك والشاعر في القصة السابقة هذا المعنى وقد حدثنا الله على ذلك بقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " .

ومن المفسرين من قال (هي حتى يسكت القوم) وإذا فما بال الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم " فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم " ٩٨ النحل ثم البسمة.

وقال ابن كثير ج ١ ص ٣٧: (هو ضعيف وإلا كان في جميع سور القرآن). ومنهم من قال (يتكون القرآن الكريم من هذه الحروف العربية) فكيف ذلك والله تعالى أنزل آيات صريحة بأن القرآن عربي قال تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. فإذا كان القرآن كله عربي فما فائدة هذه الحروف. ومنهم من يقول (هذه طلاسماً فلا تعرف) فالله تعالى يقول: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص.

وأفضل شيء هو تفسير القرآن بالقرآن حيث تتكرر آياته في سور متعددة للتوضيح والبيان والتفسير فهو أصوب أو إلى الصواب أقرب. وهذه لكل حروف أوائل سور

القرآن الكريم كما قال تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت.

وملخصه أن سورة يونس وسورة يوسف والرعد تخبر أن أوائل حروف السور هي آيات كما قال تعالى: " الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ " ، " المر تِلْكَ آيَاتُ " وكما أسلفنا أن القرآن يفسر بعضه بعضاً ويتكرر المعنى في عدة سور أخرى لتوضيح وتأييد المعنى سواء في سور سابقة أو سور لاحقة مع ملاحظة التفسير هو تقريب المعنى للقارئ وهناك شروط في اختيار الآية التي توضع لتفسير حروف أوائل السور منها الآتي:

- (١) أن تفسر معنى حروف أوائل السور.
 - (٢) أن تؤدي المعنى فلو حذفت حروف أوائل السور فهي بديل لها في المعنى.
 - (٣) أن يكون هناك ربط بين الآية التي وضعت كتفسير حروف أوائل السور والآية التي بعدها.
 - (٤) أن تكون الآية التي وضعت كتفسير بها نفس حروف أوائل السور سواء في بدايتها أو نهايتها أو مجملها.
 - (٥) أن تكون أقرب للمعنى الإجمالي للآيات التي بعدها.
- وهي نزلت في تسع وعشرين سورة وهي على الترتيب: سورة البقرة - آل عمران - الأعراف - يونس - هود - يوسف - الرعد - إبراهيم - الحجر - مريم - طه - الشعراء - النمل - القصص - العنكبوت - الروم - لقمان - السجدة - يس - ص - غافر - فصلت - الشورى - الزخرف - الدخان - الجاثية - الأحقاف - ق - القلم.

والأقوال التي جاءت في تفسيرها: قال الشعبي عن السدي بلغني أن ابن عباس قال: (الم) اسم من أسماء الله الأعظم [ابن كثير ج ١ ص ٣٦].

ورويانا من حديث شريك بن عبد الله عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس: (الم) قال: أنا الله أعلم [ابن كثير ج ١ ص ٣٦].

وقال القرطبي: (هي مما استأثر الله بعلمه) [ابن كثير ج ١ ص ٣٥].

وقال عيسى ابن مريم عليهما السلام وعجب فقال: (أعجب أنهم يظنون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به فالألف مفتاح الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله واللام لطف الله والميم مجد الله والألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون سنة) [ابن كثير ج ١ ص ٣٦].

وقال ابن كثير ج ١ ص ٣٧: (المسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم به).

وقيل فإن في السياق ما يدل على ما حذف بخلاف هذا كما قال الشاعر

قلنا قفي لنا فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا ألا يجاف

تعني وقفت [ابن كثير ج ١ ص ٣٧].

وقال الآخر:

ما للظليم عال كيف لا يب ينقد عنه جلده إذا يب

قال ابن جرير: كأنه أراد أن يقول إذا يفعل كذا وكذا فاكتفى بالياء من يفعل.

وقال الآخر:

بالخير خيرات وإن شراً ف ولا أريد الشر إلا أن ت

يقول: وإن شراً فشرراً ولا أريد الشر إلا أن تشاء فاكتفى بالفاء والتاء من الكلمتين

عن بقيتهما [ابن كثير ج ١ ص ٣٧].

وفي الحديث: (من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة) الحديث قال سفيان هو أن

يقول في اقتل (أق) قاله القرطبي [ابن كثير ج ١ ص ٣٧].

وعليه نبداً بعون الله وتوفيقه وكما أسلفنا أن القرآن يفسر بعضه بعضاً ويتكرر المعنى في عدة سور أخرى لتوضيح وبيان وتأييد المعنى ولا يضر تفسير القرآن بالقرآن لأن الحكم والمعنى في النهاية واحد والغاية واحدة وهو كلام الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو أصوب أو أقرب للصواب ولن تجد فيه اختلافاً كبيراً مع ملاحظة أن المسألة مختلف فيها وليس فيها إجماع حتى يحكم به ولكن سادلو بدلوي ويحضرني أن أذكر في تفسيرها بعض الآيات القرآنية القريبة للمعنى وبالله التوفيق وأسأل الله العليم الصواب والسداد وأن يجعله نوراً وهدى للعارفين. هذا والله أعلم.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير وعليه نبداً متوكلين على الله تعالى وقد أصيب وقد أخطئ والمعصوم من عصمه الله ولا أحد معصوم إلا النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذا ما أرى وما أميل إليه وعليه فإن معنى {الم} يعني قوله تعالى: " أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ " ١٦ الحديد. والله أعلم مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ.

ويحضرني قصة أحد الصالحين الذي يروى أنه كان في أول حياته كان زعيماً لقطاع الطرق وكان الناس يتخوفونه في طريق حجهم حيث كان يسلب كل أموالهم وأمتعتهم وذات يوم جاء إلى رجل ليسلبه ما معه فسمعه يقرأ هذه الآية " أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ " فدخل الإيمان في قلبه وتاب هو ومن معه عن السرقة والسلب وأصبح من الصالحين.

{ذَلِكَ} ذاك {الْكِتَابُ} القرآن أي هذا القرآن {لَا رَيْبَ فِيهِ} لا شك ولا كذب ولا جحود ولا إنكار فيه {هُدًى} هادياً ومرشداً ودليلاً وبياناً وتوضيحاً إلى الطريق

المستقيم وهادياً من الضلالة {لِّلْمُتَّقِينَ} العابدين الخائفين الطائعين لله تعالى {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ} وهم المؤمنون وهم الذين يصدقون ويعتقدون اعتقاداً جازماً {بِالْغَيْبِ} والغيب كل ما غاب عنك وعن جميع حواسك وحجب عنك وهو العلم المستور والمحجوب والذي لا يرى ولا يعرف علمه عن الأشياء قبل ذلك أو لم يعرف بعد. ومنه يوم البعث وما فيه وما يحصل والجنة والنار والموت والملائكة والجن فهي كلها من الغيب لعدم رؤيتهم والله تعالى من الغيب وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والرؤية الصالحة الصادقة فهي من الغيب وقد صدقها يوسف عليه السلام " هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ " ، وكذلك رؤيا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة قال تعالى: " لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا " ٢٧ الفتح.

وهناك رؤية عياناً ويقظة ونهاراً جهاراً من المكاشفات والفتوحات التي يعطيها الله تعالى كرامة لأوليائه وعباده الصالحين من العلم اللدني كما قال تعالى عن الخضر عليه السلام:

" فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا " ٦٥ الكهف.

وكذلك نداء عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو يخطب على منبر المسلمين عندما نادى على قائد جنده وهو بنهاوند بفارس وعمر في المدينة المنورة قائلاً يا سارية الجبل ثلاث مرات وسمع سارية النداء وكان هناك جيش الأعداء يتربص بسارية وجنده فأخذ حيظته وانتصر عليهم وكذلك رؤيا يعقوب عليه السلام عندما شم رائحة ابنه يوسف في قميصه التي جاءت به العير من مصر وهو مفقود كما قال

تعالى: " وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ * قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ * فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ " ٩٤-٩٦ يوسف.

وروى الإمام أحمد عن غندر عن شعبة عن عمرو بن محمد أنه سمع أباه يحدث عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس " إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " ٣٤ لقمان [ابن كثير ج ٣ ص ٤٥٤].

{وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} وصدقتهم أيضاً يؤدون الصلاة وفرائضها الخمس في أوقاتها الصبح ركعتان وفريضة الظهر أربع ركعات وفريضة العصر أربع ركعات والمغرب ثلاث ركعات والعشاء أربع ركعات وهي الفرائض الخمس في اليوم واللييلة كما قال تعالى: " إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا " ١٠٣ النساء. {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} وينفقون ويتصدقون مما رزقهم وأعطاهم الله تعالى من فضله من الأموال والثمرات والمواشي والإبل والأنعام وذلك بالصدقات والزكاة على الفقراء والمساكين والمحتاجين وعلى أهلهم وأنفسهم وذويهم وأرحامهم ومن لهم حق عليهم وكذلك ينفقون العلم ويعلموه للناس والكلام الطيب فهو صدقة ولينفق كل ذو سعة من سعته ومما عنده من الصدقات وأعمال البر والخير {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ} ومن صدقتهم أيضاً يؤمنون ويصدقون بما أنزل إليك من القرآن الكريم والرسالة {وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ} وما أنزل الله تعالى من الكتب السابقة على الرسل السابقين من قبلك كصحف شيث وصحف إبراهيم وصحف إدريس عليهم السلام والتوراة لموسى عليه السلام وزبور داود عليه السلام وإنجيل عيسى {وَبِالْآخِرَةِ}

وبيوم القيامة وما فيها من بعث وحساب وجزاء وعقاب وعذاب وثواب وجنة يدخلها من عمل صالحاً ثم اهتدى ونار يدخلها الكفار والعصاة وأن في النار والجنة خلود بلا موت وأن الجنة نعيم دائم وأهل النار عذاب دائم {هُمَّ} أي المؤمنون {يُوقِنُونَ} يؤمنون ويصدقون ويعتقدون اعتقاداً جازماً بيوم القيامة وبالْحَسَابِ والجزاء والثواب {أُولَئِكَ} هؤلاء هم {عَلَىٰ هُدًى} والمتصفون بهذه الصفات المذكورة هم على هدى ورشاد ونور واستقامة {مِن رَّبِّهِمْ} من الله تعالى ربهم وخالقهم قد هداهم للطاعة والعبادة واتباع دين الإسلام {وَأُولَئِكَ} وهؤلاء {هُمُ} الْمُفْلِحُونَ} هم الناجحون والفائزون بالجنة ونعيمها وبرضاء الله تعالى عنهم يوم القيامة.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦١﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار وهم الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً وجزاءً وحساباً وعذاباً وثواباً ومنهم اليهود والنصارى وهم الذين كفروا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ} فسواءً أنذرتهم وحذرتهم {أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ} لأم لم تنذرهم ولم تحذرهم ولم تخوفهم عذاب الله يوم القيامة {لَا يُؤْمِنُونَ} لا يصدقون وينكرون ويجحدون الحساب يوم القيامة {خَتَمَ اللَّهُ} أقفل الله {عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ} على قلوب الكفار بعد أن علم الله تعالى بأن الكفار لن يؤمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولا بالقرآن ولا بيوم القيامة أقفل قلوبهم وجعل خواتيم أعمالهم وخاتمتهم عدم الإيمان والكفر والعصيان وجعلهم في

ظلمة الشرك لا يخرجون منها وطبع عليهم بالكفر {وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ} فلا يسمعون للنصيحة ولا غيرها {وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ} وعلى أعينهم {غِشْوَةٌ} ظلمةٌ وعماء فهم لا يبصرون الهدى ولا الحق ولا العدل فهم عمي عنه لا يرونه ولا يبصرونه {وَأَلْهُمَّ عَذَابٌ عَظِيمٌ} لهم عذاب كبير في نار جهنم فهو شديد وقاس وأليم وموجع وكبير يوم القيامة.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي

قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

{وَمِنَ النَّاسِ} بعض الناس وهم المنافقون {مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ} من يقول من المنافقين آمننا وصدقنا بالله رباً {وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} وبيوم القيامة أن به جزاءً وحساباً وعقاباً وعذاباً وثواباً {وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} وليسوا بمصدقين ولا معتقدين ذلك ولكنهم قالوا بأفواههم كلاماً ليرضوا به المسلمين وينافقوهم ويضحكوا عليهم {يُخَادِعُونَ اللَّهَ} يخادعون الله بالقيام بالحج والزكاة وبناء المساجد من أموال اقتطفوها من حرام سواء بالرشوة أو السلب والنهب والسرقة أو بالمخدرات أو خلافه فالله طيب ولا يقبل إلا طيباً أي يخادعون الله بنفاقهم وخداعهم وكذبهم لظنهم بأن الله لا يرى أحداً منهم وقال تبارك وتعالى: " أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى " ١٤ العلق. {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} ويخادعون المؤمنين بالغش والخيانة والغدر والسرقة والنفاق والتظاهر بالطيبة والعبادة وهم خلاف ذلك أي يخادعونهم بكذبهم ونفاقهم وخداعهم {وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ} وما يضللون وما يخدعون ولا يكذبون ولا يضحكون إلا

على أنفسهم ذاتهم حيث هم الذين يعذبون يوم القيامة في نار جهنم {وَمَا يَشْعُرُونَ} وما يشعرون ولا يعرفون ولا يدرون الآن بما هو مصيرهم يوم القيامة في نار جهنم وما يشعرون بأن الله يراهم ومطلع عليهم وتسجل الحفظة والكرام الكاتبين عليهم أعمالهم وأن جلودهم تشهد عليهم يوم القيامة لقوله تعالى: " الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ " ٦٥ يس.

{فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ} في قلوبهم مرض وهو مرض الكبر والعظمة والكفر والنفاق والخيانة {فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا} فزادهم الله تعالى نفاقاً وكفراً ومعصية وإصراراً وبعداً عن الحق والعدل والإسلام {وَلَهُمْ} أي أولئك المنافقين {عَذَابٌ أَلِيمٌ} عذاب أليم وموجع وقاس وشديد في نار جهنم يوم القيامة {بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} بسبب كذبهم ونفاقهم في الدنيا.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} وإذا حدثهم أي المنافقين أحد وقال لهم {لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ} أي لا تعيثوا في الأرض فساداً بالمعاصي وتهلكوا الحرث والنسل وترتكبوا المعاصي والفواحش والزنا وشرب الخمر والسرقه والغش والرشوة وأكل حقوق الناس بالباطل ظلماً وبهتاناً {قَالُوا} ردوا مجيبين بقولهم {إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} ونعمل الخير وهم لا يأتوه ولا يقربوه أصلاً بل يعملون الشر والمعاصي {أَلَا} يخبر الله تعالى عنهم ويعلنها {إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ} هم السائرون في تخريب الأرض بالفساد بين الناس {وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ} ولكنهم لا يشعرون ولا يحسون ولا يعلمون أنهم هم

المفسدون في الأرض ولا يشعرون بالضرر والإيذاء لغيرهم وعاقبته ونتائجه ولا يشعرون بأن الله يراهم ويعلم سرهم ونجواهم وأن الله تعالى سيعاقبهم على ذنوبهم ومعاصيهم {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ} وإذا قال لهم أحد من الناس يعظهم وينصحهم ويرشدهم للصواب قائلاً لهم آمنوا مثل المؤمنين {قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ} أجابوا بقولهم هل نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر مثل هؤلاء الذين آمنوا وهم السفهاء والأراذل والحقراء وإنما قالوا ذلك تكبراً وعناداً {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ} والصحيح أن هؤلاء المنافقين هم السفهاء والحقيرين والأراذل {وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ} ولكنهم لا يعلمون سفاهتهم وحقارتهم التي هم عليها من النفاق والغش والخداع والكذب والتكبر.

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَّحَتْ بِحَبْرَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

{وَإِذَا لَقُوا} وإذا وجد المنافقون {الَّذِينَ ءَامَنُوا} المؤمنون وهم الذين آمنوا باله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر {قَالُوا ءَامِنَّا} قالوا لهم كذباً نحن آمننا مثلكم ونحن معكم {وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ} وإذا اختلوا وأصبحوا في خلوة لوحدهم مع قرنائهم ومن هم على شاكلتهم وهم شياطين الإنس وعصاتها {قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ} قالوا للكفار والعصاة نحن معكم وليس مع المسلمين {إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ} إنما نكذب ونضحك على المسلمين ونستهزئ بهم ونسخر منهم {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} الله يسخر منهم وسيعذبهم يوم القيامة {وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ} يمهلهم ويستدرجهم ويطلق لهم

العنان ليزدادوا إثماً مع إثمهم وفساداً مع فسادهم وظلمهم وبغيهم {يَعْمَهُونَ} يتخبطون ويزدادون إثماً وفساداً ومعصية استدراجاً لهم {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا} هؤلاء هم الذين اشتروا {الضلالة} الدنيا وزينتها ومعصيتها وكفرها {بالهدى} بالإيمان والهدى والجنة أي اشتروا الدنيا بالآخرة والكفر بالإيمان والضلال بالهدى والنار بدلاً من الجنة {فَمَا رَیَحَتْ تُجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} فما ربحت تجارتهم ولا صفقتهم وهي صفقة وتجارة الكفر والمعاصي وما كانوا مهتدين إلى طريق الحق والصواب والهدى بل ضلوا وابتعدوا عن جادة الطريق وعن الطريق المستقيم.

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾ صُمُّ بَكْمٌ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرَاجِعُونَ ﴿٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ تَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ ۗ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾

{مَثَلُهُمْ} مثل الكفار والمنافقين {كَمَثَلِ} مثل {الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} أضاء ناراً وأشعلها {فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ} فلما أضاءت له وأنارت وأرته ما حوله {ذَهَبَ} اللَّهُ بِنُورِهِمْ} أطفأ الله نارهم وذهب بنورهم وضيائهم {وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ} وتركهم وأبقاهم في ظلام دامس وعممة لا يرون ولا يبصرون شيئاً أي بعد الإيمان كفروا وأصبحوا في الكفر والذنوب والمعاصي لا يبصرون ولا يعرفون الحلال من الحرام ولا الهدى من الضلال ولا الحق من الباطل فهم في ظلمات الكفر والشرك

لا يهتدون لنور الإيمان {صُمُّ} لا يسمعون {بُكْمٌ} لا يتكلمون {عُمَى} لا يبصرون {فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} فهم لا يستطيعون العودة والرجعة يوم القيامة للدنيا لعمل الصالحات من جديد {أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ} كمطر من السماء ينزل كثيفاً {فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ} فيه عتمة شديدة ومصحوباً برعد وبرق {تَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ} يضعون أصابع أيديهم في آذانهم خوفاً من صوت الرعد ومن الصواعق {حَذَرَ الْمَوْتِ} تهلكهم بالموت وشبه الله نزول المطر من السماء بالإيمان مصحوباً بظلمات هي الكفر والشرك ورعد هو شكهم وخوفهم الشديد من الإيمان وبرق هو ضياء الإيمان لا يلبث أن يذهب من قلوبهم لكثرة ظلمة الكفر والنفاق عندهم والشك في قلوبهم وأن صوت داعي الإيمان لهم كأنه صاعقة عليهم يخافون أن تهلكهم إذا سمعوها فهم لا يستطيعون سماعها والله مهلكهم ومعذبهم إذا اعتنقوا الإسلام والإيمان هذا هو اعتقادهم فهم يخافون الإيمان أكثر من الصواعق {وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ} والله محيط بهم ويعلم كفرهم وعنادهم وسيحل بهم عذابه يوم القيامة لكفرهم وعنادهم {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ} يكاد ضوء البرق وهو يلمع يعمي عيونهم لشدة لمعانه وضيائه {كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ} وكلما أضاء لهم لمعان البرق مشوا في طريقهم واهتدوا به {وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا} وإذا توقف البرق ولمعانه وقفوا عن السير في الظلام. وهكذا كلما وصل الإيمان إلى قلوبهم اهتدوا به وإذا كثرت الذنوب عليهم وظلمة الكفر والشرك وقفوا وانغمسوا في المعاصي والذنوب {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ} ولو أراد الله تعالى {لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ} لجعلهم عمي طرش لا يسمعون ولا يبصرون إطلاقاً {إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه قادر على كل شيء لأنه إذا أراد شيئاً أن

يقول للشيء كن فيكون وذلك لكونهم لا يسمعون النصيحة ولا يتبعون الهدى فالله قادر على أخذهم بذنوبهم وعصيانهم وكفرهم وعنادهم.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا النَّاسُ} أيها الناس جميعاً من بني آدم {أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ} أخلصوا له العبادة والطاعة لله تعالى وهو ربكم وخالقكم ورازقكم ومحبيكم ومميتكم {الَّذِي خَلَقَكُمْ} وهو الله تعالى الذي خلقكم وخلق كل شيء {وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} وخلق آباءكم من قبلكم وأجدادكم والسابقين من بني آدم وخلق أباكم آدم وأمكم حواء وخلق السماوات والأرض والجبال والبحار وما فيهم وما بينهم {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} عسى أن تهتدوا وتتقوا النار وتبتعدوا عنها بالطاعة والعبادة لله وحده لا شريك له {الَّذِي} الله تعالى هو الذي {جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا} فرش لكم الأرض كاللبساط من تحتكم لتسكنوا وتناموا عليها فهي كالفرش جعلها الله تعالى لكم {وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} والسماوات فوقكم جعلها الله تعالى وبنائها كالسقف فوق الغرفة {وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} وأنزل المطر من السماء من الغيوم والسحاب بأمره وإذنه وإرادته وقدرته {فَأَخْرَجَ} فأنبث {بِهِ} بالمطر {مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ} من الثمرات فواكه وثمار تأكلونه فهو رزق لكم رزقكم الله تعالى به لتعيشوا {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} فلا تشركوا بالله شيئاً وتجعلون له شركاء من الأوثان والأصنام والآلهة {وَأَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ} وأنتم تعلمون أنه هو الذي خلقكم وتعلمون أن الأوثان والأصنام لا تنفع ولا تضر وأنتم تعلمون ذلك جيداً.

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

{وَإِنْ كُنْتُمْ} وإن كنتم أيها الكفار {فِي رَيْبٍ} في شك {مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا} من القرآن الذي أنزلناه على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {فَأْتُوا} فهاتوا {بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ} سورة واحدة مثل هذا القرآن {وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ} ادعوا أتباعكم وأعاونكم وآلهتكم وأصنامكم وأوثانكم {مِنْ دُونِ اللَّهِ} غير الله تعالى الذي أنزله {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إن كنتم صادقين في ادعائكم بأن محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي اختلقه وعمله {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا} فإن لم تستطيعوا الإتيان بمثله {وَلَنْ تَفْعَلُوا} ولن تستطيعوا أبداً {فَأْتُوا النَّارَ} خافوا النار واخشوها وابتعدوا عنها بالإيمان بالله تعالى {الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} التي يكون حطبها الناس من بني آدم من كفر منهم وأشرك وعصى وكذب برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن هم سيكونون حطب جهنم مع حجارتها لأن حطبها ناس وحجارة فقط {أُعِدَّتْ} حضرت ومهدت {لِلْكَافِرِينَ} للكفار وهم الذين كفروا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أي هم الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر بعثاً ونشوراً وجزاءً وحساباً وعقاباً وعذاباً وثواباً.

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ
مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

{ وَبَشِّرِ } وخبر يا محمد يا رسول الله بشارة سارة ومفرحة { الَّذِينَ ءَامَنُوا }
المؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { وَعَمِلُوا }
الصَّالِحَاتِ عملوا من الطاعات والعبادات وأعمال الخير والبر لله تعالى وحده لا
شريك له { أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ } أن لهم ثواباً وجزاءً جنات ثمانية يدخلها كل حسب
عمله ومنزلته فالجنات هي أول الجنات هي [دار الجلال] وثانيها [دار السلام]
وثالثها [جنة المأوى] ورابعها [جنة الخلد] وخامسها [جنة النعيم] وسادسها [جنة
الفردوس] وسابعها [جنة عدن] وثمانها [دار القرار]. { تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ }
تجري من خلالها ومن تحت قصورها وتحت أشجارها الأنهار وهي أربعة نهر الماء
غير آسن، ونهر اللبن لم يتغير طعمه، ونهر الخمر لذة للشاربين ولا يسكر ولا
يذهب العقل، ونهر العسل المصفى. { كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا
الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ } ومن كثرة ثمار الجنة وأنواعها وأصنافها كلما جاء لهم بثمار
قالوا هذا الذي أكلناه آنفاً وسابقاً ظناً منهم أن لن تتغير الثمار ولكنها في الحقيقة
هي ثمار متشابهة في اللون ومختلفة في الطعم والمذاق وذلك لكثرة أصنافها المتشابهة
{ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا } أي يشبه بعضه بعضاً في اللون فقط ولكن الطعم والذوق
مختلف { وَلَهُمْ فِيهَا } وللمؤمنين في الجنة { أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ } زوجات سواء زوجاتهم
اللاتي كن معهم في الدنيا أم من الحور العين فهي مطهرة من الحيض والنفاس
{ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } وهم المؤمنون في الجنة دائمون لا يموتون ولا يزولون.

قال عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي حنيفة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له أنطأ في الجنة؟ قال: (نعم) والذي نفسي بيده دحماً دحماً فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرة) [ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٢].

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ [٢١] الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٢﴾

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي } إن الله تعالى لا يخشى حياءً من الحق ولا يخشى حياءً أن يتكلم عن خلقه { أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً } أن يقول مثلاً ويأتي بمثل ما عن أي شيء من خلقه لأنه هو الخالق والذي يعلم كل شيء عن مخلوقاته ولا أحد غيره يعلم إلا بعلمه ومن علمه حتى لو كانت بعوضة وذكر الله تعالى البعوضة لصغرها وحقارتها وضعف قوتها وأنها لا تأتي للناس لتلدغهم وتشرب دمهم إلا في الليل حتى لا ترى ولا تسمع وهي تكثر بالمستنقعات والمياه الراكدة حيث تضع بها بيضها وتتكاثر { فَمَا فَوْقَهَا } وما كان فوقها في صغر الحجم وما كان فوقها في كبر الحجم { فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا } فأما المؤمنون وهم الذين آمنوا بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر { فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ } فيعلمون أن الله تعالى مثله حق وصدق وعدل لأنه هو الذي خلق الناس والكائنات جميعها ويعلم أسرارها وخفاياها وكل شيء عنها " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " . { وَأَمَّا الَّذِينَ

كَفَرُوا} وأما الكفار وهم الذين كفروا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهم الذين كفروا ولم يصدقوا وكذبوا بالله وكتبه ورسله وباليوم الآخر {فَيَقُولُونَ} فيجادلون وينكرون ويجحدون ويعترضون ويقولون {مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا} لماذا يضرب الله تعالى مثلاً بالبعوضة فما فائدتها ولماذا خلقها؟ {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا} يضل الله تعالى ويزيده ضلالاً من لم يصدق به وهم كثير {وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} ويهدي به من يصدق به كذلك كثير وهم المؤمنون {وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ} وما يضل الله تعالى ويغوي إلا الفاسقين المعلنين بالمعصية والخارجين عن طاعة الله تعالى وعبادته {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ} الذين ينقضون العهود والمواثيق بعد أخذها عليهم وكما قال تعالى: " إِنْ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا " وفي الحديث الصحيح: (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان) وفي رواية (إذا أحدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) [ابن كثير ج ٤ ص ٤٢٢] وأنهم نقضوا عهد الله تعالى عندما استخرجهم كالذر من ظهور آبائهم وشهدوا على أنفسهم "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى" {وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} ويقطعون الأرحام وصلة أرحامهم، وكذلك يقاطعون الدين الإسلامي وهو الذي أمر الله تعالى به بقوله: " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ٨٥ آل عمران أما صلة الرحم ففي الحديث القدسي: (أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته). {وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} يفسدون بالكفر والشرك والمعاصي والذنوب والآثام وارتكاب الفواحش والمحرمات وانتهاك الأموال والأعراض والإفساد هو التخريب {أَوْلَيْكَ} هؤلاء {هُمُ الْخَاسِرُونَ}

الخاسرون والفاقدون أنفسهم يوم القيامة يدخلهم الله تعالى جهنم فيخسرون دخول الجنة ويخسرون أنفسهم بالعذاب.

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

{كَيْفَ} سؤال استنكاري {تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ} تجحدون وتكذبون بالله رباً {وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا} وكنتم قبل خلقكم أمواتاً وفي عداد الأموات ثم كنتم هباءً منثوراً ولم تُخلَقوا بعد {فَأَحْيَاكُمْ} بأن أخرجكم من أصلاب آبائكم {ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} بالموت في الحياة الدنيا بعد أن خلقكم وسواكم رجالاً ونساءً {ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} ثم يوم القيامة الله تعالى يحييكم وهو البعث والنشور {ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ثم ترجعون إلى الحساب والجزاء والعقاب والثواب يوم القيامة فمن عمل صالحاً يدخله الجنة ومن عصاه ولم يعبه دخل النار.

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

{هُوَ الَّذِي} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو الذي {خَلَقَ} لكم ما في الأرض {خَلَقَ} وأوجد وأنشأ لكم يا بني آدم ما في الأرض {جَمِيعًا} كل شيء خلقه الله تعالى من الأنعام والمواشي والحيوانات والطيور والحيتان والجبال والبراري والقفار والسهول والوديان والبحار والأنهار والأشجار {ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ} ثم تحول وانتقل بالخلق بعد خلق ما في الأرض إلى خلق وبناء السماء الدنيا ثم الثانية فالثالثة إلى سبع سماوات سمك كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وما بين الأرض والسماء الدنيا

خمسمائة عام كما ورد في الحديث {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} فالله تعالى عليم بكل شيء من خلقه ومحيط به ويعرف ويدري بجميع خلقه وكونه ولا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وعلمه محيط بكل شيء ويدريه ويعرفه

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةً ط قَالُوْۤا اَتَجْعَلُ فِىْهَا مَنْ يُّفْسِدُ فِىْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ط قَالَ اِنِّىْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٢٠﴾ وَعَلَّمَۤ اٰدَمَ الْاَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ اُنۢبِئُوْنِىْ بِاَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿٢١﴾ قَالُوْۤا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَاۤ اِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ط اِنَّكَ اَنْتَ الْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ ﴿٢٢﴾ قَالَ يَتَّبِعُۤمۡ اُنۢبِيَآءُۤمۡ بِاَسْمَآئِهِمْ ط فَلَمَّا اُنۢبَاَهُمْ بِاَسْمَآئِهِمْ قَالَ اَلَمْ اَقُلْ لَّكُمْ اِنِّىْۤ اَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاَعْلَمُ مَا تُبۡدُوْنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ ﴿٢٣﴾﴾

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ} عندما أراد الله ربك يا محمد أن ينفذ أمره قال للملائكة المقربين {إِنِّىْ} أنا الله تعالى {جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ} سأجعل في أرض الدنيا التي نسكن عليها الآن {خَلِيْفَةً} من يملك الأرض وينميها ويستخلفها عقبه من بعده وهكذا إلى يوم القيامة {قَالُوْۤا} قالت الملائكة {اَتَجْعَلُ فِىهَا مَنْ يُّفْسِدُ فِىهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ} أتجعل يا ربنا ويا إلهنا في الأرض خليفة يفسد فيها ويخرب فيها ويسفك الدم ويقتل بعضهم بعضاً كما فعلت الجن حيث كانوا مخلوقين في الأرض قبل آدم عليه السلام بألفي سنة فعاثوا في الأرض فساداً وعصوا فيها وسفكوا دماء بعضهم البعض فأرسل الله تعالى عليهم الملائكة فضربوهم حتى ساقوهم وألحقوهم جزر البحار ورؤوس الجبال {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} ونحن لا عمل لنا إلا التسبيح والتقديس لك ونعظّمك ونسبحك ونزهرك عن كل سوء {قَالَ} قال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {إِنِّىْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ} إني أعلم وأعرف

وأدري ما لا تعرفون ولا تعلمون من أمر الخليفة حيث سأجعل فيهم الأنبياء والرسل والأطباء والمهندسين والصناع والزراع والبنائين وغير ذلك أي أنني أعلم أنه سيكون منهم عصاة مفسدون ومذنبون ولكني أعلم أيضاً أنه سيكون منهم علماء وأولياء وصالحون كذلك وأناي جهزت وحضرت لهم لمن أطاع الجنة ونعيمها ولمن أشرك وعصا وأذنب فله نار جهنم وهذا ما لم تكن تعلمه الملائكة {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} علم الله تعالى آدم جميع الأسماء للموجودات ولكل شيء {ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} ثم عرض الله تعالى الأشياء والموجودات فقال للملائكة أنبئوني وأخبروني بأسماء هذه الأشياء إن كنتم صادقين في أقوالكم بأنكم أحق من آدم في خلافة الأرض {قَالُوا سُبْحَانَكَ} قالوا ننزهك سبحانك جل جلالك وعظم قدرك وعلا شأنك {لَا عِلْمَ لَنَا} لا نعرف شيئاً {إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا} وعرفته لنا فقط ولا نعرف غير ما علمتنا وعرفتنا وأخبرتنا به {إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} إنك أنت يا الله العليم بخلقك وكونك والحكيم بهم الحكيم في أخذك القرار بخلافة آدم عليه السلام لأنه لحكمة كنا نجهلها وأنت تعلمها {قَالَ} قال الله تعالى {يَتَّعِدُمْ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ} أخبر الملائكة بأسماء الأشياء التي سألتها الله تعالى له لأنه قد علمه بها سابقاً {فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ} فلما أخبرهم آدم عليه الصلاة والسلام بأسماء الأشياء كلها {قَالَ} قال الله تعالى {أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ} أليس قد قلت لكم {إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} إني أعلم غيب وخفاء كل شاردة وواردة في السماوات والأرض {وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ} وأعلم وأعرف ما تظهرون وما تعلنون بكلامكم {وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ} وما كنتم قد كتمتم في أنفسكم من أنكم تريدون خلافة الأرض بدلاً من آدم.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

الْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

{وَإِذْ قُلْنَا} قال الله تعالى {لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا} طلب الله تعالى من الملائكة السجود لآدم عليه الصلاة والسلام عرفاناً منهم له بالعلم والمعرفة فسجدوا طاعة لله تعالى {إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ} ما عدا إبليس وهو أبو الجن كما آدم عليه الصلاة والسلام أبو البشر. ومعنى إبليس أي أبلس وطرده من رحمة الله تعالى فإبليس رفض السجود {وَاسْتَكْبَرَ} وعلا وشمخ بأنفه كبراً وغروراً وحسداً وأنفة {وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} وكان مع الكافرين سيعذب في جهنم يوم القيامة لكفره وكبره وعناده وغروره بعدم الطاعة والامتثال لأمر الله تعالى بالسجود لآدم.

وقد قيل أن موسى عليه الصلاة والسلام قال لإبليس لِمَ لَمْ تَسْجُدْ لِآدَمَ؟ فقال ما أردت أن أكون مثلك فإني ادعيت محبته فما أردت السجود لغيره واخترت العقوبة على كذب دعواي وأنت ادعيت محبته فقال لك انظر إلى الجبل فنظرته ولو غمضت عينيك لنظرت إليه. [نزهة المجالس ص ٦٤].

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٦﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

{ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ } وقال الله تعالى لآدم اسكن الجنة أنت وزوجتك حواء، في الجنة الحقيقية التي سيدخلها المؤمنون والأولياء والصالحون وليست ربوة كما يظن البعض لأن الجنة الحقيقية لا شمس فيها لقوله تعالى: "مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا" ١٣ الإنسان. والجنة التي دخلها آدم أيضاً لا شمس فيها كما قال تعالى: " إِنْ لَكَ إِلَّا تَجُوعٌ فِيهَا وَلَا تَعْرِى {١١٨} وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى {١١٩} " ١١٨، ١١٩ طه. والضحي هو ارتفاع الشمس لقوله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الضحى عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (صلاة الأوابين حين ترمض الفصال) أي تشتد الحرارة وتحترق الفصال (جمع الفصيل وهو ولد الناقة إذا فصل عن أمه) من شدة حرارة الشمس. ولهذا قال الله تعالى لآدم: " وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى " أي لا شمس لأن الشمس في الدنيا فقط وليس في الجنة وهذا يؤكد أن الجنة التي دخلها آدم التي لا شمس فيها هي الجنة الحقيقية، وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة) [سبل السلام ج ١ ص ٤٥].

{وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا} وكلا من الجنة يا آدم أنت وزوجك حواء أكلاً هنيئاً مريئاً وعيشاً رغداً طيباً وسعيداً لا مشقة ولا تعب ولا هم ولا غم فيه {حَيْثُ شِئْتُمَا} من أي فاكهة أردتم {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} ما عدا هذه الشجرة وهي الحنطة (القمح) فلا تقربوها ولا تأكلا منها شيئاً ولذلك جعل القمح والحنطة هو طعام ابن آدم الرئيسي في الدنيا والخبز هو الأساس {فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} فتظلما أنفسكما وتُطردا من الجنة إذا أكلتما من شجرة الحنطة فتكونا من المعتدين الظالمين لأنفسهم بالمخالفة {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا} وسوس لهما الشيطان وقال لهم هذه الحنطة هي شجرة الخلد وملاك لا يبلى وستخلدان في الجنة إذا أكلتما منها فأكلا منها أي كل من آدم وحواء. وكُرهُ إبليس لهما سببه أن آدم عليه السلام خلق من طين من أنواع الأرض فبقي جسده ملقى على باب الجنة أربعين سنة وكان يأتي إليه إبليس ويركله برجله ويدخل من فيه ويخرج من دبره ويقول لو سلطني الله عليك! ولما أمرت الملائكة بالسجود وأبى إبليس السجود وطرده الله من رحمته ولعنه مكر بآدم فأتى إلى باب الجنة وآدم بها فوجد الطاووس فوقف معه وبكى فقال ما يبكيك؟ قال أبكي على الخلائق فإنهم كلهم يموتون إلا من أكل من شجرة الخلد (فهذا أول من كذب) فقال له الطاووس أين هذه الشجرة؟ قال إن أدخلتني الجنة أريتك الشجرة قال لا أقدر على ذلك ولكن أقول للحية فإنها تدخل وتخرج في خدمة خليفة الله آدم فكانت الحية يومئذ من أحسن الدواب فأتى الحية فأخبرها فخرجت الحية وتحول إبليس ريحاً فدخل بين أنيابها حتى أتى آدم وحواء في الجنة فوقف وناح نياحة أحزنتهما (فهو أول من ناح) فقالا له ما يبكيك؟ قال

عليكما تموتان وتفارقان النعيم ألا أدلكما على شجرة الخلد فكلا منها وحلف لهما بأنه ناصح لهما " وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ " (وهو أول من حلف كذباً وغش) فأكلت حواء من شجرة الحنطة ثم زينت لآدم بأنه لم يحصل لها شيء حتى أكل وظنا أنه لا أحد يتجاسر ويحلف كذباً وطردا من الجنة وروي أن حواء لما أكلت من الشجرة وصار ما صار وكسرتها حواء فشكت الشجرة ذلك لربها فقال لها وعزتي وجلالي لأدمينها وبناتها إلى يوم القيامة وهو دم الحيض الشهري { فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ } فكذب عليهم إبليس وأخرجهما من الجنة ونعيمها حقداً وحسداً وانتقاماً لأن الله تعالى طرده من رحمته ولعنه لأجل آدم لما أمره بالسجود وأبى { وَقُلْنَا } قال الله تعالى لهم { أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ } فهبط آدم بسرنديب من الهند وحواء بجدة وإبليس بالأبلة وهي البصرة وقيل بيسان والحية بأصبهان والطاووس ببابل. والحية وابن آدم لا يجتمعان فهم أعداء وحتى أولاد آدم مع بعضهم كذلك أعداء { وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ } والأرض لكم استقرار وبها معيشتكم وبها مسكنكم { وَمَتَّعْ إِلَىٰ حِينٍ } وهو التمتع إلى أن يحين الموت لكم أو يأتي يوم القيامة على الناس الموجودين فيها في ذلك اليوم { فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ } ألهمه الله تعالى دعاءً أن يقوله { فَتَابَ عَلَيْهِ } فقبل توبته فإنه قال " قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ " فتاب الله عليهما وتقبل توبتهما { إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ } هو الله تعالى يتوب على عباده { الرَّحِيمُ } يرحمهم فهو رحيم بهم { قُلْنَا } قال الله تعالى والجمع هنا للتفخيم والتبجيل والتعظيم لجلاله سبحانه وتعالى ذو الجلال والإكرام { أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا } انزلوا من الجنة آدم وحواء والطاووس والحية وإبليس { فَأِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى } فإذا أرسلت

الرسل بالهدى فاتبعوهم وقيل نزل آدم من الجنة إلى سرنديب بالهند مطأطأ الرأس واضعاً يده على ركبتيه وإبليس مشبكاً يده وناظراً إلى السماء {فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ} وهي أوامر الله تعالى ونواهيته {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} فمن اتبع طاعتي ورسلي وأوامري فلا خوف عليهم في الدنيا من نعمتي، ولا هم يحزنون يوم القيامة، ويدخلون الجنة {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار الذين كذبوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَوَكَذَّبُوا} وجحدوا وأنكروا ولم يصدقوا {بِقَايَاتِنَا} آيات القرآن والبيانات الواضحات والمعجزات الباهرات {أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} هؤلاء هم أهل النار سيدخلون فيها وهم دائمون فيها.

﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُونِ ﴿٤١﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرِينَ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِقَايَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّيَ فَاتَّقُونِ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٤٣﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٤﴾﴾

{يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ} أيها اليهود يا ذرية يعقوب عليه الصلاة والسلام ويعقوب اسمه إسرائيل وإسرا أي عبد وئيل الله أي عبد الله وهم ذرية يعقوب عليه الصلاة والسلام {أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} تفكروا نعمتي التي أنعمت عليكم بأن جعلت منكم الأنبياء وفضلتكم على العالمين {وَأَوْفُوا بِعَهْدِي} بعمل الطاعات لي من صوم وصلاة وزكاة وحج وصدقات {أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} بإدخالكم الجنة {وَإِيَّيَ فَارْهَبُونِ} فالله فارهبوه وخافوه واخشوه وأطيعوه واعبدوه {وَءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ}

وآمنوا بالقرآن الكريم {مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ} يصدق التوراة وما جاء فيها {وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ} ولا تكفروا وتكونوا أول الكافرين والمكذبين {بِهِءَ} أي بالقرآن الكريم {وَلَا تَشْتَرُوا بِعَايَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا} ولا تشتروا الدنيا بالآخرة وتبيعوا آيات الله مقابل ثمن قليل {وَأِيَّتِي فَاتْتُونَ} والله خافوه واتقوه وعبدوه وأطيعوه وابتعدوا عن المعاصي والكفر والشرك {وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} أي لا تبطلوا الحق وتزهقوه وتخفوه وتظهروا الباطل {وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ} وهو الإسلام تكتمون علمه وعلم صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في كتابكم {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} وأنتم تعلمون صدق رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} أدوا فرائض الصلاة الخمسة في الليل والنهار {وَوَاتُوا الزَّكَاةَ} زكوا أموالكم {وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} وصلوا جماعة مع المسلمين واقتدوا بهم.

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
 وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ وَإِنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿٤٦﴾ يَسْبَغِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ} تأمرون وتنصحون الناس من بني آدم بالبر والخير والمعروف {وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ} ولا تنصحون أنفسكم بالخير واتباع الحق واتباع الدين الإسلامي {وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ} وأنتم تقرؤون التوراة وتعلمون فيها صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأوصافه موجودة في كتابكم وهو التوراة {أَفَلَا

تَعْقُلُونَ} أفلا تعقلون وترجعون إلى صوابكم {وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ} استعينوا وساعدوا أنفسكم بالصبر والجلد {وَالصَّلَاةِ} صلوا الصلوات في أوقاتها وفروضها {وَأَنَّهَا لَكَبِيرَةٌ} وهذه الأعمال الاستعانة بالصبر والصلاة كبيرة وشاقة عليكم أن تأتوها {إِلَّا عَلَى الْخَشَعِينَ} الورعين الخائفين الطائعين لله تعالى والعابدین له فإنها غير كبيرة وغير شاقة عليهم بل سهلة ومُعينة لهم على الطاعة والعبادة {الَّذِينَ يَظُنُّونَ} الذين يعتقدون ومتأكدون من الحقيقة وهي {أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ} أنهم يوم القيامة سيرجعون إلى الحساب والجزاء والعقاب والعذاب والثواب يوم القيامة {وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} وأنهم بالبعث سيحيون بعد موتهم يوم القيامة وأنهم سيرجعون بأعمالهم إلى الله تعالى ليحاسبهم ويجازيهم عليها وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم (من صبر على أداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة ومن صبر عن محارم الله فله ستمائة درجة ومن صبر على المصيبة فله تسعمائة درجة) [نزهة المجالس ج ٢ ص ٥٤]، وفي الصحيح (عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاءً إلا كان خيراً له إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) [ابن كثير ج ٣ ص ٤٣٤]. {يَبْنِي إِسْرَائِيلَ} أيها اليهود يا ذرية يعقوب لأن اسمه إسرائيل أي عبد الله في لغتهم {أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} اذكروا فضلي وخير نعمتي وأفضالي عليكم {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} بالنبوة منهم وما أكثرها والكتب التي أرسلها لهم وأنهم سلالة مصفية ومهجنة أولاد أنبياء سلالة متعاقبة لا يفصل بينهم بفصل وهي "إبراهيم" عليه الصلاة والسلام نبي ورسول ثم ابنه "إسحاق" نبي ورسول ثم ابن إسحاق "يعقوب" نبي ورسول ثم "يوسف" بن يعقوب نبي ورسول أي سلالة منقاة ومصفية

سلالة أنبياء ورسل وفي المقابل العرب "إبراهيم" عليه السلام ثم بعده جاء ابنه من هاجر "إسماعيل" ثم بعد فترة طويلة سيدنا "محمد" صلى الله عليه وسلم وهذا سبب تفضيلهم على العالمين أولاد أنبياء ورسل متعاقبين دون فاصل بينهم {وَأَتَّقُوا} خافوا واخشوا {يَوْمًا} يوم القيامة {لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ} لا تملك ولا تنفع نفس وشخص لآخر {شَيْئًا} لا ينفع الآخر بشيء {وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ} ولا تتقبل شفاعاة الشافعين ولا أحد يستطيع أن يشفع له كما قال تعالى: " مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ". {وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ} ولا يؤخذ فداء أو كفارة أو دية أو أي شيء في مقابل الإعفاء عنها {وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} ولا أحد يستطيع نصرهم ومساعدتهم أو نجدتهم إطلاقاً كما قال تعالى عن الملائكة " لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ " ٣٨ النبأ.

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٤﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٤٥﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٤٦﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعَجَلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾

{وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ} وإذ أنقذناكم {مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ} من فرعون وقومه {يَسُومُونَكُمْ} يسقونكم كأس العذاب أي يعذبونكم {سُوءَ الْعَذَابِ} أشده وهو شره {يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ} يذبحون ويقتلون كل مولود حيث رأى فرعون رؤية في المنام أن طفلاً من بني إسرائيل سيكون ذهاب ملكه على يديه فصار يقتل أطفال وأبناء بني إسرائيل في مصر {وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} يستحلون النساء من أزواجها وكل امرأة جميلة يغتصبونها {وَفِي ذَلِكُمْ} وفي ذلك الفعل وهذه الأفعال التي يرتكبها فرعون في بني إسرائيل {بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ} هو بلاء ومحنة وعذاب سلط الله عليكم به فرعون ليعذبكم وهو امتحان لكم {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ} ثم جاء موسى عليه الصلاة والسلام بالرسالة ومعجزة العصا فخرج موسى بقومه من بني إسرائيل فلحق بهم فرعون مصر وقومه وجنده فضرب موسى عليه الصلاة والسلام عصاه في البحر ففرقه الله نصفين كالجبل كل جهة {فَأَنْجَيْنَاكُمْ} فدخل موسى وقومه من بني

إسرائيل الطريق ما بين البحرين التي فتحها بعصاه إلى الجهة الأخرى فلاحق بهم فرعون فأطبق الله عليه البحر هو وجنده {وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} فأغرق الله فرعون واسمه الوليد بن مصعب وجنده وبنو إسرائيل ينظرون وبشاهدون إغراق فرعون في البحر وهي معجزة لموسى عليه الصلاة والسلام {وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً} وإذ وعد الله تعالى مناجاة موسى عليه الصلاة والسلام بعد أربعين يوماً وضرب له ميعاد بذلك وهي المدة التي يكلم الله تعالى فيها موسى عليه الصلاة والسلام وقال صلى الله عليه وسلم (من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه). [الاسم الأعظم ص ٦٠] وهي المدة التي طهر بها الله تعالى بطن آدم من أكل الشجرة التي عصى الله تعالى بها {ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ} ولما ذهب موسى عليه الصلاة والسلام للمناجاة لمناجاة ربه قال الله تعالى ارجع قومك عبدوا العجل من بعدك فرجع إليهم موسى غضبان أسفاً على فعلتهم {وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ} وأنتم معتدون أشركتم بالله تعالى بعبادتكم العجل من دون الله {ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ} ثم تاب الله تعالى عليهم {مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} بعد أن تابوا وندموا {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} لعلكم تشكرون الله تعالى على نجاتكم من فرعون وبتوبته عليكم بعد عبادتكم للعجل {وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ} وآتيناهم موسى عليه الصلاة والسلام {الْكِتَابَ} وهو التوراة {وَالْفُرْقَانَ} لأنه يفرق بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال {لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ} حتى تهتدون به {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ} قال موسى لقومه من بني إسرائيل {يَقَوْمِ إِنِّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ} أنكم بالمعصية ظلمتم أنفسكم بالكفر والشرك {بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ} بعبادتكم العجل واتخاذها إلهاً {فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ} فتوبوا إلى الله تعالى خالفكم ومنشئكم {فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} وتوبتكم

تكون بقتلكم أنفسكم جزاءً وعقاباً لكم {ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ} وذلك خير لكم من حساب يوم القيامة لأن عذاب الدنيا قليل أما لو تأخر بكم ليوم القيامة يكون صعباً وأليماً. فتناحر القوم فقاموا إلى بعضهم بالخناجر والسيوف وأتى الله عليهم بظلمة شديدة حتى ليقتل الرجل والده وولده ولم يعرفه حتى قُتل منهم سبعون ألف ثم انكشفت عنهم بعد ذلك فقبل الله تعالى من مات منهم شهيداً ومن بقي غفر له {فَتَابَ عَلَيْكُمْ} فالله تعالى قبل توبتهم بعد ذلك {إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ} فهو الله تعالى الذي يقبل التوبة عن عباده {الرَّحِيمُ} الذي يرحم خلقه بعفوه عنهم بهذه الكفارة بدلاً من عذابهم في نار جهنم يوم القيامة من هذا الذنب العظيم وهو الشرك بعبادة العجل.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ ۗ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

{وَإِذْ قُلْتُمْ} وإذ قلتم يا بني إسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام {يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً} يا موسى لن نؤمن ولن نصدق لك على رسالتك لنا حتى نرى ونشاهد الله تعالى جهرة وعياناً وظاهراً فغضب الله تعالى عليهم {فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} فأنزل الله تعالى عليهم صاعقة من السماء وهم ينظرون إليها ويشاهدونها فماتوا عن آخرهم بنار نزلت من السماء أهلكتهم وهم ينظرون إليها ويشاهدونها بأعينهم {ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ} ثم بعد ذلك أحياهم الله تعالى حيث كانوا سبعين رجلاً من وجهاء بني إسرائيل فطلب موسى

عليه الصلاة والسلام من الله تعالى أن يحييهم حيث قال " أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
السُّفَهَاءُ مِنَّا " فأحياهم الله تعالى بعد موتهم {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} عسى أن تشكروا
الله تعالى على عفوهِ عنكم {وَوَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ} أظل الله تعالى بني إسرائيل
في التيه عندما تاهوا في سيناء أربعين سنة أظلمهم بالغيـم حتى يقيهم حر الشمس
وإلا لما تواتوا جميعهم من شدة الحر {وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ} أنزل الله تعالى عليهم نعمة
العسل {وَالسَّلْوَى} وهو السمّان أو الفِر وهو طير أصغر من الزغلول قليلاً ولحمه
أبيض طيب ولحمه ملك الطيور ويخرج من أوائل شهر سبتمبر وهو الشهر التاسع
حتى آخره تقريباً ويخرج في منطقة العريش. وفي سواحل فلسطين منطقة قطاع غزة
تُنصَب له الشباك وبعد الفجر يأتي أفواجاً ويقع في الشباك ويبيده الصيادون وهو
أشهى وأجود أنواع اللحم من الطيور {كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} كلوا من أجود
الطيبات التي رزقناكم وهي العسل والسمّان {وَمَا ظَلَمُونَا} وهم بكفرهم وعنادهم لم
يظلموا الله تعالى {وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} ولكن هم ظلموا أنفسهم بالكفر
والشرك والعصيان والعناد فتاهوا في سيناء أربعين سنة كلما مشوا عادوا إلى مكانهم
ثانية لم يستدلوا على طريق أبداً عقاباً لهم على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم وعنادهم.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ
 سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ^{٥٨} وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا
 كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

{وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ} قال لهم موسى عليه الصلاة والسلام ادخلوا هذه
 القرية وهي بيت المقدس {فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ} فكلوا منها من فواكه شتى
 حيث أحببتهم {رَغَدًا} طيباً كثيراً {وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا} وادخلوا باب بيت
 المسجد ساجدين {وَقُولُوا حِطَّةٌ} أي حط عنا خطايانا وذنوبنا {نَغْفِرْ لَكُمْ
 خَطَايَكُمْ} يغفر الله تعالى لكم ذنوبكم وسيئاتكم {وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} سيزيد الله
 تعالى من أحسن عمله نعمة وثواباً وسنزيده من الثواب والأجر والنعمة {فَبَدَّلَ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا} فغير من ظلم نفسه بالمعصية {قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ} فبدلاً
 من كلمة حطة دخلوا على شقهم وقالوا حنطة في شعيرة وقال آخرون حبة في
 شعيرة وغيروا ما أمرهم به موسى عليه الصلاة والسلام من القول [حطة] أي حط
 عنا خطايانا وذنوبنا {فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ} فأنزل الله تعالى
 على الذين عصوا وغيروا ما قيل لهم رجزاً أي عذاباً من السماء وهو مرض الطاعون
 أهلكهم {بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} بما كانوا يذنبون ويعصون الله تعالى جهراً بالمعصية
 والمخالفة.

﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ ۖ^ط
 اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا
 تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ۝

{وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ} طلب موسى عليه الصلاة والسلام من الله تعالى ماءً ليشرب قومه وهو معهم {فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا} فقلنا لموسى عليه الصلاة والسلام اضرب بعصاك أي حجر تجده ينبع الماء منه فوراً فوجد حجراً فضربه بعصاه فتفجرت ونبعت منه اثنتا عشرة عيناً من الماء تنبع كل عين لسبط من بني إسرائيل أي لقبيلة وهذه العصا بها معجزات كثيرة عمل موسى عليه السلام بأمر الله منها حية تسعى ومرة فلق بها البحر ومرة تخرج بها ينابيع من الحجارة {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ} قد علم كل سبط وكل جماعة أو قبيلة مشربهم وعين الماء التي يشربون منها {كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ} كلوا من المن والسلوى واشربوا الماء من الاثنتي عشرة عيناً وهي كلها رزق من الله رزقه لموسى عليه السلام وقومه ممن معه من بني إسرائيل {وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} ولا تنتشروا ولا تتفرقوا في الأرض وتفسدوا فيها بالكفر والمعاصي مخربين ما عمره موسى عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ
الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا ۗ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ
أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۗ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ
وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبِغَضِبِ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ وإذ قال بنو إسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام لن نستمر على طعام واحد وهو المن والسلوى نريد أن نغير ونجدد الطعام ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ادع الله تعالى أن ﴿تُخْرِجَ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ أن يخرج لنا من نبات الأرض ما نأكله ﴿مِنْ بَقْلِهَا﴾ من البقول ﴿وَقِثَّائِهَا﴾ وهو الفقوس ﴿وَفُومِهَا﴾ ثومها ﴿وَعَدَسِيهَا﴾ العدس المعروف ﴿وَبَصَلِهَا﴾ وبصل ﴿قَالَ﴾ قال لهم موسى عليه السلام رداً على طلبهم ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أتطلبون تغيير الطيب بأقل طيبة وتغيرون الرديء بالطيب والحقير بالحسن ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ ارجعوا ثانية إلى مصر وهي جمهورية مصر العربية حيث تشتهر بزراعة البقول والبصل والثوم والعدس والفول وجميع البقول لأن بها نهر النيل يمدّها بالمياه العذبة وتكثر فيها الزراعة فتجدوا ما تطلبون ولا داعي لأن أدعو ربي لهذه الموجودات في مصر ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ وضرب على اليهود وهم بنو إسرائيل ﴿الذَّلِيلَةَ وَالْمَسْكَنَةَ﴾ الذلة والصغار وكانوا يدفعون الجزية فهي ذلة لهم والمسكنة بأنهم حقراء لا دولة تقبلهم أو تعطيتهم حقوقهم كاملة وضرب الله عليهم الخوف والجبن ﴿وَبَاءَ وَبِغَضِبِ مِّنَ اللَّهِ﴾ وحلّ عليهم غضب الله تعالى وسخطه وعذابه وكانوا يدفعون الجزية ذلة وصغاراً وتعذيباً لهم

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ} وذلك لكفرهم وتكذيبهم وعدم تصديقهم بآيات الله وبياناته ومعجزاته على يد رسله موسى عليه الصلاة والسلام فلق لهم البحر بعصاه فكذبوه وعبدوا العجل عند زهابه لمناجاة ربه {وَيَقْتُلُونَ النَّبِيْنَ} فقتلوا زكريا عليه السلام وأرادوا قتل عيسى عليه السلام فصلبوا غيره ظناً منهم أنه عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل أنهم قتلوا في يوم واحد ألف نبي لأنهم كانوا يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر {بِغَيْرِ الْحَقِّ} بدون ذنب ارتكبهوا إلا أنهم يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر {ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا} وهذه الذلة والمسكنة والصغار وتفريقهم في أنحاء الأرض عقاباً لهم على عصيانهم وارتكابهم المعاصي ومخالفتهم رسلهم الذين أرسلهم الله تعالى لهم فموسى عليه الصلاة والسلام عندما طلب منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة في فلسطين قالوا له " فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ " ٢٤ المائدة. {وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} وكانوا يعتدون على بعضهم البعض وعلى رسلهم فهم باغون ظالمون معتدون.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيْنَ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

{إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} المؤمنون وهم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر {وَالَّذِينَ هَادُوا} وهم اليهود وهم بنو إسرائيل من ذرية يعقوب عليه
السلام اسمه إسرائيل وإسرا عبد وإيل الله أي عبد الله في لغتهم أي أولاد يعقوب
وهم بنو إسرائيل {وَالنَّصْرَى} هم المسيحيون الذين ناصروا عيسى بن مريم عليهما
الصلاة والسلام واتبعوه وسموا نصارى لأنهم نصروا عيسى عليه السلام كما قال
تعالى: " قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ
أَنْصَارُ اللَّهِ " ١٤ الصف. {وَالصَّبِيْنَ} وهم طائفة يقال أن مركزهم اليوم في
العراق {مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ} من آمن بالله تعالى رباً وهو الخالق والبارئ والمحيي
والمميت وهو المعبود وحده لا شريك له {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} وهو يوم القيامة وما فيه
من الحساب والجزاء والعقاب والعذاب والثواب والجنة للمؤمنين والصالحين والنار
للكفار والعصاة {وَعَمِلَ صَالِحًا} أي من آمن من أهل الأديان المذكورة سابقاً وعمل
صالحاً من الطاعات والعبادات والأعمال الصالحة له تعالى وحده لا شريك له
{فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} فلهم الأجر والثواب عند الله تعالى ربهم وخالقهم
ورازقهم {وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} في الدنيا ومن ذنوبهم السابقة {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} في
يوم القيامة لإيمانهم فلهم الجنة يدخلونها خالدين.

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ} وأخذنا العهد والميثاق والعهود المغلظة عليكم على الإيمان بالله وعلى طاعة رسوله موسى عليه الصلاة والسلام {وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ} ورفع الله تعالى عليهم جبل الطور كالظلة فوقهم ليسقطه عليهم إن لم يؤمنوا مع موسى عليه الصلاة والسلام {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ} فلما نظر بنو إسرائيل فوقهم إلى الجبل وهو يريد أن يسقط عليهم إن لم يأخذوا بكتاب التوراة الذي أرسله الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام وأن يأخذوا ويتبعوا أوامره ويجتنبوا نواهيه وإلا سقط عليهم الجبل من فوقهم وأهلكهم جميعاً {بِقُوَّةٍ} بالقوة الجبرية وغصباً عنهم وإلا سقط الجبل عليهم وأن يأخذوا التوراة بقوة إيمان وقوة يقين وعمل بها جاد ومخلص {وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ} واتعظوا بما فيه وتعلموا التوراة {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} لعلكم تخشون الله تعالى وتخافونه وتطيعونه وتعبدونه وحده لا شريك له {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ} ولما رفع الله عنكم الجبل عدتم لما كنتم عليه من الكفر والعصيان والمعاصي والذنوب وأعرضتم عن أوامره ونواهيه وإطاعة أوامره وعن عبادة الله تعالى وحده {فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} ولولا فضل الله عليكم بإرسال موسى عليه الصلاة والسلام وأخيه هارون ورحمته بهدايتكم وتوبتكم وتأخير العذاب عنكم {لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} لكنتم من الهالكين في الدنيا أولاً على يد فرعون وقومه وثانياً من تقتيلكم لأنفسكم عندما أمركم الله تعالى لعبادتكم العجل ثالثاً عندما رفع الله تعالى فوقكم جبل الطور كالظلة فوق رؤوسكم وإلا أسقطه عليكم ولكنه رفعه

عنكم ولكنتم من الخاسرين يوم القيامة بإدخالكم النار لتكذيبكم رسوله موسى عليه الصلاة والسلام.

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾

﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾

{وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ} ولقد عرفتم ووصل إلى علمكم ودريتم وعرفتم {الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي

السَّبْتِ} أي الذين اعتدوا منكم يا بني إسرائيل من اليهود وهم الذين كانوا

يصيدون الحيتان والأسماك يوم السبت وهو يوم عطلة وإجازة لليهود وذلك لأن

اليهود طلبوا أن يكون لهم يوم عيد غير يوم الجمعة (وهو يوم عيد المسلمين) وأن

يكون عيدهم يوم السبت فقال لهم الله تعالى إذا أردتم أن يكون عيدكم السبت فلا

تصيدوا الحيتان فيه فوافقوا ثم لما طال عليهم الأمد وكانت الحيتان في يوم السبت

تكثر وتظهر عياناً بأعداد كبيرة وهائلة وفي باقي الأسبوع لا يرونها فعملوا حيلة

فبعضهم وضع الصنابير والشباك أو حفر حفرة يوم الجمعة ويستخرجون الأسماك

والحيتان منها يوم الأحد ويدعون أنهم لم يصيدوها يوم السبت ولما أرادوا الحيلة

والخداع على الله تعالى {فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً} مسخهم الله تعالى قردة نكالا لهم

لإصرارهم على المكيدة والحيلة والمخالفة لأمر الله تعالى فمسخهم قردة. وقال قتادة

رضي الله تعالى عنه: (مسخ اليهود الشيوخ خنازير والشباب قردة) [نزهة المجالس

ص ١٦٥]. {خَاسِئِينَ} حقيرين ذليلين ممسوخين {فَجَعَلْنَاهَا} فجعل الله تعالى

مسخهم هذا قردة {نَكَالًا} عذاباً لهم {لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا} لملتهم ممن يحتال في الدنيا

على الله تعالى ويريد أن يخدعه ويعصيه ولن كان حاضراً في زمنهم {وَمَا خَلْفَهَا}

ولن يأتي من بعدهم من الأمم اللاحقة {وَمَوْعِظَةً} وذلك عظة واعتباراً واتعاضاً

{لِّلْمُتَّقِينَ} لمن يتقي حرمات الله تعالى ويخاف الله تعالى وعذابه ويمنع نفسه من المعاصي والذنوب والآثام والمخالفة خوفاً وخشية لله تعالى.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْخَبُوا بَقْرَةَ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنَهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْكَيْنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فذبحوها وما كادوا يفعلون ﴿٧١﴾ ﴾

{وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ} إذ قال موسى عليه الصلاة والسلام لقومه من بني إسرائيل {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْخَبُوا بَقْرَةً} إن الله تعالى أمركم ونصحكم بذبح بقرة لمعرفة القاتل. والقصة أنه كان رجل من بني إسرائيل لا ولد له وكان له ابن أخ وكان الرجل ذا مال كثير فطال الأمد وطال الوقت وابن أخيه ينتظر موته حتى يرثه فلما طال الأمد عليه قتل عمه حتى يرثه وليأخذ أمواله وبعد أن قتله وضعه على باب سبط (قبيلة) من بني إسرائيل حتى لا يشك به أحد ، وفي الصباح طلب من القوم من بني إسرائيل دية عمه فتخاصموا إلى رسول الله موسى عليه الصلاة والسلام ليحكم بينهم ويدلهم على قاتل الرجل فقال لهم موسى عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى يأمركم وينصحكم ويوجهكم إلى ذبح بقرة لتعرفوا من القاتل {قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا} قال بنو إسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام أتتهزأ بنا

وتسخر منا { قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ } أستجير بالله وحاش لله { أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } من الجاهلين لحدود الله ومن الجاهلين أن أمزح في وقت الجد وهو قتل رجل فهذا وقت جد لا هزل ولست سفيهاً لأن أسخر في وقت الجد وأن من يهزأ ويمزح ويضحك وقت الجد فهو جاهل سفيه وجاهل للقيم السامية والأخلاق العالية. عندها علموا أنه يقول الحق وهو جاد ليس بالهازل { قَالُوا } قال بنو إسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام { ادْعُ لَنَا رَبَّكَ } ناج لنا ربك واسأله { يُبَيِّنْ لَنَا } يعرفنا { مَا هِيَ } ما هي مواصفاتها؟ { قَالَ } قال موسى عليه الصلاة والسلام { إِنَّهُ يَقُولُ } الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يقول لكم { إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ } أي بقرة لا كبيرة هرمة { وَلَا بَكْرٌ } ولا هي صغيرة لم يلحقها الفحل { عَوَانُ بَيْنَ } ذَلِكُ } بل هي وسط بين الاثنتين { فَافْعَلُوا مَا تُمَرُّونَ } نفذوا ما تؤمرون به من ذبح البقرة { قَالُوا } قالت بنو إسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام { ادْعُ لَنَا رَبَّكَ } ناج لنا ربك وسله { يُبَيِّنْ لَنَا } يعرفنا { مَا لَوْنُهَا } ما لون البقرة المطلوب ذبحها { قَالَ } قال موسى عليه الصلاة والسلام { إِنَّهُ يَقُولُ } الله تعالى جل جلاله يقول لكم { إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا } إن لونها أصفر فاقع أي شديدة الصفرة أي لونها غامق الصفرة { تَسْرُ النَّظِيرِينَ } يُسْرُ لمنظرها الناس عندما ينظرونها ويرونها فهي تجلب البهجة والسرور عند رؤيتها { قَالُوا } قالت بنو إسرائيل مشددين متعنتين في السؤال والاستفسار { ادْعُ لَنَا رَبَّكَ } ناج لنا واسأل ربك { يُبَيِّنْ لَنَا } يعرفنا { مَا هِيَ } إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشَبَّهُ عَلَيْنَا } ما هي مواصفاتها الأخرى فقد اختلط علينا الأمر والبقرة كثير بهذا اللون وهذا الوصف { وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ } وإنا بمشيئة

الله تعالى وبعونه ومساعدته لمهتدون إليها وسنعرّفها إن شاء الله تعالى {قَالَ} قال لهم موسى عليه الصلاة والسلام {إِنَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَقُولُ} يقول لكم يا بني إسرائيل {إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ} إنها بقرة غير مذللة ولا مذلولة بحرث الأرض {وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ} ولا هي مجعولة للسقاية لتسقي الأرض والمزروعات {مُسَلَّمَةٌ} سليمة من العيوب {لَا شِيَةَ فِيهَا} ولا شيء فيها من الأمراض أو الأسقام {قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ} قالوا الآن قلت الحق وصدقت في وصفها. وكلما سألوا عن شيء شدد الله تعالى عليهم لكثرة سؤالهم ولو ذبحوا أية بقرة لأجزأتهم ولكنهم أكثروا من الأسئلة وشددوا في السؤال فشدد الله عليهم في مواصفات البقرة فوجدوها عند امرأة عجوز واشتروها وقيل وزنها بالذهب لأن صاحبها رفضت بيعها لمعزتها عندها {فَذَنَّبُوهَا} أي هذه البقرة اشتروها وذبحوها {وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} وكادوا لا يذبحونها لكثرة ثمنها وكثرة مواصفاتها التي شدد الله عليهم في وصفها لكثرة أسئلتهم ولولا تداركهم بقولهم وإنا إن شاء الله لمهتدون أي أرجعوا المشيئة لله تعالى بالعثور عليها لما وجدوها أو لما اشتروها لكثرة ثمنها.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ٧٢ ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ

بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٧٣ ﴿

{وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا} الرجل الذي قتله ابن أخيه {فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا} فاختلفتم فيها

وتشاحنتم فيمن قتلها وكل يلقي قتلها على السبط الآخر {وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ

تَكْتُمُونَ} والله مظهر ما تخفون في نفوسكم كما أظهر من قتل هذا الرجل {فَقُلْنَا}

قال الله تعالى وعلى لسان نبيه ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام {أَضْرِبُوهُ

بِبَعْضِهَا} أي اضربوا القاتل بجزء من البقرة يحيى القاتل فوراً وهذه معجزة أخرى

لموسى عليه الصلاة والسلام لبني إسرائيل فضربوه بجزء منها فقام حياً وقال لهم

ابن أخى هو الذي قتلني حتى يرثني ثم عاد ثانياً ميتاً {كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى}

وهكذا يحيى الله تعالى الموتى يوم القيامة ويخرجهم من قبورهم أحياء وذلك

للحساب والجزاء والعقاب والعذاب والثواب من عمل صالحاً وعبد الله تعالى وحده

دخل الجنة ومن كفر وأشرك وعصى الله تعالى فله النار {وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ} {

وَيُرِيكُمْ معجزاته على قدرته إحياء الموتى وقدرته على إظهار الأسرار وما تخفي

الصدور يعلمه {لَعَلَّكُمْ} عسى {تَعْقِلُونَ} تعقلون الحقيقة وتعرفون الحق والعدل

والصواب وأن الله تعالى هو واحد أحد لا شريك له ولا ند وأن رسله هم حق والجنة

حق والنار حق ويوم القيامة حق والحساب والجزاء والثواب حق ولعلكم تطيعوا الله

ورسوله ولا تعصونها بعد ذلك.

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ} ثم يا بني إسرائيل بعد معجزات الله تعالى لكم بأن فلق لكم البحر وأنجاكم وأغرق فرعون وجنده وقومه بعضا موسى عليه الصلاة والسلام وبعد أن حفظكم من سقوط الجبل عليكم وهو عليكم كالظلة فرفعه عنكم لتأخذوا التوراة وما فيها وتنفذوه وتطبقوه عليكم وبعد إنزال المن والسلوى عليكم وبعد أن ضرب موسى عليه السلام عصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا على عدد أسباط بني إسرائيل ليشرب كل سبط أو فصيلة أو قبيلة من عين خاصة عندما انقطع عنكم ماء الشرب ثم أحيا لكم القليل بجزء من البقرة التي وصفها لكم ثم بعد كل هذه المعجزات التي أراكم الله تعالى إياها قست وتحجرت قلوبكم فلم تؤمن ولن تؤمن لا بالله تعالى ربا ولا بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا {فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ} فهي لا تلين ولا تؤمن بالله تعالى ولا برسله فهي قاسية صلبة عنيدة كافرة مثل الحجارة من قسوتها وعنادها وكفرها {أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} أو أكثر صلابة أي مثل الصخر الصوان {وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ} إن من هذه الأحجار الصلبة {لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ} لما يسيل منه الأنهار {وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ} وإن هذه الحجارة الصلبة كثيرا ما تخرج منها العيون أو تحفر فيها الآبار فيخرج منها الماء للشرب {وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} وإن من الحجارة ما يقع أو يسقط من أعلى الجبل من خوفها من الله تعالى ومن خشيته ولكنكم أنتم لا

تؤمنون {وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} وما الله تعالى غافل عما تعملون فالله يرى ويعرف ولا تغيب عنه أعمالكم أبداً وغير غافل ولا لاه عنكم.

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ

سُحِّرْفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا

ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ

لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ

وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾

{أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ} هل تطمع يا محمد يا رسول الله أنت والمؤمنون أن

يصدقكم ويؤمنوا معكم وهم بنو إسرائيل {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ} وهم علماءهم

وأخبارهم {يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ} من التوراة يقرؤونه ويسمعونه ويعرفونه وهو صفة

محمد صلى الله عليه وسلم مذكوراً عندهم في التوراة {ثُمَّ سُحِّرْفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا

عَقَلُوهُ} أي يغيرونه من بعد ما علموه وتأكدوا من صدقه في رسالته وصفته مكتوبة

عندهم في التوراة {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} وهم يعلمون صدق رسالة سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا} إذا تصادف ولاقوا المؤمنين {قَالُوا ءَامَنَّا}

قالوا لهم صدقنا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى

بَعْضٍ} وإذا خلوا مع بعضهم البعض وكانوا على انفراد مع بعضهم البعض وفي

خلوة منفردين {قَالُوا} قال بعضهم إلى بعض {أَتُحَدِّثُونَهُمْ} هل تحدثوا الرسول

عليه الصلاة والسلام {بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} بالتوراة وما فيها من ذكر صفة سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم {لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ} حيث تكون عليكم حجة

يوم القيامة عند الله تعالى بأنكم اعترفتم لهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وسيخاصموكم وتكون عليكم حجة اعترافكم لهم {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} أفلا تعرفون ذلك وتفهموه. أي لا تعترفوا ولا تخبروا أحداً عن صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأنها موجودة في التوراة لأنه جاء من غير اليهود فهم كانوا يريدون هذا الرسول أن يكون منهم أي يهودياً وليس عربياً من سلالة إسماعيل عليه الصلاة والسلام {أَوْ لَا يَعْلَمُونَ} أولا يعرفون {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَعْلَمُ} يعلم ويعرف ويدري {مَا يُسْرُونَ} ما يخفون في صدورهم {وَمَا يُعْلِنُونَ} وما يظهرون علناً ويتحدثون به بين بعضهم البعض فالله تعالى يعلم سواءً تحدثوا أو كتموا يعلم كل شيء عنهم يعلم سرهم وعلنهم.

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

{وَمِنْهُمْ} طائفة من بني إسرائيل {أُمِّيُونَ} لا يعرفون القراءة ولا الكتابة {لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ} أي لا يعرفون ما في التوراة من علم {إِلَّا أَمَانِيَّ} إلا أنهم يتمنون لو أنهم يعرفون كل ما في التوراة {وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} وعلمهم هو ظن ليس فيه من الحقيقة شيء {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} أي هلاك وعذاب للذين يكتبون كتاباً {ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} ثم يقولون للناس أن هذا الكتاب الذي كتبه بأيديهم ومن تأليفهم هو من عند الله أي أن الله هو الذي أرسله {لَيْشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} طبقاً لشهواتهم ونزواتهم وطمعاً في الدنيا ومتاعها القليل {فَوَيْلٌ لَهُمْ} عذاباً وهلاكاً لهم {مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ} مما كتبوا بأيديهم

ومن عقولهم وأفكارهم وتأليفهم {وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} ويا للهلاك والعذاب لهم على اقترافهم هذا الذنب العظيم وهو التكذيب على الله في مقابل عرض من الدنيا قليل وزائل.

﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ

اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١٨﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ

بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٩﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٢٠﴾

{وَقَالُوا} قال اليهود وهم بنو إسرائيل {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ} لن تصيبنا النار ولن

نعذب فيها {إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً} أي سبعة أيام معدودة ومعروفة لأنهم يقولون أن

عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوماً واحداً في النار وإنما

هي سبعة أيام معدودة [ابن كثير ج ١ ص ١١٨]. {قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا} قل

لهم يا محمد يا رسول الله هل أخذتم على الله عهداً وموثقاً على ذلك بأن لا

يعذبكم إلا سبعة أيام؟ {فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۗ} وعليه فلن يخلف الله تعالى عهده

معكم إذا كنتم أخذتم عليه عهداً وميثاقاً. وهم يكذبون على بعضهم وعلى عامتهم

بهذه الأقاويل الكاذبة {أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} أم تختلقون وتكذبون

وتقولون على الله قولاً لا تعلمون صدقه ولا تعلمون عاقبته وليس عندكم علم حقيقي

عن ذلك بل كذب وادعاء {بَلَىٰ} ولكن الحقيقة هي {مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً} من ارتكب

ذنباً ومعصية الكفر والشرك {وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ۗ} ووقع وزر ذلك وذنبه عليه

{فَأُولَٰئِكَ} هؤلاء {أَصْحَابُ النَّارِ} هم أهل النار وسكانها {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}

هم في نار جهنم خالدون دائمون لا يموتون فيها أبداً {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} والمؤمنون

الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} عملوا الطاعات والعبادات الصالحات المخلصات لله تعالى وحده لا شريك له {أُولَئِكَ} هؤلاء هم {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} هم أهل الجنة ويدخلونها {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} وهم في نعيمها دائمون وعلى الدوام.

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} لقد أخذ الله سبحانه وتعالى العهد والميثاق على اليهود وهم بنو إسرائيل عند رفع الله تعالى عليهم الجبل كالظلة وقال لهم خذوا ما آتيناكم بقوة وكان الميثاق ينص على {لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ} لا تعبدوا أحداً غير الله تعالى ولا تشركوا به شيئاً {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} أن تحسنوا إلى والديكم في المعاملة وفي العشرة وأن تعاملوهم معاملة حسنة لطيفة طيبة {وَذِي الْقُرْبَىٰ} وكذلك تعاملوا الأقرباء معاملة حسنة تليق بالقرابة وبالأهل فلا تقسوا عليهم {وَالْيَتَامَىٰ} وكذلك اليتامى من مات عنهم والديهم أو أحدهما وكانوا لم يتجاوزوا سن الرشد أو الحكم فهؤلاء هم الأيتام فعاملوهم معاملة حسنة طيبة وأشفقوا عليهم وراعوهم بدلاً من والديهم أو أحدهما ممن مات عنهم حتى لا يشعروا بفقد الوالدين ويجدوا العناية والرعاية المطلوبة بعد فقد والديهم أو أحدهما {وَالْمَسْكِينِ} والمسكين هو الرجل الفقير الضعيف الذي لا يجد من يعطيه أو يفتن له وهم الذين لا يسألون الناس إحافاً {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} أي قولوا طيباً حسناً كما قال صلى الله عليه وسلم: (الكلمة الطيبة صدقة) {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} أدوا فرائض الصلاة في وقتها {وَأَتُوا

الزَّكَاةَ} وادفعوا زكاة أموالكم {ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ} ثم أعرضتم ووجدتم وأنكرتم ورفضتم ذلك {إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ} إلا قليلاً جداً هم الذين أطاعوا منكم يا بني إسرائيل مثل عبد الله بن سلام حبر بني إسرائيل وعالمهم وأبي بن كعب وأعداد قليلة ممن أسلم منهم {وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ} وأنتم يا بني إسرائيل ويا أيها اليهود لا تزالون معرضين ومبتعدين عن الإسلام ورافضين الدخول فيه.

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّن دَيْرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَتُّوْا لَهَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دَيْرِهِمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا تَحْفَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾

{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ} ولقد أخذ الله تعالى العهد والميثاق على بني إسرائيل وهم اليهود عندما جعل الجبل عليهم كالظلة وقال لهم: " خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ " وفي هذا العهد والميثاق {لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ} أي لا يسفك بعضكم دماء بعض أي لا يقتل بعضكم البعض عدواناً وظلماً {وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِّن دَيْرِكُمْ} أي لا تطردوا بعضكم البعض والقوي لا يطرد الضعيف وذلك بالحرب والقتل {ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} واعترفتم وشهدتم على ذلك وأنتم تشهدون على ذلك الإقرار والموافقة {ثُمَّ أَنْتُمْ هَتُّوْا لَهَا} ثم أنتم أيها اليهود يا بني إسرائيل {تَقْتُلُونَ}

أَنْفُسَكُمْ} بالحروب {وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ} وتطردون فئة منكم {مِّن دِيَارِهِمْ} من أوطانهم {تَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ} وكانت اليهود قسمين متحالفين: بني قينقاع مع الخزرج حلف ، والنضير وقریظة مع الأوس. وكلُّ يظاهر ويعاون ويساعد وينصر حليفه على القسم الآخر من أبناء دينهم وهم اليهود {بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} يتعاونوا على إخراجهم وهزيمتهم ليس على حق بل ظلماً وعدواناً {وَإِن يَأْتُوكُمُ أُسْرَى تَفْتَدُوهُمْ} وإن أسر واحد من اليهود أو من بني إسرائيل يفتدونهم ويدفعون لهم الفدية ويخرجونهم من الأسر هذا في دينهم ولكنهم يطردونهم من أوطانهم ولا يلتفتون إلى تعاليم التوراة عندهم فكما في التوراة فداء الأسير وإخراجه من سجنه فهو {وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ} ففي التوراة كتاب اليهود أي بني إسرائيل المنزل عليهم على موسى عليه الصلاة والسلام فيه تحريم إخراج وطرده بعضهم البعض من أوطانهم {أَفْتَوْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ} أفتؤمنون ببعض الكتاب وجزء منه وشطر منه وهو فداء الأسرى {وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} وتكفرون وتجددون وتنكرون البعض الآخر وهو محرم طرد بعضهم البعض أي تأخذون ما يحلو لكم من التوراة وعلى مزاجكم وترفضون ما لا يحلو لكم فهذا الكفر بعينه فمن كذب بحرف واحد سواءً من التوراة أو القرآن فهو كافر كما نصت عليه هذه الآية {فَمَا جَزَاءُ} فما عقاب {مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} من يعمل مثل ذلك يصدق بعض الكتاب ويكذب بعضه أو يأخذ ما يحلو له ويرفض ما لا يحلو له {مِنْكُمْ} يا أيها اليهود يا بني إسرائيل فجزاؤه وعقابه {إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فضيحة {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ} إلى أشده وأقساه {وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ} وما الله بلاه {عَمَّا تَعْمَلُونَ} عما تفعلون فهو شاهد ومطلع على أعمالكم وسيحاسبكم عليها يوم

القيامة {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ} هؤلاء من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعضه الآخر اشتروا الدنيا بدلاً من الآخرة وعملوا للدنيا ولم يعملوا للآخرة {فَلَا تُخَفِّفْ عَنْهُمْ الْعَذَابُ} فلا يخفف لهم العذاب يوم القيامة ولم يقلل عليهم بل يثدد ويزيد عليهم {وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} ولا هم يوم القيامة ينصرون أو ينقذون من العذاب فلا أحد يساعدهم ولا أحد ينصرهم ولا أحد ينقذهم من عذاب الله تعالى في نار جهنم.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} ولقد أنزل الله تعالى إلى نبيه ورسوله سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وهو موسى بن عمران آتاه الله تعالى وأعطاه كتاب التوراة وهو منزل لبني إسرائيل وهم اليهود {وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ} وأرسلنا من بعده وأتبعناه بالرسول المنتابعين وهم داود وسليمان وزكريا ويحيى {وَوَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ} وآتى وأعطى الله تعالى عيسى بن مريم عليهما السلام {الْبَيِّنَاتِ} المعجزات الظاهرات الواضحات وهي شفاء الأكمه وهو الأعمى والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى {وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} وأيده الله تعالى بجبريل عليه الصلاة والسلام يكون معه يؤيده في معجزاته {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ} فهل كلما أرسل الله لكم نبياً ورسولاً برسالة الله تعالى ليخبركم بها {بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ} بما لا تحبون من الأوامر التي تقلل من حريتكم من الطاعة والعبادة كالصوم والصلاة والزكاة

{أَسْتَكْبَرْتُمْ} استكبرتم عنها ورفضتم وأبيتتم تنفيذها أو العمل بها لأنها تحد من نشاط حربيتكم {فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ} أي كذبتهم فريقاً من الرسل مثل موسى عليه الصلاة والسلام {وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} كزكريا عليه الصلاة والسلام عندما هرب منكم واتهمتموه بالزنا بمريم وهرب إلى جذع شجرة فانفلق جذع الشجرة معجزة لهم ولكنهم أخذوا المنشار فنشروا جذع الشجرة فقسموه وشطروا نبي الله ورسوله زكريا عليه السلام نصفين فمات {وَقَالُوا} قالت اليهود وهم بنو إسرائيل لرسولهم {قُلُوبُنَا غُلْفٌ} أي مغلفة ومقفلة فلا تسمع لنصحكم ولا لإرشاداتكم ولا لتعاليم كتبكم {بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ} بل عذبهم الله وأهلكهم في نار جهنم يوم القيامة بكفرهم وعصيانهم وعنادهم وتكبرهم عن الطاعة والعبادة لله وحده لا شريك له {فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ} فقليلًا ما يؤمنوا برسول بل كذبوهم جميعهم.

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِهِمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

{وَلَمَّا جَاءَهُمْ} لما جاء وأنزل الله تعالى {كِتَابٌ} وهو القرآن الكريم {مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ} أنزله الله تعالى من عنده من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة بالسما الدنيا إلى الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي جبريل عليه الصلاة والسلام {مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ} مؤيد ومصدق ولم يكذب ما معهم من التوراة التي أرسلها الله تعالى لنبيه ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام لليهود وهم بنو إسرائيل {وَكَانُوا} أي بني إسرائيل {مِن قَبْلُ} من قبل أن يأتيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن {يَسْتَفْتِحُونَ} يهددون ويتوعدون الأوس والخزرج بالمدينة بأنه سيأتي نبي اسمه محمد وعندما يأتي سنحاربكم ونقتلكم قتل عاد وإرم {عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} على الأوس والخزرج عندما كانوا كفاراً وقبل إسلامهم {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا} لما جاءهم رسول الله سيدنا محمد وما عرفوه من وصف التوراة له وأنه رسول رب العالمين {كَفَرُوا بِهِ} وجحدوا به وكذبوا به {فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} أي عذاب الله وغضبه على الكافرين والمكذبين برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه

وسلم {بِعَسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ} بنس وساء وقبح عملهم وما اشتروا به الدنيا بدلاً من الآخرة وباعوا أنفسهم {أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} بأن كفروا وكذبوا وجحدوا وأنكروا ما أنزل الله من القرآن على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {بَغِيًّا} ظلماً وحسداً وحقداً {أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} لأن الله تعالى نزل القرآن على من أراد من عباده وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو من العرب وليس من اليهود ولا من بني إسرائيل وهذا فضل من الله تعالى يعطيه من يشاء من عباده فلا أحد يستطيع الاعتراض أو منعه {فَبَاءُوا} فذهبوا بغضب من الله تعالى وسخطه عليهم {بِغَضِبِ عَلَى غَضِبِ} سخط على سخط والغضب الأول قتلهم الأنبياء السابقين وهذا الغضب الثاني بتكذيبهم نبي الله ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو مكتوب في كتابهم التوراة وكانوا يستفتحون به ويستنصرون به على الأوس والخزرج والآن لما جاءهم من غيرهم من العرب وليس من اليهود كذبوا به وجحدوا به وكذبوه ولم يصدقوه {وَاللَّكْفِيرِينَ} ولمن كفر منهم برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {عَذَابٌ مُهِينٌ} عذاب مهين ومذل لهم وعذاب أليم وشديد وقاس {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} وإذا قيل لهم من الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أو من المؤمنين آمنوا وصدقوا بالقرآن الكريم وهو ما أنزله الله تعالى على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {قَالُوا} أي اليهود {نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا} أي لا نؤمن إلا بالتوراة التي أنزلت على موسى عليه الصلاة والسلام {وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ} ويكفرون بكل شيء غيره فلا يصدقون الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام ولا بالقرآن الكريم الذي أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكل شيء

غير التوراة يكفرون به ويكذبوه ولم يصدقوه {وَهُوَ الْحَقُّ} والقرآن الكريم هو حق وصدق لا كذب فيه فهو من عند الله تعالى نزل على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ} أي مصدق بالتوراة ولم يكذبها فهو مؤيدها ومؤكدها ومؤكد أنها نزلت من عند الله تعالى على رسوله موسى عليه الصلاة والسلام {قُلْ} قل لليهود يا محمد يا رسول الله {فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ} فإذا كنتم تصدقون بالكتب التي نزلت عليكم وبالرسل الذين أرسلوا إليكم فلماذا إذاً قتلتم الأنبياء قبل ذلك قتلتم زكريا ويحيى عليه الصلاة والسلام وصلبتم شبيهه عيسى عندما شبه لكم وصلبتم غيره ظنا منكم أنه عيسى عليه الصلاة والسلام {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} إن كنتم مصدقين برسلكم السابقين لماذا قتلتموهم إذاً وهذا تكذيب لهم بأنهم لا يريدون الرسل إلا على أهوائهم ومزاجهم ولتحقيق شهواتهم وملذاتهم ورغباتهم.

﴿ وَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ

بِعَسْمَا يَا مُرْكُم بِهِ إِيْمَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ

الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾

وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾

﴿ وَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ لقد أتاكم سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام

بالمعجزات الواضحات من فلق البحر، والعصا التي تقلب ثعباناً يلقف حبال

وعصي السحرة {ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ} ثم عبدتم العجل من بعد ما ذهب

موسى عليه الصلاة والسلام لمناجاة ربه ولميقات ربه فقد عبدتم العجل وجعلتموه لكم إلهاً {وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ} وأنتم معتدون مشركون ظلمتم أنفسكم بشرككم هذا وعبادة العجل {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ} إذ أخذ الله تعالى عليكم العهود والمواثيق بعد أن جعل عليكم جبل الطور فوقكم كالمظلة يريد أن يسقطه عليكم إذا لم تأتمروا بأمر الله تعالى ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام {خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} خذوا ما نمليه عليكم من أوامر بالقوة الجبرية وإلا نسقط عليكم الجبل يهلككم وخذوا تعاليم التوراة كذلك بقوة يقين وبقوة طاعة وعبادة واجتهاد {وَأَسْمِعُوا} ما نقول لكم أو يقول لكم نبيكم ورسولكم موسى عليه الصلاة والسلام {قَالُوا سَمِعْنَا} قالوا سمعنا أي نسمع لكل ما يقال {وَعَصَيْنَا} ولكن نعصي الفعل والعمل والطاعة والعبادة أي السمع نسمع ولكن الفعل لا نفعل {وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ} ودخلت محبة العجل وعبادته في قلوبهم {بِكُفْرِهِمْ} وذلك لكفرهم {قُلْ بَعْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ} قل لهم يا محمد يا رسول الله ساء وقبح ما يمليه عليكم {إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} ما تمليه عليكم عقيدتكم وإيمانكم بالله وحده إن كنتم مؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر حقاً وصدقاً {قُلْ} قل لليهود يا محمد يا رسول الله {إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْأَخْرَةِ} إن كانت لكم الجنة في الآخرة وحدكم {عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً} إن كانت الجنة خالصة لكم وحدكم {مِن دُونِ النَّاسِ} بدون باقي الناس {فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} فاطلبوا الموت وتمنوه إن كنتم صادقين في ادعائكم بأن الجنة لكم وحدكم من دون الناس ومن دون الخلق كلهم {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا} ولن يطلبوا الموت أبداً ولن يتمنوه أبداً إطلاقاً {بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ} بما عملت أيديهم من

الحرام والمعاصي والذنوب {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} والله يعلم ويعرف الظالمين والكفار وأهل الشرك والعصاة المذنبين والباغين والمعتدين على حقوق الناس وهم اليهود وهم بنو إسرائيل.

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾
 ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾

{وَلَتَجِدَنَّهُمْ} ولو نظرت يا محمد يا رسول الله لليهود لوجدتهم {أَحْرَصَ} النَّاسِ {أشد} الناس حرصاً وتمسكاً {عَلَى حَيَاتِهِ} على الحياة الدنيا فهم متشبثون بها متمسكون بالحياة الدنيا والعيش فيها {وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا} ومن المشركين وهم من عبدة الأصنام والأوثان ومن اتخذ لله أنداداً {يَوَدُّ أَحَدُهُمْ} يتمنى {لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ} لو يعيش ويعمر ألف سنة ويطول عمره إلى أن يصل ألف سنة محبة في الحياة الدنيا وملذاتها وشهواتها {وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِحٍ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ} وحتى لو طال عمره ومكث وعاش في الدنيا ألف سنة فإن هذا لن يمنعه من العذاب يوم القيامة ولن يزحزح أو يبعد عنه العذاب ولا مقدار أنملة {وَاللَّهُ بَصِيرٌ} والله سبحانه وتعالى بصير ومطلع عليهم ويبصر ويرى {بِمَا يَعْمَلُونَ} ما يعملون وما يفعلون في الدنيا من خير أو شر {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {مَنْ}

كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ} عليه الصلاة والسلام وهو الوحي الذي ينزل من السماء بالرسالة وبالقرآن وهو ملك من الملائكة المقربين الأربعة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل {فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ} نزل القرآن على قلبك فأمن به وأيقن به وصدق قلبك يا محمد لأن القلب يستوعب ما لا يقبله العقل حيث العقل لا يقبل إلا ما هو معلوم بالتجربة أو ملموساً مادياً أما القلب فهو أوسع علماً وإدراكاً بشيء يقذفه الله تعالى في القلب كالإلهام {بِإِذْنِ اللَّهِ} أي نزل القرآن الكريم عليك جبريل عليه السلام وهو الوحي وهو رسول رب العالمين إلى رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بإذن الله تعالى وبأمره وبإرادته ومشيئته {مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} أي يصدق الكتب السابقة والتي سبقته {وَهُدًى} يهدي به الله تعالى المؤمنين ومن يصدق به {وَبَشْرَى} وبيشر الله تعالى من صدقه وأخذ بأوامره واجتنب نواهيه {لِّلْمُؤْمِنِينَ} بأن لهم الجنة والمؤمنون هم الذين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسوله. وسبب نزول هذه الآية أنه حضرت جماعة من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ((سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم عن شيء فعرفتموه لتتابعنني على الإسلام)) فقالوا ذلك لك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((سلوا عما شئتم)) فقالوا أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في التوراة؟ ومن وليه من الملائكة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه فنذر الله نذراً لئن

عافاه الله من مرضه ليحرم من أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب الطعام إليه لحوم الإبل وأحب الشراب ألبانها)). فقالوا اللهم نعم فقال صلى الله عليه وسلم: ((اللهم اشهد عليهم. وأن ماء الرجل غليظ أبيض وأن ماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله عز وجل ، وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن الله وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله عز وجل)). قالوا اللهم نعم. قال: ((اللهم اشهد. وأن هذا النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه)). قالوا اللهم نعم. قال: ((اللهم اشهد)). قالوا أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك [أي نتبعك] أو نفارقك؟ قال عليه الصلاة والسلام: ((وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه)). قالوا فعندها نفارقك ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك قالوا إنه عدونا ولا يأتي إلا بالحرب والقتال والعذاب أما ميكائيل فينزل بالرحمة والقطر والنبات والأرزاق ولو قلت ميكائيل لا تتبعناك فأنزل الله لهم يا محمد من كان عدواً لجبريل فإنه نزل القرآن عليك بإذن الله. [ابن كثير ج ١ ص ١٢٩]. {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ} من كان عدواً وخصيماً ومعادٍ لله تعالى جل جلاله ولرسله جميعاً {وَجِبْرِيلَ} الوحي والملك المقرب والرسول من رب العالمين إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَمِيكَالَ} وهو الملك المقرب المختص بالمطر والأرزاق من كان عدواً ومخاصماً لهم {فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ} فإن الله عدوهم جميعاً وهم الكافرين بما أنزل على سيدنا محمد وكذبوا ولم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ولا باليوم الآخر {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} ولقد أنزل الله تعالى آيات من القرآن بينات في المعاني والأحكام وواضحات في الأوامر والنواهي {وَمَا يَكْفُرُ بِهَا} وما يكفر ويكذب ويجحدها وينكرها {إِلَّا

الْفَاسِقُونَ} الذين خرجوا على طاعة الله تعالى والمعلنون بالمعصية علناً دون خوف أو وجل أو خشية من الله تعالى.

﴿ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٦﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

{أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ} وكلما عاهدت اليهود عهداً نبذوه وتركوه وأبطلوه ونقضه فريق منهم أو طائفة {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} ولكن أكثر اليهود لا يؤمنون بالرسول ولا بالكتب السماوية {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ} ولما جاءهم الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله مرسل إليهم {مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ} مصدق التوراة التي أرسلها الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام لهداية بني إسرائيل {نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} ترك فريق من اليهود الذين آتاهم الله تعالى كتاب التوراة وهذا الفريق هم أبحارهم وعلمائهم تركوا {كِتَابَ اللَّهِ} التوراة التي بها صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تركوها {وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} أي لم يأخذوا بها وتناسوها {كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} وكأنهم لا يعلمون بعلم التوراة ولا يعلمون أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مذكورة صفته عندهم في التوراة.

﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِ هَرُوتَ وَمَرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا حُنُّ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۗ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ۗ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٢٠﴾
 وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

{وَاتَّبِعُوا} اتبع اليهود {مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ} ما كتبت وقرأت الشياطين {عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ} ما كتبته وقرأته على الناس في عهد سيدنا سليمان {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ} لم يكن سيدنا سليمان كافراً بل كان نبياً ورسولاً مرسلًا من الله تعالى إلى بني إسرائيل بعد والده داود عليه السلام {وَلَٰكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا} بتكذيبهم رسالة سيدنا سليمان عليه السلام بوضعهم كتب السحر تحت كرسيه وإرشاد الناس لتلك الكتب التي استخرجوها للناس بعد موت سيدنا سليمان عليه السلام وأوهموا الناس أن سليمان عليه السلام لم يكن نبياً ولا رسولاً وأنه إنما حكم الإنس والجن بالسحر الموجود في هذه الكتب {يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} فأخذوا يعلمون الناس السحر من هذه الكتب وهو ما يُعمل لأذى الناس. قال ابن جرير: حدثني أبو السائب سلمة بن جنادة السوائي حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان سليمان عليه السلام إذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتي شيئاً من نسائه أعطى الجرادة وهي امرأته (أي زوجته) خاتمه (لأن عليه اسم الله الأعظم) فلما أراد الله تعالى أن يبتلي سليمان

عليه السلام بالذي ابتلاه به أعطى الجرادة (زوجته) ذات يوم خاتمه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال هاتي خاتمي فأخذه ولبسه فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس. قال فجاءها سليمان فقال لها هاتي خاتمي فقالت كذبت لست سليمان قال فعرف سليمان أنه بلاء ابتلي به قال فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتباً فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسي سليمان ثم أخرجوها وقرؤها على الناس وقالوا إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب قال فبرئ الناس من سليمان وكفروه حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فأنزل عليه "وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا". [ابن كثير ج ١ ص ١٣٤]. {وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ} واتبع اليهود كذلك ما أنزل على الملوك من السحر وهما هاروت وماروت ببابل بأرض العراق حيث أرسل الله هذين الملوك فتنَةً وامتحاناً واختباراً {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ} ولا يعلمان أحداً من السحر {حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ} أي لا يعلم هاروت وماروت أحداً السحر حتى يقولوا له نحن جننا نعلم السحر اختباراً لكم وامتحاناً كما قال تبارك وتعالى: "أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ" ٢ العنكبوت. {فَلَا تَكْفُرْ} بأن تعتقد بممارسة السحر أنه بديل عن قدرة الله تعالى ومضاهاة لقدرة الله تعالى ومعجزات رسله كما فعل سحرة فرعون ابتداءً ضد موسى عليه السلام تلبيساً على الناس من أجل تصديق فرعون بأنه إله {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ} فإذا لم يكثر لقولهما وقيل بتعلم السحر ولم ينفعه التحذير منهما فإنهما يعلمانه السحر وهو ما يجعل الرجل يطلق زوجته ويتفارقان وهذا معصية لأن الله تعالى قال "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ" والطلاق بين الزوجين كارثة يشتمت أطفالاً وأسرة كاملة بل يفرق بين أسرتين أو

عائلتين أو قد يؤدي إلى تفريق قبيلتين إن كان الزوج من قبيلة والمرأة من قبيلة أخرى وهذا يفرق المسلمين ولا يجمعهم ويؤذيهم ولا ينفعهم ويضرهم ولا يساعدهم.

وقصة الملكين: قال الإمام أحمد بن حنبل أخبرنا يحيى بن بكير حدثنا زهير ابن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض قالت الملائكة أي رب (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) قالوا ربنا نحن أطوع لك من بني آدم قال الله تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض فننظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض ومثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألأها نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراف فقالا والله لا نشرك بالله شيئا أبدا فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله فسألأها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا والله لا نقتله أبدا فذهبت ثم رجعت بقدر خمر تحمله فسألأها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذا الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبي فلما أفاقا قالت المرأة والله ما تركتما شيئا أبيتماه علي إلا قد فعلتماه حين سكرتما. فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترتا عذاب الدنيا. [ابن كثير ج ١ ص ١٣٨]. وقال ابن جرير حدثني المثني حدثنا الحجاج أخبرنا حماد عن خالد الحذاء عن عمير ابن سعيد قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول: كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس وإنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت فراوداها عن نفسها فأبت عليهما إلا أن يعلمهاها الكلام الذي إذا تكلم به أحد يعرج به إلى السماء فعلمهاها فتكلمت به فعرجت إلى السماء فمسخت كوكبا. [ابن كثير ج ١ ص ١٣٩]. وقال أسباط عن السدي أنه قال كان من أمر هاروت وماروت أنهما طعنا على أهل الأرض في

أحكامهم فقيل لهما إني أعطيت بني آدم عشراً من الشهوات فبها يعصونني قال هاروت وماروت ربنا لو أعطيتنا تلك الشهوات ثم نزلنا لحكمنا بالعدل فقال لهما انزلا فقد أعطيتكما تلك الشهوات العشر فاحكما بين الناس فنزلا ببابل ديناوند فكانا يحكمان حتى إذا أمسيا عرجا فإذا أصبحتا هبطا فلم يزالا كذلك حتى أتتهما امرأة تخاصم زوجها فأعجبهما حسنهما واسمها بالعربية الزهرة وبالنبطية بيدخت وبالفارسية أناهيد فقال أحدهما لصاحبه إنها لتعجبني قال الآخر قد أردت أن أذكر لك فاستحييت منك فقال الآخر هل لك أن أذكرها لنفسها؟! قال نعم ولكن كيف لنا بعذاب الله؟ قال الآخر إنا لندرجو رحمة الله فلما جاءت تخاصم زوجها ذكرا إليها نفسها فقالت لا حتى تقضيا لي على زوجي فقضيا لها على زوجها ثم واعدتهما خربة من الخرب يأتيانها فيها فأتياها لذلك فلما أراد الذي يواقعها قالت ما أنا بالذي أفعل حتى تخبراني بأي كلام تصعدان إلى السماء وبأي كلام تنزلان منها فأخبرها فتكلمت فصعدت فأنساها الله تعالى ما تنزل به فثبتت مكانها وجعلها الله كوكبا فكان عبد الله بن عمر كلما رآها لعنها وقال هذه التي فتنت هاروت وماروت فلما كان الليل أرادا أن يصعدا فلم يطيقا فعرفا الهلكة فخيروا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترتا عذاب الدنيا فعلقا ببابل وجعلا يكلمان الناس كلامهما وهو السحر. [ابن كثير ج ١ ص ١٤١]. وقال الإمام أبو جعفر ابن جرير أخبرنا الربيع بن سليمان أخبرنا ابن وهب أخبرنا ابن أبي الزناد حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: قدمت علي امرأة من أهل دومة الجندل جاءت تبغني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته حداثة ذلك تسأله أشياء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به وقالت عائشة رضي الله عنها لعروة: يا ابن أخي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشفئها فكانت تبكي حتى إني لأرحمها وتقول

إني أخاف أن أكون قد هلكت كان لي زوج فغاب عني فدخلت على عجوز فشكوت ذلك إليها فقالت إن فعلت ما أمرك به فأجعله يأتيك فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن شي حتى وقفنا ببابل وإذا برجلين معلقين بأرجلهم فقالا ما جاء بك؟ قلت نتعلم السحر فقالا إنما نحن فتنة فلا تكفري فارجعي فأبيت وقلت لا قالوا فانهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت ففزعت ولم أفعل فرجعت إليهما فقالا أفعلت؟ فقلت نعم فقالا هل رأيت شيئاً؟ فقلت لم أر شيئاً فقالا لم تفعلي ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فأبيت وأبيت فقالا اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه فذهبت فاقشعررت وخفت ثم رجعت إليهما وقلت قد فعلت فقالا فما رأيت؟ فقلت لم أر شيئاً فقالا كذبت لم تفعلي ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فإنك على رأس أمرك فأبيت وأبيت فقالا اذهبي إلى التنور فبولي فيه فذهبت إليه فبلت فيه فرأيت فارساً مقنعا بحديد خرج مني فذهب في السماء وغاب حتى ما أراه فجتتهما فقلت قد فعلت فقالا فما رأيت؟ قلت رأيت فارساً مقنعاً خرج مني فذهب في السماء حتى ما أراه فقالا صدقت ذلك إيمانك خرج منك اذهبي فقلت للمرأة والله ما أعلم شيئاً وما قال لي شيئاً فقالت بلى لم تريدي شيئاً إلا كان خذي هذا القمح فابذري فبذرت وقلت اطلعي فأطلع وقلت احقلي فأحقلت ثم قلت افركي فأفركت ثم قلت ايبسي فأيبست ثم قلت اطحني فأطحنت ثم قلت اخبزي فأخبزت فلما رأيت أنني لا أريد شيئاً إلا كان سقط في يدي وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئاً ولا أفعله أبداً ورواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان به مطولاً كما تقدم وزاد بعد قولها ولا أفعله أبداً فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حادثة وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يومئذ متوافرون فما دروا ما يقولون لها وكلهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلمه إلا أنه قد قال لها ابن عباس أو بعض من كان عنده لو كان

أبواك حيين أو أحدهما قال هشام فلو جاءتنا أفتيناها بالضمآن. [ابن كثير ج ١ ص ١٤٢]. وروى ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ابن أخي وهب حدثني عمي حدثنا سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن أبي الغيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات). أخرجاه في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال به. [ابن كثير ج ١ ص ٢٧٧].

{وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} لا يضر السحرة الناس بالسحر إلا بإذن من الله تعالى ذلك أن الله تعالى جعل إذنه في السحر مسبقاً وذلك بأن جعل فيه خاصية تؤثر في من عمل له وهذا قانون سماوي لكل الأشياء كالسم يؤثر في من شربه فجعل الله تعالى إذنه في السم أن من شربه يموت وكذلك جعل الله تعالى إذنه في السحر فمن عمل له فإنه يؤثر فيه والتأثير بالسحر هو من إذن الله تعالى ومن قوانينه التي وضعها في الأرض أن السحر يؤثر فيمن عمل له والسم يؤثر فيمن شربه والطلقة من السلاح تؤثر فيمن أطلقت عليه وتقتله والحسد يؤثر في المحسود فكل ذلك إذن الله فيها بأن تؤثر بخاصيتها كالأحماض تؤثر في الفلزات وكذلك الكهرباء تؤثر فيمن لمسها أو أصابته فيصدم بها أو يموت. فإذن الله هو من الأزل جعله في خاصية هذه الأشياء بأن تؤثر في كل من أصابته حتى الرسول عليه الصلاة والسلام سحره لبيد بن الأعصم اليهودي ومكث ستة أشهر لا يستطيع أن يأتي نساءه أي ربط وعقد عنهم حتى أخبره به جبريل عليه السلام وميكائيل عليهما السلام جلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله فقال أحدهما للآخر ما باله؟ قال مطبوب قال ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم وعن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما كان

غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدبت إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم (وهو ما يسقط من الشعر عند المشط) وعدة أسنان من أسنان مشطه فأعطاهم اليهود فسحروه بها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد ابن أعصم ثم دسوها في بئر لبني زريق يقال له ذروان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير بن العوام وعمار بن ياسر فنزحوا ماء البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة فوجدوه تحتها فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه وإذا معقود فيه معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالإبرة فقرأ صلى الله عليه وسلم المعوذتين فقام كأنما نشط من عقال.

ومعنى سحر أي شيء خفي يؤثر في النفس بالأمراض دون أن يعلم الأطباء ما مرضه حيث لا يرى إلا تأثيره كالحسد أو كالمغناطيس لا يرى إلا تأثيره فقط والجدير بالذكر أنه بهذه الآية يتأكد ما يعرفه العامة من أن السحر له تأثير سلبي على ابن آدم بالأمراض أو عقد الرجل وربطه عن زوجته وخاصة العريس ليلة زفافه والطلاق والبغضة بين الزوجين أو خلافه وهذا لا شك فيه ولا يجوز العمل به إلا مع من كان فاسقاً أو بيت يدور فيه الزنا والفاحشة أو أشخاص مجتمعين على معصية أما ما يعمل لإبطال السحر وإبطال مفعوله فلا بأس به وهو حلال كإخراج الشوكة إذا أصابت الجسم أو كاللغم الأرضي المزروع في أرض المسلمين فلا بد من إخراجهم وإبطاله لأن هذا من باب التداوي والأخذ بالأسباب وعدم التواكل فقد أمر الرسول عليه الصلاة والسلام كما جاء في مسند الإمام أحمد من حديث ابن مسعود يرفعه: (إن الله عز وجل لم يُنزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله). [زاد الميعاد ج ٣ ص ٦٦]. وفي المسند والسنن عن ابن حزيمة قال قلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقئها ودواء نتداوى به وثقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً؟ فقال: (هي من قدر الله). [زاد الميعاد ج ٣ ص ٦٦].

ويجدد بنا أن نذكر فائدة هنا للوقاية من السحر قال كعب الأحبار: (لولا هذه الكلمات لجعلتني اليهود حماراً (يعني من سحرهم) وهي: أعوذ بوجه الله الكريم الذي ليس شيء أعظم منه وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وبأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم من شر ما خلق وبراً وذراً) [نزهة المجالس ج ٢ ص ٣٨]. وحكى القرطبي عن وهب: أنه قال يؤخذ سبع ورقات من سدر فتدق بين حجرين ثم تضرب بالماء ويقرأ عليها آية الكرسي ويشرب منها المسحور ثلاث حسوات ثم يغتسل بباقيه فإنه يذهب ما به وهو جيد للرجل الذي يؤخذ عن امرأته. [ابن كثير ج ١ ص ١٤٨]. {وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ} من السحر من أعمال الشر والأذى للناس وليس إبطاله أي ما يضر من الشر والأذى والأمراض والأعمال السيئة فيضرون أنفسهم في الدنيا أو أهلهم أو أقاربهم أو المسلمين ويضرهم يوم القيامة بالعذاب في جهنم وليس في السحر الذي يعمل للشر إلا الفرقة والطلاق والعقد والربط والأمراض فما فائدتها للإنسان؟! لا شيء إلا ضرراً فقط وفي الإسلام لا ضرر ولا ضرار وهي قاعدة فقهية {وَلَا يَنْفَعُهُمْ} ليس فيه منفعة فإذا أضرت غيرك ما هو النفع من إضرار غيرك؟ طبعاً لا منفعة {وَلَقَدْ عَلِمُوا} يوم القيامة علم الناس بخطئهم {لَمَنْ اشْتَرَاهُ} لمن تعلم السحر واشتراه بماله حتى يتعلمه {مَا لَهُ} في الآخرة} أي ليس له في الآخرة يوم القيامة {مِنْ خَلْقٍ} من نصيب من الأعمال الطيبة وليس له حسنات {وَلَبِئْسَ} ولساء وقبح {مَا شَرَوْا بِهِمْ أَنْفُسَهُمْ} ما اشتروا لأنفسهم من السحر الحرام الذي يعمل للشر والأمراض والأذى للمسلمين فهو شر عليهم يوم القيامة {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} لو يعلمون عاقبته فهو عذابهم في جهنم يوم القيامة ذلك لمعصيتهم بعمل السحر الحرام {وَلَوْ أَنَّهُمْ

ءَامَنُوا وَاتَّقُوا} لو آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر واتقوا وحفظوا أنفسهم من أعمال الشر والضرر للمسلمين {لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ} لأخذوا ثواباً عند الله يوم القيامة {خَيْرٌ} أفضل وهو دخول الجنة {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} لو يعلمون أن المؤمنين يدخلون الجنة يوم القيامة في نعيم دائم ومقيم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ١٤ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ تَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم وصدقتم بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَقُولُوا} لا تفعلوا مثل اليهود ولا تقولوا {رَاعِنَا} أي انظرنا فإن اليهود يريدون بها التورية لتحقير النبي صلى الله عليه وسلم وراعنا مأخوذة من الرجل الذي يرعى الغنم أو الإبل وراعنا أي هي كلمة عند أهل الأوس والخزرج معروفة راعنا الذي يرعى الإبل والمواشي وهو الخادم والراعي عند العرب معناه الخادم والأجير الذي يرعى الغنم فحثهم الله تعالى على تغيير هذه الكلمة {وَقُولُوا انظُرْنَا} أي انظر إلينا {وَاسْمَعُوا} واسمعوا وأطيعوا الله ورسوله {وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} وللكفار الذين يريدون تحقير النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينتهوا عن ذلك لهم يوم القيامة عذاب أليم موجه قاس وشديد {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} لا يريد الكفار من اليهود والنصارى {وَالْمُشْرِكِينَ} وكذلك ولا المشركين بالله تعالى والذين أشركوا بالله وجعلوا له أنداداً لا

يريدون {أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ} أي لا يريدون الخير أي القرآن والإسلام أن ينزل عليكم {مِنْ رَبِّكُمْ} من عند الله تعالى ربكم وخالفكم ورازقكم حقداً وحسداً {وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ} الله تعالى هو حر في تخصيص رحمته وإعطائها لمن يشاء ولمن يريد فهو المختص والمخول في العطاء ولا أحد يستطيع منع رحمة ربك وهي الرسالة والقرآن الكريم {وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} والله تعالى صاحب الخير العميم وهو القرآن الكريم الذي أنزله على رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧﴾ ﴾

{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ} النسخ هو إبطال الحكم بها {أَوْ نُنسِهَا} نجعل أمة الإسلام تنساها أي تنسى حكمها فلا تأخذ به {نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا} السبب في النسخ هو التخفيف عن الأمة الإسلامية دائماً وخير منها أي أفضل منها في الحكم للمسلمين بحيث تخفف عليهم ولا ترهقهم في الحكم مثلاً كان في الحرب المؤمن بعشرة من الكفار ثم قال الله تعالى: "الآن خففَ اللهُ عنكم وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا" فصار المؤمن في الحرب باثنين من الأعداء وقبلاً كان بعشرة من الأعداء في ساحة الحرب ثانياً نزلت في آخر سورة البقرة "وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ" فكان يحاسب المرء على ما في نفسه ثم نسخ الله هذا الحكم بحكم أفضل وخير وهو "لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ" ثم نزل أن من يريد أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم يدفع ويقدم بين يديه صدقة ثم نسخت

تخفيفاً على المسلمين حتى لا يتحرجوا في الاستفسار عن دينهم. كذلك يترك الحكم في عداد المنسوخ كما كانت التي تزني يحبسونها في البيوت حتى الموت جعل الله لها فرجاً البكر يجلد مئة جلدة والثيب ترحم حتى تموت والتغى وانتسى حبس البيوت فهذا الحكم وهذا النسخ يأتي بأفضل وأحسن وخير من الحكم السابق الذي يكون فيه تشديد كمثل من أراد أن يسأل النبي يدفع صدقة والمسلمون فقراء فكيف يتعلمون دينهم فنسخها الله تعالى رحمة وفضلاً من الله تعالى على عباده {أَوْ مِثْلَهَا} في الحكم فكان مثلها بدلاً من الزانية أن تحبس في البيت حتى الموت أصبحت ترحم إن كانت متزوجة والبكر يجلد مئة جلدة وحبس عام وهو التغريب {أَلَمْ تَعْلَمْ} ألم تعرف وتدري يا محمد يا رسول الله ويا أيها المؤمن {أَنَّ اللَّهَ} الله تعالى {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} قادر الله تعالى على عمل أي شيء وأمره بين الكاف والنون يقول للشيء كن فيكون {أَلَمْ تَعْلَمْ} ألم تعرف {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} هو مالك وحاكم وله ملكية وحكم السموات السبع وما فيهن والأرض وما فيهن وما بينهن {وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ} وليس لكم غير الله تعالى {مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} من يتولى أمركم ولا ينصركم غير الله تعالى فلا تجدوا غيره لا نصيراً ولا معيناً ولا مساعداً ولا خلافاً.

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۗ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾

{ أَمْ تُرِيدُونَ } فهل تريدون { أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ } أن تسألوا وتطلبوا من رسولكم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ } حيث سئل موسى عليه الصلاة والسلام أن يري اليهود الله جهراً وعلناً وقد طلبوا وهم اليهود من النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم من السماء كتاباً يلمسوه بأيديهم ويقرؤوه ويفجر لهم أنهاراً حتى يتبعوه ويصدقوه فيذكرهم الله تعالى بأنهم سألوا موسى عليه السلام من قبل معجزة أن يريهم الله تعالى جهرة { وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ } ومن يبذل الإيمان بالكفر ويكفر بالله تعالى ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { فَقَدْ ضَلَّ } فقد ضل وغوى وابتعد عن { سَوَاءَ السَّبِيلِ } عن جادة الطريق وعن الطريق المستقيم وابتعد عن الهدى إلى الضلال وابتعد عن الإيمان بالكفر فطريقه قد ضلها أي ابتعد عن الجنة إلى النار.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} تمنى كثير من اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب التوراة والإنجيل {لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا} لو يستطيعوا أن يردوكم عن الإيمان والإسلام بعدما أصبحتم مؤمنين لو استطاعوا أن يردوكم كفاراً من جديد مثلهم {حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ} لأنهم يحسدونكم على الإيمان {مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} أن محمداً رسول الله وأنه الحق {مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} من بعد ما عرفوا الحق والحقيقة بأن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم هو رسول الله حقاً وصفته في كتبهم واليهود عندهم في التوراة والنصارى عندهم في الإنجيل صفته {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا} وسامحوهم {حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} حتى يأتي الله بفرجه ويجعل لكم مخرجاً وهو أن يأذن لكم في قتالهم وقد كان وطردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة وأتمها عمر بن الخطاب ولم يبق في المدينة ولا يهودي ما عدا النساء والذراري الذين لم يبلغوا الحلم {إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} إن الله تعالى قادر على كل أمر يريدُه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} أدوا الصلاة المكتوبة في أوقاتها الخمس أيها المؤمنون {وَأَتُوا الزَّكَاةَ} وزكوا أموالكم وادفعوا زكاتها {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ} وما قدمتم أمامكم ليوم القيامة من الخير من الصدقات والعبادات والنوافل وأعمال البر والخير {تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ} تجدوا ثوابه عند الله تعالى يوم القيامة أمامكم فيدخلكم به

الجنة {إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} والله تعالى مطلع على أعمالكم وأفعالكم وبصير بها ويراها ويعلمها ومطلع عليها.

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٣﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ رَاجِرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾

{وَقَالُوا} اليهود والنصارى قالوا {لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ} لا أحد يدخل الجنة يوم القيامة {إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا} هكذا قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا اليهود وقالت النصارى كذلك لا يدخل الجنة إلا {أَوْ نَصْرَىٰ} لا يدخل الجنة إلا النصارى {تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ} هذا مجرد أمنية وحلم يقظة وتمني {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} هاتوا لي براهينكم بأنكم أنتم لوحدكم ستدخلون الجنة وهذا تكذيب لهم على ادعائهم وإلا هاتوا الدليل والبرهان على صدق كلامكم {بَلَىٰ} ولكن الحقيقة {مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ} من أخلص عبادته لله وحده لا شريك له {وَهُوَ مُحْسِنٌ} وهو مخلص في عبادته {فَلَهُ رَاجِرُهُ} له الثواب {عِنْدَ رَبِّهِ} يوم القيامة يعطيه الله تعالى الثواب وهو الجنة {وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} في الدنيا {وَلَا يَحْزَنُونَ} ولا يغمون يوم القيامة وسيدخلون الجنة.

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۗ فَاَللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِىْمَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ ۗ ﴾

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ } قالت اليهود ليست النصارى على شيء من الحق والصدق أي كتاب الإنجيل وعيسى عليه السلام هما الاثنان كذب { وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ } وكذلك قالت النصارى كتاب التوراة وموسى عليه السلام هما الاثنان كذب { وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ } وهم يتلون في كتابهم أن الكتب هي كتب الله تعالى والرسول هم رسل الله تعالى وموجود في كتاب كل منهم اسم الكتاب السابق و اللاحق والرسول السابق واللاحق ووصف الرسول الذي قبله أو بعده في كتابهم { كَذٰلِكَ قَالَ الَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ } وهكذا قال قليلو العلم والمعرفة مثل قول اليهود والنصارى بأنه لا كتاب ولا رسول لكل منهم مثل كفار قريش أو الأديان الأخرى { فَاَللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِىْمَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ } فالله تعالى هو الحكم العدل يوم القيامة يحكم بين هؤلاء النصارى واليهود والأديان الأخرى وسيحاسب من كذب أو كفر أو عصى منهم أو كذب كتاب ورسول الآخر حيث لكل منهم رسول وكتاب حق وصدق ولكنهم غيروا وبدلوا في كتبهم وحرفوها.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ۝ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ۝ ﴾

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ } هل يوجد أظلم من ذلك الذي { مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ } أي تصلى فيها الصلوات الخمس ويسبح الله تعالى ويذكره في أطراف الليل والنهار { وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا } أي منع الناس من أداء الصلاة أو من إقامة الشعائر الدينية { أُولَٰئِكَ } هؤلاء { مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا } لا يدخلوها { إِلَّا خَائِفِينَ } من الناس أن يعرفوهم قليلي دين ويعرفوهم أنهم لا يصلوا فرائضهم فهم المنافقون الذين يدخلون المساجد وخاصة يوم الجمعة خوفاً على سمعتهم أو وظيفتهم أو منصبهم أو رئاستهم فيدخلون المساجد وهم خائفون من كلام الناس عليهم لا عبادة ولا طاعة { لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ } سيفضح أمرهم ويعرفهم الناس أنهم منافقون { وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ } ولهم يوم القيامة على تركهم الصلاة ومنع المساجد من ذكر الله تعالى وتخريب المساجد بشتى الطرق { عَذَابٌ عَظِيمٌ } لهم عذاب كبير وأليم وموجع وقاس وشديد يوم القيامة عند ربهم { وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ } فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ } لله تعالى المشرق والمغرب وجميع الجهات له وإذا أردت عبادته فاتجه إلى أي جهة لا تعرف فيها القبلة فهو جائز وسبب نزول هذه الآية قال عامر بن ربيعة عن أبيه كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة سوداء مظلمة فنزلنا فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل مسجداً يصلي فيه (أي النافلة وقيام الليل) فلما أصبحنا إذا نحن قد صلينا إلى غير القبلة فقلنا يا رسول

الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة فأنزل الله تعالى " وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ " وهذه الآية نزلت تخفيفاً على المسلمين إذا أخطأوا في تحديد القبلة أو عدم معرفتهم اتجاه القبلة وذلك في السفر أو قدومهم على بلدة جديدة ولا يعرفون القبلة فيها أو للجهاد أو خلافة. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما بين المشرق والمغرب قبلة) وروى ذلك عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وابن عباس وقال ابن عمر إذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة إذا استقبلت القبلة. وهذه الآية رخصة للمسافر على الطائرة أو الباخرة في عرض البحر ولا يعلم إلى أين القبلة فصلاته صحيحة ولو لم يعرف القبلة وكذلك لمن يسافر في الأقمار الصناعية والمكوك الفضائي {إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} الله تعالى أحكامه ميسرة سهلة حيث هو عليم بخلقه ما دام خلصت النية في العبادة فالله يتقبلها وفي الحديث: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) وفي الحديث الآخر: (نية المرء خير من عمله).

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ ﴾

﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾

{وَقَالُوا} اليهود والنصارى والمشركون {اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا} أي الله تعالى له ولد

فاليهود قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى عيسى ابن الله وقال المشركون الملائكة

بنات الله {سُبْحَانَهُ} تنزهه وتقدس وتعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بَلْ

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} فهو له ملك وحكم السموات والأرض ومن فيهن فلماذا يحتاج للولد وهو الخالق والرازق والمحيي والمميت {كُلُّ لَهُ قَبِيضُونَ} كل الناس له عابدون داعون محتاجون فهو الرازق يرزقهم جميعاً وهو الشافي يشفيهم من الأمراض والأسقام وهو الكافي الذي يقي عباده سوء وهو الحفيظ يحفظهم من الشر والأعداء وهو الذي يحييهم وهو الخالق وهو المميت {بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} مبدع خلقه السموات والأرض خلقها في أحسن وأجمل وأحلى صورة وهيئة أبدعها صنعاً وحسناً وجمالاً السموات السبع والأرض ومن فيهن {وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا} وإذا حكم بأمر من الأمور {فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يخلقه ويكونه وينشئه بكلمة كن فيصير ويكون بإذن الله تعالى وقدرته {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} والذين لا علم لهم وهم كفار قريش قالوا {لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ} لو يكلمنا الله يا محمد حتى نصدقك وكأنهم مؤهلين للكلام فموسى عندما أراد مناجاة ربه صام أربعين يوماً حتى كلمه الله تعالى وهو نبي الله ورسوله فما بال هؤلاء الكفار ولم يصلوا لله ولا ركعة واحدة ولم يصوموا يوماً واحداً ورائحة الخمر تفوح من أفواههم وأكل الربا والحرام لا زالت في بطونهم وآثار الزنا في عيونهم فكيف يكلمهم الله وهم يعصونه أولم يكفهم أن أرسل لهم كتاباً ورسولاً {أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ} وطلبوا كذلك معجزة أخرى يصدقوه بها {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ} من قبلهم قالت اليهود لموسى عليه الصلاة والسلام أرنا الله جهرةً وكأن الله تعالى جل جلاله طوع أمرهم حتى يكلمهم وكلهم يطلبون رؤية الله تعالى أو مخاطبته وإلا لن يصدقوا رسولهم {تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ} تشابهت قلوبهم في الطلب وفي الكفر والتكذيب لرسولهم {قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ} قد وضحنا الآيات البينة وبالحجة الواضحة والدليل

القاطع والساطع على أن الله تعالى وحده لا شريك له وأنه لا إله إلا الله محمد رسول الله وهذا القرآن وآياته وبيناته وحججه وبراهينه {لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} يصدقون ويؤمنون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وباليوم الآخر بعثاً ونشوراً وجزاءً وحساباً وعقاباً وعذاباً وثواباً.

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾

{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ} إن الله أرسلك يا محمد يا رسول الله بالحق والصدق لا باطل ولا كذب فرسالتك صحيحة {بَشِيرًا} تبشر المؤمنين بأن لهم الجنة {وَنَذِيرًا} وتنذر الكفار وتحذرهم من نار جهنم وعذابها لمن كفر بالله وأشرك {وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ} وأنت غير مسئول عن يدخل النار وجحيم وعذاب نار جهنم وغير مسئول عن كفرهم وشركهم والمعاصي التي يرتكبونها.

﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ ۗ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۗ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

{وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ} لن ترضى عنك ولن تحبك يا محمد يا رسول الله اليهود ولا النصارى {حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} حتى تتبع دينهم ومذهبهم وعقيدتهم {قُلْ} قل لهم يا رسول الله {إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ} إن دين الله وهو الإسلام هو الهدى وهو الحق والصواب والعدل والطريق المستقيم {وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ} ولئن نفذت رغباتهم وطاوعتهم ووافقتهم على هواهم ورغباتهم {بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} بعد نزول القرآن عليك وهو الذي جاءك من العلم الحقيقي

وعلم اليقين وعلم الله تعالى { مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ } ليس لك غير الله
ناصرًا ولا معينًا ولا مساعدًا ولا مساندًا.

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴾

{ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ } المؤمنون الذين أنزلنا عليهم القرآن الكريم { يَتْلُونَهُ حَقَّ
تِلَاوَتِهِ } أي يعملون بما فيه وكما أخبرت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها
قالت: كان صلى الله عليه وسلم إذا مرَّ على آية توبة إلا استغفر الله تعالى وإذا مرَّ
بآية فيها الجنة سألها وإذا مرَّ بآية فيها العذاب يستعيذ منها. وحق تلاوته هو
إحلال الحلال وتحريم الحرام واتباع أوامره واجتناب نواهيه { أُولَئِكَ } هؤلاء هم
{ يُؤْمِنُونَ بِهِ } الذين يؤمنون بالقرآن ويصدقونه بأفعالهم لا أقوالهم { وَمَنْ يَكْفُرْ
بِهِ } ومن يكفر بالقرآن وأحكامه وأوامره ونواهيه { فَأُولَئِكَ هُمُ } هؤلاء هم
{ الْخٰسِرُونَ } يخسرون أنفسهم بالعذاب في نار جهنم يوم القيامة.

﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾
وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

{يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ} أيها اليهود يا سلالة يعقوب عليه السلام وهو إسرائيل أي عبد الله في لغتهم {أَذْكُرُوا} افكروا وتفكروا وتذكروا {نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} نعم الله كثيرة نجاهم من فرعون وعمله وجعل منهم أكثر الأنبياء وأنزل عليهم المن والسلوى {وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} وفضلكم الله تعالى بكثرة الأنبياء منهم وجعلهم سلالة أنبياء خلاصة الخلاصة من إبراهيم ثم إسحاق ثم ابنه يعقوب ثم يوسف عليهم الصلاة والسلام جميعاً خلاصة رسل وأنبياء بالتواتر وبالتوالي والتعاقب ولم يفصل بينهما أحد {وَأَتَّقُوا} خافوا واخلشوا {يَوْمًا} يوم القيامة الذي يكون فيه كلٌ بمفرده {لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا} لا يسد ولا يحل واحد محل آخر لا وكالة ولا واسطة ولا رشوة ولا ينفع شيء {وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ} أي فداء أي لا يقبل الفداء ولا الفدية {وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ} ولا تنفع الشفاعة إلا عمله وما قدم {وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ} ولا أحد ينصرهم ولا يساعدهم ولا يحميهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة في نار جهنم وجحيمها وعذابها.

﴿ وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۗ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

{وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ} ربُّ إبراهيم أي الله تعالى ابتلى إبراهيم وامتحنه {بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ} بأوامر فأجاب وأطاع وعملهن ونفذهن بحذافيرهن وعمل بهن وهي عشرة في الجسم (خمس في الرأس وخمس في الجسد) أما التي في الرأس هي: قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس ، وأما التي في الجسد: تقليم الأظافر وحلق العانة والختان وشف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء. وكذلك شعائر الحج وهي: الطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والإفاضة. وكذلك فراق قومه وصبره على قذفه في النار من النمرود ملك العراق وصبره على ذبح ابنه إسماعيل. وأمره بالضيافة والصبر على ما فيها من إنفاق ماله وابتلاه ببناء البيت وتطهيره {فَأَتَمَّهُنَّ} أي فعمل بهن ولما أتمهن {قَالَ} قال الله تعالى له {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} يقتدي به الناس وجعله الله تعالى قدوة للناس وإماماً ونبياً ورسولاً يعتنق دين الإسلام فيقتفى أثره ويقتدي به الناس ويتخذوه قدوة حسنة وطيبة {قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي} قال واجعل ذريتي كذلك {قَالَ} الله تعالى رد عليه قائلاً {لَا يَنَالُ عَهْدِي} لا ينال شرف رسالتي وطاعتي وعبادتي ودين الإسلام {الظَّالِمِينَ} أهل الكفر والشرك وهم ظلموا الله بأن جعلوا له شريكاً وله ولداً وظلموا أنفسهم لأنهم سيدخلون جهنم داخرين وصاغرین وحقيرين.

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾

{ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ } جعل الله تعالى البيت الحرام { مَثَابَةً لِّلنَّاسِ } زيارة البيت فيها توبة وثواب { وَأَمْنَا } بيت من دخله فهو آمن على نفسه وماله وعرضه فلا خوف عليه { وَاتَّخِذُوا } خذوا واجعلوا { مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى } وهو الحجر الذي وقف عليه سيدنا إبراهيم لبناء الكعبة صلوا عنده ركعتي سنة الطواف (طواف القدوم) بعد السبعة أشواط حول الكعبة وهو أنسب مكان وأفضله للصلاة ، وكان بجانب الكعبة فرجع وأبعد قليلاً حتى يصلي الناس عنده ، وقد قال عمر ابن الخطاب لو نتخذ مقام إبراهيم مصلى يا رسول الله فنزلت الآية مطابقة لطلب عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه { وَعَهِدْنَا } ووصينا { إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ } طهروه ونظفوه { لِلطَّائِفِينَ } لمن يطوف بالبيت حول الكعبة سواء طواف قدوم أو طواف إفاضة (وطواف القدوم) أول ما يدخل الذي يريد الحج أو العمرة يطوف طواف القدوم أو طواف الإفاضة بعد رمي جمرة العقبة يوم العيد وذبح الهدي وبعدها يحل للحاج كل شيء حتى النساء وقبلها يحل له الإحرام ما عدا النساء { وَالْعَاكِفِينَ } المعتكفين أي تفرغوا للعبادة في البيت { وَالرُّكَّعِ

أَلْسُجُودِ} وللمصلين. وعلى سيدنا إبراهيم وابنه سيدنا إسماعيل تطهير وتنظيف
 البيت الحرام لهؤلاء الذين ذكروا في الآية الكريمة {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ} وإذ دعا
 إبراهيم عليه السلام ربه بقوله {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا} أي اللهم اجعل مكة {بَلَدًا
 ءَامِنًا} بلدًا لمن دخله أو من هو موجود فيه اجعله آمنًا مطمئنًا لا يُرَوَّع ولا يُقتل
 من دخله ولا يُخلع شجره {وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ} ارزق أهل مكة بالفواكه
 والحبوب {مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} ارزق من آمن بالله رباً وبيوم القيامة
 بعثاً ونشوراً وحساباً وجزاءً وعقاباً وعذاباً وثواباً {قَالَ} قال الله تعالى {وَمَنْ كَفَرَ}
 وسأرزق من كفر لأن الرزق في الدنيا للمؤمنين والكفار على السواء {فَأَمْتَعُهُ} ومن
 كفر فسأرزقه وأمتعته وأرفهه وأفرحه {قَلِيلًا} أي في الدنيا فقط {ثُمَّ أَصْطَرَّهُ إِلَى
 عَذَابِ النَّارِ} ثم يوم القيامة أدخله جهنم وعذابها ونارها وويلها {وَبِئْسَ
 الْمَصِيرُ} وساءت وقبحت النهاية والمآل والمرجع حيث نار جهنم في انتظارهم
 {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ} وكان إبراهيم عليه السلام هو
 وابنه إسماعيل عليه السلام يبنون أساس البيت الحرام يقولون {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا^ط
 إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} ربنا تقبل منا هذا البناء وهذا العمل إنك يا الله أنت
 السميع لدعائنا والعليم بأعمالنا أنها خالصة لوجهك الكريم {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا
 مُسْلِمِينَ لَكَ} ربنا يا الله اجعلنا (إبراهيم وإسماعيل) مسلمين لك ومنقادين
 لأوامرك وأحكامك مبتعدين عن النواهي والمحرمات {وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ}
 واجعل ذريتنا (وهم العرب) أمةً مسلمين طائعين منقادين لك {وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا}

علمنا المناسك والسنن والفرائض في الحج {وَتَبَّ عَلَيْنَا} واغفر لنا ذنوبنا وتقبل توبتنا {إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ} فإنك أنت القادر على قبول التوبة وأنت الذي يقبلها من عبادك {الرَّحِيمُ} الرحيم بخلقك.

﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

{رَبَّنَا} ربنا وإلهنا وخالقنا ورازقنا {وَأَبْعَثْ فِيهِمْ} وابعث وأرسل في ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهم أبناء إسماعيل عليه الصلاة والسلام {رَسُولًا مِّنْهُمْ} أرسل رسولاً أن يكون من أولاد إسماعيل عليه الصلاة والسلام ومن العرب {يَتْلُوا} يقرأ {عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ} من القرآن أي يقرأه عليهم آيات بينات {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ} ويعلمهم القرآن {وَالْحِكْمَةَ} السنة النبوية الشريفة {وَيُزَكِّيهِمْ} ويطهرهم من الكفر والشرك {إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ} إنك يا الله أنت العزيز والقوي والمنيع في ملكه وحكمه وسلطانه {الْحَكِيمُ} في شرعه وأحكامه وأوامره ونواهيته وأفعاله وأقواله أي يدير شؤون كونه بحكمته وعلمه وقدرته وتدبيره بالحكمة والرشاد ودون أخطاء {وَمَنْ يَرْغَبُ عَن} ومن يعرض أو يبتعد أو يترك {مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ} دين إبراهيم وهو الإسلام {إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ} إلا من كان سفيهاً نفسه وذاته وحقيقياً ورذيلاً {وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا} لقد اصطفاه واختاره وانتقاه الله تعالى في الدنيا

برسالته وجعله رسولاً {وَإِنَّهُ فِي آخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} وإبراهيم عليه الصلاة والسلام يوم القيامة هو من الصالحين والرسول الأتقياء المخلصين وهم من صلحت أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم في طاعة الله تعالى {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ} إذ قال له ربه وأوحى إليه أن أسلم نفسك لله وحده وسلم له في جميع أمورك {قَالَ أَسْلَمْتُ} قال أخلصت العبادة {لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} لله وحده رب الكون كله ورب جميع العوالم وجميع الخلق رب الأرباب رب البلاد والعباد {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ} ووصى بعبادة الله وحده لا شريك له فإبراهيم عليه الصلاة والسلام وصى أبناءه وأولاده بعبادة الله وحده {وَيَعْقُوبُ} وكذلك يعقوب عليه السلام وصى أولاده {يَسْبِي} يا أبنائي الأعزاء {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَصْطَفَى} لكم الدين {هو الذي اختار لكم الدين الإسلامي} {فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} فلا تموتوا إلا على دين الإسلام وأنتم تدينون بالدين الإسلامي.

﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٤﴾

{أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ} وهل حضرتم وشاهدتم {إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ} عندما حضر الموت إلى يعقوب عليه الصلاة والسلام {إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ} إذ سأل أبناءه {مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي} ما هي عبادتكم من بعدي ومن تعبدون؟؟ {قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ} نعبد الله تعالى إلهك وخالقك ورازقك ومحبيك ومميتك {وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ} عليه

الصلاة والسلام {وَأِسْمَعِيلَ} عمه في منزلة الأب {وَأِسْحَقَ} وهو والد يعقوب عليه الصلاة والسلام وقدم إسماعيل عمه على والده لأنه يكبره سنًا {إِلَيْهَا وَحِدًا} الله هو إله واحد لا شريك له {وَوَخَّنُ لَهُ رَسُولًا} ولله وحده سلمنا أنفسنا وعبادتنا وطاعتنا وجميع أمورنا وانقذنا له في جميع أوامره {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ} هذه أمة قد مرت وسبقت بخيرها وشرها {لَهَا مَا كَسَبَتْ} لها ما كسبت من الطيبات والحسنات {وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ} وأنتم كذلك لكم ما كسبتم من الطاعات والحسنات {وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} وأنتم غير مسئولين عن أعمالهم وتصرفاتهم.

﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَوَحْنُ لَهُ رَسُولًا ﴿١٢٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَوَحْنُ لَهُ عِبِيدُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

{وَقَالُوا} قال اليهود والنصارى {كُونُوا هُودًا} قالت اليهود كونوا يهوداً أي على دين اليهود {أَوْ نَصَارَى} وقالت النصارى كونوا نصارى أي على دين النصارى {تَهْتَدُوا} أي تكونوا على هدى وارشاد وعلى الطريق المستقيم {قُلْ} رد عليهم يا محمد يا رسول الله وقل لهم {بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} بل دين إبراهيم ومذهبه {حَنِيفًا} مستقيماً {وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ولم يكن إبراهيم عليه الصلاة والسلام

إطلاقاً مشركاً ولم يكن مشركاً أبداً لأن اليهود أشركوا بالله وقالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا عيسى ابن الله ولم يقل إبراهيم عليه الصلاة والسلام مثل قولهم {قُولُوا} قولوا أيها المؤمنون {ءَامِنَّا} آمنا وصدقنا {بِاللَّهِ} بالله رباً {وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا} وبالقرآن الذي أنزل إلينا على رسولنا وسيدنا وحبیبنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا} وكذلك آمنا وصدقنا بما أنزل من الكتب والرسالة على سيدنا إبراهيم الخليل {وَأِسْمَاعِيلَ} ابنه أبو العرب {وَأِسْحَاقَ} ابن إبراهيم وابن سارة {وَيَعْقُوبَ} ابن إسحاق {وَالْأَسْبَاطَ} الاثني عشر أبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام {وَمَا أُوتِيَ مُوسَى} والتوراة التي أنزلت على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام {وَعِيسَى} والإنجيل الذي أنزل على سيدنا عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام {وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ} وما أوتي الأنبياء والرسل السابقون {مِنْ رَبِّهِمْ} رسالات ربهم {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ} لا نفرق بين الأنبياء والرسل كلهم رسل الله وكلهم رسلنا وأحبابنا ونعترف بهم وليس ننكر أحداً منهم كاليهود والنصارى اللذان أنكرا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ظلماً وعدواناً {وَوَحْنُ لَهُمْ مُّسْلِمُونَ} ونحن معشر المؤمنين أسلمنا وانقذنا إلى أمر الله تعالى في أوامره ونواهيه {فَإِنِّ ءَامِنُونَ بِمِثْلِ مَا ءَامَنَّا بِهِ} فإن آمنوا مثلكم بالأنبياء والرسل جميعهم {فَقَدْ أَهْتَدَوْا} فقد اهتدوا ودلوا على الطريق المستقيم {وَإِن تَوَلَّوْا} وإن أعرضوا وأبوا ورفضوا الإيمان بجميع الرسل {فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ} فاعلم أنهم في اختلاف كبير {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ} فسيمنعك الله تعالى منهم ويحفظك ويحميك منهم ويكف عنك شرهم وبأسهم ومكرهم وغدرهم وسيكفيك الله

تعالى شرهم {وَهُوَ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو {السَّمِيعُ} يسمع لك ويعرف أخبارك ويسمع لهم ويعلم كيدهم ومكرهم وغدرهم وكفرهم ومعصيتهم وعنادهم {الْعَلِيمُ} بخلقه والعليم بجميع الأمور والأحداث والنتائج {صَبَّغَةَ اللَّهُ} عمل الله وقانونه وسنة الله وشريعة الله وخلق الله {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ} ومن أحسن ومن أفضل ومن أجود من الله تعالى {صَبَّغَةَ} سنة وشريعة وخلق الله وعملاً {وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ} ونحن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين.

﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ (١١٦) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله لليهود والنصارى {أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ} أتجادلوننا وتقيمون الحجة والدليل والبرهان في الله تعالى {وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ} فهو ربنا وربكم وإلهنا وإلهكم وخالقنا وخالقكم ورازقنا ورازقكم ومحيينا ومحييكم ومميتنا ومميتكم {وَلَنَا أَعْمَلُنَا} ونحن المؤمنون لنا أعمالنا من الطاعة والعبادة والصوم والصلاة والزكاة والحج خالصة لوجه الله تعالى {وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ} الكفر والشرك والمعاصي والذنوب والآثام والكبر والعناد وهذا هو عملكم فهو لكم وحدكم {وَنَحْنُ} معشر المؤمنين {لَهُ} لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه

{مُخْلِصُونَ} مخلصون العبادة والطاعة لله تعالى وحده لا شريك له {أَمْ} هل {تَقُولُونَ} أيها اليهود والنصارى {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ} إن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام {وَأِسْمَاعِيلَ} وابنه إسماعيل ابن هاجر عليهما الصلاة والسلام {وَأِسْحَاقَ} ابن إبراهيم عليهما السلام وابن سارة {وَيَعْقُوبَ} ويعقوب ابن إسحاق عليهما الصلاة والسلام {وَالْأَسْبَاطَ} أبناء يعقوب عليهم جميعاً الصلاة والسلام {كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى} كانوا يهوداً أو نصارى أي مسيحيون فهم جميعاً وُلدوا قبل أن تولد اليهودية أو النصرانية {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} هل أنتم أعلم من الله تعالى الذي خلقهم وأنشأهم وصورهم وأوجدهم {وَمَنْ أَظْلَمُ} لا أحد أظلم لنفسه عند الله تعالى يوم القيامة عند الحساب والعقاب والجزاء والثواب {مِمَّنْ كَفَرَ} ممن أخفى {شَهَادَةَ عِنْدَهُ} شهادة يعلمها وهي عنده في كتابه التوراة عند اليهود والإنجيل عند النصارى وهي شهادة أن سيدنا محمداً رسول الله {مِنْ رَبِّ اللَّهِ} ماذا ينتظر من الله تعالى إلا العقاب والعذاب يوم القيامة {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ} بلاه ولا ساهٍ {عَمَّا تَعْمَلُونَ} عما تعملون من الكفر والشرك والمعاصي والذنوب وتكذيب الرسل ومعاداتهم والاستكبار عليهم وعنادهم وعدم تصديقهم ويوم القيامة يحاسبكم على ذلك {تِلْكَ أُمَّةٌ} هذه (إبراهيم وأبناؤه إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط) {قَدْ خَلَتْ} أي قد مرت وسبقت وانتهت وماتت {لَهَا مَا كَسَبَتْ} لها ما كسبت من عمل وستحاسب على عملها خيراً كان أو شراً {وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ} وأنتم لكم ما كسبتم من أعمال في الدنيا إن كانت خيراً دخلتم الجنة وإن كانت كفراً وشراً دخلتم النار {وَلَا

تُسْأَلُونَ} وغير مسؤولين ولا يطلب منكم القصاص على {عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فأنتم غير مسؤولين عن أعمالهم في الدنيا وغير مسؤولين عن تصرفاتهم ولا عن أعمالهم ولا عن أفعالهم.

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتَهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾

{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ} سيقول سفهاء العقول والأراذل والحقراء والمعارضون والمجادلون وأهل الشرك والكفر واليهود والنصارى {مِنَ النَّاسِ} من هؤلاء الناس ومن هؤلاء القوم {مَا وَلَّيْتَهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا} ما غيرهم عن قبلة القدس حيث كانوا يصلون إلى اتجاه بيت المقدس وجميع الأنبياء السابقين ما غيرهم وما بدلهم ولماذا غيروها الآن إلى الكعبة المشرفة {قُل} قل لهم يا محمد يا رسول الله {لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ} لله تعالى المشرق والمغرب وجميع الجهات وهو الأمر فأمره نافذ وبدون جدال وسؤال فلا داعي أن يكونوا مثل إبليس عندما أمر بالسجود لآدم عليه السلام رفض فأنتم عليكم بالطاعة والامتثال وتقولوا سمعنا وأطعنا فقط {يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} فالله تعالى يهدي إلى دينه من يشاء وهم المؤمنون المصدقون بحكمة الله تعالى وينفذون أمره وحكمه وشريعته كما أمر {إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} إلى طريق الحق والصواب والعدل فهو طريق الله المستقيم الذي لا انحراف فيه وهو الاستقامة

والطاعة والعبادة {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ} وهكذا جعل الله تعالى الأمة الإسلامية {أُمَّةً وَسَطًا} أي حكماً بين الحق والباطل وعن الحق تقولوا هذا حق وعن الباطل تقولوا هذا باطل أي أمة صدق وحق وعدل وصاب {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} أي لتشهدوا بالحق والعدل والصدق والصاب على الأمم السابقة يوم القيامة بأن رسلهم قد بلغتهم رسالات ربهم. قال الإمام أحمد: (حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيُدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا؟ فيقولون لا. فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول نعم. فيقال من يشهد لك؟ فيقول محمد وأمه فيُدعى محمد وأمه فيقال لهم هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون نعم فيقال وما علمكم؟ فيقولون جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا. فذلك قوله عز وجل " وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ". [ابن كثير ج ١ ص ١٩٠]. {وَيَكُونَنَّ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} ويشهد عليكم رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأنه بلغكم رسالة ربه {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا} أي ما جعل الله تعالى القبلة التي أصبحت عليها {إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ} حتى نعلم من يتبع الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ} ومن يرد ويمتنع عن الصلاة للكعبة {وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً} وإن كانت لثقيلة وشاقة وصعبة {إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} إلا من هداهم الله فعليه سهولة وعادية ولا شيء فيها {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} ولا يريد الله أن يضيع إيمانكم ولا يذهب به ولكن ليمتحن قلوبكم {إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ} إن الله تعالى رؤوف

بعباده لا يريد لهم العذاب ولا المشقة ورحيم بهم يرحم من آمن منهم وصدق ويدخله الجنة.

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٥﴾ وَلِئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلِئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾

{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ } يرى الله تعالى تقلب وجهك يا محمد يا رسول الله وأنت تجول بنظرك إلى السماء داعياً الله تعالى أن يحول قبلة بيت المقدس إلى الكعبة { فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا } قد استجاب الله تعالى لدعاؤك ورغبتك وحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بالمسجد الحرام في مكة بعد أن صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً يصلي إلى جهة بيت المقدس في فلسطين حتى أمره الله تعالى بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بمكة { فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } أي أصبحت القبلة للكعبة بالمسجد الحرام بمكة وكان ذلك في صلاة الظهر بعد أن صلوا ركعتين وكان ذلك في مسجد بني سلمة فسمي مسجد القبليتين وتحول الرجال مكان النساء وتحول النساء مكان الرجال ولم يصل الخبر إلى أهل قباء إلا في صلاة الفجر من اليوم الثاني كما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد أنزل عليه قرآن الليلة وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة) [ابن كثير ج ١ ص ١٩٠]. {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} وهذه الآية عامة لجميع المسلمين في أنحاء الأرض المختلفة عليهم أن يتجهوا إلى جهة المسجد الحرام بمكة وعلى رواد الفضاء أن يتوجهوا حيث وجهتهم لأن لله المشرق والمغرب ومرفوع عنهم ذلك التكليف {وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} اليهود والنصارى {لَيَعْلَمُونَ} ليعرفون {أَنَّهُ الْحَقُّ} أن هذه حق من الله تعالى {مِنْ رَبِّهِمْ} من الله تعالى خالقهم وربهم ورب العالمين {وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ} وليس الله تعالى بغافل ولا لاهٍ ولا ساهٍ {عَمَّا يَعْمَلُونَ} عما يعمل ويفعل الكفار واليهود والنصارى من تضليل الناس واللعب بعقولهم على العصيان وعدم الطاعة على تحويل القبلة للكعبة {وَلَيْنَ آتَيْتَ} ولئن جئت {الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} اليهود والنصارى {بِكُلِّ آيَةٍ} بكل آية من القرآن وبكل معجزة من المعجزات وبكل حجة وبينة من البينات {مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} أي لم يقبلوا ولن يوافقوا عليها ولن يتجهوا لها أبداً أي الكعبة {وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ} وكذلك أنت يا محمد يا رسول الله لن تتبع قبلتهم بعد أن أمرك الله تعالى بتحويل القبلة إلى الكعبة {وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ} وهم كذلك مختلفون لا أحد منهم يتبع قبلة الآخر ولا يوافقه عليها ولا يأخذ بها {وَلَيْنَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ} ولئن حققت رغباتهم واتبعتهم وأطعتهم فيما يطلبون منك أن تبقى على القبلة إلى بيت المقدس بفلسطين ولن تتحول إلى الكعبة {مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} من بعد أن نزل عليك القرآن بتحويل القبلة إلى الكعبة إن أطعتهم على ما يريدون {إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ

الظَّالِمِينَ } تكون عندها من المشركين وممن ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي وتكون ظلمت نفسك بدخولك جهنم وعذابها معهم.

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ١٤٦ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾

{ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ } علماء وأحبار اليهود وهم بنو إسرائيل { يَعْرِفُونَهُ } يعرفون التوراة { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } يعرفونها تماماً وتمام المعرفة { وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ } وأن بعضهم { لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ } وهي رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنها حق وصدق وهم يعرفون ذلك وموجودة صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة ولكنهم يكتُمونها ويخفونها { وَهُمْ يَعْلَمُونَ } وهم اليهود يعلمون أنه رسول الله حقاً ولكنه لأنه من العرب يرفضون رسالته { الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ } القرآن والرسالة من ربك يا محمد ومن الله تعالى { فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } فلا تشك في رسالتك مع المكذبين { وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ } ولكل هدف { هُوَ مُوَلِّيهَا } هو متجه إليها أي كل يعمل على شاكلته وكل واحد له طريق يسلكه (وكما يقال الكل في قطينه يقطن) أو المثل الآخر (كل يغني على ليلاه) أي كل له عمل الكفار وأهل الشرك عملهم ارتكاب الفواحش والمحرمات والكفر والشرك وارتكاب المعاصي ، وأهل الإيمان أعمالهم الصلاة والزكاة والصوم والحج والصدقات والعبادات والطاعة لله وحده { فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ } سارعوا إلى عمل الخير قبل فوات الأوان { أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا } يوم القيامة أين ما تكونوا في البحر أو البر أو في

أفواه السباع يحضركم الله تعالى بين يديه للحساب والجزاء والعقاب والثواب {إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الله تعالى قادر على كل شيء إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ١٤٩ ﴾
 وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ
 إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
 تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

{وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ} ويا محمد يا رسول الله حينما خرجت في سفر {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} فاتجه إلى جهة المسجد الحرام وهو القبلة التي أمرك الله بها والاتجاه إليها {وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} هذا التحويل من بيت المقدس في الصلاة إلى الكعبة في مكة هو الحق والصدق والعدل من ربك وخالقك يا محمد يا رسول الله {وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} وليس الله تعالى بغافل ولا لاه عن أعمالكم وما تعملون وما تفعلون وهل تتجهون للقبلة جهة الكعبة أم لا {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ} وفي أي اتجاه كنت في سفر أو حضر {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} فاتجه إلى جهة الكعبة بالمسجد الحرام بمكة {وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ} وأينما كنتم أيها المسلمون في بقاع الأرض {فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} فاتجهوا إلى جهة المسجد الحرام {لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ} حتى لا يكون للناس عليكم حجة بأنكم لم تلتزموا بالقبلة الجديدة وهي الكعبة {إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} إلا

الكفار وأهل الشرك ومن ظلم نفسه بالمعصية وعدم الطاعة والكفر {فَلَا تَخْشَوْهُمْ} فهؤلاء لا تخافوهم {وَأَخْشَوْنِي} وخافوا الله وحده {وَلَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ} وحتى يتم الله ويكمل عليكم نعمة الإسلام والإيمان {وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} ولعلكم تهتدون للطريق المستقيم وللإيمان والإسلام وتهتدون إلى طريق الجنة.

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾

{كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ} وكما أرسلنا لكم أيها المؤمنون والمسلمون إليكم {رَسُولًا مِّنكُمْ} رسولاً منكم عربياً وليس من الملائكة أو من اليهود أو من النصارى بل منكم عربياً {يَتْلُوا عَلَيْكُمْ} يقرأ لكم {آيَاتِنَا} آيات القرآن الكريم بلسان عربي {وَيُزَكِّيكُمْ} ويطهركم من الكفر والشرك {وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ} ويعلمكم القرآن {وَالْحِكْمَةَ} السنة الشريفة وهي السنة النبوية {وَيُعَلِّمُكُم} ويعلمكم من علوم القرآن والسنة {مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} ما لم تعلموا من أمور دينكم أو دنياكم أو آخرتكم من قبل ذلك {فَادْكُرُونِي} رددوا اسمي بالقلب واللسان واذكروني بالطاعة {أَذْكُرْكُمْ} أذكركم بالرحمة والمغفرة والجنة والحياة الطيبة {وَأَشْكُرُوا لِي} واشكروا لي هذه النعم أزدكم من النعم الأخرى {وَلَا تَكْفُرُونِ} ولا تجحدون نعمتي عليكم نعمة الإسلام والإيمان والصحة والهدى والتقوى ولا تكفروا بي ولا برسلي ولا بكتبي ولا باليوم الآخر مثل اليهود والنصارى والكفار وأهل الشرك أدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم القيامة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴿١٥٥﴾ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٧﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {اسْتَعِينُوا} أعينوا وساعدوا أنفسكم في المصائب والنوازل والكوارث {بِالصَّبْرِ} بالصبر والجلد والتحمل. وفي الحديث: (الصبر نصف الإيمان). وفي الصحيحين: (والذي نفسي بيده لا يقضي الله لمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له وليس ذلك لأحد غير المؤمن). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٨]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من صبر على أداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة ومن صبر عن محارم الله فله ستمائة درجة ومن صبر على المصيبة فله تسعمائة درجة). [نزهة المجالس ج ٢ ص ٥٤]. {وَالصَّلَاةِ} فالصلاة صلة بين العبد وربه وهي تدل على أن من قام بها صابر حقاً وتربطه بربه وأنه قَبِلَ حكم الله وقدره حتى قام صلى وطلب العون من الله على تحمل مصيبته {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} الله يساعدهم على تحملها ويثيبهم يوم القيامة بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم: (ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله من خطاياها). [رواه البخاري - نزهة المجالس ج ٢ ص ٥٢]. والنصب هو التعب والوصب هو المرض. {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أَمْوَاتٍ} ولا تقولوا لمن يقتل من المؤمنين وهو يحارب ويجاهد في سبيل الله هو ميت {بَلْ أَحْيَاءُ} بل هم أحياء عند ربهم يرزقون {وَلَيْكِن لَّا تَشْعُرُونَ} ولكن لا تشعرون أيها المؤمنون بحياتهم البرزخية ، وفي صحيح مسلم: (إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش فاطلع عليهم ربك اطلعه فقال: ماذا تبغون؟ قالوا: يا ربنا وأي شيء نبغي وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ ثم عاد عليهم بمثل هذا ، فلما رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا قالوا: نريد أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل في سبيلك حتى نُقتل فيك مرة أخرى لما يرون من ثواب الشهادة فيقول الرب جل جلاله: إني كتبت أنهم إليها لا يرجعون). [ابن كثير ج ١ ص ١٩٧]. وروى الإمام أحمد عن الإمام الشافعي عن الإمام مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نسمة المؤمن تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه). [ابن كثير ج ١ ص ١٩٧].

{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ} لَنَبْتَلِيَنَّكُمْ وَلَنُصِيبَنَّكُمْ وَلَنَمْتَحِنَنَّكُمْ أيها الناس {بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ} بقليل من الخوف والرعب سواءً من أعدائكم أو على ممتلكاتكم من الضياع والهلاك أو على تجارتكم أو الخوف على ذريعتكم من الفساد والانحراف {وَالْجُوعِ} وهو الفقر والقحط والجذب لمزروعاتكم وثماركم وغللاتكم وقلة طعامكم {وَوَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ} بالفقر والحاجة وترك الوظيفة أو خسارة التجارة أو قلة الأموال لأي سبب آخر {وَالْأَنْفُسِ} والموت للأهل والأولاد والزوجات أو الأزواج {وَالثَّمَرَاتِ} في القحط والجذب والمحل للمزروعات والثمار إما لقلة الأمطار أو لوجود عواصف ورياح شديدة تسقط ثمر الأشجار أو بالذودة تأكل المحصول أو الجراد {وَوَدَّشِرٍ}

وبشّر يا محمد بشارة سرور وفرح {الصَّابِرِينَ} لمن صبر على تلك المصائب في الدنيا بأن الله تعالى سيعوضهم ويخلفهم خيراً منها في الدنيا أو في الآخرة بالجنة {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ} حَلَّتْ بِهِمْ {مُصِيبَةٌ} مصيبة الموت للأهل أو الولد أو خسارة التجارة والأموال أو هزيمة في الحرب {قَالُوا} قالوا صابرين ومحتسبين {إِنَّا لِلَّهِ} نحن ملك لله تعالى وعبيده {وَإِنَّا إِلَيْهِ} وإنا إلى الله تعالى {رَاجِعُونَ} راجعون إليه بالموت وترك الدنيا وملذاتها وشهواتها وما فيها من زينة ومتاع {أُولَئِكَ} هؤلاء الصابرون والمحتسبون والمتوكلون على الله تعالى ويؤمنون بأن القضاء والقدر خير من شره وحلوه ومره من الله تعالى وهو امتحان لهم على صبرهم أو جزعهم فمن جزع فليس له من الأمر شيء وسيعذب على ذلك ومن صبر واحتسب فأولئك {عَلَيْهِمْ} صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ} عليهم مغفرة من الله تعالى لذنوبهم وسكينة {وَرَحْمَةٌ} ويرحمهم الله تعالى في الدنيا بالصبر والسلوان ويخلفهم خيراً من مصيبتهم وفي الآخرة بدخولهم الجنة وإبعادهم عن النار {وَأُولَئِكَ} وهؤلاء الصابرون {هُمُ} الْمُتَّهَدُونَ} هم المهتدون لطاعة الله تعالى وعدم معصيته. قال صلى الله عليه وسلم: (ما يصيب المؤمن من نصب [تعب] ولا وصب [مرض] ولا هم ولا حزن ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله من خطاياها). [رواه البخاري - نزهة المجالس ج ١ ص ٥٥]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من صبر على أداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة ومن صبر عن محارم الله فله ستمائة درجة ومن صبر على المصيبة فله تسعمائة درجة). [نزهة المجالس ج ١ ص ٥٤].

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ^ط فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿١٥٨﴾

{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} الصفا والمروة أن يطوف سبعة أشواط ويرمل ما بين الميادين ذهاباً يعتبر شوطاً ورجوعاً شوطاً آخر فهي الصفا والمروة من شعائر الله ومن فرائضه وسنته وشريعته والبدء بالصفا في العمرة كما فعل صلى الله عليه وسلم وقال: (ابدءوا بما بدأ الله به) {فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ} فمن أتى حاجاً أو معتمراً يجب عليه السعي ما بين الصفا والمروة {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} أي عليه أن يطوف ويسعى بينهما {وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا} ومن تطوَّف وسعى نافلة فهو يثاب عليها {فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ} فالله تعالى يشكر له سعيه ويجزيه بالجنة وهو {عَلِيمٌ} ويعرف من يعمل الطاعات والنوافل والسنن فسيكافئه على ذلك يوم القيامة وصفة العمرة هي بعد أن يطوف بالكعبة سبعة أشواط يبدأ من الحجر الأسود وينتهي به ويرمل (أي يهرول هرولة بين الجري والمشي مع هز الأكتاف) أول ثلاثة أشواط ويمشي أربعاً ثم يأتي مقام إبراهيم ويصلي ركعتي الطواف ويكمل العمرة بالخروج إلى الصفا كما فعل صلى الله عليه وسلم فلما دنا من الصفا قرأ: " إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ " ابدأوا بما بدأ الله به فرقى الصفا حتى إذا رأى البيت فاستقبل القبلة فوحدته وكبره وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم نزل من الصفا إلى المروة حتى انصبت قدماه في بطن الوادي فرمل (أسرع وهرول) في بطن الوادي حتى إذا صعد مشى إلى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا حتى يتم سبعة أشواط ثم يحلق أو يقصر وبذلك تكون انتهت

عمرته إذا كان بالحج متمتعاً أو مفرداً أو كانت عمرة تطوعاً أما إذا كان قارناً كما فعل صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع لم يحلق ولم يقصر وبقي على إحرامه حتى يكمل شعائر الحج.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾

{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا } الذين يكتُمون ما أنزل الله تعالى في كتابه { مِنْ الْبَيِّنَاتِ } من التوضيحات كصفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في كتاب التوراة والإنجيل فأخفته اليهود والنصارى وكتموه عن الناس خوفاً من أن يتبع الناس سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا به ويصدقوه { وَأَهْدَىٰ } هو اتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم والهداية بما أنزل الله تعالى عليه { مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ } من بعد ما بينه الله تعالى وذكر في كتاب التوراة والإنجيل صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كاملة وواضحة وبيّنة { أُولَٰئِكَ } هؤلاء { يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ } يعذبهم الله تعالى { وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ } ويسبهم الناس ، وقال صلى الله عليه وسلم: (من سئل عن علم فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار). [ابن كثير ج ١ ص ٢٠٠]. { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا } إلا من تاب وأصلح عمله وطاعته لله تعالى { وَبَيَّنَّاهُ } ووضحوا ما في الكتاب من صفة سيدنا محمد فمن قال وعمل ذلك { فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ } فهوؤلاء أقبل توبتهم أي الله تعالى يقبل توبتهم

{وَأَنَا التَّوَّابُ} والله تعالى هو التواب وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات {الرَّحِيمُ} الرحيم بخلقه يرحمهم يوم القيامة لتوبتهم ويدخلهم الجنة {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار وهم من جحدوا وأنكروا ولم يصدقوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ} ماتوا على الكفر والشرك والمعاصي والعناد {أُولَئِكَ} هؤلاء {عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ} عذاب الله تعالى واقع بهم يوم القيامة {وَالْمَلَكِئَةِ} تدعو عليهم {وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} يلعنوهم أي يسبوهم ويشتموهم. أي اللعنة من الله تعالى تكون بالعذاب ومن الملائكة بالدعاء عليهم ومن الناس هي سباب وشتم {خَالِدِينَ فِيهَا} أي دائمين في جهنم وفي عذابها {لَا تُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ} لا يخفف ولا يقلل عليهم العذاب في جهنم يوم القيامة {وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ} ولا يؤخر عنهم العذاب ولا لحظة واحدة.

﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ١١٣ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ
وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ ﴿١١٤﴾

﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ يخبر الله تعالى بأن الله تعالى خالق الكون والبشر هو إله
ومعبود واحد لا شريك له فهو واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوواً أحد ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ولا إله غيره ولا معبود سواه وهو الله تعالى جل جلاله
وعظم قدره وعلا شأنه ﴿الرَّحْمَنُ﴾ في الدنيا يرحم جميع خلقه ﴿الرَّحِيمُ﴾ رحيم
يوم القيامة على المؤمنين ويدخلهم الجنة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ إن في خلق السموات السبع والأرضين السبع وفي اختلاف
وتتابع وتشابك وتلاحم الليل والنهار ودورانها متعاقبين ومستمرين ﴿وَالْفُلْكِ﴾
والسفن ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ تسبح وتعم وتطفو على ظهره ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾
وسفرهم في البحر هو لمنفعة الناس في التجارة والسفر والرحلات والصيد ﴿وَمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾ وما ينزل الله تعالى من ماء المطر من الغيم والسحاب
الموجود في السماء ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يخصب الأرض بعد جذبها
ومحلها ويجعلها مخضرة تدب فيها الحياة ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ خلق الله
في الأرض من جميع الدواب ومخلوقات لا يعلمهم إلا الله تعالى ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾
وتصريفه للرياح وتسخير الرياح ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

وتسخير الغيوم والسحاب بالمطر وهو معلق الماء بين السماء والأرض ثم ينزل بأمر الله تعالى وقدرته على الأرض ليرويها {لَأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} هذه كلها آيات ومعجزات ظاهرات وواضحات لقوم يعقلون ذلك ويفهمون أن الله تعالى هو الخالق والواجد لهذه الكائنات والمخلوقات كلها.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١١٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١١٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبَرَأَ مِنْهُمُ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١١٧﴾ ﴾

{ وَمِنَ النَّاسِ } بعض الناس { مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا } يتخذ أصناماً وأوثاناً { يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } يحبونهم ويعبدونهم مثل ما يعبدون الله ويحبونه ، يحبون الأنداد والأصنام والأوثان { وَالَّذِينَ ءَامَنُوا } المؤمنون { أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } ولكن الذين آمنوا أشد حبا لله تعالى ولا يعبدون غيره ويعلمون أن هذه الأصنام تضر ولا تنفع { وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا } ولو يرى بأعينهم الظالمون المذنبون والكفار والمشركون جهنم { إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ } عندما يرون عذاب جهنم ونارها ولهيبها { أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا } أن القوة والحكم والملك جميعاً والغلبة والقهر والسلطة لله وحده لا شريك له وليس للأصنام التي كانوا يعبدونها والتي لا تملك نفعاً ولا ضراً { وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ } وأن الله تعالى شديد العذاب وشديد العقاب لمن كفر وأشرك وبغى وطغى وظلم وتكبر وعصى وأذنب { إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا } تبرأ وتنصل

وتخلى عنهم الذين اتبعوا من الأصنام والأوثان والجن والملائكة والشياطين { مِنْ الَّذِينَ اتَّبَعُوا } ممن عبدتهم وتبعهم وخدمهم وأطاعهم وعبدتهم { وَرَأُوا الْعَذَابَ } شاهدوا عذاب جهنم بأعينهم وأنه محيط بهم لا محالة { وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } أي سدت عليهم الطرق وأقفلت جميع الأبواب أمامهم وتقطعت وسدت أمامهم طرق النجاة { وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا } وقال من عبدتهم وأطاعهم { لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ } لو أن لنا عودة إلى الدنيا { فَنتَبَّراً مِنْهُمْ } فنتبرأ منّا حتى نتبرأ ونتخلى عنهم ولا نتبعهم كما تخلوا عنا ولم يعترفوا بنا { كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ } وهكذا يريهم الله عاقبة أعمالهم في الدنيا وأن الذين عبدوهم وأطاعوهم في معصية الله تعالى كانت أعمالهم عليهم { حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ } كانت حسرةً وعذاباً وندامةً على ما قدموا وتفانوا في خدمتهم وقد تخلوا عنهم يوم القيامة { وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ } ولن يعودوا مرة ثانية إلى الدنيا للتنصل منهم وعدم طاعتهم لأنهم لن يخرجوا من نار جهنم وعذابها المستمر عليهم لأنهم فرطوا في حق الله تعالى وعبدوا وأطاعوا غيره وهم في جهنم خالدون.

﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ رَكُومٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿١٣٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوْءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلًا كَانُوا آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٤٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴿

{يَأْتِيهَا النَّاسُ} أيها الناس جميعاً {كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا} كلوا الحلال الطيب واتركوا الخبيث السيئ والمحرم كلحم الخنزير والسحت والرشوة والربا وأكل مال اليتيم وغيرها من الخبائث والمحرمات {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} وخطوات الشيطان هو كالطعم يوضع في الصنارة ليصيد به الفريسة وخطواته هي الشبهات والطرق التي تؤدي إلى ارتكاب الفواحش وأكل السحت وشرب الخمر والمسكرات وجميع المعاصي {إِنَّهُ} إنه الشيطان {لَكُمْ} يا بني آدم {عَدُوٌّ مُّبِينٌ} عدو عظيم وشديد وكائد ماكر عنيد {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوْءِ وَالْفَحْشَاءِ} إنما الشيطان عمله أن يأمركم ويزخرف ويزين لكم أعمال الشر والفواحش والزنا والسرقة وشرب الخمر {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} أن يقولوا له ولد أو شريك وهم لا يعلمون ذلك بل ظن. وعندما نزلت هذه الآية قام سعد بن أبي وقاص فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعاء فقال: (يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به) ، وقال ابن عباس: (ما كان من يمين أو

نذر في غضب فهو من خطوات الشيطان وكفارته كفارة يمين) وهذا معنى قوله تعالى: " إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ". {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} وإذا قيل للكفار اتبعوا ما أنزل الله تعالى على رسوله في القرآن الكريم {قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آَلَفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا} ولكنهم كفروا وأصروا على الكفر فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الأصنام والأوثان ولن نغيرها ولن نعبد غيرها {أَوْلَوْكَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا} أيفعلون ذلك حتى لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يفهمون فهم جهلاء {وَلَا يَهْتَدُونَ} ولا يعرفون الهدى حتى يتبعوه بل يبقوا في ضلالهم وغيهم يعمهون وفي الضلالة يتخبطون {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا} مثل الكفار {كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ} كمثل الدواب التي تنهق مثل الحمير {بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً} إذا دعا ونادى عليها راعيها وصاحبها لا تسمع إلا صوتاً لا تفقه معناه وهكذا الكفار يتبعون آباءهم وأجدادهم في عبادة الأصنام وهم لا يفقهون لماذا يعبدون ما لا يضر ولا ينفع فهي حجارة {صُمٌّ} لا يسمعون الهدى ولا النصيحة أبداً {بُكْمٌ} لا يتكلمون حقاً ولا خيراً ولا عدلاً ولا صواباً بل كفراً ومعصيةً وفساداً {عُمَى} فهم لا يبصرون الحق ولا الطريق المستقيم وهو دين الإسلام {فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} فهم لا يعرفون ولا يفهمون خطأهم ولا يعقلون أنهم ضلوا الطريق بعبادتهم الأصنام والأوثان ولا يعقلون مصير كفرهم وشركهم أنه مصيرهم إلى جهنم وجحيمها وعذابها.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ
 إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أَهْلَ
 بِهِ لغيرِ اللَّهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
 رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسوله
 واليوم الآخر {كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} كلوا من حلال ما رزقكم الله ولا
 تأكلوا الخبيث ولا المحرم عليكم {وَاشْكُرُوا لِلَّهِ} واحمدوا الله واشكروه بعدم أكل
 الحرام والخبائث {إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} أي أطيعوا الله ولا تقربوا ما حرم
 عليكم من الخبائث إن كنتم تعبدوه وحده وتقرون له بالربوبية والوحدانية
 والعبودية {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ} إنما الذي حرمه الله تعالى عليكم أيها المؤمنون
 بالله {الْمَيْتَةَ} كل ما مات من المواشي والأغنام والأبقار والإبل والطيور بدون أن
 يذبح ويذكر اسم الله عليه فهو ميت (أي كل شيء يذبح ولكنه مات بدون ذبح
 وهو الفطيس) ما عدا ميتتان السمك والجراد {وَالدَّمَ} شربه حرام حتى ولو كان
 للتي يؤكل لحمها ما عدا الكبد والطحال. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحلت لنا ميتتان ودمان: فأما الميتتان فالجراد
 والحوث وأما الدمان فالكبد والطحال). [أخرجه أحمد وابن ماجه - سبل السلام
 ج ١ ص ٢٥]. {وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ} ولحم الخنزير أكله على المسلمين حرام وكذلك
 {وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ} وما ذُبح لغير الله أو على غير اسم الله كالذبائح التي
 تقدم للأصنام والأوثان وما ذبح على غير اسمه تعالى من الأنصاب والأزلام والأنداد
 {فَمَنِ اضْطُرَّ} فمن كان في سفر أو في صحراء قاحلة وأشرف على الموت وكان لا بد

له أن يأكل حتى تبقى حياته ولم يكن سفره في معصية {غَيْرَ بَاغٍ} أي غير متعدٍ وممتعٍ ومتلذذٍ بأكله لأنه يشتهيهِ بل لأنه في ضائقة حقيقية وفي مجاعة حقيقية وليس أكله تحدياً لحدود الله ، وليس له رخصة في أن يأكله لأنه يشتهيهِ ويتلذذ به ويحبه ويود أكله دائماً {وَلَا عَادٍ} ولا متعدٍ على حدود الله تعالى وكأنها لا تهمه بل أكلها وهو مجبرٌ على أكلها ومشمئزٌ منها لكونها محرمة ولكنه أرغم على ذلك خشية موته وهلاكه ولذلك أكلها مضطراً {فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} فعندها لا إثم ولا ذنب عليه لأنه أكلها من مخمصة ومجاعة ومضطراً حفاظاً على إبقاء نفسه حياً لعدم وجود أكل عنده بديل غيرها ، وفي القاعدة الفقهية: (الضرورات تبيح المحظورات). {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} الله تعالى غفور لمن كان مضطراً {رَّحِيمٌ} يرحمه يوم القيامة ويدخله الجنة فهو لا يريد أن يشق على خلقه في الضرورات وكما قال صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين). [سبل السلام ج ١ ص ٢٥].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ﴿١٧٥﴾ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾

{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ } وهم اليهود الذين يكتُمون في التوراة صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا } والشراء هو تقبلهم الهدايا والأموال والربا والسحت والرشوة من الناس في مقابل إفتائهم في أمور معيشتهم وهذا كله ثمن قليل بالنسبة إلى أهل الجنة يوم القيامة من نعيم دائم { أُولَئِكَ } هؤلاء { مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ } لا يأكلون يوم القيامة إلا النار تحرق أكبادهم لأكلهم السحت في الدنيا ويكتُمون ما أنزل الله من صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يذهب الجاه والرفعة عنهم في الدنيا { وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ } لأنه يغضب عليهم لكفرهم وكتمهم ما في كتابه عن الناس وذلك تحقيراً لهم وإذلالاً { وَلَا يُزَكِّيهِمْ } ولا يطهرهم من هذا الذنب العظيم { وَلَهُمْ } هؤلاء اليهود { عَذَابٌ أَلِيمٌ } عذاب أليم موجه قاس وشديد في نار جهنم يوم القيامة عذاباً لهم وعقاباً { أُولَئِكَ } هؤلاء { الَّذِينَ اشْتَرُوا } هم الذين اشتروا { الضَّلَالََةَ } وهو الكفر والشرك والمعصية { بِالْهُدَىٰ } بالهداية والرشاد والإيمان والإسلام { وَالْعَذَابَ } واشتروا العذاب بكفرهم وعصيائهم بدلاً من { بِالْمَغْفِرَةِ } التوبة وصفح الله عنهم يوم القيامة لو أنهم آمنوا وعملوا الصالحات

ولم يكتنوا ما في كتاب الله عن الناس ولكنهم استحبوا العذاب بدلاً من المغفرة والتوبة {فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ} فما أصبرهم على تحمل عذاب النار يوم القيامة واليوم عند ربك بألف سنة مما تعدون فكيف بهم وهم في نار جهنم دائمون في العذاب {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ} ولذلك بدلاً من الكتاب سواء التوراة لليهود أو الإنجيل للنصارى والذي كتموه عن الناس أو غيره نَزَّلَ اللهُ تعالى بدلاً منه {الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} وهو القرآن الكريم حقاً وصدقاً {وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ} وهم اليهود والنصارى الذين اختلفوا على صحة القرآن وكذبوه ولم يصدقوا به {لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} لفي خلاف شديد معك يا رسول الله وبهذا فهم لن يؤمنوا أبداً.

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَآءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

{لَيْسَ الْبِرُّ} ليس الخير والتقوى {أَنْ تُوَلُّوا} أن تتجهوا {وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ} أن تتجهوا للقبلة وإلى جهة الشرق [في اتجاه الكعبة] {وَالْمَغْرِبِ} أو تتجهوا في اتجاه القبلة للغرب [في اتجاه بيت المقدس بفلسطين] أي ليس الخير والتقوى في تحويل القبلة. وجهة المشرق والمغرب جاءت مجازاً لا تحديداً {وَلَكِنَّ الْبِرَّ} ولكن الخير والبركة والتقوى في الطاعة وهو {مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ} رباً {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} وآمن بيوم القيامة وأن فيها حساباً وجزاءً وعقاباً وعذاباً وثواباً وجنةً

للمؤمنين وناراً للكفار {وَأَلْمَلَتِكَةَ} وهم مسخرين من قبل الله تعالى فجبريل عليه الصلاة والسلام موكل بالوحي للرسول والأنبياء وميكائيل عليه الصلاة والسلام موكل بالمطر والأرزاق للمخلوقات وإسرافيل عليه الصلاة والسلام موكل بنفخ البوق أو الصور يوم القيامة ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع كما قال تعالى: " وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ " ٨٧ النمل. والثانية نفخة الصعق كما قال تعالى: " وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ " ٦٨ الزمر. والثالثة نفخة البعث قال تعالى: " ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ " ٦٨ الزمر. وعزرائيل عليه الصلاة والسلام هو ملك الموت وهو موكل بقبض الأرواح لجميع المخلوقات بأمر الله تعالى وبإذنه ، وهناك: " رَقِيبٌ عَتِيدٌ " ١٨ ق. وهما ملكان مع كل بني آدم واحد على اليمين يكتب الحسنات والآخر على اليسار يكتب السيئات ولا يتركانه إلا وقت قضاء الحاجة والجماع لزوجته قال صلى الله عليه وسلم: (إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٣]. وهناك ملكان يسألانه في القبر وهما ناكِر ونكير وهناك حفظة كما قال تعالى: " لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ " ١١ الرعد. وملائكة يتعاقبون مع ابن آدم في الصباح وفي الليل كما جاء في الصحيح: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصلدون إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٣]. ورضوان خازن الجنان ومالك خازن النار وملائكة العذاب وهم زبانية جهنم وحملة العرش وهم الآن أربعة ويوم

القيامة ثمانية وملائكة أهل السموات السبع ولا يعلم جنود ربك إلا هو {وَالْكِتَابِ} والقرآن الكريم وهو كتاب منزل من عند الله تعالى بواسطة سيدنا جبريل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة بالسماء الدنيا إلى النبي سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين {وَالنَّبِيِّنَ} وجميع الرسل وعدد الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر وما ذكر في القرآن الكريم منهم خمسة وعشرون رسولاً والأنبياء لا يعلمهم إلا الله وروى أبو ذر الغفاري رضي الله عنه أنهم كانوا مئة ألف وأربعة وعشرين ألفاً [تنبيه الغافلين ص ٦٦]. وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه يوم بدر: (أنتم على عدد المرسلين وعلى عدد أصحاب طالوت حين جاوزوا النهر). يعني ثلاثمائة وثلاثة عشر [تنبيه الغافلين ص ٦٦]. {وَوَاتَى} أَمَالَ عَلَى حُبِّهِ} وأعطى المال وأنفقه وتصدق به وهو يحبه وهو محتاج إليه {ذَوَى الْقُرْبَى} للأقرباء والرحم والأهل وفقراء الأقارب {وَالْيَتَامَى} وهم من مات والداه أو أحدهما وهو لم يبلغ الحلم بعد وكان فقيراً ومحتاجاً {وَالْمَسْكِينِ} وهم الفقراء المتعففون. قال البخاري: حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شريك بن أبي نمر أن عطاء بن يسار وعبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري قالا: سمعنا أبا هريرة يقول: قال صلى الله عليه وسلم: (ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقتان إنما المسكين الذي يتعفف أقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: " لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافاً "). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٤]. {وَابْنَ السَّبِيلِ} المسافر عابر الطريق المحتاج إلى نفقة وهو فقير {وَالسَّالِينَ} الشحاذين {وَفِي الرِّقَابِ} وفي عتق الرقاب الرقيق حتى يصبح حراً {وَأَقَامَ الصَّلَاةَ} صلى الأوقات الخمس في أوقاتها في الليل والنهار {وَوَاتَى الزَّكَاةَ} أخرج زكاة أمواله

للفقراء والمحتاجين {وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا} الذين يلتزمون بالعهود والمواثيق التي أخذوها على أنفسهم ولا ينقضونها {وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ} في الشدة {وَالصَّرَآءِ} كمرض وخلافه {وَحِينَ الْبَأْسِ} الصبر وقت الحرب فلا يهرب من القتال. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من صبر على أداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة ومن صبر عن محارم الله فله ستمائة درجة ومن صبر على المصيبة فله تسعمائة درجة). [نزهة المجالس ج ٢ ص ٥٤].

وقال صلى الله عليه وسلم: (ما يصيب المؤمن من نصب (التعب) ولا وصب (المرض) ولا هم ولا حزن ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله من خطاياها).

[رواه البخاري - نزهة المجالس ج ٢ ص ٥٢]. {أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا} هم الصادقون في دينهم وفي طاعتهم لله تعالى {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} وهم المتقون الطائعون الخاشعون الخائفون لله تعالى في حدوده وأوامره ونواهيه والعابدون لله تعالى.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ط الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ
وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ
ذَلِكَ خَفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر {كُتِبَ عَلَيْكُمُ} كتب أي فرض عليكم {الْقِصَاصُ} الأخذ بالثأر أو المجازاة
بالمثل وهو العقاب {فِي الْقَتْلَى} فيمن قتل كيف يأخذ حقه وهو {الْحُرُّ} الرجل
الحر (أي لم يكن من الرقيق) {بِالْحُرِّ} بقتل نفس الحر الذي قتله ولا يسد مكانه
واحد من الرقيق {وَالْعَبْدُ} والرقيق {بِالْعَبْدِ} بنفس العبد الذي قتله وليس أن
يقتل حراً وسيداً مكانه {وَالْأُنْثَى} المرأة {بِالْأُنْثَى} تقتل نفس الأنثى التي قتلتها
ولا تقتل رجلاً مكانها {فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ} فإذا عفا ولي المقتول عن
الدم وتنازل عن حقه في أخذ الثأر والقصاص من القاتل {فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ} وطلب
الدية بدلاً من القتل بالمثل فعليه أن يتبع الأصول والحق الشرعي المعروف في الدية
فلا يغالي في الدية بأن يطلب ضعفها أو ثلاثة أضعاف أو أربع ديات في مقابل
تنازله فعليه فقط أخذ الدية المقررة شرعاً {وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ} وعلى القاتل وأهله
أن يدفعوا الدية الشرعية في مقابل الإحسان من أهل المقتول بأن تنازلوا وعفوا
وسامحوا عن القتل بالمثل فهم أحسنوا للقاتل بأن طلبوا الدية الشرعية فقط فعلى
القاتل وأهله دفع الدية الشرعية إلى أهل القاتل بإحسان أي بطيب خاطر حيث
تنازلوا وعفوا عن قتل القاتل واكتفوا بالدية الشرعية والدية الشرعية هي كما جاء
في الحديث الشريف (مائة من الإبل) ، وعن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم

وهو تابعي ولي القضاء لعمر بن عبد العزيز عن أبيه عن جده عمرو بن حزم أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن: (من محمد النبي إلى شرحبيل بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والحارث بن عبد كلال [قيل ذي رعين] أما بعد ، أن من اعتبط [قتل قتيلاً بلا جناية منه ولا جريرة توجب قتله] مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود [أي يقتل بالمقتول] إلا أن يرضى أولياء المقتول وإن في النفس الدية مائة من الإبل ، وفي الأنف إذا أُوعِب [قطع جميعه] الدية ، وفي اللسان الدية وفي الشفتين الدية وفي الذكر الدية وفي البيضتين الدية وفي الصلب الدية وفي العينين الدية وفي الرجل الواحدة نصف الدية [إذا قطعت من مفصل الساق] وفي المأمومة [هي الجناية التي بلغت أم الرأس وهي الدماغ أو الجلدة الرقيقة عليها] ثلث الدية وفي الجائفة [هي الطعنة التي تبلغ الجوف] ثلث الدية وفي المنقّلة [التي تخرج منها صغار العظم وقيل التي تكسر العظم] خمس عشرة من الإبل وفي كل أصبع من أصابع اليد أو الرجل عشرة من الإبل وفي السن خمس من الإبل وفي الموضحة [التي تكشف العظم] خمس من الإبل وإن الرجل يقتل بالمرأة وعلى أهل الذهب ألف دينار). [أخرجه أبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن الجارود وابن حبان وأحمد - سبل السلام ج ٣ ص ٢٤٤]. وفي البحر عن علي رضي الله عنه وعن ابن المسيب رضي الله عنه: (أن في البيضة اليسرى ثلثي الدية لأن الولد يكون منها وفي اليمنى ثلث الدية). [سبل السلام ج ٣ ص ٢٤٧]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (دية الخطأ أحماساً: عشرون حقة وعشرون جذعة وعشرون بنات مخاض وعشرون بنات لبون وعشرون بني لبون). [أخرجه الدارقطني - سبل السلام ج ٣ ص ٢٤٨]. ودية المرأة نصف دية الرجل بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ: (دية المرأة على النصف من دية الرجل) وهو إجماع. [سبل السلام ج ٣ ص ٢٥١]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة [المرتد]) متفق عليه. [سبل السلام ج ٣ ص ٢٣٠]. {ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ} الدية جعلها الله تعالى تخفيفاً على الناس ورحمة يرحم الله تعالى بها عباده من قتل وندم حتى لا يقتل مثل القتيل {فَمَن آَعَتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ} سواء القاتل إذا قتل مرة ثانية ولم يتب ولم يرتدع أو من أخذ الدية وقبل بها ثم نكث ونقض وعده بعدم القتل أو الثأر بعد أخذه الدية {فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} فلكل واحد سواءً من قتل من جديد وثاني مرة أو من قتل بعد أن أخذ الدية وقبل بها فله عذاب أليم في جهنم يوم القيامة {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ} ولكم في العقاب {حَيَوةٌ} أي تعيشوا عيشة طيبة آمنة مطمئنة بلا خوف حيث يعلم القاتل بأنه إذا قتل أحداً سيقتل بدلاً منه فلا يقتل إذا علم أن هناك قصاصاً وعقاباً {يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ} يا أصحاب العقول السليمة والنيرة والمفكرة والذكية والعاقلة والمتعمقة في الأمور {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} وذلك العقاب حتى تخافون القصاص وتخشوه فلا تعتدوا خوفاً من القصاص والعقاب وكذلك من عذاب الله تعالى لكم يوم القيامة.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ
يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ
فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ﴾

{كُتِبَ عَلَيْكُمْ} فرض الله وألزم عليكم {إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ} إذا أتى الموت إلى أحدكم بالمرض أو سكرات الموت حيث يعرفها من قرب أجله كرؤيا يراها في منامه أو يشعر في نفسه أن أجله قد انتهى فعليه أن يوصي قبل أن يموت {إِنْ تَرَكَ خَيْرًا} أي ترك مالاً وعقارات وأراضي ومزارع وتجارات وخلافه {الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ} أن تكون أولاً للوالدين وقد نسخ هذا الحكم بنزول آية الميراث {وَالْأَقْرَبِينَ} والأقرباء {بِالْمَعْرُوفِ} بالمتعرف عليه وهو ثلث الورثة أو ثلث الميراث ولا يزيد عن الثلث لأمواله والباقي لأولاده وزوجته {حَقًّا} أي حقاً ملزماً وفرضاً ملزماً {عَلَى الْمُتَّقِينَ} على المؤمنين الطائعين والخائفين لحدود الله تعالى والمنفذين لشرعه وأوامره ونواهيته {فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ} فمن غير الوصية بعد ما سمعها من الميت قبل موته {فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ} فالإثم يقع على من غير ما سمع إرضاءً لطرف دون طرف وزيفاً عن الحق وشهد شهادة زور وبهتان بغير ما قال الميت وبدلها {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ} الله سميع يسمع شهادة الشهود وإذا كانوا قد غيروها ويسمع وصية المتوفى ويعلمها ويعلم من بدل الوصية وغيرها {عَلِيمٌ} عليم بمن كذب وانحرف وغير الوصية بعد ما سمعها من الميت قبل موته وقال غير الذي سمعها فالله تعالى عليم به ويعرفه وسيحاسبه يوم القيامة على كذبه

وعلى تغيير الوصية التي سمعها {فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ} فمن خاف من الموصي بالوصية [وهو الميت قبل موته] وخاف من وصيته {جَنَفًا} جوراً أو ظلماً بأن يزيد مثلاً عن الثلث من أمواله {أَوْ إِثْمًا} بأن يعطي ولو زيادة على ولد أو يحرم ولداً من ميراثه أو أن يوصي للزوجة الجديدة زيادة عن الزوجة القديمة أو يعطي أمواله لزوجته الجديدة والتي يحبها ويترك أبناءه من الزوجة القديمة {فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ} فقسم بالعدل ولم يأخذ بوصية المتوفى الجائرة والظالمة والآثمة لأنه لم يوص بالحق ولا بالعدل بين الورثة الشرعيين {فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} فلا إثم على من أصلح وحكم بالعدل بين الورثة فليس عليه شيء ولا إثم ولا ذنب عليه بل يأخذ ثواباً لأنه عدل بين الورثة وحكم بما أمر الله تعالى {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} غفور لمن حكم بالعدل على تغيير الوصية لأنه أراد بها وجه الله تعالى وليس حاجة في نفسه {رَحِيمٌ} رحيم به وسيُدخله الجنة معزماً مكرماً لعدله بين الورثة.

وأما الوصية للوالدين فقد نسخت هذه الآية بآية المواريث ، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله أعطى لكل ذي حق حقه فلا وصية لوارث) وللوالدين السدس إن كان للمتوفى ولد لقوله تعالى: " وَلَا بُوَيْهَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ " وقال تعالى: " فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ " ١١ النساء. وطبعاً الأب إذا لم يكن للميت أولاد يأخذ الثلثين.

﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

{يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {كُتِبَ عَلَيْكُم} فرض عليكم وألزم عليكم {الصِّيَامُ} وهو عدم الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس {كَمَا كُتِبَ} كما فرض {عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} على الأمم السابقة التي سبقتكم {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} لعلكم تطيعون وتتقون الله وتخشونه وتخافونه في أوامره ونواهيه وفرائضه {أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ} كان الصوم سابقاً ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء وقيل عشرة أيام من الشهر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومهن في المدينة {فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا} فالمرريض ومن لا يستطيع الصوم كالمرضعة إذا خشيت على ولدها والحبلى إذا خافت على مولودها أو نفسها {أَوْ عَلَى سَفَرٍ} المسافر زيادة عن واحد وثمانين كيلومتراً {فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} فيصوم بعد شفائه من مرضه أو بعد انتهاء سفره على عدد الأيام التي أفطرها أي يقضيها من جديد في أيام أخرى قادمة {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ} كالشيخ الكبير من يخشى عليه من الصيام والمسن وهو الهرم والمرريض الذي لا يرجى برؤه. ويندرج تحت هذا الحكم من لا تغيب عليه الشمس مدة ستة أشهر كسكان القطبين الجنوبي والشمالي وكذلك رواد الفضاء الذين يمكنون في الفضاء مدة طويلة [بخلاف الصلاة فإنها لا تسقط عنهم ويقدرها لها وقتها تقديراً لقوله تعالى: " إِنِّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا

مَوْقُوتاً " ١٠٣ النساء]. {فِدْيَةٌ} كفارة في مقابل إفطارهم وعدم صومهم {طَعَامُ
مَسْكِينٍ} إطعام مسكين وجبتين غداءً وعشاءً مشبعتين من أوسط الطعام عن كل يوم
أفطروه {فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا} أي من صام من هؤلاء وكذلك المسافر وإن كان الصوم
فيه مشقة وتطوع بالصوم من نفسه ولو أنه ليس واجباً عليه لمرضه أو المرضعة أو
الطاعن في السن {فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ} فهو أفضل له على تطوعه بالصوم حيث سينال
ثواب الله تعالى ورضاه في الدنيا ، وفي الآخرة له الجنة {وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ويحثنا الله تعالى على الصوم إن كنتم تعلمون فوائد الصوم حيث
هو خير وأفضل للناس في دينهم وعقيدتهم وفي أجسامهم وبدنهم وراحة للمعدة
وشفاء لبعض الأمراض وتعليم الصبر والجَلَد وقوة التحمل وزيادة على ذلك دعاء
الصائم مستجاب حتى يفطر. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (جاهدوا أنفسكم
بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله). [نزهة المجالس
ج ١ ص ١٤٥]. وفي الحديث: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا
مجاريه بالجوع). [نزهة المجالس ج ١ ص ١٤٦]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما
أن رجلاً جاء إليه فسأله عن الصيام فقال: (ألا أحدثك بحديث كان عندي من
التحف المخزونة فإن كنت تريد صوم داود عليه السلام فإنه كان يصوم يوماً ويفطر
يوماً فإن كنت تريد صوم ابنه سليمان عليه السلام فإنه كان يصوم ثلاثة أيام من
أول كل شهر وثلاثة من أوسطه وثلاثة من آخره وإن كنت تريد صوم ابن العذراء
البتول [يعني عيسى ابن مريم عليهما السلام] فإنه كان يصوم الدهر كله ويأكل
الشعير ويلبس الشعر الخشن وكان حيثما أدركه الليل صف قدميه يصلي حتى
يرى علامة الفجر قد طلعت وكان لا يقوم مقاماً إلا صلى ركعتين فيه وإن كنت

تريد صوم أمه [أي مريم عليها السلام] فإنها كانت تصوم يومين وتفطر يومين وإن كنت تريد صوم خير البشر النبي العربي القرشي أبي القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فإنه كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر [يعني صوم أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر] ويقول هن صيام الدهن. [تنبيه الغافلين ص ١٢٩].

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۗ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ} أي شهر رمضان الذي فيه الصيام على جميع الأمة الإسلامية قد نسخت هذه الآية ما قبلها لأنها كانت أياماً معدودات والآن أصبحت شهراً كاملاً وقد فرض بعد الهجرة بسنة واحدة هو والزكاة وهذا الشهر الفضيل شهر صيام أنزل فيه القرآن الكريم في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل مفزقاً ومنجماً حسب الأحداث والوقائع وهذا الشهر نزلت فيه جميع الكتب السماوية كذلك. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى ابن هاشم حدثنا عمران أبو العوام عن قتادة عن أبي المليح عن وائلة ابن الأسقع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (أنزلت صحف إبراهيم من أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان والإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان). [رواه ابن مردويه في تفسيره عن جابر بن عبد الله مرفوعاً نحوه - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٩٣]. وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يقرأ القرآن حائض ولا جنب ولا تسافروا بالقرآن إلى بلد العدو). [خزينة الأسرار ص ٣٥]. {هُدًى لِّلنَّاسِ} يهديهم إلى طاعة الله

تعالى وفرائضه وأوامره ونواهيته ويهديهم إلى الإسلام والإيمان ويهديهم إلى الحق والعدل والصواب ويهديهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ويهديهم لدنياهم وآخرتهم ويهديهم إلى طريق الجنة والعمل لها والابتعاد عن النار {وَيَبِّئْتِ مَنْ أَلْهَدَىٰ} وفيه دلائل على الهدى والإيمان ودلائل وحجج وبراهين على أن الله واحد لا شريك له وعلى الإيمان وطاعة وعبادة الله وحده لا شريك له {وَالْفُرْقَانِ} يفرق ويفصل ويوضح ويبين بين الحق والباطل والصواب والخطأ والإيمان والكفر والثواب والذنوب والعقاب {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ} فمن أتى عليه الشهر منكم أيها المؤمنون {الشَّهْرَ} شهر رمضان {فَلْيَصُمْهُ} فعليه صيامه حيث هو فرض عليكم {وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ} وأما المريض أو المسافر {فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} فعليه قضاؤه في أيام أخرى خلال العام على عدد الأيام التي أفطرها {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ} يريد الله بكم بهذه الرخصة للإفطار للمريض والمسافر يريد أن ييسر عليكم ويسهل عليكم {وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ} ولا يريد بكم الله تعالى المشقة والعذاب والضيق فهو رحيم بكم {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ} أي تصوموا الشهر كله وعدته وهي شهر كامل مرة يكون تسعة وعشرون ومرة يكون ثلاثين يوماً حسب رؤية الهلال {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ} ولتكبروا الله تعالى وتعظموه على هداكم للإسلام وعلى مساعدتكم في صيامه {وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} وعلى هذا الفضل [فضل الصيام والهدى] فلتشكروا الله وتحمدوه على فضله وكرمه عليكم. ولذلك جعل التكبير في العيدين سنة.

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

{وَإِذَا سَأَلَكَ} وإذا طلب منك يا محمد يا رسول الله الإجابة {عِبَادِي} خلقي من بني آدم {عَنِّي} عن الله تعالى أين هو هل هو بعيد فنناديه أو قريب فنناجيه {فَأِنِّي قَرِيبٌ} فإني قريب لهم أسمع دعواهم وأراهم وهم يدعون الله تعالى {أُجِيبُ} دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} أستجيب للداعي إذا طلب مني شيئاً فلا أرده خائباً ولكن لي شرط في الإجابة وهو {فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي} بالطاعة فعليهم إطاعة أوامري واجتناب النواهي وأداء الفرائض وإطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام {وَلِيُؤْمِنُوا بِي} وليؤمنوا وليصدقوا بالله رباً واحداً واحداً فرداً صمداً لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولم يكن له شريك في الملك وأن الله تعالى هو الرازق وهو المحيي والمميت وهو القادر وهو السميع العليم فلا رب غيره ولا معبود سواه {لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} لعلهم يجدون الإجابة ولا ترد دعوتهم وتقبل منهم ولا ترد. وسبب نزول هذه الآية قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أخبرنا جرير عن عبدة ابن أبي ברزة السخثياني عن الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده أن أعرابياً قال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية). [ابن كثير ج ١ ص ٢١٨]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي حدثنا خالد الحذاء عن أبي عثمان النهدي عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فجعلنا لا نصعد شرفاً ولا نعلو شرفاً ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير قال: فدنا منا فقال: يا أيها الناس أربعوا [خففوا

أو هونوا] على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته ، يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله). [أخرجاه في الصحيحين - ابن كثير ج ١ ص ٢١٨]. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا بكر ابن عمرو عن أبي عبد الرحمن الجيلي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فإذا سألتهم الله أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإنه لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل). [ابن كثير ج ١ ص ٢١٩]. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد حدثنا رجل أنه سمع أبا عثمان النهدي يحدث عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله تعالى ليستحي أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيراً فيردهما خائبين). [ابن كثير ج ١ ص ٢١٨]. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر حدثنا علي بن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال إما أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا إذاً نكثر؟ قال: الله أكثر). [ابن كثير ج ١ ص ٢١٨]. وفي مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة وتفتح لها أبواب السماء ويقول: بعزتي لأنصرنك ولو بعد حين). [ابن كثير ج ١ ص ٢١٩]. وعن أنس مرفوعاً: (الدعاء مخ العبادة). [رواه الترمذي - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٢]. ومن حديث أبي هريرة مرفوعاً: (من لم يسأل الله يغضب عليه). [أخرجه البخاري - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٢]. وعن النبي صلى الله عليه

وسلم: (إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء). [رواه الترمذي - نزهة المجالس ج ١ ص ٧٠]. وقال صلى الله عليه وسلم: (ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المسافر ودعوة المظلوم ودعوة الوالد للولد). وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم: (دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب تعدل سبعين دعوة مستجابة ويوكل الله به ملكاً يقول آمين ولك مثل ما دعوت). [نزهة المجالس ج ١ ص ٦٦]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة). [نزهة المجالس ج ١ ص ٦٥]. ورؤي أحمد بن حنبل في المنام فقيل له ما فعل بك ربك؟ قال: ألبسني نعلين من ذهب وقال لي: اقرأ الدعوات وهي: (اللهم يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء ولا تسألني عن شيء). فقال: يا أحمد ادخل الجنة). [نزهة المجالس ج ١ ص ٧٥]. ودعاء عيسى عليه الصلاة والسلام لما اجتمعت اليهود ليقتلوا عيسى عليه السلام جاء جبريل عليه السلام له بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك باسمك الأحد الأعز وأدعوك اللهم باسمك الأحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذي ملأ الأركان كلها أن تكشف عني ما أصبحت وما أمسيت فيه). ولما دعا به رفعه الله إلى السماء وقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا بني هاشم يا بني عبد مناف اسألوا ربكم بهؤلاء الكلمات فالذي نفس محمد بيده ما دعا بهن عبد مؤمن إلا اهتزت العرش والسموات السبع والأرضون السبع ويقول الله تعالى لملائكته اشهدوا أنني قد استجبت للداعي بهن وأعطيته عاجل دنياه وآجل آخرته. [نزهة المجالس ج ١ ص ٧١]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال: لا إله إلا الله قبل كل شيء لا إله إلا الله بعد كل شيء يبقى ربنا ويفنى كل شيء. عوفي من الهم والحزن). [رواه الطبراني - نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٨]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أمان كل خائف: حسبنا الله ونعم الوكيل). [نزهة

المجالس ج ٢ ص ١٠٤]. ودعاء زيد بن حارثة لما أراد الكردي قتل زيد قال له زيد أمهلني حتى أصلي ركعتين فقال له الكردي: هيهات قد صلاهما غيرك فلم تفده صلاته شيئاً فتوضأ زيد وصلى ركعتين ودعا بالدعاء الآتي ثم أقبل عليه الكردي ليقتله وإذا بفارس يركض وهو ينادي لا تقتله فالتفت الكردي فرأى الفارس قد أقبل عليه وفي يده حربة فضربه بها فرماه من أعلى دابته وقتله وقال له: يا زيد لما دعوت الأولى نادى جبريل من لهذا الملهوف قلت له: أنا وكنت في السماء السابعة فلما دعوت الثانية كنت في السماء الدنيا والثالثة جئتك فقتلته واعلم يا زيد أن من دعا به بدعائك هذا إلا استجيب له في الوقت فرجع زيد إلى المدينة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له: يا زيد لئنك الله اسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئل به أعطى. وهذا هو الدعاء: (اللهم يا ودود يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعالاً لما يريد أسألك بنور وجهك الذي ملى أركان عرشك وبقدرتك التي قدرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث [يا غياث المستغيثين أغثنى] ثلاث مرات). ويكرر الدعاء كله ثلاث مرات. وهو مجرب مراراً. [كتاب الديربي]. ودعاء لإزالة الهم والغم: في صحيح الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما أصاب عبداً همٌّ ولا غمٌّ أو حزنٌ فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدلٌ في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب غمي إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحاً). [كتاب الديربي ص ٥٧]. ورؤي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (اثنتا عشرة

ركعة من صلاها في ليل أو نهار وقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة ويتشهد في كل ركعتين ويسلم ، ثم يسجد بعد التشهد من الركعتين الأخيرتين قبل السلام ويقرأ فاتحة الكتاب سبع مرات وآية الكرسي سبع مرات ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات ثم يقول: اللهم إني أسألك بمعاهد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم ووجهك الأعلى وكلماتك التامة أن تقضي حاجتي ثم يسأل حاجته ثم يرفع رأسه ثم يسلم يميناً وشمالاً فإن الله تعالى يقضي حاجته. ثم قال صلى الله عليه وسلم: لا تعلموها السفهاء لأنها دعوة مستجابة). [خزينة الأسرار ص ١١٠]. وكان صلى الله عليه وسلم يدعو على الأعداء بقوله: (اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٦٦]. وعن عبد الله بن أبي بردة: (أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول: (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فقال له: لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دُعي به أجاب). [رواه أبو داود والترمذي ولم يرد في باب الدعاء حديث أجود إسناداً منه - نزهة المجالس ج ١ ص ٦٦].

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۗ ثُمَّ أَتَمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْاِيلِ ۗ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ ۚ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

{أُحِلَّ لَكُمْ} رخصة لكم أيها المؤمنون وقد أحل الله وجعله حلالاً لكم {لَيْلَةَ الصَّيَامِ} أي ليالي رمضان وهي ليالي الصيام {الرَّفَثُ} الجماع {إِلَى نِسَائِكُمْ} لزوجاتكم حلالكم {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ} هن حلال لكم {وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} وأنتم حلال لهن ، واللباس مثل الثوب يغطي ويستر الجسم فهكذا الرجل والمرأة كل واحد ستر للآخر وقت الجماع فلا يطلع عليهما أحد غيرهما وكما يقال هما (فرشة ولحاف لبعضهما) أي ستر وغطاء أي حلال جماع بعضهما في ليلة رمضان {عَلِمَ اللَّهُ} عَلِمَهُ من الأزل ولكن هذا علم أحاطه بعد وقوع الجماع فالله تعالى يعلم كل شيء ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء {أَنَّكُمْ} أيها المؤمنون {كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ} أي في خلوتكم في ليلة الصيام تجامعون زوجاتكم سراً {فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ} فالله رحيم بكم قد تاب عليكم وعفا وغفر لكم ذلك {فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ} فالآن قد صرح الله لكم بالجماع وحلله لكم وجعل لكم رخصة في ذلك فمن الآن فصاعداً فجامعوا نساءكم {وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} واقضوا حاجتكم من نساءكم طوال الليل. والسبب في ذلك قال أبو إسحاق عن البراء

ابن عازب قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائماً فنام قبل أن يفطر لم يأكل إلى مثلها وأن قيس بن صرمة الأنصاري وكان قيس ابن صرمة صائماً وكان يومه ذلك يعمل في أرضه فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال: هل عندك من طعام؟ قالت: لا ولكن أنطلق فأطلب لك فغلبته عينه فنام وجاءت امرأته فلما رآته نائماً قالت: خيبة لك أنمت؟ فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله إنني أردت أهلي البارحة على ما يريد الرجل أهله فقالت: إنها قد نامت فظننتها تعتل فواقعته فنزل في عمر "أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ". [ابن كثير ج ١ ص ٢٢٠]. {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} وكلوا واشربوا أيها المؤمنون حتى طلوع الفجر الصادق وليس الكاذب. وقال الإمام أحمد: حدثنا موسى بن داود حدثنا محمد بن جابر عن قيس بن طلق عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليس الفجر المستطيل في الأفق ولكنه المعترض الأحمر). [ابن كثير ج ١ ص ٢٢٢]. وعن ابن عباس يقول: (هما فجران فأما الذي يسطع في السماء فليس يحل ولا يحرم شيئاً ولكن الفجر الذي يستنير على رؤوس الجبال هو الذي يحرم الشراب). [ابن كثير ج ١ ص ٢٢٢]. وليس كما يُظنُّ أنهما خيطان أحدهما أبيض والآخر أسود. قال الإمام أحمد: حدثنا هشام أخبرنا حصين عن الشعبي أخبرني عدي بن حاتم قال: لما نزلت هذه الآية "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ" عمدتُ إلى عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض فجعلتهما تحت وسادتي قال: فجعلت أنظر إليهما فلما تبين لي الأبيض من الأسود أمسكت فلما أصبحت عدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بالذي صنعت فقال:

(إن وسادك إذا لعريض إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل). [أخرجاه في الصحيحين - ابن كثير ج ١ ص ٢٢١]. وعليه أمر صلى الله عليه وسلم بالسحور ففي الصحيحين عن أنس قال: قال صلى الله عليه وسلم: (تسحروا فإن في السحور بركة). [ابن كثير ج ١ ص ٢٢١]. وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق ابن عيسى بن الطباع حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (السحور كله بركة فلا تدعوه ولو أن أحدكم تجرع جرعة من ماء فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين). [ابن كثير ج ١ ص ٢٢١]. وقد ورد في الصحيحين من حديث القاسم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يمنعكم أذان بلال عن سحوركم فإنه ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر). [ابن كثير ج ١ ص ٢٢٢]. والجنابة لا تمنع الصوم ففي صحيح مسلم عن عائشة أن رجلاً قال: يا رسول الله تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم فقال: لست مثلنا يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: والله إنني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أنتقي). [ابن كثير ج ١ ص ٢٢٢]. {ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ} أي أكملوا صيامكم حتى غروب الشمس أي بعد غياب الشمس أي أذان المغرب {وَلَا تُبَشِّرُوهُ} وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} فالجماع مُحَرَّم عند الاعتكاف في المساجد ولا قُبلة ولا خلافه من المعانقة والتحضيرين ، وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذني إليّ رأسه فأرجله وأنا حائض وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة الإنسان قالت عائشة: ولقد كان المريض يكون في البيت فما أسأل عنه وإلا وأنا مارة). [ابن

كثير ج ١ ص ٢٢٤]. {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} تلك أوامر الله وحدوده وأحكامه {فَلَا تَقْرَبُوهَا} فلا تتعدوها ولا تقربوا الجماع في الاعتكاف ولا تأتوه {كَذَلِكَ} وهكذا {يُبَيِّنُ اللَّهُ} يوضح الله تعالى {ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ} آيات القرآن الكريم للناس {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} حتى يتقوا الله تعالى ويطيعوه ويعبدوه ويخشونه ويخافوه في حدوده وأوامره واجتناب نواهيه.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

{وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ} ولا تأكلوا أيها المؤمنون أموال بعضكم البعض بالباطل والظلم والجور وبدون حق {وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ} وتدفعوا وتعطوا الرشوة إلى الحكام والقضاة ليحكموا لكم على خصمكم كذباً وبهتاناً وذلك {لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ} وحتى تأخذوا جزءاً من أموال الغير بغير حق لتأكلوها وتغتصبوها كذباً وخداعاً وغشاً وخيانةً وغدراً {بِالْإِثْمِ} بالذنب وبوجه غير حق {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} وأنتم تعلمون أن ذلك المال ليس لكم فيه حق بل أكلتموه بالباطل وبوجه غير حق وظلم. وفي الصحيحين عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنما أنا بشر وإنما يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من نار فليحملها أو ليذرها). [ابن كثير ج ١ ص ٢٢٥].

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا
الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

{يَسْأَلُونَكَ} ويسألك يا محمد يا رسول الله الناس {عَنِ الْأَهْلِ} وهي جمع
هلال أي يسألونك عن خروج القمر في أول الشهر لماذا وما فائدتها؟ {قُلْ} قل لهم
يا محمد {هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ} هي مواقيت يعرف بها الأشهر والسنين ويعلمون
شهر الصيام شهر رمضان ومتى يصوموه ومتى يفتروا ويعرف بها مدة عدة الزوجة
عند الطلاق وليعلموا عدد السنين والحساب {وَالْحَجِّ} ويعلمون أشهر الحج بها
وخاصة شهر ذي الحجة ليقفوا يوم الموقف وهو اليوم التاسع بجبل عرفات ويوم
العاشر يوم عيد الأضحى يوم النحر {وَلَيْسَ الْبِرُّ} وليس الخير والبركة والتقوى
{بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا} بأن تأتوا وتدخلوا إلى بيوتكم من خلفها وعن
حيطانها وكان يفعل ذلك في الجاهلية إذا أراد الرجل سفراً وخرج من بيته يريد
سفره ثم بدا له أن يقيم ويدع سفره لم يدخل البيت من بابه ولكن يتسوره من قبل
ظهره وكذلك أهل يثرب إذا رجعوا من عيدهم دخلوا منازلهم من ظهورها ويرون أن
ذلك من البر فأنزل الله " وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا " {وَلَكِنَّ الْبِرَّ
مَنِ اتَّقَى} ولكن الخير من اتقى الله وخافه في حدوده واجتنب محارمه ونواهيه
وأطاع أوامره {وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا} ادخلوا بيوتكم من الأبواب ولا تسوروا
الحيطان {وَاتَّقُوا اللَّهَ} خافوه وأطيعوه وعبدوه وحده {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}

لعلكم تفوزون بالجنة ونعيمها ومرضاة الله تعالى.

﴿ وَقْتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ
 وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقْتَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقْتَلُوا فِيهِ ۚ فَإِن
 قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾
 وَقَتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى
 الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

{ وَقْتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } وجاهدوا وحاربوا في سبيل الله وفي مرضاته { الَّذِينَ
 يُقْتَلُونَكُمْ } الذين يحاربونكم من الكفار { وَلَا تَعْتَدُوا } أي لا تقاتلوا أحداً بدون
 وجه حق أو ظلماً أو بطراً وكذلك لا تعتدوا في حربكم بقتل الأطفال والشيوخ
 والنساء ولا أصحاب الصوامع وهم العباد ولا تقطعوا شجراً ولا تمثلوا { إِنَّ اللَّهَ لَا
 يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } إن الله لا يحب ويبغض من يعتدي بدون وجه حق سواءً
 بالتمثيل أو قتل الأطفال والنساء أو قطع الأشجار بدون وجه حق ولا من اعتدى
 لاغتصاب حق أو عرض أو أرض بل لتكون كلمة الله هي العليا { وَأَقْتُلُوهُمْ }
 والكفار وأهل الشرك والأعداء هؤلاء اقتلوهم وحاربوهم وجاهدوهم { حَيْثُ
 ثَقِفْتُمُوهُمْ } حيث وجدتموهم وحيثما ظفرتم بهم { وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ
 أَخْرَجُوكُمْ } وأخرجوهم من بلادكم التي أخرجوكم منها { وَالْفِتْنَةُ } الكفر والشرك
 { أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ } هي أعظم حرمة من القتل لهم { وَلَا تُقْتَلُوا فِيهِ } ولا تقاتلوا أيها
 المؤمنون الكفار { عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } في مكة { حَتَّىٰ يُقْتَلُوا فِيهِ } حتى يبدؤوا
 هم { فَإِن قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ } فإن بدؤوا هم بقتالكم فحاربوهم وجاهدوهم وقاتلوهم

{كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} وهذا هو جزاء وعقاب الكفار الحرب والقتل {فَإِنْ أَنْتَهَوْا} فإن تابوا وتوقفوا عن حربكم {فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} فاعفوا عنهم إن الله تعالى غفور لمن تاب رحيم لمن آمن منهم {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} وقاتلوهم حتى لا يكون هناك كفر وشرك {وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} ويكون الدين هو الإسلام لله تعالى وعبادة الله وحده لا شريك له {فَإِنْ أَنْتَهَوْا} فإن توقفوا عن كفرهم هذا {فَلَا عُدْوَانَ} فلا حرب ولا قتال {إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} إلا على الظالمين لأنفسهم بالكفر والشرك وعدم الطاعة وعلى المعتدين والظالمين للناس باغتصاب أموالهم أو أعراضهم فهؤلاء يجب قتالهم وحربهم.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾

{الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ} عندما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة معتمراً ومنعه المشركون من دخول مكة عام ست من الهجرة قاضاهم على الدخول بأنه لا يجوز منع من دخل محرماً إلى مكة فسمحوا له أن يأتيها من السنة القادمة في الشهر الحرام نفس الشهر الذي مُنع فيه من دخول مكة يعني بدلاً من دخول مكة في الشهر الحرام هذا العام يكون بدلاً منه الشهر الحرام في السنة المقبلة والأشهر الحرم هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب {وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ} فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ} والاعتداء عليكم في الأشهر الحرم فقصاصه هو {فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ} فقاتلوهم في الأشهر الحرم مثلما يقاتلونكم {وَاتَّقُوا اللَّهَ}

خافوه وأطيعوه واعبدوه وحده {وَأَعْلَمُوا} واعلموا علم اليقين وتأكدوا {أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} أن الله تعالى مع المتقين الخائفين منه والطائعين له والملتزمين حدوده ولا يعتدوا فهو معهم بالنصر والتأييد والتوفيق والهدى والرشاد {وَأَنْفِقُوا} وتصدقوا {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} في الجهاد وفي الحرب من شراء السلاح والعتاد لملاقاة العدو والذود عن الأوطان {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} لا تتركوا التبرع للجهاد بالصدقات وبذلك تكونوا قد ألقيتم بأنفسكم إلى التهلكة فإذا لم يكن هناك عتاد وسلاح كفاية لصد العدو فإن العدو ينقض عليكم ويغتصب دياركم وأموالكم وأعراضكم ويقتلكم شر قتلة {وَأَحْسِنُوا} تصدقوا {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} إن الله تعالى يحب ويرضى عن المحسنين بالصدقات للجهاد في سبيل الله ويحب المتبرعين بالصدقات والمخلصين بأعمالهم وصدقاتهم.

﴿وَأْتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٩٦﴾﴾

{وَأْتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ} أي من بدأ في الحج فعليه أن يكمل ويتم الحج والعمرة وهما فرضان على كل مسلم قادر بالغ عاقل حر. وفرضية الحج لقوله تعالى: " وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا " ٩٧ آل عمران. والاستطاعة هي الراحلة والزاد له ولأهل بيته من بعده مدة غيابه ولا يكون عليه دين أما إذا كان

عليه دين فلم يفرض الحج عليه وأما السنة فقولته صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس) منها حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً الحديث المعروف ، وأما فرض العمرة لقوله تعالى: " وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ " ومعناها ائتوا بهما تامين مستجمعين للشرائط والأركان. وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله: هل على النساء من جهاد؟ قال: (نعم جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة). [رواه الإمام أحمد - فقه المذاهب الأربعة ص ٣٨٤]. ورؤي عن أبي رزين العقيلي أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن [أي السفر] قال: حُجَّ عن أبيك واعتمر). [رواه الخمسة البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه - الفقه على المذاهب الأربعة ص ٣٨٤]. وما زاد عن المرة الواحدة فهو تطوع ولكن الإمام أبا حنيفة والإمام مالك قالوا هي سنة مؤكدة أي العمرة لا فرض لقوله صلى الله عليه وسلم: (الحج مكتوب والعمرة تطوع) ولكن هي مفردة ليس مع الحج سنة أما مع الحج لأول مرة فهي فرض لحديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً: (الحج والعمرة فريضتان) وأخرج الدارقطني من رواية زيد بن ثابت بزيادة: (لا يضرك بأيهما بدأت). [سبل السلام ج ٢ ص ١٧٩]. والآية القرآنية تدل على حث المسلمين على إتمام الحج والعمرة دليل على فرضيتهما إذا كانا مع بعضهما أما إذا كانت العمرة في غير أشهر الحج فهي نافلة وسنة أما العمرة فهي فريضة مرة واحدة في العمر مع الحج للقادر. والعمرة مختصرة هي أن يحرم من الميقات لغير أهل مكة ويطوف بالكعبة طواف القدوم سبعة أشواط يبدأ من الحجر الأسود وينتهي به ويطوف بادئاً من يمين الحجر الأسود في كل شوط من السبعة ويكبر أمام الحجر الأسود في كل شوط ويُقبله إن استطاع أو يشير إليه من بعيد بيده أو بعصا ويُقبلها بعد أن يمسه كما فعل صلى الله عليه وسلم وأن يضطبع أي يجعل رداءه تحت إبطه اليمين ويلفه على

كتفه الشمال أي يكشف كتفه اليمين ويغطي كتفه الشمال كناية عن عمل الحسنات والطاعات وأداء الفريضة حتى يسجل ملك الحسنات الموجود على كتفه اليمين ويغلق السيئات والذنوب ويغطي كتفه الشمال أي أنه لن يعمل ذنباً حتى يكتب عليه الملك الموجود على الكتف الشمال ، وأن يرمل في الثلاثة أشواط الأول وهو المشي بسرعة مع تقارب الخطى وهز الكتفين ، ثم يصلي ركعتين سنة الطواف عند مقام إبراهيم ، ثم يذهب إلى الصفا والمروة ليسعى بينهما سبعة أشواط بادئاً من الصفا إلى المروة فهذا شوط ومن المروة إلى الصفا وهو عائداً شوط آخر وكل شوط منهما واجب وأن يمشي ولا يركب لغير عذر وأن يسعى بين الميلين الأخضرين [وهما عمودان أحدهما تحت منارة باب علي والآخر قبالة رباط العباس] وأن يهرول بين الميلين المذكورين ، ومنها أن يكبر ويهمل ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو بما شاء ويستقبل البيت على الصفا والمروة ثم بعد السبعة أشواط إن أراد أن يتمتع في حجه يقصر أو يقص شعره فيتحلل من عمرته وإن أراد أن يكون قارناً يبقى على إحرامه حتى يتم حجه {لِلَّهِ} أي عبادة لله تعالى {فَإِنَّ أُحْصِرْتُمْ} فإن منعتم من الدخول إلى مكة كما حصل في صلح الحديبية وحبستم في الدخول إلى مكة {فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} فما وجدتم أو على قدر ما تستطيعون أن تشتروا من الذبائح. والهدي مفردها هدية وهو ما يهدى للبيت من الإبل أو البقر أو الغنم والماعز وأقله شاة عن الفرد أو يشترك سبعة في بدنة في الإبل أو البقر ، وأن هذه الآية نزلت سنة ست في عام الحديبية حين منع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الطواف بالبيت وأنزل الله تعالى لهم سورة الفتح بكاملها وأنزل لهم رخصة بأن يذبحوا ما معهم من الهدي وكان معهم سبعين بدنة وكان عدد المسلمين ألفاً وأربعمائة وحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلق

أو قصر الصحابة وقال صلى الله عليه وسلم: (رحم الله المحلقين قالوا والمقصرين يا رسول الله فقال في الثالثة والمقصرين). {وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ} أي لا تحلقوا رؤوسكم قبل ذبح الهدي في منى. وهذه الآية توضح مناسك الحج وليس متصلة بالإحصار بل هذه تنتم لشعائر الحج {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا} فالمرريض من ألم به مرض في الحج {أَوْ بِهِمْ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ} كمن به قمل فقص شعر رأسه لوجود القمل به {فَفِدْيَةٌ} فعليه فداء أو كفارة ذلك وهو التحلل من الإحرام وفدية ذلك يكون {مِنْ صِيَامٍ} صيام ثلاثة أيام إذا قدر عليها {أَوْ صَدَقَةٍ} يتصدق بنصف صاع من بر أو قمح أو رز أو زبيب وإطعام ستة مساكين مما ذكر [والصاع يساوي ٢ كيلوجرام ومثني جرام]. {أَوْ نُسْكَ} وهو ذبح شاة وهذا إذا عمل عملاً في مناسك الحج وهو محرم فإذا أراد أن يتحلل من إحرامه لعذر مما سبق عليه أن يأتي بما ذكر وقال ابن أبي حاتم: أخبرنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا عبد الله بن وهب أن مالك بن أنس حدثه عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذاه القمل في رأسه فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلق رأسه وقال: (صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين مدين مدين لكل إنسان أو انسك شاة أي ذلك فعلت أجزاء عنك). [ابن كثير ج ١ ص ٢٣٢]. وقال البخاري: حدثنا آدم حدثنا شعبة عن عبد الرحمن بن الأصبهاني سمعت عبد الله بن معقل قال: قعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد [يعني مسجد الكوفة] فسألته عن فدية من صيام فقال: حُمِلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا أما تجد شاة؟ قلت: لا قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك

فنزلت في خاصة وهي لكم عامة. وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال: (أتى عليّ النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أوقد تحت قدر والقمل يتناثر على وجهي أو قال حاجبي فقال: يؤذيك هوام رأسك؟ قلت: نعم قال: فاحلقه وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك نسيكة [قال أيوب: لا أدري بأيهن بدأ]). [ابن كثير ج ١ ص ٢٣٢]. {فَإِذَا أَمِنْتُمْ} إذا كان في الحج أمان وليس هناك حرب أو منع أو حبس عن الحج والعمرة أي كان حجاً عادياً {فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ} أي تحلل بعد عمرته وقص أو حلق شعره {إِلَى الْحَجِّ} وينتظر إلى أن يأتي يوم الحج وهو اليوم الثامن وهو يوم التروية ويتزود فيه المسلمون بالماء وكان ذلك في السابق لندرة الماء وقتله {فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} أي على المتمتع أن يذبح شاة وهي أقله أو يشترك سبعة في بدنة من الإبل أو البقر وكذلك هذا الهدي والذبح هو للمتمتع وللقارن أما المفرد بالحج وهم أهل مكة لا ذبح عليهم وليس عليهم عمرة مع الحج لأنهم في أي وقت يعتمرون. أما من قدم من الدول العربية أو الإسلامية فيجب عليه العمرة مع الحج وإن أراد أن يتمتع فعليه أن يحلق أو يقصر بعد عمرته والعمرة كما أسلفنا هي: الطواف بالكعبة سبعة أشواط ثم يصلي ركعتين عند مقام إبراهيم سنة الطواف ثم يذهب ليسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط ويرمل بين الميلين الأخضرين في كل شوط من السبعة ، وبعدها إذا أراد أن يتمتع بالعمرة يحلق أو يقصر رأسه والرجل يقطع الشعر قدر أنملة من أصوله أما المرأة فلا تحلق بل تقصر قدر الأنملة ولكن على المتمتع أن يذبح شاة نسكاً لتمتعه وكذلك القارن بالعمرة وهو الذي لم يتحلل من عمرته بل يبقى على إحرامه فعليه أيضاً أن يذبح شاة في منى أو كما أسلفنا يشترك سبعة في بدنة وهي من الإبل أو البقر. (وأما هو

صلى الله عليه وسلم فإنه نحر بيده الشريفة ثلاثاً وستين بدنة وكان معه مائة بدنة فأمر علياً عليه السلام بنحر باقيها). [سبل السلام ج ٢ ص ٢٠٣]. وكان قارناً بالحج {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ} أي من لم يستطع شراء الشاة ليذبحها لتمتعه بالعمرة وهو من لم يجد ثمنها معه لفقره {فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ} فعليه صيام ثلاثة أيام من ذي الحجة وهي ثلاثة أيام قبل عرفة حيث يكره للحاج صوم يوم عرفة نظراً لمشقة الحج عليه وإذا كان لم يصم بعد واضطر فعليه صوم يومين قبل عرفة وصوم يوم عرفة حتى تكمل الثلاثة أيام حيث أيام التشريق منهي عنها بالصيام {وَسَبْعَةَ إِذَا رَجَعْتُمْ} ويكمل صومه بسبعة أيام أخرى إذا رجع إلى وطنه ودياره وبلاده وبيته {تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ} فالكفارة والفدية لمن لا يجد شاة يذبحها أو لم يقدر على ثمنها عليه أن يصوم عشرة أيام كاملة {ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} وهذا الذبح هو لغير أهل مكة أما أهل مكة فلا يجب عليهم الذبح لأنهم شملتهم دعوة أبينا إبراهيم الخليل كما قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ" ١٢٦ البقرة. وكذلك لما حضر إبراهيم ليزور ابنه إسماعيل ووجده قد تزوج الزوجة الثانية حيث طلق الأولى بأمر والده حيث سأله كيف حالكم وشكيت إليه المعيشة وهي لا تعلم أنه إبراهيم عليه السلام والد زوجها فقال لها قولي إلى إسماعيل حضر شيخ وفضله له وقولي له إنه يقول لك غير عتبة بيتك فلما أخبرت إسماعيل عليه السلام قال لها أنت عتبة بيتي وطلقها ولما تزوج الثانية وحضر والده بعد مدة وسألها عن إسماعيل وكيف معيشتهم وهي لم تعرفه فقالت ذهب للصيد وأكلنا اللحم فقال إبراهيم عليه الصلاة والسلام اللهم بارك لهم في طعامهم وهكذا يفسد اللحم من كثرة الذبائح في موسم الحج استجابة

لدعوة إبراهيم عليه السلام ما يقرب من مليون شاة تذبح أو بدنة فكثير الله لهم اللحم ولذلك ليس على أهل مكة هدي ولا ذبح وحجهم يكون مفرداً أي بدون عمرة وهذا من دعوة أبينا إبراهيم عليه أفضل الصلاة وأزكى وأتم السلام {وَأَتَّقُوا اللَّهَ} أي أطيعوا وخافوا الله تعالى في أوامره وفي المناسك ولا تضيعوها ولا تقصروا في أدائها {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} واعلموا وتيقنوا أن الله تعالى لا يتساهل في الأوامر والفرائض وفي المناسك التي شرعها فهو شديد وقاسي العذاب لمن خالف منكم أو قصر في أداء المناسك وهي فريضة الحج ومناسكها.

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٧٧﴾ ﴾

{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ} أي تجب فريضة الحج في الأشهر الآتية فقط وهي: شوال وذو القعدة وعشرة من ذي الحجة وكل هذه الأشهر هي للإحرام والسفر أما الحج فهو عرفة أي من يوم عرفة ووقوف الجبل كما قال صلى الله عليه وسلم: (الحج عرفة). {فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ} أي من فرضه على نفسه وقام به فعلاً وبدأ به وأحرم {فَلَا رَفَثَ} عدم الجماع أو مقدماته من القبلة أو المعانقة أو التحضين وعدم الكلام به في حضرة النساء ووجودهن ولو بالإشارة {وَلَا فُسُوقَ} الفسوق هو الإعلان بالذنب أي لا مشاتمة ولا سباب ولا غلط على الغير ولا عمل ذنب ولا قتل الصيد وهو صيد البر ولو بالإشارة عليه لمن يريد صيده وكذلك اجتناب جميع المعاصي {وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} وهو المناقشة بحدة أو الفوز بالحجة في أمر من الأمور أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا ليس بجidal والجدال يكون بحِدَّةٍ

وغضب وعصبية وهو جدل المخاصمة وهو الاعتراض على الحق والذي يوجد الكره والبغض بين الناس { وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ } أي ما تقدموا لأنفسكم من الصدقات والعبادات والنوافل والتهجد والعبادة وأعمال الخير والبر فالله تعالى يعلمه ويعرفه ويدري به ويثيبكم عليه يوم القيامة بالجنة والحج فرض سنة ست عند الجمهور وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة). [متفق عليه - سبل السلام ج ٢ ص ١٧٨]. { وَتَزَوَّدُوا } أي خذوا معكم أيها المسلمون ما تتزودون به من الطعام والشراب لسفركم وحجكم لأن بعض الناس كان يقول عند خروجه للحج لا نأخذ زاداً معنا فإن الله يطعمنا فأنزل الله: " وَتَزَوَّدُوا " أي خذوا ما يكفيكم من الزاد في سفركم وحجكم وعن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فأنزل الله: " وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ". فهم يتزودون بالدقيق والسويق والكعك وهذا طعام المسافر للدنيا { فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى } فإن أفضل زاد للآخرة هو التقوى والصلاح أي تزودوا للدنيا بالطعام وتزودوا للآخرة بالتقوى والصلاح وأعمال البر والخير { وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَخَافُوا اللَّهَ } أي يا أصحاب العقول السليمة أيها العقلاء والحكماء واتقوا الله ومحارمه وحدوده واتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه يا من لكم عقل سليم عاقل حكيم متفتح ذكي يا أصحاب الضمائر الحية والسليمة.

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَتٍ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّنْ
قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِّنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ
أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} لا إثم ولا حرج عليكم أيها المؤمنون {أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا
مِّن رَّبِّكُمْ} أن تطلبوا باباً من الرزق سواءً بالبيع أو الشراء أو أي نوع من التجارة
الحلال في موسم الحج والإسلام لا يمنع الكسب الحلال أبداً في أي موسم من
العبادة كمن يذهب إلى السوق لشراء حاجاته ووجد الصلاة قد أقيمت في المسجد
فيصلي فرضه وبذلك يكون قد أخذ أجرين أجر صلاة الجماعة التي صلاها وأجر
السعي على العيال وهكذا في الحج أخذ أجرين أجر الحج وأجر المتاجرة والسعي
على العيال لأنه كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية وكان أهل
الجاهلية يرون البيع أو الشراء في موسم الحج للحاج فيه إثم فلا يتَّجروا ولما جاء
الإسلام وسأل المسلمون عن التجارة في موسم الحج نزل التحليل للمسلمين بهذه
الآية: " لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ " {فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ
عَرَفَتٍ} فإذا وقفتم بعرفات وهو اليوم التاسع من ذي الحجة ووقته من بعد صلاة
الظهرين جماعة الظهر والعصر بأذان واحد وإقامتين وبدون صلاة سنة بينهما صلاة

قصر ركعتين ركعتين بمسجد نمرة أولاً يصلوا الظهر ثم بعده العصر صلاة جمع وقصر للظهر والعصر مع بعض بمسجد نمرة وهو ليس من عرفه بل على حدودها ولا يدخلون إلى الموقف بعرفات إلا بعد صلاة الصلاتين وأن السنة أن يخطب الإمام قبل صلاة العصرين وهي إحدى الأربع خطب المسنونة والثانية يوم السابع من ذي الحجة يخطب عند الكعبة بعد صلاة الظهر والثالثة يوم النحر والرابعة خطبة يوم النفر الأول وهو اليوم الثاني من أيام التشريق ثم بعد صلاة العصرين قصراً وجمع تقديم يأتوا إلى الموقف على جبل عرفات حتى تغيب الشمس وقبل أن يأتوا إلى عرفات عليهم في اليوم الثامن وهو قبل يوم عرفه بيوم واحد ويسمى يوم التروية أن يتجه المحرم إلى منى ويبيت بها كما فعل صلى الله عليه وسلم وصلى بها الصلوات الخمس ولا يخرج إلا بعد طلوع الشمس من يوم عرفه ثم يأتوا مسجد نمرة ويصلوا صلاة العصرين جمع تقديم وقصر ويدخلوا بعدها إلى عرفه وسمي جبل عرفه قال علي بن أبي طالب بعث الله جبريل عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام فحج به حتى أتى عرفه قال له: عرفت وكان قد أتاه مرة قبل ذلك فذلك سميت عرفه وقيل بعد نزول حواء وآدم من الجنة نزل آدم بسرنديب في الهند ونزلت حواء بجدة وبعده تقابلا على عرفات وتعرفا وسميت عرفه وكلاهما صحيح الأول في عصر آدم والثاني تجديداً في عهد إبراهيم عليه السلام ولإسلام وتأكيده بأن اسم هذا الجبل هو جبل عرفه أو عرفات وفرض في الحج الوقوف به ومن السنة أن يقف عند الصخرات المفروشات في أسفل جبل الرحمة وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفات كما وقف صلى الله عليه وسلم وكان راكباً على ناقته حتى غابت الشمس والفرض في الحج أن يقف على عرفات ولو لحظة بليل أما من يدفع قبل غروب الشمس كما كانت الجاهلية تفعل يدفعوا من عرفات قبل غروب الشمس والشمس كالعمامة أو كالعمامة على رؤوس الجبال خالفهم صلى الله عليه وسلم

وقال: ادفعوا بعد غروب الشمس أي كالصوم لا يفطر المسلمون إلا بعد غروب الشمس وهكذا الحجاج لا يدفعون إلا بعد غروب الشمس فمن دفع قبل غروب الشمس لزمه دم أو أعاد حجه فيما بعد وعليه أن من تأخر من الحجاج ولم يصل إلا بالليل فحجه صحيح لأن الحج هو الوقوف بليل بعرفة ولو لحظة حتى طلوع الفجر كما روى الإمام أحمد وأهل السنن بإسناد صحيح عن الثوري عن بكير عن عطاء عن عبد الرحمن بن معمر الديلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الحج عرفات) ثلاثاً فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك. [ابن كثير ج ١ ص ٢٤٠]. وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي رحمهم الله وقال ابن جريج عن محمد بن قيس عن المسور بن مخرمة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفات فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد [وكان إذا خطب خطبة قال أما بعد] فإن هذا اليوم الحج الأكبر ألا وإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون في هذا اليوم قبل أن تغيب الشمس إذا كانت الشمس في رؤوس الجبال كأنهم عمائم الرجال في وجوهها وإنما ندفع بعد أن تغيب الشمس مخالفاً هدينا هدي أهل الشرك). [هكذا رواه ابن مردويه - ابن كثير ج ١ ص ٢٤١]. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة حدثنا سعيد بن عبد العزيز حدثني سليمان ابن موسى عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل عرفات موقف وادفعوا عن عرفة وكل مزدلفة موقف وادفعوا عن بطن محسر وكل فجاج منى منحر وكل أيام التشريق ذبح). [ابن كثير ج ١ ص ٢٤٢]. فإذا أفضتم من عرفات أي الدفع بعد غروب شمس يوم عرفة وليس قبله وإلا وجب عليه دم ويذهبوا إلى المزدلفة ويصلوا بها المغرب والعشاء جمع تأخير بأذان واحد وإقامتين ولا يُصلوا نافلة بينهما كما فعل صلى الله عليه وسلم واضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر

بها بأذان وإقامة {فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ} وقد ركب صلى الله عليه وسلم ثم أتى المشعر الحرام وهو جبل معروف في المزدلفة يقال له قُزَح بضم القاف وفتح الزاي وحاء مهملة فاستقبل القبلة فدعا وكبر وهلل فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً أي النهار فدفع قبل أن تطلع الشمس حتى أتى بطن محسر فحرك قليلاً أي أسرع بناقته لأن أصحاب الفيل حسروا فيه ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى وهي غير الطريق التي ذهب فيها إلى عرفات حتى أتى الجمرة الكبرى التي عند الشجرة وهي حد لمنى وليست منها [والجمرة] اسم لمجتمع الحصي سميت بذلك لاجتماع الناس يقال أجمر بنو فلان فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصة منها وكل حصة مثل حبة الباقلاء ورمى من بطن الوادي ثم انصرف إلى المنحر فنحر {وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ} أي كما علمكم وهو التكبير والتهليل والتسبيح والتقديس والدعاء {وَأِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ} وإن كنتم من قبل نزول القرآن بهذه التعاليم {لَمِنَ الضَّالِّينَ} الضالين عن الحق ولم تعلموه وكنتم تعلمون خلاف السنة والمطلوب كما كان أهل الجاهلية يدفعون من عرفات قبل غياب الشمس وكانوا يطوفون بالبيت عرايا الرجال والنساء فأتى الإسلام فعلمهم كيف الحج ومناسكه لأنهم قبل ذلك ضالون تائهون عن الحق والهدى {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} أي بعد رمي الجمرات وهي سبع حصيات يرمي بها الجمرة الكبرى أي يرمي إبليس كما هو معروف ثم بعدها يذهب وينحر كما فعل صلى الله عليه وسلم ثم يحلق شعره أو يقصره مقدار الأنملة للرجال من أصل الشعر أو يحلقوا رؤوسهم أما النساء فعليهم التقصير فقط وليس الحلق ثم ركب صلى الله عليه وسلم فأفاض إلى البيت أي ليطوفوا طواف الإفاضة حتى يحل لهم التحلل من الإحرام ويحل كل شيء حتى النساء أما من حلق أو قصر فيحل له كل

شيء ما عدا النساء أما إذا ذهب للبيت وطاف طواف الإفاضة وهو سبعة أشواط يطوف بالكعبة بدون اضطباع أي بدون أن يكون لابساً للإحرام ويلبس في طوافه ما يشاء من الثياب وبدون ترميل أي بدون هز الأكتاف والإسراع في المشي ، والإحرام هو أن يكون عقب صلاة فرض أو نفل ويغتسل ويلبس الإحرام وأن يلبي فور لباسه الإحرام وهو إزار من السرة إلى تحت الركبة ورداء على الصدر والظهر والكتفين وأن يكون إحرامه ليس به مخيط ولا يستر رأسه ولا يلبس قبعة أو عمامة ولا نعلين مخيطين وإلا عليه دم والمرأة إحرامها في وجهها وكفيها أي لا تستر وجهها ولا يديها أي لا تلبس قفازات في يديها وإذا أرادت ستر وجهها أن تضع عيدان حتى لا يلمس الغطاء الوجه وذلك إذا حُشِيَتِ الفتنة وأن التلبية تنتهي برمي آخر حصاة من جمرة العقبة كما رواه البخاري ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه جعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ورمى الجمرة بسبع حصيات وقال: (هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة). [متفق عليه - سبل السلام ج ٢ ص ٢١٠].

{وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ} أي توبوا من ذنوبكم بالاستغفار {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} الله تعالى غفور ويغفر لمن تاب وأناب وندم ورجع إليه رحيم به يدخله الجنة. وسيد الاستغفار: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) من قالها في ليلته فمات دخل الجنة ومن قالها في يومه فمات دخل الجنة. [رواه البخاري - ابن كثير ج ١ ص ٢٤٣]. {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَسِكَكُمْ} فإذا انتهيتم أيها المؤمنون من شعائر الحج كلها وانتهى الحج {فَاذْكُرُوا اللَّهَ} أي ردوا اسم الله وأسمائه الحسنی التسعة والتسعين {كَذِكْرِكُمْ ءِآبَاءَكُمْ} كما يتفكر الرجل والديه ويحن إليهما ويرغب في ملاقاتهما

والاجتماع بهما بعد حجه وسفره الطويل اذكروا الله كذلك ذكراً كثيراً مثل ذكركم آباءكم {أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} أو أكثر لأنه كما تختم الصلاة بالتسبيح ثلاثاً وثلاثين الله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتكملة المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير من قالها غفرت ذنوبه وإن كانت مثل ورق الشجر فكذلك في فريضة الحج اذكروا الله كثيراً وكما قال تعالى عن صلاة الجمعة: "فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" وهكذا فريضة الحج يعقبها ذكر الله تعالى كثيراً حتى يفوزوا برضوان الله تعالى وبالجنة {فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا} الكفار من الناس من يطلب من الله تعالى الدنيا فقط {وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ} وليس له في الآخرة وفي يوم القيامة {مِنْ خَلْقٍ} من نصيب ولا حظ حتى ولا شيء وحتى ولا ثوب خَلِقَ بِالِ وَالخلاق أي كالثوب الخلق البالي لا شيء فيه ولا ينفع بشيء وهكذا من يطلب الدنيا وزينتها وملذاتها وشهواتها ويترك الآخرة بدون أن يعمل لها ليس له في الآخرة من نصيب ولا حسنة ولا ثواب ولا عمل يؤجر عليه أو يثاب عليه {وَمِنْهُمْ} ومن الناس وهم المؤمنون {مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً} من يقول ربنا أعطنا في الدنيا حسنةً وخيراً كالزوجة والأولاد الصالحين والمال الحلال {وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً} وفي الآخرة الجنة {وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} واحفظنا وأبعد عنا عذاب نار جهنم {أُولَئِكَ} هؤلاء {لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا} لهم ثواب وحظ مما اكتسبوا من الأعمال الصالحة والطاعات والعبادات في مرضاة الله تعالى {وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} والله سريع الانتقام من الكفار وسريع الجزاء والثواب للمؤمنين فيدخلهم الجنة.

﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَآتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾

{وَأَذْكُرُوا اللَّهَ} وهي التكبير والتحميد وهو أن يقول مرة واحدة: [الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد] وله أن يزيد: [الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده صدق عبده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون] ويسن الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأزواجه وذريته. [الفقه على المذاهب الأربعة ص ١٩١، ١٩٠].

{فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ} وهي أيام التشريق والأيام المعلومات أيام العشر من ذي الحجة وعند الإمام أبي حنيفة قالوا تكبير التشريق واجب على المقيم بالمصر إذا صلى المكتوبة في جماعة مستحبة فلا يجب على المسافر ولا على المقيم بالقرى ولا عقب صلاة النافلة ولا على المنفرد ولا على من صلى المكتوبة في جماعة غير مستحبة كجماعة النساء فلا يجب عليهن التكبير عقب الصلوات ولو صلين جماعة وإذا اقتدت المرأة بالرجال فإنه يجب عليها أن تكبر ولكنها تسر به ويبتدئ وقته عقب صلاة الصبح من يوم عرفة وينتهي عقب صلاة العصر من آخر أيام التشريق وهو اليوم الرابع من أيام العيد وأيام التشريق هي الأيام الثلاثة التي تلي يوم العيد ولفظه هو أن يقول مرة واحدة: [الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد]. [مذهب الإمام أبي حنيفة الفقه على المذاهب الأربعة ص ١٩٠].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا موسى بن علي عن أبيه قال سمعت عقبه ابن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب وذكر الله). [ابن كثير ج ١

ص ٢٤٤]. {فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ} وهو المبيت في منى يرمي الجمار ثاني أيام العيد وثالث يوم العيد بسبع حصيات ويرمي الجمار الثالث كل واحدة سبع حصيات يبدأ برمي الجمرة الأولى وهي التي تلي مسجد الخيف ثم بالجمرة الوسطى ثم بجمرة العقبة ويسن أن يقف بعد رمي كل جمرة لمدة ثلاث ساعة تقريباً ثم يواصل الرمي وذلك بعد زوال كل يوم حتى غروب الشمس ويكره الرمي بالليل إلى الفجر وقبل الزوال أي قبل أذان الظهر لا يجزئ وإن تعجل الرمي في يومين عليه أن يغادر منى قبل غروب الشمس وإذا غربت عليه وجب عليه المبيت لليوم الثالث {فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} لا ذنب ولا وزر ولا إثم على من تعجل المبيت في منى في رمي الجمار وغادر بعد اليوم الثاني للرمي أي ثالث يوم العيد على شرط قبل غروب الشمس وإذا غربت عليه الشمس فعليه المبيت وليس عليه إثم ولا وزر ولا ذنب كذلك ولكنه من شعائر الحج {وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} ومن تأخر كذلك لا إثم ولا ذنب عليه ولا وزر ولكن عليه رجم الجمار الثلاثة بعد الزوال ثم يرحل من منى {لِمَنْ أَتَقَى} ما دام يتقي الله ويعبده ويطيعه في أوامره واجتناب نواهيه {وَاتَّقُوا اللَّهَ} أطيعوه وعبدوه وخافوه واخشوه فلا تعودوا للمظالم بعد حركم حيث رجعتكم كما ولدتكم أمهاتكم لا ذنب عليكم {وَأَعْلَمُوا} وتحققوا واعلموا وتأكدوا {أَنْكُمْ} أيها الناس جميعاً {إِلَيْهِ} إلى الله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {تُحْشَرُونَ} يوم القيامة تحشرون في المحشر وتقفون للحساب والجزاء والثواب والعقاب.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا تُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۖ فَحَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ } ومن الناس هم المنافقون من يعجبك ويبهرك قوله وتصغي له وهو يتحدث عن نفسه { فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } عن أعماله الدنيوية وأعماله الطيبة { وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ } ويقسم ويشهد الله عليه بأنه ذو صلاح وورع وتقوى وأنه قلبه طيب وأبيض مثل الحليب { وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ } وهو أشد الخصام لله تعالى وللطاعة وللعبادة وهذه هي صفة المنافقين يظهرن لك الصلاح والتقوى وحب الدين وحب الناس وحب التعاون ومساعدة الناس وأي مشروع للخير فهو مستعد فيه بعمل الخير وأنهم أهل معروف وفي الحقيقة هم أفاعي وثعابين وعقارب وأهل بغي وحسد وظلم وفساد وقيل أنها نزلت في الأحنس بن شريق الثقفي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهر الإسلام وفي باطنه الكفر والشرك والفجور والعصيان وهي للمنافقين عامة { وَإِذَا تَوَلَّىٰ } وإذا ذهب عنك وابتعد ولم تره واختفى عنك { سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ } مشى في الأرض { لِيُفْسِدَ فِيهَا } يفسد بين الناس بالغيبة والنميمة والفساد ومعاداة جماعة على جماعة رغبة في الانتقام وحسداً منه { وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ } أي بالزنا يزني { وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ } ولا يحب فساد الكون بعد عمارته ولا فساد الناس بأن يكونوا أولاد زنا ويكون المولود ليس لوالده الأصلي بل يكون ابن زنا وهو لا يعلمه ويربويه وينفق عليه وهو ليس بولده بل ولد أب آخر من الزنا وهذا لا يحبه الله ولا رسوله ولا يرضاه { وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ } وإذا أحد

نصحه بأن يرجع عن طغيانه وفسقه وفساده ومعصيته {أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ} ثار وهاج وماج وتشنج وقال أنا حر ليس أحد مسئولاً عني أي أخذته عزة وجاهلية وكبر ولا يريد أن ينصحه أحد أو يغير من سلوكه ويرشده للطريق الصحيح والسليم ولم يقبل النصح على ترك الإثم والذنب والمعصية بتعنت وكبرياء وغرور وصلف وعناد وشدة وحدة ويصر على تكرار ارتكاب الذنب والمعصية ولا أحد له حق في نصحه أو إرشاده أو منعه أو رده أو زجره {فَحَسْبُهُ} فيكفيه {جَهَنَّمُ} فمصيره جهنم تعذبه بنارها ولهيبها وعذابها {وَلَيْسَ} وساء وقبح {الْمِهَادُ} المصير والمرجع والمآل والنهاية والفراش أي بنس ما ينتظره وساء وقبح ما ينتظره يوم القيامة.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ أُبْتِغَاءً مَّرَضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ

لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٨﴾ فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٩﴾

{وَمِنَ النَّاسِ} بعض الناس من أهل التقوى والورع والصلاح {مَن يَشْرِي

نَفْسَهُ} من يشتري نفسه بالجنة أي يبيعهها بالجهاد في سبيل الله {أُبْتِغَاءً} طلباً

{مَّرَضَاتِ اللَّهِ} في رضا الله تعالى عليه بأن يسخر نفسه طائعاً في طاعة الله تعالى

وفي سبيل الحق والعدل وفي الجهاد في سبيل الله وفي الأعمال الصالحة وأعمال البر

والخير والتقى والصلاح {وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} والله رؤوف ورحيم وشفوق وعطوف

على من باعوا أنفسهم في طاعة الله تعالى وفي مرضاته فهو يدخلهم الجنة يوم

القيامة على طاعتهم لله تعالى ، وهذه الآية نزلت في صهيب بن سنان الرومي كما

قال ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدي وعكرمة أنه لما أسلم صهيب بمكة وأراد الهجرة منعه كفار قريش أن يهاجر بماله فأعطاهم ماله وهاجر فأنزل الله فيه هذه الآية فتلقيه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرة فقالوا له ربح البيع فقال وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم وما ذاك؟ فأخبروه أن الله تعالى أنزل فيه هذه الآية ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (ربح البيع صهيب). [ابن كثير ج ١ ص ٢٤٧]. {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً} ادخلوا في الإسلام جميعاً أي لا تتركوه فهو سلم وأمان لكم في الدنيا من المعاصي وسلم وأمان لكم في الآخرة من عذاب النار وقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١٤]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ١٨٨]. وفي الصحيح: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١١]. وقال أبو داود: حدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن زيد ابن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١٤]. {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} أي لا تقتربوا من المعاصي والذنوب واجتنبوا كل ما يؤدي إلى المعاصي والذنوب فكل ذنب أوله محاولة أو تجربة ، ولذلك منع صلى الله عليه وسلم النساء من التطيب والتزين عند الخروج للصلاة لأن أول خطوة من خطى

الشیطان هي النظرة ثم الخطوة الثانية الابتسامة ثم الثالثة موعد والأخيرة اللقاء ويقع المحذور وأصل الفتنة هي تزين النساء وعري بعض أجسامهم ثم تقع الفتنة والفاحشة ولذلك أمر الله تعالى بالحجاب للنساء. والشبهات كذلك من خطوات الشيطان وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وأهوى النعمان بأصبعيه إلى أذنيه: (إن الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ١٧١]. {إِنَّهُ لَكُمْ} الشيطان لكم أيها المؤمنون {عَدُوٌّ مُّبِينٌ} عدو عظيم شديد واضح العدا والخصومة والبغضاء حيث لم يسجد لأبيكم آدم من قبل ووسوس إليه بالأكل من الشجرة وطرد آدم من الجنة فعداوته معلومة وواضحة وبينة وعظيمة {فَإِنْ زَلَلْتُمْ} فإن عصيتم وانحرفتم عن تعاليم الإسلام {مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ} من بعد نزول القرآن عليكم بآياته الواضحات البينات والمفسرات والموضحات والشارحات للأحكام والأوامر والنواهي {فَاعْلَمُوا} تحققوا واعلموا وتأكدوا {أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} قوي منيع في ملكه وسلطانه وأوامره ونواهيه {حَكِيمٌ} وحكيم في شرعه وأوامره ونواهيه.

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ﴿١١﴾

{هَلْ} هل سؤال استنكاري وتقريع {يَنْظُرُونَ} أي ينتظرون الكفار وأهل الشرك والعصاة من الناس {إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ} إلا أن يأتيهم حكم الله وأمره وقضاؤه وعقابه وعذابه يوم القيامة {فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ} أي يأتيهم الغيم الكثيف يستر حر الشمس عن عباده الصالحين والمتقين والعابدين والطائعين والمؤمنين المخلصين حتى يقضي الله بين الخلائق في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة {وَالْمَلَائِكَةُ} تأتي ملائكة السماء لتحيط بالناس يوم القيامة ، وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة في صعيد واحد الجن والإنس والبهائم والسيباع والطيور وجميع الخلق فتنشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من الجن والإنس ومن جميع الخلق فيحيطون بالجن والإنس وبجميع الخلق ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والإنس وجميع الخلق وهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن جميع الخلق ثم تنشق السماء الثالثة فينزل أهلها وهم أكثر من أهل السماء الثانية والسماء الدنيا ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والإنس وجميع الخلق ثم كذلك كل سماء على ذلك التضعيف حتى تنشق السماء السابعة فينزل أهلها وهم أكثر ممن نزل قبلهم من أهل السموات ومن الجن والإنس ومن جميع الخلق فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم من أهل السموات وبالجن والإنس وجميع الخلق كلهم وينزل ربنا عز وجل في ظلل من الغمام وحوله الكروبيون وهم أكثر من أهل السموات السبع ومن الجن والإنس وجميع الخلق ، لهم قرون كأعقب القنا وهم تحت العرش لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتقديس

لله عز وجل ما بين أخمص قدم أحدهم إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام وما بين كعبه إلى ركبتيه مسيرة خمسمائة عام وما بين ركبته إلى حجزته مسيرة خمسمائة عام وما بين حجزته إلى ترقوته مسيرة خمسمائة عام وما بين ترقوته إلى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وما فوق ذلك مسيرة خمسمائة عام وجهنم محسبه). [ابن كثير ج ٣ ص ٣١٦]. وقال ابن جرير عن عبد الله بن عمرو قال: (يهبط الله عز وجل حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب منها النور والظلمة). [ابن كثير ج ٣ ص ٣١٦]. {وَقُضِيَ الْأَمْرُ} أي قامت القيامة وانتهى الأمر فلا توبة للعصاة والكفار ولا عودة إلى الدنيا من جديد ووقف العباد في المحشر للقضاء والجزاء والثواب والحساب والعقاب {وَالِإِلَهِ اللَّهِ} وإلى الله تعالى يوم القيامة {تُرْجَعُ الْأُمُورُ} يكون الحكم بيده وحده لا شريك له فيدخل من يشاء برحمته الجنة ويدخل من يشاء من عباده النار كلُّ ما خلق له ويسر له فالمؤمنين يدخلهم الجنة برحمته والكفار يدخلهم النار بعذابه وعقابه لكفرهم وشركهم وعصيانهم وعنادهم في متابعة الرسل وعدم تصديقهم بهم.

﴿ سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿٢١١﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

{سَلِّ} اسأل يا محمد يا رسول الله {بَنِي إِسْرَائِيلَ} وهم ذرية يعقوب عليه السلام واسمه إسرائيل و[إسرا] عبد و[ثيل] هو الله أي عبد الله في لغتهم أي اسأل اليهود يا محمد {كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ} كم أرسلنا لهم على يد رسلهم وعلى يد رسولهم موسى عليه السلام كم آية وكم معجزة {بَيِّنَةٍ} واضحة جلية وهي فلق البحر نصفين بعصاه ودخول بني إسرائيل من بينهما على طريق بري يابس ولما لحق بهم فرعون أقفل عليه البحر فأغرق فرعون وجنوده وهم ينظرون ، وآية أخرى عصا موسى تلقف وتبلع حبال السحرة وعصيتهم عن آخرها ثم تعود عصا من جديد عندما يمسك بها موسى عليه الصلاة والسلام ، ومعجزة فلق الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا كل أناس قد علموا مشربهم وموردتهم من العيون ، ومعجزة الغمام يظلمهم وهم في سيناء عندما تاهوا في الأرض وأنزل عليهم المن والسلوى ونجاهم من فرعون وعذابه لهم وكان يستحيي نساءهم ويغتصبهن ويقتل أطفالهم ، ومعجزة إحيائهم بعد طلبهم رؤية الله عياناً فأماتهم الله ثم أحياهم ثانية ولكنهم لم يعتبروا ولم يهتدوا بل عبدوا العجل وقالوا لموسى عندما طلب منهم دخول الأرض المقدسة

في فلسطين قالوا إن فيها قوماً جبارين لن ندخلها ما داموا فيها وقالوا اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون وجعل عليهم الجبل كالظلة ليأخذوا ما في الكتاب من علوم الشريعة في التوراة ويعملوا بها فقالوا سمعنا وعصينا أي بعد كل الآيات والمعجزات والدلالات البينات الواضحات عصوا وكذبوا {وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ} أي ومن يكفر بعد الإيمان والهدى وهي نعمة الإيمان وتبديلها بالكفر والعصيان {مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ} من بعد ما نزل عليهم التوراة ووضح لهم كل شيء وأخبر بني إسرائيل صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة ومن يكفر بعد ذلك به {فَإِنَّ اللَّهَ} فإن الله تعالى جل جلاله {شَدِيدُ الْعِقَابِ} شديد العذاب للكفار على عصيانهم وكفرهم وعنادهم فسيدخلهم نار جهنم ليعاقبهم ويعذبهم يوم القيامة {زَيْنَ} جَمَلٍ وَحُلِيِّ وَزُخْرِفٍ {لِلَّذِينَ كَفَرُوا} للكفار وهم الذين كذبوا ولم يصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا} الدنيا بملذاتها وشهواتها فسوقها ومجونها ونسائها وخمورها وترفها ولعبها ولهوها وفسادها {وَيَسْخَرُونَ} ويستهزئون ويضحكون {مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا} من المؤمنين لتمسكهم بدينهم وعقيدتهم ويطيعون الله تعالى في أوامره ويجتنبوا معاصيه فلا يزنون ولا يشربون الخمر ولا يسرقون ولا يرابون ولا يغشون ولا يرتشون ويتركوا الملذات والشهوات والفسوق والمجون ويطيعون الله تعالى ويخشونه ويخافون عذابه {وَالَّذِينَ اتَّقَوْا} والمتقون والطائعون والخائفون الله ولم يتعدوا حدود الله {فَوْقَهُمْ} أعلى منزلة منهم فهم في الجنة ونعيمها {يَوْمَ الْقِيَمَةِ} عندما تقوم القيامة ويقف الناس للحساب والجزاء والثواب والعقاب والعذاب {وَاللَّهُ يَرْزُقُ} والله يرزق ويمن ويعطي المال والأولاد والجاه {مَنْ يَشَاءُ} لمن يشاء ويريد فهو المعطي وهو المانع وهو

الرازق {بَغَيْرِ حِسَابٍ} بغير منع أو قطع أو نقص أو عدّ فِعْطَاؤُهُ جزيل وكثير {كَانَ
 النَّاسُ} كان الناس من آدم وحواء وأولاده {أُمَّةً وَاحِدَةً} مثل بعض في الخلقة
 والطباع والأعمال والصلاح والتقوى ولكنهم بعد ذلك اختلفوا وعصوا وعبدوا الأوثان
 والأصنام والشيطان {فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ} أرسل الله تعالى الرسل لخلقه ولعباده من
 الناس والأمم {مُبَشِّرِينَ} مبشرين وأولهم شيث ابن آدم بالصحف (مبشرين)
 يبشرون ويطمئنون أن من اتقى الله تعالى وأطاعه وعبده وحده لا شريك له وآمن
 بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر دخل الجنة {وَمُنذِرِينَ} ومحذرين من
 كفر أو أشرك وعصى وأذنب بدخول نار جهنم يوم القيامة {وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ}
 أنزل مع الرسول كتاباً كصحف شيث وإدريس وإبراهيم وموسى وداود وعيسى
 وسيدنا محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام {بِالْحَقِّ} بالحق والصدق والعدل
 والصواب {لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ} ليقضي بحكم الله تعالى بين الناس كما جاء في
 كتاب رسولهم المنزل عليه وعلى قومه {فِي مَا اختلفوا فِيهِ} فيما تخاصموا فيه
 واختلفوا على أمور الدنيا أو الدين أو الآخرة {وَمَا اختلف فِيهِ} وما اختلف وكذب
 ولم يصدق به {إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ} إلا أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى {مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ} من بعد ما وجدوا صفة واسم سيدنا محمد صلى الله عليه
 وسلم في كتبهم كما قال عيسى عليه السلام: " وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ
 أَحْمَدُ " ٦ الصف. {بَغِيًّا بَيْنَهُمْ} حسداً وظلماً وعداوة وحقداً فيما بينهم للرسول
 محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لم يكن من اليهود ولا من النصارى بل جاء من
 العرب من ذرية إسماعيل عليه الصلاة والسلام {فَهَدَى اللَّهُ} فأرشد الله تعالى

بالهدى وباتباعه صلى الله عليه وسلم {الَّذِينَ ءَامَنُوا} وهم المؤمنون الذين صدَّقوا وآمنوا به {لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} لما قال عنه أهل الكتاب كذباً أنه كذاب أشير وقالوا مرةً ساحر ومرةً مجنون {مِنَ الْحَقِّ} من صدق رسالته صلى الله عليه وسلم ومن القرآن أنه من عند الله تعالى. {بِإِذْنِهِ} بأمره وعلمه وهداه وشرح صدورهم للإيمان والإسلام {وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} والله تعالى يهدي من يشاء بإرادته ويهدي من يريد الهدى ويطلب الرشاد كما قال تعالى: " وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ " ١٧ محمد. {إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} إلى طريق عدل في خط مستقيم لا اعوجاج فيه ولا زيغ وهو الإسلام والإيمان بالله تعالى.

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ
الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ ۗ أَلَا
إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

{أَمْ حَسِبْتُمْ} أم هل ظننتم وهل افتكرتم {أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ} أن تدخلوا في الجنة يوم القيامة {وَلَمَّا يَأْتِكُمْ} ولم يأتكم ولم يحصل لكم ولن تصبكم المصائب {مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ} مثلما حدث للذين مروا وسبقوا قبلكم من الأمم السابقة والماضية والغابرة {مَسَّتْهُمُ} أصابتهم وحلت بهم {الْبَأْسَاءُ} الفقر والقحط والضيق {وَالضَّرَّاءُ} الأسقام والأمراض والموت {وَزُلْزِلُوا} وهزت المصائب والفواجع والمآسي والحروب أجسامهم وعقولهم من الخوف الشديد والرعب {حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ} حتى يطلب الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في معركة الأحزاب {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ} والمؤمنون [الصحابه] يطلبون من الله الفرج ويستعجلونه ويقولون

{مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ} أي متى يأتي نصر الله وفرجه يريدون أن يسرع لهم الفرج وقد أَرْعَبُوا وخافوا خوفاً شديداً كما قال تعالى: " إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا {١٠} هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا {١١} " ١١، ١٠ الأحزاب. {الآ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} ألا إن نصر الله وفرجه قريب ولكنه امتحان لكم من الله تعالى ليرى هل تصبرون أم لا وكما جاء في الحديث الصحيح عن خباب بن الأرت قال: قلنا يا رسول الله: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا فقال: (إن من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه ثم قال والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون) ، وقال الله تعالى: " أَلَمْ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ {٢} وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ {٣} " . [ابن كثير ج ١ ص ٢٥١]. وفي حديث أبي رزين: (عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيثه فينظر إليهم قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجهم قريب). [ابن كثير ج ١ ص ٢٥١].

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ^ط قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ^ث وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾

{يَسْأَلُونَكَ} يستفسرون منك يا محمد ويسألونك {مَاذَا يُنْفِقُونَ} أي بأي شيء
يتصدقون {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ} كل خير
تنفقونه وتتصدقون به فهو {فَلِلْوَالِدَيْنِ} أي للأب وللأم {وَالْأَقْرَبِينَ} وهم الأرحام
الخالات والعمات والأعمام وأبناء العم {وَالْيَتَامَىٰ} للأيتام من فقد والديه أو
أحدهما بالموت أي مات كلاهما أو واحد منهما من لم يبلغ الحلم وكان فقيراً
ومحتاجاً للنفقة والصدقة لأنه هناك أيتام ترك لهم والداهم أموالاً طائلة فهؤلاء لا
يحتاجون المال ولا الصدقات بل رعاية حسنة ومعاملة حسنة والرفق بهم فقط
{وَالْمَسْكِينِ} الفقراء المتعفون الذين لا يسألون الناس إحافاً قال البخاري: حدثنا
ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شريك بن أبي نمر أن عطاء بن يسار
وعبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري قالا: سمعنا أبا هريرة يقول: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: (ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان
إنما المسكين الذي يتعفف اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: " لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافاً " .
[ابن كثير ج ١ ص ٣٢٤]. {وَابْنِ السَّبِيلِ} عابر الطريق وهو المسافر الذي انقطعت
صلته بوطنه ولا يستطيع أن يواصل سفره أو يرجع إلى وطنه لفقده ماله أو لاحتياجه
للنفقة والزاد {وَمَا تَفَعَّلُوا} وما تعملوا أو تفعلوا أو تقدموا {مِنْ خَيْرٍ} من الصدقات
وأعمال البر والخير للناس {فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} فإن الله تعالى يعلمه ويحيط به
علمه وسيجازي المتصدق بالثواب في الدنيا والجنة يوم القيامة وقال البخاري:
حدثنا عبد الله بن كثير أخبرنا كثير سمع أبا النصر حدثنا عبد الرحمن ابن عبد

الله ابن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٩]. وثبت في الصحيحين أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص حين عادته مريضاً عام الفتح وفي رواية عام حجة الوداع: (وإنك لم تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة حتى ما تجعل في في امرأتك). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٩].

﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ^ط

وَعَسَىٰ أَن تَحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ^ط وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١١﴾

{كُتِبَ} فرض {عَلَيْكُمْ} أيها المؤمنون {الْقِتَالُ} الجهاد والحرب والقتال {وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ} وهو مكروه لأنفسكم وتبغضه النفوس ولا تحبه فهو شاق على النفس لأن فيه الموت والهلاك {وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا} ولعل أنكم تكرهون الجهاد مثلاً أو أي أمر آخر أو شيء من الأشياء {وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} وهو أفضل لكم ويكون فيه النصر والغنيمة والسلامة والصيت والرفعة أو الشهادة فله الجنة يوم القيامة ويشفع في سبعين من أهل بيته ويدخلهم الجنة بعد أن كانوا من أهل النار {وَعَسَىٰ} ولعل {أَن تَحِبُّوا شَيْئًا} أن تختاروا عدم الجهاد وتحبوا الوداعة والسلامة أو أي أمر آخر تريدهه ويكون هو أكثر محبة وأقرب إلى نفوسكم فإذا كان عدم الجهاد مثلاً {وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ} يكون شراً ووبالاً عليكم لترككم الجهاد وهو الهزيمة والأسر والقتل والذل والعار والانكسار ويغنم العدو أرضكم ودياركم وأوطانكم ويسلب أموالكم وينتهك أعراضكم وحرماتكم ومقدساتكم {وَاللَّهُ يَعْلَمُ} والله تعالى يعلم العاقبة

والمصير والمنقلب والمآل والنهية إذا تقاعستم {وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} وأنتم لا تعلمون المصير وما هو عاقبة ذلك التكاسل والخلود للراحة وعدم الجهاد ففيه استسلام وهلاك وموت وسلب للأرض والمال والعرض.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

{يَسْأَلُونَكَ} يطلبوا منك الاستفسار ويسألونك يا محمد يا رسول الله {عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ} الأشهر الحرم هي أربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وينهى فيها القتال لأنها أشهر تستعد الناس للحج ولذلك حتى يأمن الناس على أنفسهم منع الحرب والقتال في هذه الأشهر {قِتَالٍ فِيهِ} ويسأل الكفار عن الشهر الحرام هل فيه قتال والجواب طبعاً لا ولأن المسلمين قتلوا واحداً من المشركين فهذا سؤال استنكار على عمل المسلمين فأنزل الله تعالى: {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ} أي حرب وقتال وجهاد كبير ولا هوادة فيه رداً على كفركم وعملكم أيها الكفار {وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} ومنع كل من يسلم من المسلمين وتعذيبه حتى يرجع عن الدين الإسلامي {وَكُفْرٌ بِهِ} وكفركم بالله تعالى

{وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} وصد ومنع المسلمين من الطواف بالمسجد الحرام ومن دخوله {وَإِحْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ} وطرد من أسلم من أهله إلى خارج مكة ، والسبب في هجرة المسلمين إلى المدينة المنورة هو تعذيبهم لهم وهذا كله {أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ} أعظم عند الله تعالى {وَالْفِتْنَةُ} والكفر والشرك وإجبار من أسلم على الكفر والشرك فهو {أَكْبَرُ} عند الله وأشد {مِنَ الْقَتْلِ} من القتل والأخذ بالثأر في الأشهر الحرم لأن القتل وجميع الذنوب يغفرها الله تعالى إلا الشرك فلا يغفره لقوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ " ١١٦ النساء. وقال عبد الملك ابن هشام راوي السيرة عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق ابن يسار المدني رحمه الله في كتاب السيرة له أنه قال: (وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش بن رباب الأسدي في رجب مقفله من بدر الأولى وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتاباً وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي كما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحداً وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثم من بني عبد شمس ابن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ومن حلفائهم عبد الله بن جحش وهو أمير القوم وعكاشة بن محصن أحد بني أسد بني خزيمة حليف لهم ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر حليف لهم ومن بني زهرة بن كلاب سعد بن أبي وقاص ومن بني كعب عدي ابن عامر بن ربيعة حليف لهم من غير ابن وائل وواقد بن عبد الله بن عبد مناف ابن عرس بن ثعلبة بن يربوع أحد بني تميم حليف لهم وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف لهم ومن بني الحرث بن فهر سهيل بن بيضاء فلما سار عبد الله ابن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فامضي

حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ترصد بها قريشاً وتعلم لنا من أخبارهم فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال سمعاً وطاعة ثم قال لأصحابه قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضي إلى نخلة أرصد بها قريشاً حتى آتية منهم بخبر وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضى ومضى معه أصحابه لم يتخلف عنه منهم أحد فسلك على الحجاز حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع يقال له نجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة ابن غزوان بغيراً لهما كانا يتعاقبان فتخلفا عليه في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل نخلة فمرت بها عير لقريش تحمل زيتاً وأدماً وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي واسم الحضرمي عبد الله بن عباد أحد الصدف وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان والحكم ابن كيسان مولى هشام بن المغيرة فلما رأهم القوم هابوهم وقد نزلوا قريباً منهم فأشرف لهم عكاشة بن محصن وكان قد حلق رأسه فلما رأوه أمنوا وقالوا عمار لا بأس عليكم منهم وتشاور القوم فيهم وذلك في آخر يوم من رجب فقال القوم والله لئن تركتم القوم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام فتردد القوم وهابوا الإقدام عليهم ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو ابن الحضرمي بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت القوم نوفل بن عبد الله فأعجزهم وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعين والأسيرين حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال ابن إسحاق: وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش أن عبد الله قال لأصحابه إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما غنمنا الخمس وذلك قبل أن يفرض الله الخمس من المغنم فعزل

لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمس العير وقسم سائرهما بين أصحابه قال ابن إسحاق: فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام) فوقف العير والأسيرين وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أسقط في أيدي القوم وظنوا أنهم قد هلكوا وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال فقال من يرد عليه من المسلمين ممن كان بمكة إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان وقالت اليهود تفاءلوا بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمي قتله واقد ابن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمي حضرت الحرب وواقد بن عبد الله وقدت الحرب فجعل الله عليهم ذلك لا لهم فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ". [ابن كثير ج ١ ص ٢٥٤]. {وَلَا يَزَالُونَ} ويستمر الكفار {يُقَاتِلُونَكُمْ} يحاربونكم أيها المؤمنون {حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ} حتى يجعلوكم ترتدون عن دينكم أيها المؤمنون {إِنِ اسْتَبَطَعُوا} إن قدروا على إغوائكم أو صدكم عن الإسلام {وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُم عَن دِينِهِ} من يرتد عن دين الإسلام بعد إيمانه وإسلامه {فَيُمَتَّ وَهُوَ كَافِرٌ} فإذا مات كافراً {فَأُولَئِكَ} فهؤلاء {حَبِطَتْ} خسرت وفشلت {أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا} عملهم ذهب هباءً منثوراً أي ليس لهم حسنة واحدة {وَالْآخِرَةِ} فلا يجدوا في الآخرة أي حسنة أو عمل صالح ينفعهم الله به {وَأُولَئِكَ} وهؤلاء المرتدون عن الإسلام بعد إسلامهم {أَصْحَابُ}

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} سيدخلون نار جهنم ويخلدون فيها وفي عذابها فهم دائمون في جهنم لا يخرجون منها أبداً {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} إن المؤمنين وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا} والذين هاجروا في سبيل الله وتركوا الأوطان والمال والزوجة والأهل والولد {وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} وجاهدوا وحاربوا في سبيل رفعة الدين وشأنه وأن تكون كلمة الله هي العليا وقاتلوا الكفار {أُولَئِكَ} هؤلاء {يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ} يطلبون رضا الله ورحمته ورضوانه حتى يدخلوا الجنة {وَاللَّهُ غَفُورٌ} والله تعالى غفور ويغفر ذنوب من تاب وأناب ورجع إليه واستغفر لذنبه {رَّحِيمٌ} ورحيم بالمؤمنين يدخلهم برحمته الجنة بسبب إيمانهم وطاعتهم لله تعالى وعبادتهم له.

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِحْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾

{يَسْأَلُونَكَ} يسألك يا محمد يا رسول الله الناس {عَنِ الْخَمْرِ} كل ما خامر أو أسكر العقل ، وقال صلى الله عليه وسلم: (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام). [رواه مسلم - الفقه على المذاهب الأربعة ص ١٩]. {وَالْمَيْسِرِ} لعب القمار {قُلْ} فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ} قل لهم يا محمد يا رسول الله فيهما أي الخمر والميسر ذنب وإثم كبير وعظيم {وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ} المنفعة مادية وترفيهية مؤقتة {وَإِثْمُهُمَا}

وذنبهما وضرهما {أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} هو أكبر من المنفعة المؤقتة أي الخسارة أكثر من الربح يعني تركوه فإذا وجد التاجر أن الخسارة في التجارة أكبر من الربح يدعها وهكذا الذنب والإثم والضرر للخمر أكبر من المنفعة أي تركوها. وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب أنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في البقرة "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ" فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في سورة النساء " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى " فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال حي على الصلاة نادى لا يقربن الصلاة سكران فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في المائدة " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ " فدعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ قول الله تعالى: " فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ " قال عمر: انتهينا انتهينا. [وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن إسرائيل عن أبي إسحاق - ابن كثير ج ١ ص ٢٥٥]. وقال صلى الله عليه وسلم: (اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر). [رواه الحاكم - نزهة المجالس ج ٢ ص ٣١]. وأخرج ابن خزيمة وابن حبان مرفوعاً: (ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا تصعد لهم إلى السماء حسنة: العبد الآبق حتى يرجع والسكران حتى يصحو والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى). [سبل السلام ج ٣ ص ١٤١]. وعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح (كان الفتح في رمضان سنة ثمان للهجرة) وهو بمكة قال: (إن الله ورسوله حرم بيع

الخمير والميتة والخنزير والأصنام) فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة تطلى بها السفن وتدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس قال: (لا هو حرام) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: (قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوها ثم باعوه فأكلوا ثمنه). [متفق عليه - سبل السلام ج ٣ ص ٥].

وقال صلى الله عليه وسلم: (من شرب الخمر سقاه الله من حميم جهنم). [رواه البزار] وقال صلى الله عليه وسلم: (مدمن الخمر إذا مات لقي الله كعابد وثن).

{وَدَسَّأْتُمْ نَفْسَكُمْ} يسألك الناس يا محمد يا رسول الله ويطلبون الإجابة ويستفسرون منك {مَاذَا يُنْفِقُونَ} بماذا يتصدقون {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {الْعَفْوُ} قل لهم ما عفي وزاد عن حاجتكم وهي الزيادة والفضل عن حاجة العبد يتصدق بها. وقال ابن جرير: حدثنا علي بن مسلم حدثنا أبو عاصم عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال: قال رجل يا رسول الله عندي دينار قال: (أنفقه على نفسك) قال عندي آخر قال: (أنفقه على أهلك) قال عندي آخر قال: (أنفقه على ولدك) قال عندي آخر قال: (فأنت أبصر). [وقد رواه مسلم في صحيحه - ابن كثير ج ١ ص ٢٥٦]. وأخرج مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل: (ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلاهلك فإن فضل شيء عن أهلك فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا).

[ابن كثير ج ١ ص ٢٥٦]. {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ} وهكذا يبين ويوضح الله تعالى {لَكُمْ} أيها المؤمنون {الْآيَاتِ} الآيات من القرآن في الأحكام الشرعية {لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} لعلكم تهتدون بها وتتفكرون وتتعضون في الدنيا وزخرفها وزوالها والآخرة ونعيمها ودوامها ، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي

حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو أسامة عن الصعق التميمي قال: شهدت الحسن وقرأ هذه الآية من البقرة " لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ " قال: هي والله لمن تفكر فيها ليعلم أن الدنيا دار بلاء ثم دار فناء وليعلم أن الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء. [ابن كثير ج ١ ص ٢٥٦]. {وَيَسْأَلُونَكَ} ويسألك الناس يا محمد يا رسول الله ويستفسروا منك ويستوضحوا {عَنِ الْيَتَامَى} عن الأيتام وهو من مات والداه أو أحدهما كيف معاملتهم {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِصْلَاحُ هُمْ حَيْرٌ} أي إصلاح من شأنهم وتجارتهم وأموالهم وممتلكاتهم أي يديرها لهم بحسن تدبير حتى يصلح من معيشتهم وشأنهم {وَإِنْ تَخَالَطُوهُمْ} وإن تسكونهم معكم في بيوتكم {فَإِخْوَانُكُمْ} فهم كإخوة لكم عاملوهم على هذا الأساس وليس كأغراب {وَاللَّهُ} والله تعالى {يَعْلَمُ} يعلم ويعرف ويدري {الْمُفْسِدَ} الذي يريد فساداً أو ظلماً وأكل أموال اليتامى ظلماً {مِنَ الْمُصْلِحِ} من الرجل الصالح الذي يريد بذلك تحسين معيشة الأيتام ومساعدتهم {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ} ولو أراد الله تعالى {لَأَعْنَتَكُمْ} لضيق عليكم وشق الأمر عليكم في معاملتهم ولكنه سهل عليكم بالمخالطة والأكل من أموالهم بقدر الحاجة وليس استكساباً أو سلباً لأموالهم {إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ} الله تعالى عزيز في ملكه وسلطانه وأوامره قوي منيع الجانب {حَكِيمٌ} يدبر ملكه وخلقه بحكمة وروية وتدبر وهو الحكيم في شرعه وأحكامه وأوامره ونواهيته وأفعاله وأقواله أي يدير شئون كونه بحكمته وعلمه وقدرته وتدبيره بالحكمة والرشاد دون أخطاء.

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ ۚ وَلَا مَؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجَبَتْكُمْ ۚ
 وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أُعْجَبُكُمْ ۚ
 أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ
 لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٠٠﴾

{ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ } أي لا تتزوجوا أيها المؤمنون النساء المشركات بالله
 { حَتَّىٰ يُؤْمِنَ } حتى يدخلن في الإسلام فإن اعتنقن الإسلام يحلون لكم { وَلَا مَؤْمِنَةٌ
 مُّؤْمِنَةٌ } ولزوجة مؤمنة بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً
 ورسولاً ومؤمنة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { خَيْرٌ } أفضل وأحسن لكم
 { مِّنْ مُّشْرِكَةٍ } من امرأة أشركت بالله غيره من الأصنام والأوثان والأنداد والشركاء
 { وَلَا أُعْجَبَتْكُمْ } ولو كانت جميلة وحسنها وجمالها فاتناً فلا تتزوجوها. وهذه
 الآية حرمت الزواج من المشركات قطعياً إلا أن يؤمنوا ويدخلوا في الإسلام { وَلَا
 تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ } ولا تتزوجن معشر النساء أحداً من المشركين { حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا }
 حتى يسلموا ويؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ }
 ولرجل مؤمن لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { خَيْرٌ } خير وأفضل لكم { مِّنْ
 مُّشْرِكٍ } ممن أشرك بالله غيره من الأصنام والأوثان والأنداد والشركاء { وَلَا أُعْجَبُكُمْ }
 ولو أعجبكم جماله وحسنه وفتنكم منظره { أُولَٰئِكَ } المشركون
 { يَدْعُونَ } أعمالهم وأفعالهم تدعو وتذهب { إِلَى النَّارِ } إلى عذاب جهنم يوم
 القيامة { وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ } والله يمنعكم من الزواج من المشركين حتى
 يدخلكم الجنة يوم القيامة { وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ } أي ليغفر الله تعالى لهم ويعفو عنهم

وكل ذلك بإذنه وعدله وأمره {وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ} ويبين الله تعالى ويوضح ويشرح حكمه وشرعه للناس {لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} لعلهم يتعظون به ولعله ينفعهم به أي بالقرآن ويعملوا به.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاءُكُمْ حَرَّتُمْ لَكُمْ فَأْتُوا حَرَّتْكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴿٢٢٣﴾ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَنَشِرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٤﴾﴾

{وَيَسْأَلُونَكَ} ويسألك الناس يا محمد يا رسول الله ويستفتونك ويستفسرون منك يا رسول الله {عَنِ الْمَحِيضِ} عن حيض المرأة وهو العادة الشهرية وهو نزول الدم على المرأة في كل شهر ، وقيل أصله لما أكلت حواء من شجرة الحنطة في الجنة وصار ما صار كسرتها حواء فشكت الشجرة ذلك لربها فقال: وعزتي وجلالي لأدمينها وبناتها إلى يوم القيامة. [نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨]. ولا يجوز أن تصوم أو تصلي أو تقرأ القرآن وهي حائض إلا بعد انقضاء مدة الحيض والنفاس {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هُوَ} أي المحيض [أي دم العادة الشهرية للنساء] {أَذَى} ضرر لمن يجامع زوجته وهي حائض وهو غالباً يصاب بمرض وتشقق في الذكر [أي في القضيب] في حالة جماعه زوجته وهي حائض ، وقد سألني رجل عن تشقق في ذكره فقلت له : لعلك جامعت زوجك وهي حائض فقال : كيف وهي حائض؟ فقلت : عند نزول الدم في العادة الشهرية عليها فقال : وهل هذا يضر؟! قلت : هو مرضك قال : لقد عرضت نفسي على الطبيب ولم يخبرني بذلك ولم يعرف من ماذا تشقق ذكري فقلت له : دعها ولا تجامعها حتى تطهر ، وهذا ما

يؤكد أن دم الحيض فيه أذى وضرر للرجل في ذكره عند الجماع وصدق الله العظيم بقوله " قُلْ هُوَ أَذَى " أي ضرر وهذا سبب المنع في الجماع أو أحد الأسباب {فَاعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ} أي لا تجامعها حتى تطهر {وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ} وهذا تأكيد التأكيد على عدم القرب أي عدم الجماع حتى تطهر الزوجة من الدم وأن تغتسل من أثر الدم بعد طهرها ونظافتها من نزول الدم وانتهاء مدة نزول الدم ، وهناك إذا كانت مدة الدم أقل من عاداتها الشهرية [أي ارتفع الدم قبل المدة المقررة له في العادة الشهرية] فلا يجوز الجماع إلا بعد الغسل ، أما بعد انتهاء المدة المقررة للعادة الشهرية وقد طهرت فإنه يجوز الجماع بدون غسل وهو مذهب الإمام أبي حنيفة وقد حدد الإمام أبو حنيفة أكثر مدة الحيض وهو عشرة أيام عنده تحل امرأته بأن يجامعها بمجرد الانقطاع ولو لم تغتسل. وكان اليهود عندما تحيض المرأة لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فنزلت هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم: (اصنعوا كل شيء إلا النكاح). [ابن كثير ج ١ ص ٢٥٨].

وقالت عائشة: (كان صلى الله عليه وسلم يأمرني فأغسل رأسه وأنا حائض وكان يتكئ في حجري وأنا حائض فيقرأ القرآن). [ابن كثير ج ١ ص ٢٥٩]. ويجوز التمتع بالمرأة وهي حائض ما فوق الإزار ، وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث العلاء عن حزام بن حكيم عن عمه عبد الله بن سعد الأنصاري أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما يحل لي من امرأتي وهي حائض؟ قال: ما فوق الإزار). [ابن كثير ج ١ ص ٢٥٩]. وفي الصحيحين عن ميمونة بنت الحرث الهلالية قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يباشر امرأة من نسائه أمرها فاتزرت وهي حائض). [رواه البخاري - ابن ج ١ ص ٢٥٩]. وحرام شرعاً الجماع للمرأة وهي حائض ، وللإمام أحمد: (أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم جعل في الحائض [كفارة] نصاب دينار فإن أصابها وقد أدبر عنها ولم تغتسل فنصف دينار). وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في الذي يأتي امرأته وهي حائض يتصدق بدينار أو نصف دينار وفي لفظ للنسائي إذا كان دمًا أحمر فدينار وإن كان دمًا أصفر فنصف دينار. [ابن كثير ج ١ ص ٢٥٩]. ودم الحيض هو دم أسود كربه الرائحة ، وتقضي الحائض والنفساء الصوم دون الصلاة لحديث عائشة رضي الله عنها: (كنا يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة). [فقه مراقي الفلاح ص ٦٤]. وقال صلى الله عليه وسلم: (أقل الحيض ثلاثة وأكثره عشرة وأقل ما بين الحيضتين خمسة عشر يوماً). [مراقي الفلاح ص ٦٣]. ويحرم الاستمتاع والجماع بما تحت السرة إلى تحت الركبة في أثناء مدة الحيض أو النفاس ، والنفاس يكون بعد الولادة وهو نزول الدم على المرأة لقوله تعالى " وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ". أما دم الاستحاضة ليس فيه شيء فتصوم المرأة وتصلي وعلامته أنه لا رائحة له [ولكنها تتوضأ لكل فرض] وهو ذات دم نقص عن أقل الحيض أو زاد على أكثره أو أكثر النفاس أو زاد على عاداتها في أقلها والحبلى في فترة حملها وكذلك النزيف وهو المستمر. قال صلى الله عليه وسلم: (المستحاضة تتوضأ لكل صلاة). [رواه سبط ابن الجوزي - مراقي الفلاح ص ٦٥]. {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ} أي إذا ارتفع الدم ولم ينزل واغتسلت المرأة من الحيض وأصبحت طاهرة {فَأَتُوهُنَّ} فجامعوهن {مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ} أي في الفرج وليس في الدبر لأنه محرم. قال أحمد: حدثنا يعقوب حدثنا أبي يحدث عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد أن عبيد الله بن الحسين الوالبي حدثه أن عبد الله الواقفي حدثه عن خزيمة بن ثابت الخطمي حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (استحيوا إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في

أعجازهن). [رواه النسائي وابن ماجه - ابن كثير ج ١ ص ٢٦٢]. وقال أبو عيسى الترمذي والنسائي: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن الضحاك ابن عثمان عن مخرمة بن سليمان عن كريب عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة في الدبر). [ابن كثير ج ١ ص ٢٦٢]. وقال جعفر الفريابي: حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويقول ادخلوا النار مع الداخلين الفاعل والمفعول به والناكح يده وناكح البهيمة وناكح المرأة في دبرها وجامع بين المرأة وابنتها والزاني بحليلة جاره ومؤذي جاره حتى يلعنه). [ابن كثير ج ١ ص ٢٦٣]. وقال محمد بن أبان البلخي: حدثنا وكيع حدثني زمعة بن صالح عن ابن طاوس عن أبيه وعن عمرو بن دينار عن عبد الله بن يزيد بن الهادي قالا: قال عمر بن الخطاب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أدبارهن). [رواه النسائي - ابن كثير ج ١ ص ٢٦٤]. وقال الإمام أحمد: حدثنا غندر ومعاذ بن معاذ قالا: حدثنا شعبة عن عاصم الأحول عن عيسى بن حطان عن مسلم بن سلام عن طلق بن يزيد أو يزيد بن طلق عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في أستاذهن). [ابن كثير ج ١ ص ٢٦٤]. {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَابِينَ} إن الله تعالى يحب التائبين من اللواط {وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} ويحب المتطهرين والمتعافين من الحيض {نِسَاؤُكُمْ} نساؤكم أيها المؤمنون {حَرَّتْ لَكُمْ} أي هن لكم حلال وهن مسخرات لكم للجماع وهو كمن يحرث أرضه كالفلاح فالرجل يحرث زوجته أي يجمعها وهو حلال له {فَاتُوا حَرَثَكُمْ} اتتوا نساءكم

{أَنْ شِئْتُمْ} كيفما شئتم وعلى أي حال وهي قائمة أو قاعدة أو مقبلة أو مدبرة أو على جنبها في الفرج فقط كما قال تعالى: " فَاتَّوَهَّنَ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ " أي في الفرج فقط ولكن على أي صفة أو أي جهة أو أي وضع لا يهم ما دام النكاح والجماع يكون دائما في الفرج ، وكما روى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم: (استحوا فإن الله لا يستحي من الحق لا يحل أن تأتوا النساء في حشوشهن). [ابن كثير ج ١ ص ٢٦٢]. وقد روي من طريق حماد بن أبي حنيفة عن أبيه عن أبي خيثم عن يوسف بن ماهك عن حفصة أم المؤمنين أن امرأة أتتها فقالت: إن زوجي يأتيني مجبية ومستقبلة فكرهته فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (لا بأس إذا كان في صمام واحد). وسبب نزول هذه الآية قالت اليهود: من جامع زوجته من ورائها في الفرج جاء الولد أحول كما قال البخاري: حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن ابن المنكدر قال: سمعت جابراً قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت " نِسَاءُكُمْ حَرَتْ لَكُمْ فَاتَّوَأ حَرَّتْكُمْ أَنْتُمْ شِئْتُمْ ". [رواه مسلم وأبو داود من حديث سفيان الثوري به - ابن كثير ج ١ ص ٢٦٠]. وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مقبلة ومدبره إذا كان ذلك في الفرج). [ابن كثير ج ١ ص ٢٦٠]. وفي حديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده أنه قال: (يا رسول الله نساؤنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: حرثك أنت حرثك أنى شئت غير ألا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت). [رواه أحمد وأهل السنن - ابن كثير ج ١ ص ٢٦٠].

{وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ} أي قدموا الخير لأنفسكم تجدوه عند الله تعالى يوم القيامة وقدموا الصالحات تنفعكم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وقدموا لأنفسكم بالجماع ذرية صالحة تدعو لكم بعد موتكم. وفي صحيح

مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث من ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده أو علم ينتفع به). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٨]. **{وَاتَّقُوا اللَّهَ}** أطيعوه واعبدوه وخافوه واخشوه في حدوده وفي أوامره ونواهيه **{وَأَعْلَمُوا}** واعلموا وتحققوا وتأكدوا **{أَنَّكُمْ}** أيها الناس عموماً **{مُلْتَقُوهُ}** يوم القيامة تبعثون أحياء مرة أخرى من قبوركم للحساب والجزاء والثواب والعقاب والعذاب **{وَدَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}** وبشر المؤمنين الطائعين يا محمد يا رسول الله والملتزمين بأوامره واجتناب نواهيه والواقفين عند حدوده وشرعه لهم الجنة يوم القيامة.

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ ﴾

{وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ} ولا تجعلوا أيها الناس الحلف بالله تعالى دائماً على ألسنتكم ولا تعرضوا الله تعالى للحلف به في كل شيء وفي كل ما هب ودب وفي تبرير وتأكيده ما تقولون **{أَنْ تَبَرُّوا}** أن تؤكّدوا صحة ما تقولون وتبرروا حلفكم وتؤيدوه وتؤكدوه **{وَتَتَّقُوا}** وتمنعوا عنكم بالحلف تكذيب الناس لكم **{وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ}** وتحلفوا بالصلح بين الناس فنهى سبحانه وتعالى عن الحلف في الخير فما بالكم بالشر والكذب **{وَاللَّهُ سَمِيعٌ}** والله تعالى يسمع حلفكم وقسمكم ويمينكم **{عَلِيمٌ}** بصدقكم أو كذبكم فهو يعلم ويعرف ويدري الصادق من الكاذب **{لَا يُؤَاخِذُكُمْ}** لا يحاسبكم **{اللَّهُ}** الله تعالى رب البلاد والعباد ورب

الأرباب ورب الخلق أجمعين {بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ} اللغو هو اللغط والكلام يخرج سهواً وبدون قصد وهو من حلف على عادة بدون قصد اليمين ولكنه خرج سهواً أو فلت منه بدون نية الحلف أو بدون قصد الحلف أو القسم أو اليمين بل خرج منه خطأً منه {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ} ولكن يحاسبكم الله تعالى على حلفكم وعلى يمينكم وقسمكم {بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ} بما أصرت وأكدت قلوبكم وعقدتم عليه اليمين وبما كسبت من حرام وتريد أن تبرر ذلك حتى تنجو بما أخذت أو كسبت أو غشت أو ربحت من حرام كمن يحلف يمين غموس على بضاعته أو تجارته أو سرقة وتؤكد يمينها وقسمها أنها لم تأخذ {وَاللَّهُ غَفُورٌ} والله تعالى يغفر لمن تاب وأناب ورجع وندم عن ذلك وقام بكفارة يمينه وهو إطعام عشرة مساكين وجبتين غداء وعشاء من أوسط الطعام ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصاع من تمر وأمر الناس به ومن لم يجد فنصف صاع من بر). [رواه ابن ماجه]. والصاع يساوي ويعادل اثني كيلو ومئتي جرام ، أو كسوتهم أي العشرة مساكين إن لم يقدر على إطعامهم أو تحرير رقبة مؤمنة ويعتقها أو صوم ثلاثة أيام كفارة له عن قسمه كما قال تعالى: " لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " ٨٩ المائدة. {حَلِيمٌ} فالله تعالى حلِيم على اللغو ولا يؤاخذكم ولا يحاسبكم عليه ولا يغضب عليكم في اللغو وبدون قصد.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾
 وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٩﴾﴾

{لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ} أي من الإيلاء وهو حلف الرجل ألا يجامع زوجته ويخاصمها في المضاجعة نظير عمل قامت به ولم يرض عنه فيحلف عليها {مِن نِّسَائِهِمْ} من زوجاتهم يحلف عليهن بعدم الجماع {تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ} أي على المرأة تصبر مدة الأربعة أشهر وليس لها الحق في المطالبة بالجماع حتى تنتهي مدة قسمه وهي أربعة أشهر على الأكثر {فَإِن فَاءُوا} فإن رجع الحالف عن يمينه وجامعها بعد انقضاء الأربعة أشهر فلا شيء عليه {فَإِنَّ اللَّهَ} فإن الله تعالى {غَفُورٌ} يغفر الذنوب للعباد وعلى العبد أن يقتدي بربه ويغفر لزوجته غلظتها وزلتها حتى يغفر الله تعالى له يوم القيامة كما غفر لزوجته {رَّحِيمٌ} ويرحم المؤمنين الله تعالى يوم القيامة ويدخلهم الجنة وكذلك على المؤمن أن يكون رحيماً لزوجته ولا يعاقبها بالطلاق فلعلها لا تعود لذلك الذنب بعد ذلك. وثبت في الصحيحين عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه شهراً فنزل لتسع وعشرين وقال: (الشهر تسع وعشرون). [ابن كثير ج ١ ص ٢٦٨]. وإن رفض زوجها الرجوع والجماع بعد الأربعة أشهر لها الحق في طلب الطلاق والحاكم أو القاضي يجبره على الجماع أو الطلاق {وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ} وإن أصروا على الطلاق بعد الأربعة أشهر {فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ} لأقوالهم بالطلاق يسمعه ويعرفه {عَلِيمٌ} يعلم بالطلاق ودوافعه وهل هو حق وصواب أم بهتان وظلم وافتراء.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾^ط أَلطَّلِقُ مَرَّتَانِ ۖ فإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ ۖ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ تَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ فَإِنْ خِفْتُمَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾

{وَالْمُطَلَّقَاتُ} التي طلقهن أزواجهن طلقة واحدة {يَتَرَبَّصْنَ} ينتظرن {بِأَنْفُسِهِنَّ} مدة العدة لهن {ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} ثلاثة حيضات متتاليات ثم يطهرن وذلك لمعرفة هل هن حوامل أم لا {وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ} ولا يحل للمرأة التي طلقت أن تكتُم الجنين الذي هو في بطنها من زوجها الأول فلا تخفيه ولا تكتمه عن زوجها الأول بسبب طلاقها فهذا حرام شرعاً {إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ} إن آمنت وصدقت بالله تعالى رباً {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} وبيوم القيامة حساباً وجزاءً وثواباً وعقاباً وعذاباً {وَبُعُولَتُهُنَّ} وأزواجهن الذين طلقوهن {أَحَقُّ} لهم الحق والألوية {بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ} بإرجاعهن إلى عصمتهم بسبب ذلك الحمل {إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا} إن أرادوا العشرة الحسنة والعيش في هدوء وسلام وأمان ورضا واطمئنان وذلك قبل الطلقة الثالثة {وَهُنَّ} ولهن أي للنساء من الحق والواجبات {مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ} مثلما له حق عليها حق إلى زوجها في العشرة والطاعة وحفظ ماله وعرضه في غيابه ولا تدخل بيته من يكره ولها حق

عليه النفقة والمسكن والمأكل والمشرب والملبس وفي حديث بهز بن حكيم بن معاوية ابن حيدة القشيري عن أبيه عن جده أنه قال: يا رسول الله نساؤنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: (حرثك أنت حرثك أنى شئت غير ألا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت). [رواه أحمد وأهل السنن - ابن كثير ج ١ ص ٢٦٠].

{بِالْمَعْرُوفِ} بالحسنى وبالمتعارف بين الناس عليه من الواجب والاحترام {وَالرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ} وهي القوامة والحكم والأمر والنهي والنصح والتوجيه والحماية والنفقة والسكنى وذلك في حدود طاعة الله تعالى وذلك لدفع الرجال الصداق [المهر] للنساء والنفقة والسكنى لها والطعام والشراب والملبس ولذلك عصمة الطلاق تكون بيد الرجل لأنه أرجح عقلاً وأقوى جسماً وتحملاً {وَاللَّهُ عَزِيزٌ} والله تعالى قوي منيع في ملكه وسلطانه وفي حكمه {حَكِيمٌ} حكيم في شرعه وأحكامه {الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ} الطلاق للزوجة الواحدة مرتان أي ترجع بعدها أما الطلقة الثالثة فلا ترجع إليه إلا إذا تزوجت زوجاً غيره ثم طلقها الثاني بعد الدخول بها فترجع إليه [أي للزوج الأول] {فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ} يمسك زوجته بالمعروف والعيشة الحسنة والطيبة وبدون مشاغبات {أَوْ تَسْرِيحٌ} أو طلاق ويخلي سبيلها {بِإِحْسَانٍ} بإحسان منه وزهد منه بدون تضيق عليها بل يحسن إليها بإخلاء سبيلها بدون تعذيب أو مضايقة أو إزعاج أو تهديد {وَلَا تَحِلُّ} وليس بحلال {لَكُمْ} إليكم أيها المؤمنون {أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا} فإذا كان المطلق هو الرجل فلا يحل له ولا يحق له أخذ شيء من مهرها أو صداقها أو ممتلكاتها أو ملابسها أو ذهبها ومجوهراتها {إِلَّا أَنْ سَخَفَا} إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ} إلا إذا كان الزوج لا يوفي حق المرأة والمرأة لم تقدر أن تعاشر زوجها وتعطيه الحقوق الزوجية في

المعاشرة {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ} فلا حرج عليهما عندها بالقبول بالفداء وخاصة إذا كان على الزوج من الصداق أو المهر المؤجل وكان كبيراً فعند طلاقها يجب أن يدفعه لها ولكن لا بأس عليها بتركه له فداءً لنفسها حتى يتم طلاقها ولا بأس عليه هو أيضاً بالقبول ويطلقها {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} هذا هو شرع الله وهو الذي حدده فلا يجوز أن يطلب الرجل أكثر من الصداق الذي دفعه لها وإلا يكون حراماً وظلماً واعتداءً {فَلَا تَعْتَدُوا} فلا تقربوا هذا الحد ولا تزيدوا ولا تغالوا في طلب الفداء من المرأة حتى تطلقوها {وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ} ومن يزيد عن الشرع ويخالفه {فَأُولَئِكَ} فهؤلاء {هُمُ الظَّالِمُونَ} هم المعتدون والظالمون لأنفسهم بعذاب الله لهم يوم القيامة والظالمون لغيرهم ولمثل هذه المرأة الضعيفة والظلم ظلمات يوم القيامة.

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

{فَإِنْ طَلَّقَهَا} فإن طلق الرجل زوجته المطلقة الثالثة {فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ} فلا تحل له بإرجاعها من بعد المطلقة الثالثة {حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} أي حتى تتزوج غيره من الرجال نكاح رغبة لا نكاح تحليل {فَإِنْ طَلَّقَهَا} فإن طلقها الرجل الثاني لسبب من الأسباب ما عدا التحليل {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا} فلا بأس عليهما وليس عليهما في الزواج جناح ولا ذنب ولا إثم أن يرجعا إلى بعضهما بعد أن تتزوج زوجاً غير زوجها الأول على شرط أن يجامعها ويعاشرها الثاني جماعاً شرعياً. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن

عروة عن عائشة قالت: دخلت امرأة رفاعة القرظي وأنا وأبو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن رفاعة طلقني البتة وأن عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وإنما عنده مثل الهدبة وأخذت من جلبابها وخالد بن سعيد بن العاص بالباب لم يؤذن له فقال أبو بكر ألا تنهي هذه عما تجهر به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زاد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كأنك تريدين الرجوع إلى رفاعة؟ لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك). [ورواه البخاري ومسلم - ابن كثير ج ١ ص ٢٧٨]. وروى الإمام أحمد والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا إن العسيلة الجماع). [ابن كثير ج ١ ص ٢٧٩]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له). [رواه أحمد والنسائي والترمذي - سبل السلاح ج ٣ ص ٢١٧]. وقال الإمام الحافظ خطيب دمشق أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني السعدي: حدثنا ابن أبي مريم حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حنيفة عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نكاح المحلل قال: (لا. إلا نكاح رغبة لا نكاح دلسة ولا استهزاء بكتاب الله ثم يذوق عسيلتها). [ابن كثير ج ١ ص ٢٨٠]. وروى ابن ماجه والحاكم من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فهو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له). [سبل السلام ج ٣ ص ١٢٧]. قال ابن جرير: حدثنا يحيى بن عبيد الله حدثنا القاسم عن عائشة: أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً فتزوجت زوجاً فطلقها قبل أن يمسه فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحل للأول؟ فقال: (لا. حتى يذوق من عسيلتها كما ذاق الأول). [أخرجه

البخاري ومسلم - ابن كثير ج ١ ص ٢٧٨]. {إِنْ ظَنَّا} إن اعتقدا وأيقنا وتأكدا {أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ} ألا يظلم أحدهما الآخر {وَتَلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} وهذه في الشريعة الإسلامية هي حدود الله في الطلاق والرجعة {يُبَيِّنُهَا} يوضحها ويعرفها ويشرحها ويفسرها {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} لقوم يعلمون أن أحكام الله هي الحق والصواب والعدل والصدق ويعلمون حدود الله ولا يتعدوها.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

{وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ} إذا طلقتم النساء أيها المسلمون {فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ} انتهت مدة العدة الثلاثة قروء وهي الثلاثة حيضات ثم يطهرن بعد كل مرة منهن {فَأَمْسِكُوهُنَّ} أرجعوهن ثانية إلى عصمتكم إذا رغبتن بهن وأمسكوهن أي خذوهن لكم زوجات ولا تفرطوا فيهن {بِمَعْرُوفٍ} بعشرة حسنة طيبة كريمة وهو المتعارف عليه بين الناس بين الزوجين السعيدين وهي عيشة طيبة حسنة كريمة ودون مشاجرات ولا مضايقات ولا مشاحنات {أَوْ سَرِّحُوهُنَّ} أو فارقوهن ودعوهن وشأنهن {بِمَعْرُوفٍ} فراق حسن وبدون مشاجرات ولا مضايقات {وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ} ولا تدعوهن مربوطات في عصمتكم ومحجوزات لكم {ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا} نكاية ونكداً ومضايقةً وتعذيباً لهن اعتداءً عليهن حتى لا يتزوجن غيركم وتجعلوهن وقفاً لا هن مطلقات ولا هن متزوجات {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} ومن يعلق زوجته ويحجزها

ويوقفها عن الطلاق وعن الزواج من غيره ولا يرجعها إلى عصمته {فَقَدَّ ظَلَمَ
نَفْسَهُ} لأنه تعدى حدود الله واعتدى عليها فيعذبه الله تعالى يوم القيامة على
ذلك لأنه لم يرحمها ولم يترك رحمة الله تنزل عليها بالزواج من غيره {وَلَا
تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ} ولا تتخذوا ولا تلعبوا بآيات الله وحكمه وشرعه ولا تنتهكوا
الحرام والشرع ولا ترموا بآيات الله عرض الحائط ولم تكثرثوا بها ولم تأخذوا بها
{هُزُؤًا} واتخذتم آيات الله سخريةً بعدم تطبيق الشرع والحكم به فعاقبكم يوم
القيامة على مخالفتكم لحكم الله تعالى وشرعه {وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ} واذكروا وتفكروا فضل الله عليكم بأن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها
وتعيشوا عيشة هادئة مطمئنة ناعمة طيبة جميلة وبعملكم هذا تطردون النعمة
وترفسوها بأرجلكم ولا تحافظوا عليها {وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ} واذكروا أن
الله تعالى أنعم عليكم بالقرآن ووضح لكم فيه حقوقكم وحقوق زوجاتكم عليكم
فاشكروه وأطيعوه ولا تخالفوه ولا تعاندوا ولا تتكبروا فالله أكبر منكم {وَالْحِكْمَةَ} والسنة الشريفة المحمدية الهادية البينة الواضحة المفسرة لكم الحكم الشرعي
فاتبعوها ولا تجعلوها خلف ظهوركم {يَعْظُمُ بِهِ} يعظكم الله وينصحكم لأن
الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فسيدخل الطائعين الجنة
والعاصين إلى النار {وَاتَّقُوا اللَّهَ} أطيعوا الله واعبدوه وخافوه واخشوه {وَأَعْلَمُوا} وتيقنوا واعلموا وافهموا وأدركوا وتبينوا {أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} أن الله تعالى بكل
ما يحدث في الأرض أو في السماء فهو به عليم ويدري ومحيط به ولا يغيب عنه
شيء فهو يعلم بكل شيء وبكل صغيرة وكبيرة فاحذروه واحذروا عذابه يوم القيامة.

﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

{ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ } إذا طلق ولي الأمر الزوجة من زوجها { فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ } وانقضت مدة العدة وهي ثلاثة قروء أي ثلاثة حيضات ثم تطهر في كل مرة بعدهن { فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ } فلا تمنعهن { أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ } أي يرجعن إلى أزواجهن الأوائل { إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ } إذا اتفق الزوج والزوجة على العودة إلى بعضهما ورضوا ببعضهما ورضوا بينهما { بِالْمَعْرُوفِ } بالعيش الكريم والطيب والحسن بمحبة وألفة فلا مانع من الرجوع إلى بعضهما { ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ } وهذا الحكم يوعظ وينصح ويرشد به ولي الأمر للزوجة { مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ } من كان يؤمن بالله رباً وأن حكمه يجب أن ينفذ ولا يلغى { وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } ويؤمن بيوم القيامة وأن الله تعالى سيحاسب فيها المذنب والعاصي والمستبد والمضيع حكم الله وشرعه ويرفضه { ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ } هذا الحكم بإرجاع الزوجة إلى زوجها الأول هو أذكى وأفضل وأحسن { وَأَطْهَرُ } حتى لا تقع المرأة من بعده في الفتنة والمعصية والفاحشة لأنها تحبه وتحب عشرته وما ذلك إلا سحابة صيف عابرة ثم تهدأ بعدها النفوس وترجع إلى بعض ويحب بعضها البعض وتحن إلى بعض { وَاللَّهُ يَعْلَمُ } والله تعالى يعلم الخير أين يكون ويعلم أن المرأة تحن إلى زوجها الأول وهو أول حبها وحنانها وأول بختها وأول مصيرها وأول زواج عرفته { وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } شعور الزوجة إلى زوجها الأول ومحبته في قلبها وحنانها نحوه مهما عمل ومهما يشاغب معها لابد من أوقات مضيئة في حياتهما الزوجية وليالي حبهما وعشقهما الأول ولا تعلمون

هل مع زوجها الثاني هل تدوم العشرة أو تكون الحياة غير سعيدة أو تقع المرأة في فتنة أو معصية أو فاحشة مع زوجها الثاني والله يعلم الحكمة بذلك وأنتم لا تعلمون ما بينهما من محبة وإخلاص وعشق ومودة ، وقد نزلت هذه الآية في معقل ابن يسار أنه زوج أخته رجلاً من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت عنده ثم طلقها تطليقة لم يراجعها حتى انقضت عدتها فأراد إرجاعها فهويها وهويته ثم خطبها مع الخطاب فقال له : (يا لكع ابن لكع أكرمك بها وزوجتكها فطلقتها والله لا ترجع إليك أبداً فأنزل الله تعالى " فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ... إلى آخر الآية ").

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

{ وَالْوَالِدَاتُ } المرأة التي ولدت وليدها وهي الأم { يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ } على رضاعة ابنها المولود { حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ } سنتان كاملتان { لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ } لمن أراد أن يتم الرضاعة للمولود حتى يكبر ويشدد عوده ويصلب قوامه حيث حليب الأم غذاء كامل للطفل الرضيع وهو يبني جسمه وعظمه وعقله { وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ } أي على الأب وهو من ولدته له زوجته وهي شريكته في الطفل { رِزْقُهُنَّ } أي الإنفاق للطعام والشراب للطفل وأمه حيث أمه تريد أن تأكل وتتغذى حتى يأتيها

الحليب لترضع طفلها وهي شبعانة لأن الحليب بغذاء الأم يكثر ويطيب ويغذي ويشبع الطفل {وَكِسْوَتُهُنَّ} أي كسوة طفله وأمه حتى تقوم برعاية ولده {بِالْمَعْرُوفِ} بوسط معيشة الأب وهو المتعارف عليه {لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} لا يكلف والد الطفل إلا على قدر معيشته ووظيفته وعلى قدر رزقه وماله وعلى قدر استطاعته في الإنفاق على ولده وأمه {لَا تُضَارُّ وَالِدَهُ بِوَالِدِهَا} أي يرهقها الأب بأن يمنع عنها النفقة أو يشح عليها نكاية بها ولا تضار بأن يؤخذ منها إذا أرادت رضاعته ولا تضار كذلك إذا أرادت الزواج من غيره فلا تقف رضاعة ابنها حائلاً بين زواجها {وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ} الأب {بِوَالِدِهِ} بطفله أي لا يضار كذلك الأب والزوج من زيادة النفقة والأجرة على الرضاعة بحيث لا يتحملها أو للتضييق عليه حتى تذله {وَعَلَى الْوَارِثِ} والد الأم أو أخيها وهو وليها لا يضار بالنفقة على الطفل لأن والده يمنع النفقة عليه وحيث جده من أمه تعيش الأم عند أبيها فيضطر للإنفاق على ابنته وحفيده ولأن والده مقصر في حق الإنفاق عليه فهذا لا يجوز شرعاً لأن النفقة على والد الطفل وعلى أبيه وليس على جده وخاصة لو كان فقيراً {مِثْلُ ذَلِكَ} أي مثل ذلك لا يحق ضرره بالنفقة على حفيده لأنه جده من أمه {فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا} فإن أرادا فطاماً للطفل {عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا} عن تراض بينهما {وَتَشَاوُرٍ} في أمر منفعة ابنهما {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} فلا إثم عليهما في ذلك {وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ} وإن أردتم رضاعة أولادكم {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} فلا بأس ولا وزر ولا ذنب عليكم في ذلك {إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءَ أَيْتِيمٍ} إذا سلمت الأم الطفل إلى والده {بِالْمَعْرُوفِ} بالحسنى والطيب والتراضي بينهما كأن كانت مريضة أو تريد الزواج أو طلبه الأب ليربيه بمعرفته ووافقت الأم على ذلك

فلا بأس {وَاتَّقُوا اللَّهَ} أطيعوا الله واعبدوه وخافوه واخشوه في شرعه وحكمه وأمره ونهيه {وَأَعْلَمُوا} واعلموا وتيقنوا وتأكدوا {أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} أن الله تعالى بما تعملون أيها الناس بأولادكم وأزواجكم بصير ومطلع ويعلم كل شيء فلا تخفى عليه خافية وسيحاسبكم عليها يوم القيامة.

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٢٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ۖ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۗ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۗ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾

{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ} والذين يموتون {مِنْكُمْ} أيها المؤمنون وأيها المسلمون {وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا} ويتركون زوجاتهم خلفهم أي من ترك زوجته ومات {يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ} ينتظرن أنفسهن مدة الحداد على الزوج المتوفى وهي {أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا} أي تنتظر الزوجة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام وهي عدة الطلاق [ثلاثة قروء] أي ثلاثة أشهر زائد مدة الحداد وهي أربعون يوماً وهذه مدة الحداد على المتوفى عنها زوجها {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ} فإذا انتهت مدة العدة المذكورة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} فلا إثم عليكم أيها المؤمنون {فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ} فيما تفعل المرأة في نفسها {بِالْمَعْرُوفِ} بالزواج الحلال وهو

المعروف وليس بالزنا {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ} والله تعالى بما تعملون وتفعلون أيها الناس من إتمام الشرع والحكم الشرعي ومدة الحداد {حَبِيرٌ} وعليم ويعلم ما تفعلون بها {وَلَا جُنَاحَ} ولا إثم ولا وزر ولا ذنب {عَلَيْكُمْ} أيها المؤمنون أو أيها الأزواج {فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ} فيما نوهتم به عن تلك المرأة واسمها وأنه سيتزوجها وذلك لأهله وأصدقائه فقط أو لأهلها ولمن أحب. [وليس للزوجة] {مِنْ خِطْبَةِ الْبَنَاتِ} من الخطبة والزواج من تلك المرأة على شرط ألا يخبرها نفسها بذلك {أَوْ كُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ} أو ضمرتم في أنفسكم وعقدتم العزم على الزواج فلا إثم في ذلك {عَلِمَ اللَّهُ} علم الله تعالى وهو علام الغيوب {أَنْتُمْ} أيها الرجال {سَتَذَكَّرُوهُنَّ} سَنُنَوِّهُنَّ عنهن وأنهن جميلات وطيبات وهكذا {وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا} ولكن لا تخبر الزوجة ولا توعداها بالزواج منك سرا وخفيا بينك وبينها وأنك ستتزوجها لأنها تكون في حداد شرعا ولا يجوز لها التجميل ولا التزين ولا الكحل ولو لرمد ولا أي شيء فهي في مدة الحداد فما بالك بالخطبة عن نفسها فهذا أشد ويمكن لو قال لها تترك الحداد وتتزين وهذا حرام شرعا {إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا} أي يقول والله نفسي أجد بنت الحلال تشاركني حياة من هذا القبيل ولا يقول لها أنت {وَلَا تَعَزَّمُوا} ولا تصروا أو تقوموا {عُقْدَةَ النِّكَاحِ} بعقد القران {حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ} حتى تتم مدة الحداد الشرعي وهي أربعة أشهر وعشرة أيام كاملة وفي الصحيحين عن أم سلمة أن امرأة قالت: (يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحلها؟ فقال: لا. كل ذلك يقول: لا. مرتين أو ثلاثة ثم قال: إنما هي أربعة أشهر وعشر وقد كانت إحداكن في الجاهلية تمكث سنة). [ابن كثير ج ١ ص ٢٨٥]. أخرج أحمد وأبو داود

والنسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (المتوفى عنها زوجها لا تلبس المعصر [المصبوغ] من الثياب ولا المشقة ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل). [سبل السلام ج ٣ ص ٢٠٠]. وعن أم سلمة قالت: (جعلت على عيني صبراً بعد أن توفي أبو سلمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه يشب الوجه فلا تجعليه إلا بالليل وانزعيه بالنهار ولا تمتشي بالطيب ولا بالحناء فإنه خضاب قلت: بأي شيء أمتش؟ قال بالسدر). [رواه أبو داود والنسائي إسناد حسن - سبل السلام ج ٣ ص ٢٠٢]. وعن أم عطية رضي الله عنها اسمها نسيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تحد امرأة على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً ولا تلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب ولا تكتحل ولا تمس طيباً إلا إذا طهرت نبذة [قطعة] من قصب أو ظفار). [رواه مسلم ولأبي داود زيادة] ولا تختضب [والنسائي] ولا تمتش [أي تغسل رأسها بالصابون - سبل السلام ج ٣ ص ٢٠٠]. وأخرج أبو داود في المراسيل من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: (أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص للمرأة أن تحد على أبيها سبعة أيام وعلى من سواه ثلاثة). [سبل السلام ج ٣ ص ٢٠٠]. {وَأَعْلَمُوا} اعلموا وأيقنوا وتأكدوا أيها الناس جميعاً {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَعْلَمُ} يعلم ويعرف ويدري {مَا فِي أَنْفُسِكُمْ} ما في ضميركم {فَأَحْذَرُوهُ} فخافوه والتزموا شرعه واجتنبوا نواهيه وخافوا عقابه وعذابه {وَأَعْلَمُوا} وتيقنوا واعلموا وأحيطوا أنفسكم علماً وتأكدوا {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى {غَفُورٌ} يغفر لمن عرّض بالخطبة بينه وبين نفسه أو أهله. [وليس للزوجة المتوفى عنها زوجها لأنه حرام شرعاً] {حَلِيمٌ} حلِيمٌ وحكيم في شرعه صيانةً لحرمة الميت جعل هذه العدة أربعة أشهر وعشرة أيام.

﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفَرِّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً
وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣٣) وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً
فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ
تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿٣٣﴾

{لَا جُنَاحَ} لا بأس ولا حرام ولا ذنب ولا إثم ولا وزر {عَلَيْكُمْ} أيها الناس
عموماً {إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ} أي طلق الرجل خطيبته {مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ} ولم
تجامعوهن ولم تدخلوا بهن أي بعد مدة الخطوبة {أَوْ تَفَرِّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً} أو
قبل تحديد المهر أو الصداق فلا مانع من تطبيقها إذا رغب في ذلك وقبل الدخول
بها {وَمَتَّعُوهُنَّ} أي ينفق عليها ويمتعها ويوهبها شيئاً كتعويض لها {عَلَى
الْمَوْسِعِ} على الغني {قَدَرُهُ} على قدر استطاعته {وَعَلَى الْمُقْتَرِ} وعلى الفقير
{قَدَرُهُ} على قدر استطاعته {مَتَّعًا} نفقة {بِالْمَعْرُوفِ} عن طيب خاطر
{حَقًّا} واجباً {عَلَى الْمُحْسِنِينَ} المحسنين أعمالهم وطاعتهم لله تعالى وعلى أهل
الكرم والجود {وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ} وإن طلق الرجل خطيبته {مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَمْسُوهُنَّ} قبل الدخول بها وقبل الجماع {وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً} وقد حددتم
المهر أو الصداق وهو فرض على المسلم أن يدفع المهر أو الصداق لمن يريد أن يعقد
قرانه بها {فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ} أي لها نصف الصداق {إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ} إلا إذا
عفا ولي المرأة وتنازل وسامح في الصداق الذي أخذوه أو عفت الخطيبة وتركت

نصف صداقها وسامحت به {أَوْ يَعْفُوا} أو يسامح ويتنازل {الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ
الزَّوْجِ} الزوج وهو الذي بيده عقدة النكاح والطلاق إذا عفا وتنازل وسامح عن
الصداق الذي قدمه فلا شيء في ذلك {وَأَنْ تَعْفُوا} وإن تسامح الزوجة {أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى} أقرب وأفضل للتقوى والصلاح وأحسن في الدين {وَلَا تَنسُوا} ولا
تتناسوا ولا تتركوا {الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ} الاحترام والمعروف بينكم {إِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى} بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ بما تفعلون أيها الناس بصير ومطلع على من يعمل
الخير ومن يسامح ومن يشاح ومن يعفو ويتنازل.

﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ

فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ إِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا

تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

{حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ} حافظوا أيها المؤمنون على الصلوات الخمس في الليل
والنهار وهي صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء لأن أول شيء يسأل عنه
ابن آدم يوم القيامة هو الصلاة فإن كانت تامة دخل الجنة وتجاوز الله عما بعدها
وإن كانت غير ذلك دخل النار وهي من الأركان الخمس في الإسلام وكما قال
تعالى: " إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا " وفي الصحيحين عن أنس
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من نام عن صلاة أو نسيها
فكفارتها أن يصلّيها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك). [ابن كثير ج ٣ ص ١٤٤].
والصلوات الخمس هي مجملة في هذه الآية الكريمة ، قال تعالى: " أَقِمِ الصَّلَاةَ
لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا " ٧٨
الإسراء. [دلوك الشمس أي صلاة الظهر أي بعد الزوال] وقال ابن مسعود رضي الله

عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله أي العمل أحب إلى الله؟ قال: (الصلاة على أول وقتها) قلت: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين) قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله). [أخرجاه في الصحيحين - ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٩]. وقال صلى الله عليه وسلم: (استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٣٩]. وروى البخاري عن طريق معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: (فرضت الصلاة أول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر). وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أول الوقت رضوان الله ووسط الوقت رحمة الله وآخر الوقت عفو الله). [نزهة المجالس ج ١ ص ٩٢]. وقال صلى الله عليه وسلم: (من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل). [نزهة المجالس ج ١ ص ٩٦]. {وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى} هي صلاة العصر قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مسلم عن شتير ابن شكل عن علي قال: قال صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: (شغلونا عن الصلاة الوسطى [صلاة العصر] ملاً الله قلوبهم وبيوتهم ناراً ثم صلاها بين العشاءين المغرب والعشاء). [وكذا رواه مسلم والنسائي - ابن كثير ج ١ ص ٢٩٦]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن عاصم عن زر قال: قلت لعبيدة سل علياً عن الصلاة الوسطى فسأله فقال: (كنا نراها الفجر أو الصبح حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الأحزاب: شغلونا عن الصلاة الوسطى [صلاة العصر] ملاً الله قبورهم وأجوافهم أو بيوتهم ناراً). [ابن كثير ج ١ ص ٢٩١]. {وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينًا} وقوموا إلى صلاتكم لله تعالى طائعين داعين {فَإِنْ خِفْتُمْ} فإن خفتم في الحرب أو الجهاد في أثناء مقابلة

الأعداء {فَرَجَالًا} صلوا واقفين {أَوْ رُكْبَانًا} صلوا وأنتم راكبين أي لمن هو راكب على دابته {فَإِذَا أَمِنْتُمْ} فإذا اطمأننتم بعد الحرب وانتهى الخوف أو الجهاد {فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم} صلوا كما كنتم وكما تعلمون وكما علمكم الله تعالى على يد رسوله صلى الله عليه وسلم صلاة عادية وهي من تعاليم الله تعالى لكم {مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} ولم تعلموا قبل ذلك كيف الصلاة. والصلاة في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتان وفي الخوف ركعة واحدة مع الإمام ويصلي قسم من المسلمين مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعد الجلوس ينصرف القسم الذي صلى ركعة ثم يأتي من لم يصل ويكملوا صلاة ركعة واحدة مع النبي صلى الله عليه وسلم ويسلموا معه ويكون هو قد صلى ركعتين أما المسلمون فكل قسم صلى خلفه ركعة واحدة من القسمين أو الفريقين الذين معه.

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٥﴾ وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَعُ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤٦﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٧﴾ ﴾

{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ} والذين يموتون {مِنْكُمْ} منكم أيها الرجال المؤمنون {وَيَذَرُونَ} ويتركون خلفهم {أَزْوَاجًا} نساءً وزوجات {وَصِيَّةً} توصية من الله تعالى وحق وواجب {لِأَزْوَاجِهِمْ} لزوجاتهم من بعد ممات الأزواج {مَتَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ} أن تمتنع الزوجة بعدم إخراجها من بيتها أي من بيت الزوجية لمدة عام كامل أي لا يطردها أهل المتوفى إطلاقاً فهو حق لها شرعي في البقاء في بيت زوجها {فَإِنْ خَرَجْنَ} فإن الزوجات خرجن وتركن بيت الزوجية

من أنفسهن وبخاطرهن {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} فلا بأس عليكم ولا ذنب عليكم ولا وزر. ولا ذنب عليكم إذا خرجن من خاطرهن وبدون إكراه {فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ} فيما فعلن بشأن أنفسهن من خروج {مِنْ مَعْرُوفٍ} من المعروف وهو الخروج يجب ألا يكون في معصية أو بدون فتنة أو لارتكاب فاحشة {وَاللَّهُ عَزِيزٌ} قوي منيع الجانب لمن خالف {حَكِيمٌ} حكيم في شرعه وحكمه {وَاللَّمُطَّلَقَاتِ} وكذلك للزوجات المطلقات {مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ} أي تمتع المرأة بالمعروف والمتعارف عليه من النفقة على الزوجة طيلة مدة العدة حتى تنتهي عدتها {حَقًّا} فرضاً {عَلَى الْمُتَّقِينَ} على المؤمنين الطائعين العابدين الخائفين والخاصين الله وعذابه {كَذَلِكَ} وهكذا {يُبَيِّنُ اللَّهُ} يوضح الله {لَكُمْ} لكم أيها المؤمنون {ءَايَاتِهِ} حكمه وبيانه وأوامره {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} لعلكم تعقلون هذا الحكم وتعملوا به وتأخذوا به.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾

{أَلَمْ تَرَ} ألم تنظر العبرة يا محمد يا رسول الله {إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} إلى الذين خرجوا من ديارهم وأوطانهم ومسكنهم {وَهُمْ أُلُوفٌ} وكان عددهم أربعة آلاف شخص {حَذَرَ الْمَوْتِ} خوفاً من الموت. وقد خرج هؤلاء القوم وهم من قرية يقال لها ذاوردان وقيل أهل أذرعات وهم في زمان بني إسرائيل خرجوا فراراً من الطاعون وقالوا نأتي أرضاً ليس بها الموت فنزلوا وادياً أفيح فملؤوا ما بين عدوتيه

فأرسل الله تعالى إليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادي والآخر من أعلاه فصاحا بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم موة رجل واحد فحيزوا إلى حظائر وبني عليهم جدران وفنوا وتمزقوا وتفرقوا فلما كان بعد دهر مر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له حزقييل فسأل الله أن يحييهم على يديه فأحياهم. وهذا دليل على عدم الفرار من القضاء والقدر. وروى الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى أخبرنا مالك وعبد الرزاق أخبرنا معمر كلاهما عن الزهري عن عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس: أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة ابن الجراح وأصحابه فأخبروه بالبواء قد وقع بالشام فذكر الحديث فجاءه عبد الرحمن ابن عوف وكان متغيباً لبعض حاجته فقال إن عندي من هذا علماً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه) فحمد الله عمر ثم انصرف. [أخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به - ابن كثير ج ١ ص ٢٩٨]. {فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا} أماتهم الله تعالى {ثُمَّ أَحْيَاهُمْ} ثم نفخ فيهم الروح من جديد وأحياهم على يد حزقييل عليه السلام {إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ} إن الله تعالى لذو فضل ورحمة ونعمة واسعة {عَلَى النَّاسِ} بأن أحياهم بعد موتهم {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} ولكن أكثر وأغلب الناس لا يشكرون الله تعالى على نعمه وفضله عليهم لأنهم كافرون أو جاحدون.

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

{ وَقَاتِلُوا } وحاربوا وجاهدوا أيها المؤمنون { فِي سَبِيلِ اللَّهِ } في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى وفي الحق وفي إرجاع الأرض المغتصبة أو لرد العدو عن أرضكم { وَعَلِمُوا } واعلموا وتأكدوا وأيقنوا وافهموا { أَنَّ اللَّهَ } أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { سَمِيعٌ } يسمع لمن لبي النداء للجهاد { عَلِيمٌ } عليم بمن جاهد في سبيل الله تعالى ، أو تقاعس أو ولى من الزحف وفر وهرب ، أو قاتل بإيمان وصبر وجلد وقوة وشجاعة.

﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَعًا كَثِيرًا وَاللَّهُ يَقْبِضُ

وَيَبْضُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

{ مَن ذَا الَّذِي } من هو الذي { يُقْرِضُ اللَّهَ } يتبرع ويتصدق طاعة لله تعالى وفي سبيل الله تعالى { قَرْضًا حَسَنًا } قرضاً طيباً لا يريد به إلا وجه الله تعالى وإرضاء لله تعالى وإعلاء كلمة الله تعالى ، ليس بفخر ولا رياء في صدقته وتبرعه { فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَعًا كَثِيرًا } يضاعف الله تعالى له الثواب إلى سبعمائة ضعف وزيادة على قدر نيته وعمله لمن يشاء { وَاللَّهُ يَقْبِضُ } والله يمنع الغنى عن الناس ويفقرهم { وَيَبْضُطُ } ويغنيهم ويزيدهم من المال والغنى { وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } وإليه المصير وترجعون إلى الله تعالى يوم القيامة للحساب والجزاء والعقاب والعذاب والثواب.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ أَبَعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾

{ أَلَمْ تَرَ } ألم تنظريا محمد يا رسول الله { إِلَى الْمَلَأِ } إلى القوم { مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ } من ذرية يعقوب عليه الصلاة والسلام وهو اسمه إسرائيل وتعني كلمة [إسرا] أي عبد و[ئيل] أي الله أي عبد الله في لغتهم وهم اليهود { مِنْ بَعْدِ مُوسَى } من بعد موت موسى عليه الصلاة والسلام { إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ } إذ قالوا لنبيهم واسمه [شمويل]. ذلك أنه لما استبد الضلال والفساد من بني إسرائيل سلط الله تعالى عليهم أعداءهم فقتلوا منهم عدداً كبيراً وأسروا آخرين وأخذوا منهم أرضهم وديارهم وممتلكاتهم والتابوت الذي كان يأتي بالنصر إذا كان فيهم وكذلك أخذوا التوراة منهم ولم تبق من ذرية النبوة إلا امرأة مات عنها زوجها وكانت حبلى فدعت الله أن يرزقها ابناً فولدت نبي الله شمویل ولما كبر دعاهم إلى عبادة الله وتوحيده فطلبوا منه أن يدعو الله ليرسل لهم ملكاً يرد الله به ملكهم { أَبَعَثْ لَنَا مَلِكًا } ادعُ الله تعالى أن يرسل لنا ملكاً نسترد به الأرض والديار { نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } نحارب معه لرد الممتلكات التي سلبت والديار التي أخذت { قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ } قال لهم هل لو فرض عليكم القتال والجهاد { أَلَّا تُقَاتِلُوا } لا تقاتلون الأعداء { قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } قالوا له لماذا لا نقاتل الأعداء ونقاتل في سبيل الله ونجاهد { وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا } وقد

طردنا من ديارنا وسُلبت أرضنا {وَأَبْنَيْنَا} وكذلك تركنا خلفنا أبناءنا أسرى لدى العدو {فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ} فلما فرض عليهم القتال {تَوَلَّوْا} أعرضوا ورفضوا القتال {إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ} إلا عدداً قليلاً منهم جاهدوا وحاربوا في سبيل الله {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} والله تعالى عليم وخبير ويعلم الظالمين لأنفسهم. وظلمهم لأنفسهم هو بأن جعلوا مصيرهم عذاب الله تعالى في نار جهنم يوم القيامة لفرارهم من الجهاد والحرب.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

{وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ} شمويل عليه الصلاة والسلام {إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ} وقال لهم رسولهم شمويل [شمعون] عليه الصلاة والسلام لقد استجاب الله دعائي بإرسال ملك لكم اسمه {طَالُوتَ مَلِكًا} اسمه طالوت وجعله ملكاً عليكم {قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا} قالوا أي اليهود لنبيهم شمويل عليه الصلاة والسلام رافضين تمليكه عليهم قالوا كيف يكون له الملك علينا {وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ} ونحن لنا أحقية الملك والسيادة. فكيف وهم الذين طلبوا أن يدعو لهم نبي الله ورسوله شمويل بأن يجعل الله لهم ملكاً ثم غدروا وأنكروا ورفضوا تمليكه عليهم وهو منهم فكيف لما جاءهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن منهم وهو

من العرب فكيف يقبلوا به رسولاً قاتلهم الله {وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ} أي لم يكن غنياً وكان فقيراً. وهكذا ظن اليهود أن المال هو الأهم في كل شأن حتى لو انتُهِك العرض عندهم لا يهم فالمهم هو المال ولذلك يحصلوا على المال بأي طريقة بالنساء وبالربا وكل أنواع الغش والخداع {قَالَ} قال لهم نبيهم ورسولهم شمويل عليه الصلاة والسلام رداً عليهم {إِنَّ اللَّهَ} قال لهم الله تعالى جل جلاله وعلا شأنه وعظم قدره هو الذي {أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ} اختاره عليكم. ولكنهم كعادتهم لليهود لا يقبلون من أحد وصايةً أو اختياراً حتى لو كان ذلك من عند الله تعالى ، ولذلك كذبوا رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولو أن الله تعالى هو الذي بعثه فلا يهم ذلك عندهم بل المهم أن يكون منهم ومن أعلاهم نسباً وأغناهم مالاً وحسباً {وَزَادَهُ} زاده وأعطاه وزوده الله تعالى {بَسْطَةً} درجة كبيرة {فِي الْعِلْمِ} في العلم والمعرفة وشئون الحياة والآخرة وهكذا يجب أن يكون الملك ذا خبرة وعلم ومعرفة وخاصة بأمور الدين لأنها مطلوبة للدنيا وتسيير شئونها والآخرة وما يلزمها ويعين عليها ولذلك كانت الخلافة الإسلامية بعد النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وهم أقطاب أهل العلم في الدين. حتى كان خلفاء الدولة الإسلامية يطلبون العلماء ومجالستهم وطلب العلم منهم وما يصعب عليهم كانوا يطلبون الفتوى منهم فيه وكانوا يهبون العلماء ويجلونهم ويقدرونهم ويأخذون بنصائحهم حتى كان بعض الخلفاء يبكي من نصيحة العالم أو الولي عند نصحه لهم {وَأَلْجَسَمِ} أي عنده قوة في جسده وعقله. وكان علي ابن أبي طالب رضي الله عنه كان يقول عندما يشتد الوطيس [أي الحرب]: كنا نحتمي خلف النبي محمد صلى الله عليه وسلم. {وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ}

والله تعالى يعطي ملكه وَيُنصَّبُ وَيُؤمَّرُ من يشاء ملكاً على عباده {وَاللَّهُ وَاسِعٌ} والله واسع وكبير ومتسع علمه {عَلِيمٌ} عليم ويعلم ويعرف خلقه ومن يستطيع منهم أن يقودهم إلى بر الأمان {وَقَالَ لَهُمْ} وقال لليهود {نَبِيَّهُمْ} نبيهم ورسولهم شمويل عليه الصلاة والسلام {إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ} أي الدلالة والبينة والإشارة والبرهان على ملكه وتمليكه عليكم هو {أَنْ يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ} أن يأتي إليكم التابوت قادماً من عند الأعداء {فِيهِ سَكِينَةٌ} فيه سكينه واطمئنان {مِنْ رَبِّكُمْ} من الله تعالى لكم {وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى} وفيه أي في التابوت عصا موسى عليه الصلاة والسلام {وَأَالُ هَارُونَ} وعصا هارون والتوراة {تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ} أي تحمله الملائكة وهو التابوت بين السماء والأرض ويطير في السماء حتى وضعته الملائكة بين يدي طالوت فأمنوا عندها بنبوة شمويل الذي هو شمعون وهذه معجزة إلى شمويل نبي الله ورسوله {إِنَّ فِي ذَلِكَ} في ذلك التابوت الذي يطير بين السماء والأرض وتحمله الملائكة ويقع بين يدي شمويل [شمعون] عليه السلام {لَايَةً لَّكُمْ} معجزة لكم على رسالة سيدنا شمويل [شمعون] عليه الصلاة والسلام {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} إن كنتم مصدقين ومؤمنين بالله تعالى وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾

{فَلَمَّا فَصَلَ} فلما خرج للحرب {طَالُوتُ} الملك طالوت {بِالْجُنُودِ} بجيشه وعساكره وبالأجناد {قَالَ} قال لهم الملك طالوت واعظاً ومرشداً وناصحاً جيشه {إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ} إن الله تعالى سيمتحنكم بنهر الأردن وهو على الحدود ما بين الأردن وفلسطين {فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ} فمن شرب من هذا النهر وهو نهر الأردن {فَلَيْسَ مِنِّي} أي لن يسير معي ولن يتبعني ولن يقاتل معي {وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ} ومن لم يشربه أي لم يشرب من النهر إطلاقاً {فَإِنَّهُ مِنِّي} أي من جنودي وسيسير معي ويقاتل الأعداء معي {إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ} إلا استثناء من أخذ بيده جرعة ماء واحدة وشربها. وهذا هو العلم الذي زاده الله لطالوت بقوله " وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ ". وهذا من العلم الذي أعطاه الله تعالى له كما أعطي يوسف عليه السلام من قبل حين أخبر ملك مصر عن تأويل رؤياه أن يدعه في سنبله بالنسبة لخزين الحبوب حتى لا تُسوّس ولا يلحقها ضرر. وهكذا العلم لجميع المسافرين وخاصة أهل الحرب والقتال أن من وجد ماءً أي ماءً كان أو لو كان معه الماء فلا يشرب كثيراً وهو مسافر وإلا تُثقل عن المشي وتعب وأصابه ضررٌ من شرب الماء الكثير في السفر. ولذلك دائماً يُنصح الذي يجري أن لا يشرب ماءً فوراً بل يستريح ثم يشرب وإلا أصابه ضرر من شرب الماء على التعب. وهذه

هي الحكمة في نصح الملك طالوت لجنده بعدم الشرب إلا جرعة واحدة ولا يزيد وإلا الهلاك والمرض لمن يشرب. وهذه الحكمة والتجربة يعلمها أهل الصحراء وسكان القرى وأهل السفر يعلمونها بالتجربة وهي حقيقة مجربة مراراً في السفر. وليس كما يظن البعض أن النهر هذا هو المقصود بعينه بعدم الشرب منه. لا. بل كل ماء لا يشربه المسافر بكثرة ولهذا كان البدو وأهل الصحراء يببل شفتيه فقط في سفره وخاصة الراجلون أي الذين يمشون على أقدامهم. أما المسافر في الطائرة فهذا يشرب على قدر ما يشاء لأنه جالس ولم يمش ولم يتعب ولم يُرهق. وأما المسافر على رجليه فهو المقصود بعدم الشرب الكثير في سفره حرصاً على صحته وخوفاً من مرضه. { فَشَرِبُوا مِنْهُ } فشرب الجنود بكثرة ولم يكثرثوا لنصيحة ملكهم طالوت { إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ } إلا القلة القليلة الباقية { فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ } فلما تعدها طالوت بالجنود قليلي العدد والذين لم يشربوا من هذا النهر وهم الذين آمنوا معه وهم الذين صدقوه وأخذوا بنصحه لأن الله تعالى زاده بسطة في العلم. { قَالُوا } قال كل من شرب الماء من النهر ولم يكثرث لنصيحة الملك طالوت { لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ } أي لشديد تعبهم وعدم القدرة على مواصلة السفر وانهارت قواهم الجسدية وتعبت أجسامهم بشربهم الماء من نهر الأردن قالوا: لا قدرة لنا في هذا اليوم بمحاربة جالوت وجنده وعسكره وجيشه حيث هم مرتاحون ونحن قد أجهدنا السفر والشرب من الماء { قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ } قال المؤمنون منهم وهم الذين يعتقدون اعتقاداً جازماً وصحيحاً { أَنَّهُمْ مُّلقُواْ لِلّهِ } أي أن مرجعهم لله تعالى يوم القيامة وسيثيبهم على الجهاد والقتال { كَم مِّن فِئَةٍ } كم من مجموعة { قَلِيلَةٍ } صغيرة تنازل العدو وتجاهده وتحاربه

{ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ } غلبت جيشاً عرمرماً جراراً يفوقهم عدداً وعدةً وانتصرت عليه { بِإِذْنِ اللَّهِ } بأمر الله تعالى وتوفيقه ومؤازرته ونصره { وَاللَّهُ } والله تعالى { مَعَ } مع الصَّابِرِينَ { مع الصابرين والمجالدين للعدو معهم بالتأييد والنصرة كما نصر الله تعالى أهل بدر الكبرى أهل الإيمان مع النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على المشركين كفار قريش وكان الكفار يزيدون الضعف على المسلمين عدداً وعدةً ، ونصر الله تعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجنده ، وقال صلى الله عليه وسلم للمسلمين في معركة بدر: (والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة). [ابن هشام ج ٢ ص ٤٢٠].

﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾

وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ

بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾

{ وَلَمَّا بَرَزُوا } ولما اصطف طالوت وجنوده { لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ } للحرب والمبارزة فيما بينهم { قَالُوا } قال طالوت وجنوده { رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا } أنزل علينا وأعطنا الصبر والجلد والتحمل على منازلة العدو لأنهم كانوا قليلين. كان عددهم حوالي ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً كأصحاب بدر. { وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا } قوِّ عزائمنا وثبتنا في ملاقاته العدو ولا تجعلنا نولي الأدبار ولا نجبن ولا نهرب { وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } ونسألك النصر والغلبة على هؤلاء القوم الكافرين بك والذين

لم يؤمنوا ولم يصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا باليوم الآخر {فَهَزَمُوهُمْ} فانتهصر طالوت وجنده على جالوت وجنده {بِإِذْنِ اللَّهِ} بأمر الله تعالى وتأييده ونصره ومؤازرته وعونه لهم {وَوَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ} وقتل داود عليه الصلاة والسلام جالوت في المعركة {وَوَاءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ} وكان الملك طالوت قد وعد من يقتل جالوت في المعركة سيزوجه ابنته وسيشاطره ملكه ، فلما قتل داود جالوت زوجه ابنته وأعطاه الملك من بعده وأصبح داود عليه الصلاة والسلام ملكاً لبني إسرائيل {وَأَلْحِكْمَةَ} والنبوة والرسالة {وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ} علمه الله تعالى الزُّبُور وعلمه القضاء وعلمه كلام الطير وتسبيح الجبال وعلمه صنع الدروع وألان له الحديد وما أراد الله تعالى له أن يتعلم {وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ} ولولا أمر الله تعالى بالجهاد {النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ} ومحاربة ومقاتلة بعضهم البعض للذود عن أعراضهم وممتلكاتهم {لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ} لصار الذي يتولى الحكم ويقهر العباد يبقى على إفساده للناس والأعراض والممتلكات والاعتصاب ، ومن استولى على دولة ثانية يبقى مسيطراً عليها ومستعمرها إلى الأبد {وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} ولكن الفضل يرجع لله تعالى حيث أمر بالجهاد والحرب لتحرير الأرض المغتصبة والدفاع عن الأوطان والأموال والأعراض وعن الحق ورجوع الحق إلى أهله وانتشار العدل والمساواة والمؤاخاة بين الناس.

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾
 ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ
 وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ
 مِنْ بَعْدِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ
 كَفَرَ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾

{ تِلْكَ } هذه { آيَاتُ اللَّهِ } هي كلام الله من آيات القرآن الكريم { تَتْلُوهَا عَلَيْكَ }
 نقرأها عليك يا محمد يا رسول الله أي يقرأها عليك جبريل عليه السلام { بِالْحَقِّ }
 بالصدق والحق والصواب ولا شك فيها { وَإِنَّكَ } وإنك يا محمد يا رسول الله { لَمِنَ
 الْمُرْسَلِينَ } أنت من الرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى أقوامهم وأنت رسول الله
 حقاً وعدلاً وصدقاً وصواباً لا شك في ذلك { تِلْكَ الرُّسُلُ } هؤلاء الرسل الذين أرسلوا
 إلى أممهم وأقوامهم { فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ } تفضل كل نبي على غيره بشيء
 من المعجزات والفضائل { مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ } مباشرة كمثل موسى عليه الصلاة
 والسلام وهو من أولي العزم { وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ } رفع النبي محمد صلى الله
 عليه وسلم بالشفاعة العظمى يوم القيامة وبليلة الإسراء والمعراج عندما وصل درجة
 من القرب قاب قوسين أو أدنى وأعطاه القرآن الكريم محفوظاً لم يتغير ولم يتبدل
 إلى يوم القيامة لقوله تعالى: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " ٩ الحجر.
 وغفر له ذنبه ما تقدم وما تأخر { وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ } وأعطى الله تعالى
 عيسى ابن مريم عليه السلام { الْبَيِّنَاتِ } المعجزات الواضحات من إحياء الموتى
 بإذن الله وشفاء الأكمه [الأعمى] والأبرص بإذن الله { وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ }

وأيده الله تعالى بجبريل عليه الصلاة والسلام يكون دائماً معه في الميلاد وفي الرسالة وفي جميع شئونه يلزمه ويعينه وينزل له بالإنجيل وهو كتاب عيسى عليه الصلاة والسلام ويعلمه له {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ} لو أراد الله تعالى {مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ} لما اقتتلت الأمم اللاحقة من بعد رسلهم {مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ} من بعد ما أنزلت عليهم الكتب السماوية والتعليمات على يد رسلهم {وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوا} ولكنهم اختلفوا وتفرقوا فيما بينهم {فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ} فمنهم من اتبع الكتاب وآمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر واتبع المرسلين في تعاليمهم {وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ} ومنهم قسم آخر كفر وكذب ولم يصدق بالله ولا برسله ولا بكتبه ولا بالملائكة ولا باليوم الآخر {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ} ولو أراد الله {مَا أَقْتَلُوا} ما تقتلوا وتحاربوا فيما بينهم {وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} ولكن الله تعالى خيرهم وأعطاهم العقل وهداهم النجدين فكل سلك طريقاً إما الإيمان وإلى الجنة وإما الكفر وإلى النار ولكنه أقام العباد فيما أراد حتى يعمر الكون وحضر لهم الجنة والنار يوم القيامة وتركهم للامتحان والحساب يوم القيامة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَعَةً ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {أَنْفِقُوا} تصدقوا واعملوا الخير {مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ} من الأموال ومن العلم إلى الناس والنصيحة لهم {مِّن قَبْلِ} قبل {أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ} يوم القيامة وهو يوم {لَا بَيْعَ فِيهِ} لا بيع ولا شراء ولا تجارة {وَلَا خُلَّةٌ} ولا صداقة تنفع حيث " يَغْرِ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ " ٣٤- ٣٧ عبس. {وَلَا شَفَعَةً} لقوله تعالى: " مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ " ولا أحد يستطيع أن يشفع له يوم القيامة وكما قال تعالى: " لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا " {وَالْكَافِرُونَ} والكفار هم الذين كفروا ولم يصدقوا وكذبوا بالله تعالى وبرسله وكتبه واليوم الآخر {هُمُ الظَّالِمُونَ} هم المعتدون والباغون وهم ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك وسيدخلون نار جهنم خالدين فيها.

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

{الله} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا إِلَهَ} لا إله من الآلهة ولا رب ولا معبود سواه {إِلَّا هُوَ} إلا هو الله تعالى وحده لا شريك له {الْحَيُّ} الحي الذي لا يموت {الْقَيُّومُ} دائم القيام على خلقه بالرزق وبالموت والحياة وعلى ملكه بالدوام في السموات والأرض وهو القائم على تصريف شئونها ووالقائم بكل ما يتعلق بها وهو القائم على كل نفس بما كسبت {لَا تَأْخُذُهُ} لا تنتابه ولا يتسلط عليه ولا يأتيه {سِنَّةٌ} السهو والقليل من الميلان ولا الوسن ولا النعاس أبداً {وَلَا نَوْمٌ} ولا نوم وهو الاستغراق في النوم بحيث لا يعلم ما يدور من حوله ولا ما يحدث له وهو الموتة الصغرى ويُعرف بها لأنه موت الحواس والإدراك أي لا يدري ما يحيط به في نومه. وفي الصحيح عن ابن موسى قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات فقال: (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط [العدل] ويرفعه يُرْفَعُ إليه عمل النهار قبل عمل الليل وعمل الليل قبل عمل النهار حجاب النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه). [ابن كثير ج ١ ص ٣٠٨]. وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر أخبرني الحكم ابن أبان عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله " لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ " : أن موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام الله عز وجل؟ فأوحى الله تعالى إلى الملائكة وأمرهم أن يورقوه ثلاثاً فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكهما ثم

تركوه وحذروه أن يكسرهما قال فجعل ينعس وهما في يده في كل يد واحدة قال فجعل ينعس وبينه وينعس حتى نعس نعسة فضرب إحداها بالأخرى فكسرهما قال معمر إنما هو مثل ضربه الله عز وجل يقول فكذلك السموات والأرض في يده. [ابن كثير ج ١ ص ٣٠٨]. {لَهُ} لله تعالى له {مَا فِي السَّمَوَاتِ} كل ما في السموات من شمس وقمر ونجوم وكواكب وملائكة {وَمَا فِي الْأَرْضِ} وكل ما في الأرض من رياح وبحار وأنهار وأشجار وجبال ووديان وبراري وقفار وإنس وجان وحيوان وطير وحيثان وكل شيء فهو مُلك لله تعالى وهو الخالق له والمبدع {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ} من يستطيع الشفاعة عند الله تعالى يوم القيامة {إِلَّا بِإِذْنِهِ} إلا بأمره وإرادته وكما قال تعالى: "لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا" ٣٨ النبأ {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} يعلم ويعرف ويدري الله تعالى ما في الدنيا ويعلم أعمالهم فيها كلها إن كانت خيراً أو شراً {وَمَا خَلْفَهُمْ} ويعلم بآخرتهم وما مصيرهم فيها هل إلى الجنة أم إلى النار {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ} ولا يدرون ولا يعرفون ولا يعلمون بأي شيء من علمه الدنيوي والأخروي إلا بما شاء. فأما الدنيوي فهو لم يعرف الناس في الأزمان الماضية الطائفة ولا السيارة ولا التلفاز ولا المذياع ولا الهاتف ولا الثلجة ولا الصاروخ ولا الذرة ولا الكهرباء ولا الأقمار الصناعية ولا غزو الفضاء حتى شاء الله وأعلمهم بها ، وكذلك لم يعلموا شيئاً عن يوم القيامة ولا عن الجنة ولا عن النار حتى شاء وأخبرهم بها في القرآن الكريم وعلى يد رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك علم الرؤيا وما يحدث كما أخبر عن عزيز مصر ورأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وكذلك رؤيا يوسف عليه السلام وإخوته بقوله: " إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ " ٤ يوسف. وكذلك رؤيا النبي سيدنا محمد صلى الله عليه

وسلم " لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا " ٢٧ الفتح. وما يكشف الله تعالى لعباده المؤمنين ولأولياءه عن بعض المغيبات التي علمها الله تعالى لهم وكشفها لهم وقد نادى عمر بن الخطاب على قائد جنده سارية بنهاوند بفارس قائلاً ثلاث مرات: [يا سارية الجبل] وأشياء لا تحصى وهذا ما شاء الله تعالى به لعباده المؤمنين وكرامة لأوليائه الصالحين {إِلَّا بِمَا شَاءَ} إلا بما أراد وهذا العلم كله بما شاء الله تعالى له أن يُعرف كالكهرباء والذرة والطيران والصواريخ والوصول إلى القمر والأجهزة الحديثة وعلم الأجنة في بطون أمهاتهم وأشعة الليزر وكذلك بعض الغيبيات لأولياءه ما أراد الله تعالى له أن يَعْرِفَ {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ} اتسع كرسيه ووسع. ولقد خلق الله تعالى الكرسي ويروى أن الكرسي من لؤلؤة لا يعلم طولها إلا الله تعالى وأن العرش خُلق قبل الكرسي بألفي عام {السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} أي وسع كرسيه لكبره وعظمه واتساعه السموات السبع والأرضين السبع وكلهم داخل الكرسي الذي خلقه الله تعالى بعلمه وقدرته. فالسموات والأرض في الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة [صحراء واسعة] والكرسي في العرش كحلقة ملقاة في فلاة لصغره بالنسبة للعرش وفي الحديث: قال صلى الله عليه وسلم: (ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة والكرسي في العرش المجيد كتلك الحلقة في تلك الفلاة). [ابن كثير ج ٣ ص ٢٥٣]. {وَلَا يُعْوَدُهُ} أي لا يتعبه ولا يرهقه ولا يشق عليه ولا يثقل عليه {حِفْظُهُمَا} حمايتهما وحفظهما من الزوال أي السموات والأرض فهو يحفظهما أن تزولا إلا بإذنه وقدرته وهو يحفظ السموات وما فيهن أن تقع على الأرض ويحفظ الأرض من الزوال وما فيها حتى يأتي أمره بقيام القيامة ومجيء الآخرة {وَهُوَ} وهو الله تعالى

جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْعَلِيُّ} العلي في كونه والعالى فوق خلقه والعالى في تدبيره وفي قدرته والعالى القدر والجاه والسلطان {الْعَظِيمُ} فهو العظيم والكبير والعظيم الشأن والبرهان والسلطان والعظيم الجاه والقوة والقدرة والإرادة في التكوين والتدبير والموت والحياة. وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال سبع مرات: [أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك] إلا شفاه الله من ذلك المرض). [حديث صحيح - نزهة المجالس ص ١١٧].

وهذه الآية سُميت بآية الكرسي وعُرفت بها ومن فوائدها: - جاء في الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ليلة المعراج لوحاً تحت العرش من درة ولوحاً من ياقوت في إحداهما فاتحة الكتاب والآخر فيه جميع القرآن فقلت: ما ثواب من قرأ فاتحة الكتاب؟ قال: (تغلق دونه أبواب جهنم السبعة) ، قلت: ما جزاء من قرأ القرآن كله؟ قال: (له بكل حرف شجرة في الجنة) ثم رأيت ثلاثة أنوار فقلت: ما هذا؟ قال: (آية الكرسي ويس وقل هو الله أحد) ، فقلت: ما ثواب من قرأ آية الكرسي؟ قال: (هي صفتي من قرأها ينظرني يوم القيامة من غير حجاب) ، فقلت: ما ثواب من قرأ يس؟ قال: (ثمانون آية من قرأها كل يوم فله ثمانون رحمة عشرون في حياته وعشرون عند وفاته وعشرون في قبره وعشرون يوم القيامة) ، قلت وما ثواب من قرأ قل هو الله أحد؟ قال: (يشرب من الأنهار الأربعة المذكورة في القرآن نهر من ماء ونهر من لبن ونهر من عسل ونهر من خمر). [نزهة المجالس ص ٣٧٥]. وأخرج أبو الشيخ والطبراني وابن مردويه والديلمي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أربع أنزلت من كنز تحت العرش لم ينزل منه شيء غيرهن: [أم الكتاب وآية الكرسي وخواتيم

سورة البقرة والكوثر]. [كذا في الدر المنثور - خزينة الأسرار ص ١٠٢]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: سألت النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام عن ثواب آية الكرسي فقال: لما خلق الله الأرض تحركت فأرسل إليها سبعين ألف ملك ليمسكوها فلم يستطيعوا فأرسل سبعين ألفاً أيضاً فلم يستطيعوا فأرسل سبعين ألفاً أيضاً فلم يستطيعوا فخلق الله جبل ق وأحاطه بالدنيا وخلق الله حوله أربع مائة وأربعين جبلاً فلم تستقر فكتب عليها آية الكرسي فاستقرت فمن قرأ آية الكرسي فله من الثواب وزن جبل ق ووزن تلك الجبال وله مثل تسبيح تلك الملائكة. ولما خلق الله الشمس والقمر أمر سبعين ألف ملك أن يجروها فعجزوا ثم أرسل سبعين ألفاً أيضاً فعجزوا ثم أرسل سبعين ألفاً أيضاً فعجزوا فكتب عليها آية الكرسي فتحركا ودارا بقدره الله تعالى فمن قرأ آية الكرسي من أمتك فله من الثواب بعدد أولئك الملائكة وبعده كل شيء طلعت عليه الشمس والقمر. [نزهة المجالس ص ٣٩٥]. وأخرج الدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً: (من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة وآية الكرسي وآيتين بعد الكرسي وثلاثاً من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه ولا يُقرآن على مجنون إلا أفاق). [خزينة الأسرار ص ٦١]. وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فقال لهم علي رضي الله عنه: (أين أنتم من آية الكرسي؟) ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال طور سيناء وسيد الشجر السدر وسيد الأشهر المحرم وسيد الأيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن آية الكرسي أما إن فيها خمسين كلمة في كل كلمة خمسون بركة). [رواه الديلمي كذا في الجامع الصغير - خزينة الأسرار ص ١١٧]. وأخرج ابن مردويه والشيرازي والهروي عن ابن عمر رضي الله عنهما: خرج عمر بن الخطاب ذات

يوم إلى الناس فقال: أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن؟ وأعدلها؟ وأخوفها؟ وأرجاها؟ فسكت القوم فقال ابن مسعود: على الخبير سقطت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أعظم آية في القرآن: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ... آية الكرسي إلى آخرها" ، وأعدل آية في القرآن: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ... إلى آخر الآية" ، وأخوف آية في القرآن: "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" ، وأرجى آية في القرآن: "قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ" . [كذا في الدرر الثمينة والفيض القدسي - خزينة الأسرار ص ١١٧]. قال النسفي: لما نزلت آية الكرسي نزل مع كل آية منها ثمانون ألف ملك [لعله أراد بالآية كل كلمة]. [نزهة المجالس ص ٤٩]. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما قرئت هذه الآية [آية الكرسي] في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة). [كذا في روح البيان - خزينة الأسرار ص ٧١]. وذكر البخاري: قال عثمان بن الهيثم أبو عمرو حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت يحثو من الطعام فأخذه وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة قال: فخليت عنه فأصبحت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا أبا هريرة وما فعل أسيرك البارحة؟) قال قلت يا رسول الله شكاً حاجة شديدة وعيلاً فرحمته وخليت سبيله قال: (أما إنه قد كذبك وسيعود) فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذه فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود فرحمته وخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا هريرة ما

فعل أسيرك البارحة؟) قلت يا رسول الله شكاً حاجة وغيلاً فرحمته فخليت سبيله قال: (أما إنه قد كذبتك وسيعود) فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت: وما هي؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فخليت سبيله فأصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما فعل أسيرك البارحة؟) قلت يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال: (ما هي؟) قال: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" قال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح. وكانوا أحرص شيء على الخير فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أما إنه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب من ثلاث ليال يا أبا هريرة؟) قلت: لا. قال: (ذاك شيطان). [رواه البخاري - ابن كثير ج ١ ص ٣٠٦]. قال أبو عبيد في كتاب الغريب: حدثنا أبو معاوية عن أبي عاصم الثقفي عن الشعبي عن عبد الله بن مسعود قال: خرج رجل من الإنس فلقبه رجل من الجن فقال: (هل لك أن تصارعني فإن صرعتني علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان) فصارعه فصرعه فقال: (إني أراك ضئيلاً شخيتاً كأن ذراعك ذراع كلب أفهكذا أنتم أيها الجن كلكم أم أنت من بينهم؟) فقال: (إني بينهم لضليع فعاودني) فصارعه فصرعه الإنسي فقال: (تقرأ آية الكرسي فإنه لا يقرأها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان وله خيخ كخيخ الحمار [ضراط]) فقيل لابن مسعود: أهو عمر؟ فقال: (من عسى أن يكون إلا عمر). [ابن كثير ج ١ ص ٣٠٧]. قال الحاكم أبو عبد الله في مستدركه: حدثنا

علي بن حشاد حدثنا بشر بن موسى حدثنا الحميري حدثنا سفيان حدثني حكيم ابن جبير الأسدي عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (سورة البقرة فيها آية سيد آي القرآن لا تُقرأ في بيت فيه شيطان إلا خرج منه: [آية الكرسي]). [ابن كثير ج ١ ص ٣٠٧]. ورواه الترمذي من حديث زائدة: (لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن: [آية الكرسي]). [عن حكيم بن جبير وفيه ضعف - ابن كثير ج ١ ص ٣٠٧]. قال أبو بكر ابن مردويه: حدثنا محمد بن محرز بن يناور الأدمي أخبرنا جعفر بن محمد ابن الحسن أخبرنا الحسين بن بشر بطرسوس أخبرنا محمد بن حمير أخبرنا محمد بن زياد عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت). [ورواه النسائي عن الحسن بن بشر به - ابن كثير ج ١ ص ٣٠٧]. قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا يحيى بن المغيرة أبو سلمة المخزومي المدني أخبرنا ابن أبي فديك عن عبد الرحمن المليكي عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ: حم المؤمن [وهي سورة غافر] إلى: "إليه المصير" وآية الكرسي حين يصبح حفظ بهما حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح). [ابن كثير ج ١ ص ٣٠٨]. وأخرج ابن السني عن ابن قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله). [خزينة الأسرار ص ٧٢ - نزهة المجالس ج ١ ص ٣١]. وعن جابر بن عبد الله: (من قرأ آية الكرسي حين يخرج من بيته وكل الله به سبعين ألف ملك يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وإن مات قبل أن يرجع أعطاه الله ثواب سبعين شهيداً). [نزهة المجالس ج ١ ص ٣١]. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ آية الكرسي دبر

كل صلاة مكتوبة كان الذي يتولى قبض روحه ذو الجلال والإكرام وكان كمن قاتل مع أنبياء الله حتى استشهد). [نزهة المجالس ج ١ ص ٣١]. وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد المنبر: (من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت وإذا قرأها إذا أخذ مضجعه أمَّنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والدويرات حوله). [نزهة المجالس ج ١ ص ٣١]. وفي بعض المجاميع: (أن شخصاً كان يقرؤها كل ليلة يحوط بها غنمه فقرأ بعضها في ليلة فغلبه النوم فلما استيقظ كمل قراءتها فلما أصبح وجد رجلاً بين غنمه فسأله فقال: كل ليلة أريد أخذ شاة فأرى سوراً فجئت البارحة فرأيت في السور طاقة فدخلت منها وأخذت شاة ثم جئت إلى الطاقة فرأيتها قد انسدت). [نزهة المجالس ج ١ ص ٣١]. وقيل: (مرّ رجل في برية فقصده ذئب فقرأ آية الكرسي فهرب الذئب). [نزهة المجالس ج ١ ص ٣٢]. وفي كتاب البركة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من صلى أربع ركعات عند زوال الشمس يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي عصمه الله في أهله وماله ودينه وديناه). [نزهة المجالس ص ٥١٤]. وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه: (من قرأ دبر كل صلاة مكتوبة آية الكرسي حفظ إلى الصلاة الأخرى ولا يواظب عليها إلا نبي أو صديق أو شهيد). [خزينة الأسرار ص ١٢٠]. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من خرج من منزله فقرأ آية الكرسي يبعث الله إليه سبعين ألف ملك يستغفرون له ويدعون له فإذا رجع إلى منزله ودخل بيته وقرأ آية الكرسي نزع الله الفقر من بين عينيه). [نزهة المجالس ص ٤٩]. وفي شمس المعارف للبوني عن سلمان الفارسي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من قرأ آية الكرسي هون عليه سكرات الموت وما مرت الملائكة ببيت فيه آية الكرسي إلا صفقوا ولا بيت فيه قل هو الله أحد إلا سجدوا ولا بيت فيه أواخر الحشر إلا جثوا على

ركبهم). [نزهة المجالس ص ٤٩]. قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن بكير أنبأنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هاتين الآيتين: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ"، و: "الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ": إن فيهما اسم الله الأعظم). [وكذا رواه أبو داود عن مسدد والترمذي عن علي بن خشرم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ثلاثتهم عن عيسى بن يونس عن عبيد الله ابن أبي زياد به وقال الترمذي: حسن صحيح]. [ابن كثير ج ١ ص ٣٠٧]. وقال ابن مردويه: أخبرنا عبد الله بن نمير أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل أخبرنا هشام بن عمار أنبأنا الوليد بن مسلم أخبرنا عبد الله بن العلاء بن زيد أنه سمع القاسم بن عبد الرحمن يحدث عن أبي أمامة يرفعه قال: (اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث: سورة البقرة وآل عمران وطه) ، وقال هشام بن عمار خطيب دمشق: أما البقرة ف: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" ، وفي آل عمران: "الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" ، وفي طه: "وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ". [ابن كثير ج ١ ص ٣٠٧].

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ
بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ
الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ
الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ ﴾

{ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } لا أحد يجبر أحداً على دخول الإسلام عنوة وبالقوة وغصباً
ولا أحد يجبر أحداً على دخول الإسلام وهو مكره وهذه الآية نزلت في شأن غير
المسلمين أي لا إكراه في الدين لغير المسلم أن يسلم وأن لا يدخل الإسلام عنوة
وغصباً وبالقوة ولا يجبر على الدخول في الإسلام وأن لا يجبره أحد على دخول
الإسلام عنوة وبالقوة ولكن عليه إذا أراد أن يعيش مع المسلمين: -

أولاً: دفع الجزية يدفعها عن يد وهم صاغرون وهي دينار عن كل محتلم وعن
مواشيهم وأنعامهم كذلك.

ثانياً: ألا يساعد الأعداء ولا يعينهم على الإسلام وأهله.

ثالثاً: أن لا يكون عيناً للأعداء على المسلمين وعلى عوراتهم وثغراتهم ومراكز
ضعفهم.

رابعاً: لهم وعليهم ما على المسلمين من النصر والذود عن الوطن.

أما المسلم وهو من دخل الإسلام فلا يكره فقط بل إذا ارتد عن الإسلام أن يستتاب
أولاً فإذا أبى يُقتل شرعاً ويكون مرتداً عن الإسلام عندها. وكذلك إذا تعدى حداً
من حدود الله يقام عليه الحد سواءً حد الزنا أو السرقة أو القتل بدون حق وغيرها
{ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ } قد وضح الرشد وهو الهدى والعقلانية والعدل والطاعة والعبادة
ووضح حكم الإسلام وتعاليمه الواضحة البينة ووضح الحق والصواب والعلم الصحيح

في تفسير ذلك {مِنَ الْغَيِّ} من الضلال والفساد والظلم واتباع الهوى والفسوق والعصيان وابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله لصالحهم وعلى هواهم وشهواتهم وملذاتهم ومنافعهم الشخصية كبعض المسلمين الضالين إذا عمل أو ارتكب ذنباً ونصحتَه قال لك لا إكراه في الدين وهو يعلم أن كلامه غي وضلال فالرد عليه هو إقامة الحد عليه حتى يرتدع هو وأمثاله وأنه كان في عهد عمر بن الخطاب سيدة وعندها عبيداً فاختارت منهم عبداً [أي رقيقاً] وكانت تتمتع به فوصل الخبر إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فسألها فاعترفت وقالت: الله تعالى قال في كتابه " إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ " وهذا ملك يمين فحكم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على العبد وهو غير محصن مائة جلدة وحكم عليها أن تحرم على رجال المسلمين لأنها أولت القرآن على غير تأويله {فَمَنْ يَكْفُرْ} فمن يكذب ولا يصدق ولا يؤمن {بِالطَّاغُوتِ} وهي عبادة الأوثان والأصنام كما قال تعالى: " وَالَّذِينَ اجْتَنَّبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا " ١٧ الزمر. {وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ} أي يصدق بالله رباً وهو المعبود وحده لا شريك له وهو الرازق والمحيي والمميت والخالق وهو على كل شيء قدير {فَقَدِرَ اسْتَمْسَكَ} فقد أمسك وتثبت {بِالْعُرْوَةِ} وهي حلقة النجاة أي مثل عروة القميص وفتحته الذي يدخل بها الزر للثوب حتى يقفل تماماً ولا يفتح، أي هذه العروة والحلقة هي عروة الإسلام وهو دين الإسلام القويم دين الهدى والحق والعدل والصواب والرشاد وهو الطريق إلى الجنة يوم القيامة {الْوُثْقَى} هي القوية والمتينة والشديدة والتي {لَا أَنْفِصَامَ هَا} لا تُقطع لمتانتها وقوتها وصلابتها لأنه دين الله رضي له عباده كما قال تعالى: " وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا " ٣ المائدة.

{وَاللَّهُ سَمِيعٌ} والله يسمع ما يدور بين الناس وما يحصل بينهم من مناقشات {عَلِيمٌ} وعليم ويعلم ويدري بمن يؤمن به ومن يكفر به.

وسبب نزول هذه الآية " لَأِ كِرَاهَ فِي الدِّينِ " أنها نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصيني كان له ابنان نصرانيان [أي من النصارى ولم يسلموا] وكان هو رجلاً مسلماً فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا أستكرهما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله فيه ذلك " لَأِ كِرَاهَ فِي الدِّينِ ". [رواه ابن جرير وروى السدي نحو ذلك - ابن كثير ج ١ ص ٣١١].

{اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَلِيُّ} يتولى أمر وشأن {الَّذِينَ ءَامَنُوا} المؤمنون وهم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {يُخْرِجُهُمْ} يخرجهم وينقذهم {مِّنَ الظُّلُمَاتِ} من ظلمات وضلال وغي الكفر والشرك والمعاصي والذنوب {إِلَى النُّورِ} نور الهدى والإيمان والإسلام أي تعاليم الدين الإسلامي والشرع الحنيف القويم وإلى نور الحق والعدل والصواب والرشاد والهدى والعلم والمعرفة ونور الإيمان بالله تعالى وحده ونور القرآن والسنة الشريفة {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} وهم الكفار وهم الذين لم يصدقوا وكذبوا ولم يؤمنوا بالله تعالى ولا برسله ولا كتبه ولا باليوم الآخر {أُولِيَاءُهُمْ} يتولى أمرهم وشأنهم {الطَّاغُوتُ} الشيطان {يُخْرِجُونَهُمْ} يخرجونهم ويحولونهم {مِّنَ النُّورِ} من نور الإيمان والإسلام ونور الهدى والعلم والمعرفة والرشاد {إِلَى الظُّلُمَاتِ} إلى ظلمات وغيابات وضلال الكفر والشرك والمعاصي والذنوب والفواحش وظلمات الجهل والفسوق والعصيان {أُولَئِكَ} هؤلاء {أَصْحَابُ النَّارِ} هم أهل جهنم {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} وهم في نار جهنم وعذابها دائمون مخلدون.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّي
الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۗ قَالَ إِبرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

{ أَلَمْ تَرَ } ألم تنظر يا محمد يا رسول الله { إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ } الذي حاجج
إبراهيم عليه السلام وأراد أن يقيم الحجة على إبراهيم الخليل عليه الصلاة
والسلام وهو النمرود ملك العراق بابل وهو نمرود بن كنعان بن كوش بن سام ابن
نوح عليه الصلاة والسلام. وقيل: مَلَكَ الدنيا أربعة وهم: مسلمان وهما: سيدنا
سليمان بن داود عليه الصلاة والسلام ، وذو القرنين. وكافران هما: النمرود
وبختنصر { فِي رَبِّهِ } في الله تعالى { أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ } أن أعطاه الله تعالى
الملك وجعله ملكاً على العراق { إِذْ قَالَ إِبرَاهِيمُ } فأراد إبراهيم عليه الصلاة والسلام
أن يهديه للإيمان وأراد أن يقنعه فقال النمرود ما حجتك على وجود إله غيري
قال له إبراهيم عليه الصلاة والسلام { رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ } أي يخلق
الناس ويحييهم ثم يميتهم { قَالَ } فقال النمرود { أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ } أي أقتل بريئاً
وأخرج وأطلق سراح من حق عليه القتل والموت فبذلك أحيي وأميت { قَالَ
إِبرَاهِيمُ } عندها قال له إبراهيم عليه الصلاة والسلام { فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ
مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ } قال له إبراهيم عليه الصلاة والسلام الله تعالى
خلق الشمس وجعلها كل يوم تطلع من المشرق وهو شروق الشمس فأنت خالفها
وأنت بها من الغرب واجعلها تطلع من جهة الغرب إن كنت تدعي الألوهية حقاً
{ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ } أي غلب وقهر عندها النمرود وهو الذي كفر بالله تعالى

وبملائكته وكتبه ورسله وكفر بإبراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يؤمن به ولم يصدقه
 {وَاللَّهُ} والله تعالى {لَا يَهْدِي} لا يرشد ولا يعين ولا يدل على الصواب {الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ} القوم الباغين المعتدين الظالمين وهم ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك
 وسيدخلون نار جهنم خالدين فيها.

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ
 مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
 يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ
 حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ
 نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥١﴾

{أو} أي وقصة أخرى غيرها بعد ذكر القصة السابقة وهي قصة: " أَلَمْ تَرَ إِلَى
 الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ " {كَالَّذِي مَرَّ} وهو العزيز عليه الصلاة والسلام مر في
 طريقه {عَلَىٰ قَرْيَةٍ} وهي بيت المقدس بعد أن خربها بختنصر وقتل أهلها وقتل
 حوالي سبعين ألفاً من أهلها {وَهِيَ خَاوِيَةٌ} وهي خالية من الناس {عَلَىٰ
 عُرُوشِهَا} على أعمدتها واقفة. أو مهدمة ولا حياة فيها وهي خراب من السكان
 {قَالَ} قال العزيز عليه الصلاة والسلام {أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا} متى
 يحيي الله تعالى أهل هذه القرية وقد بلوا وأصبحوا رميماً واندثروا وأصبحوا عظاماً
 بالية نخرة مفتتة متفرقة الأشلاء والأعضاء قال ذلك تعجباً من قدرة الله تعالى على
 إحيائها بعد تلك المدة الطويلة على موتها {فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ} فمات لمدة مائة
 عام أي مائة سنة {ثُمَّ بَعَثَهُ} ثم أحياه الله تعالى وأول ما أحيى الله تعالى عينيه

حتى يرى كيف يحيا هو وكيف يخلق الله أعضائه {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ} كم بقيت ميثاً {قَالَ} قال العزيز {لَبِثْتُمْ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} ولما رأى الشمس لم تغب بعد قال لبثت يوماً كاملاً أو جزءاً من اليوم {قَالَ بَلْ لَبِثْتُمْ مِائَةَ عَامٍ} قال الله تعالى له بل لبثت مائة سنة {فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ} فانظر إلى طعامك وشرابك فكان تيناً وعنباً وعصييراً {لَمْ يَتَسَنَّهْ} لم يتغير ولم يختلف ولم يفسد ولم يُعَفَّنْ {وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ} وانظر وتطلع إلى حمارك الميت الذي بلي وتناثرت عظامه وأوصاله وتفتتت وانتشرت في كل مكان {وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ} ولنجعلك معجزة للناس بموتك مائة عام ثم تحيا من جديد {وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ} وانظر يا عزيز إلى حمارك كيف نحياه وانظر إلى عظامه {كَيْفَ نُنشِرُهَا} نخرجها من الأرض ونجمعها على بعض ونركبها وقد تكاملت العظام أولاً هيكل الحمار كاملاً من العظم {ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا} وكيف نضع عليها اللحم ثم بعث الله ملكاً فنفخ في منخري حمار العزيز فنهق فلما رأى العزيز كيف أحيا الله تعالى الحمار بعينيه {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ} فلما تجلت قدرة الله تعالى أمامه في إحياء الحمار بعد هذه المدة الطويلة على موته ورآه عياناً بياناً لا لبس فيه ولا غموض {قَالَ أَعْلَمُ} قال كنت قبل ذلك متيقناً من {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى {عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} يقدر على كل شيء بقدرته وإرادته وعلمه ومشيبته وها قد رأيت ذلك بأم عيني.

والعزيز بعد أن أحياه الله تعالى اعتبرته اليهود هو ابن الله لأنه أحياه الله تعالى بعد مائة عام ويقال هو أصغر من ولده حيث ولده كبر عنه بمائة سنة التي كان فيها ميثاً لأنه بدأ من سن موته فكان ابنه أكبر منه ولذلك يقال في السؤال من الأب الذي هو أصغر من ابنه؟ فهو العزيز عليه الصلاة والسلام وهو نبي الله تعالى.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰمَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣٠﴾﴾

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ} وإذ طلب إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام من ربه {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ} أرني أنظر وأتفرج كيف تحيي الموتى بعد موتهم وهذا طلب من إبراهيم لربه وهو من غريزة حب الاستطلاع والمعرفة والرؤية والتفرج على قدرة الله تعالى {قَالَ} قال الله تعالى وهو أعلم بإبراهيم عليه الصلاة والسلام {أُولَٰمَ تُؤْمِنُ} أفلم تؤمن يا إبراهيم بأني أحيي الموتى؟؟ وهذا سؤال من الله تعالى وهو أعلم ليؤكد للملائكة وللناس أن طلب إبراهيم عليه السلام من باب التفرج وليس من باب الاستنكار {قَالَ} إبراهيم عليه الصلاة والسلام {بَلَىٰ} قال نعم أو من {وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} أي أطمئن بالرؤية وأتفرج وأرى قدرتك ويطمئن قلبي ويفرح بذلك لأنه حدث جميل وطيب للقلب ويفرحه. وهذا الطلب من إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لحسن ظنه بالله تعالى أنه يستجيب لدعائه ولا يعز عليه علماً وخاصة رؤية إحياء الموتى وهو من حب المعرفة والاطلاع والعلم والتفرج وكيف بإبراهيم وقوة إيمانه بالله تعالى فهي واضحة وعندما ألقاه النمرود وجنده في المنجنيق ورموه في النار لم يستجر بأحد حتى ولا جبريل عليه الصلاة والسلام وكذلك لما أمره الله تعالى بذبح ولده الأوحيد وهو طاعن في السن وليس له غيره أخذه وتله للجبين بدون أي تردد. وهكذا طلب موسى عليه الصلاة والسلام رؤية الله تعالى لأنه يكلمه ويخاطبه فقال: " قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ " ، وهكذا عند إبراهيم عليه الصلاة والسلام غريزة حب الرؤية والتفرج على إحيائه للموتى فلما

علم الله تعالى منه وهو أعلم أنه يريد الفرجة وليس منكراً لذلك {قَالَ} له {فَخُذْ
أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ} خذ عدد أربعة من الطير أي طير كان. وقيل كان [بط وديك
وطاووس وغراب] وكلهم كانوا قد خانوا الرسل فالبط كان قطع شجرة اليقطين عن
يونس عليه السلام ، والديك خان إلياس عليه السلام سرق ثوبه ، والغراب خان
نوح عليه الصلاة والسلام عندما بعثه لينظر له عند غرق الأرض بالماء وهو في
السفينة هل جف قسم من الأرض حتى يرسوا بالسفينة ومن معه فذهب ووجد
جيفة فانشغل بها ولم يذهب إلى نوح عليه الصلاة والسلام ولم يذهب إلى نوح عليه
الصلاة والسلام ، والطاووس تعاون مع إبليس وأرسل له الحية ودخل إبليس بين
أنبيائها ودخل الجنة وفتن آدم وحواء بأكل الشجرة التي نهاه الله تعالى عنها.
[نزهة المجالس ج ٢ ص ١٦]. {فَصُرِّهِنَّ إِلَيْكَ} أي خذهن واذبحهن واذهب بهن
إلى رؤوس الجبال {ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا} أي اخلطهم مع بعضهم
وضع على كل رأس جبل جزءاً من لحومهم المقطعة وهي الطير التي ذبحها
وخلطها اللحم والعظم والريش والأعضاء مخلوطين مع بعضهم البعض ثم أخذ
رؤوسهن بيده {ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَا تَيْنَكَ سَعِيًّا} ودعاهن: هلموا إلي أصحاب الرؤوس
بإذن الله تعالى فدعاهن كما أمره الله تعالى فحضر كل لحم طير إلى رأسه واجتمع
العظم واللحم واجتمع العظم واللحم والريش كل على رأسه جسم يسعى لرأسه
وإبراهيم عليه الصلاة والسلام ينظر بعينيه ويتفرج ويرى قدرة الله تعالى كيف
يحيي الموتى {وَأَعْلَمَ} واعلم وتيقن وتأكد يا إبراهيم {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى جل
جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَزِيزٌ} عزيز قوي منيع الجانب في ملكه وسلطانه
وفي خلقه وفي صنعه وفي إحياء الموتى {حَكِيمٌ} وله حكمة بموتها وإحيائها.

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١٦﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۖ هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢١٧﴾ ﴾

{مَثَلُ} ويضرب الله الأمثال {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ} مثلهم الذين ينفقون ويصرفون أموالهم بالصدقات {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} في مرضاة الله تعالى في الجهاد وفي المساجد والمدارس والمستشفيات ودور العلم ونشره وفي كل خير مرضاة لله تعالى {كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ} مثل حبة القمح عندما زرعت أنبتت الحبة الواحدة سبع سنابل {فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ} في كل سنبله من السبعة مائة حبة أي الحبة الواحدة تنبت سبعمائة حبة أي الصدقة والحسنة بسبعمائة حسنة {وَاللَّهُ يُضْعِفُ} يضاعف الثواب ويزيده {لِمَنْ يَشَاءُ} لمن يريد على حسب نيته وعمله وإخلاصه {وَاللَّهُ وَاسِعٌ} والله عنده خير كثير وثواب جزيل ولا ينقص ذلك من ملكه شيء {عَلِيمٌ} عليم بالمنفقين ويجازيهم بإخلاصهم وإنفاقهم وعلى قدر إنفاقهم ونيتهم وصدقاتهم. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه). [ابن

كثير ج ١ ص ٣٢٢]. وثبت في الصحيحين أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص حين عاده مريضاً عام الفتح وفي رواية عام حجة الوداع: (وانك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة حتى ما تجعل في في امرأتك). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٩]. وقال البخاري: حدثنا عبد الله ابن كثير أخبرنا كثير سمع أبا النصر حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٩]. {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ} الناس المتصدقون بأموالهم {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} في الجهاد وفي أعمال البر والخير لمرضاة الله تعالى وابتغاءً لوجهه الكريم {ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا} ثم لا يحاولون بعد النفقة والتصدق أن يتبعوها أي الصدقة {مَنًّا} التفاخر عليه بأنه أعطاه مالاً أو تصدق عليه أو تفضل عليه ويعيره بها {وَلَا أذَى} ولا جرح لكرامته أو إذلاله أو تحقيره أو سبه وشتمه أو ضربه أو إهانته فمن لم يمن ولا يفتخر ولا يعاير ولا يؤذي أحداً بعد أن تصدق عليه {هُمْ} أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} لهم أجر وثواب يوم القيامة عند ربهم بدخول الجنة {وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} ولا خوف عليهم من نقص حقهم ولا على إبطال صدقاتهم {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ولا هم يحزنون ولا يغمون ولا يصيبهم غم ولا هم لأنهم سيدخلون الجنة بصدقاتهم ونفقاتهم في الدنيا {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ} قول كريم طيب متعارف عليه بالقول الصواب الذي لا خطأ فيه ولا فحش ولا بداءة {وَمَغْفِرَةٌ} ومغفرة لهفوات من تصدق عليه {حَيْرٌ} أفضل وأحسن {مِّنْ صَدَقَةٍ} من نفقة وصدقة على الرجل

الفقير {يَتَّبِعُهَا أَذَى} يتبعها ويلحقها سباب وأذى وشتم وفحش وقول بذيء باليد أو اللسان {وَاللَّهُ غَنِيٌّ} والله تعالى غني لا يحتاج إلى عون أحد ولا إلى صدقة ذلك الرجل الذي يتبع صدقته أذى وضرراً للمتصدق عليه {حَلِيمٌ} والله حلِيم على عباده فلو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ولكن لهم موعد وهو يوم القيامة يحاسبهم على أعمالهم وأفعالهم وأذاهم للناس. والله غني عن هذه الصدقة المتبوعة بالأذى وحليم يحب القول المعروف الطيب والمغفرة وحليم في حكمه هذا وفي شرعه وفي نصحه وإرشاده للناس.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢١٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢١٥﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ} أي لا تضيعوا صدقاتكم ولا تذهبوها هباءً منثوراً {بِالْمَنِّ} بالتفاخر بها وتعيير من أخذها بفضله عليه {وَالْأَذَى} الإيذاء والضرر بالقول أو الفعل باليد أو باللسان بالفحش من القول والكلام البذيء والشتم والسباب والإهانة والتعيير له وهتك ستره أمام الناس وفضحه والتبجح والكبر عليه {كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ} ومثل الذي يؤدي المتصدق عليه كمثل الذي ينفق ماله رياءً وسمعةً وللصيت وللشهرة حتى يقال عنه رجل كريم معطاء ويتصدق

على الفقراء والمساكين فهو رجل طيب وهو يريد الشهرة بين الناس {وَلَا يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ} ولا ينفق الصدقة إيماناً بالله تعالى وتصديقاً به وطلباً لرضاه وعفوه {وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ} ولا يؤمن ولا يصدق بيوم القيامة ولا بالبعث ولا بالحساب ولا بالجزاء ولا
العقاب والعذاب ولا الثواب {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ} فهو يشبهه مثلاً وهو {صَفْوَانٍ عَلَيْهِ
تُرَابٌ} أي حجر من الصخر عليه تراب ورمل من الأرض {فَأَصَابَهُ} فنزل على
هذا الحجر من الصخر {وَابِلٌ} مطر أي رشاش من المطر {فَتَرَكَهُ صَلْدًا} فترك
الحجر الصوان نظيف لا تراب ولا رمل عليه فهو كالبلط الملمع النظيف لا غبار
عليه ولا تراب والصلد الأملس النظيف {لَا يَقْدِرُونَ} لا يجدون {عَلَى شَيْءٍ
مِّمَّا كَسَبُوا} مما تصدقوا أي لا يجدون ثواب ما تصدقوا به حيث ذهبت
أعمالهم كسراب ببيعة يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً {وَاللَّهُ
والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا يَهْدِي} لا يدل ولا يرشد
للصواب والحق والعدل {الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} طائفة الكفار لأن أعمالهم تذهب هباءً
منثوراً ولأنهم لا يريدون بأعمالهم وجه الله تعالى ولا ابتغاء مرضاة الله بل رضاء
للناس وللشهرة وحباً في الدنيا وزينتها وزخرفها وملذاتها وشهواتها {وَمَثَلُ الَّذِينَ
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} ومثل من ينفق أمواله ويتصدق بها
لإرضاء الله تعالى عليه {وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ} وإيماناً راسخاً في أنفسهم وعقيدة
أكيدة في قلوبهم وإيمان نابع من قلوبهم ومن عقيدتهم وإيمانهم وعقيدتهم راسخة لا
تترحز بثواب الله تعالى لهم يوم القيامة {كَمَثَلِ جَنَّةٍ} كمثل حديقة أو بستان
{بِرَبْوَةٍ} هي تلة مرتفعة أي أرض خصبة للزراعة {أَصَابَهَا وَابِلٌ} أصابها رشاش

من المطر ، والوابل هو الدفعة أو الكمية أي نزل عليها كمية من المطر فَرَوَتْهَا {فَأَتَتْ} فأعطت وأثمرت {أَكْلَهَا} ثمارها {ضِعْفَيْنِ} قدرها مرتين {فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ} فإن حتى لم ينزل عليها مطر {فَطَلٌ} فقطرات من الندى فتخصبها لأنها أرض خصبة للزراعة وهكذا المتصدق بصدقته عن إيمان وبقين بأن الله تعالى سيعطيه ثواباً على عمله يوم القيامة فالله تعالى سيثيبه ويدخله الجنة {وَاللَّهُ} والله تعالى {بِمَا تَعْمَلُونَ} بما تفعلون من الأعمال أو الصدقات {بَصِيرٌ} يرى ومطلع ويثيب ويجازي ويكافئ عليها يوم القيامة.

﴿ أَيُودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفًا فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٣١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٣٢﴾ ﴾

{أَيُودُ أَحَدِكُمْ} أيحب أحدكم يا من تتصدقون {أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ} أن تكون له حديقة أو بستان أو مزرعة فواكه {مِّنْ نَّخِيلٍ} من أشجار النخيل والبلح {وَأَعْنَابٍ} وأشجار العنب والكرم {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري خلالها الأنهار والعيون ، والماء يجري فيها ويرويها {لَهُ فِيهَا} وله في هذه الجنة أو الحديقة والبستان أو المزرعة {مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} من كل الأنواع والثمار ومن جميع الفواكه {وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ} وأصبح شيخاً كبيراً طاعناً في السن هرماً كبيراً مسناً

{وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ} وله أبناء {ضُعَفَاءُ} صغار وضعفاء لا يستطيعون كسب قوتهم لصغرهم وضعفهم وقلة حيلتهم {فَأَصَابَهَا} فأصاب المزرعة أو الحديقة أو البستان {إِعْصَابٌ} ريح عاصفة {فِيهِ} في هذا الإعصار وهذا الريح العاصف {نَارٌ} نار مشتعلة في الحديقة {فَأَحْتَرَقَتْ} فاحترقت وخربت وتفحمت جميع الجنة أو الحديقة أو المزرعة. فكذلك الصدقات التي قدمها رياءً وسمعةً تذهب وتتلاشى وتضيع ، وهكذا الرياء يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب {كَذَلِكَ} هكذا {يُبَيِّنُ اللَّهُ} يوضح الله تعالى {لَكُمْ} أيها الناس ويا أيها المتصدقون رياءً وسمعةً {الْآيَاتِ} الآيات القرآنية موضحة ومفسرة لمن يتصدق رياءً وسمعةً أو يتبع صدقته بالأذى {لَعَلَّكُمْ} عسى وعلَّ {تَتَفَكَّرُونَ} تتعظون بذلك وبهذه الآيات والأمثال لتتهتدوا {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالיום الآخر {أَنْفِقُوا} تصدقوا {مِنْ طَيِّبَاتٍ} من صالحات ومن أجود وأحسن وحلال {مَا كَسَبْتُمْ} ما رزقكم الله تعالى {وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ} ومن الثمار التي أخرجتها الأرض {وَلَا تَيْمَمُوا} ولا تقصدوا {الْخَبِيثَاتِ} الشيء السيئ والفاسد والتالف {مِنْهُ تُنْفِقُونَ} منه تنفقون وتتصدقون به لأنه لا يباع ولا يهدى {وَلَسْتُمْ بِعَاذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ} ولا تأخذونه لو أنتم المتصدق به عليكم إلا إذا أغمضتم عيونكم حتى لا تروه وهو على حالته السيئة أو التالفة أو الفاسدة أو لأنه مُجَرَّحٌ أو مُشَقَّقٌ ولا ينفع للبيع كارهين أخذه {وَأَعْلَمُوا} واعلموا وتأكدوا وتيقنوا {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى {غَنِيٌّ} غني عن تلك الصدقات الخبيثة والتالفة والفاسدة والخربة والمُجَرَّحة والصغيرة الحجم والتي لا تصلح للبيع

ولا الشراء ولا للهدايا بل لا تقدم للبهائم لخرابها {حَمِيدٌ} حميد الصفات وحميد ويحمد لمن يتصدق من طيبات رزقه ومن أحسنه وأجوده وأفضله.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١٩﴾﴾

{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ} الشيطان يعدكم بالفقر إذا أنتم تصدقتم بأموالكم أو إذا أنفقتموها في أعمال البر والخير كالمدارس والمستشفيات ودور العلم وبناء المساجد وفي الصدقات على الفقراء والمحتاجين وفي سبيل الله {وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ} يأمركم بالزنا وشرب الخمر وعمل المعاصي وارتكاب الذنوب والآثام ولعب القمار أي ينهاكم الشيطان عن أعمال الخير ولكنه يأمر بأعمال الشر وإنفاق أموالكم في الأمور الأخرى {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ} إذا تصدقتم بأموالكم في سبيل الله وابتغاء مرضات الله يعدكم ووعدده الحق وقوله الحق أن يغفر لكم ذنوبكم وهو الغفور الرحيم ويتجاوز عن سيئاتكم وذنوبكم ويعفو ويصفح عنها {وَفَضْلًا} والفضل هو إدخالكم الجنة يوم القيامة {وَاللَّهُ} والله تعالى {وَاسِعٌ} واسع فضله وكرمه وغفرانه ، ورحمته وسعت كل شيء. وواسع أي كثير وكبير فضله وإحسانه وعطاؤه ورحمته {عَلِيمٌ} يعلم ويدري ويعرف بكل شيء وبكل ما يحدث في السر والخفاء والعلن ولا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء {يُؤْتِي} يعطي الله تعالى {الْحِكْمَةَ} العلم والبينة والحجة والفهم والموعظة والفصل في الأمور والولاية والطاعة والعبادة والرأي السديد والفقه في التفسير للقرآن الكريم والفهم للسنة الشريفة وهي جامعة للشريعة {مَنْ يَشَاءُ} من

يريد من عباده **{وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ}** ومن يعطيه الله تعالى الحكمة في الأمر وفي الرأي السديد وفي القول وفي البيان والحجة والطاعة والعبادة والولاية والزهد والعلم **{فَقَدْ أُوتِيَ}** فقد أُعطي **{خَيْرًا}** خيراً وفضلاً **{كَثِيرًا}** كثيراً وكبيراً وعظيماً وجليلاً **{وَمَا يَذَّكَّرُ}** وما يتعظ ولا يعتبر بذلك **{إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}** إلا أصحاب العقول السليمة والنيرة وأصحاب الذكاء والفتنة.

﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۖ ﴾ (٢٧٤) **{إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَبِعِمَّا هِيَ ۗ وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتَوْتُوْهَا الْفُقَرَاءُ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ ۖ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۗ}** ﴿٢٧٤﴾

{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ} ما قدَّمتم من صدقة **{أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ}** والنذر هو أن يقول المرء واعدأ سأعمل شيئاً من الخير كأن يذبح خروفاً أو شاةً أو يصوم لله أو يتصدق بصدقة لو شفي مريضه أو ابنه أو صديقه أو نجح ابنه في الامتحان فيجب عليه عندها الوفاء بالنذر الذي قطعه على نفسه وكما قيل في المثل: ((وعد الحر دين عليه)) وهذا حق فرضه على نفسه فيجب الوفاء به **{فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا}** الله تعالى يعلم كل شيء ويعلم ما فعل المتصدق وما نذر الناذر **{وَمَا لِلظَّالِمِينَ}** وليس لمن ظلم نفسه بالكفر أو الشرك أو المعصية أو تصدق رياءً وسمعة ابتغاء مرضات الناس أو نذر نذراً ثم جحده ولم ينفذه ولم يوفيه ولم يخرجه **{مِنْ أَنْصَارٍ}** من معينين ولا ناصرين ولا منقذين ولا حاميين ولا مساعدين لهم يوم القيامة فلكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه **{إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ}** إن تظهروا وتعلنوا الصدقات للاقتداء بكم وبدون رياء أو سمعة ولا أذى **{فَبِعِمَّا هِيَ}** فنعم ما صنعتم ولا بأس بها **{وَإِنْ تُخَفُّوْهَا}** وإن تُسروا بها ولا تظهروها وتجعلوها في السر

{وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ} وتعطوها للفقراء والمحتاجين وحتى لا تجرحوا كبرياءهم {فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} فهو أفضل لكم عند الله تعالى {وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِّن سَيِّئَاتِكُمْ} ويغفر لكم ذنوبكم ويعفو عنكم وعن خطاياكم {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ} والله تعالى بما تفعلون من النفقة في العلن أو السر وسواء تقصدوا بها وجه الله تعالى ومرضاته أو للرياء والسمعة {خَبِيرٌ} فهو عليم ومطلع ويعرف ويدري بكم وبأحوالكم وبقلوبكم وبأعمالكم.

وجاء في الحديث: (صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٣]. وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يرجع إليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٢]. وقال صلى الله عليه وسلم: (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصيه). [رواه البخاري - مراقي الفلاح ص ٢٧٤].

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٢٧٤﴾

{لَيْسَ عَلَيْكَ} لا عليك يا محمد يا رسول الله {هُدَاهُمْ} هدايتهم إلى ذلك الإنفاق باقتناع وبدون رياء ولا سمعة وأن الله سيثيبه عليه يوم القيامة {وَلَكِنَّ اللَّهَ} ولكن الله تعالى {يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} يهدي من يريد بالإنفاق والتصدق بدون رياء ولا سمعة {وَمَا تُنْفِقُوا} وما تتصدقوا {مِنْ خَيْرٍ} من أي عمل فيه خير للناس من الصدقات بالمال والعلم والنصيحة وكل أعمال الخير {فَلَأَنْفُسِكُمْ} فمرده لكم وثوابه لكم أنفسكم {وَمَا تُنْفِقُونَ} وما تتصدقوا {إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ} ولا تكون صدقتكم إلا في مرضاة الله تعالى وطلباً لرضاه وطاعته {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ} وما تفعلوا من أعمال الخير {يُوَفَّ إِلَيْكُمْ} يعطيكم الله ثواب ذلك يوم القيامة {وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} وأنتم أيها المؤمنون يوم القيامة لا تظلمون في الصدقات بل تشابوا عليها وستدخلون الجنة {لِلْفُقَرَاءِ} للمحتاجين {الَّذِينَ أَحْصَرُوا} للمهاجرين والمجاهدين الذين تركوا ديارهم وأوطانهم وأموالهم {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} في سبيل الله وفي طاعته وإعلاءً لكلمة الله تعالى {لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي

الْأَرْضِ} لا يستطيعون سعيًا للمعيشة لأنهم تركوا الديار والأوطان والأموال والأولاد بالهجرة من مكة إلى المدينة المنورة {مَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ} يظنهم الجاهل بأمور المحتاجين والذي لا يعرف ولا يعلم حقيقة أمرهم وفقدهم فهو جاهل بأمور الحياة وبأمر الناس وبأمر الفقراء فلا علم عنده ولا خَلْفِيَّةٌ ولا خبرة ولا دراية بأمور الحياة وبالمحتاجين {أَغْنِيَاءَ} يظنهم الجاهل بأنهم أغنياء {مِنْ التَّعَفُّفِ} لأنهم يتعففون ويترفعون عن السؤال والشحاذة {تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ} تعرفهم يا رسول الله ويا أيها المسلم بهيئتهم وبملابسهم وبمنظرهم وهذه فراسة يعطيها الله تعالى لعباده الصالحين. قال صلى الله عليه وسلم: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٤]. والأغنياء تعرف في وجوههم نضرة النعيم وطلاقة اللسان والسرور الدائم أما الفقير فتراه معبساً مطرِقاً رأسه ذا فكر دائم في أمر المعيشة والحياة فلا يضحك إلا إذا أضحكته وبشفتيه فقط وليس من قلبه {لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ} لا يسألون الناس شيئاً ولا حاجةً {إِلْحَافًا} تعففاً رغم حاجتهم. قال البخاري: حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شريك ابن أبي نمر أن عطاء بن يسار وعبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري قالا: سمعنا أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقتان إنما المسكين الذي يتعفف أقرؤوا إن شئتم قوله: "لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا"). [وقد رواه مسلم - ابن كثير ج ١ ص ٣٢٤]. {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ} وما تتصدقوا بأي نوع من أعمال البر والخير سواء مستشفيات أو مدارس أو دور علم أو بالنصيحة أو بالعلم وتعليم الناس وكل عمل فيه خير {فَاتَّ اللَّهُ} فإن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِهِ} بذلك الخير

وعمله والصدقات بأنواعها {عَلِيمٌ} عليم ويدري ويعرف به {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
 أَمْوَالَهُمْ} المتصدقون من المؤمنين بأموالهم {بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} في أي وقت من
 الأوقات سواء بالليل سراً أو بالنهار علناً {سِرًّا وَعَلَانِيَةً} سواء بالسر والخفاء أو
 العلن والظهور إذا كانت لوجه الله تعالى خالصة {فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ} فلهم
 ثواب عليها عند ربهم عند الله تعالى يوم القيامة بدخول الجنة {وَلَا خَوْفٌ
 عَلَيْهِمْ} فلا يخشى عليهم ولا يخاف عليهم في الدنيا بإنفاقها {وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ} ولا هم بصدقاتهم يوم القيامة يندمون ويحزنون لأن ثوابهم الجنة.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ
 الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ
 جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا
 يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾

{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا} وهم المرابون سواء الذي يعطي القرض أو الذي يأخذه
 بالربا وبالفايدة {لَا يَقُومُونَ} لا يبعثون يوم القيامة من قبورهم {إِلَّا كَمَا يَقُومُ
 الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} لا يقومون من قبورهم إلا مجنونين أو كما
 يقوم المجنون والمصرع ومن به مس من الجن يتخبطه.

وهذه الآية دلت أن هناك مس من الجن لابن آدم تجعله مجنوناً لا يدري ولا يعلم
 ما يدور حوله أثناء صرعه أو جنونه ، ويكون مثل السكران لا يعلم عن أفعاله أو
 أقواله شيئاً وهو مصرع ، وهكذا آكل الربا يقوم ويُبعث من قبره يتخبط ويكون
 مذهباً كالمجنون وكمن به مس وهذا عقاب له.

والمس هو مس الجن وإصابته لابن آدم بضرر ما إما في عقله يجعله فاقد الوعي ولا يدري ما يدور حوله وهو الإغماء ، أو القيام بأعمال وحركات وأفعال عصبية مختلفة ، أو توتر في الجسم وفي الأعصاب بالتشنج. وذلك بحسب حالة المس وقوتها وذلك باختلاف أنواع الجن وعداوتهم للإنسان فمنهم المسلم والكافر لقوله تعالى: " وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا " ١١ الجن. وقوله تعالى: " وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا " ١٤ الجن.

كيف لا والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق لقوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين: (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم). [ابن كثير ج ١ ص ٢٢٤]. وليس عدم رؤية الجن دليلاً على عدم وجودهم لقوله تعالى: " إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ " ٢٧ الأعراف. أي أنهم موجودون مثل الهواء لا نراه ولكن نحسه ونرى تأثيره أثناء العواصف والأعاصير. وهكذا الجن فلهم ذرية وأفعال. أما الذرية قال تعالى: " إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا " ٥٠ الكهف. وأما الأفعال والأعمال فهم كانوا جنداً لسيدنا سليمان عليه السلام بقوله تعالى: " وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ " ١٣، ١٢ سبأ. وقوله تعالى: " قَالَ عَفْرَيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ " ٣٩ النمل.

وسبب المس فهو من أثر عداوة إبليس وذريته لابن آدم لقوله تعالى: " إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا " ٦ فاطر.

{ذَلِكَ} وذلك {بِأَنَّهُمْ} لأنهم {قَالُوا} وهم المرابون {إِنَّمَا أَلْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا} لا فرق بين البيع والربا {وَأَحَلَّ اللَّهُ أَلْبَيْعَ} جعل الله تعالى البيع حلالاً بكتابه وسنة نبيه {وَحَرَّمَ الرِّبَا} ولكنه حرم الربا. مثلما أحل الله تعالى الزواج بالعقد الشرعي وحرمه بالزنا وهكذا أحل الله تعالى البيع والتجارة وحرم الربا {فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ} فمن جاءه من عند الله تعالى موعظة ونصح وإرشاد وهدى وبيان {مِّن رَّبِّهِ} من القرآن الكريم وآياته بمنع الربا وتحريمه {فَأَنْتَهَى} فتوقف عن الربا بنزول القرآن الكريم {فَلَهُ مَا سَلَفَ} فرباه الذي أخذه قبل نزول التحريم هو له {وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ} وآكل الربا الذي انتهى فأمره وحكمه وقضاؤه مفوض إلى حكم الله تعالى إن أراد عفا وصفح وسامح وإلا فيعذبه {وَمَنْ عَادَ} ومن عاد لأكل الربا والتعامل به {فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} فهؤلاء هم أهل النار خالدون ودائمون فيها. وقال صلى الله عليه وسلم: (كل قرض جر نفعا فهو ربا) وروي عن عطاء الخرساني أن عبد الله بن سلام قال: (الربا اثنان وسبعون حوبا [يعني إثما] وأصغرها حوبا كمن أتى أمه في الإسلام ودرهم من الربا شر من بضع وثلاثين زنية وقال: ويأذن الله تعالى بالقيام للبر والفاجر يوم القيامة إلا آكل الربا فإنه لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يعني المجنون كلما قام سقط). [تنبيه الغافلين ص ١٣٥]. وقال صلى الله عليه وسلم: (لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٨]. {يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا} يسحقه ويهلكه ويزيله أي الربا وهو الفائدة على رأس المال. والربا هو أخذ فائدة

على القرض أو الشيء الذي يقرضه وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ولا يكسب عبد مالا حراماً فينفق منه فيبأرك له فيه ولا يتصدق فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٦٣]. وقال ابن ماجه: حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الربا سبعون جزءاً أيسرها أن ينكح الرجل أمه). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٨]. وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم عن عباد بن راشد عن سعيد بن أبي خيرة حدثنا الحسن منذ نحو من أربعين سنة أو خمسين سنة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا) قال: قيل له الناس كلهم؟ قال: (من لم يأكله ناله من غباره). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٨]. {وَيُرِي الصَّدَقَاتِ} يزيد ويبارك الله تعالى في الصدقات ويكبرها كما يكبر أحدكم فلوه. قال البخاري: حدثنا عبد الله بن كثير أخبرنا كثير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٩]. {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا يُحِبُّ} لا يحب ويكره ويبغض {كُلَّ كَفَّارٍ} كل كافر بحكمه وشرعه ويجحده ولا ينفذه ولا يعمل به ويكفر بآيات الله تعالى ويمتهنها ويحتقرها ولا يأخذ بها ولا يعمل بها بل يخالفها ويضرب بها عرض الحائط بل ينكرها فهو كفار وهي صيغة مبالغة من كافر لشدتها وشدّة عذابها {أَثِيمٍ} مذنب عاص ومخطئ وعليه وزر وذنب وإثم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٢٧٧﴾

{ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا } وهم المؤمنون والمصدقون وهم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } وعملوا الطاعات والعبادات وأعمال البر والخير والصدقات في طاعة الله تعالى وأخلصوا العبادة لله تعالى وحده لا شريك له { وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ } وصلوا الفرائض الخمس في أوقاتها { وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ } وأخرجوا زكاة أموالهم وزروعهم ومواشيهم وتجارتهم والزكاة على المال اثنان ونصف في المائة { لَهُمْ أَجْرُهُمْ } لهم ثوابهم { عِنْدَ رَبِّهِمْ } عند الله تعالى يوم القيامة { وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ } في الدنيا بطاعة الله تعالى فلا خشية عليهم { وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } ولا هم يحزنون ولا يصيبهم غم ولا هم يوم القيامة لأن موعدهم الجنة.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٢٧٨﴾

فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ^ط وَإِن تَبَتُّمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ^ط ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

{ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا } أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { اتَّقُوا اللَّهَ } خافوه واخشوه وأطيعوه وعبدوه { وَذَرُوا } واتركوا { مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا } أي أرباحه وفوائده { إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ } إن كنتم مؤمنين ومصدقين

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وغير مكذبين بهم {فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا} فَإِنْ لم تطيعوا وتسمعوا وتنتهوا عن أكل الربا {فَأَذِنُوا بِحَرْبٍ} فانظروا بحرب {مِنْ اللَّهِ} فانظروا حرب الله تعالى لكم بمحق أموالكم وسلبها وهلاكها وتسليط المصائب عليكم {وَرَسُولِهِ} أو محاربة رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لكم وأسرکم وسلب أموالكم أو قتلکم {وَإِنْ تُبْتُمْ} وإن تبتم ورجعتم عن الربا وأكله {فَلَکُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِکُمْ} فخذوا فقط رأس المال من أموالکم ودعوا الربا والفائض والفائدة والمربح {لَا تَظْلِمُونَ} لا تظلمون الناس بأخذ أموال الناس بدون حق وهي الفائدة لأن أخذها بدون تعب ولا مشقة بل يأخذ نسبة مئوية بدون مشقة وبدون مقابل مثل البنوك الربوية بأخذ الفائدة على القروض {وَلَا تُظْلَمُونَ} أي بأخذکم رؤوس أموالکم ورجوعها إليکم غیر منقوصة وبدون خسارة فلا ظلم فيه لکم. واعلموا أيها المؤمنون لا يغرنکم من يدعی بأن الفائدة هي أجور للموظفين للمؤسسة البنكية التي تقرضکم القرض فالحق والحق أقول أن المؤسسة البنكية إذا أرادت تطبيق الإسلام فعليها أن تشتري أي نوع من الأشياء السيارات أو خلافه من الشركة الرئيسية بالجملة فتأخذ خصم من الشركة يكون لها ربحاً حلالاً هي وموظفيها كالتالي: مثلاً لو أتى رجل ليأخذ قرضاً بعشرة آلاف درهم فتشتري تلك المؤسسة البنكية السيارة بالجملة من الشركة مثلاً بثمانية آلاف درهم بالجملة وتبيعها له بسعر السوق وليکن مثلاً سعر السوق اليومية بالمفرق عشرة آلاف درهم فهي تربح الفرق من تلك الشركة وهو الفرق بين الجملة وبين المفرق وهو ألفان من الدراهم ويأخذها من يريد شراء السيارة بالسعر الحالي للسوق أي عشرة آلاف درهم وبالمبلغ المراد من المؤسسة البنكية فيكون صاحب القرض أخذ قرض عشرة آلاف درهم سعر السيارة والمؤسسة البنكية استفادت ألفي درهم مريحاً لها ولموظفيها

وبذلك ينتفي الربا وبدلاً من أن تعطي قرضاً العشرة آلاف باثني عشر ألفاً بفائدة وربا ألفين ويكون حراماً فهي تعطي نفس المبلغ بدون فائدة وهي عشرة آلاف درهم وتكون كذلك باعت سيارة له وربحت فيها ألفين وبدلاً من أن يأتي لهم عميل واحد يأتيهم عشرة عملاء أو أكثر لأنهم يعطوا القرض بلا فائدة ربوية ولكنها مكسب من الشركة من خلال الفرق بين المُرَقَّ والجملة وتجارة وربح بيع وشراء وبذلك يستفيد الثلاثة الشركة تباع عدداً كبيراً من سياراتها وتستفيد مربحاً بسعر الجملة والمؤسسة البنكية تاجرت وربحت وباعت كمية كبيرة من السيارات بربح ومكسب حلال وبدون ربا والذي يريد القرض أخذ قرضه بدون فائدة أو مشقة على المبلغ الذي يريد اقتراضه وبدون فوائد ربوية {وَإِنْ كَانَ} وإن كان من أخذ القرض {ذُو عُسْرَةٍ} ذو ضيق لم يجد ما يسد به القرض في حينه ووقته وأوانه لفقره وضيق عيشه {فَنَظْرَةٌ} فانتظار وأناة {إِلَى مَيْسَرَةٍ} إلى فرصة أخرى يستطيع فيها سداد القرض المطلوب الذي أخذه {وَأَنْ تَصَدَّقُوا} وإذا كان معدماً وتصدقتم عليه كصدقة أو زكاة لأموالكم {خَيْرٌ لَّكُمْ} خير وبركة ومنفعة لكم في الدنيا يسرتم على مُعْسِرٍ وفرجتم فاقته وشدته وكان هذا الرجل عوناً وخادماً ومعيناً ومحبباً لكم في الدنيا ، وفي الآخرة فثوابكم عند الله تعالى الجنة بصبركم عليه وصدقتم له وكذلك في الدنيا يزيدكم الله غنى وربحاً ويحفظكم ويحفظ أهليكم وأموالكم من الضياع أو السرقة أو الحريق أو الغرق أو التلف {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} إن كنتم تعلمون ذلك وإن كنتم تعلمون وتدرّون ما الله مجازيكم به في الدنيا والآخرة من الثواب والبركة والنماء والجنة وقال صلى الله عليه وسلم: (من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله فليبيسر على معسر أو ليضع عنه). [رواه الطبراني عن أبي أمامة أسعد بن زرارة - ابن كثير ج ١ ص ٣٣١]. وعن هشام بن عمار حدثنا يحيى بن

حمزة حدثنا الزهري عن عبيد الله أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسراً قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه). [رواه البخاري - ابن كثير ج ١ ص ٣٣٢]. وقال صلى الله عليه وسلم: (حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أنواع البلاء بالدعاء). [تنبيه الغافلين ص ١١٣]. {وَاتَّقُوا} واخشوا وخافوا {يَوْمًا} وهو يوم القيامة يوم يجعل الولدان شيباً {تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} تبعثون يوم القيامة وتحشرون في المحشر وتعودون إلى الله تعالى حفاة عراة تنتظرون الحساب والجزاء والعقاب والعذاب والثواب من الله تعالى {ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ} كل واحد يأخذ حقه فمن عمل صالحاً دخل الجنة ومن أساء وعصى وكفر وأشرك دخل النار {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} ولا يُظلم يومها أحد كل على حسب عمله المؤمن يدخل الجنة والكافر يدخل النار ولا يظلم اليوم. وروى أبو ذر رضي الله تعالى عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان فقال يا أبا ذر أتدري فيما ينتطحان؟ فقلت: لا. قال: ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة). [مكاشفة القلوب ص ١٢٨].

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيُهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ۚ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ وَلَا تَسْعَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۗ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٧٦﴾

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنِمْ مَقْبُوضَةً ۗ فَإِنْ أَتَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْكُمْ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ ۗ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۗ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَانِمْ قَلْبَهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٧٧﴾ ﴾

{ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا } أيها المؤمنون يا من آمنتم وصدقتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { إِذَا تَدَايَنْتُمْ } إذا أراد أحد أن يقترض مبلغاً من المال ويتداين من أحد { بِدَيْنٍ } بقرض ويأخذ مالاً { إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى } إلى مدة معينة أو مدة مضروبة لسداد الدين { فَاكْتُبُوهُ } اكتبوا أيها المؤمنون ذلك الدين في صك أو كمبيالة كما هو معروف الآن في بعض الدول العربية { وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ } وليكتب

الدين بينكم {كَاتِبٌ} أي رجل يعرف الكتابة والقراءة أو كاتب متخصص في ذلك {بِالْعَدْلِ} بالحق والصدق والعدل لا زيادة ولا نقصان في ذلك المبلغ [أي القرض] {وَلَا يَأْبُ} ولا يرفض ولا يمتنع {كَاتِبٌ} أي كاتب {أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ} أن يكتب ذلك الدين كما علمه الله تعالى كتابة العقود أو الصك أو الكمبيالة وكما علمه الله تعالى الشرع والحق والعدل ولا يكذب ولا يزيد ولا ينقص في ذلك {فَلْيَكْتُبْ} فليكتب ذلك الكاتب القرض أو الدين {وَلْيَمْلِكْ} وليمله عليه أو يقول له ماذا يكتب في الصك أو الكمبيالة {الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ} الذي يريد أخذ الدين أو القرض {وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ} وليخش وليتق الله ربّه الذي عليه الدين ويخاف الله ولا يكذب ولا ينكر أو يجحد منه شيئاً {وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا} ولا يخفي من ذلك الدين أو القرض شيئاً ولا ينقصه بل يمله ويقوله كما هو بالضبط بدون نقصان {فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ} فإن كان الذي عليه الدين أو عليه القرض {سَفِيهًا} جاهلاً ورذيلًا وحقيراً ونصاباً {أَوْ ضَعِيفًا} مريضاً أو كالمرأة لا تستطيع الوقوف مع الرجال أو كالصبي الصغير {أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ} أي لا يعرف النطق كالأخرس أو المريض أو رجل مسكين لا يعرف كيف التعبير عن حقه {هُوَ} الذي عليه الحق أو الدين والمقترض {فَلْيَمْلِكْ} فليقل وليتكلم {وَلْيُؤْمَرْ} أي والده أو عمه أو قريبه وهو المسؤول عنه مباشرة أو بالقرابة أو حتى المحامي عنه في عصرنا الحاضر {بِالْعَدْلِ} بالحق والصدق والصواب وبدون كذب وبدون زيادة ولا نقصان {وَأَسْتَشْهِدُوا} واجعلوا على ذلك الصك أو الكتاب أو الكمبيالة أو غيرها {شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ} اجعلوا شاهدين أي رجلين من المؤمنين يشهدان

على ذلك الصك {فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ} فإن لم تجدوا رجلين {فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ} فرجل واحد من الرجال وامرأتان من النساء {مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ} ممن ترضون دينهم وخلقهم وصدقهم وأمانتهم وتقواهم وصلاحهم من الشهود ممن سيشهد على ذلك الصك أو الكمبيالة أو كتاب الدين أو القرض {أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا} تنسى أو تميل عن قول الحق {فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى} فإن نسيت تفكرها وإن مالت تخوفها الله تعالى وتردها إلى الحق وقوله وأن الدنيا لا تغني عن الآخرة {وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ} ولا يرفض الشهود الاثنان أو الرجل والمرأتان ولا يمتنعوا {إِذَا مَا دُعُوا} إذا ما طلب منهم إما الإدلاء بشهادتهم إذا اختلف الطرفان بقول الحق أو إذا دُعوا للشهادة على الصك أو كتاب الدين أو القرض [الكمبيالة] {وَلَا تَسْعَمُوا} ولا تتضايقوا ولا تتعبوا ولا تملوا {أَنْ تَكْتُبُوهُ} أن تكتبوا ذلك الدين مهما كان {صَغِيرًا} قليلاً {أَوْ كَبِيرًا} أو كثيراً {إِلَى أَجَلِهِ} إلى المدة المعينة والمضروبة لسداد ذلك الدين {ذَلِكَمُ} ذلك لكم {أَقْسَطُ} أجود وأفضل وأعدل وأصوب {عِنْدَ اللَّهِ} عند الله تعالى وفي شرعه وحكمه {وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ} وأعدل في أداء الشهادة وأحسن وأصوب وأفضل لأن كل شيء مذكور في ذلك الصك المبرم بين الطرفين عند كتابته لهما {وَأَدْنَى} وأقله {أَلَّا تَرْتَابُوا} ألا تشكوا في شيء لو لم يكتب ولم تتيقنوا فيه لولا كتابته {إِلَّا} استثناء من ذلك ما عدا {أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً} تجارة موجودة بينكم {تُدِيرُونَهَا} تديرون تلك التجارة وتشتغلون بها مع بعض {بَيْنَكُمْ} بين الاثنين المتشاركين {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} فلا بأس عليكم ولا وزر ولا إثم ولا ذنب عليكم عندها {أَلَّا تَكْتُبُوهَا} بأن

لا تكتبوا تلك التجارة وأموالها {وَأَشْهُدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ} وإذا بعتم لبعضكم شيئاً كالعقارات والأراضي أو الثمار أو التجارة أو البستان فاجعلوا على ذلك البيع شاهدين أو رجلاً وامرأتين ذلك أحفظ للبيع وحتى لا يرجع طرف من الأطراف في بيعه أو يجحده كما فعل الأعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم روى الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري حدثني عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: (أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرساً من أعرابي فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم ليقضيه ثمن فرسه فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم وأبطأ الأعرابي فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيسأومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاعه حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه النبي صلى الله عليه وسلم فنادى الأعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه وإلا بعته فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع نداء الأعرابي قال: أوليس قد ابتعته منك؟ قال الأعرابي: لا والله ما بعتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل قد ابتعته منك فطفق الناس يلوذون بالنبي صلى الله عليه وسلم والأعرابي وهما يتراجعان فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدا يشهد أنني بايعتك فمن جاء من المسلمين قال للأعرابي: ويحك إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول إلا حقا حتى جاء خزيمة فاستمع لمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم ومراجعة الأعرابي يقول: هلم شهيدا يشهد أنني بايعتك قال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على خزيمة فقال بم تشهد؟ فقال: بتصديقك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة بشهادة رجلين). [ورواه أبو داود والنسائي - ابن كثير ج ١

ص[٣٣٦]. وروى الإمامان الحافظ أبو بكر بن مردويه والحاكم في مستدركه من رواية معاذ بن معاذ العنبري عن شعبة عن فراس عن الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم رجل له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل دفع مال يتيم قبل أن يبلغ ورجل أقرض رجلاً مالاً فلم يشهده). [قال الحاكم صحيح الإسناد على شرط الشيخين - ابن كثير ج ١ ص ٣٣٦]. {وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ} والضرر هو الإيذاء إما بالتخويف أو بالكلام بالسباب والشتم أو بالضرب فلا يُغصَب أحدهما بكتابة غير الواقع وغير الحق وأن يغير الكاتب ويبدل وخاصة لو كان الذي عليه الحق لا يعرف القراءة والكتابة فيجبر الكاتب على تغيير ما يملى عليه ويزيد فيه على المقرض أو ينقصه من حقه أي يجعل عليه شروط والتزامات أخرى {وَلَا شَهِيدٌ} وكذلك الشاهد لا يُغصَب إما بالشهادة الزور على العقد أو يدلي بغير الواقع ويكذب في شهادته لو دُعي للشهادة عند سداد القرض ومن الضرر كذلك بأن يضيع وقت الكاتب أو الشاهد إذا كان عليهما دوام أو وظيفة فيجبرهما ويقول لهما إن الله تعالى فرض عليكم الشهادة والكتابة فإذا لم تحضروا وتكتبوا الصك فحرام عليكم وستدخلون جهنم وسأقول أمام الناس أنكم أبيتم وأفضحكم بين الناس فهذا أيضاً من الضرر أو منعهما من قول الحق بالتخويف أو الضرب أو مسك ذلة عليهما أو هدهما بأنواع التهديد المختلفة {وَأِنْ تَفَعَّلُوا} وإن تفعلوا ذلك الضرر للكاتب أو الشهود بالتهديد أو التخويف أو أي ضرر يقع عليهم بالقوة أو الإكراه {فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ} فإنه يكون ذلك فسوقاً وخروجاً عن الدين وعن الشرع ومعصية ظاهرة وبينة لمن يفعله منكم أيها المسلمون {وَاتَّقُوا اللَّهَ} خافوا الله تعالى واخشوه وأطيعوه وابدوه وأطيعوا أمره واجتنبوا نواهيه {وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} ويعلمكم الله تعالى علم الشرع والدين

والحكم الإلهي الصحيح والمطلوب اتباعه بينكم أيها المؤمنون {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِكُلِّ شَيْءٍ} بكل شيء من أموركم وأمور الدنيا والآخرة {عَلِيمٌ} عليم بكم وبها ويعلمها ولا تخفى عليه خافية وعليم بمن يتبع شرعه ويطيع وبمن يمتنع ويخالف ويعصي وينكر ويجحد ويكفر بتعاليم الله تعالى وتعاليم شرعه الحنيف {وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ} وإن كنتم أيها المؤمنون في سفر وأراد أحد أن يستدين من آخر {وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا} ولم تجدوا كاتباً يكتب لكم الدين وفقدتموه في سفركم {فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ} فعلى المستلف والمستدين وطالب الدين أو القرض أن يرهن شيئاً مما معه لصاحب الدين كقطع من الذهب أو فرس أو جمل أو أي نوع من أنواع الحيوانات الأليفة أو حتى الطيور كالصقور التي تباع بثمن غال أو أي شيء يرهن أو كالسيارة في عصرنا الحاضر أن يسلمه السيارة ويعطيها له {فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ} فإن اطمأن المدين على رهانه واطمأن الدائن على قرضه وأرجع المدين حق الدائن كاملاً فعلى الذي أخذ الرهان المقبوضة أن يرجعها إلى صاحبها بدون تلكؤ أو تمهل {وَلْيَتَّقِ اللَّهَ} رَبَّهُ} أي يخاف كلُّ منهما الله تعالى ويخشى عذابه يوم القيامة إذا أنكر أو جحد أو امتنع عن رد الرهان المقبوضة أو رد الدين إلى الدائن وهو صاحب الدين {وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ} أي ولا يكتم الشهادة أحد ولا ينكرها ولا يجحدها ولا يخفيها ولا يغيرها {وَمَنْ يَكْتُمْهَا} ومن لا يقولها على حقيقتها أو كذب فيها أو أخفاها {فَإِنَّهُ رَاءِئِمٌ قَلْبُهُ} فإنه آثم ومذنب وعاص ومرتكب للذنب والوزر {وَاللَّهُ} والله تعالى عز جلاله وعظم شأنه وعلا قدره {بِمَا تَعْمَلُونَ} بما تفعلون أيها الناس

عموماً {عَلِيمٌ} عليم ويدري ويعرف وسيحاسبكم يوم القيامة على كذبكم أو إدلائكم بشهادة الزور أو لجحودكم وإنكاركم وإخفائكم الشهادة لعدم رد الحق إلى صاحبه. وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً قالوا: بلى. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئاً ثم قال: ألا وقول الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت). [سبل السلام ج ٤ ص ١٢٩].

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿٢٨٢﴾

{لِلَّهِ} لله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مَا فِي السَّمَوَاتِ} كل ما يوجد في السموات السبع من الملائكة والملا الأعلى والجنة والحدور العين والنار وما في السماء الدنيا من النجوم والكواكب والشمس والقمر {وَمَا فِي الْأَرْضِ} من إنس وحن وحيوانات وطيور وحنشات وحنتان وحنار وأنهار وحنبال وسهول ووحيان وبراري وقفار وأشجار ونباتات وهواء وكل المخلوقات {وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ} إن تبدوا وتظهروا وتعلنوا الشر والمعصية والخصومة والظلم للناس والقتل والاعتصاب وسائر المعاصي {أَوْ تُخَفُّوهُ} أو تكتموه وتخفوه عن أعين الناس كنيّة السرقة والزنا والغش والرشوة أو أشياء أخرى تُسروا بها في أنفسكم {يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ} أي يثيبكم بالجنة على أعمال الخير وبالنار على المعصية وأعمال الشر وهنا الحساب على النية {فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ} فيغفر الله تعالى ويعفو ويصفح عن من يشاء من عباده المؤمنين {وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ} من العصاة والكفار لمن يشاء له العذاب ويريد {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} والله تعالى قادر على كل

شيء يريد به بالعذاب أو المغفرة وهو علام الغيوب ويعلم السر وأخفى. وهذه الآية تدل على أن الله تعالى لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو علام الغيوب ولما نزلت هذه الآية اشتد الأمر على الصحابة حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت. قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثني أبو عبد الرحمن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: (لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم "لَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جثوا على الركب وقالوا يا رسول الله كلّفنا من الأعمال ما نطبق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية لا نطبقها فقال صلى الله عليه وسلم: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما أقر بها القوم وذلّت بها ألسنتهم أنزل في أثرها "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ" فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى). [ابن كثير

ج ١ ص ٣٣٨].

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ۚ وَكُتُبِهِ ۚ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾

{ءَامَنَ الرَّسُولُ} آمن وصدق الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ} بالقرآن الكريم الذي أنزل إليه من الله تعالى بواسطة سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام وخاصة هذه الآيات السابقة وهي قوله " وَإِن تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " {وَالْمُؤْمِنُونَ} وكذلك المؤمنون {كُلٌّ} كلٌّ من الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين {ءَامَنَ} صدق {بِاللَّهِ} بالله تعالى رباً وخالقاً ورازقاً ومحياً ومميتاً وهو على كل شيء قدير {وَمَلَائِكَتِهِ} وهم: جبريل عليه الصلاة والسلام يأتي بالرسالة للأنبياء وللرسل وإلى رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وميكائيل عليه السلام بالمطر والرزق موكل بهما ، وإسرافيل عليه الصلاة والسلام موكل بالنفخ في الصور يوم القيامة ، وعزرائيل عليه الصلاة والسلام موكل بالموت ، وحملة العرش وهم أربعة الآن ويوم القيامة ثمانية وهم يحملون العرش ، وملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ومنهم الزبانية وهم موكلون بالنار وعذابها ، ومالك عليه السلام خازن النار ، ورضوان عليه السلام خازن الجنة ، وملاك على يمين كل شخص يكتب الحسنات وهو أمير على الذي يسار الشخص وهو الذي

يكتب السيئات ، وحفظة يحفظون بني آدم ، وسائر الملائكة من أهل السموات السبع. وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير قال: حدثني المثني حدثنا إبراهيم ابن عبد السلام بن صالح القشيري حدثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي قال: دخل عثمان بن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ فقال: ملك على يمينك على حسناتك وهو أمير على الذي على الشمال فإذا عملت حسنة كتبت عشرا وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أكتبها؟ قال: لا لعله يستغفر الله ويتوب فيستأذنه ثلاث مرات فإذا قال ثلاثاً قال: اكتبها أراحنا الله منه فبئس القرين ما أقل مراقبته لله وأقل استحياءه منا يقول الله: " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله تعالى: " لَهُ مِعْقَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ " الآية وملك قابض على ناصيتك فإذا تواضعت لله رفعك وإذا تجبرت على الله قصمك وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكاً على كل آدمي وإبليس بالنهار وولده بالليل).

[ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٤ وقال عنه أنه حديث غريب جداً وعندني أنه صحيح ولا شيء فيه لقوله تعالى: " هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ "]. وكما جاء في الصحيح: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيصلدون إليهم الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٣]. وقال صلى الله عليه وسلم: (إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء

وعند الجماع فاستحيوهم وأكرمهم). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٣]. وقال البخاري: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر. يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: " وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا "). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٤]. {وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ} كل الكتب المنزلة على الأنبياء والرسل بما فيها صحف شيث عليه الصلاة والسلام وصحف إدريس عليه الصلاة والسلام وصحف إبراهيم عليه الصلاة والسلام والزيور على داود عليه الصلاة والسلام والتوراة على موسى عليه الصلاة والسلام والإنجيل على عيسى عليه الصلاة والسلام والقرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَرُسُلِهِمْ} ورسل الله تعالى وعددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً وذكر منهم في القرآن الكريم خمس وعشرون رسولاً نبياً أولهم آدم عليه الصلاة والسلام ورؤي في الأخبار: أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً. وثلاثمائة وثلاثة عشر منهم مرسل وباقيهم لم يكونوا مرسلين. [رواه أبو ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم - تنبيه الغافلين ج ٢ ص ٦٦]. {لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ} لأنه لا فرق عندنا نحن المسلمين بين رسل الله تعالى لأنه كلهم أرسلهم الله تعالى إلى أقوامهم وكلهم أطاعوه ولم يعصوه وكلهم كرام عليهم الصلاة والسلام جميعاً وكلهم من أهل الجنة {وَقَالُوا} وقال المؤمنون جميعهم {سَمِعْنَا} سمعنا لما أنزل علينا من الله تعالى {وَأَطَعْنَا} وأطعنا أمر الله تعالى في أوامره ونواهيه {غُفِّرَانَكَ رَبَّنَا} نطلب نحن المؤمنين مغفرتك وعفوك يا ربنا ويا

إلهنا ويا خالقنا ويا رب الأرباب ورب كل شيء ورب العالمين {وَالَيْكَ الْمَصِيرُ} وإليك المرجع وإليك المآل وإليك النهاية وإليك مصيرنا وعاقبة أمرنا يوم القيامة فتدخل برحمتك المؤمنين الجنة وتدخل الكفار وأهل الشرك والمعاصي النار {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ} لا يُحْمَلُ الله ولا يأمر بغير التكاليف الشرعية {نَفْسًا} كل نفس من بني آدم ومن الجن {إِلَّا وَسْعَهَا} إلا على قدر طاقتها وتحملها فلا يشق عليها في العبادة والتكاليف الشرعية. فالصلاة غير شاقة فمن لم يستطع الصلاة واقفاً صلى قاعداً أو جالساً أو نائماً ، والوضوء من لم يجد الماء يتيمم بالتراب ، والصوم يتحمله كل إنسان بالغ ما عدا المريض والمسافر فعليه الإفطار والقضاء في حالة الشفاء والإقامة أو الفداء وهو التصدق وإطعام مسكين عن كل يوم وجبتين ، والزكاة لا تخرج إلا لمن عنده النصاب وحال عليه الحول ، والحج فرض للقادر في العمر مرة فالدين يسر وسهل لا صعوبة فيه ولا مشقة {لَهَا مَا كَسَبَتْ} لها من الثواب بقدر ما كسبت وعملت من الحسنات والطاعات والعبادات وأعمال البر والخير في رضا الله تعالى وطلباً لرضوانه وجنته {وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} وعليها تحمل وزر وذنب ما عملت من المعاصي والذنوب ومن الكفر والشرك والعصيان {رَبَّنَا} إلهنا وخالقنا نسألك أن {لَا تُؤَاخِذْنَا} سامحنا ولا تحاسبنا ولا تعاقبنا بذنوبنا {إِنْ نَسِينَا} إن نسينا أمرك وعقابك وعصيانك كما نسي آدم عليه السلام كما قال تعالى: " وَلَقَدْ عَاهِدْنَا إِيَّاهُ مِنْ قَبْلُ فَانْسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً " ١١٥ طه. {أَوْ أَحْطَأْنَا} إن عملنا ذنباً وخطأً أو عملنا خطيئةً وأغضبناك فإنك حلیم ورءوف رحيم بنا {رَبَّنَا} ربنا وخالقنا وإلهنا وربنا ورب الخلق كلهم ورب الأرباب ورب العالمين وربنا نحن المؤمنين أو أصحاب هذه القرية أو المدينة أو الدولة {وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا

إِصْرًا} ربنا ولا تحاسبنا بذنوبنا {كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا} كما حاسبت وعاقبت الذين من قبلنا على ذنوبهم بالمشي والخسف والزلازل والظوفان والهلاك كقوم لوط جعلت قريتهم عاليها سافلها وكاليهود الذين اعتدوا في السبت بصيدهم الحيتان يوم سبتهم مسختهم قرده وكأمر قوم موسى بني إسرائيل بقتل أنفسهم لعبادتهم العجل وغيرهم ممن سبق ممن عاقبتهم وهذا الدعاء لنجاة تلك القرية أو المدينة من تلك العقوبة كما نجيت إبراهيم عليه السلام الذي كان في عهد لوط عليه السلام لأن سنة الله في خلقه أن العقوبة لا تأتي على كل الأرض في آن واحد ما عدا طوفان نوح الذي حدث على جميع الأرض فهي حالة خاصة بل تأتي في مدينة بعينها أو قرية بعينها أو دولة بعينها كما يحدث في العالم من زلازل وخلافه في أماكن معينة فقط {رَبَّنَا} ربنا وإلهنا وخالقنا ورب الأرباب ورب الكون والخلق كلهم {وَلَا تُحَمِّلْنَا} ولا تثقل علينا نحن المسلمين ولا تجعل علينا حملاً لا نطيع حملة {مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ} لا نستطيع حملة وتأديته كقوله تعالى: " وَإِن تَبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ " {وَأَعْفُ عَنَّا} وتجاوز عنا وسامحنا واصفح عنا وتجاوز عن سيئاتنا {وَأَغْفِرْ لَنَا} واغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا في حاضرنا وفي ماضينا وفي مستقبلنا {وَأَرْحَمْنَا} وارحمنا فيما هو آت وارحمنا يوم القيامة وأدخلنا الجنة وقنا عذاب النار {أَنْتَ مَوْلَانَا} أنت ولي نعمتنا وأنت الذي تتولى أمرنا ومصيرنا وحياتنا ومماتنا وأرزاقنا {فَأَنْصُرْنَا} خذ بيدنا بالنصر وأيدنا بالنصر وانصرنا في حربنا وجهادنا {عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} على الكفار وهم القوم الذين كفروا ولم يصدقوا وكذبوا وجحدوا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. ويلاحظ هنا في الدعاء الجمع وهو " رَبَّنَا

لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " أي هنا أتت صيغة الدعاء بالجمع وهذا تعليم للمسلم أن يطلب الدعاء له وللمسلمين عموماً لأن المسلمين جسد واحد وإخوة كما قال تعالى: " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ " وكذلك علمنا الله تعالى في سورة الفاتحة الدعاء لجميع المسلمين بقوله: " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ " وكذلك قوله تعالى: " رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " ٢٠١ البقرة. وذلك حتى يعلم المسلمون أنهم وحدة واحدة متكاملة في حربهم وفي سلمهم فهم أمة واحدة أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ١٦٥]. وفي الصحيح: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١١]. وفي الصحيح أيضاً: (إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين ولك مثله). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١١]. وفي الصحيح: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه صلى الله عليه وسلم). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١١]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه). [رواه ابن ماجه والحاكم].

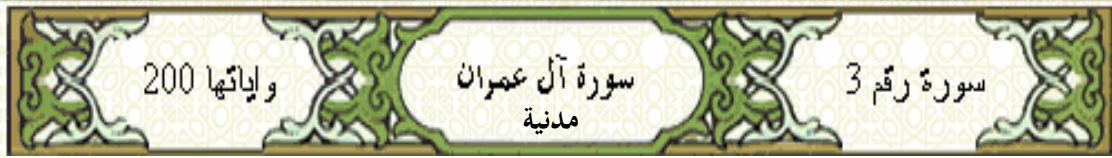
قال البخاري: حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن ابن يزيد عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه). [ابن كثير ج ١ ص ٣٤٠]. وأخرج

مسلم والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنده جبريل عليه السلام إذ سمع نقيضاً من فوقه فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: هذا باب قد فتح من السماء ولم يفتح قط فقال: نزل منه ملك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما ولم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم يقرأ حرف منهما إلا أوتيته). [كذا في أسرار الفاتحة - خزينة الأسرار ص ١٠٣ ، ابن كثير ج ١ ص ٣٤٢، ص ١١].

وأخرج ابن السني عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله تعالى). [كذا في الدر المنثور - خزينة الأسرار ص ١١٩]. وأخرج الدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً: (من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة وآية الكرسي وآيتين بعد آية الكرسي وثلاثاً من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه ولا يُقرآن على مجنون إلا أفاق). [كذا في الإتقان - خزينة الأسرار ص ١١٩ ، ابن كثير ج ١ ص ٣٢]. وروى الترمذي من حديث حكيم ابن جبير: (لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن [آية الكرسي]). [وفيه ضعف [أي في السند] - ابن كثير ج ١ ص ٣٠٢]. وفي الصحيحين: (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه قيل عن قيام الليل وقيل من كل آفة وشيطان). [نزهة المجالس ص ٤٨]. وروى الدارمي في مسنده عن ابن مسعود قال: (ما من بيت تقرأ فيه سورة البقرة إلا خرج منه الشيطان وله ضراط وقال: إن لكل شيء سناماً وإن سنام القرآن سورة البقرة وإن لكل شيء لباباً وإن لباب القرآن المُفصل). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢]. قال البخاري وقال الليث: حدثني يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرأ

فجالت الفرس فسكت فسكنت ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه فلما أخذ رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اقرأ يا ابن حضير قال: قد أشفقت يا رسول الله على يحيى وكان منها قريباً فرفعت رأسي وانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال: وتدري ما ذاك؟ قال: لا. قال: تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم). [ابن كثير ج ١ ص ٣٣]. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو نعيم حدثنا بشر بن مهاجر حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول: تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة قال: ثم سكت ساعة ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك فيقول أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتان لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان بما كسينا هذا فيقال بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذاً كان [أي سرداً سريعاً] أو ترتيلاً. [ابن كثير ج ١ ص ٣٣]. والزهراوان المنيرتان والغياية ما أظلك من فوقك والفرق القطعة من الشيء والصواف المصطفة المتضامنة والبطلة السحرة ومعنى لا تستطيعها أي لا يمكنهم حفظها وقيل لا تستطيع النفوذ في قارئها [ابن كثير ج ١ ص ٣٤]. وقد روى الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الحميد بن جعفر عن سعيد المقبري

عن عطاء مولى أبي أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل واحد منهم ما معه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سناً فقال ما معك يا فلان فقال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة؟ قال نعم قال: اذهب فأنت أميرهم فقال رجل من أشرفهم والله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا أنني خشيت أن لا أقوم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعلموا القرآن واقرؤوه فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأ وقام به كمثل جراب محشو مسكاً يفوح ريحه في كل مكان ومثل من تعلمه فترك وهو في جوفه كمثل جراب أوكى على مسك). [هذا لفظ رواية الترمذي ثم قال هذا حديث حسن - ابن كثير ج ١ ص ٣٣]. وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لكل شيء سناً وإن سنام القرآن البقرة وإن من قرأها في بيته ليلة لم يدخله الشيطان ثلاث ليال ومن قرأها في بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام). [رواه أبو القاسم الطبراني وأبو حاتم وابن حبان في صحيحه وابن مردويه من حديث الأزرق بن علي حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا خالد بن سعيد المدني عن أبي حازم عن سهل به - ابن كثير ج ١ ص ٣٣].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾

{الْم} وقد تكلمنا في أول سورة البقرة عن معنى حروف أوائل سور القرآن الكريم وقلنا هي مجمل واختصارات لآيات قرآنية (أي أنها آيات قرآنية مختصرة) لأن آيات القرآن الكريم تتكرر في عدة سور وفي عدة مواقع هي نفسها وبنفس لفظها وأفضل التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن لأنه كله كلام الله والقصد غالباً واحد وهذه الحروف هي بدل كلمة (انظر في صفحة كذا) أي (أنظر آية كذا) وهي مجمل واختصار لآيات قرآنية أخرى مضاهاة لفصاحة العرب ومعجزة على فصاحة القرآن الكريم على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة وقد نصيب وقد نخطئ وبالله التوفيق. وكما ذكرنا في تفسير سورة البقرة فإن هذه الحروف ليست للتنبيه حتى يسكت القوم وإلا ما فائدة التعوذ من الشيطان الرجيم والبسملة في افتتاح أول قراءة القرآن الكريم وأين قوله تعالى: " وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ " ٢٠٤ الأعراف. وكذلك ما جعلت في أول سور القرآن الكريم حتى يُعلم أن القرآن يتكون من هذه الحروف العربية فالله تعالى كفانا ذلك بقوله تعالى: " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. وقوله تعالى: " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. وقوله تعالى: " إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٣ الزخرف. وكذلك لو كانت هذه الحروف للتنبيه أو إشارة

إلى تَكُونِ الْقُرْآنَ من هذه الحروف العربية لَدُكِرَتْ في أوائل جميع سور القرآن. وليست كذلك طلاسماً لا يُعرف معناها لقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقال تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " ١٧ القمر. وعليه فحروف أوائل سور القرآن الكريم هي آيات قرآنية مختصرة لقوله تعالى عن هذه الحروف: " طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ " ١ النمل. وكما في قوله تعالى: " طسم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ {٢} " ٢٠١ القصص. وقوله تعالى: " الم {١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ {٢} " ٢٠١ لقمان. وعليه فإن معنى (الْم) هو قوله تعالى: " أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ " ١٠٧ البقرة. والله تعالى أعلم مع ملاحظة أن التفسير هو تقريب المعنى للقارئ {اللَّهُ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهو رب العالمين ورب الكون والخلق جميعهم وهو رب الأرباب وهو اسم الذات وهو اسم الله الأعظم وهو إله الآلهة. وجميع الأسماء الأخرى من الأسماء الحسنى له صفة وهو الخالق والموجد والمحيي والمميت والرازق وهو على كل شيء قدير {لَا إِلَهَ} لا إله ولا معبود سواه ولا رب غيره {إِلَّا هُوَ} إلا هو الله وحده لا شريك له له الملك وحده {الْحَيُّ} الذي لا يموت أبداً فهو حي على الدوام لا يموت ولا يبلى ولا تتوقف حياته أبداً على الدوام فهو الدائم الذي لا نفاذ له {الْقَيُّومُ} دائم القيام بشئون خلقه بالرزق وبالموت والحياة ودائم القيام بتدبير ملكه على الدوام {نَزَّلَ} أنزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة بالسماء الدنيا وهو مسجد أهل السماء الدنيا ومن السماء الدنيا بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام {عَلَيْكَ} عليك يا محمد يا رسول الله {الْكِتَابِ} وهو القرآن الكريم

{بِالْحَقِّ} بالصدق وبالعدل ولا كذب فيه ولا مراء {مصدقاً} مؤيداً ومؤكداً وجاء تصديقاً {لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} للكتب السماوية السابقة المنزلة على الأنبياء والرسل السابقين {وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ} وأنزل الله تعالى من قبله التوراة على موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام لليهود وهم بنو إسرائيل {وَالْإِنْجِيلَ} وأنزل الله تعالى من بعد التوراة الإنجيل على عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام وهو كتاب للنصارى {مِنْ قَبْلُ} من قبل رسالتك ونزول القرآن عليك يا محمد يا رسول الله وقبل أن تولد {هُدًى لِلنَّاسِ} هداية وإرشاد لليهود والنصارى من الأمم السابقة {وَأَنْزَلَ} وأنزل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْفُرْقَانَ} وهو القرآن الكريم وهو يفصل بين الحق والباطل وبين الإسلام والشرك وبين الإيمان والكفر وبين الهدى والضلال {إِنَّ} حرف توكيد {الَّذِينَ كَفَرُوا} وهم الكفار وهم الذين لم يصدقوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهم الذين جحدوا وأنكروا وكذبوا {بِعَايَتِ اللَّهِ} كذبوا بآيات القرآن الكريم وبالمعجزات على يد رسل الله تعالى وبالبيّنات وبالدلّائل الواضحات الدالة على قدرة الله تعالى وعلى وحدانيته {لَهُمْ عَذَابٌ} لهم عقاب من الله تعالى {شَدِيدٌ} قوي وقاس وأليم وموجع في نار جهنم يوم القيامة {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَزِيزٌ} وهو قوي في ملكه وسلطانه وعزيز الجانب والمنعة والقوة فلا تصل إليه يد بالسوء أو الاعتداء {ذُؤَابْتِقَامٍ} ذو عقاب سريع وأخذ وبطش لمن عصى وكفر وأذنب. قال الإمام أحمد: (حدثنا محمد بن بكير أنبأنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هاتين الآيتين "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" ، و: "الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ " : إن فيهما اسم الله الأعظم. وكذا رواه أبو داود عن مسدد والترمذي عن علي بن خشرم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة ثلاثتهم عن عيسى بن يونس عن عبيد الله بن أبي زياد به وقال الترمذي: حسن صحيح). [ابن كثير ج ١ ص ٣٠٧]. وقال ابن مردويه: (أخبرنا عبد الله بن نمير أخبرنا إسحق بن إبراهيم بن إسماعيل أخبرنا هشام بن عمار أنبأنا الوليد بن مسلم أخبرنا عبد الله بن العلاء بن زيد أنه سمع القاسم بن عبد الرحمن يحدث عن أبي أمامة يرفعه قال: (اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور: سورة البقرة وآل عمران وطه) وقال هشام وهو ابن عمار خطيب دمشق أما البقرة فـ "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" ، وفي آل عمران: "الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ" ، وفي طه: "وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ". [ابن كثير ج ١ ص ٣٠٧].

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ ٥ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾

{إِنَّ} إن للتوكيد {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهو إله الخلق ورب الأرباب وهو رب العالمين {لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ} لا يغيب عن علمه ولا يختفي عنه {شَيْءٌ} شيء من الأشياء أو سر من الأسرار فكل شيء في الكون هو شيء {فِي الْأَرْضِ} سواء كان في الأرض التي نحن عليها {وَلَا فِي السَّمَاءِ} ولا في أي سماء من السموات السبع {هُوَ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ} الذي يخلقكم على أي صورة وخلقته من الذكورة أو الأنوثة ومن الحسن والقبح {فِي الْأَرْحَامِ} في فروج وأرحام الأمهات {كَيْفَ يَشَاءُ} كيف يريد سواء ذكوراً أو إناثاً وسواء سالمين أو مشوهين أو غير ذلك {لَا إِلَهَ} لا

إله ولا معبود سواه ولا رب غيره {إِلَّا هُوَ} إلا هو الله تعالى وحده لا شريك له {الْعَزِيزُ} القوي في ملكه وسلطانه والعزیز الجانب والمنعة والقوة فلا تصل إليه يد بالسوء أو الاعتداء {الْحَكِيمُ} ذو الحكمة في آياته ومعجزاته وأوامره ونواهيته وفي ملكه ولا يخطئ أبداً.

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾

{هُوَ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي أَنْزَلَ} الذي نزل بواسطة جبريل عليه السلام من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا وهو مسجد أهل السماء الدنيا {عَلَيْكَ} عليك يا محمد يا رسول الله {الْكِتَابِ} القرآن الكريم {مِنْهُ} من قبل الله تعالى وبأمره وإرادته وقدرته وحكمته {آيَاتٌ} آيات القرآن الكريم {مُحْكَمَاتٌ} أي قويات الحكم والدلالة والبيان والإيضاح ونزلت بحكمة من الله تعالى فلا خطأ ولا ظلم ولا تجاوز في حكمها وأمرها ونهيها {هُنَّ} آيات القرآن هذه {أُمُّ الْكِتَابِ} أصل التشريع وهي الأصول في الأحكام ويجب الاعتماد على حكمها في الأحكام والأوامر والنواهي ، وفيها كلمة التوحيد كما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا " ٤٨ النساء. وكما قال تعالى: " وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا " ١٣١ النساء. ومنها آيات الفرائض الصلاة والزكاة والصوم والحج ، ومنها الحدود ، ومنها الحلال والحرام كما قال تعالى: " يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ " ٤ المائدة. ومنها آيات تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وغيرها ومنها قوله تعالى على سبيل المثال لا الحصر: " قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " ١٥١، ١٥٢ الأنعام. فهذه الآيات المحكمات لا زيغ ولا تخريف ولا كذب فيها ولا تهور ولا بعد عن الحق ولا ظلم بل بها حكمة ومنفعة للناس في دنياهم وأخراهم وهي محكمات الأوامر والنواهي وفيها الفصل وليس الهزل ولا اللعب ولا اللهو {وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ} وآيات أخرى متشابهات في الرحمة مثلاً وفي المغفرة كقوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " وليس حكمها لجميع الناس فهي فقط لمن تاب وندم ورجع إلى عبادة الله تعالى وحده وليس لمن أصر على الكفر والشرك والمعاصي لأن هناك آيات أخرى متشابهة لذلك الفعل والعمل والمعصية كقوله تعالى مثلاً: " إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " وقوله تعالى: " لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ " أو " لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " لأن الثواب والعقاب من جنس العمل {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ} فأما الناس الذين في قلوبهم وصدورهم {زَيْغٌ} ميل وانحراف عن الحق وعن الهدى والابتعاد عن طاعة

الله تعالى وعبادته {فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ} فيتبعون النص الذي يتشابه مع أمانيتهم وطموحهم كقوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ " أي يفسرون كفرهم وشركهم ومعاصيهم بأن الله سيغفرها لهم بهذا النص المذكور آنفاً وتلك أمانيتهم وتخريص وكذب على الله تعالى وعلى القرآن الكريم لأنهم تركوا قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ " لمن عصى منهم وهذا هو أخذهم ما تشابه من القرآن بأمانيتهم وطموحهم وليس لأمر الله تعالى ونهيه عن الشرك والكفر والمعاصي {أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ} فيأخذون الرخصة من القرآن الكريم حسب أهوائهم وشهواتهم وأمانيتهم وذلك ليفتنوا بعض الذين لا يعلمون ومن على شاكلتهم وأتباعهم تغييراً بهم ويغيروا الحق بالباطل والعدل بالظلم والعبادة بالكفر والمعاصي {وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} وطلباً لتفسير القرآن على حسب أهوائهم كمن يقول للمرأة إذا أراد الزنا بها ويريد أن يحلله لها وله يقول لها أوهبي نفسك لي ويفسر المهر للنساء بأجرة الزنا لقوله تعالى: " وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ " يفسروها بأجرة الزنا وليس كمهر يدفع بشروط موافقة الولي والشهود وعقد القران {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ} ولا يعلم حقيقة تفسيره ومعناه الحقيقي وأمره ونهيه {إِلَّا اللَّهُ} إلا الله تعالى فهو الذي نزله وهو قوله وكلامه وأمره ونهيه وحكمه فهو يعلمه ويعلم كل شيء {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} والجهابذة في العلم والمتحققون والمتبحرون في العلم وهم المفسرون والمتأكدون والعارفون بحقيقة القرآن والتمكنون من العلم والمعرفة والدراية والتجربة الواسعة ونافذو البصيرة في العلم والمعرفة والإيمان وهم العلماء العاملون والأتقياء والأولياء والعارفون والمتقون والصالحون والأبرار ومن يوهبهم الله العلم هبة ومِنَّةً مِنْهُ وأهل الحقيقة وأهل الكشف كسيدنا الخضر عليه السلام وعلمه فهم يعلمون تأويل القرآن وتفسيره وإلا لو كان طلاسماً لا يُعْلَمُ تأويله لكان حجة للكفار وبسطاء العلم ألا يأخذوا به لأنهم لا يعلمون تأويله وحجتهم في

ذلك عندها أن الراسخون في العلم لا يعلمون تأويله فما بالهم هم وهذا يتعارض مع قوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " {يَقُولُونَ ءَأَمْنًا بِهِـ} فالعلماء الراسخون في العلم والمفسرون للقرآن زيادةً على علمهم تأويل القرآن وتفسيره يقولون آمنا وصدقنا بالقرآن الكريم والعظيم {كُلُّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا} كل آيات القرآن الكريم هي نزلت من عند ربنا وخالقنا الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وصدقنا بها {وَمَا يَذَّكَّرُ} وما يتعظ بنص القرآن وأحكامه وأوامره ونواهيته {إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} إلا أصحاب الإدراك والفهم والعقول السليمة وأصحاب العلم والتروي والنصح والإرشاد والاتعاظ وهم الناجون يوم القيامة. وقد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال: (أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله). [ابن كثير ج ١ ص ٣٤٧]. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: (والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به). وكذا قال الربيع بن أنس. [ابن كثير ج ١ ص ٣٤٧]. وهذا ما يؤكد قوله تعالى: " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ " ٩ الزمر. ولولا ذلك لاستوى الراسخون في العلم مع الجهال والعامّة في نفس الدرجة لأنهم جميعاً لا يعلمون تأويله ولا يفهمونه ولا يعرفونه ولا يعلمون أوامره ولا نواهيته وعندها تكون حجة للكفار على المسلمين لو أن الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله وعندها يكون الراسخون في العلم والمفسرون " كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا " ولكن الله تعالى يريد أن يتم نوره وكلامه ليدحض ويبطل كيد أعداء الإسلام وأعداء المفسرين بقوله تعالى: " لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا " ١٦٢ النساء. والآيات القرآنية الدالة على معرفة تأويله للراسخين في العلم منها قوله

تعالى: " كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ " ٢٩ ص. ،
وقوله تعالى: " كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ " ١ هود. ،
وقال تعالى: " وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا " ١٢ الإسراء. ، وقوله تعالى: " إِنَّآ
أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " ٢ يوسف. ، وقوله تعالى: " كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ
قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " ٣ فصلت. ، وقوله تعالى: " وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا
لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ " ٨٩ النحل. ، وقال تعالى: " بَلْ هُوَ
آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ " ٤٩ العنكبوت. وقوله تعالى: " ثُمَّ إِنَّ
عَلَيْنَا بَيَانَهُ " ١٩ القيامة ، وقوله تعالى: " وَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ "
١٧ القمر. وقد حثنا الله تعالى على تفسيره بقوله تعالى: " أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ
عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ٢٤ محمد. وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف
الحمصي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا فياض الرقي حدثنا عبيد الله بن يزيد وكان
قد أدرك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنساً وأبا أمامة وأبا الدرداء أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم فقال: (من برت يمينه وصدق
لسانه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم). [ابن كثير
ج ١ ص ٣٤٧]. وقال ابن مردويه: حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا أحمد بن عمرو
حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه
عن ابن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن القرآن لم ينزل ليكذب
بعضه بعضاً فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه منه فآمنوا به). [ابن كثير ج ١
ص ٣٤٦]. {رَبَّنَا} ربنا وإلهنا وخالقنا ورازقنا ورب الأرباب ورب العالمين ورب
الخلق جميعهم {لَا تُزِعْ قُلُوبَنَا} لا تحرفها ولا تبعدها عن عبادتك ولا عن الإيمان
ولا عن الحق {بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} بعد أن هديتنا وأرشدتنا للإسلام والإيمان {وَهَبْ

لَنَا { وَارزقنا وأعطنا } { مِنْ لَدُنْكَ } من فضلك وكرمك وَمَنَّكَ { رَحْمَةً } علماً ورحمة
 ترحمنا بها بعبادتك ومعرفة الحق من الباطل وتبعدنا عن الكفر والشرك والمعاصي
 { إِنَّكَ أَنْتَ } إنك أنت يا الله يا رب العالمين { الْوَهَّابُ } المنعم والمتفضل بهذه النعم
 وبهذه الرحمة والعلم { رَبَّنَا } إلهنا وخالقنا ورازقنا ومحيينا ومميتنا { إِنَّكَ } إنك
 أنت يا الله { جَامِعُ النَّاسِ } حاشرهم وجامعهم يوم المحشر في صعيد واحد بعد
 إحيائهم وإخراجهم من قبورهم { لِيَوْمٍ } ليوم القيامة ويوم الحساب { لَا رَبَّ فِيهِ }
 لا شك ولا مرء ولا كذب { إِنَّ اللَّهَ } إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا
 شأنه { لَا يُخَلِّفُ الْأَمْعَادَ } لا يغير يوم القيامة وقيامها فإنها آتية لا ريب فيها فإن
 الله تعالى لا يغير ولا يبدل ميعاد يوم القيامة فإن الله تعالى وعده حق وقوله الحق.
 ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ
 هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ كَذَابِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِبَيِّنَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ
 اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾

{ إِنَّ } للتوكيد { الَّذِينَ كَفَرُوا } وهم الكفار وهم الذين لم يصدقوا برسالة سيدنا
 محمد صلى الله عليه وسلم وهم الذين لا يؤمنون ولا يصدقون بالله تعالى ولا كتبه
 ولا رسله ولا باليوم الآخر { لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ } لن تنفع عنهم أي لن تنفعهم
 { أَمْوَالُهُمْ } أموالهم التي حصلوا عليها وجمعوها وادخروها { وَلَا أَوْلَادُهُمْ } ولا
 أولادهم ولا ذريتهم من أصلابهم ولا كثرتها { مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا } من عذاب الله تعالى
 يوم القيامة في جهنم شيئاً ولا تنفعهم ولا فائدة منها لا من قريب ولا من بعيد
 لكفرهم بالله تعالى وبرسوله { وَأُولَئِكَ } أي الكفار { هُمْ وَقُودُ النَّارِ } هم وقود

وحطب نار جهنم يوم القيامة { كَدَّابٌ } كمثل { ءِآلِ فِرْعَوْنَ } قوم فرعون وهو ملك مصر الوليد بن مصعب مع رسالة موسى عليه السلام حيث جحد وأنكر بها هو وقومه فأغرقهم الله تعالى وأهلكهم ولهم عذاب جهنم يوم القيامة { وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } والأقوام الأخرى من الكفار الذين سبقوهم في العصور الماضية وكانوا قبلهم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وغيرهم { كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا } كذبوا بمعجزات الله تعالى ودلائله وبراهينه على وحدانيته وأنه الخالق والرازق والمحيي والمميت { فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ } فأخذهم الله تعالى بالعذاب وأهلكهم { بِذُنُوبِهِمْ } بسبب ذنوبهم التي اقترفوها وارتكبوها من الكفر والشرك والمعاصي ومخالفة رسلهم { وَاللَّهُ } والله تعالى عز جلاله { شَدِيدُ الْعِقَابِ } قاسي العذاب والانتقام ممن كفر وأشرك وكذب بالله تعالى ورسله .

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۗ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٣١﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ اللَّتَقَتَا ۗ فَعَثُوهُ تَقَاتُلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ ۗ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ ۗ مَنْ يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٣٢﴾ ﴾

{ قُلْ } قل يا محمد يا رسول الله { لِلَّذِينَ كَفَرُوا } للكفار من أهل مكة واليهود { سَتُغْلَبُونَ } ستهزمون على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى يد المسلمين { وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ } وتُجمعون في المحشر وعند الحساب ، ومصيركم إلى نار جهنم وإلى دخولها وإلى عذابها { وَبِئْسَ } وقبح { الْمِهَادُ } المقر والمصير والمآل والنهاية التي تنتظركم في نار جهنم. وسبب نزول هذه الآية هو ما

ذكره محمد بن إسحاق بن يسار عن عاصم بن عمر بن قتادة: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال: يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشا فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا. فأنزل الله في ذلك قوله: " قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَبُئْسَ الْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ").

[ابن كثير ج ١ ص ٣٥٠]. { قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ } قد كان لكم معجزة وموعظة أيها المسلمون { فِي فِئَتَيْنِ } في جماعتين { التَّقَاتَا } تقابلتا للحرب في بدر { فِئَةٌ } جماعة { تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } تجاهد لتكون كلمة الله هي العليا وهم المسلمون { وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ } والثانية جماعة كافرة وملحدة وكفرت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهم كفار قريش أهل مكة { يَرَوْنَهُمْ مِّثْلِهِمْ } يشاهد ويرى المسلمون كفار قريش أكثر منهم وضعفهم في العدد في بدر { رَأَىٰ الْعَيْنِ } رأوهم بالعين المجردة فقد كان عدد كفار قريش من تسعمائة إلى ألف والمسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر كما روى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأل ذلك العبد الأسود لبني الحجاج عن عدة قريش قال: كثير. قال: كم ينحرون كل يوم؟ قال: يوماً تسعاً ويوماً عشراً. قال النبي صلى الله عليه وسلم: القوم ما بين تسعمائة إلى ألف). [ابن كثير ج ١ ص ٣٥٠]. وفي تفسير القرآن لابن كثير: (" وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ " أي يوم بدر وكان يوم الجمعة وافق السابع عشر من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة وهو يوم الفرقان الذي أعز

الله فيه الإسلام وأهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله وحزبه هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فيهم فرسان وسبعون بعيراً والباقون مشاة ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه وكان العدو يومئذ ما بين التسعمائة إلى الألف في سوابغ الحديد والبيض والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلي الزائد). [ابن كثير ج ١ ص ٤٠٠]. {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ} ينصر من يريد. وأيد الله تعالى المسلمين بالنصر بأن أنزل المطر من السماء فشربوا وتطهروا وصارت الأرض يابسة لهم في المسير وأما قريش فلم يقدرُوا على المسير في الأوحال وكذلك أرسل الله تعالى الملائكة تحارب مع المسلمين وتقذف الرعب والهلع في قلوب الكفار. قال الإمام أحمد: (حدثنا أبو نوح قراد حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا سماك الحنفي أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم القبلة وعليه رداؤه وإزاره ثم قال: اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد في الأرض أبداً. فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل: " إِذِ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ " فلما كان يومئذ التقوا فهزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٩]. وكان النصر حليف المسلمين. {إِنَّ فِي ذَلِكَ} إن في هذا النصر الكبير في معركة بدر الكبرى

{لَعِبْرَةً} لعظة {لِأُولَى الْأَبْصَارِ} لأصحاب البصر والبصيرة النافذة كما قال تعالى: " وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ " ٤٣ العنكبوت.

﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَادِ ۝٤٤﴾

﴿ قُلْ أُوْتِيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ ۗ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝٤٥﴾

{زَيْنَ} زُخْرِفٍ وَحُلِيِّ وَجُمْلٍ مِنْ قِبَلِ الشَّيْطَانِ {لِلنَّاسِ} مِنْ بَنِي آدَمِ {حُبِّ الشَّهَوَاتِ} حُبِ الْمَلذَّاتِ وَالتَّمَتُّعِ {مِنَ النِّسَاءِ} مِنْ جَمَاعِ النِّسَاءِ الْجَمِيلَاتِ وَالْمِيلَاتِ وَالْحَسَنَاتِ {وَالْبَنِينَ} وَحُبِ الْأَوْلَادِ الذَّكَورِ مِنَ الصُّلْبِ وَكَثَرَتِهِمْ لِيَكُونُوا سِنْدًا وَعِزًّا وَجَاهًا لِلْأَبِّ {وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ} وَالْقَنَاطِيرُ وَهِيَ جَمْعُ قَنْطَارٍ وَهِيَ مِثَّةٌ رَطْلٍ شَامِيٍّ فِي الْوِزْنِ وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ وَهِيَ الْكَثِيرَةُ الْعَدَدِ وَالتِّي لَا حَصْرَ لَهَا {مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ} مِنَ الْحُلِيِّ وَالزَّيْنَةِ مِنَ الذَّهَبِ الْأَصْفَرِ وَالْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ لِلتَّزِينِ بِهَا وَاجْمَعُهَا وَادخارها مخزوناً لعثرات الدهر زيادة على الزينة {وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ} وَالْخَيْلُ الْمَحْجَلَةُ وَالْمَعْلَمَةُ وَالْأَصِيلَةُ {وَالْأَنْعَامِ} وَالْمَوَاشِي وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ وَالْإِبِلُ لِأَكْلِ لِحُومِهَا وَشَرَبِ ألبَانِهَا وَالاستفادَةَ مِنْهَا مَادِيًّا {وَالْحَرْثِ} وَالزَّرْعُ وَالْأَرْضُ كُلُّهَا جَمِيعاً زِينَتٌ لِلنَّاسِ لِجَمْعِهَا وَامْتلاكِهَا {ذَٰلِكَ} وَكُلُّ ذَلِكَ {مَتَعُ} زِينَةٌ وَاسْتِمْتَاعٌ بِهَا {الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِلتَّمَتُّعِ وَالزَّيْنَةِ وَالتَّفَاخُرِ وَالتَّبَاهِي بِتَمْلِكِهَا {وَاللَّهُ} وَاللَّهُ تَعَالَى جَلْ جَلَالِهِ وَعَظْمُ قَدْرِهِ وَعَلَا شَأْنَهُ

{عِنْدَهُ} عنده في الجنة يوم القيامة للمؤمنين والمنتقين {حُسْبُ الْمَاءِ} حسن الضيافة وحسن التمتع وحسن المرجع والعودة إليه في جنات النعيم في يوم القيامة {قُلْ} قل للناس يا محمد يا رسول الله {أَوْ نَبِّئُكُمْ} هل أخبركم {بِخَيْرٍ} بأفضل {مِنْ ذَلِكَ} من ذلك كله وهو متاع الحياة الدنيا من الذهب والنساء والخيل والأنعام والحرث {لِلَّذِينَ اتَّقَوْا} للمتقين الذين يخافون الله ويتقون محارمه وحدوده العابدين والطائعين له {عِنْدَ رَبِّهِمْ} عند الله تعالى خالقهم ورازقهم يوم القيامة {جَنَّاتٍ} جنة عدن وجنة النعيم وجنة الخلد وجنة المأوى وغيرها وعددها ثمانية جنات وذلك كل حسب درجته ومنزلته {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري من تحت قصورها وأشجارها وخلالها أنهار الجنة والأنهار أربعة وهي نهر الماء ونهر اللبن ونهر الخمر ونهر العسل {خَالِدِينَ فِيهَا} دائمون ومخلدون في الجنة ونعيمها {وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ} ولهم في الجنة زوجات من الحور العين مطهرة من الحيض والنفاس والبول. وفي حديث الصور المشهور: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة فيقول الله تعالى قد شفعتك وأذنت لهم بدخولها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وثلنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما في الدنيا يدخل الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجا من سندس وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت كبده لها

مرآة يعني وكبدها له مرآة فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها إلا أنه لا مني ولا منية فبينما هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أن لك أزواجا غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت : والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة شيء أحب إلي منك). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٢]. {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ} وهو رضاء الله تعالى عليه ورضوان الله أكبر {وَاللَّهُ} والله تعالى {بَصِيرٌ} مطلع {بِالْعِبَادِ} بالناس وأحوالهم وأفعالهم.

﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧٠﴾

{الَّذِينَ} هم المؤمنون {يَقُولُونَ} يقولون بألسنتهم {رَبَّنَا} ربنا وخالقنا وإلهنا يا الله يا رب العالمين {إِننَّا آمَنَّا} إنا آمنا وصدقنا بك وبملائكتك وكتبك ورسلك واليوم الآخر {فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا} فاعف عنا وتجاوز عن ذنوبنا التي عملناها في الدنيا سابقاً وأذنبناها وعصيناك بها {وَقِنَا} واحفظنا وجنبنا واصرف عنا {عَذَابَ النَّارِ} عذاب نار جهنم يوم القيامة {الصَّابِرِينَ} وهم الصابرون على طاعة الله تعالى وعن المعصية ولا يقترفونها والصابرين في الشدائد والجهاد والمصائب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من صبر على أداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة ومن صبر عن محارم الله فله ستمائة درجة ومن صبر على المصيبة فله تسعمائة درجة). [نزهة المجالس ج ١ ص ٥٤].

{وَالصَّادِقِينَ} والصادقين في العبادة وفي طاعة الله تعالى وفي مرضاته وفي اللقاء أي في الحرب والجهاد {وَالْقَانِتِينَ} والطائعين لله تعالى. وقال ابن أبي حاتم:

حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة). [ابن كثير ج ١ ص ٣٦٣]. {وَالْمُنْفِقِينَ} والمتصدقين بمالهم وعلمهم ونصائحهم للمحتاجين لها {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} الذين يستغفرون الله وقت السحر ويطلبون عفوه ومغفرته. وثبت في الصحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن من غير وجه عن جماعة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل الله تبارك وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟). [ابن كثير ج ١ ص ٣٥٣].

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَلَمْتُمْ ؕ فَإِنْ أَسَلَمْتُمْ ؕ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾

{شَهِدَ اللَّهُ} شهد الله تعالى شهادة حق وأقرَّ لخلقه واعترف وبلغ {أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} أنه لا إله ولا معبود سواه ولا رب غيره فهو رب العالمين والخلق جميعهم وإله الكون كله {وَالْمَلَائِكَةُ} وشهدت الملائكة له بالربوبية {وَأُولُو الْعِلْمِ} والعلماء والعارفون والمتحققون من علمهم اعترفوا كذلك له بالربوبية {قَائِمًا} مداوماً

ومستمراً {بِالْقِسْطِ} بالحق وبالعدل بين خلقه. وتجلى ذلك في الرزق فهو يرزق الطائع والعاصي والمؤمن والكافر والصغير والرضيع والكبير حتى النملة السمراء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} لا إله ولا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت إلا هو الله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْعَزِيزُ} القوي في ملكه وسلطانه وهو قوي الجانب والمنعة فلا تصل إليه يد بالسوء ولا باعتداء {الْحَكِيمُ} ذو الحكمة في آياته ومعجزاته وأوامره ونواهيه وفي ملكه ولا يخطئ أبداً {إِنَّ الدِّينَ} إن الدين والمذهب والعقيدة والشرع الوحيد {عِنْدَ اللَّهِ} والذي يقبله الله تعالى هو {الْإِسْلَامُ} هو دين الإسلام وعقيدته وأحكامه وأوامره ونواهيه {وَمَا اخْتَلَفَ} ولم يختلف ويعترض {الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} وهم اليهود الذين أوتوا كتاب التوراة والنصارى وهم الذين أوتوا كتاب الإنجيل {إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ} إلا من بعد ما علموا وتحققوا من رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما عرفوا من صفاته واسمه في كتبهم حقداً وحسداً وكانوا يظنون ويأملون ويرجون أن يكون منهم ولكنه جاء من العرب ولذلك اختلفوا وعارضوا ورفضوا وانحرفوا عن اتباع الإسلام ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصفة النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبة في التوراة والإنجيل كما قال تعالى: " يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ " ١٥٧ الأعراف. وكما قال عيسى ابن مريم كما قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ " ٦ الصف. {بَغِيًّا} حقداً وحسداً وعداوة {بَيْنَهُمْ} بين اليهود والنصارى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَمَنْ يَكْفُرْ} ومن يجحد

ويكذب ولم يصدق {بِعَايَتِ اللَّهِ} بآيات القرآن الكريم التي نزلت من عند الله تعالى لهم {فَارَبَّ اللَّهِ} فالله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {سَرِيعُ الْحِسَابِ} سريع العقاب والانتقام منهم. وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار). [رواه مسلم - ابن كثير ج ١ ص ٣٥٤]. {فَإِنْ حَاجُّوكَ} فإن جادلوك يا محمد يا رسول الله بحججهم الواهية منكرين عليك الرسالة {فَقُلْ} فقل لهم يا محمد يا رسول الله {أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ} توكلت واعتمدت على الله وانقدت له وأسلمت وأخلصت عبادتي وطاعتي لله عز وجل {وَمَنْ أَتَّبَعِنِ} ومن اتبعني واقتدى بي من المؤمنين والمسلمين {وَقُلْ} وقل يا محمد يا رسول الله {لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} لليهود والنصارى الذين أوتوا التوراة والإنجيل {وَالْأُمِّيِّينَ} والمسلمين فهم أميون نسبة إلى رسولهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الأمي الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة {أَسَلَّمْتُمْ} هل صدقتم وآمنتم واتبعتم دين الإسلام {فَإِنْ أَسَلَّمُوا} فإن اتبعوا دين الإسلام ودخلوا فيه {فَقَدْ أَهْتَدَوْا} فقد هداهم الله تعالى وأرشدهم للحق والعدل والصواب {وَإِنْ تَوَلَّوْا} وإن أعرضوا ورفضوا اتباع الإسلام {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ} فعليك يا محمد يا رسول الله البلاغ لهم وتحذيرهم وإنذارهم عذاب الله تعالى يوم القيامة لمن كفر وعصى وأشرك كما قال تعالى: " لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ " {وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ} والله تعالى مطلع ويرى ويبصر ويعلم عمل الناس فمن أطاع فله الجنة ومن عصى فله النار. وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن آية الكرسي

والفاتحة وآيتين من آل عمران " شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ " الآية. و " قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ " الآية. لما أراد الله أن ينزلها تعلقن بالعرش وقلن أنهبطن إلى أرضك وإلى من يعصيك فقال: وعزتي وجلالي لا يقرأكن أحد من عبادي دبر كل صلاة إلا جعلت الجنة مثواه وسكنته بحظيرة القدس ونظرت إليه كل يوم سبعين نظرة وقضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة). [رواه ابن السني - نزهة المجالس ص ٤٨].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

{ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ } إن الذين يجحدون وينكرون ويكذبون أي الكفار { بِآيَاتِ اللَّهِ } بآيات القرآن الكريم وبمعجزاته وهم اليهود وهذا تهديد من الله تعالى إلى بني إسرائيل لتكذيبهم بالقرآن الكريم وآياته { وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ } ويقتلون رسل الله تعالى وأنبيائه { بِغَيْرِ حَقٍّ } بغير ذنب ارتكبه إلا أنهم يبلغونهم رسالة ربهم { وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ } ويقتلون الوعاظ والمرشدين ومن أمرهم بالمعروف وبالحق والعدل من الناس في زمانهم { فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } فأخبرهم يا محمد يا رسول الله بعذاب الله تعالى في جهنم يوم القيامة قاسٍ وأليم ينتظرهم بسبب أعمالهم المنكرة. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو الزبير الحسن بن علي بن مسلم النيسابوري نزيل مكة حدثني أبو حفص عمر ابن حفص يعني ابن ثابت بن زرارة الأنصاري حدثنا محمد بن حمزة حدثنا أبو الحسن مولى لبني أسد عن مكحول عن أبي قبيصة بن ذئب الخزاعي عن أبي

عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه قال: (قلت: يا رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال: رجل قتل نبياً أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " الآية. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلاً من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوه عن المنكر فقتلوه جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم فهم الذين ذكر الله عز وجل). [وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عبيد الوصابي محمد ابن حفص عن ابن حمير عن أبي الحسن مولى بني أسد عن مكحول به - ابن كثير ج ١ ص ٣٥٥]. {أَوْلَٰئِكَ} هؤلاء اليهود ومن يعمل عملهم ومن هو على شاكلتهم {الَّذِينَ خَبِطَتْ} هم الذين خسرت وساءت وبطلت {أَعْمَلُهُمْ} أفعالهم في الدنيا بسوء السمعة والذكر {فِي الدُّنْيَا} في الحياة الدنيا بالسمعة السيئة {وَالْآخِرَةِ} ولهم في الآخرة عذاب أليم في جهنم {وَمَا لَهُمْ} وليس لهؤلاء الكفار {مِّنْ نَّصِيرِينَ} من منقذين ولا مساعدين ولا مساندين ولا مانعيهم العذاب يوم القيامة من الله تعالى.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ
 بَيْنَهُمْ ثُمَّ يُتَوَلَّى فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمَسَّنَا
 النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَّعَرَّهْمُ^ط فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا
 جَمَعْنَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وُوفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

{ أَلَمْ تَرَ } ألم تنظر وتشاهد يا محمد يا رسول الله { إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ
 الْكِتَابِ } إلى اليهود الذين أنزل عليهم كتاب التوراة التي أنزلت على نبيهم
 ورسولهم موسى عليه السلام { يُدْعَوْنَ } يطلب منهم الرسول سيدنا محمد صلى الله
 عليه وسلم { إِلَى كِتَابِ اللَّهِ } إلى التوراة وهي كتاب الله الذي أنزل عليهم بأن
 يأتوا بها { لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ } ليفصل بينهم وبين رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه
 وسلم واسمه وصفته في كتابهم وأنه رسول آخر الزمان { ثُمَّ يُتَوَلَّى فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ } ثم
 يرفض ويمتنع ويأبى الأحنبار من اليهود أن يحضروا التوراة ويقرؤوها وما فيها من
 صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { وَهُمْ مُّعْرِضُونَ } وهم ممتنعون ورافضون
 لأنهم يعلمون حقيقته وأن رسالته وصفته موجودة في كتابهم. وعن ابن عباس رضي
 الله عنهما قال: (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جماعة من يهود
 فدعاهم إلى الله فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا
 محمد؟ فقال: على ملة إبراهيم ودينه فقالا: فإن إبراهيم كان يهودياً فقال لهما
 رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهلما إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبوا عليه
 فأنزل الله تعالى هذه الآية). [أوضح التفاسير لابن الخطيب ص ٦٣]. { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 قَالُوا لَن نَّمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ } وسبب ذلك الجحود والتكذيب للنبي

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأن اليهود يظنون أنهم لن يعذبوا إلا سبعة أيام فقط وذلك عن كل ألف سنة يوماً ولأن عمر الدنيا عندهم سبعة آلاف سنة. قال محمد بن إسحاق بن سيف: (عن سليمان عن مجاهد عن ابن عباس أن اليهود كانوا يقولون أن هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نُعَذَّبُ بكل ألف سنة يوماً في النار وإنما هي سبعة أيام معدودة فأنزل الله تعالى: " وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً " إلى قوله " خَالِدُونَ " ثم رواه عن محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس بنحوه). [ابن كثير ج ١ ص ١١٨]. {وَعَرَّهْمُ} وعرَّهم وأبعدهم وسَّوَّلَ لهم وكذب عليهم {فِي دِينِهِمْ} في دينهم وعقيدتهم اليهودية {مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} ما كانوا يكذبون عليهم الأخبار والرهبان ويخبرونهم كذباً وتلفيقاً بذلك {فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ} فكيف إذا حشرناهم وجمعناهم في المحشر يوم القيامة للحساب {لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ} ليوم القيامة لا شك ولا ظن ولا كذب فيه {وَوُفِّيَتْ} وجوزيت وحوسبت {كُلُّ نَفْسٍ} كل واحد من الخلق {مَا كَسَبَتْ} ما عملت واقترفت خيراً أو شراً {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} وهم لا يبخسون أعمالهم وثوابهم ولا يظلمون فتياً لأن الله تعالى يعدل بينهم بالحق. وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: (رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين تنتطحان فقال: أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر؟ قلت: لا. قال صلى الله عليه وسلم: لكن الله يدري وسيحكم بينهما). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٢].

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣١﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

{قُلِ} قل يا محمد يا رسول الله وادع ربك الله تعالى وقل {اللَّهُمَّ} يا الله استجب {مَلِكُ الْمَلِكِ} تملك الملك والكون والخلق جميعهم ، وبيدك نواصيهم ورقابهم {تُؤْتِي الْمَلِكَ} تعطي الملك والحكم والإمارة والسيطرة والنفوذ والنصرة والغلبة {مَنْ تَشَاءُ} لمن تريد من عبادك وكما أعطيت الرسالة والحكم والنصر لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من بعد الرسل السابقين {وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ} وتسلب الملك وتأخذه {مِمَّنْ تَشَاءُ} ممن تريد من خلقك فالأمر أمرك والعباد لك والملك لك والأمر لك والحكم لك والمشية لك يا الله يا رب العالمين يا رب العباد والبلاد {وَتُعِزُّ} وتعز بالنصر والجاه والسلطان والغلبة {مَنْ تَشَاءُ} من تريد من خلقك {وَتُذِلُّ} وتهزم وتقهز وتسلب {مَنْ تَشَاءُ} من تريد من الأقوام والملوك وكما غلبت قريش في معركة بدر وكما ذلت يهود وإخراجهم من حصونهم {بِإِذْنِكَ الْخَيْرُ} الخير كله بيدك وأنت المتصرف فيه حيث تشاء وتعطيه من تشاء وتمنعه ممن تشاء {إِنَّكَ} إنك يا الله يا رب العالمين يا رب الأرباب ويا رب الكون والخلق كلهم أجمعين {عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} على كل شيء قادر أن تفعله وقدرتك بين الكاف والنون كما قال تعالى: " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " ٨٢ يس. {تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ} تربط الليل مع النهار وتديرهما وتعقبهما وتدخلهما مع بعضهما

وليس بينهما فاصل بل يتعاقبان بالتدرج وبانتظام ويدوران ويتبادلان ويحل هذا محل هذا وهذا محل هذا وهكذا وتأخذ من طول الليل إلى قصر النهار في الشتاء ومن قصر الليل إلى طول النهار في الصيف {وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} وتربط النهار مع الليل وتعقبه وتدخله فيه فهما مترابطان كأنهما عقد متصل يتعاقبان ويدوران باستمرار {وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} وتخرج النبات من البذر والفراخ من البيض {وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} أي الطفل يولد ميتاً من بطن أمه وهي حية وتخرج النواة من البلح والنخيل حيث النواة ميتة والنخلة حية وتخرج البيضة الميتة من الدجاجة الحية وهكذا باقي الأحياء {وَتَرْزُقُ} وترزق وتهب عبيدك وخلقتك بالمال والرزق والطعام والشراب والولد والعمارات والأراضي والجاه والسلطان والمُلْك والإمارة والعلم والفهم والذكاء والشجاعة والكرم {مَنْ تَشَاءُ} من تريد منهم كما أنزلت الطعام إلى مريم عليها السلام كما قال تعالى: "كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" ٣٧ آل عمران. {بِغَيْرِ حِسَابٍ} بغير عد ولا حصر.

قال الطبراني: حدثنا محمد بن زكريا العلاني حدثنا جعفر بن حسن بن فرقد حدثنا أبي عن عمر بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب في هذه الآية من آل عمران "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"). [ابن كثير ج ١ ص ٣٥٦].

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تَبَدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾

{ لَا يَتَّخِذِ } لا يأخذ ولا يجعل { الْمُؤْمِنُونَ } وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { الْكَافِرِينَ } الكفار وهم من كذب ولم يصدق برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا بالقرآن { أَوْلِيَاءَ } أصدقاء وأحباب وأعضاء ومساندين وحلفاء معهم ينصر بعضهم بعضاً عند وقوع اعتداء على أحدهما حتى ولو كان من المسلمين { مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ } بدلاً من المؤمنين يتخذونهم حلفاء وسنداً وصديقاً ويقدم معهم المعاهدات والمواثيق التي تضر بالمسلمين وبالمؤمنين { وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ } ومن يفعل ذلك ويعمله { فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ } فليس ذلك العمل لله لا من قريب ولا من بعيد فالله تعالى بريء منه وليس لله به شأن فهو لغير الله تعالى ولا يقره الله تعالى وهو خارج عن طاعته وهو معصية لله تعالى { إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً } إلا إذا كان ذلك العمل ظاهرة إرضاء للكفار وباطنه غير ذلك بل مكيدة وخداع وحيلة للنجاة من ذلك المأزق { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ } ويحذركم وينذركم الله تعالى من انتقامه منكم إذا كان فعلكم هذا حقيقة ويقين في نصرتهم والغدر بالمسلمين { وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ } وإلى الله تعالى مصيركم ومرجكم فيحاسبكم عليه يوم

القيامة. وقال الثوري: قال ابن عباس: (ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان). وكذا رواه العوفي عن ابن عباس (إنما التقية باللسان). [ابن كثير ج ١ ص ٣٥٧]. وكما قال تعالى: " مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ " ١٠٦ النحل. ، وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَّا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ " ١١٨ آل عمران. {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله للمنافقين وهم حلفاء الكفار {إِنْ تُخَفُّوْا} إن تُسرُّوا وتكتموا {مَا فِي صُدُورِكُمْ} ما في قلوبكم من عمل الحلف مع الكفار والأعداء {أَوْ تُبَدُّوهُ} أو تظهروه وتعلنوه {يَعْلَمَهُ اللَّهُ} يعلمه ويعرفه ويدري به ويحيط به علماً ولا يغيب عنه علمه {وَيَعْلَمُ} ويعلم ويعرف ويدري ويحيط به علماً ولا يغيب عن علمه {مَا فِي السَّمَوَاتِ} كل ما في السموات السبع {وَمَا فِي الْأَرْضِ} وكل شيء في الأرض يعلمه الله تعالى {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه قادر على معرفة كل شيء لأنه لا يغيب عنه شيء فهو علام الغيوب {يَوْمَ} يوم القيامة {تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ} تجد كل نفس عملها أمامها {مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا} إن كان خيراً تجده أمامها {وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ} وتجد أمامها ما عملت من شر ومعاصي وذنوب وكما قال تعالى: " وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا " ٤٩ الكهف. {تَوَدُّ} تتمنى {لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ} لو أن بينها وبين المعصية والكفر والشرك {أَمَدًا بَعِيدًا} مسافة طويلة كناية عن أنه يتمنى أنه لم يعملها قط {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ} ويخوفكم الله وينذركم {نَفْسَهُ} عقابه وانتقامه

وعذابه {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {رُءُوفٌ} ذو رأفة ورحمة لأن رحمته سبقت عذابه ولا يريد لهم العذاب ولذلك يحذرهم. {بِالْعِبَادِ} بالخلق وبالناس. وهذا وعظ وزجر لهم على عدم المعصية.

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ط فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للناس جميعاً وللمؤمنين خاصة {إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ

اللَّهُ} إن كنتم تحبون الله تعالى وتطلبون رضاه ومرضاته وكما قال تعالى: " وَالَّذِينَ

آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ " ١٦٥ البقرة. {فَاتَّبِعُونِي} اقتدوا بي وأطيعوني واقتنوا أثري

واتبعوني في الأوامر والنواهي {يُحِبِّكُمْ اللَّهُ} يحبكم ويرضى عنكم {وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ} ويعفو عنكم ويتجاوز عن ذنوبكم ومعاصيكم ويدخلكم الجنة {وَاللَّهُ} والله

تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {غَفُورٌ} يغفر ذنوبكم ويتجاوز عنها

{رَحِيمٌ} يرحم عباده من تاب منهم وندم ورجع ويدخله الجنة {قُلْ} قل يا

محمد يا رسول الله للناس جميعاً {أَطِيعُوا اللَّهَ} أطيعوا الله تعالى في أوامره ونواهي

وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيته ومحرماته {وَالرَّسُولَ} وأطيعوا الرسول سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم فيما يأمركم به {فَإِنْ تَوَلَّوْا} فإن أعرضوا ورفضوا

وجحدوا وأنكروا وكذبوا {فَإِنَّ اللَّهَ} فإن الله عز وجل {لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ} لا

يحب الكفار وهم من أنكر وجحد رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالله

تعالى يبغضهم وسيعذبهم على كفرهم وشركهم وجحودهم وعصيانهم. قال الإمام

أحمد: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ابن لهيعة عن زهرة بن معبد عن جده قال:

كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال: والله

يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه) فقال عمر: فأنت الآن والله أحب إلي من نفسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الآن يا عمر). [انفرد بإخراجه البخاري - ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٣]. وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٣].

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣٤﴾ ذُرِّيَّةً
بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ
إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٧﴾ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي
أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٨﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا
نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا
قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴿٣٩﴾

{إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {اصْطَفَىٰ} اختار من خلقه للرسالة والنبوة {آدَمَ} آدم عليه الصلاة والسلام أبو البشر والناس جميعاً وهم أول من خلقه الله تعالى ليكون أباً ووالد بني آدم وبنات حواء جميعهم وقد خلقه الله تعالى بيده من طين ونفخ فيه من روحه فصار بشراً سوياً أي تام الخلقة من السمع والبصر والفؤاد وعلمه الأسماء كلها وأسجد له ملائكته وأسكنته جنته فلما أخطأ وأكل من الشجرة عاقبه الله تعالى وأنزله إلى الأرض ليرثها هو وذريته

وليعمروها ويصلحوها ويتوارثوها إلى يوم القيامة فأرسله الله تعالى بعد توبته وندمه إلى ذريته كما بعث موسى عليه السلام بعد قتله الفرعوني عندما استجاره الذي هو من قومه من بني إسرائيل على ذلك الفرعوني {وَنُوحًا} وهو أبو البشر الثاني بعد آدم عليه السلام واسمه شاكراً وأما تسميته نوح قال البوني: سمي نوح عليه السلام نوحاً لأنه رأى كلباً ميتاً فكرهه فأوحى الله إليه هذا خلقنا فاخلق أنت مثله فصار يبكي وينوح وقال في العقائق: أنه رأى كلباً له أربع عيون فاستقبحه فقال: يا نوح أتعيب الصنعة فلو كان الأمر إلي لم أكن كلباً وأما الصانع فهو الذي لا يلحقه عيب فصار يبكي وينوح. [نزهة المجالس ص ٩٨ - تنبيه الغافلين ج ٢ ص ٦٦].

{وَأَلِإِبْرَاهِيمَ} وهم إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وولده إسماعيل وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من ذرية إسماعيل عليه السلام - وإسماعيل عليه السلام ابن إبراهيم عليه السلام من هاجر المصرية أمه - والابن الثاني لإبراهيم عليه السلام وهو إسحق من سارة ابنة عمه ، وابن إسحاق يعقوب عليه السلام نبي الله ورسوله ، ومن يعقوب يوسف عليه السلام. ويعقوب عليه السلام فهو والد بني إسرائيل لأنه اسمه إسرائيل أي عبد الله في لغة بين إسرائيل وسميت بني إسرائيل نسبة إلى يعقوب عليه السلام ابن إسحق بن إبراهيم. أي إسماعيل عليه السلام من هاجر فهو نبي ورسول ، وكذلك إسحق بن إبراهيم عليهم السلام من سارة فهو أيضاً نبي ورسول ، وابنه يعقوب بن إسحق عليهما السلام فهو نبي ورسول ، ويوسف عليه السلام ابن يعقوب عليهما السلام فهو نبي ورسول أيضاً وهم جميعاً عليهم الصلاة والسلام أبناء إبراهيم عليه الصلاة والسلام. أي آله وأهله وأبنائه {وَأَلِإِمْرَانَ} وهم موسى عليه الصلاة والسلام ابن عمران ، وأخوه هارون ، ومن ذريتهما داود ، وسليمان ، وزكريا ، ويحيى ، ومريم ابنة عمران [حفيد عمران

والد موسى عليه السلام] ، وولدها عيسى عليهم الصلاة والسلام جميعاً اختارهم الله تعالى فاصطفاهم جميعاً {عَلَى الْعَالَمِينَ} على جميع عالم الإنس من بني آدم من بين الخلق كلهم بالرسالة والنبوة والصلاح والتقوى والعبادة من جميع عالم الأمم السابقة واللاحقة {ذُرِّيَّةً} سلالة {بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ} كلها سلالة وذرية بعضها من بعض وتتوارث التقوى والصلاح والنبوة والرسالة وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {سَمِيعٌ} يسمع قولهم وعبادتهم وشكرهم لله تعالى على هدايتهم وعبادتهم وطاعتهم لله تعالى {عَلِيمٌ} فهو عليم باصطفائه لهم واختياره لهم ويعلم ويعرف ويدري بهم وبأعمالهم وأفعالهم وسرائرهم وعلنهم وبكل ما يحيط بهم وبغيرهم وبكل شيء في السموات وفي الأرض وهو علام الغيوب {إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ} حيث قالت زوجة عمران وهي حنة بنت فاقوذ. [ابن كثير ج ١ ص ٣٥٩]. ووالد مريم أم عيسى عليهما السلام هو عمران بن ماتان وبينه وبينه والد موسى [عمران بن بصهر بن قاهث بن لاوي ابن يعقوب] بينهما الاثنان ألف وثمانمائة سنة. [نزهة المجالس ج ٢ ص ١٣٤]. والمهم أن بينهما زمن طويل وقرون عدة وأجداد كثيرون وأن تسمية الأحفاد بالأجداد هي متداولة بين الناس في مدى الأزمان والعصور أي عمران موسى من أجداد عمران مريم عليهم الصلاة والسلام {رَبِّ} ربي وخالقي وإلهي {إِنِّي نَذَرْتُ} قد نذرت يا الله {لَكَ} خادماً لعبادتك {مَا فِي بَطْنِي} ما في بطنها ذكراً كان أو أنثى لخدمة بيت المقدس {مُحَرَّرًا} أي خالصاً لوجهك لا أريد أن يخدمني بل يخدم فقط بيتك بيت المقدس وأن يتفرغ لعبادتك {فَتَقَبَّلْ مِنِّي} اقبل مني هذا النذر يا الله يا رب العالمين. وقال محمد بن إسحق: وكانت امرأة عمران لا تحمل فرأت يوماً طائراً

يزق فرخه فاشتهدت الولد فدعت الله تعالى أن يهبها ولداً فاستجاب الله دعاءها فواقعها زوجها فحملت منه فلما تحقق الحمل نذرت أن يكون محرراً أي خالصاً مفرغاً للعبادة لخدمة بيت المقدس. [ابن كثير ج ١ ص ٣٥٩]. {إِنَّكَ أَنْتَ} إنك أنت يا الله {السَّمِيعُ} الذي يسمع الدعاء ويستجيب له {الْعَلِيمُ} العالم بالحال والمقال وعليم وتعلم بنيتي وسؤالي وتعلم كل شيء ولا يخفى عليك شيء وهو اشتياقي للولد ونذره لوجهك الكريم عن طيب خاطر وحسن نية خالصة لك وكما قال تعالى: " وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ " ٢٧٠ البقرة. وكما قال تعالى: " يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا " ٧ الإنسان. وقال صلى الله عليه وسلم: (من نذر أن يطع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصيه). [رواه البخاري - مراقي الفلاح ص ٢٧٤]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (استفتى سعد بن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم من نذر أن كان على أمه فتوفيت قبل أن تقضيه فقال: اقضه عنها). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ١١٣]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال: فأوف بندرك). [متفق عليه زاد البخاري في روايته: فاعتكف ليلة - سبل السلام ج ٤ ص ١١٥]. ولا بن داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: (من نذر نذراً لم يُسمِّ فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذراً في معصية فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذراً لا يطيقه فكفارته كفارة يمين). [وإسناده صحيح - سبل السلام ج ٤ ص ١١٢]. {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا} فلما ولدتها أي ولدت أم مريم ابنتها مريم عليها السلام {قَالَتْ} قالت أم مريم {رَبِّ} ربي وإلهي وخالقي {إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى} إني قد ولدتها أنثى أي بنتاً. وتقول ذلك وهي متحسرة على أنها بنت وليس ذكراً يخدم بيت الله {وَاللَّهُ أَعْلَمُ} والله يعلم ويدري من

الأزل {بِمَا وَصَّعَتْ} بما ولدت وهو أعلم منها بها {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} ولسان حالها يقول: ليس الولد الذكر في الخدمة لبيت الله كالأنثى حيث الذكر به رجولة وقوة وشجاعة وتحمل المشاق وليس بخروجه من منزله فيه عار كما يحصل عند الأنثى من الغيبة والسمعة السيئة والافتهام. كيف لا وقد اتهمت عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في عرضها وشرفها من أصحاب الإفك لتأخرها في الليل عن القافلة عند ذهابها لقضاء حاجتها وتأخرها عن قافلة المسلمين التي يرأسها زوجها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكثر اللغظ والهرج والمرج وكلام السوء والهمز واللمز عليها وعلى سمعتها وفي شرفها ولم تبرأ حتى نزل فيها قرآن يتلى يبرئها من ذلك وهذا ما عنته حنة بنت فاقوذ أم مريم وزوجة عمران في قولها ليس الذكر كالأنثى ، وزيادة على ذلك لأنها تحيض وتنفس وذلك يمنعها من الخدمة لبيت الله وإقام الشعائر الدينية من صوم وصلاة وغيرها {وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ} وقد سميتها مريم بعد ولادتها مباشرة. وعن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل غلام مرتين بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق ويسمى). [رواه أحمد والأربعة وصححه الترمذي - سبل السلام ج ٤ ص ٩٨]. وعن سباع ابن ثابت أن محمد بن ثابت بن سباع أخبره أن أم كرز أخبرته أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقيقة قال: (عن الغلام شاتان وعن الأنثى واحدة ولا يغركم أذكرا نأ كن أم إناثا). [قال أبو عيسى يعني الترمذي حسن صحيح - سبل السلام ج ٤ ص ٩٨]. {وَإِنِّي} وإني أنا امرأة عمران {أُعِيدُهَا بِلَكَ وَذُرِّيَّتَهَا} وإني أجيرها وأستحفظها بك يا الله هي وذريتها {مِنَ الشَّيْطَانِ} من إبليس وذريته وجنوده {الرَّجِيمِ} الذي يرمج بني آدم ويرميه بالمعاصي والوسوسة وبالمس والجنون والوخز {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا} فقد استجاب الله دعاءها. وكما قال عبد الرزاق

أنبأنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً من مسه إياه إلا مريم وابنها) ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: " وَإِنِّي أُعِيدُهَا بَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ". [أخرجاه من حديث عبد الرزاق - ابن كثير ج ١ ص ٣٥٩]. ورواه ابن جرير عن أحمد بن الفرغ عن بقية عن الزبيدي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وروي من حديث قيس عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين إلا عيسى ابن مريم ومريم) ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَإِنِّي أُعِيدُهَا بَكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ". ومن حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي يونس عن أبي هريرة وهكذا رواه الليث بن سعد عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه إلا عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن الحجاب). [ابن كثير ج ١ ص ٣٥٩]. {بِقَبُولِ حَسَنٍ} فقبل الله تعالى مريم بقبول طيب حيث قبل نذرها {وَأُنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا} وجعل الله تعالى مريم عليها السلام تنبت وتعيش وتترعرع في بيئة سالحة طيبة في رعاية نبي ورسول {وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا} وتكفلها زكريا عليه السلام نبي الله ورسوله وجعله الله تعالى يتكفلها ويرعاها ويرببها وينشئها تربية حسنة وطيبة وسالحة وكريمة. وزكريا عليه السلام هو زوج أختها وكما جاء في الصحيح في ليلة الإسراء والمعراج في السماء الثانية: (فإذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة). [ابن كثير ج ١ ص ٣٦٠]. {كُلَّمَا} وفي كل مرة

{ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا } عندما يدخل عليها زكريا { الْمِحْرَابِ } وهو محراب المسجد وهو الفجوة أو الفتحة في داخل المسجد في المقدمة التي يقف فيها الإمام عادة للصلاة ليؤم المصلين فيها وتدل أيضاً على اتجاه القبلة في العادة وهو مكان جلوس مريم { وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا } وجد طعاماً وفواكه عند مريم عليها السلام وهي نادرة الوجود قيل فواكه الشتاء توجد عندها في الصيف وفواكه الصيف توجد عندها في الشتاء مع انقطاعها في تلك الفترة في كل بلدها { قَالَ } قال سائلاً زكريا عليه السلام ومتعجباً من ذلك الرزق { يَمْرَأَةٌ أَنَّى لَكَ هَذَا } وسأل نبي الله ورسوله زكريا عليه السلام وهو متكفل بطعام وشراب مريم عليها السلام وهي في خدمة بيت الله تعالى ولا تخرج متعجباً ومندهشاً من ذلك الرزق والفواكه النادرة قائلاً من أين جاء لك هذا ومن أتيت بهذا الطعام { قَالَتْ } ردت عليه قائلة مريم عليها السلام { هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ } أي هذا الطعام من القدرة الربانية من عند الله تعالى وهي كرامة لمريم عليها الصلاة والسلام لصلاحها وتقواها وكثرة عبادتها. وأنه الكرامة تكون للأولياء وللصالحين وللصديقين أما المعجزات فهي للرسول وللأنبياء عليهم الصلاة والسلام { إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ } إن الله تعالى يهب الرزق ويعطيه ويسخره { مَنْ يَشَاءُ } لمن يريد ولمن يرضى عنه { بِغَيْرِ حِسَابٍ } بلا عد ولا حصر ولا تقتير ولا منع. مع ملاحظة أن المعجزة فهي خاصة للرسول ولا يتكرر حدوثها غالباً كعصا موسى عليه السلام أما الكرامة فهي قد تتكرر مع بعض الناس وكما روي أن ماوية مولاة حجير ابن أبي إيهاب وكانت قد أسلمت قالت: كان خبيب وهو ابن عدي عندي حُبس في بيتي ولقد اطلعت عليه يوماً وإن في يده لقطفاً من عنب مثل رأس الرجل يأكل منه وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل وقصته أن خبيب بن عدي عندما وقع أسيراً في معركة الرجيع [ماء لهذيل وهو موضع بين عسفان ومكة كما قاله البخاري]

وغدرت بهم هذيل فوق خبيب بن عدي أسيراً وابتاعه حجير بن أبي إيهاب وكانت ماوية مولاة حجير بن أبي إيهاب وهي تقدم له الطعام والشراب ثم رأت بيده قطعاً من عنب وليس ذلك أوان العنب ولا وقته. [ابن هشام ج ٣ ص ١٨١]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت في غزاة مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كنا عند الحجر وهي مدائن صالح سمعنا صوتاً يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة والمغفور لها فقال صلى الله عليه وسلم: يا أنس أنظر ما هذا الصوت؟ فدخلت الجبل فرأيت رجلاً أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع فقال: أقرئ محمداً مني السلام وقل له أخوك إلياس يريد الاجتماع بك ف جاء محمد صلى الله عليه وسلم فتأخرت عنهما فتحدثا طويلاً فنزل عليهما مائدة من السماء فدعواني فأكلت معهما كمأة ورمناً وكرفساً فلما أكلنا جاءت سحابة فأخذت إلياس وأنا أنظر إلى بياض ثيابه فقلت: يا رسول الله هذا الطعام من السماء؟ قال: نعم ينزل به جبريل في كل أربعين يوماً مرة وفي كل عام له شربة من زمزم فالخضر وإلياس يصومان رمضان كل عام ببيت المقدس. [كذا في تفسير القرطبي في سورة الصافات - نزهة المجالس ص ٥٠٢ - وهو في تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٠٣].

وقصة الطعام لمريم عليها السلام هي كرامة للأولياء وليس كذباً ولا قصة تروى أو تُحكى بدون فائدة بل حتى يعتبر الناس ويتعظوا بها ويعملوا الطاعات والأعمال الصالحة لعله تنالهم كرامة من كرامات الله تعالى التي لا تحصى ولا تعد ولا تمنع كما قال تعالى: " لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " ١١١ يوسف.

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ^ط قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ^ط إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ^ط قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٣٠﴾ ﴾

{ هُنَالِكَ } عندها وعندما رأى زكريا عليه السلام الطعام والرزق يأتي وينزل إلى مريم عليها السلام فواكه الصيف تأتي لها في الشتاء وفواكه الشتاء تأتي لها في الصيف وحيث أنه نبي الله ورسوله علم أن تلك كرامة أكرم الله تعالى بها مريم عليها السلام لصلاحها وكثرة عبادتها وطاعتها لله تعالى عندها { دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ } التجأ زكريا عليه السلام إلى الله تعالى ربه وخالقه بالدعاء مخلصاً ومتوجهاً إليه { قَالَ } قائلاً في دعائه { رَبِّ } إلهي ورازقي وخالقي يا الله يا ربي ورب كل شيء { هَبْ لِي } أعطني وهب لي وارزقني { مِنْ لَدُنْكَ } من عندك ومن فضلك ومن كرمك { ذُرِّيَّةً } ذريةً ونسلاً من الأولاد { طَيِّبَةً } تكون طيبة وصالحة ومباركة وغير شقية { إِنَّكَ } إنك يا الله يا رب العالمين { سَمِيعُ الدُّعَاءِ } إنك تسمع وتجيب من دعاك وسألك ولا ينقص من ملكك شيئاً { فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ } فنادته وخاطبته الملائكة وهو جبريل عليه السلام وهذا الجمع [للملائكة] هنا هو كناية عن أحدهم وهم جبريل عليه الصلاة والسلام وهو المتخصص بالنزول بالرسالة للرسول عليهم السلام جميعهم. وذلك مثله عندما يقال قالت قبيلة كذا وقالت قبيلة كذا وكذا أي قال قائلاً أو من ينوب عنها وليس كل القبيلة تكلمت ، وكما يقال أيضاً قال الناس للخليفة وليس معناه تكلم كل الناس بل تكلم أحدهم نيابة عنهم وهكذا { وَهُوَ } وهو زكريا عليه السلام { قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ } وهو في محراب

مسجده واقف للصلاة كلمته الملائكة وحدّثته {أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِرَبِّكَ} أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يبشرك ببشارة فرح وسرور وهي بمولود ذكر سماه الله تعالى لك واسمه يحيى وقد استجاب الله تعالى لك دعائك وأبشر بمولود ذكر اسمه يحيى. وقال قتادة وغيره: (سُمِّيَ يحيى لأن الله تعالى أحياه بالإيمان).

[ابن كثير ج ١ ص ٣٦١]. {مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ} أي مصدقاً بعبارة عيسى ابن مريم ابن خالته. وكلمة الله هي: كن فيكون كما قال تعالى: "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" ٨٢ يس. {وَسَيِّدًا} وسيداً وشريفاً ومطاعاً وعزيزاً وذا جاهٍ في قومه وعبادته وفي رسالته وعلمه وعالياً في المنصب والجاه والسيادة. ولذلك يجب أن يقال للنبي محمد صلى الله عليه وسلم سيدنا ، وفي الحديث لما استدعى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ سيد الأوس فلما أقبل سعد وهو راكب على حمار فلما دنا من الخيمة التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قوموا إلى سيدكم). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٨]. فقام إليه المسلمون فأنزلوه إعظاماً وإكراماً واحتراماً ليحكم في بني قريظة. والسيد هو أعلى القوم منزلة ودرجة وجاهاً وصلاحاً {وَحَصُورًا} أي ممنوعاً عن إتيان النساء لحكمة يعلمها الله تعالى حيث يريد الله تعالى دلالةً على قدرته أن يجعل رجلاً بدون أب أو أم وهو آدم عليه السلام ثم بقدرته يجعل آخر من أم بدون أب وهو عيسى عليه الصلاة والسلام ويجعل آخر بقدرته من أب بدون أم وهي حواء عليها السلام وأراد أن يجعل لرسول أبناءً ذكوراً دون إناث كيحبوب عليه السلام وأراد بقدرته أن يخلق لرسول بنات فقط وهو شعيب عليه السلام كما قال تعالى: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ" ٢٣ القصص وجعل بقدرته

ذرية من الذكور والإناث لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم أمات الذكور وهم صغار وأبقى الإناث - وجعل لهم ذرية منها الحسن والحسين من فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وسلم من سيدنا علي رضي الله عنه وكرم وجهه حيث لم يسجد لصنم قط - وكما قال تعالى: " مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا " ٤٠ الأحزاب. وأراد الله تعالى بقدرته وحكمته أن يجعل رجلاً ليس له ذرية لا ذكوراً ولا إناثاً وهو يحيى ابن زكريا عليهما الصلاة والسلام وهو الحصور أي الممنوع عن النساء لا يأتيهم وليس له شهوة في صلبه كخلقة الملائكة فلا يقوم ذكره أصلاً. وروى ابن المنذر في تفسيره: حدثنا أحمد بن داود السمناني حدثنا سويد بن سعد حدثنا علي ابن مسهر عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت عبد الله بن عمرو ابن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من عبد يلقى الله إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا فإن الله يقول: " وَسَيِّدًا وَحَصُورًا " - قال -: وإنما ذكره مثل هدية الثوب) وأشار بأتملته. [ابن كثير ج ١ ص ٣٦١]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عيسى بن جماد ومحمد بن سلمة المرادي قالا: حدثنا حجاج ابن سليمان المقرئ عن الليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن القعقاع عن أبي صالح عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل ابن آدم يلقى الله بذنب يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيِّداً وحصوراً ونبياً من الصالحين ثم أهوى النبي صلى الله عليه وسلم إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال: وكان ذكره مثل هذه القذاة). [ابن كثير ج ١ ص ٣٦١]. {وَنَبِيًّا} أي رسولاً مرسلًا من قبل الله تعالى بالرسالة ونبياً من الأنبياء ، وكل الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم هم رسل وعددهم خمسة وعشرون رسولاً. وكل رسول فهو نبي وليس كل نبي رسولاً لقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ

الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحُكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا " ٢٨ الأحزاب. وقال تعالى: " يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا " ٣٠ الأحزاب. وقال تعالى: " يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا " ٣٢ الأحزاب. وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ " ١ الطلاق. وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ " ١ التحريم. وكما قال تعالى: " وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا " ٧ الأحزاب. {مِنَ الصَّالِحِينَ} من المتقين والعبادين المخلصين والطائعين لله تعالى وممن صلحت أعمالهم وأفعالهم في مرضاة الله تعالى {قَالَ} قال زكريا عليه الصلاة والسلام {رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ} قال زكريا عليه السلام متعجباً من كرم الله تعالى ورحمته التي تداركته بالغلام الذكر قائلاً كيف يكون لي غلام {وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ} وكما قال تعالى: " وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا " ٨ مريم. أي سناً متقدمة وطاعناً في السن وقد وصلت سن الشيخوخة {وَأَمْرَأْتِي عَاقِرٌ} وامرأتي بلغت سن اليأس ولم تنجب ولم تلد قائلاً ذلك وليس معناه أنه لا يصدق رحمة الله وكرمه وليس قانطاً بل فرحاً مسروراً بتلك البشارة وكمثل من جاءته البشارة فجأة بترقية أو مولود ذكر أو غير ذلك عندها يقول هل معقول وهل صحيح وليس هو منكراً بل من شدة الفرحه وأن تستمر له البشارة حتى تزيد فرحته وابتهاجه وسروره بهذا الحدث الجميل والمفرح وخاصة وقد جاءه الولد على عطش شديد له وخاصة عند شيخوخته وكبر سنه هو وزوجته {قَالَ} قال له جبريل عليه السلام الذي يبشره وهو في المحراب {كَذَلِكَ اللَّهُ} هكذا فعل الله ومشيئته ورحمته وأمره وقدرته {يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ}

يفعل ما يريد ويرزق من يريد بذكور أو الإناث سواء كان صغيراً أو كبير السن وسواء كانت زوجته عقيمة أو لا. هذه إرادته ومشيئته.

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ۖ وَادَّكُرَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ۖ ﴾

{ قَالَ } عندها قال زكريا عليه السلام عندما بشر بالمولود يحيى عليه السلام { رَبِّ } ربي وإلهي وخالقي { اجْعَلْ لِي آيَةً } اجعل لي عملاً وعبادةً وطاعةً أشكرك بها أي اجعل لي آية شكر لك وشكر على تفضلك وكرمك عليّ بنعمة الولد وأنا كبير السن وشيخ طاعن في السن أنا وزوجتي فاجعل لي عملاً أعمله شكراً لك وحمداً. وآية هي آية الشكر وليس كما يظن بعض المفسرين أنها طلب علامة على صدق الحمل. وكيف يكون ذلك والأمر قد انتهى ببشارة الملائكة له ومناداته في المحراب ببشارة الولد وكيف وهو رسول ويصدق بكل ما يوحى إليه من الرسالة بواسطة الملائكة فإذا لم يصدق هذه المرة الملائكة وقد بشره جبريل عليه السلام بالمولود وباسمه وهو يحيى وانتهى الأمر فكيف بقومه يصدقوه في رسالته. وهذا بعيد جداً أن يكون المقصود عدم تصديقه وطلب علامة على ذلك وخاصة أنه نبي ورسول وجميع رسالته للناس تأتي بواسطة وحي الملائكة. والصحيح أنه طلب آية شكر وحمد على كرم الله تعالى له بالمولود الذي وهبه الله تعالى له ويريد أن يشكره شكراً لم يشكره به أحد غيره وكما قال تعالى: " لئن شكرتم لأزيدنكم " ٧ إبراهيم. وكما قال تعالى: " فادكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون " ١٥٢ البقرة. وكما قال تعالى: " اعملوا آل داوود شكراً وقليل من عبادي الشكور " ١٣ سبأ. وكما قال سليمان عليه الصلاة والسلام عندما أحضر إليه عرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين كما قال تعالى: " فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلونني أشكر أم

أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ " ٤٠ النمل. وكما قال تعالى على لسان سيدنا سليمان عليه السلام: " رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ " ١٩ النمل. {قَالَ} قال الله تعالى له: {ءَايْتُكَ} طاعتك وعملك وعبادتك وشكرك على نعمة الولد التي وهبتها لك هي {إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ} هي عبادتك وشكرك من تلقاء نفسك لا تكلم الناس لمدة ثلاثة أيام متتالية واشتغل بالطاعة والعبادة والشكر {إِلَّا رَمَزًا} وإذا أردت كلام الناس فعليك بالإشارة فقط وقد قيل ذلك لمريم عليها السلام عند وضعها المولود عيسى عليه السلام كما قال تعالى: "فَكَلِمِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا" ٢٦ مريم. مع ملاحظة المعجزة تكون للرسول عوناً وتأبيداً وبشارةً وسروراً لهم وليس إيذاءً ولا ضرراً لهم ولا أن يُخرسوا أو يُشَلَّوا عن الكلام حيث البشارة قد تمت من قبل الملائكة في المحراب وانتهى الأمر ولكنه طلب آية طاعة وعبادة وشكر على منة الولد {وَأَذْكُرُ رَبِّكَ كَثِيرًا} وقم بالعبادة وذكر ربك وخالك الله تعالى كثيراً ليلاً ونهاراً وكرر ذكر الله بقلبك ولسانك كثيراً ومراراً وكما قالت عائشة رضي الله عنها: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه). [رواه البخاري - ابن كثير ج ١ ص ١٦٣]. وأخرج الترمذي والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم من حديث جابر مرفوعاً: (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد والإخلاص وهي اسم الله الأعظم). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٦]. {وَسَبِّحْ} وسبح الله تعالى وقدس ونزهه ومجده {بِالْعَشِيِّ} بالمساء {وَالْإِبْكَارِ} في الصباح وكما قال تبارك وتعالى: " فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى " ١٣٠ طه. وقال

سمرة بن جندب رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب الكلام إلى الله أربع لا يضرك بأيهن بدأت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر). [أخرجه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٧]. وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم). [هذا آخر حديث ختم به البخاري صحيحه - سبل السلام ج ٤ ص ٢٢٤]. والذكر هو توحيد الله تعالى وترديد اسم من أسمائه أما التسبيح فهو التقديس وتنزيهه لله تعالى وتمجيده بصفاته.

﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرَيْمُ اقْنِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

{ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ } خاطبت الملائكة والمقصود جبريل عليه الصلاة والسلام وكما أسلفنا فإن الجمع للملائكة أي متحدتهم وهو جبريل عليه السلام كما يقال تحدثت قبيلة كذا أي تحدث أحدهم نيابة عن القبيلة { يَمْرَيْمُ } خاطب مريم بنت عمران بن ماتان حفيد عمران والد موسى عليه السلام وهو عمران بن بصهر ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب وبينهم سنين طويلة ومريم بنت عمران وبنت حنة بنت فاقوذ. [ابن كثير ج ١ ص ٣٥٩ - نزهة المجالس ج ٢ ص ١٣٤]. { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ } قال لها جبريل عليه السلام: إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه اختارك من بين نساء العالمين { وَطَهَّرَكِ } ونقاك من الشرك والزنا

والمعاصي والذنوب وعبادة الأوثان والأصنام كما قال تعالى: "إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ"
 ٢٨ التوبة. {وَأَصْطَفَيْتَكَ} واختارك {عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ} من بين نساء أهل
 الدنيا كلهم وجميع العالم قديمه وحديثه حيث لم تلد غيرها بعباسي عليه الصلاة
 والسلام نبي الله ورسوله. كان أبو هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم: (خير نساء ركب الإبل نساء قريش أحباء علي ولد في صغره ورعاة علي زوج
 في ذات يده ولم تركب مريم بنت عمران بغيراً قط). [ولم يخرج من هذا الوجه
 سوى مسلم فإنه رواه عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به
 - ابن كثير ج ١ ص ٣٦٢]. وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر عن
 علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول: خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد).
 [أخرجاه في الصحيحين من حديث هشام به مثله - ابن كثير ج ١ ص ٣٦٢]. وقال
 الترمذي: حدثنا أبو بكر بن زنجويه حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن
 أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (حسبك من نساء العالمين مريم بنت
 عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون). [تفرد به
 الترمذي وصححه - ابن كثير ج ١ ص ٣٦٢]. وقال عبد الله بن أبي جعفر الرازي
 عن أبيه قال: كان ثابت البناني يحدث عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال: (خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون
 وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت رسول الله). رواه ابن مردويه أيضاً ومن طريق
 شعبة عن معاوية بن قررة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كامل
 من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا ثلاث: مريم بنت عمران وآسية امرأة
 فرعون وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر
 الطعام). [ابن كثير ج ١ ص ٣٦٢]. وقال ابن جرير: حدثني المثني حدثنا آدم

العسقلاني حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت مرة الهمذاني يحدث عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون). وقد أخرجه الجماعة إلا أبا داود من طريق شعبة به ولفظ البخاري: (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام). [ابن كثير ج ١ ص ٣٦٣]. {يَمْرِيْمُ أَقْنِي} يا مريم كوني طائعة. وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة). [ابن كثير ج ١ ص ٣٦٣]. {لِرَبِّكَ} إلى ربك وخالقك وإلهك الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَأَسْجُدِي} والسجود لله تعالى فيه شكر لله تعالى. وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا جاءه أمر يسره خراً ساجداً لله. رواه الخمسة إلا النسائي وقد سجد صلى الله عليه وسلم في آية ص وقال: (هي لنا شكر). [سبل السلام ج ١ ص ٢١١]. وصفتها أن يكبر ويسجد ويقول سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات وله أن يزيد كما في سجود التلاوة بأن يقول: (سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته). [سبل السلام ج ١ ص ٢١١]. ويكبر ويرفع رأسه من السجود وبدون سلام على اليمين أو اليسار وهي كسجدة التلاوة بدون سلام وتسمى سجدة شكر على شرط الطهارة والوضوء واستقبال القبلة {وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ} والمقصود بالسجود والركوع هنا كناية عن أداء الصلاة أي صلي مع المصلين وكوني منهم وكوني مع الصالحين ولأن الأمم السابقة كانت لها صلاة وفيها ركوع وسجود كما دلت عليه

هذه الآية ولكن الفرق بين صلاتنا وصلاتهم أنهم يقرؤون كتبهم في صلاتهم ونحن نقرأ القرآن في صلاتنا وكانت قبلتهم بيت المقدس ونحن قبلتنا الآن الكعبة وحيث صلى رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى اتجاه بيت المقدس لمدة ستة عشر شهراً أو ثمانية عشر شهراً قبل أن يؤمر بتحويل القبلة إلى الكعبة بدلاً من بيت المقدس {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ} هذه القصص قصة مريم وقصة زكريا وقصة بشارة الملائكة لزكريا يحيى عليهم الصلاة والسلام مع كبر سنه وشيخوخته هو وزوجته كل هذه القصص من علم الغيب غير المعروف لك يا محمد يا رسول الله ولا لقومك {تُوحِيهِ إِلَيْكَ} نوحيه إليك ونبغك به بقرآن يتلى عليك لتعلموه بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ} ولم تكن حاضراً يا محمد يا رسول الله لدى قوم مريم {إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} عندما يقتربون ويرمون القرعة لمن يتكفل بمريم عليه السلام. وقد ذكر عكرمة أيضاً والسدي وقتادة والربيع بن أنس وغير واحد دخل حديث بعضهم في بعض أنهم ذهبوا إلى نهر الأردن واقتربوا هنالك على أن يلقيوا أقلامهم فأيهم يثبت في جرية الماء فهو كافلها فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلا قلم زكريا فإنه ثبت ويقال أنه ذهب صاعداً يشق جرية الماء وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم وعالم وإمامهم ونبيهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين. [ابن كثير ج ١ ص ٣٦٣]. وقد امتازت كفالة زكريا عليه السلام بثلاث خصال أنه نبي الله ورسوله وزوج أختها والثالثة أن القرعة وقعت عليه. وتسمى أم يحيى عليه الصلاة والسلام أيشا. [نزهة المجالس ص ٥٠٠]. كما ورد في الصحيح: (إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة). [ابن كثير ج ١ ص ٣٦٠]. أي أن مريم هي أخت زوجة زكريا وتكون خالة يحيى عليه السلام. كما جاء في كتاب العرائس: (كانت مريم تتعبد في المسجد الحرام مع

رجل من قومها يقال له يوسف ولها قليب يعني بئر كل واحد منهما يأتي بماء في يوم من كهف فلما كان في يوم مريم خرجت إلى الماء فنزعت درعها في الكهف فجاءها جبريل في صورة رجل وهو قوله تعالى: " إِذِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ " الآية. فأخذ التراب الذي فضل من تراب آدم ونفخ في جيب درعها فلما استتقت الماء ولبست درعها تحرك الولد في بطنها فلما جاءها المخاض تحولت إلى أختها من الجامع فأنكر عليها يوسف وقال: يا مريم هل ينبت الزرع من غير بذر قالت: نعم أنبت الله الزرع يوم خلقه من غير بذر فلما تحولت عند أختها امرأة زكريا وكانت حاملاً بيحيى قالت: يا مريم أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك). [نزهة المجالس ص ٥٠٠]. {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يَخْتَصِمُونَ} ولم تكن حاضراً يا محمد يا رسول الله ولا موجوداً أثناء مخاصمتهم ونزاعهم فيمن يكفل مريم عليها السلام لأن القصة قد حدثت من مدة طويلة وزمن بعيد قبل رسالتك ونبوتك ولا تعرفها أنت ولا قومك.

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلْئِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ۖ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۖ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾

{ إِذْ قَالَتِ الْمَلْئِكَةُ } قال جبريل عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: " فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا {١٧} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا {١٨} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا {١٩} " ١٧-١٩ مريم.

{ يَمْرَيْمُ } يا مريم ابنة عمران { إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ } قال لها جبريل عليه السلام إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه أرسل لك معي بشارة { بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ } بكلمة من الله تعالى من فضله وكرمه وقدرته ورحمته وهي كن فيكون كما قال تعالى: " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " ٨٢ يس. وهي بشارة مولود ذكر لك { اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ } واسمه عيسى وهو ابنك يا مريم أي أنه سيولد منك يا مريم بدون أب ولذلك سماه باسمها وصفته [المسيح] وهو

الماسح بيده على العاهات فيبرئها ويمسح على الموتى فيحيون بإذن الله تعالى وكذلك لا يأتي موضعاً إلا ويمسحه بالعبادة أي يقف ويصف قدميه ويصلي فيه ركعتين لله تعالى. وقد سماه الله تعالى قبل ولادته وجاء اسمه مع جبريل عليه الصلاة والسلام كما سمي يحيى ابن زكريا عليهما الصلاة والسلام {وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا} ذو جاه وصدارة وعلو درجة ومنزلة حيث أنه في الدنيا يشفي المرضى ويحيى الموتى ويتكلم في المهد {وَالْأَخِرَةِ} أي سيكون له درجة ومنزلة عند الله تعالى حيث أنه نبي الله ورسوله ونفخ فيه من روحه وله الشفاعة فيمن اتبعه من قومه وآمن برسالته ونبوته {وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} وهو من الصالحين والمقربين عند الله تعالى لأنه نبي الله ورسوله وكان يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله على طول الدهر ولا يضع قدميه في موضع إلا صلى فيه ركعتين وكان يواصل الصيام ويمكث أربعين يوماً صائماً الليل مع النهار وكان أزهده الرسل ولم يتزوج بعد {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ} وأن له صفة عند مولده ينطقه الله تعالى ويجعله يتكلم ويكلم الناس بالكلام الفصيح وهو رضيع في مهده {وَكَهْلًا} أي لا ينقطع كلامه منذ ولادته وحتى يصبح كهلاً. وقيل كهلاً أي له صفة ثانية أنه نزل بلحية طويلة منذ ولادته أي كامل الرجولة وهذا بعيد عن نص الآية بكلامه للناس في المهد أي أنه يولد طفلاً ولم يولد كهلاً وإلا ما فائدة كلامه في المهد. أي أنه ولد طفلاً رضيعاً ولكنه لا يمتنع عن الكلام منذ ولادته ويستمر في الكلام حتى كهولته أي لم يكن نطقه آنيماً في المهد فقط بل سيستمر كلامه ولا ينقطع. وكما قال أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة عيسى وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلي جاءته أمه فدعته فقال أجيبها أو أصلي فقالت اللهم لا تمته حتى تربه وجوه المومسات وكان جريج في صومعته فتعرضت

له امرأة وكلمته فأبى فأتت راعيا فأمكنته من نفسها فولدت غلاماً فقالت من جريح فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبوه فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال من أبوك يا غلام؟ قال الراعي. قالوا نبني صومعتك من ذهب؟ قال لا إلا من طين. وكانت امرأة ترضع ابناً لها من بني إسرائيل فمر بها رجل راكب ذو شارة [أمر ونهي] فقالت اللهم اجعل ابني مثله فترك ثديها وأقبل على الراكب فقال اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديها يمصه - قال أبو هريرة كأنني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يمص إصبعه - ثم مر بأمه امرأة فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فترك ثديها فقال اللهم اجعلني مثلها فقالت لم ذاك؟ فقال الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمة يقولون سرقت زينة ولم تفعل). [البخاري ج ٤ ص ٢٠٢].

{وَمِنَ الصَّالِحِينَ} ومن الأخيار ممن صلح عمله وطاعته لله تعالى في الدنيا ويحشر يوم القيامة مع الصالحين أعمالاً ومنزلة أي من أهل الجنة {قَالَتْ} قالت مريم العذراء والبكر البتول والخجول {رَبِّ أَنْيْ يَكُونُ لِي وَلَدٌ} قالت متعجبة ومندهشة ولم تتزوج بعد: ربي وإلهي وخالقي كيف يكون لي مولود {وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ} ولم أنزوج ولم أزن ولم أعمل فاحشة قط {قَالَ} عندها قال لها جبريل عليه الصلاة والسلام. وهنا تفسير كلمة " إذ قالت الملائكة " وكما أسلفنا الجمع هو كناية كما نقول قالت قبيلة كذا أو كذا أي قال قائلهم أو نقول قال وفد العلماء للخليفة أي قال أحدهم وهكذا قال جبريل عليه الصلاة والسلام لها {كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} هكذا أمر الله وحكمه وقدرته وحكمته ومشيتته يخلق ما يشاء وكيف شاء فآدم عليه السلام بدون أب ولا أم وعيسى عليه السلام من أم وبدون أب وحواء عليها السلام من أب وبدون أم لأنها ولدت من ضلع آدم الأقصر والأيسر كما جاء في الحديث وهذا معنى قوله تعالى: " كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا

يَشَاءُ " { إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا } إذا حكم وأراد أمراً من الأمور وحكم به في اللوح المحفوظ من الأزل ينفذه فوراً على الطبيعة عندما يأتي أجله وموعده كميلاد عيسى عليه السلام من مريم عليها السلام بدون أب { فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } فأمره بين الكاف والنون حيث لا يوجد بينهما حرف آخر بين الكاف والنون في كلمة كن أي أمره ينفذ فوراً وحالاً كلمح البرق أو أقرب { وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ } ويعلمه القراءة والكتابة من الكتاب وفي الكتاب { وَالْحِكْمَةَ } ويعلمه الحكمة في الرأي والتأويل والتفسير وقول الحكمة في الأمور كلها والعلم والبيان { وَالتَّوْرَةَ } ويعلمه كتاب التوراة الذي أنزله الله تعالى على موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل ويحفظه ويقراه عن ظهر قلب منذ ولادته { وَالْإِنْجِيلَ } الذي أنزله الله تعالى على عيسى عليه الصلاة والسلام إلى بني إسرائيل ومن بعدهم النصارى ليهديهم إلى الهدى والرشاد والحق والعدل والصواب ويخرجهم من الظلمات إلى النور كما قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ" ٦ الصف. وكما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّنْتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيْدِنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ " ١٤ الصف. { وَرَسُولًا } ونبياً مرسلًا من الله تعالى بالرسالة والنبوة { إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ } إلى اليهود وهم أبناء وذرية يعقوب عليه الصلاة والسلام وهو في لغتهم اسمه إسرائيل وكلمة [إسرا] أي عبد و [إيل] هو الله أي عبد الله { أَنِّي } أني أنا عيسى عليه السلام نبي الله ورسوله { قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ } قد أتيتكم بمعجزة { مِّن رَّبِّكُمْ } من ربكم وإلهكم وخالقكم الله تعالى جل جلاله

وعظم قدره وعلا شأنه {أَنْتَ أَخْلَقْتَ لَكُمْ} أني أخلق وأصنع وأعمل لكم يا بني إسرائيل {مِنَ الطَّيْرِ} أعمل من قطع الطين {كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ} أعمل أشكال على صفة طير من أي نوع من الطيور من الطين {فَأَنْفُخُ فِيهِ} يدعو الله تعالى ثم ينفخ فيه وعليه {فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ} فيصبح طيراً حقيقياً حياً بإذن الله تعالى وبأمره وبقدرته وإرادته وهي معجزة من المعجزات كبيرة لعيسى عليه السلام وحتى يصدقه قومه {وَأُبْرِيءُ الْأَكْمَهَ} وكذلك أشفي الذي ولد أعمى وجميع العمى بأشكاله المختلفة {وَالْأَبْرَصَ} ويشفي الأبرص وهو مرض جلدي يشوه جسم الإنسان الظاهري ويكون أبيض اللون وهو مرض ليس له شفاء ولكن معجزة عيسى عليه السلام تشفيه وتبرئه {وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ} ومن معجزة عيسى عليه السلام نبي الله ورسوله هو إحياء الموتى بإذن الله تعالى وإرادته. وقيل أنه أحيا سام بن نوح عليه الصلاة والسلام. وقيل أن هناك دعاء لعيسى عليه السلام كان يحيي به الموتى وهو: (بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم إني أسألك يا قديم يا دائم يا فرد يا وتر يا أحد يا صمد يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) قال مقاتل بعد ذكره هذا الدعاء: فإن لم يُستجب لك فالعن مقاتل. [شمس المعارف ص ١٤٨]. وقال صلى الله عليه وسلم: (أَلْظُوا [الزُّمُورَ] يا ذا الجلال والإكرام). [رواه أبو عوانة في صحيحه - سبل السلام ج ٢ ص ٨٢]. وروي أنه صلى الله عليه وسلم مرَّ برجل وهو يقول: يا ذا الجلال والإكرام فقال: (قد استجيب لك). [سبل السلام ج ٢ ص ٨٢]. والدعاء مشروط بالصالح والتقوى وتيقن الاستجابة ، ولا يدعو وقلبه لاه ، وأن يكون على وضوء ، وبعد صلاة ركعتين على نية الاستجابة ، ويدعو به في الشدائد والنوازل لا على سبيل التجربة

أو الامتحان وكما قال تعالى: " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ " ١٨٦ البقرة.

{ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ } وأخبركم من عالم الغيب ماذا تأكلون من الطعام مستقبلاً { وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ } وما يوجد في بيوتكم من الطعام المعد للأكل المدخر وقد قالها يوسف عليه السلام نبي الله ورسوله من قبل في تأويله الرؤيا كما قال تعالى: " قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي " ٣٧ يوسف. { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ } إن في تلك المعجزات وهي إحياء الموتى وشفاء الأكمه والأبرص وخلق الطير من الطين وإحيائه بعد أن ينفخ فيه ففي تلك معجزة لكم على صدق رسالته ونبوته { إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } إن كنتم مصدقين برسالتي لكم وأني رسول الله إليكم { وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ } وأصدق التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام من قبلي { وَلَا حِجْلٌ لَّكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ } ويحل لهم بعض ما حرم على بني إسرائيل التي كانت الشحوم من اللحم محرمة عليهم وكل ذي ظفر قال تعالى: " وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْغِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ " ١٤٦ الأنعام. { وَجِئْتُكُمْ } وجئت إليكم { بِبَيِّنَاتٍ } بمعجزة { مِنْ رَبِّكُمْ } من عند الله تعالى لكم وهي بإذن الله تعالى وأمره وحكمته وقدرته ومشيتته وبتأييده { فَاتَّقُوا اللَّهَ } خافوه واحشوه وأطيعوه واعبدوه واتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه { وَأَطِيعُوا } وأطيعوني في رسالتي وما أمركم به وما أنهاكم عنه { إِنَّ اللَّهَ } إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { رَبِّي وَرَبُّكُمْ } هو ربي وربكم وخالقي وخالقكم

وإلهي وإلهكم {فَاعْبُدُوهُ} فاعبدوه وحده وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه ولا تعبدوا غيره من الأصنام والأوثان والأنداد {هَذَا} هذا الأمر بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له {صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} هو طريق وخط مستقيم وواضح لا انحراف فيه ولا بعد عن الهدى والحق والعدل والرشاد.

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ

الْحَوَارِيُّونَ حُنَّ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا

بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ

وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾

{فَلَمَّا أَحَسَّ} فلم علم وشعر وتأكد {عِيسَى} عيسى ابن مريم عليهما السلام {مِنْهُمُ} من بني إسرائيل وهم اليهود {الْكُفْرَ} إصرارهم على الكفر والعناد والجحود والإنكار والتكذيب برسالته {قَالَ} قال عيسى عليه السلام لقومه {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} من أتباعي في الله تعالى وإلى عبادته وحده لا شريك له ومن يناصرني ويتبعني ويصدقني في رسالتي {قَالَ الْحَوَارِيُّونَ} وهم الأصفياء والخاصة والأتباع. وكما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ندب الناس يوم الأحزاب فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لكل نبي حواري وحواري الزبير). [ابن كثير ج ١ ص ٣٦٥]. {حُنَّ أَنْصَارُ اللَّهِ} نحن الحواريون والأتباع والأصفياء نحن نناصر الله تعالى في شرعه وفي الحق والعدل وفي رسالة سيدنا عيسى عليه السلام {ءَامَنَّا بِاللَّهِ} صدقنا بالله تعالى وأنه لا معبود غيره ولا سواه {وَأَشْهَدُ} واشهد يا عيسى

ابن مريم يا نبي الله ورسوله اشهد علينا نحن الحواريين {بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} بأنا
 أسلمنا مع عيسى عليه السلام وأسلمنا أنفسنا وطاعتنا وعبادتنا وبكل ما جئت به
 إلينا في الإنجيل وفي رسالتك لله وحده لا شريك له {رَبَّنَا} ربنا وإلهنا وخالقنا
 {ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ} صدقنا بما أنزلت في التوراة والإنجيل وما سبق من رسالات
 وبما أنزلت علينا في الإنجيل واتباع رسولك سيدنا عيسى عليه السلام {وَاتَّبَعْنَا
 الرَّسُولَ} واتبعنا الرسول والنبي عيسى ابن مريم عليهما السلام في الأوامر والنواهي
 وبكل ما جاء به إلينا {فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} فاكتبنا مع المؤمنين والمصدقين
 برسالة عيسى عليه السلام والشاهدين على صحتها والشاهدين على رسالة عيسى
 عليه السلام وعلى نبوته {وَمَكْرُوا} ومكر اليهود وهم بنو إسرائيل وكادوا غدراً
 بعيسى عليه السلام ووشوه إلى ملك زمانه ورموه بالكفر والزندقة والسحر والكذب
 {وَمَكَرَ اللَّهُ} جعل الله كيدهم في نحورهم وأبطل وأفشل مكرهم وكيدهم وحفظ
 عيسى عليه السلام من شرهم ونجاه من كيدهم {وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} والله تعالى
 خير الكائدين حيث يعدله يجعل من نصب فحاً يقع فيه لأنه عادل لا يظلم أحداً
 بل يحكم ويقضي بالحق فيأخذ الظالم وينتقم منه للمظلوم وكما قال تعالى: " وَلَا
 يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ " ٤٣ فاطر. فهو خير الماكرين لأنه ينتقم من الظالم
 وينجي المظلوم وهو خير الماكرين بالعدل في الحكم ولا يظلم أحداً.

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۗ ﴾ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾

{ إِذْ قَالَ اللَّهُ } عندها بعد أن وشى الوشاة بعيسى ابن مريم وقالوا ابن زانية وساحر ويفسد الناس ويدعوهم إلى عبادة غير عبادتنا قال الله تعالى له بواسطة الوحي جبريل عليه السلام { يٰعِيسَىٰ } يا عيسى ابن مريم { إِنِّي مُتَوَفِّيكَ } إني متوفيك أعمالك ورسالتك أي أنهيت عملك من الدنيا الآن وليس بالموت ، وهناك معنى آخر وهو أنني سأتوفينك قبل يوم القيامة وليس الآن { وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } ورفعته الله تعالى إلى السماء حياً ولا يزال وهذا هو رفعه إلى الله تعالى أي إلى السماء { وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا } ومنجيك من الكفار والشرك والكفار هم من اليهود وهم بنو إسرائيل ممن وشوا به وكفروا برسالته وكما قال تعالى: " وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا {١٥٧} بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا {١٥٨} " ١٥٧، ١٥٨ النساء. قيل أنهم بعد أن وشوا إلى ملك زمانهم أنه زنديق وساحر ويدعو إلى عبادة غير عبادتنا قال لهم الملك أحضروه حتى يصلبوه وأحاطوا به قيل أنه دخل مزرعة بها أشجار كثيفة وأحاطوا به وقيل أنهم أحاطوا به في بيته ودخل رجل منهم عليه ليمسك به فنزل جبريل

عليه السلام وجاء له بهذا الدعاء وهو: (اللهم إني أسألك باسمك الأحد الأعز وأدعوك اللهم باسمك الأحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذي ملأ الأركان كلها أن تكشف عني ما أصبحت وما أمسيت فيه) ولما دعا به رفعه الله إلى السماء حياً. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا بني هاشم ويا بني عبد مناف اسألوا ربكم بهؤلاء الكلمات فوالذي نفس محمد بيده ما دعا بهن عبد مؤمن إلا اهتزت العرش والسموات السبع والأرضون السبع ويقول الله تعالى لملائكته اشهدوا أنني قد استجبت للداعي بهن وأعطيته عاجل دنياه وآجل آخرته). [نزهة المجالس ج ١ ص ٧٠]. ومسكوا بالرجل الذي أُلقي عليه شبهه فصلبوه ظناً أنه عيسى عليه السلام الذي رُفِعَ حياً إلى السماء مع الملائكة وقد رآه صلى الله عليه وسلم في السماء الثانية في ليلة الإسراء والمعراج كما ورد في الصحيح: (فإذا بيحى وعيسى وهما ابنا الخالة). [ابن كثير ج ١ ص ٣٦٠]. والدليل على أن عيسى عليه السلام رُفِعَ إلى السماء حياً: قال الإمام أحمد: حدثنا عفان حدثنا همام أنبأنا قتادة عن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإنني أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن نبي بيني وبينه وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربع إلى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران كأن رأسه يقطر إن لم يصبه بلل فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ثم تقع الأمانة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمار مع البقر والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون). [ابن كثير ج ١ ص ٥٧٨]. {وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ}

وجاعل الحواريين وهم أتباعك {فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا} مسئولين عن من كفر من بني إسرائيل ومن اليهود أي لهم منزلة في الطاعة والعبادة والحسنات أعلى من درجات الذين كفروا {إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} حتى يوم القيامة وهذا سيتحقق بأن المسلمين سيحاربون اليهود مع عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء وتنتهي اليهود حتى تقوم القيامة وهذا تصديق لقرآننا بأنه منزل من عند الله تعالى ولا كذب فيه كما جاء في الحديث: (فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم). [خزينة الأسرار ص ٥٣]. {ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ} ثم تكون النهاية بالموت وترجعون إلى الله تعالى يوم القيامة للحساب بعد البعث {فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ} ففي المحشر يوم القيامة يفصل الله تعالى ويحكم ويقضي بالحق والعدل بين الخلق والناس أجمعين {فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} ويحكم الله تعالى ويفصل فيما كنتم تختصمون ومختلفين على صحته {فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} فأما الكفار من جحد وأنكر وكذب برسالة عيسى عليه السلام {فَأَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا} فيعاقبهم الله تعالى عذاباً قاسياً وأليماً وموجعاً {فِي الدُّنْيَا} بالأسر والقتل والخزي {وَالْآخِرَةِ} وفي الآخرة عذاب جهنم {وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ} وليس لهم من ينصرهم وينقذهم ويمنعهم من عذاب الله تعالى لهم يوم القيامة وما لهم من مساند أو مساعد أو ناصر أو منقذ {وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا} وأما المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحات من العبادات والطاعات والنوافل والصدقات في مرضاة الله تعالى {فَيُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ} فيعطيهم أجرهم ولا ينقصهم شيئاً من ثوابهم. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد حدثنا همام عن يحيى عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا يظلم

المؤمن حسنة يعطى بها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة. وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيراً). [انفرد بإخراجه مسلم - ابن كثير ج ١ ص ٥٨٥]. {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} والله تعالى يبغض الظالمين والمعتدين على حقوق الناس والظالمين لأنفسهم بالكفر والشرك لقوله تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وقوله تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {ذَلِكَ نَتْلُوهُ} ذلك القصص نقصه ونقرأه {عَلَيْكَ} عليك يا محمد يا رسول الله {مِنَ الْآيَاتِ} من آيات القرآن {وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ} وهو القرآن ذو الحكمة في قصصه وأقواله وأحكامه وأمره ونواهيته وحكمه وتشريعه وبيانه.

﴿ إِنَّ مَثَلِ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥١﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٥٢﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٤﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

{إِنَّ مَثَلِ عِيسَى} يضرب الله تعالى الأمثال ويقول إن مثل عيسى عليه السلام {عِنْدَ اللَّهِ} عند الله لما أراد خلقه بدون أب ومن أم أنثى فقط فمثله {كَمَثَلِ آدَمَ} كمثل آدم عليه السلام خلقه الله تعالى بدون أب ولا أم {خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ} خلقه الله تعالى من لا شيء من الطين وتراب الأرض {ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} ثم أنفذ أمره وقدرته وحكمته بخلقه وقال له كن فكان آدم عليه السلام أصبح من دم ولحم

وسمع وبصر وقلب ويدان ورجلان يتحركان ويمشي بهما وعقل يفكر. وقال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا أسامة بن زهير عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود بين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك). [وقد رواه أبو داود والترمذي من طرق عن عوف الأعرابي به نحوه وقال الترمذي: حسن صحيح - ابن كثير ج ٣ ص ٢٤٠]. {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} هذا القول هو الحق من ربك وخالقك وإلهك الله تعالى يا محمد يا رسول الله وهو أمر عيسى عليه السلام وخلقته من أم بدون أب وهو نبي الله ورسوله وليس إله ولا ثالث ثلاثة ولا هو ابن الله كما تدعي النصارى {فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ} فلا تكن يا محمد يا رسول الله من المكذبين والشاكين في عيسى عليه السلام وأنه نبي الله ورسوله. وإحياءه للموتى وشفاء الأكمه والأبرص هي معجزة كباقي معجزات الرسل السابقين {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} فمن جادلك وحاججك في عيسى عليه السلام ويطلب منك الحجة بإثبات نبوته ورسالته من بعد ما وصل إليك من العلم الذي جاءك من القرآن الكريم بأن الله تعالى خلقه مثل ما خلق آدم خلقه من أم بدون أب وخلق آدم لا من أم ولا من أب وذلك بقدرته وحكمته وإرادته ومشينته {فَقُلْ} فقل يا محمد يا رسول الله لمن جادلك وحاججك من النصارى في عيسى عليه السلام {تَعَالَوْا نَدْعُهُ} تعالوا نذهب للمباهلة وندعو {أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ} أولادنا وأولادكم نحن المسلمين وأنتم النصارى {وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ} ونساء المسلمين ونساء النصارى {وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ} وأنفسنا نحن المسلمين وأنفسكم أنتم النصارى {ثُمَّ نَبْتَهِلْ} ثم نسأل الله تعالى وندعوه

{فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ} فنجعل نقمة الله وسخطه وعذابه وهلاكه {عَلَى الْكٰذِبِيْنَ} على من كذب على الله من الطرفين. وسبب نزول هذه السورة من أولها إلى هنا هو وفد نصارى نجران {إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ} إن هذا القرآن لهو قصة حقيقية صادقة لا كذب فيها قصة عيسى عليه السلام بأنه ابن مريم وليس له أب وإحياءه للموتى ويكلم الناس في المهد ويشفي الأكمه والأبرص كلها معجزة له على رسالته ونبوته كما كانت المعجزات للرسل السابقين {وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا اللَّهُ} وليس هناك إله يُعبد ولا رب ولا معبود غير الله تعالى وحده لا شريك له وهو رب الأرباب وهو إله الكون والخلق كلهم جميعاً {وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَهُوَ الْعَزِيزُ} لهو القوي والمنيع في سلطانه وفي ملكه وهو عزيز الجانب فلا تصل إليه يد بالسوء أو الاعتداء {الْحَكِيمُ} ذو الحكمة في خلقه وقدرته ومعجزاته وفي آياته وأوامره ونواهيته وفي ملكه ولا يخطئ أبداً {فَإِنْ تَوَلَّوْا} فإن أعرضوا وجحدوا وأنكروا وكذبوا {فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ} فإن الله تعالى يعلم ويعرف ويدري {بِالْمُفْسِدِينَ} المُغَيِّرِينَ والمخربين في دين الله تعالى وهم الغاوون والمضللون. قال البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ أبو سعيد ومحمد ابن موسى ابن الفضل قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أحمد ابن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن سلمة بن عبد يسوع عن أبيه عن جده قال يونس - وكان نصرانيا فأسلم - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان: (باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران إن أسلمتم فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ،

وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم ، فالجزية ، فإن أبيتم فقد أذنتكم بحرب والسلام) ، فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فظع به وذعره ذعراً شديداً وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة ، وكان من همدان ، ولم يكن أحد يدعى إذا نزلت معضلة قبله لا الأيهم ولا السيد ولا العاقب فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شرحبيل فقرأه فقال الأسقف: يا أبا مريم ما رأيك ؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة فما يؤمن أن يكون هذا هو ذاك الرجل ليس لي في أمر النبوة رأي ، ولو كان في أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأي واجتهدت لك فقال الأسقف: تنح فاجلس فتنحى شرحبيل فجلس ناحية فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له عبد الله بن شرحبيل وهو من ذي أصبح من حمير فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه فقال مثل قول شرحبيل فقال له الأسقف: تنح فاجلس فتنحى عبد الله فجلس ناحية فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له جبار بن فيض من بني الحارث بن كعب أحد بني الحماس فأقرأه الكتاب وسأله عن الرأي فيه ؟ فقال له مثل قول شرحبيل وعبد الله فأمره الأسقف فتنحى فجلس ناحية فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعاً أمر الأسقف بالناقوس ف ضرب به ورفعت النيران والمسوح في الصوامع ، وكذلك كانوا يفعلون إذا فزعوا بالنهار وإذا كان فزعهم ليلاً ضربوا بالناقوس ورفعت النيران في الصوامع فاجتمعوا حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح أهل الوادي أعلاه وأسفله ، وطول الوادي مسيرة يوم للراكب السريع ، وفيه ثلاث وسبعون قرية وعشرون ومائة ألف مقاتل فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألهم عن الرأي فيه فاجتمع رأي أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله ابن شرحبيل الأصبحي وجبار بن فيض الحارثي فيأتونهم بخبر رسول الله

صلى الله عليه وسلم فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم ولبسوا حللا لهم يجرونها من حبرة وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فلم يرد عليهم وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكانا معرفة لهم فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن إن نبيكم كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مجيبين له فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا فما الرأي منكما أترون أن نرجع؟ فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمن: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودون إليه ففعلوا فسلموا عليه فرد سلامهم ثم قال: (والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم) ثم سألهم وسألوه فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى فإننا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى يسرنا إن كنت نبيا أن نسمع ما تقول فيه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عندي فيه شيء يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقول لي ربي في عيسى ، فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآية: " إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ - إلى قوله - الْكَافِرِينَ " فأبوا أن يقرأوا بذلك فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد بعد ما أخبرهم الخبر أقبل مشتتلا على الحسن والحسين في خميل له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة وله يومئذ عدة نسوة فقال شريحيل لصاحبيه: لقد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأبي وإني والله أرى أمرا ثقيلا والله لئن كان هذا الرجل مَلِكًا مبعوثاً فكنا أول العرب طعنا في عينيه ورداً عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبنا بجائحة وإنا لأدنى العرب منهم جواراً،

ولئن كان هذا الرجل نبياً مرسلًا فلاعناه لا يبقى منا على وجه الأرض شعر ولا ظفر إلا هلك ، فقال صاحباه: فما الرأي يا أبا مريم ؟ فقال: أرى أن أحكمه فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً فقالا له: أنت وذاك قال: فتلقى شرحبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك فقال: وما هو ؟ فقال: حكمتك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح فمهما حكمت فينا فهو جائز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل وراءك أحد يثرب عليك ؟ فقال شرحبيل: سل صاحبي فسألها فقالا: ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شرحبيل فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلاعنهم حتى إذا كان من الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب النبي محمد رسول الله لنجران - إن كان عليهم حكمه - في كل نمرة وكل صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق فاضل عليهم وترك ذلك كله لهم على ألفي حلة ، في كل رجب ألف حلة ، وفي كل صفر ألف حلة) وذكر تمام الشروط وبقيّة السياق ، والغرض أن وفودهم كان في سنة تسع لأن الزهري قال: كان أهل نجران أول من أدى الجزية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الجزية إنما أنزلت بعد الفتح وهي قوله تعالى: " قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ " الآية وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن داود المكي حدثنا بشر بن مهران حدثنا محمد ابن دينار عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن جابر قال: قدم على النبي صلى الله عليه وسلم العاقب والطيب فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على أن يلاعناه الغداة قال: فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا وأقرّا له بالخراج قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي بعثني بالحق لو قال: لا ، لأمطر عليهم الوادي ناراً) قال جابر: وفيهم نزلت " تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ

وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ " قال جابر [أنفسنا وأنفسكم] رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب [وأبناءنا] الحسن والحسين [ونسائنا] فاطمة وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن علي بن عيسى عن أحمد بن محمد الأزهري عن علي ابن حجر عن علي بن مسهر عن داود بن أبي هندبة بمعناه ، ثم قال: صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه هكذا. [ابن كثير ج ١ ص ٣٦٩-٣٧١].

﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {يَتَاهَلِ الْكِتَابِ} أيها اليهود يا أهل كتاب التوراة ويا أيها النصارى أهل كتاب الإنجيل. والتوراة كتاب موسى عليه السلام وكتاب الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام {تَعَالَوْا} تعالوا نجتمع {إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} إلى كلمة حق وعدل وأن نكون فيها سواسية كأسنان المشط ونسوي الأمر بيننا وبينكم ونتفق على كلمة واحدة جميعنا وهي {أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ} وهي لا نعبد أحداً من المخلوقات غير الله تعالى {وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا} ولا نجعل له شريكاً ولا نشرك به أحداً ولا شيئاً من المخلوقات لا الأصنام ولا الأوثان

ولا الأنداد ولا غيرها {وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ} ولا يجعل بعضنا بعضاً أو أحداً من الناس رباً يعبده كما فعلتم أيها اليهود وقتلتم العزيز ابن الله وأنتم أيها النصارى كما فعلتم وقتلتم بأن عيسى هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة {فَإِنْ تَوَلَّوْا} فإن أعرضوا وجحدوا وأنكروا وكذبوا ما تدعوهم إليه وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له {فَقُولُوا} فقل يا محمد يا رسول الله أنت والمؤمنون لهم {أَشْهَدُوا} اشهدوا علينا يا أهل الكتاب {بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} بأن نحن المؤمنون كلنا مسلمون وداخلون في دين الله وهو دين الإسلام الذي يدعو إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ولن نبدله ولن نغيره {يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ} أيها اليهود والنصارى يا أصحاب التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ويا أهل كتاب الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام فأنتم أصحاب الكتب السماوية المنزلة من عند الله تعالى وتعلمون منها الحق والصدق {لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ} لماذا تجادلون وتخاصمون وتحاججون أيها اليهود ويا وفد نجران من النصارى في إبراهيم الخليل عليه السلام في أنه يهودي أو نصراني وهذا عتاب من الله تعالى وتقريع لهم وتفنيذ لكذبهم وادعائهم {وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِمْ} وهنا ينزل الله تعالى الحجة والبرهان والدليل على كذب ادعائهم بأن إبراهيم عليه السلام لم يكن لا يهودياً ولا نصرانياً والدليل على ذلك أن كتاب التوراة الذي أنزل على موسى عليه السلام لليهود وإلى بني إسرائيل جاء على أحفاد أحفاد إبراهيم عليه السلام حيث انتسبت اليهود وهم بنو إسرائيل إلى يعقوب عليه السلام وهو حفيد إبراهيم عليه السلام وهو ابن إسحاق وإسحاق ابن إبراهيم ويعقوب عليه السلام هذا اسمه إسرائيل في لغتهم ثم جاء من أحفاد أحفاده موسى عليه السلام والذي أنزلت عليه التوراة من عند الله تعالى بعد زمن طويل

وقرون عدة من إبراهيم عليه السلام وهذا يدل على أن ادعاء اليهود بأن إبراهيم عليه السلام كان يهودياً باطل من أساسه. وكذلك كتاب الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام - وأنصاره أي أنصار عيسى عليه السلام قد تسموا بالنصارى - وعيسى عليه السلام بينه وبين إبراهيم الخليل عليه السلام قرون وأجيال عدة وكثيرة فكيف يكون إبراهيم عليه السلام نصرانياً؟! وهذا إثبات من التاريخ ومن الواقع بأن كتاب التوراة لموسى عليه السلام وكتاب الإنجيل لعيسى عليه السلام قد نزلا من بعد إبراهيم عليه السلام بقرون كثيرة {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} أفلا تتفكرون وتفهمون التاريخ الذي وُلد فيه موسى وعيسى عليهما السلام بعد موت إبراهيم عليه السلام بقرون وقرون فكيف صار منهم وهو جد المسلمين لأنه والد إسماعيل عليه السلام مباشرة وجدَّ اليهود وهم بنو إسرائيل من يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم عليهم جميعاً السلام أي أنه كذلك جدَّ اليهود ، ومن بعدهم جاء النصارى وهو كذلك جدُّهم لأن عيسى عليه السلام هو جده لأمه لأنه من سلالة يعقوب عليه السلام {هَتَأْتُمُ هَؤُلَاءِ} أنتم هؤلاء {حَاجَجْتُم} تجادلتم وتخاصمتم وأدليتم كل واحد منكم بحجته لإقناع الآخر {فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} في علم ما عندكم من التوراة والإنجيل في الأوامر والنواهي والحكم وما فيها من نصوص وأحكام {فَلِمَ تُحَاجُّونَ} فلماذا تجادلون وتدلون بالحجج الواهية {فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} فيما لا تعلمون من أمر إبراهيم عليه السلام حيث تدعون خطأ وبدون علم بأن إبراهيم عليه السلام كان يهودياً واليهودية لم تولد بعد لأنها أي بني إسرائيل انتسبت إلى ابن ابنه يعقوب عليه السلام الذي سُمي إسرائيل في لغتهم أي إسرا [عبد] وإيل [الله] أي عبد الله ويعقوب هذا هو ابن إسحاق وإسحاق هو ابن إبراهيم عليه السلام من سارة عليها السلام أما نحن المسلمين أبناء إسماعيل عليه

السلام ابن إبراهيم عليه السلام مباشرة وهو من هاجر المصرية عليها السلام {وَاللَّهُ
يَعْلَمُ} والله تعالى هو الخالق يعلم ويدري بخلقه وبميلادهم وبأعمالهم وانتمائهم
{وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} وأنتم يا أهل الكتاب والنصارى لا تعلمون عن إبراهيم عليه
السلام شيء حيث مات وأنتم لم تولدوا بعد لا أنتم ولا رسلكم لا موسى ولا عيسى
عليهم السلام وما كانوا حاضرين ولا شاهدين في عصره لأنهم وُلدوا بعد موت
إبراهيم عليه السلام بقرون عدة {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا} لم يكن
إبراهيم عليه السلام يهودياً حيث لم يولد موسى عليه السلام بعد ولم تنزل عليه
التوراة بعد وكذلك لم يولد عيسى عليه السلام ولم ينزل عليه الإنجيل إلا بعد موت
إبراهيم عليه السلام بزمان طويل وقرون عدة وأجيال كثيرة {وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا}
ولكن كان مستقيماً وسهلاً وسمحاً {مُسْلِمًا} كان دينه دين الإسلام ونحن المسلمون
قد أمر الله تعالى رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ابن إسماعيل عليه
السلام ابن إبراهيم عليه السلام أن تتبع دين إبراهيم عليه السلام وهو دين الإسلام
وهو دين الحق {وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ولم يكن إبراهيم عليه السلام مشركاً أبداً
ولم يتخذ لله شركاء كما قالت اليهود عزيز ابن الله وكما قالت النصارى عيسى ابن
الله أو ثالث ثلاثة أو هو الله حيث كان إبراهيم عليه السلام بعيد عن مثل هذا
الشرك بعد السماء عن الأرض حيث كسر الأصنام لقومه ولم يعبد إلا الله وحده لا
شريك له ولذلك أراد النمرود ملك العراق حرقه ورماه في النار لأنه كسر أصنامهم
وأوثانهم ورفض الإشراك بالله تعالى ورفض عبادة غيره {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ
بِإِبْرَاهِيمَ} إن أقرب الناس وأحق بإبراهيم عليه السلام {لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ} هم الذين
اتبعوا دينه وهو دين الإسلام وهم {وَهَذَا النَّبِيُّ} وأولى به هذا النبي والرسول

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي اتبع دين إبراهيم عليه السلام وهو دين الإسلام {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} وكذلك أولى بإبراهيم وأحق به هم الذين آمنوا وصدقوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَاللَّهُ وَلِيُّ} والله تعالى يتولى بالرعاية والحفظ والعناية والنصر والحياة الطيبة الكريمة في الدنيا {الْمُؤْمِنِينَ} يتولى الله تعالى من آمن وصدق ولم يشرك بالله فكل من آمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وصدق برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالإسلام ديناً فيتولاهم الله تعالى في يوم القيامة برحمته ويدخلهم الجنة.

﴿ وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾

﴿ ٧٦ ﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٦﴾

﴿ ٧٦ ﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾

وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ

وَكَفَرُوا ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلُوبَنَا إِنْ أَهْدَى

هُدَى اللَّهُ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ

اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو

الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٨﴾

{وَدَّتْ طَّائِفَةٌ} تمننت ورغبت جماعة {مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} وهم اليهود أهل التوراة

التي أنزلت على موسى عليه السلام {لَوْ يُضِلُّوكُمْ} لو يغيروكم ويبعدونكم عن

دينكم دين الإسلام {وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ} ولا يغيرون ولا يُبعدون عن الحق

والصواب إلا أنفسهم هم لأنكم على الحق والهدى ودين الحق وهم على الباطل فهم

باقون على ضلالهم وتوهانهم بعدم اتباع دين الإسلام {وَمَا يَشْعُرُونَ} وما يشعرون بأنهم ضلوا عن الحق والهدى والرشاد واتباع دين الإسلام لأنهم لا يعلمون من حياتهم الدنيا بأن لكل زمان وعصر قوانين أو نقود تلغي ما سبقها من قوانين أو نقود سابقة لأن لكل زمان ملك أو خليفة يحكم البلاد بقوانين ونقود مخالفة لما سبقه من العصور السابقة وهذا هو دين الإسلام قد ألغى ما سبقه من الأديان السابقة بأمر الله تعالى ملك الملوك بقوله تعالى: " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ٨٥ آل عمران. {يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ} يا أصحاب كتاب التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام أيها اليهود يا بني إسرائيل وأنتم يا أصحاب كتاب الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام يا أهل النصارى يا أصحاب الكتب السماوية المنزلة من عند الله تعالى {لِمَ تَكْفُرُونَ} لماذا تكفرون وتجددون وتنكرون وتكذبون ولا تصدقون {بِعَايَتِ اللَّهِ} بآيات الله وكلام الله تعالى من القرآن الكريم {وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} وأنتم ترونها بأعينكم وتسمعونها بأذانكم وتشهدون على صحتها في أنفسكم وفيما بينكم وبين بعضكم البعض وتقرون بها وتعترفون بينكم بها فلماذا تجددون بها وكما قال تعالى: " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا " ١٤ النمل. {يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ} أيها اليهود والنصارى يا أهل التوراة والإنجيل {لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} لماذا تُخفون الحق وتُظهرون الباطل وتُغطوا الحق بغطاء ورداء الباطل {وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ} وتكتُمون الحق في صدوركم وتخفوه وتسروا به {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} وأنتم تعلمون وتعترفون الحقيقة أن محمداً رسول الله حقاً والقرآن حق نزل من عند الله تعالى ولأن ذلك تعلموه من كتبكم السماوية وكما قال تعالى: " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ " ١٥٧ الأعراف. { وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } وقالت جماعة من أهل التوراة وهم اليهود وهم جماعة من أهل الكتب السماوية { ءَامِنُوا } ادخلوا مع محمد في الإسلام كذباً وقلوا آمنا { بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا } بالقرآن الكريم الذي أنزل على المؤمنين والمسلمين بواسطة الوحي جبريل عليه السلام أنزله الله تعالى على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { وَجَهَ النَّهَارِ } أول النهار { وَأَكْفَرُوا ءَاخِرَهُ } وارتدوا واجحدوا وكذبوا بالقرآن ودين الإسلام آخر النهار { لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } لعلهم يرتدون عن الإسلام وحتى يكون هناك بلبلة وشك بين المسلمين في دينهم وعقيدتهم عندما نرتد عن دين الإسلام نحن اليهود وتكون فتنة في دين الإسلام ولكنه خاب ظنهم وكيدهم والله تعالى أظهر كيدهم ومكرهم وعلم بذلك المسلمون وبتلك الخدعة { وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ } وقال اليهود لبعضهم لا تصدقوا غير دينكم ومن اتبعه أي لا تصدقوا يا معشر اليهود إلا من اتبع دينكم اليهودية فقط { قُلْ } قل لهم يا محمد يا رسول الله { إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ } إن الهدى والرشاد والحق والصواب هو اتباع شرع الله تعالى وما أنزل على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفي قرآنه الذي أنزل وما جاء فيه من أوامر ونواهي { أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ } ولم يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من التوراة { أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ } فلا تخافوا أن يخاصموكم ويأتوا بحججهم عند الله تعالى يوم القيامة حيث دينكم هو الصدق

والصحيح أيها اليهود ولا تتخلوا عنه ولا تتركوه {قُلْ} رُدْ عليهم يا محمد يا رسول الله وقل لليهود {إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ} إن الفضل والخير هو بيد الله وحده {يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} يعطيه ويهبه من يشاء من عباده لأنه هو الله تعالى الذي يعطي ويهب من يشاء ومن يريد لأن الكون كونه والخلق خلقه والأمر أمره {وَاللَّهُ وَاسِعٌ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه واسعٌ خيرٌ وكبيرٌ وعظيمٌ {عَلِيمٌ} عليمٌ بخلقه ومن يستحق منهم الرسالة {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ} يخصص رحمته سبحانه وتعالى لمن يريد من عباده ممن يستحقها ومن هو أهلها وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اختصه الله تعالى بالرسالة والنبوة وجعله خاتم الرسل والنبیین وأمر باتِّباعه وترك الأديان السابقة وكما أسلفنا لكل ملك في زمانه نقود وقوانين غير التي سبقتها وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار). [رواه مسلم - ابن كثير ج ١ ص ٣٥٤]. {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {ذُو الْفَضْلِ} هو صاحب الفضل والعطاء والخير والكرم {الْعَظِيمِ} الكبير والواسع والذي لا حصر له والذي يهبه لمن يشاء من عباده.

﴿ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنٍ إِن تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنٍ إِن تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ
لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ
سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَن أَوفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ
فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا
يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ
لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِن عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ
مِن عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

{ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ } فئة وجماعة والبعض من اليهود وهم أهل كتاب التوراة وهم المقصودون لأنهم يسكنون المدينة بجوار رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهم أشد الخصماء له وهم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة وبنو المصطلق وخيبر { مَنٍ إِن تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ } مَن منهم قد تأمنه على قنطار من ذهب أمانة ومال ووديعة ومتاع كأمانة لديه يرجعها لك فوراً عند طلبها أو دين والقنطار هو وزن مائة رطل شامي أي أنه أمين على رد الأمانة كاملة بدون نقص أو مماطلة سواء كانت ديناً أو أمانة عنده. وقال الليث: حدثني جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن ابن هرمز الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: اثنتي بالشهداء أشهدهم فقال: كفى بالله شهيداً فقال: اثنتي بالكفيل قال: كفى بالله كفيلاً قال: صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر ففقد حاجته ثم التمس مركباً يركبها ليقدم عليه في الأجل الذي أجله فلم يجد

مركباً فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم أنني استسلفت فلاناً ألف دينار فسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً وسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً فرضي بذلك وأناي جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر وأناي استودعتكها ، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده ، فخرج الرجل الذي كان أسلفه لينظر لعل مركباً يجيئه بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً فلما كسرهما وجد المال والصحيفة ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار وقال: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه قال: هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال: ألم أخبرك أنني لم أجد مركباً قبل هذا قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة ، فانصرف بألف دينار راشداً. [هكذا رواه البخاري في موضع معلقاً بصيغة الجزم ، وأسنده في بعض المواضع من الصحيح عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه - ابن كثير ج ١ ص ٣٧٤].

{ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأَمَّنْهُ بِدِينَارٍ } ومن اليهود من ليس أميناً على أن يأخذ منك ديناً أو تضع عنده أمانة مهما قلت حتى لو كانت ديناراً واحداً. والدينار هو عملة ونقود يتداول بها الناس وقيل مأخوذة من كلمة دين ونار { لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ } لا يرجعه إليك ويماطل أو ينكر أخذه منك { إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا } إلا إذا ألححت عليه السؤال والطلب وداومت المطالبة عليه باستمرار حتى يمكن أن يرجعه لك. والرجل غير الأمين ومن يجحد الأمانة حتى لو كانت ديناراً فالأولى أن يجحد الدين والإسلام بلا شك { ذَلِكَ } وبذلك { بِأَنَّهُمْ قَالُوا } أن اليهود قالت { لَيْسَ عَلَيْنَا فِي } ليس علينا في أكل أموال { الْأَمْوَالِ } المسلمين نسبة إلى رسولنا سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم الأمي لأنه لا يعرف القراءة ولا الكتابة {سَبِيلٌ} أي
وزر ولا ذنب ولا مؤاخذه هذا شأن اليهود مع أموال المسلمين بيّنه الله تعالى في
كتابه قرآناً يتلى {وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} واليهود يقولون كذباً بأن ذلك في
كتابهم التوراة أنزله الله عليهم بأنه لا حساب ولا عقاب ولا عذاب إذا أكلوا مال
المسلمين ولكن الله تعالى كذبهم في القرآن الكريم لأن الله تعالى عادل واسمه الحق
ويحب الحق ولا يحب الظلم ولا الفساد ولا البغي ولا الكذب {وَهُمْ يَعْلَمُونَ}
واليهود يعلمون أن ذلك كذب وحرام عليهم أكل أموال الناس بالباطل سواء
مسلمين أو مشركين {بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ} ومن أوفى بعهده وأمانته ودينه وردّها
إلى أصحابها غير منقوصة {وَأَتَّقُوا} وخشي الله تعالى وخافه واتقى محارمه {فَإِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} فإن الله تعالى يحب الخائفين من عذاب الله تعالى بعدم
انتهاك حدوده ولا محارمه {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ} إن الذين
يبيعون دينهم وعهدهم وحلفهم وإيمانهم وأقسامهم {ثَمَنًا قَلِيلًا} بثمن زهيد وقليل
من متاع الدنيا {أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ} هؤلاء لا كرامة ولا نجاة ولا نصيب لهم
من رحمة الله تعالى {فِي الْأَخِرَةِ} يوم القيامة {وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ} ولا يسمع منهم
الله تعالى قولهم ولا يجيبهم ولا يكلمهم {وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} ولا ينظر
إليهم بشفقة أو رحمة يوم القيامة وذلك تحقيراً وإذلالاً لهم {وَلَا يُزَكِّيهِمْ} ولا
يطهرهم ولا يعفيهم من الذنوب التي ارتكبوها في الدنيا {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}
ولهم يوم القيامة عقاب شديد وموجع في نار جهنم {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا} وإن من
اليهود جماعة وطائفة وقسم {يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُمُ بِالْكِتَابِ} يقلدون قارئ كتاب التوراة

بصوت جميل ويوهمون السامع بأنهم يقرؤون بكتاب التوراة {لِتَحْسَبُوهُ مِنْ
الْكِتَابِ} فيلحن أحدهم في قراءته ويحرك لسانه حتى تظنوه يقرأ من كتاب
التوراة {وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ} وهذا كذب فهو ليس من كتاب التوراة
{وَيَقُولُونَ} ويقول اليهود في ذلك {هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} هذا القول والقراءة نزل
من عند الله تعالى في كتاب التوراة {وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} وليس ذلك نزل من عند
الله في التوراة بل من عند أنفسهم {وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} ويختلقون ويقولون
كذباً ويكذبون على الله تعالى ما لم يُنزل به سلطاناً {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} وهم يعلمون
أنهم كاذبون.

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا
لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّنِيذِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ
﴿٦٦﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾

{مَا كَانَ لِبَشَرٍ} لا يحق لبشر من بني آدم. وبشر أي له بشرة وملمس ويرى وليس
ملكاً ولا جانا لا يرى وهو من أولاد آدم عليه السلام {أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ} أي
يبعثه الله ويرسله إلى قومه وينزل عليه كتاب من الكتب السماوية {وَالْحُكْمَ}
والحكم والقضاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم بين الناس أي له سلطة
الملك والحكم بالشرائع السماوية {وَالنُّبُوَّةَ} والرسالة من قبل الله تعالى بأن يكون
رسولاً ونبياً لقومه ولأمته {ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ} ثم يقول
للناس اعبدوني من دون الله فأنا ربكم وإلهكم {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّنِيذِينَ} ولكن أرسل

للناس ليقول لهم كونوا عابدين طائعين لله ربكم وأخلصوا له العبادة والطاعة وكما قال تعالى: " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " ٥٦ الذاريات. {بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} وذلك من تعليمكم كتاب الله للناس وبما تعلمونه من دراسته وتحصيل العلم منه وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له {وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ} ولا يحق ولا يجوز ولا يمكن أن يأمر رسول الناس أن يعبدوا الملائكة أو النبيين ويتخذونهم {أَرْبَابًا} أي آلهة يعبدونها من دون الله تعالى {أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ} وهل يستطيع الرسول أن يأمركم بالكفر والشرك والإلحاد؟! {بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} بعد أن أصبحتم مسلمين ودخلتم في دين الإسلام وسلمتم لله تعالى بالطاعة والانقياد والعبادة وهذا لا يمكن أن يحدث ولا يحصل ولم ولن يحصل لرسول ولا نبي أن يقول ذلك ، ولذلك حذر الله تعالى من الاقتداء باليهود لأنهم كما قال تعالى: " اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ " ٣١ التوبة. وفي المسند والترمذي أن عدي بن حاتم قال: يا رسول الله ما عبدوهم قال: (بلى أنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم). [ابن كثير ج ١ ص ٣٧٧].

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ^{٤٤} قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ^{٤٥} قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا ^{٤٦} وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٧﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ} وإذ أخذ الله تعالى المواثيق والعهود من الأزل على جميع الرسل والأنبياء ومن الأزل من آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام {لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ} ما أرسلت لكم من كتاب من الكتب السماوية لأقوامكم وأممكم {وَحِكْمَةٍ} وسنة وشريعة إلا قلت لكم فيها {ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ} ثم جاء محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة والنبوة {مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ} يصدق بكتبكم وبرسالتكم هو وأمته {لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ} لتصدقن به وبرسالته فهو رسول من الله تعالى يأتي آخر الزمان وهو خاتم الأنبياء والرسل {وَلَتَنْصُرُنَّهُ} فنصرته هو إبلاغ كل قومه عن قدومه في آخر الزمان ويجب أن يصدقوه ويتبعوه {قَالَ} قال الله تعالى لجميع الرسل السابقين {ءَأَقْرَرْتُمْ} أي اعترفتم بقدومه {وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ} وأخذتم على ذلك أي نصرة محمد بأنه رسول الله وخاتم الأنبياء {إِصْرِي} عهدي وميثاقي موضع الجذ وتنفيذه {قَالُوا أَقْرَرْنَا} قال جميع الرسل في الأزل شهدنا وأقررنا ووافقنا بتبليغ ذلك لأقوامنا {قَالَ} قال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فَاشْهَدُوا} فاشهدوا بذلك واشهدوا له بالرسالة والنبوة بين قومكم {وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} وأنا الله تعالى أشهد أنه محمد رسول الله معكم أي في كتبكم أشهد على أنه محمد رسول الله وخاتم النبيين

{فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ} فمن أعرض ووجد وأنكر وكفر بعد ذلك العهد والميثاق والبيان والإقرار وبعد نزول القرآن برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} فأولئك هم العاصون والمعلنون بالمعصية والخارجون عن طاعة الله تعالى.

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٢﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا تُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾

{أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ} فهل يطلب اليهود والنصارى ديناً آخر غير دين الله تعالى الذي ارتضاه لهذه الأمة وهو دين الإسلام {وَلَهُ أَسْلَمَ} ولله تعالى انقاد وأطاع له {مَنْ فِي السَّمَوَاتِ} من في السموات السبع من الملائكة {وَالْأَرْضِ} وأهل الأرض من المخلوقات {طَوْعًا} طائعين وهم أهل السموات من الملائكة كما قال تعالى: " عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " ٦ التحريم. {وَكَرْهًا} وهم كل ما في الأرض بما فيها الثقيلين الإنس والجن لأنهم

يخضعون لقوانينه وسننه الكونية بالنوم والمرض والموت والرزق وكل ما في الحياة
 {وَالِيهِ يُرْجَعُونَ} ومصيرهم يرجعون أحياء وبيعثون من قبورهم إلى الله تعالى في
 المحشر يوم القيامة للحساب {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار من اليهود
 والنصارى {ءَامَنَّا بِاللَّهِ} صدقنا بالله رباً {وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا} وبالقرآن الذي أنزل
 علينا أي على رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما فيه من أحكام وأوامر
 ونواهي {وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} وآمنا بصحف إبراهيم عليه السلام الذي نزلت
 عليه من الله تعالى {وَإِسْمَاعِيلَ} وإسماعيل عليه السلام هو ابن إبراهيم عليه
 السلام الأكبر من هاجر {وَإِسْحَاقَ} وإسحاق عليه السلام هو ابن إبراهيم من سارة
 {وَيَعْقُوبَ} ويعقوب وهو ابن إسحق ابن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام جميعاً
 {وَالْأَسْبَاطَ} وهم الأحد عشر سبطاً أولاد يعقوب عليه السلام إخوة يوسف عليه
 السلام وهم مع أخيه يوسف اثنا عشر سبطاً كما قال تعالى: " وَقَطَعْنَا لَهُمُ اثْنَتَيْ
 عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا " وجميعهم صحف إبراهيم عليه السلام كتب هداية لهم {وَمَا
 أُوتِيَ مُوسَىٰ} وما أعطي موسى كتاب التوراة ، علماً بأن أخاه هارون كان رسولاً ولم
 يُنزل عليه كتاب آخر غير التوراة فهي كما هي لموسى هي لهارون ، وكذلك
 صحف إبراهيم هي لأبنائه الرسل إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ، وكذلك
 زبور داود عليه السلام نبي الله ورسوله هي أيضاً لولده سليمان عليه السلام نبي
 الله ورسوله من بعده {وَعِيسَىٰ} وما أعطي عيسى ابن مريم عليه السلام وما أُوتِيَ
 وهو كتاب الإنجيل {وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ} وآمنا بما أُوتِيَ النبيون وهم رسل الله
 تعالى بما أنزل عليهم من ربهم الله تعالى {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ} أي نؤمن بهم
 جميعاً ولا فرق عندنا بين رسول ورسول وكلهم إخوة في دين الله تعالى وكلهم

اختارهم واصطفاهم الله تعالى لرسالته وكلهم مسلمون وبيدنون بدين الإسلام {وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} ونحن مسلمون لله تعالى متبعون ومنقادون لدين الإسلام في أوامره وفي نواهيه {وَمَنْ يَبْتَغِ} ومن يتخذ {غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا} غير دين الإسلام سواء اليهودية أو النصرانية {فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} بالجزم فلن يتقبله الله تعالى منه لأن لكل زمان وعصر قوانين أو نقود تلغي ما سبقها من قوانين أو نقود سابقة لأن لكل زمان ملك أو خليفة يحكم البلاد بقوانين ونقود مخالفة لما سبقه من العصور السابقة وهذا هو دين الإسلام قد ألغى ما سبقه من الأديان السابقة بأمر الله تعالى ملك الملوك بقوله تعالى: " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ " {وَهُوَ} وكل من يخالف اتباع دين الإسلام هو {فِي الْآخِرَةِ} في يوم القيامة {مِنَ الْخَسِرِينَ} من المفلسين كالتاجر الذي يخسر تجارته كلها فلا يبقى له منها شيء وكذلك من اتخذ ديناً غير الإسلام خسر نفسه وأرداها في جهنم يوم القيامة {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا} كيف يهدي الله تعالى ويرشد قوماً قد كفروا وجحدوا وأنكروا وكذبوا برسولهم {بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} بعد تصديقهم بما جاء في كتبهم السماوية أنه {وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ} بأنهم سيأتيهم رسول آخر الزمان وهو حق وصدق وكما قال تعالى: " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ " ١٥٧ الأعراف. {وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} وجاءهم الدليل والعلم والبيان في كتبهم وفي القرآن الكريم {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} والقوم الباغين والظالمين أنفسهم بالكفر والشرك كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. وقيل سبب النزول قال عبد الرزاق: أنبأنا جعفر بن سليمان حدثنا

حميد الأعرج عن مجاهد قال: (جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه فأنزل الله فيه: " كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ " - إلى قوله - " غَفُورٌ رَحِيمٌ " قال: فحملها إليه رجل من قومه فقرأ عليه فقال الحارث: إنك - والله ما علمت - لصدوق وإن رسول الله لأصدق منك وإن الله لأصدق الثلاثة قال: فرجع الحارث فأسلم فحسن إسلامه).

[ابن كثير ج ١ ص ٣٧٩]. {أَوْلَيْتِكَ} هؤلاء الكفار {جَزَأُؤُهُمْ} عقابهم {أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ} أن عليهم غضب وسخط الله تعالى {وَالْمَلَأْتِيكَ} وتلعنهم الملائكة {وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} والناس جميعاً يلعنونهم {خَلْدِينَ فِيهَا} دائمون في نار جهنم {لَا تُخَفَّفُ} لا يقلل {عَنْهُمْ} عن الكفار {الْعَذَابِ} العقاب والعذاب في نار جهنم يوم القيامة {وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ} ولا هم يؤخرون ويمهلون من العذاب {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا} ما عدا من تاب منهم {مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} من بعد ذلك الذنب والكفر والعصيان {وَأَصْلَحُوا} وأصلحوا أعمالهم وأفعالهم وحسنوها في طاعة الله تعالى {فَإِنَّ اللَّهَ} فإن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {غَفُورٌ} يغفر لمن تاب وندم وعمل صالحاً ثم اهتدى {رَحِيمٌ} رحيم به ويدخله الجنة يوم القيامة لتوبته.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعَدَ إِيْمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ
الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ۗ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ
نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} إن الكفار وهم الذين أنكروا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {بَعَدَ إِيْمَانِهِمْ} بعد أن آمنوا وصدقوا به {ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا} وهم المرتدون عن الإسلام ثم ازدادوا جحوداً وكفراً وعصيانياً {لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ} لن للجزم أي لن يتوب الله عنهم ولن يغفر لهم كفرهم وإصرارهم وعصيانتهم {وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ} وهؤلاء هم الضالون والمنحرفون والمبتعدون عن طريق الحق والهدى والرشاد {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} إن الكفار وهم من جحد وأنكر وكذب برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجحد وأنكر وكذب بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا} وماتوا على الكفر ولم يتوبوا {فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ} فلن يتقبل الله تعالى من أحد هؤلاء {مِلَّةً الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ} حتى لو قدم فداءً عن نفسه ملء الأرض ذهباً فلا تنفعه لا شفاعاة ولا فداء عند الله تعالى يوم القيامة {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} هؤلاء لهم يوم القيامة عقاب أليم قاس وشديد وموجع في نار جهنم {وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} ولا يوجد لهم من ينصرهم ولا يمنعهم عذاب الله تعالى يوم القيامة.

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ

عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

{لَنْ تَنَالُوا} لن تحصلوا على {الْبِرِّ} على الخير والمعروف وفيه دخول الجنة {حَتَّى تُنْفِقُوا} حتى تتصدقوا {مِمَّا تُحِبُّونَ} من أحب الأشياء إليكم من المال والبساتين وغيرها {وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ} وما تتصدقوا من شيء {فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} فإن الله تعالى يعلمه ويدري به ولا يغيب عنه علمه. وفي الصحيحين أن عمر قال: يا رسول الله لم أصب مالاً قط هو أنفس عندي من سهمي الذي هو بخيبر فما تأمرني به؟ قال: (احبس الأصل وسبل الثمرة). [ابن كثير ج ١ ص ٣٨١]. وقال الإمام أحمد: (حدثنا روح حدثنا مالك عن أبي إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة سمع أنس بن مالك يقول: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا ، وكان أحب أمواله إليه ببيحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس: فلما نزلت " لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ " قال أبو طلحة: يا رسول الله إن الله يقول " لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ " وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بِيحَاءَ وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِهَا بَرَهَا وَذَخَرَهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بخ بخ ذاك مال رابح ذاك مال رابح وقد سمعت وأنا أرى أن تجعلها في الأقربين) فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه). [ابن كثير ج ١ ص ٣٨١].

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ۗ قُلْ فَاتَّبِعُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا مِنْ قَبْلِهَا وَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾

{كُلُّ الطَّعَامِ} جميع الأطعمة {كَانَ حَلَالًا} كان حلالاً ومباحاً {لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ} لأولاد يعقوب عليه السلام وقد سميت بني إسرائيل نسبة إلى يعقوب عليه السلام لأن اسمه إسرائيل وفي لغتهم [إسرا] أي عبد و[إيل] أي الله أي عبد الله في لغتهم {إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ} إلا ما حرم يعقوب عليه السلام على نفسه بعد أن أصابه وجع عرق النسا {مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ} وذلك قبل مولد موسى عليه السلام ونزول التوراة عليه بقرون عدة لأن يعقوب عليه السلام هو ابن إسحاق ابن إبراهيم الخليل عليه السلام وبينه وبين موسى عليه السلام أجيال وقرون كثيرة وعدة {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله لليهود وهم بنو إسرائيل {فَاتَّبِعُوا بِالتَّوْرَةِ} أحضروا لي التوراة {فَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا مِنْ قَبْلِهَا} إن كنتم صادقين بأن لحوم الإبل والألبان محرمة من عند الله تعالى وليس الذي حرمها عليه هو يعقوب عليه السلام {فَمَنْ أَفْتَرَى} فمن كذب واختلق وادعى باطلاً {عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} بأن كذب على الله وادعى بأن الله تعالى هو الذي حرم ذلك على بني إسرائيل {مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} من بعد ذلك البيان والتوضيح {فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} فأولئك هم الباغون والمعتدون على حدود الله تعالى وهم ظلموا أنفسهم بكذبهم وافتراءهم. قال الإمام أحمد: (حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر قال: قال ابن عباس: حضرت عصابة من اليهود نبي الله صلى الله

عليه وسلم فقالوا: حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي قال: سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئاً فعرفتموه لتتابعني على الإسلام قالوا: فذلك لك قالوا: أخبرنا على أربع خلال: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى؟ وأخبرنا بهذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه فقال: أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضاً شديداً وطال سقمه فنذر الله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل ، وأحب الشراب إليه ألبانها؟ فقالوا: اللهم نعم فقال: اللهم اشهد عليهم وقال أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ ، وماء المرأة أصفر رقيق ، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله إن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكراً بإذن الله ، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله؟ قالوا: نعم قال: اللهم اشهد عليهم قال: وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ قالوا: اللهم نعم قال: اللهم اشهد قال: وإن وليي جبريل ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه قالوا: فعند ذلك نفارقك ولو كان وليك غير ، لتابعناك فعند ذلك قال الله تعالى: " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ " الآية. [ابن كثير ج ١ ص ٣٨١]. وفي رواية أخرى قال أحمد: (حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عبد الله ابن الوليد العجلي عن بكير بن شهاب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قال: " وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ " قال: هاتوا قالوا: أخبرنا

عن علامة النبي؟ قال: تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر؟ قال: يلتقي الماءان فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت ، وإذا علا ماء المرأة أنثت قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: كان يشتكي عرق النساء فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان كذا وكذا - قال أحمد: قال بعضهم: يعني الإبل - فحرم لحومها قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيده - أو في يديه - مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله عز وجل قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال صوته قالوا: صدقت إنما بقيت واحدة وهي التي نتابعك إن أخبرتنا بها إنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر فأخبرنا من صاحبك؟ قال: جبريل عليه السلام قالوا: جبريل ذاك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان ، فأنزل الله تعالى: " قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ". [ابن كثير ج ١ ص ٣٨٢]. بعد هذا التبيان والتوضيح يتبين أن إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام حرم لحوم الإبل وألبانها من تلقاء نفسه ولم يحرمها الله تعالى عليه بل لأنه شفي من مرضه بسبب شربه ألبان الإبل وقيل في رواية أن مرضه كان ليس عرق النساء بل السُّل فبعد شربه لألبانها شفي من مرضه وحرصاً منه على فائدة الإبل وألبانها حرمها على نفسه من تلقاء نفسه وبدون تحريم من الله تعالى وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: (قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فشكوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو خرجتم إلى إبل الصدقة فشربتم من أبوالها وألبانها ، ففعلوا فلما صَحُّوا عمدوا إلى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الإبل وحاربوا الله ورسوله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم فأخذوا فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وألقاهم في

الشمس حتى ماتوا). [زاد الميعاد ج ٣ ص ٧٨]. {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله لليهود {صَدَقَ اللَّهُ} صدق الله فيما قال وفيما أمر وكما قال تعالى: "قَوْلُهُ الْحَقُّ" {فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} فاتبعوا يا محمد يا رسول الله أنت والمؤمنون ملة ودين ومذهب وطريق إبراهيم الخليل عليه السلام {حَنِيفًا} مستقيماً سهلاً وسمحاً {وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ولم يكن إبراهيم عليه السلام مشركاً بالله أمثالكم يا بني إسرائيل حيث قلتم العزيز ابن الله وقالت النصرى عيسى ابن الله أو ثالث ثلاثة أو هو الله ولم يشرك بالله إبراهيم عليه السلام حيث كسر الأصنام والأوثان ولم يعبد إلا الله وحده لا شريك له.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ} إن أول بيت من بيوت الله تعالى وأول مسجد {وُضِعَ لِلنَّاسِ} جعل للناس وبني على الأرض للعبادة والصلاة فيه {لَلَّذِي بِبَكَّةَ} للذي مكان الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام. ومعنى بكة هو البيت وما حوله وما وراء ذلك فهو مكة قاله عكرمة في رواية ميمون بن مهران ، وقال أبو مالك وأبو صالح وإبراهيم النخعي وعطية العوفي ومقاتل بن حيان: بكة موضع البيت وما سوى ذلك مكة ، وقال شعبة عن المغيرة عن إبراهيم: بكة البيت والمسجد وكذا قال الزهري. [ابن كثير ج ١ ص ٣٨٣]. وقيل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابة أي أنهم يذلون بها ويخضعون عندها ، قال قتادة: إن الله بك به الناس جميعاً فيصلني النساء أمام الرجال ولا يفعل ذلك في بلد غيرها {مُبَارَكًا} فيه بركة

وخير وثواب حيث الركعة فيه بمائة ألف ركعة وفيه يستجاب الدعاء وتنزل فيه الملائكة بالرحمات أي يبارك الله تعالى في الثواب والدعاء فيه ومن بركته أيضاً شرب ماء زمزم وشفائها للأمراض وهي لما شُربت له {وَهَدَىٰ لِلْعَلَمِينَ} فهو هداية لمن قصده وتوجه إليه من جميع الناس ومن جميع العالم والدول والجهات فهو يهديهم إلى عمل الخير والثواب والعبادة والحج والصدقة ويهديهم إلى دخول الجنة {فِيهِ} في البيت الحرام {ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ} فيه علامات واضحات مبينات تُرى بالعين المجردة {مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ} أي الحجر الذي كان يقف عليه إبراهيم عليه السلام وهو يبني الكعبة ويناوله ابنه إسماعيل الحجارة ليكمل ارتفاع بناء الكعبة ، وهو الذي يصلي عنده الناس بعد الطواف وكان ملتصقاً بجدار البيت حتى أخره عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إمارته إلى ناحية الشرق حيث يتمكن الطواف منه ولا يشوشون على المصلين عنده بعد الطواف لأن الله تعالى قد أمرنا بالصلاة عنده لقوله تعالى: " وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى " ، وقال مجاهد: أثر قدميه أي إبراهيم عليه السلام في المقام آية بينة وكذا روي عن عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان وغيرهم. [ابن كثير ج ١ ص ٣٨٤]. وقال الإمام أحمد: (حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال: المسجد الحرام قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة قلت: ثم أي؟ قال: ثم حيث أدركتك الصلاة فصل فكلها مسجد). وأخرجه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به. [ابن كثير ج ١ ص ٣٨٣]. {وَمَنْ دَخَلَهُ} ومن دخل المسجد الحرام {كَانَ آمِنًا} كان آمناً على نفسه وعرضه وماله لأن الله تعالى حرم فيه القتل وإقامة الحد عليه أو الاعتداء عليه وحرم صيده أو تنفيره وحرم قطع شجرها

وحشيشها ففي الصحيحين واللفظ لمسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: (لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا) ، وقال يوم فتح مكة: (إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحل لي إلا في ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكة ، ولا ينفر صيده ، ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها ، ولا يختلى خلاها) فقال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال: (إلا الإذخر) ولهما عن أبي هريرة مثله أو نحوه ولهما واللفظ لمسلم أيضاً عن أبي شريح العدوي أنه قال لعمر بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أن أحدثك قولاً قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا ، أو يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له إن الله أذن لنبيه ولم يأذن لكم ، وإنما أذن فيها ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب) فقيل لأبي شريح: ما قال لك عمرو؟ قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فاراً بدم ولا فاراً بخزية وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يحل لأحد أن يحمل السلاح بمكة)). [ابن كثير ج ١ ص ٣٨٤]. وعن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بالحرورة بسوق مكة يقول: (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أنني أخرجت منك ما خرجت). رواه الإمام أحمد وهذا لفظه و الترمذي والنسائي وابن ماجه ، وقال

الترمذي: حسن صحيح ، وكذا صحح من حديث ابن عباس نحوه. {ابن كثير ج ١ ص ٣٨٤}. {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ} حق لله تعالى وفرض على الناس عبادة {حِجُّ الْبَيْتِ} الحج لبيت الله الحرام في أشهر الحج وهي شوال وذو القعدة وعشرة من ذي الحجة في كل عام على كل مسلم عاقل بالغ قادر {مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} على من استطاع الوصول إلى البيت الحرام للحج ، والاستطاعة هي الزاد والراحلة وعدم المرض وعدم وجود عدو أو وحش يمنعه من الوصول إليه. وروى الحاكم من حديث قتادة عن حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قول الله عز وجل: " مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا " ف قيل: ما السبيل؟ قال: الزاد والراحلة. ثم قال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. [ابن كثير ج ١ ص ٣٨٦]. {وَمَنْ كَفَرَ} ومن كفر بالحج وجحدته وأنكره وكذب به ولم يحج وهو قادر على فعله ولكنه لا يؤمن بشرعيته {فَإِنَّ اللَّهَ} فإن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {غَنِيٌّ} غني ولا يحتاج لأحد {عَنِ الْعَالَمِينَ} عن العالم كله وعن كل الناس أمثالهم.

﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ قُلْ
 يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ
 وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {يَتَاهَلِ الْكِتَابِ} قل لأهل الكتاب أيها اليهود
 وهم بنو إسرائيل وهم أهل التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام {لِمَ
 تَكْفُرُونَ} لماذا تجحدون وتنكرون وتكذبون {بِآيَاتِ اللَّهِ} بآيات الله تعالى وهي
 آيات القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على رسوله ونبيه سيدنا محمد صلى الله
 عليه وسلم ولا تصدقون بها {وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ} وهذا تهديد من الله
 تعالى لليهود بأن الله تعالى شهيد ومطلع ويرى أعمالهم من التكذيب والجحود
 والإنكار ومعاداة النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {قُلْ} قل يا محمد يا
 رسول الله لليهود {يَتَاهَلِ الْكِتَابِ} يا أصحاب كتاب التوراة التي نزلت على
 سيدنا موسى عليه السلام يا بني إسرائيل {لِمَ تَصُدُّونَ} لماذا تمنعون الناس
 {عَن سَبِيلِ اللَّهِ} عن دين الله تعالى وعن الإسلام وعن الإيمان وعن طريق الحق
 والهدى والرشاد طريق الحق طريق الله تعالى وإلى عبادته وطاعته {مَن ءَامَنَ} من
 آمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وآمن وصدق بالإسلام واتبعه
 وهو حبرهم وعالمهم حبر اليهود عبد الله بن سلام وأنه بعد ما آمن بسيدنا محمد
 صلى الله عليه وسلم وصدق واتبعه أراد اليهود أن يمنعوه وأرادوا قتله {تَبْغُونَهَا}
 تريدونها وتطلبونها {عِوَجًا} انحرافاً عن الهدى وعن الحق وتحدياً لله ولرسوله
 {وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ} وأنتم تشهدون فيما بينكم وبما علمتم من كتاب التوراة كتابكم أن
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو رسول الله وخاتم النبيين وذلك لأن اسمه

وكنيته وصفته في التوراة والإنجيل وكما قال تعالى: " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ " ١٥٧ الأعراف. { وَمَا اللَّهُ بِغَفْلٍ } وليس الله تعالى بغافل ولا لاه ولا ساه ولا نائم ولا تأخذه سنة ولا نوم { عَمَّا تَعْمَلُونَ } عما تفعلون من الجحود والإنكار والتكذيب لرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن معاداته ومن منع من آمن بدخول الإسلام وخاصة من اليهود.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١١﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾

{ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا } يا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } إن تطيعوا وإن تقبلوا وإن تصدقوا هذا الفريق من أهل الكتاب وهم اليهود وهم أشد أعداء النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم يسكنون المدينة المنورة بجواره وهم أكثر حقدًا عليه لسببين وجيهين وهما يريدان النبوة أن تكون فيهما والثانية هي الرئاسة ويريدون أن تكون في المدينة لليهود ولذلك سيقومون بعدة مؤامرات ضدكم وضد رسولكم وضد الإسلام فلا تطيعوهم لأنهم { يَرُدُّوكُم } فإنهم عندها يحاولون صدكم عن الإسلام وعن الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وطاعته { بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } بعد إسلامكم وتصديقكم برسولكم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقكم وإيمانكم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { كَافِرِينَ } وتصبحون كافرين وجاحدين ومنكرين ومكذبين بالإسلام وذلك لو أطمعتم اليهود في ادعائهم وفي إضلالكم وإغوائكم

بترك الإسلام {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ} وكيف تجحدون وتنكرون وتكذبون برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ} وأنتم تُقرأ عليكم آيات القرآن الكريم التي تنزل عليكم تباعاً {وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} وعندكم رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا محمد وهو يقرأ القرآن عليكم تباعاً صباحاً ومساءً {وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ} ومن يعتمد ويتوكل ويحتمي بالله تعالى ويعبده ويطيعه {فَقَدْ هُدِيَ} فقد أرشد للحق والهدى {إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} ودلّ على الصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الإسلام ودين الحق والهدى والرشاد الذي لا انحراف فيه.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ

فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٧﴾﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} اعبدوا الله حق عبادته بأداء الفرائض والواجبات وأطيعوه في أوامره ونواهيه وخافوه ولا تتعدوا حدوده ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه. وروى ابن مردويه من حديث يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن سفيان الثوري عن زبيد عن مرة عن عبد الله قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ " أن يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى). [وكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث مسعر عن زبيد عن مرة عن ابن مسعود مرفوعاً فذكره ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

- ابن كثير ج ١ ص ٣٨٧]. **{وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}** ولا تموتن إلا على دين الإسلام. وعن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله). [رواه مسلم والأربعة وهذا لفظ مسلم ورواه ابن حبان بلفظ وزيادة (فمن كان آخر قوله لا إله إلا الله دخل الجنة يوماً من الدهر وإن أصابه ما أصابه قبل ذلك) - سبل السلام ج ٢ ص ٩٠]. أي لا تموتوا إلا على دين الإسلام حتى تُرحموا وتدخلوا الجنة **{وَأَعْتَصِمُوا}** وتمسكوا واحتموا **{بِحَبْلِ اللَّهِ}** بالإيمان بالله كما قال تعالى: " فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " ٢٥٦ البقرة. وحبل الله من السماء إلى الأرض هو القرآن الكريم ومن الأرض إلى السماء هو الإيمان بالله تعالى أي حبل الله ينزله من السماء إلى الأرض وهو القرآن الكريم ليهتدوا به ويخرجهم من الظلمات إلى النور وأما حبله من الأرض إلى السماء وهو الإيمان بالله تعالى أي عبادته وطاعته **{جَمِيعًا}** جميعاً أيها الناس عموماً والمسلمون خاصة **{وَلَا تَفْرُقُوا}** ولا تتشتتوا ولا تتعادوا ولا تتفرقوا أحزاباً وجماعات ومذاهب وطوائف وملل وأديان أخرى ولا تختلفوا فيما بينكم فتذهب ربحكم وتذهب قوتكم ووحدتكم وسمعتكم بين الأمم **{وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}** وتفكروا فضل الله عليكم بالإسلام والإيمان **{إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً}** حيث كنتم أعداء وخصماء أي الأوس والخزرج في المدينة المنورة وكانوا في خلافات وحروب دائمة ومتواصلة بينهم **{فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ}** فجمع بالمحبة والمودة بين قلوبكم أيها الأوس والخزرج يا أهل المدينة ويا أيها المسلمون جميعاً على يد رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم **{فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ}** فأصبحتم بنعمة الإسلام والإيمان والهدى **{إِخْوَانًا}** أي إخوة في دين الله تعالى حيث آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار وبهذه المؤاخاة

كانوا يتوارثون حتى نسخ ذلك الله تعالى بالمواريث وثبت ذلك في صحيح البخاري عن ابن عباس [ابن كثير ج ٢ ص ٣٢٨]. {وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ} وقبل الإسلام كنتم على حافة نار جهنم وكدتم تسقطوا فيها وتعذبوا فيها بكفركم وشرككم ولكن تداركتكم رحمة الله تعالى ودخلتم في الإسلام {فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا} فنجاكم الله تعالى من نار جهنم وعذابها يوم القيامة {كَذَلِكَ} وهكذا {يُبَيِّنُ اللَّهُ} يوضح ويشرح {لَكُمْ} أيها المسلمون {ءَايَاتِهِ} آيات القرآن الكريم بقرآن يتلى عليكم {لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ} عسى أن تهتدوا للحق والعدل والصواب والهدى والرشاد وهو دين الإسلام واتباع رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ١٤ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١٥ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ١٦ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ١٧ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ ١٨ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ١٩ ﴿

{وَلَتَكُن} فلتكن وتصير {مِّنكُمْ} منكم أيها المسلمون {أُمَّةٌ} جماعة أو فرقة أو مجموعة أو بعض الناس {يَدْعُونَ} يقولون ويعظون وينصحون ويتكلمون ويحثون ويتحدثون للناس {إِلَى الْخَيْرِ} إلى عمل البر والخير والأعمال الصالحة وإلى التقوى والصدقات وعمل المعروف وإلى الرشاد {وَيَأْمُرُونَ} وينصحون ويوعظون ويحثون

{بِالْمَعْرُوفِ} كل عمل خير وإصلاح والحث على التقوى وعلى الصدقات والإصلاح بين الناس والوعظ والإرشاد وما يتعارف عليه الناس في الخير والطاعة ومرضاة الله تعالى {وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} يوعظون وينصحون ويحذرون عن عمل المنكر وهو ما ينكره الشرع ويمنعه ويرفضه ولا يجيزه من المعاصي والذنوب والفواحش والمنكرات كالسرقة والزنا والقتل بغير حق والاعتداء على الغير وانتهاك الأعراض وسلب الأموال والممتلكات والظلم والغش والرشوة وأكل الربا وأكل مال اليتيم وترك الفرائض والسنن على قدر الاستطاعة وغير ذلك {وَأُولَئِكَ} وهؤلاء الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر {هُمُ الْمُقَلِّحُونَ} هم الفائزون برضاء الله تعالى وبالجنة يوم القيامة. وكما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان). [وفي رواية: (وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) - ابن كثير ج ١ ص ٣٩٠]. وقال الإمام أحمد: حدثنا سلمان الهاشمي أنبأنا إسماعيل بن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمرو عن عبد الله ابن عبد الرحمن الأشهلي عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم). [ابن كثير ج ١ ص ٣٩٠]. {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا} ولا تكونوا أيها المسلمون مثل الذين تفرقوا واختلَفوا قبلكم من الأمم السابقة على رسلهم وفيما بينهم تفرقوا إلى أحزاب وشيع وجماعات وطوائف وملل ومذاهب مختلفة {مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} من بعد ما جاءهم العلم والبيّنات والدلائل الواضحة على يد رسلهم ولكنهم تفرقوا واختلَفوا {وَأُولَئِكَ} وهؤلاء {هُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} لهم عذاب كبير

يوم القيامة لاختلافهم على رسلهم وعلى كتبهم وتفرقوا أحزاباً وشيعاً وكما قال تعالى: " وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ " ٤ البينة. وقال تعالى: " وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ " ٩٣ يونس. وقد ورد في الحديث: (إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة وإن النصراني اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة في الجنة وثلثان وسبعون في النار). قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي). [رواه الحاكم في مستدرکه بهذا اللفظ وهو في السنن والمسانيد - ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٢]. {يَوْمَ} يوم القيامة يوم الحساب والجزاء والثواب والعقاب {تَبَيُّضٌ وَجُوهٌ} تبيض وتنشرح وتسعد وتفرح بأعمالها الصالحات ولذلك يبيض وجهه عند الموت وفي يوم القيامة تعلوه إشراقة وضياء من الفرحة والبهجة لدخول الجنة {وَتَسْوَدُّ وَجُوهٌ} تعبس وتسود ويصيبها كآبة وحزن وخوف من أعمالها الشريرة والسيئة والقبیحة والمعاصي في الدنيا ومن الذنوب والكفر التي قد عملته في حياتها {فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وَجُوهُهُمْ} فمن اسود وجهه بعمله السيئ وبمعاصيه في الدنيا {أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} هل كفرتم بعد إيمانكم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو تقريع وتوبيخ من الملائكة لهم لكفرهم في الدنيا بعد إيمانهم وتصديقهم برسولهم وكتابهم أنه حق ومنزل من عند الله تعالى ولكنكم كفرتم وتكبرتم وأعرضتم وجحدتم وعصيتهم {فَذُوقُوا الْعَذَابَ} فذوقوا حلاوة العذاب وهذا تقريع وتوبيخ لهم أي خذوا العذاب الذي تستحقونه على كفركم ومعاصيكم وهو عذاب نار جهنم يوم القيامة {بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} بسبب كفركم وإنكاركم وجحودكم وتكذيبكم برسلكم والكتب السماوية المنزلة لكم

{وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ} وأما الذين ابيضت وجوههم وانشرحت وبهجت بأعمالهم الصالحة في الدنيا وبشارة من الله تعالى لهم بواسطة الملائكة عند قبض أرواحهم {فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ} ففي كرم الله تعالى وفي الجنة {هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} هم من ابيضت وجوههم في الجنة خالدون ودائمون فلا هرم ولا موت ولا مرض في الجنة ونعيمها {تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ} هذه آيات الله تعالى من القرآن الكريم والحكيم {تَتْلُوهَا} نقرأها {عَلَيْكَ} عليك يا محمد يا رسول الله بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {بِالْحَقِّ} بالحق والصدق والصواب والعدل ولا كذب فيه {وَمَا اللَّهُ} ولا الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ} يريد ويرغب أن يظلم أحداً من عباده بإدخالهم نار جهنم ولا يريد أن يعذبهم قبل أن يحذرهم وينذرهم بواسطة الكتب السماوية والرسول {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ} ولله تعالى ملك السموات السبع وما فيها من الملائكة {وَمَا فِي الْأَرْضِ} ولله تعالى ملك وحكم كل ما في الأرض من المخلوقات من الناس ومن الجن والحيوانات والطيور والنباتات والأشجار وما فيها من بحار وأنهار وحيثان وكل شيء {وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} وإلى الله تعالى تعود الأمور كلها وله كل الأشياء فله الحكم والأمر وله الملك وهو على كل شيء قدير.

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
 وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ
 وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ط وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ
 ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَ أَيْنَ مَا ثَقِفُوا إِلَّا حَبْلٌ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِّنَ
 النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
 بِبَايَةِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكُمْ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

{ كُنْتُمْ } كنتم أيها المسلمون وخلقتم { خَيْرَ أُمَّةٍ } أفضل أمة من الأمم { أُخْرِجَتْ
 لِلنَّاسِ } خلقت وخرجت للناس بالإسلام والهدى والخير { تَأْمُرُونَ } تنصحون
 وتوعظون وتحثون الناس { بِالْمَعْرُوفِ } بكل عمل بر وخير وإصلاح بين الناس
 والحث على التقوى والصدقات وعلى كل عمل خير متعارف عليه بين الناس من
 أعمال البر والخير والصدقات وبناء المساجد والمدارس والجامعات ودور العلم
 والمستشفيات { وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } وتنصحون وتوعظون وتحذرون من عمل
 المنكر وهو ما ينكره الشرع ويأبى ويمنعه ويرفضه ولا يجيزه من المعاصي والذنوب
 والفواحش والمنكرات كالسرقة والزنا والقتل بغير حق والاعتداء على الغير وانتهاك
 الأعراض وسلب الأموال والممتلكات والظلم والغش والرشوة وأكل الربا وأكل مال
 اليتيم وترك الفرائض والسنن على قدر الاستطاعة وغير ذلك { وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ }
 وتصدقون بالله رباً وخالقاً ورازقاً ومحيباً ومميتاً وهو على كل شيء قدير { وَلَوْ
 ءَامَنَ } ولو آمن ولو صدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { أَهْلُ
 الْكِتَابِ } وهم اليهود والنصارى { لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ } لكان أفضل وأحسن وأجدى
 لهم لينجوا من عذاب الله تعالى يوم القيامة { مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ } من أهل الكتاب

من اليهود من آمن مثل الحبر عبد الله بن سلام وأبي بن كعب وابن وهب وغيرهم ممن آمن وصدق برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَأَكْثَرُهُمْ} وأكثريتهم وغالبيتهم {الْفَاسِقُونَ} المعلنون بالمعصية والكفر والعناد والخارجون عن طاعة الله تعالى وعن طاعة رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {لَنْ يَضُرُّوكُمْ} لن يؤذوكم أيها المسلمون [أي اليهود] {إِلَّا أَذَى} إلا إيذاء فقط ومؤامرات ومضايقات {وَأِنْ يُقَاتِلُوكُمْ} وإن يحاربوكم وهم اليهود أيها المسلمون {يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ} يعطونكم ظهورهم ويهربون ويفرون من أمامكم ومنكم {ثُمَّ لَا يَنْصَرُونَ} ثم بعد ذلك الإيذاء لكم أيها المسلمون ولرسولكم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا ينتصرون عليكم وهكذا انتصر عليهم صلى الله عليه وسلم وأجلاهم عن المدينة من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر من اليهود وذلك في كل عصر إلا إذا بعدَ المسلمون عن تعاليم الإسلام وتفرقوا واختلفوا وضعفوا وجبنوا فعندها يسلط الله عليهم عدوهم من اليهود عقاباً وعذاباً لهم وأدل على ذلك هزيمة الصحابة في معركة أحد عندما خالفوا أمر رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ} ضرب الله تعالى وسلط على اليهود الذلة والانكسار {أَيْنَ مَا تُقِفُوا} أين ما وجدوا وحوربوا من قبل المسلمين {إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ} إلا إذا نصرهم الله تعالى بسببين طاعة الله تعالى أو معصية المسلمين فيريد الله تعالى أن ينصرهم على المسلمين عقاباً وعذاباً لتخليهم عن طاعة الله تعالى وعن مرضاته {وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ} أو بمساعدة الناس لهم ومؤازرتهم ونصرتهم إما بالحلف معهم أو خيانة بعض المسلمين مع أعداء الله تعالى بالرشوة وبالمال والنساء أو بدفع الجزية حتى يأمنوا على أنفسهم وأموالهم {وَبِأَنفُسِهِمْ} وعادوا بمعصيتهم وخيانتهم وغدرهم

للمسلمين وتكذيب رسولهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيب القرآن الكريم {بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ} بسخط من الله عليهم وعذابه لهم {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ} وسلطت عليهم المسكنة والضعف والصغار والجبن والذلة {ذَلِكَ} وذلك بسبب {بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} لأن اليهود كانوا في الدنيا يكفرون ويجحدون وينكرون ويكذبون بالقرآن الكريم وآياته وبمعجزاته ودلالاته الكونية التي لا شك فيها ولا كذب {وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ} ويقتلون أنبياء الله تعالى ورسله كما قتل اليهود زكريا ويحيى عليهما السلام وهموا بصلب سيدنا عيسى عليه السلام وكما قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " ٢١ آل عمران.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو الزبير الحسن بن علي بن مسلم النيسابوري نزيل مكة حدثني أبو حفص عمر بن حفص يعني ابن ثابت بن زرارة الأنصاري حدثنا محمد بن حمزة حدثنا أبو الحسن مولى لبني أسد عن مكحول عن أبي قبيصة ابن ذئب الخزاعي عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة؟ قال رجل قتل نبيا أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " الآية. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلا من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوه عن المنكر فقتلوهم جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم فهم الذين ذكر الله عز وجل). [وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عبيد الوصابي محمد بن حفص عن ابن حمير عن أبي الحسن مولى بني أسد

عن مكحول به - ابن كثير ج ١ ص ٣٥٥. {ذَلِكَ} وذلك بسبب {بِمَا عَصَوْا} بما عصوا وأنكروا ووجدوا وأذنبوا وخالفوا رسلهم {وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} ولأنهم كانوا يعتدون على الأنبياء والرسل ومن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويعتدون على الناس وعلى حدود الله تعالى وعلى المسلمين.

﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾

{لَيْسُوا سَوَاءً} لا يستوون مثلاً وليسوا سواسية ولا يستوون في المثل {مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} من اليهود وهم أهل كتاب التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام {أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ} من اليهود قسم وجماعة أسلمت وآمنت ودخلت في الإسلام ويقرؤون القرآن قياماً في صلاة الليل قائمة بالعبادة {آنَاءَ اللَّيْلِ} في أثناء قيام الليل {وَهُمْ يَسْجُدُونَ} وهم يصلون لأنهم خرجوا من اليهودية ودخلوا في الإسلام وأصبحوا أمة مسلمة {يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} يصدقون بالله رباً وإلهاً ومعبوداً وحده لا شريك له {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} وهو يوم القيامة {وَيَأْمُرُونَ} ويحثون ويعظون وينصحون {بِالْمَعْرُوفِ} بعمل البر والخير والعبادة والطاعة لله تعالى

{وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} ويحذرون ويعظون وينصحون الناس بعدم ارتكاب المنكرات
 والمحرمات والفواحش والزنا والسرقة والقتل بغير حق {وَيُسْرِعُونَ فِي
 الْخَيْرَاتِ} ويسرعون في الطاعات والعبادات وأعمال البر والخير والصدقات
 {وَأُولَئِكَ} وهؤلاء {مِنَ الصَّالِحِينَ} من المخلصين طاعتهم وعبادتهم لله تعالى
 وهم من صلحت أعمالهم وطاعتهم خالصة لوجه الله تعالى {وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ}
 وما يعملوا من أعمال الخير من شيء صغر أو كبير {فَلَنْ يُكْفَرُوهُ} فلن يفقدوه ولن
 يذهب ثوابه ولا أجره ولن يُحرموه أبداً ولن يضيع عليهم {وَاللَّهُ تَعَالَى جَل
 جلاله وعظم قدره وعلا شأنه} {عَلِيمٌ} يعلم ويعرف ويدري ويحيط علمه
 {بِالْمُتَّقِينَ} بالطائعين والعاбدين والمتقين حدود الله ومحارمه ويبتعدون عن
 معصيته ويخافون عذابه {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} إن الكفار وهم الذين أنكروا ووجدوا
 بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَنْ تُغْنِيَ} لن تنفعهم شيئاً
 {عَنْهُمْ} عن الكفار {أَمْوَالُهُمْ} جميع أموالهم وممتلكاتهم {وَلَا أَوْلَادُهُمْ} ولا
 أبناؤهم {مِنَ اللَّهِ} من عذاب الله تعالى ومن انتقامه وعذابه لهم {شَيْئاً} أي شيء
 لا من قريب ولا من بعيد {وَأُولَئِكَ} وهؤلاء {أَصْحَابُ النَّارِ} هم أهل جهنم
 وسكانها وعمارها {هُمُ} الكفار {فِيهَا خَالِدُونَ} في نار جهنم خالدون ودائمون
 ومستمرون {مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ} مثل ما يتصدقون {فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} في الدنيا
 التي نعيش فيها {كَمَثَلِ} مثلها مثل {رِيحٍ} عواصف من الهواء {فِيهَا صِرٌّ}
 فيها برد شديد قاس وثلج وبرد {أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ} أصابت زراعة قوم من
 الأقوام {ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك كما قال تعالى: "وَالْكَافِرُونَ"

هُمُ الظَّالِمُونَ" ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" ١٣ لقمان. {فَأَهْلَكَتْهُ} فأحرقته وأماتته لأن الثلج والبرد إذا أتى على المزروعات والخضروات حرقها حتى صار ساقها أسود مثل الليل المظلم فعندها تهلك وتموت من شدة البرد الذي أصابها {وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ} ولم يظلمهم الله تعالى لعدله {وَلَكِنَّ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك وظلموا غيرهم بالفساد والظلم والاعتداء.

﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفَىٰ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَاتَتْكُمْ أَوْلَاءٌ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا تُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىٰكُمْ أَلْيَانًا مِّنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾

{يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً} لا تتخذوا لكم حاشية وخاصة ومستشارين {مِّن دُونِكُمْ} من غيركم أي من غير دينكم وعقيدتكم من اليهود والنصارى وأهل الشرك ولا من المنافقين {لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا} لا يقصرون في خداعكم وفي ضرركم وفي إيذائكم وإحاكة المؤامرات ضدكم {وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ} تمنوا اختلافكم وعداوتكم أيها المؤمنون بعضكم مع بعض حتى تكون فرصتهم في تفريقكم وتشتيتكم واستئصالكم

وكسر شوكتكم وهزيمتكم {قَدْ بَدَتِ} قد ظهرت علامات {الْبَغْضَاءِ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} علامات الكره والحقد والعداوة لكم من فلتات ألسنتهم ومن اللغز والهمز واللمز ومن تلحين الكلام عليكم {وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ} وما تُسِرُّ قلوبهم من البغضاء والعداوة لكم والحقد عليكم {أَكْبَرُ} أكبر وأشد وأعظم في العداوة والكره والحقد والحسد لكم {قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ} قد بين الله تعالى لكم أيها المؤمنون في كتابه القرآن الكريم صفتهم وعداوتهم لكم {إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} إن كنتم تعقلون ذلك النصح وتفهمون حقيقتهم ومكرهم وكيدهم وعداوتهم لكم. وقد روى البخاري والنسائي وغيرهما من حديث جماعة منهم يونس ويحيى بن سعيد وموسى بن عقبة وابن أبي عتيق عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان ، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله).

[وقد رواه الأوزاعي ومعاوية بن سلام عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه - ابن كثير ج ١ ص ٣٩٨]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو أيوب محمد بن الوزان حدثنا عيسى بن يونس عن أبي حيان التيمي عن أبي الزنباع عن ابن أبي الدهقانة قال: قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إن ههنا غلاماً من أهل الحيرة حافظ كاتب فلو اتخذته كاتباً فقال: قد اتخذت إذاً بطانةً من دون المؤمنين ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين واطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب ، ولهذا قال تعالى: " لَا يَأْلُوكُمْ حَبَالاً وَدُؤاً مَا عَنِتُّمْ ". [ابن كثير ج ١ ص ٣٩٨]. وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا إسحاق بن إسرائيل حدثنا هشيم حدثنا العوام عن الأزهر بن راشد قال:

كانوا يأتون أنساً فإذا حدثهم بحديث لا يدرون ما هو أتوا الحسن يعني البصري فيفسره لهم قال: فحدث ذات يوم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا في خواتيمكم عربياً) فلم يدروا ما هو ، فأتوا الحسن فقالوا له: إن أنساً حدثنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تستضيئوا بنار المشركين ولا تنقشوا في خواتيمكم عربياً) فقال الحسن: أما قوله (لا تنقشوا في خواتيمكم عربياً) محمد صلى الله عليه وسلم وأما قوله (لا تستضيئوا بنار المشركين) يقول: لا تستشيروا المشركين في أموركم. ثم قال الحسن: تصديق ذلك في كتاب الله " لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ " . [هكذا رواه الحافظ أبو يعلى - ابن كثير ج ١ ص ٣٩٨]. { هَتَأْتُمْ أَوْلَاءَ } أنتم أيها المسلمون { تُحِبُّونَهُمْ } تحبون أهل الكتاب والأديان الأخرى لأن دينكم دين محبة ومودة وألفة وإخاء ومساواة ودين تواضع { وَلَا تُحِبُّونَكُمْ } ولكنهم بالعكس منكم لا يحبونكم ولا يؤدُّونكم ولا يعطفون عليكم { وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ } وتؤمنون وتصدقون بالكتب السماوية جميعها وبكتاب التوراة كله بأنه منزل من عند الله تعالى ولكنهم بالعكس لا يصدقون كتابكم القرآن الكريم ولا رسولكم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهنا جاءت كلمة ((الكتاب كله)) أي بكتاب التوراة كله بما فيه صفة النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهم ينكرون ذلك ولا يصدقونها وهي مكتوبة في كتابهم كما قال تعالى: " الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ " ١٥٧ الأعراف. وقال ابن جرير: حدثنا المثني حدثنا عثمان بن عمر حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال: (أجل والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا

وَنَذِيرًا " وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي اسمك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا (لا إله إلا الله) ويفتح به قلوباً غلفاً وآذاناً صماً وأعيناً عمياً) قال عطاء: ثم لقيت كعباً فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً إلا أن كعباً قال: (بلغته قال قلوباً غلوفياً وآذاناً صمومياً وأعيناً عمومياً). [وقد رواه البخاري في صحيحه عن محمد بن سنان عن فليح عن هلال ابن علي فذكر بإسناده نحوه وزاد بعد قوله ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح - ابن كثير ج ٢ ص ٢٥٣].

وأن اليهود لا يؤمنون بكتاب التوراة كله وخاصة صفة النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا يصدقونها ولا يؤمنون بها ولذلك قال تعالى: " أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ " ٨٥ البقرة. {وَإِذَا لَقُوكُمْ} وإذا صدفة لقاكم اليهود وجهاً لوجه واجتمعوا معكم لأمر ما {قَالُوا ءَأَمْنَا} قالوا لكم آمنا وصدقنا برسولكم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآمنا بالقرآن الذي أنزل عليه {وَإِذَا خَلَوْا} وإذا ابتعدوا عنكم وخلي بعضهم إلى بعض {عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} عضوا أصابع أيديهم غيظاً وحقداً عليكم وعداوةً وكرهاً وحسداً لكم {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله لليهود وللکفار {مُوتُوا بَغِيظِكُمْ} موتوا قهراً وكمداً بعداوتكم لرسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولن تنالوا منا شيئاً بإذن الله تعالى فالله مظهر دينه ومبطل كيدكم ولن تستطيعوا عمل شيء {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلِيمٌ} يعلم ويدري ويعرف ويحيط علماً {بِذَاتِ الصُّدُورِ} بما خفي في قلوبكم وما أسررتم به في قلوبكم وكتتمتموه أيها اليهود {إِنْ تَمَسَّكُمُ} إن تصيبكم أو ينزل عليكم الله تعالى أيها المسلمون {حَسَنَةً} خير وفضل ونصر من

الله تعالى {تَسْوَهُمْ} تغضبهم وتؤذيهم وهم اليهود {وَإِنْ تُصَبِّكُمْ} وإن تصبكم وتنزل عليكم أيها المسلمون {سَيِّئَةٌ} مصيبة أو شر أو هزيمة {يَفْرَحُوا بِهَا} يُسر ويفرح اليهود والكفار بتلك المصيبة التي أصابتكم ونزلت عليكم أيها المسلمون {وَإِنْ تَصَبَّرُوا} وإن تصبروا وتجالدوا على أذاهم وعلى الشر أو المصيبة التي حلت بكم {وَتَتَّقُوا} وتتقوا الله تعالى وتخافوه في محارمه وأوامره ونواهيه ولا تتعدوا حدوده وتعبدوه وتطيعوه {لَا يَضُرُّكُمْ} لا يؤثر فيكم ولا يؤذيكم {كَيْدُهُمْ} مؤامراتهم وعداوتهم لكم {شَيْئًا} أي شيء كبر أو صغر {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جلّ جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِمَا يَعْمَلُونَ} بما يفعلون من مؤامرات وعداوة وتكذيب لكم أيها المسلمون {مُحِيطٌ} الله تعالى عليم بهم وبمؤامرات اليهود وسيفشل غدرهم وكيدهم ويرد كيدهم إلى نحورهم.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾

{وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ} وإذ أصبحت خارجاً من عند أهلك ومن بيتك {تُبَوِّئُ} الْمُؤْمِنِينَ} تعد وتُعَيِّن صفوف المؤمنين {مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ} أماكن للقتال وذلك في معركة أحد (عند الجمهور قاله ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وغير واحد). [ابن كثير ج ١ ص ٣٩٩] ، (وكانت واقعة أحد يوم السبت من شوال سنة ثلاث من الهجرة قال قتادة لإحدى عشر ليلة خلت من شوال وقال عكرمة يوم السبت لنصف من شوال والله تعالى أعلم). [ابن كثير ج ١ ص ٣٩٩]. وقال ابن كثير: (كان سببها أن المشركين حين قتل من قتل من أشرفهم يوم بدر وسلمت العير بما فيها

من التجارة التي كانت مع أبي سفيان قال أبناء من قتل ورؤساء من بقي لأبي سفيان أرصد هذه الأموال لقتال محمد فأنفقوها في ذلك فجمعوا الجموع والأحابيش وأقبلوا في نحو من ثلاثة آلاف حتى نزلوا قريباً من أحد تلقاء المدينة (مقابل المدينة المنورة) فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فلما فرغ منها صلى على رجل من بني النجار يقال له مالك بن عمرو واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أخرج إليهم أم يمكت بالمدينة؟ فأشار عبد الله بن أبي بالمقام بالمدينة فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوها قاتلهم الرجال في وجوههم ورامهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وإن رجعوا رجعوا خائبين وأشار آخرون من الصحابة ممن لم يشهد بدرًا بالخروج إليهم فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته وخرج عليهم وقد ندم بعضهم وقالوا لعلنا استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إن شئت أن نمكت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يرجع حتى يحكم الله له) فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه فلما كانوا بالشوط رجع عبد الله ابن أبي في ثلث الجيش مغضباً لكونه لم يرجع إلى قوله وقال هو وأصحابه لو نعلم اليوم قتالاً لاتبعناكم ولكننا لا نراكم تقاتلون واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً حتى نزل الشعب من أحد عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وقال: (لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال) وتهيأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعمائة من أصحابه وأمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف والرماة يومئذ خمسون رجلاً فقال لهم: (انضحوا الخيل عنا ولا تؤتينا من قبلكم إلزموا مكانكم إن كانت النوبة لنا أو علينا وإن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم) وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين وأعطى اللواء مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار وأجاز رسول الله صلى الله عليه

وسلم بعض الغلمان يومئذ وآخر آخرين حتى أمضاهم يوم الخندق بعد هذا اليوم بقريب من سنتين وتهيأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائة فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ودفعوا اللواء إلى بني عبد الدار وهزم المسلمون بعد ترك الرماة أماكنهم لما رأوا انتصار المسلمين أرادوا أخذ الغنائم والتف عليهم خالد بن الوليد من أماكن الرماة وانهزم المسلمون في وقعة أحد). [ابن كثير ج ١ ص ٤٠٠]. {وَاللَّهُ} والله تعالى جلّ جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {سَمِيعٌ} يسمع لك يا رسول الله وأنت تهيبى المؤمنين للقتال {عَلِيمٌ} يعلم ويدري بك يا محمد يا رسول الله وبالمؤمنين وبأعدائكم ماذا يفعلون {إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ} إذ حاولت وأرادت قبيلتان منكم أيها المسلمون {أَنْ تَفْشَلَا} أن تتصارعا وتتقاتلا. قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال قال عمر سمعت جابر بن عبد الله يقول فينا نزلت " إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا " الآية قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب - وقال سفيان مرة - وما يسرني أنها لم تنزل لقوله تعالى: "وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا". [وكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به ، وكذا قال غير واحد من السلف إنهم بنو حارثة وبنو سلمة - ابن كثير ج ١ ص ٤٠٠]. {وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا} والله تعالى تولاها بالتثبيت {وَعَلَى اللَّهِ} وعلى الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فَلْيَتَوَكَّلِ} فليعتمد {الْمُؤْمِنُونَ} كل من آمن وصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ} ولقد أيدكم الله تعالى بنصره في معركة بدر التي كانت قبل أحد {وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} وأنتم ضعفاء مستضعفون قليلو العدد والعدة ولم تكبر شوكتكم بعد وكان ذلك يوم الجمعة الموافق السابع عشر من

شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة وهو يوم الفرقان والنصر ومع قلة عدد المسلمين يومئذ فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فيهم فارسان وسبعون بعيراً وكانت قريش يومئذ ما بين التسعمائة إلى الألف ونصر الله تعالى المسلمين مع قلة عددهم وعدتهم. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك قال: سمعت عياضاً الأشعري قال: شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وابن حسنة وخالد بن الوليد وعياض - وليس عياض هذا الذي حدث سماكاً - قال: وقال عمر: إذا كان قتالاً فعليكم أبو عبيدة قال: فكتبنا إليه أنه قد جأش إلينا الموت واستمددناه ، فكتب إلينا أنه قد جاءني كتابكم تستمدونني وإني أدلكم على من هو أعز نصراً وأحصن جنداً ، الله عز وجل فاستنصروه فإن محمداً صلى الله عليه وسلم قد نصر في يوم بدر في أقل من عدتكم فإذا جاءكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني قال: فقاتلناهم فهزمناهم أربع فراسخ قال: وأصبنا أموالاً فتشاورنا فأشار علينا عياض أن نعطي عن كل ذي رأس عشرة قال: وقال أبو عبيدة: من يراهنني؟ فقال شاب: أنا إن لم تغضب قال: فسبقه فرأيت عقيصتي أبي عبيدة ينفران وهو خلفه على فرس أعرابي. [وهذا إسناد صحيح ، وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث بندار عن غندر بنحوه ، واختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه وبدر بين مكة والمدينة تعرف ببئر ما منسوبة إلى رجل حفرها يقال له بدر بن النارين ، قال الشعبي: بدر بئر لرجل يسمى بدرًا - ابن كثير ج ١ ص ٤٠٠]. {فَاتَّقُوا اللَّهَ} خافوا الله تعالى واعبدوه وأطيعوه {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} عساكم تشكرون الله تعالى على هذا الفضل والنصر في بدر.

﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ﴾

{إِذْ تَقُولُ} يا محمد يا رسول الله تقول وتحدث وتخبر {لِلْمُؤْمِنِينَ} للمؤمنين معك في معركة بدر {أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ} ألا يكفيكم {أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ} أن ينجدكم ربكم ويرسل عليكم نجدة في معركة بدر {بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ} بعدد ثلاثة آلاف ملك من الملائكة {مُنَزَّلِينَ} أي نزلوا لمساندتكم ومساعدتكم في حربكم ببدر لينصروكم وهذا هو سبب من الأسباب الواضحة في القرآن بالإيمان بالله وملائكته ولو لم نراهم بأعيننا فهم من الغيب الذي يجب أن نؤمن به ونصدقه {بَلَىٰ} لا بل {إِنْ تَصْبِرُوا} إن تصبروا وتحملوا وتجالدوا الحرب وأهوالها {وَتَتَّقُوا} وتخافوا الله وتعبدوه وتطيعوه {وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ} ففي هذه الحالة وعندها يأتيكم مدد الملائكة فوراً وبدون تأخير {هَذَا} ومع هذا وزيادة على ذلك {يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ} ينجدكم ربكم ويرسل لكم الله تعالى نجدة لمساعدتكم {بِخَمْسَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ} عدد خمسة آلاف ملك من الملائكة ليحاربوا معكم وهم غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون {مُسَوِّمِينَ} معدّبين ومقتّلين للأعداء كما قال تعالى:

” وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ” ٤٩ البقرة. {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ} ولم يجعله الله تعالى وهو نزول الملائكة عليكم {إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ} إلا بشرى للنصر لكم بذلك النزول للملائكة {وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِمْ} وحتى تطمئن قلوبكم في حربكم ويطرد عنكم الخوف والقلق والرعب حتى تحاربوا وأنتم مطمئنون بالنصر {وَمَا أَلْنَصْرُ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ} والنصر يأتي من عند الله تعالى ومن قبل الله تعالى والله تعالى ينصر من يشاء {الْعَزِيزِ} والله تعالى القوي في ملكه وسلطانه ونصره فهو قوي الجانب ومنيع في ملكه وسلطانه {الْحَكِيمِ} ذو الحكمة في حكمه وفي أمره ونواهيته وفي ملكه ولا يخطئ أبداً {لِيَقْطَعَ طَرَفًا} ليهلك جماعة من الأعداء والكفار على أيديكم {مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} من الكفار ممن كذب بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {أَوْ يَكْتَبَتِهِمْ} أو يذلهم ويقهرهم بالهزيمة والقتل والأسر {فَيَنْقَلِبُوا} فيرجعوا إلى أوطانهم {خَائِبِينَ} ذليلين مقهورين مهزومين {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} ليس لك يا محمد يا رسول الله من أمر الكفار والأعداء شيء فأمرهم راجع إلى الله تعالى إن أراد أن يهزمهم أو أراد تركهم {أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} أو يغفر لهم ويجعلهم يتوبون ويدخلون في الإسلام بعد ذلك كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم {أَوْ يُعَذِّبَهُمْ} أو يعاقبهم الله تعالى بالهزيمة والأسر والقهر والقتل {فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ} فإنهم باغون معتدون كافرون ومشركون {وَلِلَّهِ} ولله تعالى ملك {مَا فِي السَّمَاوَاتِ} كل ما في السماوات من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وكواكب {وَمَا فِي الْأَرْضِ} ولله ملك وحكم كل ما في الأرض من الجن والإنس والطير والحيوانات والنباتات

والبحار والحيثان وكل ما في الأرض لله تعالى ملكه وحكمه {يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ} يغفر ويتوب لمن أراد من عباده بعد توبته وندمه ودخوله في الإسلام {وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ} ويعاقب من يريد ممن كفر وأشرك وعصى {وَاللَّهُ تَعَالَى جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ قَدْرُهُ وَعَلَا شَأْنُهُ} {غُفُورٌ} يغفر لمن تاب وأناب وندم ورجع وأطاع وعمل صالحاً {رَحِيمٌ} واللَّهُ تَعَالَى رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ وبمن تاب منهم ويدخلهم الجنة يوم القيامة.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٢٢﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٢٣﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٢٤﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿١٢٥﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴿١٢٦﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا} نهى الله تعالى عن الربا والربا هو كل منفعة على رأس المال في القرض وفي الدين وليس في البيع ولا في التجارة. وعن علي رضي

الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كل قرض جرّ منفعة فهو ربا). [رواه الحارث بن أبي أسامة وإسناده ساقط لأن في إسناده سوار بن مصعب الهمداني المؤذن الأعمى وهو متروك وله شاهد ضعيف عن فضالة بن عبيد عند البيهقي أخرجه البيهقي في المعرفة بلفظ (كل قرض جرّ منفعة فهو وجه من وجوه الربا) وآخر موقوف عن عبد الله بن سلام عند البخاري لم أجده في البخاري في باب الاستقراض ولا نسبه المصنف في التلخيص إلى البخاري بل قال إنه رواه البيهقي في السنن الكبرى عن ابن مسعود وأبي بن كعب وعبد الله بن سلام وابن عباس موقوفاً عليهم انتهى. - سبل السلام ج ٣ ص ٥٣]. والربا عموماً هو بسبب الدين على أن يقرض أحد من الناس مبلغاً من المال ويضرب له أجل ومدة معينة من الزمن مقابل زيادة على رأس المال أي فائدة يتفق عليها الطرفان مقابل أن يداينه ذلك المبلغ. وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: (وكل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ربا أضع ربا العباس). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٧]. وقد قال ابن ماجه حدثنا عمرو بن علي الصيرفي حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن زبيد عن إبراهيم عن مسروق عن عبد الله هو ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الربا ثلاثة وسبعون باباً) ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عمرو بن علي الفلاس بإسناد مثله وزاد (أيسرها أن ينكح الرجل أمه وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٨]. وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم عن عباد بن راشد عن سعيد بن أبي خيرة حدثنا الحسن منذ نحو من أربعين أو خمسين سنة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يأتي على الناس زمان يأكلون فيه الربا) قال قيل له: الناس كلهم؟ قال: (من لم يأكله ناله من غباره). [وكذا روى أبو داود والنسائي وابن ماجه من غير وجه عن سعيد بن أبي خيرة عن الحسن به - ابن كثير ج ١ ص ٣٢٨]. (وكما قال عليه

السلام في الحديث المتفق عليه : (لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوهما فباعوها وأكلوا أثمانها) وقد تقدم في حديث علي وابن مسعود وغيرهم عند لعن المحلل في تفسير قوله : " حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ " قوله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه)). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٨]. قال البخاري : حدثنا عبد الله بن كثير أخبرنا كثير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن ابن عبد الله بن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل). [ابن كثير ج ١ ص ٣٢٩]. {أَضْعَفًا مُّضْعَفَةً} أرباحاً وفوائد كثيرة وكبيرة وهي ما يطلق عليها فوائد مركبة وخاصة إذا لم يسدد دينه في الوقت المحدد لقضاء دينه فيجدد الفائدة على رأس المال بحيث تكون أرباح مركبة أي مضاعفة ضعف الفائدة الأولى {وَاتَّقُوا اللَّهَ} خافوا الله تعالى وابعدوه وأطيعوه في أوامره ونواهيه {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} لعلكم تفوزون بالجنة ونعيمها يوم القيامة {وَاتَّقُوا النَّارَ} وخافوا النار وابتعدوا عنها بابتعادكم عن الربا والمعاصي والمحرمات {الَّتِي أُعِدَّتْ} التي حضرت وجهزت {لِلْكَافِرِينَ} خلقها الله تعالى وعملها وجعلها عذاباً لكفار يوم القيامة وهم كل من كفر ووجد وأنكر وكذب ولم يصدق بالله ولا بملائكته ولا بكتبه ولا برسله ولا باليوم الآخر {وَأَطِيعُوا اللَّهَ} وأطيعوا الله في أوامره ونواهيه وفرائضه واجتنبوا محرماته {وَأَلْرُسُولَ} وأطيعوا أمر الرسول والنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيما أمركم به ونهاكم عنه {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} لعلكم تنجون من عذاب الله تعالى يوم القيامة ومن عذاب

نار جهنم {وَسَارِعُوا} وعجلوا وبسرعة توجهوا {إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} أي توبوا
 إليه واستغفروه حتى تفوزوا بجنته {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ} لتدخلوا
 جنة الله تعالى التي عرضها عرض السموات والأرض وهما بجانب بعضهما البعض
 هذا عرضها فما بالك بطولها {أُعِدَّتْ} جهزت وحضرت {لِلْمُتَّقِينَ} للطائعين
 والعابدين والمتقين حدود الله تعالى ومحارمه ويبتعدون عن معصيته ويخافون عذابه
 {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ} الذين يتصدقون أي المتصدقون {فِي السَّرَّاءِ} في مناسبات الفرح
 والسرور {وَالضَّرَّاءِ} في الشدائد والمصائب والأحزان {وَالكَّافِرِينَ الْغَيْظِ} وهم
 الذين يكتمون غضبهم إذا أصابهم أذى {وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ} وهم الذين
 يسامحون ويعفون عن غلطات وهفوات وأذى الناس عليهم {وَاللَّهُ} والله تعالى جل
 جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {تُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} يحب المتصدقين والمتسامحين
 والعافين عن الناس {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا} والذين إذا عملوا {فَإِحْسَاءً} إذا عملوا
 ذنباً أو معصية كالزنا {أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ} أي اقترفوا ذنباً أو معصية أو كفراً أو
 شركاً {ذَكَرُوا اللَّهَ} تفكروا الله تعالى وعذابه فخافوه {فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ}
 فاستغفروا الله تعالى وتابوا من ذنوبهم بالندم والتوبة لله تعالى {وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ
 إِلَّا اللَّهُ} ومن يستطيع مغفرة الذنوب غير الله تعالى أي لا أحد قادر ويستطيع أن
 يغفرها لهم سوى الله تعالى {وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا} ولم يستمروا على عنادهم
 وعلى معصيتهم وعلى ما ارتكبوا من ذنوب ومعاصي وآثام {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} وهم
 يعلمون ومتأكدون من عاقبة معصيتهم وكفرهم {أُولَئِكَ} هؤلاء {جَزَاءُ هُمْ} ثوابهم
 {مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ} توبة لهم من الله تعالى وعفو وتجاوز من الله تعالى على ذنوبهم

{وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} ويدخلهم الله تعالى يوم القيامة إحدى الجنات الثمانية والتي تجري خلالها الأنهار نهر اللبن ونهر الماء ونهر العسل ونهر الخمر وتجري تحت قصورها {خَالِدِينَ فِيهَا} دائمين في الجنة {وَنِعَمَ} وحسن {أَجْرُ} ثواب {الْعَامِلِينَ} العاملين في الدنيا في عبادة الله تعالى وطاعته ومرضاته {قَدْ خَلَتْ} قد مرت ومضت وسبقت {مِنْ قَبْلِكُمْ} من قبل قدومكم أيها المسلمون للدنيا والحياة فيها {سُنُنٌ} سنن وقوانين وشرائع لله تعالى في خلقه وفي كونه {فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} تجولوا وسيحوا في البلاد وفي أرض الله تعالى وفي المدن والقرى من حولكم {فَأَنْظُرُوا} فشاهدوا واعتبروا {كَيْفَ كَانَ عَنقَبَةُ} كيف كان مصير ونهاية ومآل {الْمُكذِّبِينَ} من كذب وأنكر وجحد بالله تعالى وبملائكته وبكتبه وبرسله وباليوم الآخر والجواب كان مصيرهم العذاب والهلاك والموت {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ} هذا توضيح للناس وهو هذا القرآن وقصصه للناس عامة {وَهُدًى} وهداية لدخول الإسلام {وَمَوْعِظَةٌ} ووعظ وإرشاد {لِلْمُتَّقِينَ} للطائعين والعبدين والمتقين حدود الله تعالى ومحارمه ويبتعدون عن معصيته ويخافون عذابه.

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ١٣٦ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ١٣٧ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ١٣٨ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ١٣٩ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ ١٤١ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ١٤٢ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ١٤٣ ﴿

{وَلَا تَهِنُوا} ولا تضعفوا أيها المؤمنون {وَلَا تَحْزَنُوا} ولا تغموا ولا يصيبكم هم ولا غم بسبب ما أصابكم في أحد {وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ} وأنتم المنتصرون والفائزون والغالبون على عدوكم ولو غلبتم في معركة كأحد فالمهم العاقبة والنهاية {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} إن كنتم مؤمنين حقاً وصابرين {إِنْ يَمَسُّكُمْ} إن أصابكم {قَرْحٌ} وهو السوء والهزيمة والقرح هو الجراح من جراء الهزيمة {فَقَدْ مَسَّ} فقد أصاب {الْقَوْمَ} وهم قوم قريش الذين حاربوكم في أحد {قَرْحٌ مِّثْلُهُ} هزيمة في بدر وهي مثل ما أصابكم في أحد {وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا} والأيام نمررها ونبادلها ونقلبها ونغيرها {بَيْنَ النَّاسِ} بين الخلق من بني آدم فالفقير يصبح غنياً والغني يصبح فقيراً والسليم يمرض والمريض يبرأ والراكب يمشي والماشي يركب والضعيف يقوى والقوي يضعف وهكذا تداول الأيام {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ} ليظهر علمه في الحقيقة بعد علمه من الأزل وهو علام الغيوب وحتى تكون له الحجة على الناس بعملهم {الَّذِينَ ءَامَنُوا} وهم المؤمنون المخلصون الذين لم يرتابوا ولم ينقلبوا على أعقابهم {وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ} ويجعل منكم شهداء في سبيل الله في المعارك وشهداء يشهدون يوم

القيامة على الناس وعلى أعمالهم {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا تُحِبُّ} يُبغض ويكره {الظَّالِمِينَ} الباغين المعتدين والذين كفروا وأشركوا بالله تعالى كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وقال تعالى: " إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ} ليكشف ويمتحن ويفرق ويجلو الأمر عنهم {الَّذِينَ ءَامَنُوا} المؤمنون وهم من آمن وصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَيَمْحَقَ} يهلك ويعذب ويزيل {الْكَافِرِينَ} الجاحدين والمنكرين والمكذبين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {أَمْ حَسِبْتُمْ} هل ظننتم وافتكرتم {أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ} أن تدخلوا الجنة يوم القيامة بلا حساب {وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ} ليظهر الله تعالى علمه في الحقيقة بعد علمه من الأزل وهو علام الغيوب حتى تكون له حجة على الناس بعملهم {الَّذِينَ جَاهَدُوا} الذين حاربوا وقاتلوا الأعداء {مِنْكُمْ} أيها المؤمنون {وَيَعْلَمَ} ويظهر علمه الأزلي في الحقيقة {الصَّابِرِينَ} المجالدين والمتحملين عبء الجهاد والحرب في ساحة القتال {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ} ولقد كنتم أيها المسلمون تطلبون وتتمنون الموت في سبيل الله في ملاقاته العدو في الحرب {مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ} من قبل أن يقع عليكم {فَقَدْ رَأَيْتُمْوهُ} فقد رأيتم الموت في الجهاد حتى بلغت القلوب الحناجر {وَأَنْتُمْ} وأنتم أيها المسلمون {تَنْظُرُونَ} تشاهدون بأعينكم الحرب والموت. وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف). [ابن كثير ج ١ ص ٤٠٩].

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبُّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَكَاتَبَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾

{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ } أي ليس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم إلا رسول ونبي أرسله الله تعالى إلى الناس كافة وليس كما يدعي الكفار والأعداء وكفار قريش واليهود بأنه ساحر أو كاهن أو شاعر أو مجنون { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } قد مرت وسبقته رسل وأنبياء كثيرون وبقي مكانهم شاغراً من الرسالة والنبوة كما يقال خلا البيت من السكان أي فرغ من السكان ، وكذلك قد خلا وفرغ وشعر هذا الزمان الذي بعث فيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الرسل فجاء زمانه وبعثته من جديد لتبليغ رسالة الله تعالى للناس جميعاً { أَفَإِنْ مَاتَ } فهل إن مات محمد رسول الله موتاً طبيعياً { أَوْ قُتِلَ } أو قتل في معركة { انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ } ارتددتم عن الإسلام كما فعل أهل الردة وسبب ذلك أنه بعد معركة أحد وبعد أن شاع بأن محمداً قد مات فيعلمهم الله تعالى على البقاء على العهد وعلى دين الإسلام وأن لا يرتدوا حتى لو مات أو قتل رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الآية تكذب من ادعى أن سيدنا

جبريل عليه السلام أخطأ في تبليغ الرسالة فهي لعلي وليس لمحمد والله يكذبهم بنص قرآني بقوله " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ " الآية { وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ } ومن يرتد عن الإسلام ويعود للجاهلية والشرك والكفر { فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا } فلن يؤذي الله تعالى بارتداده عن الإسلام بل يضر نفسه لأنه سيعذب نفسه يوم القيامة في نار جهنم { وَسَيَجْزِي } وسيثيب { اللَّهُ } الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { الشَّاكِرِينَ } الحامدين الله والشاكرين له على أنعمه وأفضاله ونعمة الإسلام والإيمان { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } ولا أحد من الخلق يموت إلا بأمر الله تعالى وبإرادته وبعلمه { كِتَابًا مُّوجَّلاً } فالعمر مكتوب ومحدد ومعين ومؤجل ومؤخر إلى قدر معلوم لا يزيد ولا ينقص وهو مكتوب من الأزل في اللوح المحفوظ { وَمَنْ يُرِدْ } ومن يرغب { ثَوَابَ الدُّنْيَا } منفعة الدنيا فقط وأجره على عمله في الحياة الدنيا { نُؤْتِيهِ مِنْهَا } نعته منها ما نريد { وَمَنْ يُرِدْ } ومن يرغب { ثَوَابَ الآخِرَةِ } ومن يطلب ثواب الآخرة وأجر الآخرة { نُؤْتِيهِ مِنْهَا } نعته منها وهي دخول الجنة يوم القيامة { وَسَنَجْزِي } وسنثيب ونكافئ { الشَّاكِرِينَ } الشاكرين الله تعالى والحامدين له على أنعمه وأفضاله عليهم بالعبادة والطاعة والعمل على مرضاته { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ } وكم من نبي ورسول { قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيؤُنَ } قاتل معه وجاهد في سبيل الله أصحابه وأعوانه وأنصاره ممن يعبدون الله تعالى ويخافون عذابه { كَثِيرٌ } فالعباد الربانيون كثيرون في العدد ممن يجاهدون في سبيل الله { فَمَا وَهَنُوا } فما ضعفوا عن الجهاد والقتال وعن الحق { لِمَا أَصَابَهُمْ } بما أصابهم { فِي سَبِيلِ اللَّهِ } في الجهاد في سبيل الله تعالى وطاعته ومرضاته { وَمَا ضَعُفُوا } وما ضعفوا ولا جبنوا في الحق والجهاد { وَمَا اسْتَكَانُوا } ولا تكاسلوا ولا

توقفوا عن الجهاد في سبيل الله {وَاللَّهُ مُحِبُّ الصَّابِرِينَ} والله تعالى يحب الصابرين على الحق والمجاهدين في تحمل ملاقات العدو وفي الجهاد وفي الشدائد والمصائب. وكما جاء في الحديث الصحيح عن خباب بن الارت قال: قلنا يا رسول الله ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا فقال: (إن من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيخلص إلى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه لا يصرفه ذلك عن دينه) ثم قال: (والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون) وقال الله تعالى: " {١} أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ {٢} وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ {٣} ". [ابن كثير ج ١ ص ٢٥١]. {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ} ولم يكن قول الربانيين والمجاهدين والصابرين في قتالهم وحرابهم وجهادهم مع أنبيائهم ورسولهم {إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا} وما كان قولهم وما طلبوا إلا المغفرة لذنوبهم من الله تعالى {وَأَسْرَفْنَا} وتجاوزنا في المعاصي والذنوب {فِي أَمْرِنَا} في أحوالنا السابقة {وَوَثِّبْتَ أَقْدَامَنَا} وثبت أقدامنا أثناء المعركة بعدم الفرار {وَأَنْصُرْنَا} وأيدنا بنصرك {عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} على الكفار وهم من جحد وأنكر وكذب ولم يصدق بالله ولا برسله ولا بكتبه ولا باليوم الآخر {فَعَاتَبَهُمُ اللَّهُ} أعطاهم الله {ثَوَابَ الدُّنْيَا} أجر الدنيا بالنصر والحياة الرغدة الطيبة والسعيدة {وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ} وأفضل ما في الآخرة وهي الجنة ونعيمها {وَاللَّهُ مُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} والله يحب المخلصين العبادة لله تعالى وطاعته.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذُوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَبِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ۖ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ۚ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾

﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلُودُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ ۖ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِن تَطِيعُوا} إن تصدقوا وتسلموا وتتبعوا وتأخذوا بقول {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار وهم الذين لم يصدقوا بالله رباً ولا بالإسلام ديناً ولا بمحمد نبياً ورسولاً ولا بالقرآن كتاباً منزلاً من عند الله تعالى {يُرْذُوكُمْ} يعيدوكم ثانياً {عَلَىٰ أَعْقَبِكُمْ} يعيدوكم إلى الكفر ثانياً بعد إسلامكم {فَتَنْقَلِبُوا} فتعودوا {خَاسِرِينَ} فاقدين لأنفسكم وخسرتم دنياكم وآخرتكم إذا كفرتم وأشركتم بعد إسلامكم {بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ} ولكن الله تعالى هو مولاكم وهو الذي يتولى أمركم وينصركم على الكفار {وَهُوَ} وهو الله تعالى جلّ جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {خَيْرٌ} أفضل وأحسن نفعاً لكم {النَّاصِرِينَ} الجالبيين لكم النصر والناصر الحق على الباطل ومؤيدكم

بنصره على أعدائكم {سَنُلْقِي} سيضع الله تعالى {فِي قُلُوبِ} في أفئدة {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار ممن كذب وأنكر ووجد رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {الرَّعْبَ} الخوف والهلع والجبن والهزيمة والانكسار {بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ} وذلك بسبب إشراكهم مع الله تعالى غيره {مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَنًا} ولم ينزل الله تعالى به علماً أكيداً ولا كتاباً يقرأ من كتبه السماوية ولا يوجد عندهم حجة ولا دليل لذلك {وَمَا وَهُمْ} ومصيرهم ونهايتهم يوم القيامة {النَّارِ} إلى نار جهنم ليعذبوا فيها {وَبِئْسَ} وساء وقبح {مَثْوًى} مصير ومكان ومقر ونهاية {الظَّالِمِينَ} وهم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. وكما قال تعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. وقد ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أُعْطِيَتْ خَمْسًا لَمْ يُعْطَ مِنْهَا أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ، نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةُ وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً). [ابن كثير ج ١ ص ٤١١].

{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ} ولقد أبرَّ الله تعالى بوعده لكم وصدق فيما قال وقوله الحق كما قال تعالى: " قُلْ صَدَقَ اللَّهُ " ٩٥ آل عمران. {إِذْ تَحُسُّونَهُمْ} إذ تقتلونهم وهم كفار قريش في أحد. والحس من حسَّ أي لمس بالسيف أي تقتلونهم بالسيف {بِإِذْنِهِ} بأمره وإرادته ومشيبته وعلمه {حَتَّى} إِذَا فَشِلْتُمْ حتى إذا انهزمت في معركة أحد والفشل دائماً يكون معناه عدم النجاح كالمهندس إذا فشل في اختراعه أو الطالب إذا فشل في الدراسة {وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ} واختلقتم فيما بينكم بعضكم مع بعض عندما رأى الرماة فوق جبل أحد انتصار المسلمين في بداية المعركة

نزلوا من أماكنهم من رأسي الجبل لأخذ الغنائم ولم ينتصحو بأمر قائدهم عبد الله ابن جبير وخالفوه وتركوا أماكنهم لخالد بن الوليد ليلتف عليهم من أماكنهم التي تركها الرماة وهذا هو سبب فشلهم في أحد {وَعَصَيْتُمْ} وعصيتم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال البخاري: حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء قال: لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً من الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال: (لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهوروا علينا فلا تعينونا). [ابن كثير ج ١ ص ٤١٣]. {مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ} من بعد ما أراكم النصر في أحد في بداية المعركة وقال البراء بن عازب: (فلقد والله رأيت النساء يشتدون على الجبل وقد بدت أسواقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن). [ابن كثير ج ١ ص ٤١٤]. وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق عن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال: جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلا - عبد الله بن جبير قال: ووضعتهم وضعا وقال: (إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم قال فهزموهم قال: فلقد والله رأيت النساء يشتدون على الجبل وقد بدت أسواقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبد الله: الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ قال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: إنا والله لنائين الناس فلنصيب من الغنيمة ، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا فأصابوا منا سبعين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر مائة وأربعين سبعين أسيرا وسبعين

قتيلاً. قال أبو سفيان: أفي القوم محمد أفي القوم محمد؟ ثلاثاً - قال: فهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ ثم أقبل على أصحابه فقال: أمّا هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد أبقي الله لك ما يسوؤك فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثلة لم أمر بها ولم تسؤني. ثم أخذ يرتجز يقول: أعل هبل أعل هبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا تجيبوه) قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: (قولوا الله أعلى وأجل) قال: لنا العزى ولا عزى لكم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا تجيبونه؟) قالوا: يا رسول الله وما نقول؟ قال: (قولوا الله مولانا ولا مولى لكم). [وقد رواه البخاري من حديث زهير بن معاوية مختصراً، ورواه من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق بأبسط من هذا كما تقدم والله أعلم - ابن كثير ج ١ ص ٤١٤]. {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا} فمنكم أيها المسلمون وهم الرماة من يريد الدنيا وهي الغنائم وترك مكانه ثغرة ينقض منها العدو عليكم {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ} وهو قائدهم عبد الله بن جبير الذي أراد منعهم من ترك أماكنهم ولكنهم رفضوا أمره وذهبوا للغنائم لجمعها {ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ} ثم أبعدهم في أحد عن كفار قريش بعد هزيمتهم في بداية المعركة {لِيَبْتَلِيَكُمْ} ليؤدبكم وليعلمكم بهذه المصيبة وهي الهزيمة في أحد حتى تعلموا أن المعصية حتى لو كانت وأنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستهزمون في المعركة فكيف بنا لا نتصر نحن المسلمين اليوم وكم من معاص نرتكب وكم من ذنوب نتحمل وخاصة في وقت العلمانية الحديثة. قال ابن جريج: وأخبرني زياد بن سعد عن محمد بن زياد ابن

مهاجر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراعاً وباعاً بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ أهل الكتاب؟ قال: (فمن؟). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٦٨].

{وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ} ولقد غفر الله لكم هذه الذلة وهذه الغلطة بترك الرماة أماكنهم ومخالفة أمر رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وليس عن سوء نية بل عن حسن نية ولذلك عفا الله عنكم هذه المرة في أحد حتى تعتبروا بها {وَاللَّهُ} والله تعالى جلّ جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {ذُو فَضْلٍ} صاحب فضل وكرم برحمته لكم وإعفائه لذنبكم هذا {عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} على المؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر مع رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكما قال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين: (والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له إن أصابته سراء فشكر كان خيراً له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له وليس ذلك لأحد غير المؤمن). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٨]. وقال صلى الله عليه وسلم: (ما يصاب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله من خطاياها). [رواه البخاري - نزهة المجالس ج ٢ ص ٥٥]. {إِذْ تُصْعِدُونَ} إذ تهربون وتصعدون جبل أحد بعد هزيمتكم {وَلَا تَلُونَّ عَلَى أَحَدٍ} ولا تلتفتون خلفكم ولا تردون على أحد {وَالرُّسُولُ} والرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ} يناديكم بعد فراركم من القتال إلى إحدى الحسنين إما النصر وإما الشهادة وتدخولون الجنة بالشهادة يوم القيامة {فَأَثَبَكُمْ} فجزاكم وعاقبكم

{ غَمًّا بِغَمِّ } غم المخالفة والمعصية بغم الهزيمة والقتل وقد قُتل حمزة ابن عبد المطلب عم النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أسد الله قتله وحشي بوعد من هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان بالعتق له إذا قتل حمزة { لِكَيْلًا } حتى لا { تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ } من النصر والغنيمة { وَلَا مَا أَصَابَكُمْ } ولا ما أصابكم من القتل والهزيمة { وَاللَّهُ } والله تعالى جلّ جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { خَبِيرٌ } خبير وعليم بكم وبأحوالكم { بِمَا تَعْمَلُونَ } بما تفعلون من معصية الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بترك الرماة أماكنهم في أحد وطلب الغنائم.

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠١﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۗ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

{ ثُمَّ } بعد الهزيمة يوم أحد { أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ } أنزل الله تعالى عليكم أيها المؤمنون يا من حضرتكم معركة أحد { مِّن بَعْدِ الْغَمِّ } من بعد غم مصيبة الهزيمة في أحد ومن قتل فيها { أَمَنَةً } أمنًا وطمأنينة على المسلمين { نُعَاسًا } وهو النوم والنعاس { يَغْشَىٰ } يأتي على { طَآئِفَةً مِّنكُمْ } على جماعة منكم أيها المسلمون ممن كان راسخ الإيمان مثل أبي طلحة قال البخاري: وقال لي خليفة حدثنا يزيد بن زريع

حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال: (كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً يسقط وآخذه ويسقط وآخذه). [هكذا رواه في المغازي معلقاً ورواه في كتاب التفسير مسنداً عن شيبان عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال: (غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد قال فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه) ، وقد رواه الترمذي والنسائي والحاكم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال: (رفعت رأسي يوم أحد وجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحد إلا يميل تحت جحفته من النعاس) ، لفظ الترمذي وقال: حسن صحيح - ابن كثير ج ١ ص ٤١٨]. {وَطَائِفَةٌ} وجماعة أخرى وهم المنافقون {قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ} فقد شغلتهم أنفسهم ولا يفكرون إلا في مصير أنفسهم والخوف على حياتهم من القتل والموت {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ} يشكون في نصر الله تعالى لهم وأن محمداً خذلهم ولم يصدقهم بوعدده بالنصر لهم {ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ} اعتقاد أهل الجاهلية أهل الكفر والشرك بالشك في رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {يَقُولُونَ} يقول المنافقون في معركة أحد {هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ} ليس لنا من فعل شيء وليس بيدنا عمل شيء ولو كان بيدنا ما جئنا لمعركة أحد {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله لهؤلاء المنافقين {إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ} إن أمر المعركة والهزيمة أو النصر كله بيد الله تعالى وليس لأحد فيه أي شيء {تُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ} يُسْرُونَ وَيَكْتُمُونَ في صدورهم وقلوبهم خوفهم من الهزيمة والقتل ويودون الفرار أو أنهم لم يحضروا في معركة أحد {مَا لَا يُبَدُونَ لَكُمْ} ما لا يُظهرون لك من رباطة الجأش وعدم الخوف والطاعة لك {يَقُولُونَ} يقول هؤلاء المنافقون {لَوْ كَانَتْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} لو كان الأمر والحكم بأيدينا

{ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا } ما قُتِلْنَا هنا في أحد في جبلٍ خالٍ وعرٍ بعيدٍ عن الأهل { قُل } قل لهم يا محمد يا رسول الله وأخبرهم { لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ } لو كنتم - أيها الشاكون - في دُوركم وبين أهليكم { لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ } لظهر وأتى على الذين قُتِلُوا { إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ } لآتى الموت إلى مكان نومهم وهم على أسرتهم وأماكن نومهم وعلى فراشهم الوثير كما قال تعالى: " أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ " ٧٨ النساء. وكما قال تعالى: " قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا " ١٦ الأحزاب. { وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ } وليمتحن ويخرج الله تعالى أيها المنافقون { مَا فِي صُدُورِكُمْ } ما أخفيتم وما أسررتم عن المسلمين وعن الرسول عليه الصلاة والسلام { وَلِيُمَحِّصَ } ويختبر { مَا فِي قُلُوبِكُمْ } ما في قلوبكم من أسرار ويعرف ما هو معدنكم والله يعلم ذلك منكم وهو علام الغيوب ولكن ليظهره من عالم الغيب إلى عالم الحقيقة حتى يعلم رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بكم وبما في قلوبكم من النفاق { وَاللَّهُ } والله تعالى { عَلِيمٌ } يعلم ويعرف وأحاط علمه { بِذَاتِ الصُّدُورِ } بما في القلوب من السرائر والضمائر ويعلم ذلك من الأزل من قبل أن تولدوا ولكن يريد أن يظهره للحقيقة ليكون حجة عليكم { إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ } إن الذين أعرضوا منكم وهربوا في المعركة { يَوْمَ التَّقَىٰ أَلْجَمَعَانِ } يوم التقى جمعُ الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وجمعُ كفار قريش برئاسة أبي سفيان قبل أن يسلم { إِنَّمَا أَسْتَرْلَهُمُ الشَّيْطَانُ } إنما فتنهم الشيطان وأغراهم بالفرار وخوفهم وقذف في قلوبهم الرعب وجبنوا { بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا } بسبب ما خالف الرماة أمر رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتركوا أماكنهم لأخذ الغنائم

{وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ} ولقد غفر الله لهم هذه المرة أي للرماة لأنهم تركوا أماكنهم بحسن نية لأخذ الغنائم وليس فراراً من الزحف والقتال {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {غَفُورٌ} يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب وندم ورجع إلى الله تعالى بالتوبة {حَلِيمٌ} ذو حلم وأناة على عباده فلا يؤاخذهم على أول معصية لهم وأول مخالفة لرسولهم لأنهم خالفوا بحسن نية فعاملهم الله تعالى بالحلم عليهم ليتوبوا ولم يعودوا لمثل تلك المخالفة.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ سُحًى ۚ وَبِمِيتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَكُونُوا} لا تعملوا ولا تصبحوا {كَالَّذِينَ كَفَرُوا} كالكفار وهم من كفر ووجد وأنكر وكذب ولم يؤمن ولم يصدق لا بالله ولا بملائكته ولا بكتبه ولا برسله ولا باليوم الآخر {وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ} وقال الكفار لبعضهم البعض وإخوانهم في الكفر ومن هم على ملتهم {إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ} إذا خرجوا لطلب الرزق والمعيشة {أَوْ كَانُوا غُزًى} أو كانوا في حرب وقاتل وخرجوا له {لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا} لو مكثوا عندنا في بيوتهم ودورهم وديارهم ولم يخرجوا لا لسفر ولا لحرب ما هلكوا وما ماتوا {وَمَا قُتِلُوا} وما قتلوا في معركة أبداً {لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ} ليجعل الله ذلك

الموت {حَسْرَةً} حسرةً وندامةً وعذاباً {فِي قُلُوبِهِمْ} في قلوب الكفار على موت إخوانهم وأقرانهم وأصحابهم {وَاللَّهُ سَمِيْعٌ وَبَصِيْرٌ} والله تعالى هو الذي يحيي الخلق من العدم ويميت من انتهى أجله وكما قال تعالى: " لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيْتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ " ٢ الحديد. {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِمَا تَعْمَلُونَ} بما تفعلون أيها الناس {بَصِيْرٌ} يرى ويطلع على أعمالكم وأفعالكم {وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ولئن قُتِلْتُمْ و متم أيها الناس في الجهاد في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمته {أَوْ مُتُّم} أو متم في طريقكم وقبل أن تصلوا للحرب في أثناء الطريق موتاً طبيعياً {لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ} يغفر الله تعالى لكم بهذه الموتة ذنوبكم {وَرَحْمَةٌ} ورحمة من الله تعالى يرحمكم بها وينجيكم من عذاب النار يوم القيامة {خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} أفضل مما يجمعون في الدنيا من المال أو من الذنوب والآثام قد يرتكبونها لو مكثوا أحياء {وَلَيْنَ مُتُّم} ولئن متم موتاً طبيعياً {أَوْ قُتِلْتُمْ} أو قُتِلْتُمْ أثناء المعركة والجهاد {لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ} فمصيركم تحشرون إلى الله تعالى يوم القيامة في المحشر للحساب والجزاء.

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ^ط وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ^ط
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ^ط فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
مُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١١٠﴾ ^ط إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ^ط وَإِنْ يَخْذِلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي
يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ^ط وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ ^ج وَمَنْ
يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ^ج ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿١١٢﴾ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا أَوْلَاهُ جَهَنَّمَ ^ج وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
﴿١١٣﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ^ط وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١١٤﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ^ج آيَاتِهِ ^ج وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١٥﴾

{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ } فبرحمة الله تعالى عليك يا محمد يا رسول الله وبرحمة منه
تعالى { لِنْتَ } كنت سهلاً وديعاً طيباً حسن العشرة والمعاملة { لَهُمْ } لمن اتبعك من
المسلمين والمؤمنين ممن دخل معك في الإسلام وصدقك وصدق رسالتك وآمن معك
وكما قال تعالى: " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ " ١٠٧ الأنبياء. { وَلَوْ كُنْتَ
فَظًّا } ولو كنت يا محمد يا رسول الله عنيفاً وقاسياً وشديداً وصعباً وجاف الطبع
وبذيء الكلام وسيئه { غَلِيظَ الْقَلْبِ } قاسي القلب صعب المراس وصعب وشديد
المعاملة ولا توجد به رحمة ولا رأفة ولا شفقة ولا تسامح { لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ }
لانفض المسلمون والناس وتركوك وحدك في الساحة وفي الميدان ولم تجد معك من
يناصرك من المسلمين ولكنه صلى الله عليه وسلم رحيم بالمؤمنين كما قال تعالى:
" لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ
رَّحِيمٌ " ١٢٨ التوبة. وأنه كذلك ذو خلق عظيم كما قال تعالى: " وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ

عَظِيمٍ " ٤ القلم. {فَاعْفُ عَنْهُمْ} فاعف يا رسول الله عن زلات وهفوات المسلمين الذين معك {وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ} واطلب المغفرة من الله لهم كما قال تعالى: " فَاَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ " ١٩ محمد. وفي هذه الآية يحث الله تعالى نبيه ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون لين الجانب مع المسلمين والمؤمنين كما قال تعالى: " وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " ٢١٥ الشعراء. {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} وشاور المسلمين وخذ برأيهم في الأمور كلها للمنفعة والمصلحة العامة وكما قال صلى الله عليه وسلم: (ما خاب من استخار ولا ندم من استشار) [نزهة المجالس ج ٢ ص ٦٢]. {فَإِذَا عَزَمْتَ} فإذا عزمتم على أمر من الأمور وقررت ذلك {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} فامض فيه واعتمد على الله تعالى في تنفيذه وفي التوفيق فيه واستعن بالله تعالى والتجئ إليه واحتمى به واعتمد عليه {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} إن الله تعالى يحب المعتمدين عليه في جميع شؤونهم لأنه بيده كل شيء وهو القادر على كل شيء وأمره نافذ في كل شيء وإرادته فوق كل شيء {إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ} إذا جاء نصر الله تعالى لكم وأراد نصرتكم {فَلَا غَالِبَ لَكُمْ} فلا أحد يستطيع أن يغلبكم {وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ} وإن يهزمكم وإن يتخلل عنكم ويترككم فريسة للأعداء {فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ} فمن غير الله تعالى ينصركم على أعدائكم فالجواب طبعاً لا أحد غير الله تعالى يستطيع نصركم إذا تخلى الله تعالى عنكم فعندها الهزيمة مؤكدة وستكون عليكم {وَعَلَى اللَّهِ} وعلى الله تعالى وحده {فَلْيَتَوَكَّلِ} فليعتمد {الْمُؤْمِنُونَ} من آمن وصدق بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ} لا يحق ولا يجوز لنبي من الأنبياء ولا رسول من الرسل

{أَنْ يَغُلَّ} أن يسرق من الغنائم {وَمَنْ يَغُلَّ} ومن يسرق من الغنائم أياً كان سواء نبي أو أحد من المسلمين {يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} يأتي حاملاً للشيء الذي سرقه يوم القيامة وهو يحمله على عاتقه مفضوحاً أمام الناس في المحشر يوم القيامة وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد ابن زياد حدثنا خفيف حدثنا مقسم حدثني ابن عباس أن هذه الآية " وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ " نزلت في قطيفة حمراء فُقدت يوم بدر فقال بعض الناس: لعل رسول الله أخذها ، فأكثرُوا في ذلك فأنزل الله: " وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [وكذا رواه أبو داود والترمذي جميعاً عن قتيبة عن عبد الواحد ابن زياد به - ابن كثير ج ١ ص ٤٢١]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الملك حدثنا زهير يعني ابن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن عطاء بن يسار عن أبي مالك الأشجعي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أعظم الغلول عند الله ذراع من الأرض تجدون الرجلين جارين في الأرض - أو في الدار - فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعاً فإذا قطعه طوّقه من سبع أرضين يوم القيامة) [ابن كثير ج ١ ص ٤٢١]. وقال الإمام أحمد: حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن نمير حدثنا ابن لهيعة عن ابن هبيرة والحارث بن يزيد عن عبد الرحمن بن جبير قال: سمعت المستورد بن شداد يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من ولي لنا عملاً وليس له منزل فليتخذ منزلاً أو ليست له زوجة فليتزوج أو ليس له خادم فليتخذ خادماً أو ليست له دابة فليتخذ دابة ومن أصاب شيئاً سوى ذلك فهو غال) [ابن كثير ج ١ ص ٤٢١]. {ثُمَّ تُوفَّى} ثم تأخذ حقها {كُلُّ نَفْسٍ} كل مخلوق الذي به روح ما عدا الجمادات {مَا كَسَبَتْ} ما عملت من خير أو شر كما روى أبو ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان

فقال: (يا أبا ذر أتدري فيما ينتطحان؟) فقلت: لا. قال: (ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة) [ابن كثير ج ٤ ص ٥٢ - مكاشفة القلوب ص ١٢٨].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (عُذبت امرأة في هرة سجننتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) [رواه البخاري ج ٤ ص ٢١٥]. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بينما كلب يطيف بركية (بئر) كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها به) [رواه البخاري ج ٤ ص ٢١١]. {وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} وهم الخلق لا يظلم أحداً منهم مثقال ذرة ولا يضيع حقه عند أحكم الحاكمين وأعدل العادلين في المحشر يوم القيامة كما قال تعالى: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {٨} " ٨،٧ الزلزلة. {أَفَمَنْ} فهل مَنْ {اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ} اتبع رضاء الله تعالى وطاعته في أوامره ونواهيه وفرائضه {كَمَنْ} يكون مثل من {بَاء} خرج واحتمل وارتكب ووقع عليه {بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ} بغضب من الله تعالى لكفره ومعصيته لله تعالى {وَمَا أُولَٰئِهِمْ جَهَنَّمُ} ومصيره إلى نار جهنم {وَبِئْسَ} وساء وقبح {الْمَصِيرُ} المقر والنهاية والمآل والمرجع يوم القيامة {هُمْ} دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ} أي الناس كل له درجة عند الله تعالى على حسب عمله ففي الخير له درجة في الجنة وفي الشر له منزلة في نار جهنم حيث جهنم سبع أطباق وقال الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدري الغارب في الأفق الطالع في تفاضل أهل الدرجات) فقالوا يا رسول الله أولئك النبيون؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله

وصدقوا الرسل) [ورواه الترمذي عن سويد عن ابن المبارك عن فليح به وقال حسن صحيح - ابن كثير ج ٤ ص ٤٩]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان أنبأنا همام حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تخرج الأنهار الأربعة والعرش فوقها فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس) [ابن كثير ج ٣ ص ١٦٠]. {وَاللَّهُ بَصِيرٌ} والله تعالى مطلع يرى ويعلم {بِمَا يَعْمَلُونَ} بما يفعلون من خير أو شر {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ} لقد تفضل الله تعالى بكرمه ورحمته {عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله {إِذْ بَعَثَ} إذ أرسل {فِيهِمْ} في المؤمنين {رَسُولًا} رسولاً ونبياً وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مِّنْ أَنْفُسِهِمْ} من جنسهم من بني آدم إنسان وليس من الملائكة ومن قومهم من العرب كما قال تعالى: " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ " ١٢٨ التوبة. {يَتْلُوا عَلَيْهِمْ} يقرأ عليهم {ءَايَاتِهِ} آيات الله تعالى من القرآن العظيم {وَيُزَكِّيهِمْ} ويطهرهم من الذنوب والمعاصي {وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ} ويعلمهم القرآن الكريم {وَالْحِكْمَةَ} وهي السنة المطهرة وكذلك الحكمة في القول والعمل {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ} وإن كان المسلمون من قبل نزول القرآن عليهم {لَفِي ضَلَالٍ} لفي ضلال وغي وبعد عن الحق والصواب والهدى {مُتَّبِعِينَ} كبير وعظيم.

﴿ أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْصِبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنِتْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا ۗ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١١٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنِّي أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ تَكُنْ

صَادِقِينَ ﴿١١٨﴾

{أَوْلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْصِبَةً} ولما حدث أن أصابتكم مصيبة الهزيمة والقتل يوم أحد وقد قتل من المسلمين سبعين {قَدْ أَصَبْتُمْ} قد أصبتم من كفار قريش وقتلتم {مِثْلَهَا} ضعفها يوم بدر فقد قتلتم من مشركين قريش سبعين وأسرتهم سبعين {قُلْتُمْ أَنِي هَذَا} قلتم أيها المسلمون كيف ولماذا حصلت الهزيمة في أحد {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هُوَ} الذي حصل لكم من الهزيمة {مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} بسببكم أنتم من مخالفة أمر النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وترك الرماة لأماكنهم {إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فالله تعالى قادر على كل شيء يريد به حيث أمره بين الكاف والنون كما قال تعالى: " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " ٨٢ يس. {وَمَا أَصَابَكُمْ} وما حصل لكم أيها المسلمون من القتل والهزيمة {يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ} وهو يوم أحد حيث التقى كفار قريش مع المسلمين {فَبِإِذْنِ اللَّهِ} فهو بأمر الله تعالى وإرادته ومشيئته {وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ} وهو اختيار وامتحان للمؤمنين ليرى وهو علام الغيوب وحتى يؤكد علمه الأزلي في علم الحقيقة ويظهره

ويكون حجة على الناس وماذا سوف يعملون هل يجاهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يجبنوا ويفروا ويتركوه وحده في ساحة القتال {وَلْيَعْلَمَ} وهو أعلم حتى يعلم علم يقين وحقيقي بعد علمه من الأزل ليكون حجة على {الَّذِينَ نَافَقُوا} وهم المنافقون الذين يتكلمون أمام رسوله صلى الله عليه وسلم بكلام معسول من الوقوف معه وإعانتته والجهاد معه وفي الحقيقة هم دجالون وكذابون {وَقِيلَ لَهُمْ} وقيل للمنافقين من قبل المسلمين {تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} تعالوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاهدوا في سبيل الله ونصره رسوله {أَوْ ادْفَعُوا} أو امنعوا عنا نحن المسلمين الأعداء بسهامكم ونبالكم {قَالُوا} قال المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول {لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ} لو نعرف أن هناك معركة حقيقية وقتال للكفار لأتينا وساعدناكم وذهبنا معكم للقتال {هُمْ} أي المنافقون {لِلْكَفْرِ يَوْمٍ إِذِ اقْرَبُ} هؤلاء المنافقون في ذلك اليوم هم أقرب للكفر {مِنْهُمْ} للإيمان {فكان الكفر أقرب منهم من الإيمان} يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ {يقولون بألسنتهم بنصرتكم والجهاد معكم للأعداء} {مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} مغاير ما في قلوبهم وهو العداوة والحقد على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين الذين معه {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} والله تعالى يعلم ما يسرون من كتمان الحق والحسد والعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ} وهم المنافقون الذين قالوا لأقرانهم وعشيرتهم وأصحابهم ومن هم على شاكلتهم {وَقَعَدُوا} وقعدوا عن الجهاد وعن مناصرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول {لَوْ أَطَاعُونَا} لو أطاعونا قتلى أحد وتخلفوا

معنا { مَا قُتِلُوا } لم يُقتلوا كما قُتلوا في أحد { قُلْ } قل للمنافقين يا محمد يا رسول الله { فَأَدْرَأُوا } فامنعوا { عَن أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ } الموت عن أنفسكم { إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } إن كنتم قادرين على منعه عن أنفسكم أي لو كنتم صادقين في دعواكم عن أنه لو تخلف قتلى وشهداء أحد عن الحرب والقتال ما ماتوا وهذا ظنهم وعقيدتهم والحقيقة لكل أجل كتاب كما قال تعالى: " أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ " ٧٨ النساء.

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٨﴾
فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ۗ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَاَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ ۗ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ ۗ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾

{ وَلَا تَحْسَبَنَّ } ولا تظن ولا تعتقد يا محمد يا رسول الله ويا أيها المؤمن { الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } المؤمنون الشهداء الذين قتلوا في الحرب والجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى { أَمْوَاتًا } بأنهم قد ماتوا { بَلْ أَحْيَاءٌ } بل هم أحياء { عِنْدَ رَبِّهِمْ } عند الله في الجنة { يُرْزَقُونَ } يأكلون من ثمارها ويشربون من أنهارها. وقد قال مسلم في

صحيحه : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال : إنا سألنا عبد الله عن هذه الآية " وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ " فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل ، فاطلع عليهم ربهم إطلاعة فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ فقالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا) [وقد روي نحوه من حديث أنس وأبي سعد - ابن كثير ج ١ ص ٤٢٦]. {فَرِحِينَ} مسرورين {بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} بما أعطاهم الله تعالى من فضله ورحمته بدخول الجنة يسرحون فيها حيث أرادوا {وَيَسْتَبْشِرُونَ} وينتظرون بفرح شديد {بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ} بالشهداء من المؤمنين الذين لم يستشهدوا بعد حتى يلحقوا بهم في الجنة {أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} أنه لا خوف على الشهداء من عذاب الله تعالى لهم يوم القيامة {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا وحطامها وزينتها حيث أن الله تعالى أبدلهم بالجنة بدلاً وخيراً من الدنيا وما فيها {يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ} يبشرون من قبل الملائكة بدخول الجنة ونعيمها {وَفَضْلٍ} وكرم من الله تعالى عليهم لاستشهادهم {وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ} وأن الله تعالى لا يذهب سدى {أَجْرٍ} ثواب {الْمُؤْمِنِينَ} المصدقين بالله تعالى وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} الذين لبوا دعوة الله

تعالى ورسوله للجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم بلقاء قريش ومحاربتهم بعد أحد مباشرة { مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ } من بعد هزيمتهم في أحد وقتل منهم سبعين رجلاً منهم حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم أسد الله حيث قتله وحشي الحبشي. قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن عكرمة قال: لما رجع المشركون عن أحد قالوا: لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم بثس ما صنعتم ارجعوا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد - أو بئر أبي عيينة - الشك من سفيان - فقال المشركون: نرجع من قابل فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت تعد غزوة ، فأنزل الله تعالى: " الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ " [وروى ابن مردويه من حديث محمد بن منصور عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن عكرمة عن ابن عباس فذكره - ابن كثير ج ١ ص ٤٢٨]. وقال محمد ابن إسحاق: كان يوم أحد يوم السبت النصف من شوال ، فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو ، وأذن مؤذنه أن لا يخرجنا معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس ، فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال يا رسول الله إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال: يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي فتخلف على أخواتك فتخلفت عليهن ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه ، وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهباً للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم

يوهنهم عن عدوهم. [ابن كثير ج ١ ص ٤٢٨]. {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا} للذين جاهدوا وأخلصوا النية في سبيل الله {مِنْهُمْ} من المؤمنين الذين حضروا يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم {وَاتَّقُوا} وخافوا الله والتزموا بأوامر الله ورسوله {أَجْرٌ عَظِيمٌ} ثواب عظيم وهو الجنة {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ} وهم المؤمنون أي وصلتهم أخبار عن أبي سفيان بأنه ينوي العودة للقتال بعد يوم واحد من أحد لاستئصال المسلمين وقتلهم عن آخرهم {إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ} إن أبا سفيان ورجالات قريش قد جمعوا لكم أمرهم للعودة ثانية لملاحقتكم وقتلكم {فَأَخَشَوْهُمْ} فخافوهم وخذوا حذرهم منهم {فَزَادَهُمْ إِيمَانًا} فزاد المؤمنين ذلك القول والتهديد إيماناً وتصميماً على مواجعتهم وقتالهم وجهادهم {وَقَالُوا} وقال المؤمنون {حَسْبُنَا اللَّهُ} كافينا الله وسيمنعنا شرهم وغدرهم وكيدهم وقتالهم {وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} ونعم النصير وأحسن ما نعتمد عليه ونلتجئ إليه {فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ} فرجعوا بخير من الله تعالى وهي نعمة التخويف للعدو ونعمة النصر وقوة الردع والغنيمة في التجارة والربح الوفير من هذه الغزوة {وَفَضْلٍ} والفضل هو الربح الوفير في هذه الغزوة {لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ} لم يصبهم شر أو أذى في خروجهم لملاقاة الكفار {وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ} واتبعوا وأطاعوا أمر الله ورسوله بالخروج للجهاد وملاقاة أبي سفيان {وَأَلَّهِ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {ذُو فَضْلٍ} ذو فضل وكرم على المسلمين بأن أربهم عدوهم وجعل كيدهم في نحورهم ورد اعتبارهم في هزيمة أحد وقوى شوكتهم وهم مثقلون بالجراح والهزيمة وكافأهم بالتجارة والربح وبثواب {عَظِيمٍ} كبير. وقال البخاري: حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها " الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ " الآية. قالت

لعروة: يا ابن أختي كان أبوك منهم الزبير وأبو بكر رضي الله عنهما لما أصاب نبي الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا فقال: (من يرجع في أثرهم) فانتدب منهم سبعون رجلاً فيهم أبو بكر والزبير. [هكذا رواه البخاري منفرداً به بهذا السياق ، وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن الأصم عن أبي العباس الدوري عن أبي النضر عن أبي سعيد المؤدب عن هشام بن عروة به ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه كذا قال - ابن كثير ج ١ ص ٤٢٩]. {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ} إنما ذلك هو الشيطان الذي يجري منكم جري الدم في العروق {سُخَّوْفٌ أَوْلِيَاءُهُ} يخوف أتباعه ممن يطيعونه ويسيروا في ركبه في المعاصي والذنوب والآثام {فَلَا تَخَافُوهُمْ} فلا تخافوا أيها المسلمون أولئك العصاة من الناس {وَخَافُونَ} وخافوا الله تعالى وحده ولا تخشوا غيره {إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} إن كنتم مصدقين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿ وَلَا تَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّهِمْ خَيْرًا لِأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمَلِّهِمْ هُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَجَتَّىٰ مِنْ رُسُلِهِ ۚ مَنْ يَشَاءُ ۗ فَكَاْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ۗ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ ۗ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ ۗ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾

{ وَلَا تَحْزَنْكَ } ولا يضايقك ولا يغضبك ولا يصيبك هم ولا غم ولا حزن { الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ } الذين يتخذون الكفر طريقاً وعبادةً ولا يتوانون في الكفر { إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا } إن هؤلاء الكفار لا يضررون الله تعالى بشيء في كفرهم فلا يضره ولا يؤذوه لا من قريب ولا من بعيد { يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا } ويريد الله تعالى بكفرهم هذا ألا يجعل لهم نصيباً { فِي الْآخِرَةِ } في يوم القيامة من دخول الجنة ولا يشمون ريحها { وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } ولهم في نار جهنم يوم القيامة عذاب كبير وشديد كما قال تعالى: " سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ " { إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ } إن من ترك الإيمان واشترى الكفر بدلاً منه وبدلوا الكفر بالإيمان وترك الإيمان خلف ظهره ، والشراء للكفر هو بدفع أمواله في عمل الأصنام وفي الفاحشة والزنا وشرب الخمر ولعب القمار وفي معاداة وحرب الرسول

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحرب المسلمين {لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا} لن يضروا الله تعالى بكفرهم شيئاً ولن يستطيعوا إيذائه {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ولهم عذاب موجه وشديد وقاس يوم القيامة في نار جهنم {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} ولا يظن ولا يفتر الكفار وهم من كفر وكذب ولم يصدق ولم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {أَنَّمَا نُمِّلِي هُمَّ} نمد لهم ونترك لهم الحبل على الغارب ونستدرجهم بعدم الانتقام منهم فوراً {خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ} لا يظنوا أنهم بذلك الاستدراج أنهم على الحق أو هو خير لأنفسهم {إِنَّمَا نُمِّلِي هُمَّ} إنما نمد لهم وإنما نؤخرهم ونستدرجهم {لِيَزِدَادُوا ذَنْبًا وَمَعْصِيَةً} وكثرة لذنوبهم حتى تكون حجة عليهم {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ} ولهم يوم القيامة عذاب ذليل ومخزي وقاس وأليم وشديد على كفرهم وزيادة ذنوبهم ومعاصيهم {مَا كَانَ اللَّهُ} لم يكن الله تعالى {لِيَذَرَ} ليترك {الْمُؤْمِنِينَ} وهم من آمن وصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ} على حالكم هذا بدون اختبار وامتحان لكم {حَتَّىٰ يَمِيزَ} حتى يُمَيِّزَ وَيُفَرِّقَ {الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} الطالح من الصالح الخبيث وهو المنافق والظالم والفاسد والعاصي من الطيب وهو المؤمن حقاً وصدقاً وهو الرجل الصالح. ومثلاً على ذلك الخبيث والمنافق هو عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين عندما رجع مع أصحابه وأتباعه في منتصف الطريق إلى أحد وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه يذهبون لملاقاة العدو وحدهم بعد أن خذلهم وعاد بثلاث الجيش ولم يحارب معهم في أحد والطيب هم المؤمنون الذين جاهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحد {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ} ولولا ذلك ورجوع عبد الله بن أبي بن سلول ومعه ثلاث الجيش لما علمتم

بنفاقهم ولها معنى آخر لم يكن الله تعالى يطلعكم على غيبه فهي صفة له إلا إذا أراد لكم ذلك ومعرفته كما قال تعالى: " وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ " {وَلَكِنَّ اللَّهَ تَجَتَّىٰ مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ} ولكن الله تعالى يختار لكم من بين رسله رسولاً إليكم هو الذي يبلغكم رسالة ربكم وينصح لكم ويبلغكم عن غيبه وجنته وناره ويوم القيامة وعن الحساب والعقاب والثواب فهو يختار لكم من رسله ما يشاء فاختار لكم رسولاً ونبياً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {فَعَامِنُوا بِاللَّهِ} فصدقوا وآمنوا بالله تعالى رباً وخالقاً ورازقاً ومحياً ومميتاً {وَرُسُلِهِ} وآمنوا وصدقوا برسله جميعهم من آدم عليه السلام إلى عيسى ابن مريم عليهما السلام وما بينهم من الرسل فكلهم أنبياء ورسول الله تعالى {وَإِن تُؤْمِنُوا} وإن تصدقوا بالله رباً وبملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَتَتَّقُوا} وإن تعبدوا الله وتتقوه وتخافوه وتطيعوه وتجتنبوا محارمه ونواهيه {فَلَكُمْ} فلکم أيها المؤمنون {أَجْرٌ} ثواب {عَظِيمٌ} كبير جداً وكثير وهو الجنة {وَلَا تَحْسَبَنَّ} ولا يظن {الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} وهم مانعو الزكاة والصدقات للفقراء والمحتاجين من أموالهم التي أعطاهم ووهبها لهم الله تعالى وما رزقهم من أموال وثمار وغير ذلك. والبخل هو عدم الإنفاق وشحه على نفسه وعلى غيره {هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ} هو فائدة لهم {بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ} بل هو مصيبة وعذاب عليهم بسبب كنزه وتكديسه وعدم إخراج زكاته وصدقاته {سَيُطَوَّقُونَ مَا نَحَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} سيطوقون به من نار جهنم يوم القيامة ويمثل لهم شجاع أقرع أي ثعبان ضخم أقرع وهو شديد السم يلدغهم إلى يوم القيامة وفي يوم القيامة في نار جهنم يطوقون بمالهم يحمى عليهم. قال البخاري: حدثنا عبد الله بن منير سمع أبا النضر حدثنا عبد الرحمن هو ابن عبد

الله ابن دينار عن أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - يقول: أنا مالك أنا كنزك) ثم تلا هذه الآية " وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ " إلى آخر الآية. [تفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه - ابن كثير ج ١ ص ٤٣٢]. {وَلِلَّهِ} ولله تعالى {مِيرَاثٌ} ملك وحكم {السَّمَوَاتِ} السموات السبع وما فيهن من الملائكة وما فيهن من شمس وقمر ونجوم وكواكب {وَالْأَرْضِ} ولله تعالى ملك وميراث وحكم الأرض وما فيها من مخلوقات وجمادات وحيوانات ونباتات وأشجار وجبال وسهول وبحار وأنهار وكل ما فيها من الجن والإنس {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِمَا تَعْمَلُونَ} بما تفعلون {خَبِيرٌ} عليم ويطلع ويدري ويعرف ومن الأزل ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿١٨٣﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ ﴿١٨٤﴾

{ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا } قد سمع الله حديث وقول اليهود وهم الذين قالوا وتكلموا وتحدثوا { إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ } إن الله تعالى فقير معدم لا يوجد عنده مال ولا رزق لأنه يطلب منهم الزكاة والصدقات لقوله تعالى: " مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً " ٢٤٥ البقرة. { وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ } ونحن اليهود أغنياء حيث يطلب منا الزكاة والصدقات وحيث أنهم يأخذون الربا على أموالهم ولا يخرجون الصدقات ولا زكاة ولذلك أموالهم كثيرة لأنهم يكنزون الذهب والأموال من الربا وخلافه والخمور وغيرها { سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا } سنسجل عليهم قولهم وسيكتبها عليهم الحفظة التي مع كل منهم { وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ } وكان اليهود يقتلون كل نبي ينصحهم ويعظهم. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو الزبير الحسن بن علي بن مسلم النيسابوري نزيل مكة حدثني أبو حفص عمر ابن حفص يعني ابن ثابت بن زرارة الأنصاري حدثنا محمد بن حمزة حدثنا أبو الحسن مولى لبني أسد عن مكحول عن أبي قبيصة بن ذئب الخزاعي عن أبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة ؟ قال: (رجل قتل نبياً أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر) ثم قرأ رسول

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " ٢١ آل عمران. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا عبيدة قَتَلْتِ بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلاً من بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوه عن المنكر فقتلوه جميعاً من آخر النهار من ذلك اليوم. فهم الذين ذكر الله عز وجل. [وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عبيد الوصابي محمد بن حفص عن ابن حمير عن أبي الحسن مولى بني أسد عن مكحول به - ابن كثير ج ١ ص ٣٥٥]. {وَتَقُولُ} ويقول الله تعالى لليهود يوم القيامة {ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} ذوقوا وخذوا ويل العذاب في نار جهنم حيث تحرق أجسامهم {ذَلِكَ} وسبب ذلك العذاب هو {بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ} بما عملت أيديكم في الدنيا من المعاصي والذنوب والكفر والقتل للأنبياء وقولكم زوراً وبهتاناً إن الله فقير {وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} وأن الله تعالى لا يظلم عبداً ولكن يأخذه بالذنب الذي عمله وارتكبه. وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد عن محمد بن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال: دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس فوجد من يهود ناساً كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم وأخبارهم ومعه حبر يقال له أشيع فقال له أبو بكر: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسولٌ من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل. فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإننا عنه لأغنياء ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطينا ، ولو كان غنياً ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر رضي الله عنه ،

فضرب وجهه فنحاص ضرباً شديداً وقال: والذي نفسي بيده لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر) فقال: يا رسول الله إن عدو الله قال قولاً عظيماً ، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه ، فجدد فنحاص ذلك وقال: ما قلت ذلك ، فأنزل الله فيما قال فنحاص " لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ " الآية. [ابن كثير ج ١ ص ٤٣٤]. {الَّذِينَ قَالُوا} وهم اليهود قالوا {إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا} إن الله تعالى أبلغنا وأثبت في كتابنا التوراة {أَلَا نُؤْمِنُ} ألا نصدق {لِرَسُولٍ} لنبي ورسول {حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ} حتى يحضر قرباناً فتنزل النار عليه تأخذه وتحرقه وذلك أسوة بقربان هابيل عندما تقبله الله تعالى منه ونزلت نار من السماء وأخذته وهو كبش إسماعيل عليه السلام الذي فداه الله تعالى به عندما أمر الله إبراهيم عليه السلام في الرؤيا بذبح إسماعيل {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي} قد بعث الله تعالى إليكم قبلي فيما مضى رسلاً وأنبياء سابقين في الأمم الماضية {بِالْبَيِّنَاتِ} بالدلائل والحجج والبراهين والمعجزات {وَبِالَّذِي قُلْتُمْ} وبما قلتم حيث كانت تنزل النار وتأخذ القرابين فيما مضى {فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ} فلماذا قتلتموهم وكذبتموهم ولم تصدقوهم {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إن كنتم بقولكم هذا صادقين أنكم تطلبون معجزة لتصدقوا بها ولكنها نزلت سابقاً ولم تصدقوا بها {فَإِنْ كَذَّبُوكَ} فإن كذبوك يا محمد يا رسول الله ولم يصدقوك

{فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ} فهذا هو سلوكهم وديدنهم في تكذيب جميع الرسل الذين جاءوا قبلك لم يصدقوهم وكذبوهم {جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ} جاءوا لهم بالدلائل والحجج والبراهين والمعجزات {وَالزُّبُرِ} وهي الكتب السماوية ومفردتها زبور مثل زبور داود عليه الصلاة والسلام {وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} وهو القرآن العظيم والكريم ذو الضياء والإشراق والنور يضيء وينير مثل شعاع الشمس للناس ولكنهم صم بكم عمي لا يبصرون الحقيقة ولا الحق ولا الصواب ولا العدل ولا الهدى.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾

﴿لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۖ وَإِن تَصَّبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ۚ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ۖ ثُمَّ قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُتُوا وَتُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} أي كل نفس في الأرض والسماء فهي نفس وكلهم سيموتون وقيل لما نزل قوله تعالى: "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ" ٢٦ الرحمن. قالت الملائكة لسنا نحن المقصودين بل أهل الأرض فقط فلما نزل قوله تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" علمت الملائكة وتيقنت بالموت لجميع الملائكة بما فيهم حملة العرش وجبريل وميكائيل وإسرافيل وآخرهم ملك الموت عزرائيل

يقبض روح نفسه ولا يبقى إلا الله تعالى كما قال تعالى: " وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ " ٢٧ الرحمن. وفي حديث الصور المطول بعد أن يموت حملة العرش وجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عزرائيل ولم يبق أحد إلا مات يقول الله تعالى: " لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ " فلا يجيبه أحد فيجيب سبحانه وتعالى نفسه فيقول: " لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ " {وَأِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ} وإنما تعطون أجوركم {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} في يوم القيامة وفي المحشر يحاسب الله تعالى كلاً على عمله فالمؤمن يؤجر ويثاب على عمله الصالح ويدخل الجنة ، والكافر يعاقب ويعذب على عمله السيئ وعلى المعاصي والكفر التي ارتكبها بدخول النار يوم القيامة. وعن معاذ ابن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معاذ إن المرء يُسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه وعن فتات الطينة بأصبعه فلا ألفينك يوم القيامة وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٥٩]. وروى أبو ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان فقال: (يا أبا ذر أتدري فيما ينتطحان؟) فقلت: لا. قال: (ولكن الله يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة) [ابن كثير ج ٤ ص ٥٢ - مكاشفة القلوب ص ١٢٨]. {فَمَنْ زُحِّحَ عَنِ النَّارِ} فمن أبعاد عن النار مقدار شبر {وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ} ودخل الجنة ونعيمها المقيم {فَقَدَّ فَازَ} فقد فاز بالجنة ونعيمها ونجا من عذاب النار. روى الإمام أحمد من حديث سعد بن مجاهد الطائي عن أبي المدله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال: (لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها) (طينها) المسك وحبهاؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه). [رواه ابن عمر مرفوعاً نحوه - ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٠] {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} وما العيش في

الدنيا لقصر البقاء فيها {إِلَّا مَتَّعُ الْغُرُورِ} إلا متعة زائلة وقليلة لا يُغرر بهما إلا مغرور. روى الإمام أحمد: حدثنا حسين حدثنا رويد عن أبي إسحاق عن زرعة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٣].

والدنيا سميت دنيا لدناءتها ولدنو منزلتها بالنسبة للآخرة {لَتُبْلَوُنَّ} لتمتحنن وتصيبكم مصيبة {فِي أَمْوَالِكُمْ} تضيع وتخسر وتذهب بكثرة الإنفاق {وَأَنْفُسِكُمْ} وتُصابون في أنفسكم بالمرض والموت {وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ} من اليهود وهم أصحاب كتاب التوراة التي جاءت قبلكم ونزلت على موسى عليه السلام لليهود {وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا} ومن المشركين وهم مشركو قريش وهم الذين يعبدون الأصنام {أَذَى كَثِيرًا} يؤذوكم بالكلام الجارح واللاذع والسموم من تكذيب الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والعيب على الإسلام وعلى أهله ويضيقوا عليكم المعيشة وغير ذلك من الأذى {وَإِنْ تَصَبَرُوا} وإن تصبروا وتجالدوا أنفسكم على أذاهم {وَتَتَّقُوا} وتتقوا الله تعالى وتعبدوه وتخافوه وتطيعوه في أوامره ونواهيه {فَإِنَّ ذَلِكَ} فإن ذلك الصبر والجلد على أذى الكفار {مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} من ثبات الأمور وقوة العزيمة والإرادة {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ} وإذ أخذ الله تعالى {مِيثَاقَ} عهد {الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} من أحبار ورهبان اليهود والنصارى حيث نزلت التوراة على موسى عليه السلام لليهود ونزل الإنجيل على عيسى عليه السلام للنصارى {لَتُبَيِّنَنَّهٗ لِلنَّاسِ} تبينن ما في الكتاب من صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسمه {وَلَا تَكْتُمُونَهُ} ولا تكتُمون صفته ولا اسمه ولا رسالته {فَتَبَدُّوهُ} فتركوه وجعلوه {وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} أي كذبوه ولم يأخذوا به ولا

بأحكامه ولا بما جاء فيه من صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَأَشْتَرُوا بِهِءٍ} واشتري اليهود بما جاء في كتبهم من صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته {ثُمَّ نَأْتِيهِمْ بِنُورٍ كَرِيمٍ} وهو شراء الدنيا بدلاً من الآخرة وأرادوا القيادة والرئاسة {فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} فقبح ما اشتروا به الدنيا بدلاً من الآخرة لأن متاع الدنيا قليل {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا} لا تظن يا محمد يا رسول الله بأن اليهود الذين فرحوا بما أتوا من التوراة بدلاً من القرآن الكريم {وَيُحِبُّونَ أَنْ تُمِدُّوا بِهِمْ} بما لم يفعلوا ويحبون أن يحمدا على كتابهم التوراة ولم يفعلوا ولم يعملوا ما جاء بها وهي آية عامة بعد ذلك لمن يحب أن يحمدا على شيء لم يفعله ويأخذ عمل غيره {فَلَا تَحْسَبَنَّ لَهُمْ} فلا تظنهم {بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ} بنجاة من العذاب يوم القيامة {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ولهؤلاء عذاب أليم موجه وشديد وقاس في نار جهنم يوم القيامة كما جاء في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من ادعى دعوة كاذبة ليتكثر بها لم تزد من الله إلا قلة). [ابن كثير ج ١ ص ٤٣٦]. وقال ابن عباس عن هذه الآية سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فخرجوا قد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ما سألهم عنه. [وهكذا رواه البخاري في التفسير و مسلم والترمذي والنسائي في تفسيريهما - ابن كثير ج ١ ص ٤٣٦]. {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} والله تعالى وحده ميراث وحكم السموات والأرض وما فيهما {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه قادر على عمل كل شيء فقله للشيء كن فيكون وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث قدسي فيه: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم

وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما يُنقص المخيط إذا غمس في البحر) وزاد الترمذي وغيره: (وذلك بأني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام وإذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون). [سبل السلام ج ٤ ص ١٧٦].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٢﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَحْزَيْتَهُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿١٣﴾ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٤﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٥﴾﴾

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ} يأمر سبحانه وتعالى المؤمنين بالتفكر في خلق السموات السبع بغير عمد ترونها وما فيها من الملائكة الأعلى من الملائكة ومن الشمس والقمر والنجوم وزينة الكواكب كما قال تعالى: "إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ {٦} وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ {٧}" ٧، ٦ الصافات. وجعل الله السماء بدون فروع ولا شقوق وبدون أعمدة ترونها وهي سبع سماوات طباقاً كما قال تعالى: "الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَؤُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ {٣} ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ {٤} وَلَقَدْ زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ {٥}" ٥-٣ الملك. {وَالْأَرْضِ} والأرض وجبالها وسهولها ووديانها وأنهارها

وبحارها وحيثانها وحيواناتها وطيورها وإنسها وجننها ووحوشها ومخلوقاتها
 {وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} ودوران وتعاقب الليل والنهار فالنهار يضيء بالشمس
 والليل ذو ظلام دامس {لَأَيَّتِ} لمعجزات وحجج ودلائل واضحات وبينات على
 عظيم خلق الله تعالى وقدرته فهو الإله والرب والخالق للسموات والأرض واختلاف
 والليل والنهار وهي معجزات على ربوبيته {لَأُولَى الْأَلْبَابِ} لأصحاب العقول
 الذكية واللببية والعاقلة وهم أصحاب الإدراك والفهم والعقول السليمة وأصحاب
 العلم والتروي {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ} الذين يوحدون الله تعالى ويرددون اسماً من
 أسماء الله تعالى {قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ} سواءً في الصلاة وهم وقوف أو قعود
 من مرض وعلى جنوبهم كذلك أو يذكرون الله على جميع أحيانهم (قياماً) وهم
 وقوف في عملهم أو في سيرهم وسفرهم أو في قتالهم للأعداء (وقعوداً) وهم جلوس في
 مجالسهم وفي حلقات الذكر (وعلى جنوبهم) وهم مضطجعون في راحتهم على
 فرشهم ووسائدهم أو في مرضهم.

والذكر هو توحيد وإقرار واعتراف بالوحدانية وترديد اسم من أسماء الله تعالى
 والدوام عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ: (يقول الله تعالى: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه) أخرجه ابن
 ماجه وصححه ابن حبان وذكره البخاري تعليقاً وهو في البخاري بلفظ قال النبي
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا
 ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير
 منه وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً
 وإن أتاني يمشي أتيته هرولة). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وعن معاذ بن جبل
 قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من

عذاب الله من ذكر الله). [أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد حسن - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما جلس قوم مجلساً يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده) أخرجه مسلم وأخرج البخاري: (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وأخرج الترمذي والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم من حديث جابر مرفوعاً: (أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد والإخلاص وهي اسم الله الأعظم). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٦]. وقالت عائشة رضي الله عنها: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه). [رواه البخاري ج ١ ص ١٦٣].

ومن هذه الأحاديث التي ذكرت آنفاً بأن الذكر هو غير الصلاة كما قال تعالى: " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ١٠ الجمعة. وقال تعالى: " رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ " ٣٧ النور. وقال تعالى: " الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ " ٢٨ الرعد. وقال تعالى: " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ " ١٠٣ النساء. وقال تعالى: " وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا " ٣٥ الأحزاب. وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا " ٤١، ٤٢ الأحزاب.

{وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ} وينفكر أولي الأبواب في خلق السماوات السبع وارتفاعها وبدون أعمدة ترونها وما فيها من شمس تسير من المشرق إلى المغرب في يوم واحد ونجوم وكواكب وقمر يبدأ هلالاً ثم بدرًا ثم محاقًا {وَالْأَرْضِ} ويتفكرون في الأرض كيف بسطها الله تعالى وجعل فيها البحار والأنهار والجبال والسهول والوديان والنباتات والأشجار والفواكه والحيوانات والطيور والإنس والجان {رَبَّنَا} ربنا وإلهنا ومعبودنا وخالقنا ورازقنا {مَا خَلَقْتَ} لم تخلق {هَذَا} هذا الكون كله وما فيه {بَطِلًا} عبثاً ولهواً بل لحكمة تعلمها {سُبْحَانَكَ} تنزيهاً لك وتقديساً في ملكك وسلطانك وخلقك وأمرك وقدرتك {فَقِنَا} فاحمنا واصرف وابعد عنا {عَذَابِ النَّارِ} عذاب نار جهنم يوم القيامة وكما قال تعالى: " وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ " ٢٧ ص.

{رَبَّنَا} ربنا ورب كل شيء وإلهنا وخالقنا ورازقنا {إِنَّكَ} إنك أنت الله جل جلالك وعظم قدرك وعلا شأنك {مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ} من تدخله النار يوم القيامة وتعذبه فيها {فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ} فقد فضحته وأذلته وحقرته وأهنته بين الخلق {وَمَا لِلظَّالِمِينَ} وليس للباغين والمفسدين والكفار والمشركين كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة وكما قال تعالى: " إِنَّ الشَّرَّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان.

{مِنْ أَنْصَارٍ} من ناصرين ولا مساعدين ولا منقذين ولا من حلفاء ينصرونهم ويمنعونهم عذاب الله تعالى يوم القيامة {رَبَّنَا} ربنا وإلهنا وخالقنا ورازقنا ورب كل شيء ومليكه {إِنَّا} إننا نحن المسلمين {سَمِعْنَا مُنَادِيًا} سمعنا صوت الداعي {يُنَادِي لِلْإِيمَانِ} يدعو الناس للإسلام والإيمان وهو سيدنا محمد صلى الله عليه

وسلم نبي الله ورسوله ينادي {أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ} أن آمنوا وصدقوا بربكم الله تعالى واعبدوه وحده لا شريك له {فَعَامِنَا} فآمننا وصدقنا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {رَبَّنَا} ربنا وإلهنا وخالقنا {فَاغْفِرْ لَنَا} اغفر واعف وتجاوز لنا نحن المسلمين عن {ذُنُوبِنَا} عن معاصينا وعن الذنوب التي ارتكبناها {وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا} وامح واعف وتجاوز عما ارتكبنا من سيئات في الماضي {وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} وامتنا وألحقنا بالصالحين الأبرار الذين بروا بدينهم وإيمانهم وأخلصوا العبادة لله تعالى وحده لا شريك له {رَبَّنَا} ربنا وإلهنا وخالقنا {وَأَيُّنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ} وأعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك وهي الجنة {وَلَا تُخْزِنَا} ولا تذلنا ولا تفضحنا بين خلقك {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} يوم تقوم الساعة ويوم نقف في المحشر للحساب {إِنَّكَ} إنك يا الله {لَا تُخَلِّفُ الْمِيعَادَ} لا تغيره ولا تبدله ولا تؤخره. قال البخاري: حدثنا سعيد بن مريم حدثنا محمد بن جعفر أخبرني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بت عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال " إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ " الآيات ثم قام فتوضأ واستن ثم صلى إحدى عشرة ركعة ثم أذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح). [وهكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن إسحاق الصنعاني عن أبي مريم به - ابن كثير ج ١ ص ٤٣٩].

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ۖ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١١٥﴾ لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١١٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ ﴿١١٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٢٠﴾

{ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ } فاستجاب الله تعالى للمؤمنين دعاءهم وكما قال تعالى: " ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ " ٦٠ غافر. { أَنِّي } أني أنا الله رب العالمين { لَا أُضِيعُ } لا أذهب سدى { عَمَلٍ } فعل { عَمَلٍ } ثواب من يعمل الصالحات والطاعات في مرضات الله تعالى { مِّنْكُمْ } منكم أيها المسلمون { مِّنْ ذَكَرٍ } سواء كان ذكراً رجلاً { أَوْ أُنْثَىٰ } أو امرأة { بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ } أنتم ذرية تتكاثر وتتوالد مؤمن من مؤمن فالجد والأب مؤمن والجددة والأم مؤمنة فيولد الولد مؤمناً وكذلك يولد الذكر من الأنثى والأنثى تولد من الذكر. وكما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ۗ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ " ٣٣، ٣٤ آل عمران. أي كسلالة الخيل العربية الأصيلة وكما يقال هذا الشبل من

ذاك الأسد {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا} وهم المهاجرون مع النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة {وَأُخْرِجُوا} وطُردوا {مِنْ دِيَارِهِمْ} من دورهم ومساكنهم وأوطانهم {وَأُودُوا} وعُذبوا {فِي سَبِيلِي} في عبادتي ومرضاتي وفي طاعتي {وَقَاتَلُوا} وجاهدوا الأعداء والكفار لتكون كلمة الله هي العليا {وَقَاتَلُوا} وماتوا واستشهدوا في الجهاد ومنازلة الأعداء والكفار {لَا تُكْفِرَنَّ} لَأَمْحُونَ {عَنِّي} عن المجاهدين في سبيل الله {سَيِّئَاتِهِمْ} ذنوبهم ومعاصيهم وما ارتكبوا من سيئات سابقة {وَلَا دَخَلْنَهُمْ} جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ {وسيدخلهم الله تعالى برحمته مكافأة لهم الجنة يوم القيامة وتجري الأنهار خلالها ومن تحت أشجارها وقصورها {ثَوَابًا} جزاءً ومكافأةً {مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} من الله تعالى للمؤمنين {وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ} والله تعالى عنده يوم القيامة أفضل الثواب والجزاء لمن عبده وأطاعه وجاهد في سبيله {لَا يَغْرَنَكَ} لا يغريك ولا يعجبك ولا يبهرك {تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا} فِي الْبِلَادِ {تمتع الكفار في النعيم والبذخ والترف في بلادهم أو البلاد التي حلوا فيها {مَتَعٌ قَلِيلٌ} هذا المتاع هو متاع الدنيا فقط وهو قليل بالنسبة إلى ثواب الآخرة {ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} ثم يوم القيامة مصيرهم إلى نار جهنم وعذابها {وَبِئْسَ وَقِح {الْمِهَادُ} المكان والملجأ والمآل {لِكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ} ولكن الذين عبدوا ربهم وأطاعوه وخافوه واجتنبوا محارمه ونواهيهِ {هُمَّ جَنَّاتٌ} لهؤلاء المؤمنين يوم القيامة جنات يسرحون ويمرحون فيها مكافأة لهم {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري خلالها ومن تحت أشجارها وقصورها أنهار الجنة {خَالِدِينَ فِيهَا} دائمين فيها {نُزُلًا} منزلاً وفضلاً وكرماً {مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} من الله تعالى لهم {وَمَا

عِنْدَ اللَّهِ { وما عند الله من النعيم في الجنة يوم القيامة } { خَيْرٌ } أفضل وأحسن
{ لِلْأَبْرَارِ } للصالحين المتقين الذين بروا عبادتهم وطاعتهم وأخلصوا فيها لله تعالى
وبروا بوالديهم وأخلصوا في الطاعات وعمل الخير في مرضات الله تعالى. وقال ابن
مردويه: حدثنا أحمد بن نصر حدثنا أبو طاهر سهل بن عبد الله أنبأنا هشام ابن
عمار أنبأنا سعيد أنبأنا يحيى أنبأنا عبد الله بن الوليد الرصافي عن محارب ابن
دثار عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما
سموا الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء كما أن لوالديك عليك حقاً كذا لولدك عليك
حق) [كذا رواه ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو ابن العاص مرفوعاً - ابن كثير
ج ١ ص ٤٤٢]. { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } وإن من أهل الكتاب كتاب التوراة
وكتاب الإنجيل من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام وأبي بن كعب ووهب
بن منبه والنجاشي وغيرهم { لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ } منهم من يؤمن ويصدق بالله رباً
{ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ } ويؤمنون ويصدقون بالقرآن الكريم الذي أنزل إليكم أيها
المسلمون على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ } ويؤمنون
ويصدقون بما أنزل إليهم من الكتب السماوية المنزلة على رسلهم التوراة والإنجيل
والزبور { خَشِعِينَ لِلَّهِ } عابدين خائفين طائعين لله تعالى فلا يعصونه أبداً { لَا
يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا } لا يشترون الدنيا بالآخرة ولا يشترون آيات الله من
القرآن الكريم مقابل ثمن بخس قليل متاع الدنيا حتى ينكروا اسم وصفة سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاءت صفته في التوراة والإنجيل أي لا يبيعون
آخرتهم بدنياهم بعد أن عرفوا الحق في كتبهم السماوية من وصفة سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم { أُولَئِكَ } هؤلاء الذين آمنوا من أهل الكتاب برسالة سيدنا محمد

صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الكريم {لَهُمْ أَجْرُهُمْ} لهم ثوابهم {عِنْدَ رَبِّهِمْ} عند الله تعالى يوم القيامة وهو دخول الجنة {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {سَرِيعُ الْحِسَابِ} سريع الانتقام من الكفار وسريع الثواب للمؤمنين {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم وصدقتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {أَصْبِرُوا} تحملوا أذى الكفار وأهل الكتاب {وَصَابِرُوا} وجالدوا وتحملوا المشقة والأذى والآلام والعذاب في سبيل الله تعالى وفي عبادته وطاعته ومرضاته {وَرَابِطُوا} وعسكروا على ثغور المسلمين وامنعوا العدو من الاقتراب منها {وَاتَّقُوا اللَّهَ} واعبدوا الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وأطيعوه وخافوه واجتنبوا محارمه ونواهيه {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} لعلكم تفوزون بالجنة ونعيمها يوم القيامة. وروى ابن أبي حاتم ههنا الحديث الذي رواه مسلم والنسائي من حديث مالك بن أنس عن العلاء بن عبد الرحمن عن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط). [ابن كثير ج ١ ص ٤٤٤]. وقال ابن مردويه: حدثنا محمد ابن أحمد حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا أبو جحيفة علي بن يزيد الكوفي أنبأنا ابن أبي كريمة عن محمد بن يزيد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال أقبل عليّ أبو هريرة يوماً فقال أتدري يا ابن أخي فيم نزلت هذه الآية " اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " قلت لا. قال أما إنه لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابطون فيه ، ولكنها نزلت في قوم يعمرن المساجد ويصلون الصلاة في مواقيتها ثم يذكرون الله فيها فعليهم أنزلت " اصْبِرُوا " أي على

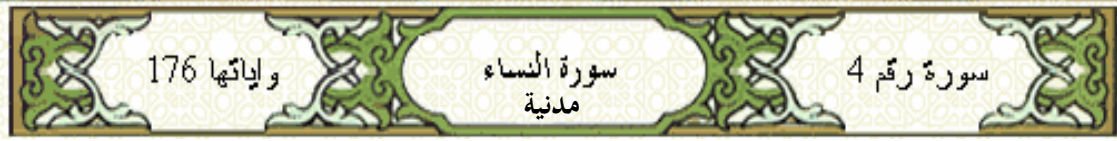
الصلوات الخمس " وَصَابِرُوا " أنفسكم وهو اكم " وَرَابِطُوا " في مساجدكم " وَاتَّقُوا اللَّهَ " فيما عليكم " لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " [وهكذا رواه الحاكم في مستدرکه من طريق سعيد بن منصور بن المبارك عن مصعب بن ثابت عن داود بن صالح عن أبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه - ابن كثير ج ١ ص ٤٤٤].

قال الإمام أحمد حدثنا أبو نعیم حدثنا بشر بن مهاجر حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول: (تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة) قال ثم سكت ساعة ثم قال: (تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف وإن القرآن يلقي صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك فيقول أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والداه حلتان لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان بما كسينا هذا فيقال بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلاً). [ابن كثير ج ١ ص ٣٣].

وسبب نزول سورة آل عمران أن صدرها إلى ثلاث وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة. [ابن كثير ج ١ ص ٣٤٣].

ونذكر هنا فائدة آية " حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " قال البخاري: (حدثنا أحمد ابن يونس قال أراه قال حدثنا أبو بكر عن أبي حصين عن أبي الضحى عن ابن عباس " حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ " قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها

محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل). [ابن كثير ج ١ ص ٤٣٠].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝ ﴾

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ} يا بني آدم جميعاً. والناس مأخوذة من الأنس أي يأنس بعضهم إلى بعض ويستأنس بعضهم ببعض وهم أحد الثقلين الإنس والجن وهم الإنس أي الناس {اتَّقُوا رَبَّكُمُ} اعبدوا الله تعالى ربكم ومعبودكم وإلهكم وخالقكم ورب الخلق والكون كله ورب العالمين ورازقهم جميعاً وأطيعوه وخافوه {الَّذِي خَلَقَكُمْ} الذي خلقكم أيها الناس وأوجدكم من عدم {مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} من نفس آدم عليه الصلاة والسلام {وَخَلَقَ مِنْهَا} وخالق من نفس آدم عليه السلام {زَوْجَهَا} أي زوجته حواء عليها السلام خلقت من ضلع آدم الأيسر وهو نائم فاستيقظ فوجدها عنده. ولما خلق الله حواء عرض على آدم صور المخلوقين ليأنس بشيء منها فأعرض عنها لأنها من غير الجنس فلما نام عرض عليه صورة حواء فمال إليها لأنها من جنسه فلذلك جازت الرؤية قبل العقد في النكاح للوجه والكفين فقط من الحرية أما الأمة فينظر ما عدا بين السرة والركبة ، ثم قال الله تعالى كوني فكانت من ضلعه الأيسر من غير أن يجد ألماً ولولا ذلك لم يعطف رجل على زوجته ثم أمرها بالتقدم إلى آدم وقال لها قد زوجتك مصطفى من خلقي فلما استيقظ آدم وراها غمضت عينيها فصار ذلك عادة في بناتها إذا جُلِّيت العروس غمضت عينيها فقالت الملائكة لآدم أتحبها

قال نعم ثم قالوا لها أتحبينه يا حواء قالت لا وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من المحبة فأراد القرب منها فقبل له حتى تؤدي مهرها قال يا رب قد وهبتها كل شيء في الجنة فقال صداقها أكثر من ذلك قال وما هو قال أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم عشر صلوات. [نزهة المجالس ج ٢ ص ١٨]. وأخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس أن حواء خلقت من ضلع آدم الأقصر الأيسر وهو نائم. [سبل السلام ج ٣ ص ١٣٩]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ وَاسْتَوْصَا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلْعٍ فَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ مِنَ الضِّلْعِ أَعْلَاهُ إِذَا ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرَتْهُ وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا). [متفق عليه واللفظ للبخاري ولمسلم: (فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها - سبل السلام ج ٣ ص ١٣٨]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا محمد بن مقاتل حدثنا وكيع عن أبي هلال عن قتادة عن ابن عباس قال: (خلقت المرأة من الرجل فجعلت نهمتها في الرجل ، وخلق الرجل من الأرض فجعلت نهمته في الأرض فاحبسوا نساءكم). [ابن كثير ج ١ ص ٤٤٨]. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه لأن أعوج ما فيها أعلاها وهو لسانها. [نزهة المجالس ج ١ ص ٢٢٢]. {وَبَشَّ} وملاً ونشر وخلق وأخرج {مِنْهُمَا} من آدم عليه السلام وزوجته حواء عليها السلام {رِجَالًا كَثِيرًا} ذكوراً من الرجال عدداً كثيراً أي ملايين ومليارات {وَنِسَاءً} ومن النساء والحريم والبنات أعداداً كثيرةً كذلك. وتتكاثر الذرية بالزواج من الرجل بالمرأة أي الذكر والأنثى وإلى يوم القيامة {وَاتَّقُوا اللَّهَ} واعبدوا الله تعالى وأطيعوه وخافوه واجتنبوا محارمه ونواهيه

{الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ} الذي تدعون وتطلبون منه حوائجكم ، وكذلك تتساءلون به ويقسم بعضكم على بعض بالله أن يعطيه أو يجيبه في أمر كذا وكذا كما يقال: [بالله عليك أو أقسم عليك] {وَالْأَرْحَامَ} والأرحام معطوفة على واتقوا الله أي واتقوا الأرحام لا تقطعوها وعليكم أن تصلوها. وفي الحديث: (أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته). [أخرجه الترمذي وصححه عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله - ابن كثير ج ١ ص ٢٠]. {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ} كان من الأزل ولا يزال إلى يوم القيامة {عَلَيْكُمْ} عليكم أيها الناس والخلق جميعاً {رَقِيبًا} مراقباً ومشاهداً على جميع أعمالكم وأقوالكم وحركاتكم ولفطاتكم وفي جميع شؤونكم وأحوالكم. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ). [أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ - سبيل السلام ج ٤ ص ١٦٠]. وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ: يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ). [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ - سبيل السلام ج ٤ ص ١٦١].

﴿وَأَتُوا الَّتِي تَمَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الَّتِي تَمَىٰ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ ۚ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٢١﴾﴾ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٢٢﴾﴾

{وَأَتُوا الَّتِي تَمَىٰ} أعطوا اليتامى وأرجعوا إليهم {أَمْوَالَهُمْ} أموالهم وممتلكاتهم وميراثهم بعد بلوغهم سن الرشد وبعد أن تأنسوا منهم رشداً وعقلاً وحسن تصرف في أموالهم {وَلَا تَتَبَدَّلُوا} ولا تُبدلوا ولا تُغيروا ولا تأخذوا منهم ولا تعطوهم {الْخَبِيثَ} الميراث السيئ والمال الحرام {بِالطَّيِّبِ} وتأخذوا منهم ما حَسُنَ من الميراث وطاب أي لا تغيروا مالهم وممتلكاتهم وميراثهم الطيب بأموالكم وممتلكاتكم الخبيثة والسيئة {وَلَا تَأْكُلُوا} ولا تأخذوا ولا تضيفوا {أَمْوَالَهُمْ} أموالهم وممتلكاتهم وميراثهم وتضموه وتضيفوه {إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ} أي تأخذوه إلى أموالكم منهم {إِنَّهُ كَانَ حُوبًا} إنه كان ذنباً وإثماً ومعصيةً {كَبِيرًا} عظيماً لأن أخذه باطل وبدون حق وظلم لليتامى {وَإِنْ خِفْتُمْ} وإن خشيتم {أَلَّا تُقْسِطُوا} ألا تعدلوا {فِي الَّتِي تَمَىٰ} أي بعدم القيام بحسن عشرتهن أو معاملتهن أو جبرهن على الزواج وأخذ جميع أموالهن أو لكرههن لذمامتهن وطمعاً في أموالهن فتزوجوا غيرهن واتركوهن. واليتيم من مات والداه أو أحدهما وهو لم يبلغ الحلم بعد {فَأَنْكِحُوا} فتزوجوا {مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} ما اشتهيتم من النساء الجميلات غيرهن {مَثْنَىٰ} زوجتان {وَوَثُلَاثَ} وثلاث زوجات {وَرُبْعَ} وأربع زوجات كل حسب

إمكانياته المادية والجسدية {فَإِنْ خِفْتُمْ} فإن خشيتم {أَلَّا تَعْدِلُوا} بعدم الاستطاعة والعدل بين الزوجات الأربع في المأكل والملبس والسكنى وفي الإنفاق والرعاية والنوم والجماع {فَوَاحِدَةً} فكفاية واحدة {أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} أو ما كان معكم من الزوجات الحرائر على ألا يزيدن عن أربع (أما بالنسبة للإماء والسرايري ما شئتم بالطريق الشرعي). [ابن كثير ج ١ ص ٤٧٤]. وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل ومحمد بن جعفر قالوا: حدثنا معمر عن الزهري قال ابن جعفر في حديثه أنبأنا ابن شهاب عن سالم عن أبيه أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحتة عشرة نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (اختر منهن أربعاً). [ابن كثير ج ١ ص ٤٥٠]. {ذَلِكَ أَذْنَى} ذلك هو أقل العدد من الزوجات وهو زوجة واحدة وهو قوله " فَوَاحِدَةً " {أَلَّا تَعْدِلُوا} ألا تنفقوا لأن الأربع يحتجن إلى رجل ثري حتى ينفق عليهن أي ألا تجوروا بعدم النفقة والمساواة بين الزوجات {وَأَتُوا النِّسَاءَ} أعطوهن {صَدُقْتِهِنَّ} مهورهن {حِلَّةً} عطية وهبة وفريضة {فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ} فإن أعطيتكم من المهر شيئاً عن طيب خاطر وبنفس طيبة من بعض المهر {مِنْهُ} من المهر والصداق {نَفْسًا} أي عن طيب نفس وخاطر {فَكُلُّوهُ هَنِيئًا} فكلوه بالهناء والسرور والسعادة {مَرِيئًا} شافياً طيباً مباركاً فيه أي كلوه بالهناء والشفاء والعافية. وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ نُكِحْتَ عَلَى صَدَاقٍ أَوْ حِبَاءٍ أَوْ عِدَّةٍ قَبْلَ عِصْمَةِ النِّكَاحِ فَهُوَ لَهَا ، وَمَا كَانَ بَعْدَ عِصْمَةِ النِّكَاحِ فَهُوَ لِمَنْ أُعْطِيَهِ ، وَأَحَقُّ مَا أُكْرِمَ الرَّجُلُ عَلَيْهِ ابْنَتُهُ أَوْ أُخْتُهُ). [رواه أحمد ، والأربعة إلا الترمذي - سبل السلام ج ٣ ص ١٥٠].

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ ﴿٤٦﴾ وَابْتَلُوا الَّتِي تَمَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٤٧﴾

{ وَلَا تُؤْتُوا } ولا تعطوا { السُّفَهَاءَ } وهو الذي يتصرف برعونة وطيش وبدون مسؤولية وسفه وعدم تدارك الأمور بعقلانية بل بسوء تصرف وبدون تفكر في عواقب تصرفه ، وهم على سبيل المثال الذين يسكرون ويلعبون القمار والمنحرفون وأمثالهم والفاسدون والمبذرون { أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا } أموالكم التي تنقسم قسمين قسم أموالكم الخاصة لكم التي فيها قوام معيشتكم ، والقسم الثاني هو أموال اليتامى التي جعلها الله تعالى تحت وصايتكم وتصرفكم كوكلاء وأوصياء عليها فلا تعطوها للأيتام حتى يكبروا ويأخذوها ويرثوها { وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا } وأنفقوا عليهم منها { وَاكْسُوهُمْ } وكذلك اشترروا لهم الملابس التي يحتاجونها { وَقُولُوا لَهُمْ } وقولوا أيها الوكلاء وأيها الأوصياء للأيتام الذين هم تحت رعايتكم ووصايتكم { قَوْلًا مَعْرُوفًا } قولاً طيباً متعارف عليه لتطمينهم وإرضائهم وتعجيلهم بأن أموالهم هي مدخرة لهم وتحت تصرفهم عندما يكبرون وهي حقهم وملكهم وسيتصرفون فيها عندما يكبروا كيف شاءوا { وَابْتَلُوا } وامتحانوا واختبروا { الَّتِي تَمَى } وهم من فقد الوالدين أو أحدهما وخاصة الأب وذلك قبل بلوغ الحلم والرشد وذلك بسؤالهم على سبيل المثال ماذا سيفعلون في أموالهم إن أخذوها { حَتَّى إِذَا بَلَغُوا } عندما

يكبروا ويبلغوا {النِّكَاحُ} وهو بلوغ الحلم وهو خمس عشرة سنة وهذا أقصاه وهو الاحتلام في الليل للغلام وهو نزول وتدفق المنى من ذكره ويكون أبيض جامد ويوجد أثره في الصباح في ثيابه أو سرواله وذلك في نومه فهذه هي علامة أنه لو تزوج تحمّل منه الأنثى ، أما الأنثى علامة النكاح عندها والحمل أي بلوغ سن النكاح هو حيضها أي نزول العادة الشهرية عليها وهو دم لونه أسود داكن له رائحة كريهة وبعضهم تبكي وتتوجع منه ويستمر عليها في المتوسط من يوم إلى ثلاثة أيام وأكثره غالباً إلى سبعة أيام حتى تطهر منه أي يمتنع عنها نزوله وعليها الغسل بعد أن تنظف منه ، وكذلك على الصبي والغلام الذي يحتلم عليه أن يغتسل بالماء إذا وجدته في الصباح في ملابسه وهي علامة بلوغ سن النكاح. ويفرض عندها على الذكر والأنثى بعد الاغتسال فريضة الصلاة والزكاة والصوم والحج ويكتب عليه عمله إن كان خيراً أو شراً من قبل الملائكة الحفظة الذين على كتفه الأيمن والأيسر ويجري عليه القلم بعدها. وحتى إذا بلغوا النكاح هي للذكور والإناث على حد سواء ، وفي هذه السن تفرض عليهم الصلاة والصيام والحج ويكتب عليهم القلم وتسجل عليهم الملائكة الخير والشر ويحاسبوا عليها يوم القيامة من هذه السن ، أما الصغير وهو أقل من ذلك في العمر يرفع عنه القلم ولا يكتب عليه شيء حتى يبلغ الحلم وهو سن النكاح والزواج وتحمل منه الأنثى من ذلك الوقت لو تزوج {فَإِنَّ أَدْنَسْتُمْ} فإن وجدتم {مِنْهُمْ} من اليتامى من أنتم عليهم أوصياء ووكلاء على أموالهم {رُشْدًا} عقلاً وإدراكاً ومسؤولية وفهماً ورزانة ووعياً وحرصاً على الحفاظ على أموالهم وقدرة على رعايته وصونه وحفظه والمحافظة عليه والتصرف فيه بمسؤولية {فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} أعطوها لهم فهم أحق بها والتصرف فيها لأنها أموالهم وممتلكاتهم وميراثهم وحقهم الشرعي {وَلَا تَأْكُلُوهَا} ولا تأكلوا هذه الأموال

أيها الأوصياء والوكلاء {إِسْرَافًا} تبذيراً {وَبِدَارًا} تفريقاً وتبعثراً وشرقاً وغرباً
ويميناً وشمالاً {أَنْ يَكْبُرُوا} حتى يكبروا {وَمَنْ كَانَ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ
والوكلاء {غَنِيًّا} ثرياً وذا أموال تكفيه غيرها ومن ملكه الخاص {فَلْيَسْتَعْفِفْ}
فليتعفف ولا يقربها ويحفظها لصاحبها اليتيم حتى يكبر ويبلغ رشده لأنها ملكه
وحقه الشرعي {وَمَنْ كَانَ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ وَالْوَكَلَاءِ} فقيراً محتاجاً
ومضطراً بسبب فقره {فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ} فليأخذ منها كأجرة على وصايته
ووكالته أو كشراكة معه في الطعام والشراب بالمعروف أي بالمتعارف عليه بدون
إسراف ولا تبذير ولا مخيلة ولا نهب ولا استكساب بل على قدر الحاجة وكأنه
ضيف عنده ويأكل في ضيافته ويقتصد في الأكل في الطعام والشراب فلا يجعلها
فرصة لأكل أحسن الطعام وأجوده وأفخره في جميع وجباته اكتساباً لأنه ليس من
ماله {فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} فإذا أرجعتم إلى اليتامى أموالهم وحقهم وسلمتموها
لهم لأنهم أصحابها {فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ} أحضروا اثنين من الشهداء العدول حتى
يشهدوا على تسليمهم أموالهم وحقهم بالكامل وكل ورثهم الشرعي وذلك خوفاً من
إنكارها أو جحودها من الأيتام ويطالبون بها مرة ثانية وحتى يبرئ الوصي
والوكيل ذمته منها أمام الله تعالى والشهداء {وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا} ويكفي أن الله
تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه شاهد ويحاسب يوم القيامة على المقصر
وعلى الجاحد والمنكر.

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ ٧ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ} للرجال حق في الميراث ولهم حصة ونصيب منه {مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ} من ميراث الوالدين الأب والأم {وَالْأَقْرَبُونَ} من الأقارب من الزوجة ، أو من الإخوة والأعمام وكذلك الأخوال إن لم يكن لهم ولد {وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ} وكذلك حق شرعي للنساء في الميراث من الوالدين ومن الأقربين {مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ} سواءً كان الميراث قليلاً أو كثيراً فلهن الحق فيه {نَصِيبًا مَّفْرُوضًا} أي حصة فرضها الله تعالى لهن {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ} وإذا تواجد أثناء القسمة وحضرها {أُولُو الْقُرْبَىٰ} بعض الأقرباء {وَالْيَتَامَىٰ} هم الأطفال دون سن البلوغ ممن توفى عنهم والداهم أو أحدهما {وَالْمَسْكِينُ} وهم الفقراء المتعففون. قال البخاري: حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شريك ابن أبي نمر أن عطاء بن يسار وعبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري قالا: سمعنا أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان إنما المسكين الذي يتعفف أقرؤوا إن شئتم يعني قوله: " لا يسألون الناس إلحافاً ". [وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل ابن

جعفر المدني عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء بن يسار وحده عن أبي هريرة به - ابن كثير ج ١ ص ٣٢٤]. {فَارزُقُوهم مِّنْهُ} أي أعطوهم شيئاً منه هذا الرزق كالثمار أو اعملوا لهم طعاماً غداءً أو عشاءً أو إذا كان شيئاً من الفاكهة كالبرتقال أو الزيتون ، وليس المقصود إذا كانت عقارات أو أراضي فلا يعقل أن تعطوهم عمارة أو قطعة أرض مثلاً فالمقصود هو الطعام والشراب لأنه لو حضر عدد كثير من اليتامى والمساكين وأولوا القربى عدد مائة أو مائتين مثلاً فهل يعقل أن يقسم عليهم الميراث ويصبحوا كأنهم ورثة شرعيين وهذا ليس المقصود بل الطعام والشراب حتى يطيبوا خاطرهم ولا يحسدونهم على ميراثهم {وَقُولُوا هُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا} وكلموهم بالحسنى وقولوا لهم قولاً طيباً مثلاً الله يرزقكم ويعطيكم ويوسع عليكم ولا ينهروهم ولا يطردونهم بخشونة وعنف بل يطيبوا خاطرهم {وَلْيَخْشَ} وليخاف {الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ} الذين لو ماتوا وتركوا خلفهم {ذُرِّيَّةً ضِعَفًا} أطفالاً صغاراً ضعفاء لا يستطيعون تدبير شؤونهم بذاتهم {خَافُوا عَلَيْهِمْ} خافوا عليهم من الأوصياء والوكلاء من بعدهم {فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ} فليخافوا الله في الأيتام الذين هم أوصياء ووكلاء عليهم ويخافوا أن تدور الدائرة عليهم ويموتوا ويتركوا خلفهم أطفالاً صغاراً ضعفاء يتولى أمرهم أوصياء يأكلون أموالهم كما تأكلون أنتم أموال اليتامى ولذلك خافوا الله تعالى في اليتامى وحافظوا على أموالهم {وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} أي بالنصح والإرشاد لليتامى لا قهراً ولا تجبراً عليهم {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى} إن الذين يأكلون ويأخذون ويسرقون أموال اليتامى ممن هم أوصياء ووكلاء عليهم ويأكلون أموالهم {ظُلْمًا} بغياً وغصباً وقهراً وحراماً بالسرقه وبالباطل والتسلط والتجبر {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا} إنما يأكلون

جمراً من جمر جهنم تشعل في بطونهم يوم القيامة {وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} وسيحرقون في نار جهنم حرقاً. وفي الصحيحين من حديث سليمان بن بلال عن ثور بن زيد عن سالم أبي العيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اجتنبوا السبع الموبقات) قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا عبدة أخبرنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمى حدثنا أبو هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله ما رأيت ليلة أسري بك؟ قال: (انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير رجال كل رجل منهم له مشفر كمشفر البعير ، وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء أحدهم ، ثم يجاء بصخرة من نار فتقذف في في أحدهم حتى يخرج من أسفله لهم جوار وصراخ قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً). [ابن كثير ج ١ ص ٤٥٦].

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا بَوَىٰهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبُوهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا

حَكِيمًا ﴿١١﴾

{يُوصِيكُمُ اللَّهُ} يأمركم ويعظكم باتباع فرضه في الميراث {فِي أَوْلَادِكُمْ} في أبنائكم من أصلابكم في الميراث بعد وفاتكم {لِلذَّكَرِ} للولد في الميراث {مِثْلُ حَظِّ} مثل نصيب ومثل سهم {الْأُنثِيَيْنِ} المرأتين أو البننتين. وقال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: (عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في بني سلمة ماشيين فوجدني النبي صلى الله عليه وسلم لا أعقل شيئاً فدعا بماء فتوضأ منه ثم رش عليّ فأفقت فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت " يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ". [وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج به ورواه الجماعة كلهم من حديث سفيان بن عيينة عن محمد بن المنكدر عن جابر - ابن كثير ج ١ ص ٤٥٧]. {فَإِنْ كُنَّ} فإن كانت الورثة {نِسَاءً} إناثاً وبنات {فَوْقَ اثْنَتَيْنِ} من اثنتين فأكثر [دون وجود أولاد ذكور قطعياً] {فَلَهُنَّ} فللبنات {ثُلُثَا مَا تَرَكَ} الثلثان من ميراث والدهما المتوفى {وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً} وإن كانت الوريثة بنتاً واحدة وليس لها من يعصبها أي لا يوجد غيرها {فَلَهَا النِّصْفُ} للبنت عندها

لها نصف الميراث {وَلِأَبَوَيْهِ} لوالدي المتوفى الأب والأم {لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا
 السُّدُسُ} أي للأب السدس وللأم السدس {مِمَّا تَرَكَ} من الميراث الذي كان
 يملكه وتركه من بعد وفاته {إِنْ كَانَ لَهُ وَالدُّ} وهذا السدس لوالدي المتوفى إن كان
 له ذرية أولاد {فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَالدُّ} فإن لم ينبج المتوفى ولم يكن له أولاد
 {وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ} وورثه والده ووالدته {فَلِأُمِّهِ التَّلْثُ} فميراث أم المتوفى عندها لها
 ثلث ميراث المتوفى وللأب الثلثان {فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ} فإن كان للمتوفى إخوة
 {فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ} فالأم لها السدس والإخوة يحجبون الأم عن الثلث السابق
 فبوجودهم ترث السدس مع عدم وجود الأب أما إذا وجد الأب فإنه يحجب
 الإخوة عن ميراثه والإخوة عندها لا يرثون شيئاً منه لوجود الأب {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ
 يُوصى بِهَا} والميراث يوزع بعد إخراج الوصية منه التي أوصى بها الميت قبل وفاته
 وهي لا تتجاوز الثلث. وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
 دخل على سعد بن أبي وقاص يعوده قال: يا رسول الله إني ذو مال ولا يرثني إلا
 ابنة ، أفأصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. قال: فالثلث؟ قال: لا. قال: فالثلث؟
 قال: (الثلث ، والثلث كثير). ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنك أن
 تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس). [ابن كثير ج ١
 ص ٤٥٦]. مع ملاحظة أن الوصية لا تجوز للوارث كما جاء في الحديث: (لا وصية
 لوارث). {أَوْ دَيْنٍ} وأن يسد الدين أولاً من الميراث. وروى أحمد والترمذي وابن
 ماجه وأصحاب التفاسير من حديث ابن إسحاق عن الحارث بن عبد الله الأعور
 عن علي بن أبي طالب قال: (إنكم تقرءون " مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصى بِهَا أَوْ دَيْنٍ ")
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية ، وإن أعيان بني الأم

يتوارثون دون بني العلات ، يرث أخاه لأبيه وأمه دون أخيه لأبيه). [ابن كثير ج ١ ص ٤٥٩]. ولذلك قبل توزيع الميراث يجب اتباع الآتي بالتسلسل وبالترتيب:
أولاً: تجهيز الميت بالكفن الشرعي.

ثانياً: وفاء أو سداد دين الميت.

ثالثاً: وفاء وتنفيذ وصية المتوفى على أن لا تزيد على الثلث من الميراث.

رابعاً: يوزع الميراث على حسب آيات الميراث بعد إخراج ما تقدم.

{ءَابَاؤُكُمْ} والديكم {وَأَبْنَاؤُكُمْ} وأولادكم {لَا تَدْرُونَ} لا تعلمون {أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا} أيهم يكون صالحاً ويبر الآباء أو الأبناء وأيهم يكون أنفع لكم ولذلك عليكم إخراج الميراث كما فرضه الله تعالى وكما أمر به فلا تفرقوا في الميراث بين أحدهم ولا تعطوه زيادة على الآخر {فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ} وهذا ما فرضه الله تعالى في الميراث وهو أعلم وكما قال تعالى: " أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ} كان من الأزل ولا يزال وإلى ما شاء الله {عَلِيمًا} يعلم ما يحتاج إليه وما ينفع الورثة في دنياهم وأخراهم {حَكِيمًا} ذو حكمة في شرعه وأوامره ونواهيته ولا يخطئ أبداً.

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرَّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾

{وَلَكُمْ} ولكم معشر الأزواج من الرجال {نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ} نصف ميراث الزوجة المتوفاة من زوجاتكم من النساء {إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ} إن لم تنجب ذرية وليس لها أولاد من الذكور والإناث {فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ} فإن كان لزوجاتكم ولد وذرية {فَلَكُمْ} فلکم أيها الأزواج من الرجال {الرَّبْعُ} ربع الميراث فقط {مِمَّا تَرَكَنَّ} من الميراث الذي تركته الزوجات المتوفيات خلفهن {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا} من بعد إخراج الوصية من الميراث على ألا تزيد عن الثلث {أَوْ دَيْنٍ} أو إذا كان على المتوفاة دين يخرج من الميراث أولاً وقبل الوصية كما ذكرنا آنفاً {وَلَهُنَّ} وللزوجات من النساء بعد وفاة أزواجهن {الرَّبْعُ} لهن ربع الميراث {مِمَّا تَرَكَتُمْ} مما خلفتم من الأموال والعقارات والممتلكات بعد موتكم أيها الأزواج من الرجال {إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ} وميراث الربع هو عندما لم يكن لكم

ذرية من الأولاد ذكوراً أو إناثاً {فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ} فإن كان لكم ذرية من الأولاد ذكوراً أو إناثاً {فَلَهُنَّ التُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ} فللزوجات بعد وفاة أزواجهن لهن التُّمْنُ في الميراث وتشارك في التُّمْنِ أو الرُّبْعِ جميع الزوجات سواء واحدة أو أربعة كلهن شركاء في التُّمْنِ أو الرُّبْعِ ولا فرق عندها بين زوجة واحدة أو أكثر فذلك نصيبهن جميعاً في الرُّبْعِ إن لم يكن للمتوفى ذرية من الأولاد أو التُّمْنِ إن كان للمتوفى ذرية {مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا} من بعد إخراج الوصية من الميراث على أن لا تزيد عن الثلث إذا أوصيتم بها تخرج من الميراث قبل توزيعه ثم يوزع الباقي على الورثة {أَوْ دَيْنٍ} وكذلك إخراج الدَّيْنِ أولاً من الميراث ثم الوصية ثم يقسم باقي الميراث على الورثة {وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ} وإن كان المتوفى رجلاً {يُورَثُ كَلَالَةً} يورث وهو معدوم الأصل والفرع وهو من لا ولد له ولا والد يرثه. والكالالة مشتقة من الإكليل وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه والمراد هنا من يرثه من حواشيه من أصوله وفروعه. كما روى الشعبي عن أبي بكر الصديق أنه سئل عن الكالالة فقال: أقول فيها برأبي فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه: الكالالة من لا ولد له ولا والد فلما ولي عمر قال: إني لأستحي أن أخالف أبا بكر في رأي رآه كذا رواه ابن جرير وغيره ، وقال ابن أبي حاتم في تفسيره: حدثنا محمد بن يزيد عن سفيان عن سليمان الأحول عن طاوس قال سمعت ابن عباس يقول: كنت آخر الناس عهداً بعمر فسمعتة يقول: القول ما قلت وما قلت وما قلت قال: (الكالالة من لا ولد له ولا والد). وهكذا قال علي وابن مسعود وصح عن غير واحد عن ابن عباس وزيد ابن ثابت وبه يقول الشعبي والنخعي والحسن وقتادة وجابر بن زيد والحكم وبه يقول أهل المدينة وأهل الكوفة والبصرة وهو قول الفقهاء السبعة والأئمة الأربعة وجمهور

السلف والخلف. [ابن كثير ج ١ ص ٤٦٠]. {أَوْ أَمْرًا} أو كانت المتوفاة امرأة {وَلَهُ رَ} وللميت ورثة يرثونه {أَخٌ أَوْ أُخْتٌ} واحد فقط سواء كان الوريث أخاً ذكراً أو أختاً أنثى لأم {فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ} فلكل واحد الأخ أو الأخت من الأم فله السدس {فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ} فإن كانوا أكثر من واحد سواء ذكر أو أنثى أي اثنين فما فوق إخوة من الأم {فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ} فجميع الذكور والإناث كلهم شركاء في الثلث فقط ويقسم بينهم بالتساوي لا فرق بين ذكر أو أنثى في الإخوة من الأم {مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا} وذلك بعد إخراج وصية المتوفى من الميراث مقدار لا يزيد عن الثلث {أَوْ دَيْنٍ} أو إذا كان عليه دين يؤخذ من الميراث وفاء وسداد الدين الذي عليه {غَيْرِ مُضَارٍّ} غير ضرر في إخراج الوصية فلا يظلم أحداً أو ينقصه حقه أو يزيد آخر زيادة على حقه. وقد ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث) وهذا مذهب مالك وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة. [ابن كثير ج ١ ص ٤٦١]. {وَوصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ} وصية وأمر وفرض من الله تعالى. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو النضر الدمشقي الفراديسي حدثنا عمر بن المغيرة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الإضرار في الوصية من الكبائر). [وكذا رواه ابن جرير من طريق عمر بن المغيرة هذا وهو أبو حفص بصري سكن المصيصة - ابن كثير ج ١ ص ٤٦١]. {وَاللَّهُ} واللَّهُ تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلِيمٌ} عليم بالناس وبشؤونهم وأحوالهم وهو عالم بما ينفعهم وما هو في مصلحتهم جميعاً {حَلِيمٌ} يتمهل ويتأنى في الحكم ولا يتسرع ولا يقسو على الورثة وذلك لاحتياجهم للميراث والإنفاق على أنفسهم وعلى

أسرهم {تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} هذه القسمة في الميراث وبيانه وتوضيحه فهي حدود الله تعالى في أوامره ونواهيه فلا تتعدوها أيها المسلمون وهي كحدود الدول بين بعضها البعض من يتعداها يعرض نفسه للمسؤولية ويُعاقب {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} ومن يطع الله تعالى في فرضه وشرعه وأوامره ونواهيه ويطع رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في تبيان ذلك من شرع الله تعالى بالسنة الشريفة {يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ} يدخل الله تعالى الطائع لأوامره ونواهيه في جناته الثمانية كل على حسب عمله وطاعته {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري الأنهار في الجنة خلالها من تحت أشجارها وقصورها {خَالِدِينَ فِيهَا} دائمون في الجنة فلا موت في الجنة {وَذَلِكَ الْفَوْزُ} وذلك هو النجاح والفوز بدخول الجنة وبنعيمها {الْعَظِيمِ} الكبير الذي لا يوصف {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ} ومن يخالف الله تعالى في أوامره ونواهيه ويرفض الانصياع لها {وَرَسُولَهُ} ويعصي كذلك رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيما يأمره من عبادة الله وطاعته {وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ} أي يخترق شرع الله تعالى وأوامره بارتكاب الفواحش والمعاصي {يُدْخِلُهُ نَارًا} يدخل الله تعالى العاصي والجاحد والمنكر ومرتكب الفواحش والمعاصي نار جهنم يوم القيامة {خَالِدًا فِيهَا} دائماً فيها لا يموت ولا يحيا {وَلَهُ} ولذلك العاصي والمخالف لشرع الله تعالى يوم القيامة {عَذَابٌ مُهِينٌ} عذاب مذل وأليم وشديد وقاسٍ في نار جهنم يوم القيامة. قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْخَيْرِ سَبْعِينَ سَنَةً فَإِذَا أَوْصَى وَحَافٍ فِي وَصِيَّتِهِ فَيُخْتَمُ لَهُ بِشَرِّ عَمَلِهِ فَيَدْخُلُ النَّارَ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ

الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة) قال: ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم "تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ" - إلى قوله - "عَذَابٌ مُهِينٌ" [ابن كثير ج ١ ص ٤٦١].

﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَأَذَوْهُمَا ط فَإِنَّ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ط إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ط وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾

{وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ} والنساء اللاتي يأتين بفاحشة الزنا من المسلمات {فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ} فاجعلوا من يشهد على زناهن وارتكابهن الفاحشة {أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ} أربعة رجال من المؤمنين ذوي العدل {فَإِنْ شَهِدُوا} فإن شهدوا بالله تعالى وأقسموا على ذلك {فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ} فمن يثبت عليهن ارتكاب الفاحشة من النساء المسلمات فاحبسوهن في البيوت {حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ} حتى يأتينهن الموت ويمتن {أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} أو يجعل الله تعالى لهن خلاصاً. وروى الطبراني من طريق ابن لهيعة عن أخيه عيسى بن لهيعة عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما نزلت سورة النساء قال رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم: (لا حبس بعد سورة النساء). [ابن كثير ج ١ ص ٤٦٢]. وقد رواه مسلم وأصحاب السنن من طرق عن قتادة عن الحسن عن حطان عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه: (خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم). [قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح - ابن كثير ج ١ ص ٤٦٢]. وذهب الجمهور إلى أن الثيب الزاني إنما يُرجم فقط من غير جلد قالوا: لأن النبي صلى الله عليه وسلم رَجَمَ ماعزًا والغامدية واليهوديين ، ولم يجلداهم قبل ذلك ، فدل على أن الرجم ليس بحتم ، بل هو منسوخ على قولهم والله أعلم. [ابن كثير ج ١ ص ٤٦٢]. قال ابن عباس رضي الله عنه: (كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور فنسخها بالجلد أو الرجم). [وكذا روي عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وعطاء الخراساني وأبي صالح وقتادة وزيد بن أسلم والضحاك أنها منسوخة وهو أمر متفق عليه - ابن كثير ج ١ ص ٤٦٢]. {وَالَّذَانِ {الرجل والمرأة} يَأْتِيَنِهَا} يأتين فاحشة الزنا {مِنْكُمْ} منكم أيها المسلمون {فَأَذُوهُمَا} اضربوهما وعذبوهما {فَإِنْ تَابَا} فإن تابا عن الزنا وامتنعا وتراجعا {وَأَصْلَحَا} وأصلحا من أعمالهما بأداء الفرائض واجتناب النواهي {فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا} فاتركوهما ولا تعذبوهما ولا تعيروهما لأن التوبة تجب ما قبلها {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ} كان من الأزل ولا يزال إلى يوم القيامة {تَوَابًا} يتوب على عباده ويقبل توبتهم {رَحِيمًا} رحيمًا بالمؤمنين بعد توبتهم ويرحمهم ولا يعذبهم ويدخلهم الجنة يوم القيامة {إِنَّمَا التَّوْبَةُ} إنما قبول التوبة {عَلَى اللَّهِ} على أن يتقبلها الله تعالى ويعفو عنها هي {لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ} للذين يعملون

الفاحشة والذنب والمعصية {بِجَهْلَةٍ} بجهل منهم من مراقبة الله تعالى لهم وعذابه لهم يوم القيامة. وقال قتادة عن أبي العالية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون: (كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة). [رواه ابن جرير - ابن كثير ج ١ ص ٤٦٣]. وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال: اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شيء عُصِيَ الله به فهو جهالة عمداً كان أو غيره. [ابن كثير ج ١ ص ٤٦٣]. {ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} ثم يتوبون قبل الغرغرة وما دام في صحته. قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عيَّاش وعصام بن خالد قال حدثنا ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جُبَيْر بن نُفَيْر عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ). [رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان به - ابن كثير ج ١ ص ٤٦٣]. {فَأُوَلِّتْكَ} فهو لاء {يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} يقبل الله تعالى توبتهم ويغفر لهم {وَوَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى من الأزل ولا يزال إلى ما شاء الله {عَلِيمًا} عليماً ومحيطاً بالناس وشؤونهم وأحوالهم وأمورهم وأعمالهم {حَكِيمًا} حكيماً في شرعه وفي حكمه وأوامره ونواهيه ولا يخطئ أبداً {وَوَلَّيْتَ التَّوْبَةَ} وليست التوبة التي يتقبلها الله تعالى {لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} للذين يعملون سيئ الأعمال والمعاصي والآثام والذنوب {حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ} قَالَ إِنِّي تُبْتُ أَلَّنَّ} حتى يحضره الأجل والموت والنزع ويرى أنه هالك لا محالة كفزعون قال إني تبت الآن بعد أن جاءه الموت وفي أنفاسه الأخيرة فهذا ليس له من توبة {وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ} وليست التوبة كذلك للكفار الذين كذبوا وجحدوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يصدقوا وكذبوا ولم

يؤمنوا بالله وملائكته ولا كتبه ولا رسله ولا باليوم الآخر {أُولَئِكَ} هؤلاء {أَعْتَدْنَا} حضرنا وجهزنا {لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} لهؤلاء الكفار عذاباً موجعاً وقاسياً وشديداً يوم القيامة في نار جهنم عذاباً لهم على كفرهم. وفي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: (إن بالمغرب باباً للتوبة لا يزال مفتوحاً حتى تطلع الشمس منه). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٦١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ۗ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَتَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۖ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۗ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۗ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ۗ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ۗ﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم وصدقتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَحِلُّ} لا يجوز وغير حلال {لَكُمْ} أيها المسلمون {أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ} أن تتوارثوا مال الزوجات {كَرِهًا} غصباً وعنوةً {وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ} ولا ترغموهن ولا تجبروهن ولا تضايقوا عليهن {لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ} لتأخذوا وتستولوا وترجعوا الصداق والمهر وحتى يتنازلن عن المهر لكم بالإكراه والمضايقة والإجبار وذلك بعدم طلاقها حتى يرثها وحتى تموت أو ترد إليه صداقها ومهرها الذي أخذته منه {إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ} إلا إذا أتت بفاحشة الزنا

واضحة جلية وشهد عليهن الأربعة شهود وذلك يكون سبب فراقهن بدون صداقه لها إذا شهد الزوج على زوجته أربع شهادات بفاحشة الزنا عند التلاعن بل له أن يفارقها بدون حصوله على صداقها. وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمتلاعنين بعد فراغهما من تلاعنهما: (الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب) قالها ثلاثاً فقال الرجل: يا رسول الله مالي - يعني ما أصدقها - قال: (لا مال لك إن كنت صدقت فهو بما استحلتت من فرجها وإن كنت كذبت عليها فهو أبعد لك منها). [ابن كثير ج ١ ص ٤٦٧]. وفي سنن أبي داود وغيره عن نضرة بن أبي نضرة أنه تزوج امرأة بكرةً في خدرها فإذا هي حامل من الزنا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقضى لها بالصداق وفرق بينهما وأمر بجلدها وقال: (الولد عبد لك والصداق في مقابلة البضع) ولهذا قال تعالى: " وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ". [ابن كثير ج ١ ص ٤٦٧]. {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ} وعيشوا معهن بهدوء وسكينة وبدون مضايقات كما هو متعارف بين الأزواج طبيعياً {فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ} فإن كرهتم أزواجكم بسبب من الأسباب أو لخلاف بينهما {فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُنَّ شَيْئًا} عسى أن تبغضوا شيئاً ولا تحبونه {وَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ} ويجعل الله في ذلك المكروه {خَيْرًا كَثِيرًا} أي أن الله تعالى يقلب العداوة والبغضاء والكره إلى خير فمثلاً يرزقه منها الأولاد والذرية الطيبة والصالحة والمتعلمة أو أن يرزقه الله تعالى بسببها وبواسطتها ثراءً ومالاً أو وظيفةً أو حتى يجدها صابرةً ومحتسبةً وذات رأيٍ سديد ومعاملة حسنة من قبلها تجاهه والخوف والمحافظة على نفسها وعرضها وماله وأولاده وبيته {وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْتَبْدَالًا} وإن أردتم يا معشر الرجال تغيير {زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ} تطليق زوجة

وإحضار أخرى مكانها {وَأَتَيْتُمُ إِحْدَهُنَّ قِنطَارًا} وآتيتم إحدى الزوجات التي تريدون طلاقها مهراً وصداقاً كثيراً جداً والقنطار وهو يساوي مائة كيلو جرام ويطلق دائماً على الكثرة أي حتى ولو كان الصداق قنطاراً من الذهب وطلقتم إحدى الزوجات {فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا} فلا يحق لكم ولا يجوز ولا يحل أن تأخذوا من المهر الذي دفعتموه للمطلقة شيئاً لأن الزوج هو المطلق ولا يحق له أخذ شيء من الصداق بعكس ما لو كانت المرأة هي التي طلقت فعليها دفع الصداق كاملاً لزوجها عند طلاقها {أَتَأْخُذُونَ بِهَتِّنَا} فهل تأخذون الصداق يا معشر الرجال ظلماً وكذباً وعدواناً إذا طلقتم إحدى زوجاتكم {وَإِثْمًا مُّبِينًا} وذنباً عظيماً أن يأخذ الرجل صداق زوجته بعد أن طلقها {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ} والسبب والحكم في المنع هو لماذا تأخذونه {وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ} وقد أظهر كل منكما سره وعورته وفرجه للآخر أي بالجماع فلا يأخذ شيئاً في مقابل ما استمتع منها {وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} وقد كتب بينكم وعقد بينكم برباط شرعي وديني ميثاقاً غليظاً وهو عقد الزواج الشرعي على سنة الله ورسوله وهو ميثاق وعهد ورباط قوي جداً وعظيم جداً لأن الله تعالى هو الأمر بذلك {وَلَا تَنْكِحُوا} ولا تتزوجوا {مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ} ما تزوج آباؤكم {مِنَ النِّسَاءِ} من الزوجات {إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} إلا ما قد مضى في الأمم السابقة قبلكم وفي الجاهلية {إِنَّهُ كَانَ فَوَاحِشَةً} إنه كان زناً وعملاً فاحشاً {وَمَقْتًا} وبُغضاً من الله تعالى لذلك العمل وسبباً لغضب الله تعالى عليهم {وَسَاءَ سَبِيلًا} وساء وقبح طريقاً وعملاً ومسلكاً شائناً وقبيحاً وحراماً لأن زوجة الأب كأمه وهي تقوم برعايته كأنه ابنها. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا قيس بن الربيع عن أشعث

ابن سوار عن عدي ابن ثابت عن رجل من الأنصار قال: لما توفي أبو قيس - يعني ابن الأسلت - وكان من صالحى الأنصار فخطب ابنه قيس امرأته فقالت: إنما أعدك ولداً وأنت من صالحى قومك ولكن آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أبا قيس تُوفي فقال: (خيراً) ثم قالت: إن ابنه قيساً خطبني وهو من صالحى قومه وإنما كنت أعده ولداً فما ترى؟ فقال لها: (ارجعي إلى بيتك) قال: فنزلت " وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ " الآية. [ابن كثير ج ١ ص ٤٦٨].

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾

{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ } حرام عليكم شرعاً ولا يحل لكم أيها المؤمنون ويا أيها المسلمون { أُمَّهَاتُكُمْ } الزواج من أمهاتكم. وأمهاتهم هن اللاتي ولدنهم { وَبَنَاتُكُمْ } وبناتكم اللاتي من أصلابكم { وَأَخَوَاتُكُمْ } وأخواتكم من آبائكم وأمهاتكم

{وَعَمَّتِكُمْ} وهن أخوات الأب {وَوَحَلَّتِكُمْ} أخوات الأم {وَوَبَنَاتُ الْأَخِ} وبنات الأخ الشقيق والأخ لأب والأخ لأم والأخ من الرضاعة {وَوَبَنَاتُ الْأَخْتِ} وبنات الأخت الشقيقة والأخت لأب والأخت لأم والأخت من الرضاعة {وَأُمَّهَاتِكُمْ} أَلَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ} وأمه من الرضاعة {وَأَخَوَاتِكُمْ مِّنَ الرِّضَاعَةِ} وأخته من الرضاعة. وثبت في الصحيحين من حديث مالك بن أنس عن عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة) ، وفي لفظ لمسلم: (يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النِّسْبِ). [ابن كثير ج ١ ص ٤٦٩].

{وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ} ويحرم عليكم أم الزوجة بمجرد العقد على ابنتها وحتى لو لم يدخل بها حرمة أبدية. قال ابن أبي حاتم: حدثنا جعفر بن محمد حدثنا هارون ابن عروة عن عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أنه حدثنا كان يقول: (إذا طلق الرجل المرأة قبل أن يدخل بها أو ماتت لم تحل له أمها).

[ابن كثير ج ١ ص ٤٧٠]. وكذا في حالة وفاة الزوج قبل الدخول ودون طلاق تحرم الزوجة وأمها على أولاده والسبب هنا أن المتوفى عنها زوجها قبل الدخول بها تعتد عدة الوفاة وهي ترثه فهي في عداد الزوجة الشرعية له فتحرم وأمها على أولاده {وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ} وهي بنت الزوجة التي في حجرك أي في بيتك مع أمها تعيش في رعايتك إذا دخل بأمها تحرم عليه أما إذا عقد على أمها عقداً شرعياً ولم يدخل على أمها بعد {فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ} فإن لم تدخل على أمها أي لم يجامعها جماعاً شرعياً وطلق أمها قبل أن يدخل عليها وقبل جماعها {فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} فلا حرج ولا

حرام ولا ممنوع بل مسموح به وحلال أن تتزوج ابنتها ما دام لم تدخل على أمها وطلقتها. وهنا رُبَّ سائل يسأل لماذا خص بالذكر الربيبة التي في حجره دون أخواتها اللاتي لسن في حجره مع أن حكمهن واحد والجواب أن سبب التخصيص حتى لا يُقال أن الربيبة هي كابنته فكيف يتزوجها؟! ولهذا خصها الله تعالى بالذكر كما خص زوجة الابن بالتبني في قصة زيد بن حارثة وزوجته زينب التي طلقها وتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم مع العلم أنه كان قد تبني زيد ابن حارثة {وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ} وزوجات الأبناء حرام على الآباء الزواج بهن بمجرد عقد ابنه عليها علماً أنه لا تحرم زوجة الابن من التبني كما تزوج صلى الله عليه وسلم من زوجة زيد الذي تبناه كما قال تعالى: " فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا " ٣٧ الأحزاب. ونزل قوله تعالى: " وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَائَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ " ٤ الأحزاب. {وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ} وحرام عليكم الزواج من الأختين في وقت واحد أي حرام عليكم الزواج من الأختين معاً في أي لحظة من اللحظات بل إذا طلق الأولى أو ماتت يحل له أن يتزوج أختها. قال الإمام أحمد: حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن أبي وهب الجشاني عن الضحاك ابن فيروز عن أبيه قال: أسلمت وعندى امرأتان أختان فأمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن أطلق إحداهما. [ابن كثير ج ١ ص ٤٧٢]. {إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ} إلا ما مضى من القرون الأولى سواء في الجاهلية أو قبلها قبل أن يأتي الإسلام وقبل أن ينزل القرآن بالتحريم {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ} كان من الأزل ولا يزال إلى يوم

القيامة {عَفُورًا} يغفر لمن تاب عن ذلك {رَّحِيمًا} يرحم عباده المؤمنين من تاب منهم ولا يعذبهم يوم القيامة ويدخلهم الجنة {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ} وهن الزوجات العفيفات اللاتي على عصمة أزواجهن حرام زواجهن كذلك {إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} إلا ما كان من السلب إذا وقعت أسيرة في الحرب فيجوز الزواج منها يعني ما ملكتموهن بالسبي فإنه يحل لكم وطؤهن إذا استبرأتموهن. قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان هو الثوري عن عثمان البتي عن أبي الخليل عن أبي سعيد الخدري قال: أصبنا سبياً من سبي أوطاس ولهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية: " وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " فاستحللنا فروجهن. [وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن هشيم ، ورواه النسائي من حديث سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج ثلاثتهم عن عثمان البتي ، ورواه ابن ماجه من حديث أشعث بن سوار عن عثمان البتي ، ورواه مسلم في صحيحه من حديث شعبة عن قتادة كلاهما عن أبي الخليل صالح ابن أبي مريم عن أبي سعيد الخدري فذكره - ابن كثير ج ١ ص ٤٧٣]. ويلاحظ هنا السبي هو لغير المسلمات أما المسلمات فتحرم حيث حرب المسلمين بعضهم لبعض حرام كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار) قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: (إنه كان حريصاً على قتل صاحبه). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣]. وعن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ١٨٨]. وقال أبو داود حدثنا واصل ابن عبد الأعلى حدثنا أسباط بن محمد عن هشان بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه حسب امرئ من لشر أن يحقر أخاه المسلم). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١٤]. {كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ} فرض الله تعالى عليكم فرضه وكتبه عليكم في الزواج من النساء كما فرضه في الصيام بقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " ١٨٣ البقرة. {وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ} وأحل لكم الزواج من النساء ما عدا ذلك وغير ما ذكر من التحريم {أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ} أن تتزوجوا بأموالكم وتدفعوا لهن المهور والصداق {مُحْصِنِينَ} أي عفيفات شريفات حرائر {غَيْرِ مُسْفِحِينَ} غير زناة وليس من أهل البغاء {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ} فمقابل استمتاعكم بالزواج منهن {فَقَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ} فأعطوهن مهرهن وصداقهن {فَرِيضَةً} والمهر والصداق هو فرض من الله تعالى للزوجة في مقابل ما استمتعتم واستحللتم فروجهن {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ} فلا حرج ولا بأس بشيء من الإنفاق زيادة على المهر والصداق لو اشترى لها خاتم أو فستان أو هدية زيادة على المهر وهي كالشبكة وغيرها أو هي تنازلت له عن شيء من مهرها لأعانتها على حياته ومعيشته فلا شيء في ذلك أما زواج المتعة فهو حرام وفي البخاري: (أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المتعة وعن الحمر الأهلية زمن خيبر). [سبل السلام ج ٣ ص ١٢٤]. وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: (رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أوطاس في المتعة ثلاثة أيام ثم نهى عنها). [رواه مسلم - سبل السلام ج ٣ ص ١٢٤]. وأخرج ابن ماجه عن عمر بن الخطاب بإسناد صحيح أنه خطبنا فقال: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لنا في المتعة ثلاثاً ثم حرمها.

والله لا أعلم أحداً تمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة). [سبل السلام ج ٣ ص ١٢٤]. وقال ابن عمر: (نهانا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كنا مسافحين). [إسناده قوي - سبل السلام ج ٣ ص ١٢٤]. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة عام خيبر). [متفق عليه - سبل السلام ج ٣ ص ١٢٤]. {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ} كان من الأزل ولا يزال وإلى ما شاء الله {عَلِيمًا} عالماً بكونه وبخلقه وما ينفعهم وما يضرهم {حَكِيمًا} ذو حكمة في شرعه وحكمه وأمره ونهيه وفرضه فلا يعمل به إلا لصالح الناس ولكنهم لا يعلمون والله تعالى ذو حكمة فلا يخطئ أبداً. والزوجات من الحرائر بأموالكم أربعة فقط والسراري ما شئتم وبدون عدد كما رواه ابن مسعود كما رواه الإمام أحمد بن حنبل حدثنا محمد ابن سلمة عن هشام عن ابن سيرين عن ابن مسعود قال: (يحرم من الإماء ما يحرم من الحرائر إلا العدد). [ابن كثير ج ١ ص ٤٧٣].

﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتْيَتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ
 فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرٍ مُسْفِحَاتٍ
 وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَحْدَانٍ فَإِذَا أَحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْنَّ نَصْفُ مَا عَلَى
 الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ
 وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
 وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢١﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ
 يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٢﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ
 الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٣﴾ ﴾

{ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ } ومن لم يقدر { مِنْكُمْ } منكم أيها المسلمون { طَوْلاً } مالا { أَنْ }
 يَنْكِحَ { أَنْ } أن يتزوج { الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ } العفيفات الشريفات الحرائر
 المحافظات على فروجهن وعرضهن وشرفهن من المؤمنات من آمن بالله وملائكته
 وكتبه ورسله واليوم الآخر { فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتْيَتِكُمْ } فيجوز الزواج
 من الإماء الرقيق من النساء { الْمُؤْمِنَاتِ } المسلمات والمؤمنات بالله تعالى وملائكته
 وكتبه ورسله واليوم الآخر { وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ } والله تعالى يعلم بإيمانكم من
 عدمه يا من تريدون الزواج إن كنتم مؤمنين حقاً وتريدون العفاف وعدم الوقوع في
 الفاحشة أو بالاسم فقط في شهادات الميلاد والله تعالى يعلم علم اليقين بمقدار
 إيمانكم { بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ } فأنتم مؤمنون والإماء مؤمنات وكلكم من آدم وآدم من
 تراب { فَانكِحُوهُنَّ } فتزوجوهن { بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ } وزواج المحصنة من الحرائر هو

بموافقة أهلهم وزواج الإمام من الرقيق بإذن مواليهم وهذه الآية تلغي الزواج العرفي إذا لم يوافق الأهل على الزواج ، وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ). [رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْأَرْبَعَةُ ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ الْمَدِينِيِّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَأَعْلَهُ بِإِرْسَالِهِ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: قَدْ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ وَغَيْرُهُمْ مِنْ حَدِيثِ إِسْرَائِيلَ وَأَبُو عَوَانَةَ وَشَرِيكَ الْقَاضِي وَقَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ وَيُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ وَزُهَيْرُ ابْنِ مُعَاوِيَةَ كُلُّهُمْ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ، كَذَلِكَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ - سبل السلام ج ٣ ص ١١٧]. ويأتي حديث أبي هريرة: (لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها) ، وَحَدِيثُ عَائِشَةَ: (إِنَّ النِّكَاحَ مِنْ غَيْرِ وَلِيٍّ بَاطِلٌ). قَالَ الْحَاكِمُ: وَقَدْ صَحَّتْ الرَّوَايَةُ فِيهِ عَنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَائِشَةَ وَأُمُّ سَلَمَةَ وَزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ. قَالَ: وَفِي الْبَابِ عَنْ عَلِيِّ وَابْنِ عَبَّاسٍ ثُمَّ سَرَدَ ثَلَاثِينَ صَحَابِيًّا. وَالحَدِيثُ دَلٌّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَصِحُّ النِّكَاحُ إِلَّا بِوَلِيِّ. [سبل السلام ج ٣ ص ١١٧]. وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحْتَ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيِّهَا فَانِكَاحُهَا بَاطِلٌ ، فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا فَإِنْ اسْتَجَرُوا فَالْسُلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهَا). [أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ إِلَّا النَّسَائِيَّ ، وَصَحَّحَهُ أَبُو عَوَانَةَ وَابْنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَصَحَّحَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُ مِنَ الْحَفَاطِ - سبل السلام ج ٣ ص ١١٨]. وَيُؤَيِّدُ حَدِيثَ الْبَابِ مَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا: (لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ وَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ). [وَإِنْ كَانَ فِيهِ الْحَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ فَقَدْ أَخْرَجَهُ سُفْيَانُ فِي جَامِعِهِ وَمِنْ طَرِيقِهِ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بَلْفَظٍ: (لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ مُرْشِدٍ أَوْ سُلْطَانٍ) - سبل السلام ج ٣ ص ١١٨]. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا

تُنكحُ الأيِّمَ حتَّى تُسْتَأْمَرَ وَلَا تُنكحُ البكرَ حتَّى تُسْتَأْذَنَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ
 إِذْنُهَا؟ قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ. [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ - سبل السلام ج ٣ ص ١١٨]. وَعَنْ أَبِي
 هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةَ
 الْمَرْأَةَ ، وَلَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةَ نَفْسَهَا). [رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ وَالِدَارَقُطْنِيُّ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ -
 سبل السلام ج ٣ ص ١٢٠]. وكما جاء في الحديث: (أيما عبد تزوج بغير إذن مواليه
 فهو عاهر). [ابن كثير ج ١ ص ٤٧٥]. {وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ} وآتوهن صداقهن
 ومهورهن {بِالْمَعْرُوفِ} بالمتعارف عليه في تلك البلدة بين الناس أي الدارج
 والمتوسط عند أهله وقومه وعشيرته أو بلدته {مُحْصَنَاتٍ} عفيفات وشريفات
 ومحافظات على عرضهن وشرفهن {غَيْرِ مُسْفِحَاتٍ} غير زانيات ولا نساء بغاء ولا
 من أهل الهوى {وَلَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ} ولا متخذات أخلاء أو أصدقاء أو عشاق
 {فَإِذَا أَحْصِنَّ} فإذا تزوجن وأصبحن محصنات بالزواج {فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ}
 فإن عملن بفاحشة الزنا وآتينه وهن الإماء {فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ
 مِنَ الْعَذَابِ} فعلى الإماء اللاتي آتين فاحشة الزنا كل واحدة خمسون جلدة
 وهي نصف ما على الحرائر من العذاب سواء كانت مسلمة أو كافرة متزوجة أو
 بكرًا. وقد روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد انه قال: (إحسان الأمة أن ينكحها
 الحر وإحسان العبد أن ينكح الحرة). [وكذا روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس
 رواهما ابن جرير في تفسيره - ابن كثير ج ١ ص ٤٧٦]. وعن أبي هريرة قال:
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا زنت أمة أحدكم فتبين زناها
 فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم إن زنت الثانية فليجلدها الحد ولا يثرب عليها
 ثم إن زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر). ولمسلم: (إذا زنت

ثلاثاً فليبعها في الرابعة). وروى مالك عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي قال: (أمرني عمر بن الخطاب في فتية من قريش فجلدنا من ولائد الإمارة خمسين خمسين من الزنا). [ابن كثير ج ١ ص ٤٧٦]. {ذَلِكَ} الزواج من الإمام {لِمَنْ حَشِيَ} لمن خاف على نفسه {الْعَنَتِ} عدم الصبر والوقوع في الفاحشة والوقوع في المكروه والممنوع والحرام {مِنْكُمْ} منكم أيها المسلمون ويا أيها المؤمنون {وَأَنْ تَصْبِرُوا} وأن تصبروا عن زواج الإمام {خَيْرٌ لَكُمْ} خير وأفضل لكم حتى لا تقع في إشكال الفضيحة والرذيلة والزنا ويعاير أولادك بأخوالهم. عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء). [متفق عليه - سبل السلام ج ٣ ص ١٠٩]. {وَاللَّهُ غَفُورٌ} والله تعالى غفور لمن تاب أو أقيم عليه الحد أو لمن تزوج {رَحِيمٌ} ورحيم عليكم بالزواج من الإمام أو الحرائر حتى لا تقعوا في فاحشة الزنا ويرحم المؤمنون يوم القيامة ويدخلهم الجنة {يُرِيدُ اللَّهُ} يريد الله تعالى بذلك الزواج أو تجنبه {لِيُبَيِّنَ لَكُمْ} ليوضح لكم حقيقة الأمر {وَيَهْدِيَكُمْ} ويدلكم {سُنَنَ} هدي وأعمال {الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} الصالحين الذين سبقوكم وكانوا قبلكم وصبروا عن الشهوات والملذات. وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من صبر على أداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة ومن صبر عن محارم الله فله ستمائة درجة ومن صبر على المصيبة فله تسعمائة درجة). [نزهة المجالس ج ٢ ص ١٥٤]. {وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ} ويتوب الله عليكم ولا يعذبكم بالزواج من الإمام وخاصة إذا فعلن فاحشة الزنا وذلك بصبركم

عن الزواج بالإماء وصبركم عن الزنا {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلِيمٌ} يعلم شؤون خلقه وأعمالهم وأفعالهم ولا يغيب عنهم مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء {حَكِيمٌ} حكيم في شرعه وفي أمره ونهيه وفي تحليل الزواج من الإماء المؤمنات المحصنات غير المسافحات ولا المتخذات أخدان حتى يحفظ للمؤمن شرفه وكرامته وحتى لا يكون أولاده أولاد زنا {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} والله تعالى يريد ألا يعذبكم بالسماح لكم بالزواج من الإماء المحصنات ويريد لكم التوبة والتعفف والتحصن من الزنا {وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ} ويريد المشركون والكفار وأهل الكتاب من اليهود وهم أهل الشهوات والهوى وحب الدنيا وزينتها وغرورها ومتاعها وملذاتها بكل الطرق وبكل الوسائل {أَنْ تَمِيلُوا} أن تنحرفوا أيها المؤمنون عن الإسلام {مَيْلًا عَظِيمًا} انحرافاً وبعداً كبيراً عن الإسلام وتتركوه خلف ظهوركم ولا تعملوا به {يُرِيدُ اللَّهُ} ويريد الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَنْ تُخَفَّفَ عَنْكُمْ} أن يخفف عنكم بالرخصة وبالسماح لكم بالزواج من الإماء إذا لم تقدرُوا ولا تستطيعوا صداق ومهور الحرائر العفيفات وهذا يدل على رحمته بخلقه سبحانه وتعالى وأن يحل لغز غلاء المهور في بعض الدول الإسلامية بالزواج من الإماء حتى لا يغالي آباء وأولياء أمور البنات من مهور وصادق بناتهن حتى لا يضطر الشباب المؤمن من الزواج من الأجنبية ومن الإماء وهذا ما عناه سبحانه وتعالى بقوله: " وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ " الآية ٢٥ السابقة وبذلك يخفف عنكم بالزواج من الإماء الوقوع في الفاحشة {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا} أي خلق الإنسان لا يتحمل المشاق ولا ارتفاع المهور ولا طلبات الصداق

التي ما أنزل الله بها من سلطان. وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ أَهَبُ لَكَ نَفْسِي فَانظُرْ إِلَيَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَعِدَ النَّظَرَ فِيهَا وَصَوَّبَهُ ثُمَّ طَاطَأَ رَسُولُ اللَّهِ رَأْسَهُ ، فَلَمَّا رَأَتْ الْمَرْأَةُ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا جَلَسَتْ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزَوِّجْنِيهَا فَقَالَ: (هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟) فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ: (اذهَبْ إِلَى أَهْلِكَ فَانظُرْ هَلْ تَجِدُ شَيْئًا؟) فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ شَيْئًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (انظُرْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ) فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ وَلَكِنْ هَذَا إِزَارِي قَالَ مَالَهُ رِءَاءٌ فَلَهَا نِصْفُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا تَصْنَعُ بِإِزَارِكَ إِنْ لَيْسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنْ لَيْسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ مِنْهُ شَيْءٌ) فَجَلَسَ الرَّجُلُ حَتَّى إِذَا طَالَ مَجْلِسُهُ قَامَ فَرَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُؤَلِّيًا فَأَمَرَ بِهِ فَدَعَا بِهِ ، فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: (مَاذَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ؟) قَالَ مَعِيَ سُورَةٌ كَذَا وَسُورَةٌ كَذَا عَدَدَهَا ، فَقَالَ: (تَقْرَأُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ؟) قَالَ: نَعَمْ قَالَ: (اذهبْ فَقَدْ مَلَكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ). [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ. فِي رِوَايَةٍ: قَالَ لَهُ انْطَلِقْ فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا فَعَلَّمَهَا مِنَ الْقُرْآنِ. فِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: أَمَكَّنَّاكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ. وَأَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَحْفَظُ؟ قَالَ: سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَالتِّي تَلِيهَا ، قَالَ: فَقُمْ فَعَلَّمَهَا عِشْرِينَ آيَةً - سَبِيلَ السَّلَامِ ج ٣ ص ١١٤].

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ
 تِجْرَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ
 يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾
 إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُهَوَّنَ عَنْهُ نُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا
 كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله
 واليوم الآخر {لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ} لا تأكلوا أموال بعضكم البعض
 {بِالْبَاطِلِ} حراماً وتدليساً وغشاً وخداعاً وظالماً وقهراً وغصباً ونصباً وبهتاناً
 وبجميع طرق الخداع والتضليل والاعتصاب والظلم {إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً عَنْ
 تَرَاضٍ مِّنْكُمْ} ما عدا التجارة الحلال والشركاء فيها والموافقة بينكم عليها أو بين
 المشتري والبائع بقبول بين الطرفين فلا شيء فيها على شرط أن لا تكون التجارة
 مغشوشة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ
 على صبرة من طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً فقال: (ما هذا يا صاحب
 الطعام؟) قال أصابته السماء يا رسول الله ، قال: (أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه
 الناس من غش فليس مني). [رواه مسلم - سبل السلام ج ٣ ص ٢٩]. وثبت في
 الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (البيعان بالخيار ما لم
 يتفرقا). [وفي لفظ البخاري: إذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم
 يتفرقا - ابن كثير ج ١ ص ٤٧٩]. {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} ولا يحل لكم ولا يجوز
 القتل للنفس بالانتحار أو السم أو أن يلقي نفسه من فوق جبل أو بناية أو يلقي
 بنفسه أمام قطار أو سيارة أو يلقي نفسه في البحر أو يضرب نفسه بآلة حادة أو

بالرصاص أو يشنق نفسه أو يقطع من جسمه شريان أو بأي شيء أو بأي حالة وذلك لمصيبة ألت به أو مرض عضال أصابه أو تضايق من عيشه أو غضب من أهله أو صديقه أو عشيقه أو خلافه. قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد ابن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن ابن جبير عن عمرو ابن العاص رضي الله عنه أنه قال: لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل قال احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيمنت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح قال: فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال: (يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جُنُب) قال: قلت يا رسول الله إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فذكرت قول الله عز وجل: " وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا " فتيمنت ثم صليت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً. [وهكذا رواه أبو داود من حديث يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب به ورواه أيضا عن محمد بن أبي سلمة عن ابن وهب عن ابن لهيعة وعمر ابن الحرث كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن ابن جبير المصري عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عنه فذكر نحوه. وهذا والله أعلم أشبه بالصواب - ابن كثير ج ١ ص ٤٨٠]. وأورد ابن مردويه عند هذه الآية الكريمة من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا بَطْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مَخْلُودًا فِيهَا أَبَدًا ، ومن قتل نفسه بسم تردى به فسمه يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً). [وهذا الحديث ثابت في الصحيحين وكذلك رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

بنحوه وعن أبي قلابة عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّ بِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ). وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من طريق أبي قلابة. وفي الصحيحين من حديث الحسن ابن جندب عن عبد الله بن البجلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كان رجُلٌ ممن كان قبلكم وكان به جُرْحٌ فأخذ سكينًا نَحَرَ بِهَا يَدَهُ فما رَقَا الدَّمُ حتى ماتَ قال الله عز وجل: عَبْدِي بَادِرْنِي بِنَفْسِهِ حَرَمْتَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ). - ابن كثير ج ١ ص ٤٨٠]. {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ} كان من الأزل ولا يزال إلى يوم القيامة {بِكُمْ} بكم أيها المؤمنون {رَحِيمًا} يرحمكم ويعطف عليكم ليدخلكم الجنة إذا آمنتم به وأطعتموه في أوامره ونواهيه واجتناب معاصيه {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ} ومن يقتل نفسه منتحراً {عَدُوًّا} عدواناً على حق الغير بأن يهاجمهم لسلب أموالهم وأعراضهم فيقتلوه {وَوَظُلْمًا} أي يظلم الناس بأخذ حقوقهم وأموالهم وأرضهم وعرضهم فيقتلوه أو يقتل نفسه منتحراً {فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا} فسوف يعذبه الله ويحرقه في نار جهنم يوم القيامة {وَكَانَ ذَلِكَ} وكان ذلك العذاب الذي يعذبه الله به يوم القيامة {عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} على الله تعالى عز جلاله سهلاً ويسيراً ولا مشقة فيه حيث يأمر الملائكة الغلاظ الشداد أن يوثقوه بالسلاسل والأغلال ويقذفونه في نار جهنم يعذب فيها {إِنْ تَجْتَنِبُوا} إن تبتعدوا وتتجنبوا أيها المؤمنون {كَبَائِرَ} عظام الإثم والذنوب {مَا تُهَوِّنَ عَنْهُ} ما تمنعون منه بالتحريم والمنع {نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} نعفو ونمحو عنكم ما ساء من أعمالكم وهي ذنوبكم ومعاصيكم وآثامكم {وَنُدْخِلْكُمْ} وندخلكم يوم القيامة {مُدْخَلًا كَرِيمًا} منزلاً كريماً وطيباً وسعيداً وهو الجنة. ثبت في الصحيحين من

حديث سليمان بن هلال عن ثور بن زيد عن سالم أبي العيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُبِقَاتِ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشَّرْكَُ بِاللَّهِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَالسَّحَرُ ، وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ). [ابن كثير ج ١ ص ٤٨١]. وأخرج الشيخان من حديث عبد الرحمن ابن أبي بكر عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟) قلنا: بلى يا رسول الله قال: (الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فجلس فقال - ألا وشهادة الزور ، ألا وقول الزور). فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. [ابن كثير ج ١ ص ٤٨٢]. وثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يا رسول الله أيّ الذنب أعظم ، وفي رواية أكبر؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) قلت: ثم أي؟ قال: (أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك) قلت: ثم أي؟ قال: (أن تزاني حليلة جارك) ثم قرأ: " وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ - إِلَى قَوْلِهِ - إِلَّا مَنْ تَابَ ". [ابن كثير ج ١ ص ٤٨٢].

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا^ط
 وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ^ظ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ^ط إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمًا ﴿٣٢٢﴾ ﴾

{وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ} ولا تتمنوا أيها المسلمون ما هو
 لغيركم أن يكون لكم وذلك هو الحسد وهو التمني لنعمة غيرك أن تكون لك أو
 يجعلها الله لك بل اطلب أن يكون لك مثلها وليس هي نفسها. قال الإمام أحمد:
 حدثنا وكيع ويزيد قالا: حدثنا إسماعيل يعني ابن أبي خالد عن قيس وهو ابن
 أبي حازم عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا
 حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله
 حكمة فهو يقضي بها ويعلمها). [وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه
 من طرق متعددة عن إسماعيل بن أبي خالد به - ابن كثير ج ١ ص ٣٢٢]. وقال
 الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: قالت أم سلمة:
 يا رسول الله تغزو الرجال ولا تغزو ولنا نصف الميراث فأنزل الله: " وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا
 فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ". [ابن كثير ج ١ ص ٤٨٧]. {لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ}
 للرجال نصيب وحصه وسهم ومقدار معلوم {مِّمَّا أَكْتَسَبُوا} من الميراث الذي
 أخذوه أو ورثوه أو حصلوا عليه وقد حدده الله تعالى لهم لحكمة يعلمها {وَلِلنِّسَاءِ
 نَصِيبٌ} وللنساء كذلك نصيب وحصه وسهم ومقدار معلوم {مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ} مما
 أخذوه أو حصلوا عليه أو مما ورثوه من الميراث قد حدده الله تعالى لهن لحكمة
 يعلمها {وَسَأَلُوا اللَّهَ} واسألوا الله أيها الرجال والنساء أن يوسع الله عليكم {مِنْ
 فَضْلِهِ} من كرمه ورزقه الغنى والسعادة وأن يعطيكم ما يكفيكم من الأموال

والأولاد والجاه مثل ما أعطى لغيركم وليس ما عندهم حتى لا يكون حسداً {إِنَّ
 اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ} كان من الأزل
 ولا يزال وإلى ما شاء الله {بِكُلِّ شَيْءٍ} بكل شيء في الكون {عَلِيمًا} يعلم به
 ومحيطاً به ويدري ويعرف عنه كل شيء.

﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ۚ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ
 فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ ﴿٣١﴾

{وَلِكُلِّ} ولكل رجل وامرأة ولكل واحد منهما إذا مات {جَعَلْنَا مَوَالِي} جعل
 الله تعالى له أقرباء يرثونه سواء الأولاد أو الإخوة أو الأبوين أو الزوجة أو العمومة
 وهم عصبته {مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ} من ميراث الوالدين {وَالْأَقْرَبُونَ} هم الإخوة
 والأخوات والأم والأب والجد والجددة حسب درجاتهم {وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ}
 وهم الحلفاء {فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ} فأعطوهم حقهم من الغنائم وأعطوهم نصيبهم من
 الوصية وهي بمقدار الثلث إذا وصى لأحدهم. قال البخاري: حدثنا الصلت ابن
 محمد حدثنا أبو أمامة عن إدريس عن طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن
 ابن عباس: " وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي " قال: ورثة " وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ " كان
 المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي
 آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم فلما نزلت: " وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي " نُسَخَتْ
 ثم قال: " وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ " من النصر والرفادة والنصيحة
 وقد ذهب الميراث ويوصى له. ثم قال البخاري: سمع أبو أسامة إدريس وسمع
 إدريس عن طلحة قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة
 حدثنا إدريس الأودي أخبرني طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

في قوله: " وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ " الآية قال: كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون نوي رحمه بالأخوة التي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم فلما نزلت: " وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ " نُسخت ثم قال: " وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ " وحدثنا الحسن ابن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس قال: " وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ نَصِيبَهُمْ " فكان الرجل قبل الإسلام يعاقد الرجل ويقول: وترثني وأرثك وكان الأحياء يتحالفون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كُلُّ حِلْفٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوْ عَقْدٌ أَدْرَكَهُ الْإِسْلَامُ فَلَا يَزِيدُهُ الْإِسْلَامُ إِلَّا شِدَّةً وَلَا عَقْدٌ وَلَا حِلْفٌ فِي الْإِسْلَامِ). فنسختها هذه الآية: " وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ " ثم قال: وروي عن سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والحسن وابن المسيب وأبي صالح وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة والسدي والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا: هم الحلفاء. [ابن كثير ج ١ ص ٤٨٩]. {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ} كان من الأزل وإلى ما شاء الله {عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ} على كل شيء من الأشياء وعلى أي عمل وعلى أي حلف أو وصية أو ميراث {شَهِيدًا} شاهداً على القسمة فيما بينكم وعلى من يؤدي الحق والوصية من عدمه.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَتٌ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٢٢٨﴾﴾

{الرِّجَالُ} وهم الذكور من الأزواج والآباء والإخوة {قَوَّامُونَ عَلَى} حاكمون وآمرون وأوصياء ويديرون شؤون ورعاية وحماية ونفقة {النِّسَاءِ} وهم الزوجات من النساء في جميع المجالات يجب أن تكون القوامة والرئاسة والإمارة والحكم والولاية للرجال على النساء. وعن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة). [رواه البخاري - سبل السلام ج ٤ ص ١٢٣]. وكما قال تعالى: " وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " ٢٢٨ البقرة. {بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} بما جعل الله تعالى الأفضلية للرجال على النساء بالقوة الجسمانية والعقلية حيث يملك الرجل نفسه عند الغضب والمرأة تكوين جسمها ضعيف بسبب الحمل والوضع والولادة والرضاعة والعادة الشهرية وبحكم عاطفتها التي تتحكم غالباً في تصرفاتها حيث تزيد العاطفة عند النساء على العقل كما للرجال وذلك للحنان على أطفالهن وهو حنان الأمومة ولذلك جعل الله تعالى العصمة للزوجة بيد الرجل حيث هو أكثر عقلانية ورزانة وقوة تحمل بعكس المرأة فهي عاطفية ولذلك يمكن أن تفسخ العقد عند أي غضب من الرجل وبكل سهولة وهذا ما عناه هذا الحديث وهو: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن) قيل - أيكفرون بالله؟ قال: (يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن

الدهر ثم رأيت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط). [رواه البخاري ج ١ ص ١٤]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره. واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً). [متفق عليه واللفظ للبخاري. ولمسلم: (فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها) - بلوغ المرام من أدلة الأحكام ص ١٨٧]. {وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} وفضل الله تعالى الرجال على النساء بالقوامة زيادة على قوته الجسمانية لحمايتها والذود عنها وعن الأوطان والأعراض والممتلكات بالحرب والجهاد وقوة الصبر والتحمل والجلد وكذلك فضله الله تعالى زيادة على الحماية الإنفاق من ماله على الزوجة بالمهر والصداق والإنفاق عليها هي وأطفالها وتوفير لها السكن والمأكل والمشرب بحر ماله أما الغنيات أو الموسرات منهن قليل وفي حكم النادر والحكم دائماً للعام. وفي السنن والمسند عن معاوية بن حيدة القشيري أنه قال: يا رسول الله ما حق امرأة أهدنا عليه؟ قال: (أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تُقَبِّح ولا تهجر إلا في البيت). [ابن كثير ج ١ ص ٤٩٢]. {فَالصَّالِحَاتُ} فالزوجة من النساء الطيبات الصالحات اللاتي يصلحن لأزواجهن {قَنِيتُ} تكن طائعات لربها ولزوجها فالقنوت هو الطاعة. قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس ابن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل حرف في القرآن فيه القنوت فهو الطاعة). [ابن كثير ج ١ ص ٣٦٣]. وأخرج النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله أي النساء خير؟

قال: (التي تسره إن نظر وتطبعه إن أمر ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره). [سبل السلام ج ٣ ص ١١١]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه "إلى الجماع" فأبت أن تجيء فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح). [متفق عليه واللفظ للبخاري. ولمسلم: (كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها) - بلوغ المرام من أدلة الأحكام ص ١٨٨]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها). [ابن كثير ج ١ ص ٤٩٢]. {حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ} تحفظ عرضها وشرفها عند غياب زوجها عنها {بِمَا حَفِظَ اللَّهُ} بما حفظ الله لها فرجها وستره لها وجعله بعيداً عن الأنظار وجعله بين رجليها وتستره بثيابها ولذلك جعل الله تعالى قوة المرأة بين فخذيهما حتى تحمي نفسها وعرضها ولا أحد يصل إليها إلا برضاها وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من زوجة سالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرتته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله). [رواه ابن ماجه - نزهة المجالس ج ٢ ص ٥]. {وَأَلْتِي تَخَافُونَ} والنساء التي تخشون {نُشُوزَهُنَّ} مخالفتهن لكم وعصيانهن عليكم وانحرافهن في سلوكهن {فَعِظُوهُنَّ} فأولاً انصحوهن بالكلام اللين تارة وبالشدّة تارة أخرى فإن لم يقبلن واستمررن في مخالفتهن واعوجاجهن وانحرافهن {وَأَهْجُرُوهُنَّ} وبعد النصح والوعظ والإرشاد قاطعهن {فِي الْمَضَاجِعِ} لا تقربوهن في النوم لا بجماع ولا بقبلة ولا تكلموهن لأن عدم جماع المرأة في فراش الزوجية من الزوج يكون عليها قاسياً وشديداً لأنه لها مذلة وتخشى ما وراءه وهو الطلاق أو الزواج من غيرها

وإحضار لها ضرة فإن لم ترتدع ولم ترجع عن صلفها وانحرافها وغرورها وكبريائها {وَأَضْرِبُوهُنَّ} فعندها يحل ضربها وهو آخر العلاج الكي وضربها يكون غير مبرح أي لا يترك جرحاً غائراً ولا أثراً ولا يكسر عظماً وكما جاء في المثل: (العصا لمن عصى) وكما قال تعالى: " وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " ١٧٩ البقرة. {فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ} فإن تابت ورجعت وأطاعت بعد عنادها يا أيها الأزواج من الرجال {فَلَا تَبْغُوا} فلا تتسلطوا عليهن ولا تعتدوا {عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا} عليهن بأي طريقة كانت بعد توبتهن {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ} كان ولا يزال وإلى الأزل {عَلِيًّا} عالياً وكبيراً وعظيماً وأعلى منكم وأعظم {كَبِيرًا} عظيماً كبير الشأن وعالي الدرجات فخافوه أن يببطش بكم إذا استمررتم في ظلم زوجاتكم بعد توبتهن.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا

إِصْلَاحًا يُوفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٢٠٥﴾

{وَأِنْ خِفْتُمْ} وإن خشيتم أيها المؤمنون {شِقَاقَ} خلاف ونزاع وخصومة وعداوة وفراق {بَيْنِهِمَا} بين الزوجين {فَابْعَثُوا} فأرسلوا {حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ} رجلاً حكماً من أهل أو أقارب أو معارف الزوج {وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا} ورجلاً آخر صالح من أهل الزوجة أو أقاربها أو وكيلاً عنها ويتدارسا الأمر بين الزوجين للإصلاح ومعرفة الخلاف بين الزوجين وفضّه وحلّه وحكّمهما يكون نافذاً عليهما {إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا} إن يرد الزوجان أن يصطلحا ويرغبان في العيش مع بعضهما في عيشة طيبة وكذلك الحكمين إن كانا صالحين وعادلين ويريدان الإصلاح حقيقة بين

الزوجين {يُوفِّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا} يتمم الله تعالى الصلح ويقع لا محالة بين الزوجين وتقع المحبة بينهما بمجهودات أهل الإصلاح من الحكمين وترجع المياه إلى مجاريها من جديد ويصطلحا بتوفيق الله تعالى بينهما. قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد عن ابن عباس قال: بُعِثْتُ أَنَا وَمَعَاوِيَةَ حَكَمِينَ قَالَ مَعْمَرٌ بَلَّغَنِي أَنَّ عَثْمَانَ بَعَثَهُمَا وَقَالَ لَهُمَا إِنْ رَأَيْتُمَا أَنْ تَجْمَعَا جَمْعَتُمَا وَإِنْ رَأَيْتُمَا أَنْ تَفْرَقَا فَفَرَقَا. وقال: أنبأنا ابن جريج حدثني ابن أبي مليكة أن عقيل بن أبي طالب تزوج فاطمة بنت عتبة بن ربيعة فقالت: تصير إلي وأنفق عليك فكان إذا دخل عليها قالت: أين عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فقال: على يسارك في النار إذا دخلت فشدت عليها ثيابها فجاءت عثمان فذكرت له ذلك فضحك فأرسل ابن عباس ومعاوية فقال ابن عباس لأفرقن بينهما فقال معاوية: ما كنت لأفرق بين شخصين من بني عبد مناف فأتياهما فوجداهما قد أغلقا عليهما أبوابهما فرجعا. [ابن كثير ج ١ ص ٤٩٣]. {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ} كان من الأزل ولا يزال وإلى ما شاء الله {عَلِيمًا} عالماً بخلقه وبالزوجين وبالحكمين ومن يريد الإصلاح بينهما ومن يريد الفراق بينهما فهو علام الغيوب ولا يغيب عن علمه مقدار ذرة في السماوات أو في الأرض {خَبِيرًا} عالماً وخبيراً بالحكمين وما فائدتهما في الإصلاح والتوفيق بين الزوجين وإرجاع المحبة والمودة والعطف والود والاتفاق بين الزوجين بمجهودات الحكمين عند وقوع الشقاق والخلاف بين الزوجين وهذه من رحمة الله تعالى على الأسرة حتى لا تتشتت بطلاق الزوجين.

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ ﴿٥٠٩﴾

{وَأَعْبُدُوا اللَّهَ} أدوا الفرائض لله تعالى {وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} ولا تجعلوا لله شريكاً في ملكه ولا ند ولا صنم ولا وثن كما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا " ١١٦ النساء. وكما قال تعالى: " وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا " ١٣١ النساء. وقال تعالى: " وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان.

{وَبِالْوَالِدَيْنِ} بالأب وبالأُم وهما الأصل في وجودك إلى الدنيا بإرادة الله تعالى ولذلك عليك واجب نحوهما {إِحْسَانًا} أن تحسن إليهما في العشرة والإنفاق والمعاملة الحسنة وكما قال تعالى: " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا " ٢٣ الإسراء. {وَبِذِي الْقُرْبَىٰ} والمنزلة الثانية للإحسان بعد الوالدين ذوي القربى أن يحسن إليهم بالصدقات وبالقول الطيب وبالمعاملة الحسنة. قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ " ٩٠ النحل. {وَالْيَتَامَىٰ} اليتيم من مات والداه أو أحدهما وهو لم يبلغ الرشد بعد وكان فقيراً فليحسن إليه ويتصدق عليه {وَالْمَسْكِينِ} المسكين هو الفقير المتعفف. قال البخاري: حدثنا ابن أبي

مريم حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شريك بن أبي نمر أن عطاء بن يسار وعبد الرحمن ابن أبي عمرة الأنصاري قالا: سمعنا أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان إنما المسكين الذي يتعفف أقرؤوا إن شئتم يعني قوله: " لا يسألون الناس إحافاً ").

[وقد رواه مسلم من حديث إسماعيل بن جعفر المدني عن شريك بن عبد الله ابن أبي نمر عن عطاء بن يسار وحده عن أبي هريرة به - ابن كثير ج ١ ص ٣٢٤].

{وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ} والجار القريب أن تحسن إليه في المعاملة والمعاشرة {وَالْجَارِ الْأَجْنَبِ} والجار بالجوار الساكن جنبك وهو الغريب من الجيران وليس من قرابتك {وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ} وصاحبك وصديقك الساكن جارا لك أو معك في الوظيفة أو في العمل أو حتى في السفر. قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد حدثنا هشام عن حفصة عن أبي العالية عن رجل من الأنصار قال: خرجت من أهلي أريد النبي صلى الله عليه وسلم فإذا به قائمٌ ورجل معه مقبل عليه فظننت أن لهما حاجة قال الأنصاري: لقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعلت أرثي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من طول القيام فلما انصرف قلت: يا رسول الله لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثي لك من طول القيام قال: (وقد رأيته) قلت: نعم. قال: (أتدري من هو؟) قلت: لا. قال: (ذاك جبريل ما زال يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه ثم قال: (أما إنك لو سلمت عليه لرد عليك السلام). [ابن كثير ج ١ ص ٤٩٤].

و قال أبو بكر البزار: حدثنا عبيد الله بن محمد أبو الربيع المحاربي حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك أخبرني عبد الرحمن بن الفضل عن عطاء الخراساني عن الحسن بن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الجيران ثلاثة ، جار له حقٌ واحدٌ وهو أدنى الجيران حقا. وجار له

حَقَّان ، وَجَارٌ لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ وَهُوَ أَفْضَلُ الْجِيرَانِ حَقًّا . فَأَمَّا الْجَارِ الَّذِي لَهُ حَقٌّ وَاحِدٌ فَجَارٌ مُشْرِكٌ لَا رَحِمَ لَهُ ، لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ . وَأَمَّا الْجَارِ الَّذِي لَهُ حَقَّانِ فَجَارٌ مُسْلِمٌ لَهُ حَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الْجَوَارِ وَأَمَّا الَّذِي لَهُ ثَلَاثَةُ حُقُوقٍ فَجَارٌ مُسْلِمٌ ذُو رَحِمٍ لَهُ حَقُّ الْجَوَارِ وَحَقُّ الْإِسْلَامِ وَحَقُّ الرَّحِمِ . [قال البزار: لا نعلم أحداً روى عن عبد الرحمن ابن الفضل إلا ابنُ أبي فديك - ابن كثير ج ١ ص ٤٩٥]. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي عمران عن طلحة بن عبد الله عن عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: (إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: (إلى أقربها منك باباً). [ورواه البخاري من حديث شعبة به - ابن كثير ج ١ ص ٤٩٥]. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمر بن محمد بن زيد أنه سمع أباه محمداً يحدث عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه). [أخرجه في الصحيحين من حديث محمد بن زيد بن عبد الله ابن عمر به - ابن كثير ج ١ ص ٤٩٤]. {وَأَبْنِ السَّبِيلِ} والإحسان إلى ابن السبيل وهو المسافر الذي يمر بقريتك حيث شطت به الدار وبعد عن الأهل والأقارب والأصدقاء وانقطعت به السبل وخلصت منه نفقته ولم يبق معه مال لينفق منه على نفسه {وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} والإحسان إلى ما ملكت أيما نكم وهم الأرقاء الذين تملكونهم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمةً أو لقمتين أو أكلةً أو أكلتين فإنه ولي حره وعلاجه) أخرجه ولفظه للبخاري. ولمسلم: (فليقعده معه فليأكل فإن كان الطعام مشفوها قليلاً فليضع في يده أكلة أو أكلتين). وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (هم إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه

تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم) أخرجاه. [ابن كثير ج ١ ص ٤٩٥]. {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا تُحِبُّ} يبغض {مَنْ كَانَ مُخْتَالًا} من كان متكبراً متعالياً على عباده من الناس {فَخُورًا} يفخر بنفسه وحسبه وجاهه وليس بدينه ولا بعبادته بل يفخر بالملذات والشهوات وبظلمه للناس في جاهه ووظيفته وكما قال تعالى: " وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا " ٣٧ الإسراء. وقال تعالى: " وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ " ١٨ لقمان. وفي تفسير ابن كثير: (حدثنا محمد بن بكار حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً: (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره وبينما رجل يتبختر في برديه أعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة)). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٥٠]. قال علقمة عن ابن مسعود رفعه: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان). وقال إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: (من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر أكبه الله على وجهه في النار). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٤٩]. وقال الحافظ الطبري: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا محمد بن عمران ابن أبي ليلى حدثنا أبي عن أبي ليلى عن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس قال: ذكر الكبر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشد فيه فقال: (إن الله لا يحب كل مختال فخور) فقال رجل من القوم: (والله يا رسول الله إنني لأغسل ثيابي فيعجبني بياضها ويعجبني شراك نعلي وعلاقة سوطي) فقال: (ليس ذلك الكبر إنما الكبر أن تسفه الحق [ترفضه وتحتقره] وتغمط

الناس [تظلمهم وتحقرهم]. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٤٦]. وكما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الكبر بطر الحق [رفضه] وغمط الناس [احتقارهم واستضعافهم]). [ابن كثير ج ٤ ص ٢١٢].

﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [٢٧] وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٢٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾

{الَّذِينَ يَبْخُلُونَ} وهم البخلاء من الناس الذين لا يتصدقون ولا ينفقون ولا يحسنون إلى الوالدين وذي القربى واليتامى والمساكين والجيران وابن السبيل والأرقاء والإماء {وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ} وينصحون الناس بالبخل وهم اليهود والذين أشركوا يقولون: " لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ". قال أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم). [انفرد بإخراجه مسلم فرواه عن القعني عن داود بن قيس به - ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٨]. وقال الأعمش وشعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقرع عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم

القيامة ، واتقوا الفُحْشَ فإن الله لا يحب الفحش ، وإياكم والشُّحَّ فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمهم بالفجور ففجروا ، وأمهم بالقطيعة فقطعوا). [ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الأعمش كلاهما عن عمرو بن مُرّة به - ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٩]. {وَيَكْتُمُونَ} ويخفون ولا يبوحون ويسرون {مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} ما أعطاهم الله تعالى من فضله وكرمه وجوده وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى وما يخفونه من صفة واسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم السماوية حتى لا يتبعه أحد منهم والآية كذلك تطبق عامة على من يخفي ما أعطاه الله تعالى من مال خوفاً أن يطلبوا منه شيئاً من ماله أو أي نعمة أنعمها الله تعالى على عبده. وفي الحديث: (إن الله إذا أنعم نعمة على عبد أحب أن يظهر أثره عليه). [ابن كثير ج ١ ص ٤٩٦]. {وَأَعْتَدْنَا} وحضرنا وأعدنا وجهزنا {لِلْكَافِرِينَ} للكفار وهم من كفر ووجد وكذب ولم يصدق ولم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وخاصة لم يصدق برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {عَذَابًا} عقاباً {مُهِينًا} مذلاً وشديداً وقاسياً وأليماً {وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ} والذين يصرفون أموالهم ويتصدقون بها {رِثَاءَ النَّاسِ} أمام الناس رياءً وسمعةً وشهرةً وتفاخراً {وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} ولا يصدقون بالله رباً وخالقاً ورازقاً ومحياً ومميتاً وليس في مرضاته ولا طاعته {وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} ولا يصدقون بالبعث ولا بالنشور ولا بالحساب والعقاب يوم القيامة ولا بالجنة ولا بالنار {وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا} ومن يكن صديقه وحميمه وصاحبه ورفيقه ويشير عليه الشيطان وهو إبليس وجنوده أن يزين له سوء عمله والمعاصي والذنوب والكفر والشرك {فَسَاءَ} ففبح

{قَرِينًا} رفيقاً وصاحباً ومشيراً {وَمَاذَا عَلَيْهِمْ} وماذا يمنعمهم وماذا يضرهم {لَوْ
ءَامَنُوا بِاللَّهِ} لو صدقوا بالله تعالى رباً ومعبوداً وخالقاً ورازقاً ومحياً ومميتاً
{وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} وآمنوا وصدقوا بيوم القيامة وهو يوم الحساب والعقاب والثواب
فمن عمل صالحاً دخل الجنة ومن أساء دخل النار {وَأَنْفُقُوا} وتصدقوا {مِمَّا
رَزَقَهُمُ اللَّهُ} مما أعطاهم ووهبهم الله تعالى من رزقه ونعمه وليس من عند أنفسهم
كما يظن الكفار وكما قال قارون لموسى عليه السلام: " قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ
عِنْدِي " {وَكَانَ} وكان من الأزل وإلى ما شاء الله وإلى الأبد {اللَّهُ} الله تعالى جل
جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِهِمْ} بالكفار والبخلاء والمرائين {عَلِيمًا} عالماً بهم
وبأسرارهم وبما يظهرون وبما يكتُمون وبما يخفون وبما يعلنون من أسرار ومن كفر
وبخل ورياء {إِنَّ} إن للتأكيد {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه
{لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} لا يظلم أحداً من الخلق والناس يوم القيامة عند الحساب
ولو كان مقدار ذرة كما قال تعالى: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {٨} " ٨،٧ الزلزلة. {وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً} وإن عمل حسنة سواء
طاعة أو أي عمل من أعمال الخير {يُضَعِفْهَا} يزيدها ثواباً وأجرًا يوم القيامة
{وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ} ويعطي من فضله {أَجْرًا عَظِيمًا} ثواباً كبيراً وهو الجنة. وعن
ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى
كما رواه الإمام أحمد بن حنبل: (إن ربكم عز وجل رحيم من هم بحسنة فلم
يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة
ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها
الله عز وجل ولا يهلك على الله إلا هالك). [ورواه البخاري ومسلم والنسائي من

حديث الجعد بن عثمان - ابن كثير ج ٢ ص ١٩٦]. وكما قال تعالى: " مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ " ١٦٠ الأنعام.

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾

{ فَكَيْفَ } سؤال استنكاري فيه تهديد للكفار { إِذَا جِئْنَا } إذا أتينا وأحضرنا { مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ } من كل أمة من الأمم السابقة واللاحقة ومن كل قوم من الأقوام وذلك يوم القيامة في المحشر يوم الحساب والعقاب والثواب والجزاء { بِشَهِيدٍ } بشاهد يشهد على أعمالهم وأفعالهم وعلى تصديقهم أو تكذيبهم للرسول ، والشهيد هو نبي ورسول ذلك القوم وهذه الأمة ، فنوح عليه السلام يشهد على قومه وإبراهيم الخليل يُسأل ويشهد على قومه ولوط وموسى وصالح وعيسى وغيرهم من الأنبياء والرسول عليهم جميعاً الصلاة والسلام هل آمن قومهم بهم وصدقوهم وأطاعوهم أم كذبوهم وعصوهم وعادوهم وخالفوهم وخاصموهم { وَجِئْنَا بِكَ } وأحضرناك يا محمد يا رسول الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد { عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ } على هؤلاء الكفار والمشركين مثل أبو جهل وأبو لهب وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأميرة ابن خلف وغيرهم. وقال ابن إسحاق وحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر يوم هذه المقالة (يا أهل القليب بنس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتُموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتُموني ونصرني الناس) ثم قال (هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟). [ابن هشام ج ٢ ص ٢٩٢].

{ شَهِيدًا } يشهد على قومه وعلى أمته وعلى أئمة الكفر من أمته مثل أبو جهل

وغيره مما ذكرنا وعلى تكذيبهم له ومخالفته ومحاربتهم ومعاداتهم له هم ومن على شاكلتهم من الكفار يشهد عليهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم كذبه ولم يصدقوه {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة ويوم الحساب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ويوم يفر المرء من أمه وأبيه {يَوَدُّ} يرغب ويتمنى {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار الذين جحدوا وأنكروا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والذين كذبوا الرسل ولم يؤمنوا ولم يصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَصُوا الرَّسُولَ} وخالفوا رسولهم ولم يطيعوه وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في رسالته {لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ} يتمنون عندها لو تخسف بهم الأرض {وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ} ولا يخفون ولا يكتُمون الله تعالى سرهم وكفرهم {حَدِيثًا} قولاً عن أعمالهم وكفرهم وعصيانهم ومخالفتهم ومعاداتهم للرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يستطيعون كتم حديثهم وقولهم وكل عمل عملوه في الدنيا ضد رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. قال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقرأ عليّ) فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل قال: (نعم إني أحب أن أسمع من غيري) فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية: " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا " فقال: (حسبك الآن) فإذا عيناه تَدْرِفَانِ. [ورواه هو ومسلم أيضاً من حديث الأعمش به - ابن كثير ج ١ ص ٤٩٨].

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾

{ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا } أيها المؤمنون يا من آمنتم وصدقتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ } لا تأتوها { وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ } وأنتم سكرانين وثلين من شرب الخمر وكل مسكر والسكر هو أن يشرب الخمر ويلذ به حتى يصبح ثملاً لا يدري ما يدور حوله ولا يدري عن عمله وفعله هل هو خير وسليم أو شر وقبيح فهو يفقد العقل ويفقد توازنه وإدراكه وإحساسه ويشعر بنشوة ولذة في البداية حتى يخمر عقله ويسلب الحواس والإدراك وعواقب عمله وفعله حتى يفقد الوعي وقد يبول على نفسه ويفعل أعمالاً شائنة وقبيحة ويتلفظ بألفاظ نابية وقبيحة وخارجة عن الأدب ولا يفرق بين الحلال والحرام وإذا وجد محارمه أمه وأخته قد يزني بهما إذا تمكن من ذلك لتغييب عقله وهو مأخوذ غالباً من عصير العنب أو نقيع الزبيب أو التمر عند تخمره وكل مسكر هو ما أسكر العقل وغيبه وحجبه عن الإدراك والإحساس والوعي وكل مسكر فهو خمر وهو حرام شرعاً. وروى مسلم من قوله صلى الله عليه وسلم: (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام). [الفقه على المذاهب الأربعة ص ١٩]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام). [أخرجه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٣٣]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت حبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن أناساً من أمتي يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها). [سبل السلام ج ٤ ص ٣٤]. وعن أبي مالك الأشعري عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم أنه قال: (ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها وتضرب على رؤوسهم المعازف يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم قردة وخنزير). [سبل السلام ج ٤ ص ٣٤]. وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما أسكر كثيره فقليله حرام). [أخرجه أحمد والأربعة وصححه ابن حبان وأخرجه الترمذي وحسنه ورجاله ثقات - سبل السلام ج ٤ ص ٣٥]. وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف بن الوليد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عن عمر أنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت هذه الآية التي في البقرة: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ" فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في النساء: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ" فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقام الصلاة نادى: أن لا يقربن الصلاة سكران فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في المائدة فدعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ: "فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ" قال عمر: انتهينا انتهينا. [وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن إسرائيل عن أبي إسحاق - ابن كثير ج ١ ص ٢٥٥]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين قال وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن بن عوف: أخف الحدود ثمانون فأمر به عمر. [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ٢٨]. وعن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في شارب الخمر: (إذا شرب فاجلدوه ثم إذا شرب فاجلدوه ، ثم إذا شرب الثالثة فاجلدوه ، ثم إذا شرب الرابعة فاضربوا عنقه). [أخرجه أحمد وهذا لفظه

والأربعة. اختلفت الروايات في قتله ، هل يُقتل إذا شرب الرابعة أو إن شرب الخامسة؟ فأخرج أبو داود من رواية أبان القصار وذكر الجلد ثلاث مرات بعد الأولى ثم قال: (فإن شربوا فاقتلوهم) وأخرج من حديث ابن عمر من رواية نافع عنه أنه قال: وأحسبه قال في الخامسة (فإن شربها فاقتلوه) - سبل السلام ج ٤ ص ٣١]. ومن يدعي أنه دواء للعلاج فعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم). [أخرجه البيهقي وصححه ابن حبان وأخرجه أحمد وذكره البخاري تعليقاً عن ابن مسعود - سبل السلام ج ٤ ص ٣٦]. وعن وائل الحضرمي أن طارق بن سويد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر يصنعها للدواء فقال: (إنها ليست بدواء ولكنها داء). [أخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما - سبل السلام ج ٤ ص ٣٦]. {حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} والنهي عن شرب الخمر في الصلاة سببه حتى يعلم ما يقول وما يتكلم المصلي وهذا كان في بداية الإسلام قبل نزول التحريم وكذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم النعسان من الصلاة. قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليصرف ولينم حتى يعلم ما يقول). [انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم فرواه هو والنسائي من حديث أيوب وفي بعض ألفاظ الحديث: (فلعله يذهب يستغفر فيسب نفسه) - ابن كثير ج ١ ص ٥٠٠]. فما بالك بشرب المسكر والخمر. وذكر ابن أبي شيبة في سبب نزول هذه الآية ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا شُعْبَةَ أَخْبَرَنِي سَمَّاكُ بْنُ حَرْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُصْعَبَ بْنَ سَعْدٍ يَحْدُثُ عَنِ سَعْدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: نَزَلَتْ فِي أَرْبَعِ آيَاتٍ: صَنَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ طَعَامًا فَدَعَا أَنْاسًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَأَنْاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَكَلْنَا

وشربنا حتى سكرنا ثم افتخرنا فرفع رجل لحي بغير فعرز بها أنف سعد فكان سعد مغرور الأنف وذلك قبل تحريم الخمر فنزلت: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ " الآية. والحديث بطوله عند مسلم من رواية شعبة ورواه أهل السنن إلا ابن ماجه من طرق عن سماك به. سبب آخر: قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي حدثنا أبو جعفر عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموا فلاناً قال فقراً: قل يا أيها الكافرون ما أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون. فأنزل الله " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ". هكذا رواه ابن أبي حاتم وكذا رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبد الرحمن الدشتكي به وقال حسن صحيح. [ابن كثير ج ١ ص ٥٠٠]. {وَلَا جُنُبًا} ولا تقربوا الصلاة ولا تصلوا وأنتم عليكم الجنابة وهي الاحتمام في النوم فيرى نفسه إذا بلغ الحلم أنه يجامع وينزل منه المنى ويجده في الصباح في ملابسه عندها لا يجوز له الصلاة حتى يغتسل سواء الرجل أو المرأة على حد سواء من رأى المنى في ملابسه عندما يستيقظ عليه الغسل ولا يجوز له كذلك قراءة القرآن كما جاء في الحديث: قال صلى الله عليه وسلم: (لا يقرأ القرآن حائض ولا جنب ولا تسافروا بالقرآن إلى بلد العدو). [خزينة الأسرار ص ٥٣]. {إِلَّا} حرف استثناء أي ما عدا {عَابِرِي سَبِيلٍ} ما عدا المسافر عن طريق القرى والمدن ويعرج عليها في طريقه وهو مسافر فهذا لعدم وجود المكان الذي يغتسل فيه وعدم وجود الماء وعدم وجود الماء معه فهو مسموح له بعدم الغسل بل بالتيمم {حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا} فلا يجوز الصلاة للجنب حتى يغتسل {وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ} وكذلك

يرخص للمريض بعدم الغسل إذا كان يمكن أن يحصل له ضرر أو أذى من الغسل. قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد ابن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جُبَيْر عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال: لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل قال احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيمنت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح قال: فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال: (يا عمرو صَلَّيتُ بأصحابك وأنت جُنُب) قال: قلت يا رسول الله إنني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فذكرت قول الله عز وجل: " وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا " فتيمنت ثم صليت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً. [وهكذا رواه أبو داود من حديث يحيى بن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب به ورواه أيضا عن محمد ابن أبي سلمة عن ابن وهب عن ابن لهيعة وعمر بن الحرث كلاهما عن يزيد ابن أبي حبيب عن عمران بن أبي أنس عن عبد الرحمن بن جبير المصري عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عنه فذكر نحوه. وهذا والله أعلم أشبه بالصواب - ابن كثير ج ١ ص ٤٨٠]. أما مرور الحائض والجنب في المسجد لحاجة لا شيء فيها وقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ناوليني الخمرة) من المسجد فقلت: (إني حائض) فقال: (إن حيضتك ليست في يدك). [ابن كثير ج ١ ص ٥٠١]. {أَوْ عَلَى سَفَرٍ} وكان في سفر في البر أو البحر أو الجو ولم يتمكن من الغسل من الجنابة {أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ} أو بعد قضاء الحاجة من بول أو براز {أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ} أي جامعتم نساءكم أي زوجاتكم كما قال ابن جرير: حدثني حميد بن مسعدة حدثنا يزيد بن زريع حدثنا

شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: ذكروا اللمس فقال ناس من الموالي ليس بالجماع وقال ناس من العرب اللمس الجماع قال فلقيت ابن عباس فقلت له إن ناساً من الموالي والعرب اختلفوا في اللمس فقالت الموالي ليس بالجماع وقالت العرب الجماع قال: فمن أيّ الفريقين كنت؟ قلت كنت من الموالي ، قال غلب فريق الموالي. إن اللمس والمس والمباشرة الجماع ولكن الله يكتفي بما شاء. [ثم رواه عن ابن بشار عن غندر عن شعبة به نحوه - ابن كثير ج ١ ص ٥٠٢].

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن الأعمش عن حبيب عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ بعض نساءه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ. قلت من هي إلا أنت فضحكت. [وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن جماعة من مشايخهم عن وكيع به - ابن كثير ج ١ ص ٥٠٣]. وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا أبو زيد عمر بن أنيس عن هشام بن عباد حدثنا مسدد بن علي عن ليث عن عطاء عن عائشة وعن أبي روق عن إبراهيم التيمي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينال مني القبلة بعد الوضوء. [ابن كثير ج ١ ص ٥٠٤]. وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن أبي روق عن إبراهيم التيمي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ثم صلى ولم يتوضأ. [رواه أبو داود والنسائي من حديث يحيى القطان زاد أبو داود وابن مهدي كلاهما عن سفيان الثوري به - ابن كثير ج ١ ص ٥٠٤].

وقال ابن جرير أيضاً: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثنا أبي حدثنا يزيد عن سنان عن عبد الرحمن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبلها وهو صائم ثم لا يفطر ولا يحدث وضوءاً. [ابن كثير ج ١ ص ٥٠٤]. وقال صاحب مراقي الفلاح في ذكر ما لا ينقض

الوضوء على مذهب الإمام أبو حنيفة ما نصه: ((و) منها (مس ذكر) ودبر وفرج مطلقاً وهو مذهب كبار الصحابة كعمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وزيد ابن ثابت وصدور التابعين كالحسن وسعيد والثوري رضي الله تعالى عنهم لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل كأنه بدوي فقال يا رسول الله ما تقول في رجل مس ذكره في الصلاة فقال هل هو إلا بضعة منك ومضغة منك قال الترمذي وهذا الحديث أحسن شيء في هذا الباب وأصح). [مراقي الفلاح ص ٤١]. وقال الصنعاني في سبل السلام: (وحديث عائشة رضي الله عنها في البخاري في أنها كانت تعترض في قبلته [اتجاه القبلة للكعبة] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإذا قام يصلي غمزها فقبضت رجلها: أي عند سجوده وإذا قام بسطتهما فإنه يؤيد حديث الكتاب المذكور ويؤيد بقاء الأصل ، ويدل على أنه ليس اللمس بناقض ... وقد فسر علي عليه السلام الملامسة بالجماع وفسرها حبر الأمة ابن عباس بذلك وهو المدعو له بأن يعلمه الله التأويل ، فأخرج عنه عبد بن حميد أنه فسر الملامسة بعد أن وضع أصبعيه في أذنيه ألا وهو النيك ، وأخرج عنه الطستي أنه سأله نافع بن الأزرق عن الملامسة ففسرها بالجماع). [سبل السلام ج ١ ص ٦٦]. والآيات القرآنية تدل على أن اللمس هو الجماع لقوله تعالى: " وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ " ١٣٧ البقرة. وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا " ٤٩ الأحزاب. واللمس هو الجماع وعليه فهو مذهب الإمام أبي حنيفة ولكن عند الشافعي يفسد الوضوء وهنا أذكر قصة حصلت فعلاً أنه حدثني بعض الأصدقاء والزملاء ذات يوم أنه جاء إلى عمله فسألني بأنه قد

عمل هذا اليوم ذنباً عظيماً فقلت له خيراً قال في الصباح أردت الخروج إلى عملي فتوضأت وكان الجو بارداً جداً والماء كذلك وبعد أن انتهيت من الوضوء وأنا أرتجف طلبت من زوجتي أن تأتيني بفوطة حتى أنشف أعضائي فجاءتني بها بسرعة وقد لمست يديها يدي فاغتظت منها وشفعتها على وجهها صفة شديدة لأن وضوئي قد فسد لأنني على مذهب الإمام الشافعي فضحكت وقلت له خذ بمذهب الإمام أبو حنيفة فإن اللمس عنده لا ينقض الوضوء ولا تشقنّ على نفسك فالرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه) وما خير الرسول عليه الصلاة والسلام بين أمرين إلا أخذ بأيسرهما وقال صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا). {فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً} فإن تعذر عليكم وجود الماء بأن كنتم في مكان لا يوجد به ماء أو وُجد ولكنه كان مريضاً أو به جرح غائر وخشي على نفسه الهلاك فعليه التيمم كما قال تعالى {فَتَيَمَّمُوا} والتيمم هو بديل عن عدم وجود الماء {صَعِيداً} هو كل شيء كان من جنس الأرض كالرمل والتراب والحجارة والحصى ويجوز التيمم بالطوب المحترق على مذهب الإمام أبي حنيفة. [انظر فقه المذاهب الأربعة ص ٨٠، ٧٩]. {طَيِّباً} أي طاهراً لا نجاسة فيه. وفي حديث أبي أمامة: (فأیما رجل من أمتي أدركته الصلاة فلم يجد ماء وجد الأرض طهوراً ومسجداً) وفي لفظ (فعنده طهوره ومسجده). [سبل السلام ج ١ ص ٩٤]. وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت للناس عامة). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٢٦]. وفي حديث حذيفة عند مسلم: (وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء). [سبل السلام ج ١ ص ٩٤].

والتيمم في اللغة هو القصد وفي الشرع القصد إلى الصعيد {فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ} والتيمم هو مسح الوجه واليدين بنية استباحة الصلاة ونحوها. [انظر سبل السلام ج ١ ص ٩٣]. وكيفيته أن يضرب الأرض ضربتين بيديه على التراب أو على الحجر ولو أملس أو الرمل أو الحصى ولا يجوز التيمم على شيء ليس من جنس الأرض كالأشجار والزجاج والمعادن المنقولة أو اللؤلؤ أو الدقيق أو الرماد. وهو ضربتان بباطن كفيه إقبالهما وإدبارهما ونفضهما وتفريغ الأصابع وهي أن يضرب يديه على الصعيد ثم ينفضهما ثم يمسح بهما وجهه ويعمه بحيث لا يبقى منه شيء ثم يضرب يديه ثانياً على الصعيد ثم ينفضهما فيمسح بهما كفيه وذراعيه إلى المرافق بأن يمسح بيده اليسرى ظاهر يده اليمنى بادئاً من ظهر أصابع يده اليمنى إلى المرفق ثم يعيد بباطن يده اليسرى باطن ذراعه الأيمن من المرفق حتى الرسغ وكذلك يبدأ باليد اليسرى كاليمنى بأن يمسح بأصابع يده اليمنى ظهر يده اليسرى من أطراف أصابعه إلى المرفق وبباطن اليد اليمنى يعيدها من المرفق إلى الرسغ لليسى وبهذا تزول عنه الجنابة أي الحدث الأكبر والحدث الأصغر وإذا وجد عنده الماء فيما بعد تسقط عنه الجنابة ولا يعيد الغسل فالتيمم أسقطها. [انظر فقه مراقي الفلاح ص ٥٤ وفقه المذاهب الأربعة ص ٨١]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين). [رواه الدارقطني - سبل السلام ج ١ ص ٩٦]. وعند الإمام أبي حنيفة والشافعي قالوا الفرض في التيمم مسح اليدين مع المرفقين [الكوعين] ، وعند الإمام مالك والحنابلة قالوا إن الفرض مسح اليدين إلى الكوعين [الرسغين] وأما إلى المرفقين [الكوعين] فهو سنة. [انظر فقه المذاهب الأربعة ص ٨٠]. {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ} كان من الأزل وإلى يوم القيامة

{عَفْوًا} يعفو عنكم لعدم وجود الماء أو لمرض أصابكم أي عفا عنكم من التضييق عليكم في الصلاة لعدم وجود الماء فخفف وعفا إلى التراب والحجارة بالتيمم {غَفُورًا} لمن تيمم للصلاة وصلّاها بالتيمم فلا يحاسبه بل يغفر له ذلك لأنه معفى عنه أي غافر لكم عن الصلاة بالتيمم لعدم وجود الماء أو استعماله. ومن هذه الآية يُدَلّ على أن الصلاة لا يوجد رخصة في تركها بل على المسلم أن يصلّيها في جميع الظروف والأحوال لأنها عمود الدين ومن هدمها فقد هدم الدين. وثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل؟ قال: (الصلاة في وقتها) قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله) قلت: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين) قال حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزدني. [ابن كثير ج ١ ص ٢٩٠]. وفي الصلاة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أول الوقت رضوان الله ووسط الوقت رحمة الله وآخر الوقت عفو الله). [نزّهة المجالس ج ١ ص ٩٢]. وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من نام عن صلاة أو نسيها فكفارتها أن يصلّيها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك). [ابن كثير ج ١ ص ١٤٤]. وثبت في صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء) وفي لفظ: (وجعل ترابها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء). [ابن كثير ج ١ ص ٥٠٤]. وروى الإمام أحمد وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث أبي قلابة عن عمرو بن نجدان عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الصعيد الطيب طهور المسلم إن لم يجد الماء عشر حجج فإذا وجده فليمسه بشرته فإن ذلك خير له). [وقال الترمذي حسن صحيح وصححه ابن حبان

أيضاً ورواه الحافظ أبو بكر في مسنده عن أبي هريرة وصححه الحافظ أبو الحسن القطان وقال ابن عباس: (أطيب الصعيد تراب الحرث). رواه ابن أبي حاتم ورفعاه ابن مردويه في تفسيره - ابن كثير ج ١ ص ٥٠٤]. وفي الصحيحين من حديث عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلاً معتزلاً لم يصل مع القوم فقال: (يا فلان ما منعك أن تصلي مع القوم ألسنت برجل مسلم؟) قال بلى يا رسول الله ولكن أصابتني جنابة ولا ماء قال: (عليك بالصعيد فإنه يكفيك). ولهذا قال تعالى: " فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ". [ابن كثير ج ١ ص ٥٠٤].

وسبب نزول التيمم قال البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف أنبأنا مالك عن عبد الرحمن ابن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت: (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا ألا ترى إلى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير ماء حين أنزل الله آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن الحضير ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته). [وقد رواه البخاري أيضاً عن قتيبة عن إسماعيل ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن مالك - ابن كثير ج ١ ص ٥٠٦].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ^{٤٤} وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا^{٤٥} ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا تَحَرَّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ^{٤٦} وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿

{ أَلَمْ تَرَ } ألم تر وتنظر وتشاهد يا محمد يا رسول الله { إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ } الذين أعطوا نصيباً من الكتب السماوية وهم اليهود الذين أعطاهم الله تعالى كتاب التوراة التي أنزلت على رسولهم موسى عليه الصلاة والسلام { يَشْتُرُونَ الضَّلَالََةَ } اشتروا ضلالة الكفر بدلاً من الإيمان كما قال تعالى: " أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ " ١٦ البقرة.

{ وَيُرِيدُونَ } ويريدون ويتمنون ويطلبون { أَن تَضَلُّوا السَّبِيلَ } أن تضلوا وتتوهوا وتبعدوا عن طريق الحق والهدى والإيمان والنور وتبتعدوا عن دين الإسلام ونهجه { وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ } والله تعالى يعلم بأعدائكم وهم اليهود وما في ضميرهم وما يخفون كما قال تعالى: " لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا " ٨٢ المائدة. { وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا } ويكفيكم أيها المؤمنون أن يتولاكم الله تعالى ويرعاكم ويكلؤكم ويحميكم ويحفظكم من كيدهم ومكرهم وقد أخبركم سبحانه وتعالى بعداوتهم لكم لتأخذوا حذرهم { وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا } ويكفيكم أن الله تعالى هو ناصرهم عليهم ومؤازركم ومؤيدكم عليهم وهم اليهود { مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا } من اليهود { تَحَرَّفُونَ الْكَلِمَ } يغيرون كلام الله في كتابهم التوراة ويقلبونه { عَن مَّوَاضِعِهِ } عن

حقيقته وعن أصله وعن نصه ويخفونه ويغيرون الحق ويقلبونه باطلاً والباطل يقلبونه حقاً وهذه صفة من صفات اليهود {وَيَقُولُونَ} ويقول اليهود للنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين {سَمِعْنَا} استمعنا للقرآن ولمقاتك يا محمد {وَعَصَيْنَا} وعصينا وخالفنا أمرك وإتباعك {وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ} واسمع لا سمعت أي أصمك الله وأطرشك أي يتمنون للنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الطرش والصمم وهذا يدل على شدة حقدهم وعداوتهم للنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا ما أظهرته فلتات ألسنتهم كما قال تعالى: " قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ " ١١٨ آل عمران. {وَرَاعِنَا} وظاهرها معناه أرعنا سمعك وأعطنا انتباهك وباطنها وراعنا للتحقير وهي مأخوذة من راعي الغنم وهو الأجير الذي يرعى للقوم الغنم أي يريدون تحقيره وتصغيره بأنه راعي غنم أي يحقرونه ويستهزئون به أي كما يقال للتحقير يا راعي الغنم وفي ظاهرها أنهم يمدحونه وفي باطنها تحقيراً للنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وطعناً في رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفي الدين الإسلامي {لِيَأْتِيَ بِاللَّسْتِمْ} تهكماً وتغييراً في ألفاظهم للحقيقة ولأدب الكلام {وَوَطَعْنَا فِي الدِّينِ} وتحقيراً في دين الإسلام وفي رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم ينتقون الكلمات البذيئة التي تحمل معنيين أحدهما طيب والآخر سيئ وفيه تجريح وإهانة لأنهم خلّقوا على الغدر والمكر والخداع {وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} وهنا يكشف الله تعالى سر اليهود وعداوتهم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولرسالته ولالدين الإسلامي ولو أنهم بدل ما قالوا سمعنا وعصينا لو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا قولك ورسالتك يا محمد يا رسول الله وسنتبعك على الحق والهدى ولو أنهم قالوا كذلك

{وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرُنَا} لو أنهم قالوا اسمع سؤالنا وحوارنا ومناقشتنا وانظر إلينا أي أرعنا سمعك وبصرك بدلاً من راعنا التي تحمل معنيين ومعناها السيئ راعي لنا وأجير للغنم {لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} لكان أفضل لهم القول الطيب بدلاً من القول الخبيث {وَأَقْوَمَ} وأفضل وأحسن وأجود لمتانة عقيدتهم وإيمانهم بالله تعالى وبرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ} ولكن لعصيانهم غضب الله عليهم ولعنهم في كتابه في الدنيا وهو القرآن الكريم ويوم القيامة لعنته لهم هو عذابه لهم بسبب كفرهم وجحودهم وإنكارهم وتكذيبهم برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الإسلامي وبسبب عنادهم وعصيانهم {فَلَا يُؤْمِنُونَ} فلا يصدقون برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {إِلَّا قَلِيلًا} إلا قليلاً جداً بما يناسب أهواءهم وشهواتهم وبما في القرآن من ذكر التوراة وموسى عليه السلام وهو نبيهم والتوراة كتابهم ويكفرون بما وراء ذلك الذي يخالف عقيدتهم وأهواءهم وشهواتهم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ ٤٧ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } يخاطب الله تعالى اليهود ويقول لهم يا من أوتيتم وأعطيتكم كتاب التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام { ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا } آمِنُوا وصدقوا بالقرآن الكريم الذي أنزلناه على محمد رسول الله بواسطة الوحي جبريل عليه السلام { مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ } مصدق بما جاء معكم في التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام والتي صفته ورسالته موجودة عندكم في التوراة { مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا } من قبل أن نطمس ونقل على بصائرهم فلا يبصرون الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال فيتخبطوا في ضلالهم وغيهم { أَوْ نَلْعَنَهُمْ } أو نعذبهم ونمسخهم { كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ } كما عذبنا ومسخنا أصحاب السبت وهم اليهود إلى قردة وخنازير لأنهم خالفوا أمر الله تعالى وهو عدم الاصطياد للحيتان يوم السبت يوم عيدهم وعطلتهم الأسبوعية والتي طلبوها بدلاً من الجمعة فخالفوا وتحايلا بوضع الشباك والصنانير وعدة الصيد أدخلوها إلى البحر يوم الجمعة قبل السبت بيوم وأخذوها وأخرجوها يوم الأحد بعد السبت بيوم وقالوا لم نصطد في يوم السبت الذي مُنعوا فيه صيد الأسماك لأنهم لا تأتيهم بكثرة إلا في يوم السبت شُرْعاً ظاهرةً فتنةً لهم في يوم السبت وبتحاييلهم هذا ومخالفتهم لأمر الله تعالى مسخهم الله قردة خاسئين كما قال تعالى: " وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ " ٦٥ البقرة.

{وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا} وكان أمر الله تعالى محققاً وواقعاً لا محالة {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ
 أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} إن الله تعالى لا يغفر ولا يسامح ولا يعفو ولا يتجاوز لمن يشرك به
 غيره من الأصنام والأوثان والأنداد {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} ويغفر غير
 ذلك وأقل من الشرك لمن يريد برحمته {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ} ومن يشرك بالله غيره
 ويجعل له شريكاً معه في ملكه من الأصنام والأوثان والأنداد كاليهود قالوا عزيزاً
 ابن الله وكذلك قالت النصرى عيسى ابن الله أو ثالث ثلاثة {فَقَدِ افْتَرَى} فقد
 اختلق وكذب {إِثْمًا} ذنباً {عَظِيمًا} كبيراً. وأخرج الشيخان من حديث عبد
 الرحمن ابن أبي بكر عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم
 بأكبر الكبائر؟) قلنا بلى يا رسول الله قال: (الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين -
 وكان متكئاً فجلس فقال - ألا وشهادة الزور ، ألا وقول الزور) فما زال يكررها حتى
 قلنا ليته سكت. [ابن كثير ج ١ ص ٤٨٢]. والثابت في الصحيحين عن عبد الله ابن
 مسعود قال: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ ، وفي رواية أكبر؟ قال: (أن
 تجعل لله نداً وهو خلقك) قلت: ثم أي؟ قال: (أن تقتل ولدك خشية أن يطعم
 معك) قلت: ثم أي؟ قال: (أن تزاني حليلة جارك) ثم قرأ: " وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ
 مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ - إِلَى قَوْلِهِ - إِلَّا مَنْ تَابَ ". [ابن كثير ج ١ ص ٤٨٢]. وقال
 الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا أحمد بن مالك حدثنا زائدة بن أبي الزناد
 النمري عن أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الظلم ثلاثة: فظلم
 لا يغفره الله وظلم يغفره الله وظلم لا يترك الله منه شيئاً: فأما الظلم الذي لا يغفره
 الله فالشرك وقال " إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد
 لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم وأما الظلم الذي لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضاً
 حتى يدين لبعضهم من بعض). [ابن كثير ج ١ ص ٥٠٨]. وفي آية أخرى: " إِنَّ اللَّهَ

لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَالًّا
بَعِيدًا " ١١٦ النساء. وقد روى البخاري ومسلم كلاهما عن قتيبة عن جرير ابن عبد
الحميد عن عبد العزيز بن رفيع عن زيد بن وهب عن أبي ذر قال: (خرجت ليلة
من الليالي فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي وحده وليس معه إنسان قال
فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد قال فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرآني
فقال: (من هذا؟) فقلت: أبو ذر جعلني الله فداك قال: (يا أبا ذر تعال) قال
فمشيت معه ساعة فقال لي: (إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله
خيراً فجعل يبيثه عن يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً) قال
فمشيت معه ساعة فقال لي: (إجلس ههنا) فأجلسني في قاع حوله حجارة فقال
لي: (إجلس ههنا حتى أرجع إليك) قال فانطلق في الحرة حتى لا أراه فلبث عني
حتى إذا أطال اللبث ثم إنني سمعته وهو مقبل وهو يقول: (وإن زنى وإن سرق)
قال فلما جاء لم أصبر حتى قلت يا نبي الله جعلني الله فداك من تكلمه في جانب
الحرة فإني سمعت أحداً يرجع إليك؟ قال: (ذاك جبريل عرض لي جانب الحرة
فقال: (بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت يا جبريل
وإن سرق وإن زنى قال نعم قلت وإن سرق وإن زنى؟ قال نعم قلت وإن سرق وإن
زنا قال نعم وإن شرب الخمر). [ابن كثير ج ١ ص ٥٠٩]. وثبت في الصحيحين من
حديث سليمان بن هلال وفي رواية ابن أبي حاتم سليمان بن بلال عن ثور بن زيد
عن سالم أبي الغيث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
(اجتنبوا السبع الموبقات) قيل يا رسول الله وما هن؟ قال: (الشرك بالله وقتل
النفس التي حرم الله إلا بالحق والسحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم
الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات). [ابن كثير ج ١ ص ٤٨١].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ۗ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٦﴾
 أَنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۗ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ۝٤٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّنُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۝٤٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ
 فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۝٤٩﴾

{ أَلَمْ تَرَ } ألم تنظر يا محمد يا رسول الله { إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ } إلى اليهود
 وهم يزكون ويمدحون أنفسهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه وأنهم أهل كتاب التوراة
 التي أنزلت على موسى عليه السلام فهم أفضل وأحسن الخلق عند الله تعالى وهذا
 تمنيهم { بَلِ اللَّهُ } ولكن الله تعالى هو الذي { يُزَكِّي مَن يَشَاءُ } هو الذي يقول مَن
 الصالح وَمَن الطالح وَمَن المؤمن وَمَن الكافر وَمَن المتقي وَمَن الظالم وَمَن الطائع وَمَن
 العاصي وَمَن يدخل الجنة وَمَن يدخل النار { وَلَا يُظْلَمُونَ } ولا يُظلم الناس
 حقوقهم عند الله تعالى يوم القيامة عند الحساب { فَتِيلًا } وهو الفتيل والقشرة
 الرقيقة الموجودة في شق النواة للثمرة أي ولو حتى تافهاً مثل هذا الفتيل الموجود في
 شق نواة الثمرة يحاسب الله تعالى عليه فإن كان ذو حق أعطاه له وإن كان عليه
 الحق أخذه منه لصاحب الحق يوم القيامة وهذا منتهى العدل كما قال تعالى: "فَمَنْ
 يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {٨} " ٨،٧ الزلزلة.
 { أَنْظُرْ } انظر يا محمد يا رسول الله نظرة اعتبار وتفحص { كَيْفَ يَفْتَرُونَ } كيف
 يختلقون ويكذبون { عَلَى اللَّهِ } على الله تعالى { الْكَذِبَ } الكذب والاختلاق
 والافتراء والزيغ والخداع للناس بأنهم أبناء الله وأحباؤه { وَكَفَى بِهِ } وكفى بهذا
 الكذب والافتراء { إِثْمًا مُّبِينًا } ذنباً عظيماً { أَلَمْ تَرَ } ألم تنظر وتشاهد يا محمد

يا رسول الله {إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ} إلى اليهود حيث أنزل الله تعالى إليهم التوراة على رسولهم موسى عليه السلام {يُؤْمِنُونَ} يصدقون {بِالْحَبِطِ} بالأصنام والأوثان {وَالطَّنُوتِ} وهو الشيطان الذي يوسوس لهم بالمعاصي والذنوب والكفر والعصيان {وَيَقُولُونَ} ويقول اليهود {لِلَّذِينَ كَفَرُوا} وهم كفار قريش من أهل مكة ممن كفر برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت {هَتُّوْلَاءٍ} أي هؤلاء الأصنام والأوثان {أَهْدَى} أفضل وأحسن هدى وأكثر {مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا} من المؤمنين الذين آمنوا وصدقوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أي عن المسلمين {سَبِيلًا} طريقاً ومسلكاً ومذهباً وعقيدةً وديناً {أُولَئِكَ} هؤلاء اليهود هم {الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ} الذين أبغضهم الله تعالى وكرههم وجعل لعنته وغضبه وعذابه عليهم في الدنيا والآخرة {وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ} ومن يغضب الله تعالى عليه ويلعنه يعذبه يوم القيامة في نار جهنم {فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا} فلن نجد له أحداً ينصره أو ينقذه أو يحميه أو يدفع عنه العذاب يوم القيامة.

﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ ﴿٥٣﴾ أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ ۖ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾

{أَمْ} أو هل {هُم} لليهود {نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ} حكم من العالم والخلق. والملك يشمل الخلق والكون ومن فيه أي لو كان لهؤلاء اليهود ملك الكون والخلق والعالم وأرزاقهم {فَإِذَا} فعندها {لَا يُؤْتُونَ} لا يعطون {النَّاسَ} الخلق وخاصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه {نَقِيرًا} شيئاً قليلاً. والنقير هو النقطة السوداء في النواة التي عند زراعتها في الأرض تخرج منها النبتة وهي نقطة لا تكاد تُرى على النواة {أَمْ} وهل {تَحْسُدُونَ} والحسد هو تمنى زوال النعمة عن الغير {النَّاسَ} وهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين {عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} على ما أعطاهم الله تعالى من نعمة الرسالة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {فَقَدْ آتَيْنَا} فقد أعطينا {آلَ إِبْرَاهِيمَ} ذرية إبراهيم الخليل عليه السلام من إسحاق ويعقوب وهم بني إسرائيل في مقابل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أعطى الله تعالى لذرية إبراهيم عليه السلام من ولده إسحاق وابنه يعقوب {الْكِتَابَ} الكتب المنزلة التوراة على موسى والزبور على داود والإنجيل على سيدنا عيسى عليهم الصلاة والسلام جميعاً وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من ذرية إسماعيل أنزل عليه القرآن العظيم {وَالْحِكْمَةَ} والسنة المشرفة والعظة والنصح والإرشاد والهدى {وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا} ووهبهم الله تعالى وأعطى ذرية إبراهيم عليه السلام ملك النبوة والرسالة والملك والحكم {عَظِيمًا} أي كبيراً حيث أعطى

داود ملكاً سبحت الجبال والطير معه وأعطى الله سيدنا سليمان ملكاً حكم الإنس والجن والطير وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده {فَمِنْهُمْ} فمن ذرية إبراهيم عليه السلام ومن اليهود {مَنْ ءَامَنَ بِهِ} فمنهم من آمن بالله وبرسوله وبرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ} ومن ذرية إبراهيم عليه السلام من اليهود من أعرض وخالف وابتعد عن طاعة الله تعالى وعبادته واتباع رسوله وكذب برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَكَفَى} ويكفي {بِجَهَنَّمَ} بنار جهنم {سَعِيرًا} عذاباً وحرقاً لهم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٨﴾ ﴾

{إِنَّ} للتوكيد {الَّذِينَ كَفَرُوا} وهم من كفر وجحد وأنكر وكذب بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وكذلك جحد وأنكر ولم يصدق برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {بِآيَاتِنَا} بمعجزات الله تعالى وبياناته ودلائله وحججه وآيات القرآن الكريم {سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا} سوف يعذبهم الله تعالى في نار جهنم يوم القيامة على كفرهم وعصيانهم وعنادهم ومعاصيهم {كَلَّمَا نَضِجَتْ} كلما احترقت {جُلُودُهُمْ} جلود الكفار في نار جهنم وعذابهم فيها {بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا} أبدلهم الله تعالى وأخرج وأنبت لهم جلوداً غير التي حرقت {لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} حتى يستمر العذاب ويدوم ألمه وعذابه لهم. وتغيير الجلود في نار جهنم ونبتها

مثله في الدنيا كأظافر اليدين والرجلين والشعر كلما قص خرج غيره ومثله جلد الثعابين يُبدل بغيره وكجلد بشرة بني آدم إذا كُشط أو قُطع جلده نبت غيره. وهذا التغيير للجلد لدوام العذاب. وروى احمد بسند جيد قال قال صلى الله عليه وسلم: (ضرس الكافر يوم القيامة مثل أُحُد وعرض جلده سبعون ذراعاً وعضده مثل البيضاء (وهو جبل) وفخذه مثل ورقان ومقعده من النار ما بيني وبين الربذة). وفي رواية: (ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة). [مكاشفة القلوب ص ١٨٤].

وروى أحمد أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ضرس الكافر مثل أُحُد وفخذه مثل البيضاء (وهو جبل) ومقعده من النار كما بين قديد ومكة أي نحو ثلاث أيام وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار (مَلَكَ الْيَمَنَ له ذراع معروف المقدار). [مكاشفة القلوب ص ١٨٤]. وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا أبو يحيى الطويل عن أبي يحيى القنات عن مجاهد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يعظم أهل النار في النار حتى أن بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام ، وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً ، وإن ضرسه مثل أُحُد). [تفرد به أحمد من هذا الوجه - ابن كثير ج ١ ص ٥١٤]. وروى الشيخان قال صلى الله عليه وسلم: (ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاث أيام للراكب المسرع). والمنكب هو مجمع رأس الكتف والعضد. [مكاشفة القلوب ص ١٨٤].

{إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ} كان من الأزل وإلى ما شاء الله {عَزِيزًا} قوياً ومنيعاً في ملكه وسلطانه فهو عزيز الجانب وقويه {حَكِيمًا} ذو حكمة في حكمه وأوامره ونواهيته وأفعاله وأقوله فلا يخطئ أبداً {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} وهم المؤمنون وهم الذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الصالحات من الأعمال والعبادات

والطاعات وأعمال الخير والصدقات وعملوا الحسنات {سُنِدْ خُلُومًا} سيدخلهم الله تعالى {جَنَّتِي} في جنات الله تعالى يوم القيامة وهي ثمانية وأول الجنان دار الجلال وثانيها دار السلام وثالثها جنة المأوى ورابعها جنة الخلد وخامسها جنة النعيم وسادسها جنة الفردوس وسابعها جنة عدن وثمانها دار القرار. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٧]. وفي الصحيحين: (إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء لتفاضل ما بينهم) قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء؟ قال: (بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين). [ابن كثير ج ٣ ص ١٦٠]. {تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري الأنهار من تحت قصورها وأشجارها وبينها وخلالها {خَالِدِينَ فِيهَا} دائمون في الجنة {أَبَدًا} تخليدًا دائمًا. وكما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت). [ابن كثير ج ٤ ص ١٤٦]. {هَمَّ فِيهَا} للمؤمنين في الجنة {أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ} زوجات طاهرة من الحيض والنفاس باستمرار وكلما جاءها وجدها بكرًا وكما قال تعالى: "كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ" ٥٤ الدخان. وفي حديث الصور المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة فيقول الله تعالى قد شفعتك وأذنت لهم في دخولها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وثننتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مَكَلَّلٌ باللؤلؤ عليه سبعون زوجًا من سُندُسٍ وإستبرق وإنه

ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها وأنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبه الياقوت كبده لها مرآة يعني وكبدها له مرآة فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها - إلا أنه لا مني ولا منيّة فبينما هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أن لك أزواجاً غيرها فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة شيء أحب إليّ منك). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٢]. {وَنُدِّخِلُهُمْ} ويدخل الله تعالى المؤمنين يوم القيامة الجنة {ظِلًّا ظِلِيلًا} وفيها ظل دائم لا شمس ولا حر فيها كما قال تعالى: " مُتَّكِبِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا " ١٣ الإنسان ، وكما قال تعالى: " وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى " ١١٩ طه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ

تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ٥٨ ﴾

{إِنْ} للتأكيد {الله} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَأْمُرُكُمْ} يلزمكم ويفرض عليكم أيها المؤمنون ويا أيها المسلمون جميعاً {أَنْ تُؤَدُّوا} أن تعطوا وترجعوا وتسلموا {الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} الودائع من مال وكل شيء يملكه الإنسان ويودعه وديعة عند أحد من الناس سواء لحفظها أو لأي سبب آخر وعند طلبها عليه أن يرجعها إلى صاحبها كما هي غير منقوصة ولا ممنوعة فالمال أمانة والأرض أمانة والعرض أمانة والعلم أمانة والنصيحة أمانة والفرج أمانة وكلمة حق أمانة والفرائض أمانة يؤديها لله تعالى في أوقاتها وفي مكانها وبكيفيةها وتجارة التاجر

أمانة والطبيب علاجه للمريض أمانة والمهندس في هندسته أمانة والمعلم والمدرس علمه للطلبة أمانة والموظف عمله أمانة والرجل وزوجته وأولاده عنده أمانة والمرأة في بيت زوجها وعرضها وأمواله أمانة وهكذا. وروى ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله عز وجل: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا " قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دعا عثمان ابن طلحة فلما أتاه قال: (أرني المفتاح). فأتاه به ، فلما بسط يده إليه قام إليه العباس قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أرني المفتاح يا عثمان). فبسط يده يعطيه فقال العباس مثل كلمته الأولى فكف عثمان يده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا عثمان إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهاته) فقال هاك أمانة الله. قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح باب الكعبة فوجد في الكعبة تمثال إبراهيم عليه الصلاة والسلام معه قداح يستقسم بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما للمشركين قاتلهم الله ، وما شأن إبراهيم وشأن القداح) ، ثم دعا بحفنة فيها ماء ، فأخذ ماء فغمسه فيه ، ثم غمس به تلك التماثيل وأخرج مقام إبراهيم وكان في الكعبة فألزقه في حائط الكعبة ، ثم قال: (يا أيها الناس هذه القبلة) قال: ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت شوطاً أو شوطين ، ثم نزل عليه جبريل فيما ذكر لنا برداً المفتاح ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا " حتى فرغ من الآية. وهذا من المشهورات أن هذه الآية نزلت في ذلك. [ابن كثير ج ١ ص ٥١٦]. وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (آية المنافق ثلاث: إذا وعد أخلف وإذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان). [ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٧]. وعن أبي

هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان). [متفق عليه وقد ثبت عند الشيخين من حديث عبد الله بن عمر رابعة وهي: (إذا خاصم فجر) - سبل السلام ج ٤ ص ١٨٧]. وعن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك). [رواه الإمام أحمد وأهل السنن وهو حديث حسن - ابن كثير ج ١ ص ٥١٥]. {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ} وإذا قضيتم بين الناس وحكمتم وفصلتم بينهم {أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} أن يكون قضاؤكم وحكمكم بينهم بالعدل والحق والصواب وبالأصلح. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (العدل ميزان الله في الأرض فمن أخذه ساقه إلى الجنة ومن تركه ساقه إلى النار). [نزهة المجالس ج ٢ ص ٨٦]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يُدعى بالقاضي العادل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في عمره). [رواه ابن حبان وأخرجه البيهقي ولفظه في تمرة - سبل السلام ج ٤ ص ١٢٢]. {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى {نِعِيمًا} خير وأفضل وأحسن وأجود ما {يَعْظُرُ بِهِ} ما ينصحكم به ويرشدكم له وهو أداء الأمانة إلى أهلها وأصحابها والحكم بين الناس بالعدل {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ} كان من الأزل وإلى ما شاء الله {سَمِيعًا} يسمع كل شيء من خلقه {بَصِيرًا} يبصر كل شيء ولا يغيب عنه شيء فهو يسمع ويبصر ويرى دبيب النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء. قالت عائشة رضي الله عنها: (سبحان الذي وسع سمعه الأصوات والله لقد جاءت المجادلة تشتكي زوجها إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في جنب البيت وإنه ليخفى عليّ بعض كلامها
فأنزل الله تعالى قوله: " قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى
اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ".

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي
شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ
تَأْوِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾

{ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا } أيها المؤمنون يا من آمنتم وصدقتم بالله وملائكته وكتبه
ورسوله واليوم الآخر { أَطِيعُوا اللَّهَ } تقبلوا أوامر الله تعالى وأطيعوها ونفذوها واتبعوها
وطاعة الله تعالى هي بأداء الفرائض واجتناب النواهي والكبائر والمعاصي والذنوب
{ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ } وكذلك أطيعوا أمر رسولكم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
في الجهاد وفي السنن والابتعاد عن المحرمات والمعاصي وأطيعوه فيما يأمركم به
وينهاكم عنه { وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ } وطاعة أولي الأمر في الجهاد وترك المحرمات
والمعاصي وطاعتهم في الصالح العام للأمة من سن القوانين وخلافه بحيث لا تكون
في معصية الله تعالى لأن طاعة ولي الأمر في الطاعات واجبة كما جاء في الحديث
عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اسمعوا وأطيعوا ، وإن أمر
عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة). [رواه البخاري - ابن كثير ج ١ ص ٥١٧].
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً
حبشياً مجدوعاً (الأطراف). [رواه مسلم - ابن كثير ج ١ ص ٥١٧]. وقال البخاري:
حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج عن يعلى
ابن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس " أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ

الأمر مِنْكُمْ " قال نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية. [وهكذا أخرجه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث حجاج بن محمد الأعمش به - ابن كثير ج ١ ص ٥١٦]. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار فلما خرجوا وَجَدَ عليهم في شيء قال: فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا بلى؟ قال فاجمعوا إلي حطباً ثم دعا بنار فأضرمها فيه ، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنّها ، قال: فقال لهم شاب منهم إنما فررتم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها ، قال فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال لهم: (لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدا ، إنما الطاعة في المعروف). [أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به - ابن كثير ج ١ ص ٥١٧]. {فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ} فَإِنْ اختلفتم وتخاصمتم {فِي شَيْءٍ} في أمر من الأمور فمثلاً على تجارة أو في ميراث أو على أرض أو عقار أو بين الزوجين أو بين الشريكين أو خلاف عائلي أو جوار أو أي خلاف بينكم {فَرُدُّوهُ} فأرجعوه إلى حكم {إِلَى اللَّهِ} إلى حكم القرآن الكريم فهو كلام الله تعالى وأمره وحكمه في الأمور كلها {وَأَلْرَسُولِ} فإن لن تجدوا في كتاب الله تعالى الحكم فعليكم بسنة رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحكمه فيها أو بالقياس على أحكام وأمثال سابقة {إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} إن آمنتم وصدقتم وأقررتم بالله رباً وبالإسلام ديناً {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} وصدقتم بيوم القيامة وعلمتم أن هناك بعث وحساب وجنة ونار

{ذَلِكَ خَيْرٌ} ذلك حكم الله ورسوله فهو خير وأفضل {وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} وأفضل تفسيراً وحكماً وقضاً وعدلاً. قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل عندما بعثه إلى اليمن: (بم تحكم؟) قال بكتاب الله تعالى. قال صلى الله عليه وسلم: (فإن لم تجد؟) قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال صلى الله عليه وسلم: (فإن لم تجد؟) قال رضي الله عنه: أجتهد برأيي. فضرب في صدره وقال: (الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم). [وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه - ابن كثير ج ٤ ص ٢٠٥].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۚ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٢﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٣﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٤﴾ ﴾

{أَلَمْ تَرَ} ألم تنظر وتشاهد يا محمد يا رسول الله وأنت أيها المؤمن من بعده {إِلَى الَّذِينَ} إلى أولئك النفر من الناس الذين {يَزْعُمُونَ} يدعون {أَنَّهُمْ ءَامَنُوا} أنهم صدقوا {بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ} بما أنزل إليك يا محمد يا رسول الله من القرآن والسنة المشرفة بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ} وما أنزل من قبلك يا محمد يا رسول الله من الكتب السماوية السابقة فالتوراة لموسى عليه

السلام والزبور لداود والإنجيل لعيسى وصحف شيث وإبراهيم عليهم السلام جميعاً
 {يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا} يرغبون أن يتقاضوا فيما بينهم ويتحاكموا {إِلَى
 الطُّغُوتِ} وهو حكم الأصنام والأوثان وذلك بالأقداح وبالقرعة عليهم ويتقاضون
 بحكم الجاهلية كما قال تعالى: " أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا
 لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ " ٥٠ المائدة. وحكم الجاهلية منها حكم الكهنة والبشعة وهي أن
 يوضع شيء من النحاس على النار حتى يحمر لونه ثم يأمر صاحب البشعة المتهم
 بلحسها بلسانه فإذا تضرر لسانه فهو مذنب وعليه يقع الحكم والتهمة وإذا لم
 يحرق لسانه فهو بريء وفي ذلك يتلاعب صاحب البشعة في ذلك إذا دفعوا له
 الرشوة اللازمة يزيد في تسخين البشعة أو يقلل وذلك حسب الرشوة المدفوعة له
 ليبرئ المتهم من التهمة وهذه النار أصلاً حراماً شرعاً. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو
 معاوية الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال:
 بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار فلما
 خرجوا وجد عليهم في شيء قال: فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا بلى؟ قال فاجمعوا إلي حطباً ثم دعا بنار فأضرمها
 فيه ، ثم قال: عزمت عليكم لتدخلنها ، قال: فقال لهم شاب منهم إنما فررتم إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها ، قال فرجعوا إلى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فأخبروه فقال لهم: (لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً ، إنما
 الطاعة في المعروف). [أخرجاه في الصحيحين من حديث الأعمش به - ابن كثير
 ج ١ ص ٥١٧]. {وَقَدْ أُمرُوا} وقد أمر الله تعالى المسلمين {أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} أن لا
 يصدقوا به ولا يتحاكمون بحكم الجاهلية أبداً {وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ} ويريد إبليس

وجنوده {أَنْ يُضِلَّهُمْ} أن يغويهم ويفسدهم ويبعدهم عن الحق والعدل وعن الجادة وعن طريق الخير والرشاد {ضَلَلًا} إغواءً {بَعِيدًا} كبيراً ويبعدهم عن الحق والعدل والصواب والرشاد بعداً كبيراً {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ} وإذا طلب منهم وقيل لهؤلاء المنافقين {تَعَالَوْا} هلموا {إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ} إلى حكم الله تعالى في القرآن الكريم وإلى الرسول بالسنة المشرفة {رَأَيْتَ} شاهدت {الْمُنْفِقِينَ} وهم الذين يُظهِرُونَ ما لا يُبْطِنُونَ {يَصُدُّونَ عَنْكَ} يبتعدون عنك يا محمد يا رسول الله وعن حكمك وعن شرعك وقضائك {صُدُّوْا} يبتعدون عنك ويمتنعون عن حكمك وعن قضائك وشرعك ما بين المشرقين ويعرضون عنك إعراضاً لا رجعة فيه {فَكَيْفَ إِذَا أَصَبْتَهُمْ مُصِيبَةٌ} فكيف إذا حلت بهم كارثة أو عذاب من الله تعالى {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} بما عملت أيديهم من الإعراض عن حكمك وقضائك يا محمد يا رسول الله {ثُمَّ جَاءُوكَ سَخِرْتُمْ بِاللَّهِ} يقسمون بالإيمان المؤكدة ويحلفون لك بالله تعالى {إِنْ أَرَدْنَا} إن أرادوا بالتحاكم إلى الطاغوت والأصنام والكهنة وحكم الجاهلية {إِلَّا إِحْسَنًا} إلا خيراً وحسناً في الحكم وليس بعداً عن الحق {وَتَوْفِيقًا} والتوفيق والإصلاح والصلح بينهما {أَوْلَيْتِكَ} هؤلاء المنافقون {الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ} الذين يعلم الله تعالى بأنهم كاذبون ومنافقون وخادعون كما قال تعالى: " وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَاْفٍ مَّهِينٍ " ١٠ القلم. {فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ} ابتعد عنهم ودعهم في طغيانهم يعمهون {وَعَظَّمَهُمْ} وانصحهم وأرشدهم بخطئهم {وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ} وقل لهم عن أنفسهم وما في ضميرهم من كذب وخداع وضلال

{قَوْلًا بَلِيغًا} قولاً فيه حجة وفيه قوة وعظمة وقولاً محرّجاً ومؤثراً ورا دعاً لهم وعنيفاً وموبخاً لهم وهو نوع من التعزير.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ

فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٥٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا

يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٥﴾

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ} ولم يرسل الله تعالى من رسول من الرسل عليهم الصلاة

والسلام ولم يبعثه {إِلَّا لِيُطَاعَ} إلا ليطيعه الناس من قومه وينقادون لأمره وحكمه

وإلى شرع الله تعالى {بِإِذْنِ اللَّهِ} بأمر الله تعالى وهو الذي أذن في طاعته وهو

الذي بعثه وأرسله بإذنه وأمره وإرادته {وَلَوْ أَنَّهُمْ} ولو أن الناس {إِذْ ظَلَمُوا

أَنفُسَهُمْ} عند ظلم أنفسهم بالمعصية والذنب لأن ظلم النفس يعرضها صاحبها

بالعقاب والعذاب {جَاءُوكَ} أتوا إليك يا محمد يا رسول الله {فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ}

فتابوا وندموا وطلبوا من الله المغفرة لذنبهم وعصيانهم {وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ}

وطلب الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الله تعالى المغفرة والعفو

والصفح على ذنبهم بعد توبتهم ورضي عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشفع

لهم عند الله تعالى لأنه صاحب الشفاعة الكبرى في الدنيا وفي الآخرة {لَوَجَدُوا اللَّهَ

تَوَّابًا} لوجدوا توبة الله تعالى قد حلت لهم وتاب عليهم ووجدوا برد مغفرته وعفوه

{رَحِيمًا} ووجدوا حلاوة رحمته فهو بعد توبتهم وشفاعة نبيه ورسوله سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم لهم باستغفاره سيدخلون الجنة يوم القيامة برحمته.

وقال الحسن البصري رضي الله عنه: (التوبة النصوح هي الندم بالقلب والاستغفار باللسان والترك بالجوارح والإضمار أن لا يعود). [نزهة المجالس ص ٣٠٥]. وقد ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: " وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا " وقد جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خيرَ من دُفِنْتَ بالقاعِ أعظمه ... فطابَ من طيبهنَّ القاعُ والأكم

نَفْسِي الفداء لِقَبْرِ أَنْتِ ساكنه ... فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرم

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عتبي إحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له. [ابن كثير ج ١ ص ٥٢٠].

{فَلَا وَرَبِّكَ} يقسم الله تعالى بجلاله وعظمته وعلمه ويقول لا وربك الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يا محمد يا رسول الله {لَا يُؤْمِنُونَ} لا يدخل الإيمان في قلوبهم ولا يكمل إيمانهم ولا تصح عقيدتهم {حَتَّى يُحَكِّمُوكَ} حتى يقبلوا ويجعلونك يا محمد يا رسول الله حكما وقاضيا بينهم وتحكم وتقضي {فِيَمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} فيما حصل من شجار وخصام واختلاف بينهم أي بين المسلمين {ثُمَّ لَا تَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ} ثم لا يجد المتقاضيين أو المتحاكمين في قرارة أنفسهم وأعماقهم {حَرَجًا} ضيقاً أو عدم رضا أو كره للحكم أو رفضه بما حكمت {مِمَّا قَضَيْتَ} مما قضيت وحكمت بينهم {وَوُسُلًا تَسْلِمًا} ويقبلوا بحكمك يا محمد يا رسول الله رضاً وقبولاً تاماً وكاملاً ويوافقوا عليه فصاحب الحق يقبل ويوافق

على الحق الذي أُعطي له وعلى المحكوم عليه أن يوافق بما حكم عليه من أداء الحق ولا يجدوا في أنفسهم غشاةً أو ظلماً بما حكمت بينهم. وقال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا محمد بن جعفر حدثنا معمر عن الزهري عن عروة قال: خاصم الزبير رجلاً في شراج الحرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك) فقال الأنصاري: يا رسول الله إن كان ابن عمك؟ فَتَلَوْنَ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: (اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك) فاستوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري وكان أشار عليهما صلى الله عليه وسلم بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك: " فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ " الآية. [هكذا رواه البخاري هاهنا أعني في كتاب التفسير في صحيحه من حديث معمر - ابن كثير ج ١ ص ٥٢٠].

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ احْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾

{ وَلَوْ أَنَّا } ولو أن الله تعالى وهنا أنا للجمع وهي للتبجيل لله تعالى ولعظمته { كَتَبْنَا } فرضنا { عَلَيْهِمْ } وهم أهل المعاصي والفجور والكفر وعدم الامتثال إلى حكم الله تعالى وقضاء رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ } أي

أمرهم الله تعالى بقتل أنفسهم على شركهم وكفرهم وعصيانهم ومخالفتهم لأمر الله تعالى ولرسوله كما أمر الذين عبدوا العجل من بني إسرائيل بقتل أنفسهم كما قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَرَائِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَرِيكُمُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ " ٥٤ البقرة. وكذلك القتل بالرجم للزاني المحصن {أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ} أو اتركوا دياركم وأوطانكم عقاباً لكم ومثله التغريب عام للزاني غير المحصن وفي عصرنا الحاضر بالسجن كما فعله علي بن أبي طالب وذلك طلباً لمرضاته تعالى وتطهيراً لأنفسهم في الدنيا من الذنوب بدلاً من عذاب الآخرة {مَا فَعَلُوهُ} لم يفعلوه أبداً ولم يأتوه {إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ} إلا فئة أو طائفة أو جماعة أو نفر من هؤلاء العصاة والمذنبون ينفذ ويطيع أمر الله تعالى عليه سواء بالقتل أو الهجرة والتغريب {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ} ولو أطاع هؤلاء الكفار والعصاة والمذنبون أمر الله تعالى وأطاعوه وأطاعوا رسوله في الأوامر والنواهي {لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ} لكان ذلك القبول والطاعة والتطهير من الذنوب بالقتل أو التغريب هو خير لهم وأفضل وأحسن في دنياهم القصيرة والقليلة حتى لا يعذبوا في الآخرة يوم القيامة بالعذاب الدائم والمستمر والفوز بالجنة يوم القيامة {وَأَشَدُّ تَنْبِيئًا} وأكثر قوة لتثبيت إيمانهم ويقينهم وعقيدتهم بالله تعالى {وَإِذَا} وعندها {لَا تَتَيْنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا} لأعطيناهم من فضل الله تعالى ورحمته وكرمه {أَجْرًا عَظِيمًا} أجراً كبيراً وهو دخول الجنة يوم القيامة {وَلَهَدَيْنَهُمْ} ولأرشدناهم {صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} طريق الخير والفلاح والهدى والرشاد وهو طريق الإسلام وهو يقود إلى الجنة يوم القيامة {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ} ومن يطع الله تعالى في أوامره وهي فرائضه ونواهييه وهي حدوده

{وَالرُّسُولَ} ويطع الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أوامره وسننه واجتناب ما ينهاهم عنه {فَأُولَئِكَ} فهؤلاء الطائعين {مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} يحشرون يوم القيامة في الجنة مع الذين تفضل الله تعالى عليهم بنعمه الوفيرة والكثيرة والعظيمة وهي رضاه عليهم وإدخالهم الجنة يوم القيامة {مِنَ النَّبِيِّينَ} من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً {وَالصِّدِّيقِينَ} وهم الذين صدقوا في إيمانهم وفي إخلاصهم في عبادة الله تعالى وطاعته وبقوة إيمانهم بالله تعالى ورسوله كما قال تعالى: " وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ " ١٩ الحديد.

{وَالشُّهَدَاءَ} والشهيد هو من يُقتل أثناء المعركة مع العدو مقبلاً غير مدبر لتكون كلمة الله هي العليا {وَالصَّالِحِينَ} وهم الذين صلحت أعمالهم وعقيدتهم لله تعالى كما قال تعالى: " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ " ٩ العنكبوت {وَحَسَنَ} وحسن وشرف وفضل {أُولَئِكَ} هؤلاء الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين {رَفِيقًا} حسنت رفقتهم وصحبتهم في الجنة {ذَلِكَ} الْفَضْلُ} ذلك الخير والفضل والكرم {مِنَ اللَّهِ} من فضل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَكَفَى} وكفاية ويكفي {بِاللَّهِ} بالله تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلِيمًا} عليماً بمن يستحق تلك الرفقة والصحبة في الجنة فهو يعلم وهو أعلم بعباده من يكون منهم أهلاً للرفقة مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴾ (٧١) وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضَلُّ مِنْ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾

❖ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَاتِلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {خُذُوا حِذْرَكُمْ} انتبهوا وتنبهوا وخذوا احتياطاتكم في ملاقاتة العدو وهذه الآية يحث الله تعالى العليم بالأعداء وبغدرهم على الاستعداد لهم والتأهب والمراقبة للعدو والحذر وأخذ الحيطة حتى لا يباغتهم العدو ويفاجئهم بغتة وفجأة وبدون إنذار سابق ومن الحذر الاستعداد بالسلاح والعتاد والرجال وبالقوة اللازمة زيادة على المراقبة المستمرة وبث العيون لتحركات الأعداء وهذا يدل على إن إسلامنا لا يترك صغيرة ولا كبيرة وهو إسلام عمل لا قول ولا تقاعس ولهذا أرشد صلى الله عليه وسلم صاحب الناقة عندما سأله هل يدخل ويصلي ويدع ناقته أو يعقلها فقال له صلى الله عليه وسلم: (اعقلها وتوكل) {فَانْفِرُوا} أي اخرجوا فوراً واتركوا ما سواه وكلُّ يثب إلى سلاحه ويستنفر أهله وإخوانه وولده وعشيرته لملاقاة العدو حتى لا تُنتهك أعراض ومحرمات وأراضي المسلمين وديارهم من قبل العدو {ثُبَاتٍ} تثب على العدو جماعات وسرايا ومجموعات مقاتلة ومدربة على القتال وأن تكون ثابتة العزم والجأش والقوة والعزيمة في اللقاء وهي ما تسمى في الوقت الحاضر القوات الخاصة أو قوات الصاعقة في الجيوش النظامية أو حرب العصابات

أو الفدائيين أو المبارزة فيما مضى أن يخرج فارس من العدو وفارس من المسلمين كما حدث في معركة الخندق عندما اقتحم الخندق عمرو بن عبد ود العامري وهو من الفرسان المشهورين في الجاهلية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه للخروج له فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه {أَوْ أَنْفُرُوا جَمِيعًا} أو اخرجوا جميعاً للقتال أي جيش المسلمين كله إذا كانت الحرب عامة وكبيرة كمعركة بدر وأحد خرج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه لأنها معارك كبيرة وطاحنة وأما في الوقت الحاضر فتكون جميعاً أي بحراً وبراً وجواً أي جميع الأسلحة والجيوش البرية والجوية والبحرية والمدفعية والصاروخية والمضادات الأرضية والقوات الخاصة {وَأَنَّ مِنْكُمْ} وإن نفراً منكم أيها المؤمنون وهم المنافقون {لَمَنْ لِيُبَطِّئَنَّ} لمن يتخاذل ويتقاعس ويتلأأ في ملاقات العدو جبناً أو خيانةً أو يتأخر عن الصفوف ويدعي المرض وخلافه {فَإِنَّ أَصَابَكُمْ مِصِيبَةً} فإن حصل لكم هزيمة أو قتل وموت {قَالَ} قال ذلك المتقاعس والمتخاذل والمنافق {قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ} قد تفضل الله على ذلك المنافق بالنجاة ولم يمت {شَهِيدًا} أي لم يشهد تلك المعركة ولم يحضرها {وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ} ولئن أصابكم أيها المؤمنون نصر على الأعداء بفضل الله تعالى وأخذتم منهم الغنائم والأموال {لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ} وكأنه لم يعرفكم ولم يكن مسلماً معكم وليس من ملتكم ودينكم وعقيدتكم ويفرح بذلك النصر لكم على الأعداء {يَلِيَّتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ} يقول متمنياً ذلك المنافق والمتخاذل والمتقاعس يتمنى لو كان مع المسلمين في حربهم هذه التي انتصروا فيها {فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا} فيفوز بالغنائم وليس بنصرة المسلمين لأنه منافق وأناني ولا يحب إلا نفسه والغنائم ولا يهيمه نصر

المسلمين ولا هزيمتهم {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} فليجاهد في سبيل الله تعالى وفي إعلاء شأن المسلمين وأن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون النصر للمسلمين على الكفار أعداء الله وأعداء الدين {الَّذِينَ يَشْرُونَ الْآخِرَةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ} الذين يشترون الآخرة بالدنيا أو يبيعون الدنيا بالآخرة لأن متاع الدنيا قليل وثمر الآخرة أفضل لأنه يدخل الجنة يوم القيامة ومتاعها دائم ومستمر ف شراء الآخرة بثمن الدنيا وزينتها وزخرفها وملذاتها قليل بالنسبة للآخرة {وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ومن يجاهد في سبيل الله تعالى لإعلاء كلمة الله تعالى ولنصرة المسلمين على الكفار والدفاع عن ممتلكات المسلمين وأعراضهم وأوطانهم وأموالهم وأنفسهم فهو في سبيل الله تعالى {فَيُقَاتِلْ} أي يموت ويستشهد {أَوْ يَغْلِبْ} أو ينتصر على الأعداء في الحرب والمعارك {فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ} فسوف يعطيه الله تعالى يوم القيامة {أَجْرًا عَظِيمًا} ثواباً عظيماً وكبيراً وهو دخول الجنة يوم القيامة.

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ ﴾

{وَمَا لَكُمْ} ولماذا {لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} لا تجاهدون ولا تحاربون في سبيل طاعة الله تعالى لتكون كلمة الله هي العليا {وَالْمُسْتَضْعَفِينَ} ونصرة الضعفاء {مِنَ الرِّجَالِ} من الرجال المسنين والمرضى والمساكين {وَالنِّسَاءِ} والنساء خلقتن

من ضَعْفٍ {وَالْوَالِدَانِ} والأولاد الصغار الذين لا يستطيعون دفاعاً عن أنفسهم {الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا} يقول الضعفاء من الرجال والنساء والولدان ربنا وإلهنا وخالقنا {أَخْرَجْنَا} اجعلنا نخرج سالمين {مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا} من مكة الظالم والمتجبر والطاغي والباغي أهلها مثل أبو جهل ومن هم على شاكلته من كفار قريش في ذلك الوقت {وَأَجْعَلْ لَنَا} واجعل يا الله لنا نحن المستضعفين في مكة {مِنْ لَدُنْكَ} من فضلك وكرمك وجودك {وَوَلِيًّا} يتولى أمرنا ويحمينا ويرعانا وهو الرسول عليه الصلاة والسلام {وَأَجْعَلْ لَنَا} واجعل يا الله لنا {مِنْ لَدُنْكَ} من فضلك وكرمك ورحمتك {نَصِيرًا} من ينصرنا ويحمينا من شر كفار مكة {الَّذِينَ ءَامَنُوا} المؤمنون وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {يُقَاتِلُونَ} يجاهدون ويحاربون الأعداء {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} في طاعة الله تعالى لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ٤٣]. {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} والكفار وهم من كفر وجحد وأنكر وكذب ولم يصدق ولم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكذلك لم يؤمن ولم يصدق برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {يُقَاتِلُونَ} يحاربون {فِي سَبِيلِ الطُّغُوتِ} في طاعة للشيطان أي في الظلم والبغي والفساد {فَقَاتِلُوا} فجاهدوا وحاربوا أيها المؤمنون {أَوْلِيَاءَ} أعوان وأنصار {الشَّيْطَانِ} إبليس اللعين وجنوده وذريته {إِنَّ كَيْدَ} إن مؤامرة ودسائس وفتن وتحريض ومكر {الشَّيْطَانِ} إبليس وأعوانه {كَانَ ضَعِيفًا} أي لا قوة فيه ولا

حجة ولا إيمان ولا إعداد ولا تخطيط لأن أهل الباطل سرعان ما ينهزمون ويهربون لأنهم يحاربون من دون عقيدة ولا هدف ولا حق بل حربهم حرب بغي وظلم وفساد.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعْتُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ﴿٧٩﴾ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٨٠﴾ ﴾

{ أَلَمْ تَرَ } ألم تنظر نظرة اعتبار وتفحص يا محمد يا رسول الله إلى هؤلاء { إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ } إلى النفر الذين قيل لهم امتنعوا عن القتال والجهاد لأنه لم يأت أوان الجهاد بعد { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ } وأدوا ما عليكم من الصلوات الخمس في أوقاتها { وَآتُوا الزَّكَاةَ } وأدوا وادفعوا الزكاة للفقراء والمحتاجين { فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ } فلما فرض عليهم الجهاد وذلك بعد الهجرة من مكة إلى المدينة وبعد أن قويت شوكة المسلمين وكثر عددهم في المدينة وأمرهم الله تعالى بذلك { إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ } إذا جماعة وطائفة من المسلمين وهم المنافقون مثل عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين { يَخْشَوْنَ النَّاسَ } يخافون الناس وحربهم وملاقاتهم

{كَخَشِيَةِ اللَّهِ} كخوفهم من عذاب الله تعالى ونقمته {أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً} أو أكثر خوفاً من الأعداء أكثر من خوفهم من الله تعالى {وَقَالُوا} وقال المنافقون معترضين {رَبَّنَا} ربنا وإلهنا وخالقنا {لِمَ} لماذا {كَتَبْتَ} فرضت {عَلَيْنَا} علينا نحن الضعفاء {الْقِتَالِ} الجهاد {لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ} لولا أجلتنا إلى وقت آخر عندما يقرب موتنا ونطعن في السن فعندها لا مانع من موتنا إذا قاتلنا الأعداء {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله لهؤلاء المنافقين {مَتَّعُ الدُّنْيَا} ملذات الدنيا ونعيمها وشهواتها {قَلِيلٌ} قليل أيامها وقليل ملذاتها بالنسبة للآخرة {وَالْآخِرَةُ} ويوم القيامة {خَيْرٌ} خير وأفضل وأحسن وأرجى {لِمَنِ اتَّقَى} لمن أطاع الله تعالى وعبده حق عبادته لأنه سيدخله الجنة يوم القيامة حيث نعيمها مقيم ودائم ولا ينقطع {وَلَا تظَلْمُونَ} ولا تظلمون ولا تنقصون من حقوقكم ومن ثوابكم وأجركم ولو كان مثل {فَتِيلًا} وهي القشرة التي على شق نواة التمرة أي مهما قل ثوابكم وأجركم لا ينقص منه شيء لقوله تعالى: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {٨} " ٨،٧ الزلزلة. {أَيِنَّمَا تَكُونُوا} أينما تتواجدوا في أي مكان على الأرض أو في جو السماء سواء في الطائرات أو الأقمار الصناعية {يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ} يصل إليكم الموت وستموتون {وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ} ولو كنتم في حصون مغلقة ومحكمة القفل كالأقمار الصناعية في وقتنا الحاضر وكذلك مثل بيضة الدجاجة المقفلة يموت داخلها الكتكوت الصغير أو الصُوص أو فرخها داخلها قبل أن تفقس وكذلك جميع الطيور {وَأِنْ تُصِيبَهُمْ} وإن تنزل وتصيب الكفار {حَسَنَةٌ} أي خير سواء نصر أو غنيمة أو رزق أو نعمة أو رخاء أو غيرها

{ يَقُولُوا } يقول الكفار { هَذِهِ } هذه النعمة والخير { مِنْ عِنْدِ اللَّهِ } أرسلها الله تعالى لهم من فضله { وَإِنْ تُصِيبُهُمْ } وإن حصل للكفار وتصيبهم وتنزل عليهم { سَيِّئَةٌ } مصيبة أو شر كمصيبة الموت والقتل أو الهزيمة أو قحط أو بلاء أو خسارة في تجارة أو مرض { يَقُولُوا } يقول الكفار { هَذِهِ } أي هذه المصيبة التي نزلت عليهم { مِنْ عِنْدِكَ } بسبب قدومك عليهم يا محمد يا رسول الله أو من رؤيتك أي يتشاءموا منك ويتطيروا منك { قُلْ } قل للكفار يا محمد يا رسول الله { كُلُّ } كل من الحسنة والسيئة { مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ } من أمر الله تعالى وبإذنه { فَمَالِ } فلماذا { هَتُّوْا } أَلْقَوْمِ { وهم الكفار } لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا { لا يستطيعون تمييز حديثهم ومعرفة الصواب من الخطأ } مَّا أَصَابَكَ { ما أصابك وما نزل لك أيها النفر من الناس سواء المؤمن أو الكافر أو أنت يا محمد يا رسول الله { مِنْ حَسَنَةٍ } من خير ومن نعمة { فَمِنَ اللَّهِ } فهي من الله تعالى ثواباً لك على صنيعك وعلى عملك الخير والطيب في مرضاة الله تعالى { وَمَا أَصَابَكَ } وما أصابك وما نزل بك { مِنْ سَيِّئَةٍ } من شر أو مصيبة { فَمِنَ نَفْسِكَ } فَمِنْ عَمَلِ نَفْسِكَ فهي عقاباً على سوء أو شر أو معصية ارتكبتها فهي عقاب من الله تعالى لك على معصية ارتكبتها أي كل شيء من الله تعالى فالحسنة ثواباً لك من الله تعالى والسيئة عقاباً لك من الله تعالى { وَأَرْسَلْنَاكَ } وبعثناك يا محمد يا رسول الله { لِلنَّاسِ } للناس كافة مسلمهم وكافرهم ويهوديهم ونصرانيهم ومشركهم { رُسُولًا } رسولاً ونبياً برسالة الإسلام والإيمان { وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } ويكفيك الله شاهداً على صدق رسالتك.

﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۗ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۗ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ ۗ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۗ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ۗ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۗ ﴾

{مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ} من يطع أمر رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أوامره كالجهاد ونحوه ويجتنب نواهيه {فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} فطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام هي طاعة لله تعالى لأن الله تعالى هو الذي أرسله وبعثه وأمره بتبليغ الرسالة {وَمَنْ تَوَلَّىٰ} ومن أعرض عن الإيمان وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام {فَمَا أَرْسَلْنَاكَ} فما بعثناك يا محمد يا رسول الله {عَلَيْهِمْ} على الناس {حَفِيظًا} تحفظهم وتمنعهم من المعاصي والذنوب ومن الكفر والشرك بالقوة كما قال تعالى: " لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسيِّرٍ " ٢٢ الغاشية. {وَيَقُولُونَ} ويقول المنافقون {طَاعَةٌ} حاضر نطيع أمرك يا رسول الله {فَإِذَا بَرَزُوا} فإذا خرجوا {مِنْ عِنْدِكَ} من مجلسك يا محمد يا رسول الله {بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ} ضمير في أنفسهم طائفة وهم المنافقون {غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ} خالفوا أمرك وغيروا ما تقول لهم أي ضمروا على المخالفة والمعصية لك يا رسول الله {وَاللَّهُ يَكْتُبُ} والله تعالى يأمر ملائكته الحفظة الكرام الكاتبين أن تكتب مع كل منهم {مَا يُبَيِّتُونَ} ما يضمرون وما يمكرون وما يخفون في أنفسهم من المخالفة ومن النفاق {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} فاتركهم وشأنهم ودعهم في طغيانهم يعمهون {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} واعتمد على الله تعالى في تبليغ الرسالة وهو الذي يحفظك من كيدهم ومكرهم وتدبيرهم ونفاقهم {وَكَفَىٰ بِاللَّهِ} ويكفيك الله {وَكِيلًا} سنداً وراعياً وحامياً وحافظاً ومعيناً ومعتمداً عليه.

﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾
 وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي
 الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
 لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾

{ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ } أفلا يتفحصون ويتعلمون ويفهمون ويتعظون بالقرآن
 الكريم في أوامره ونواهيه وأحكامه وشرائعه وحلاله وحرامه. وعن علي رضي الله
 عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ألا إنها ستكون فتنة)
 فقلت ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: (كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما
 بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله تعالى
 ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو
 صراط الله المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتمس به الألسن ولا يشيع منه
 العلماء ولا يختلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنتهي الجن إذ
 سمعته حتى قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنوا به. من قال به
 صدق ومن عمل به رشد ومن حكم به عدل ومن دعى إليه هدي إلى صراط مستقيم).
 [خزينة الأسرار ص ٥٣]. قال الإمام أحمد: حدثنا أنس بن عياض حدثنا أبو
 معاوية حدثنا أبو حازم حدثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلست
 أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب من أبوابه فكرهنا أن نفرق
 بينهم فجلسنا حجزه إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها حتى ارتفعت أصواتهم
 فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مُغَضَباً حتى احمر وجهه يرميهم بالتراب
 ويقول: (مهلا يا قوم بهذا أهلكتم الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم

وضربهم الكتب بعضها ببعض إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ، إنما نزل
يصدق بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه).
[ابن كثير ج ١ ص ٥٢٩]. {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ} ولو كان هذا القرآن نزل من
أحد من البشر غير الله تعالى {لَوَجَدُوا} لوجد الناس والكفار {فِيهِ} في القرآن
الكريم {أَخْتَلَفًا كَثِيرًا} تضارباً كثيراً في الأحكام وفي المعنى وفي اللفظ والاختلاف
في النواهي والأوامر والتطبيق على فئة دون أخرى ولكن الصلاة والصوم فرضت على
الأغنياء والفقراء والزكاة على القادر وكذلك الحج وهكذا {وَإِذَا جَاءَهُمْ} وإذا وصل
إليهم {أَمْرٌ} خبر أو نبأ أو حدث أو مصيبة أو أمر من الأمور {مِنَ الْأَمْنِ} من
الأمور التي لا خوف منها أو مكاسب أو مغنم أو نصر أو خلافه {أَوِ الْخَوْفِ} أو
الرعب كقرب الاعتداء عليهم من العدو بالهجوم عليهم أو موت أمير أو أحد من
الزعماء أو الرؤساء {أُذَاعُوا بِهِ} نشره وأفشوا أمره بين الناس وأعلنوا به {وَلَوْ
رَدُّوهُ} ولو أرجعوا أمره {إِلَى الرَّسُولِ} إلى الرسول والنبي سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم {وَأِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ} وإلى أصحاب الأمر والنهي من الرؤساء
والأمراء والقادة وأصحاب السلطان منهم {لَعَلِمَهُ} لعرف صدقه وحقيقته {الَّذِينَ
يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} الذين يمحسون الأمر ويعرفون مخرجه ومدخله وحقيقته وصدقه
وكذبه والغاية من إشاعته وهم المفكرون والمستنبطون وأولي الرأي السديد والحكماء
وأهل الفراسة والمعرفة وأهل الدراية وأهل المشورة بمثل هذه الأمور وفي عصرنا
الحاضر هم جهاز المخابرات والمباحث العامة والمتخصصين في الإشاعات وتلك
الأخبار ويعلمون الغاية والحقيقة من صدقها أو كذبها. وفي حديث عمر ابن
الخطاب المتفق على صحته حين بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق

نساءه فجاء من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك فلم يصبر حتى استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فاستفهمه أطلقت نساءك؟ فقال: (لا). فقلت الله أكبر وذكر الحديث بطوله. وعند مسلم فقلت: أطلقتهن؟ فقال: (لا) فقامت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه. ونزلت هذه الآية: " وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ " فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر. [ابن كثير ج ١ ص ٥٣٠]. {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} ولولا أن تغمدكم الله تعالى بفضله وكرمه ورحمته {لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ} لاتبعتم الباطل والإشاعات وعمل الشيطان من الشك والظن والتكذيب للحق واتبعتم الفتنة وصدقتموها أيها المؤمنون {إِلَّا قَلِيلًا} إلا طائفة قليلة من المؤمنين الصادقين في إيمانهم وعقيدتهم وعلمهم ودرايتهم بتزييف الأمور والمزالق والفتن والإشاعات المغرضة والإفساد والترويح له.

﴿ فَاقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفُفْ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَكْيِيلًا ﴾

{فَقَاتِلْ} فجاهد وحارب يا محمد يا رسول الله {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} في طاعة الله ومرضاته وفي جعل كلمة الله هي العليا وفي سبيل إعلاء راية الدين الإسلامي خفاقة ترفرف فوق أرض المعمورة حتى يعم الإسلام. وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ٤٣]. {لَا تَكْفُفْ إِلَّا نَفْسَكَ} أنت غير مكلف أن تجبر أحداً على الجهاد معك فعليك بنفسك كما قال تعالى: " لَسْتَ

عَلَيْهِمْ يُمَسِّطِرٌ " ولكن {وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ} ولكن عليك حث المؤمنين على الجهاد والحرب وشجعهم وانصحهم على القتال معك وليس غصباً عنهم بل طواعية لمن أراد ومن تخلف فالله تعالى أولى به {عَسَى اللَّهُ} لعل الله تعالى {أَنْ يَكْفَى} أن يمنع عنكم {بِأَسْ} ظلم وقهر وعداوة وحرب {الَّذِينَ كَفَرُوا} حرب الكفار عنكم وهم الذين جحدوا وأنكروا وكذبوا ولم يصدقوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَاللَّهُ أَشَدُّ} والله تعالى أقوى وأشد وأكثراً من الكفار {بِأَسًّا} عذاباً وقهراً وعظمة وقوة وغلبة {وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا} وأعظم تنكيلاً وعذاباً وهزيمة للكفار في الدنيا ويوم القيامة في نار جهنم ينكل بهم ويعذبهم لعداوتهم وحربهم لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وكذلك أشد تنكيلاً وعذاباً لمن عصاه منكم أيها المؤمنون ولمن ارتد عن الإسلام.

﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ رُكُوبٌ ﴾

كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٥٥﴾

{مَنْ يَشْفَعْ} من يتوسط ومن يتدخل بين الناس في أمر من الأمور ويتشفع عند أحد لأحد آخر كما قال تعالى: " فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا " ٥٣ الأعراف. {شَفَعَةً حَسَنَةً} شفاعاة وواسطة خير بين الناس لحل إشكال أو معضلة من أعمال البر والخير كالصلح بين المرأة وزوجها والأخ وأخيه والابن وأبيه والصديق وصديقه أو يتدخل في بناء المساجد ودور العلم والمدارس والجامعات والمستشفيات {يَكُنْ لَهُ رُكُوبٌ} نصيبٌ مِّنْهَا} يكن له ثواب وأجر من عمله ذلك الخير لتدخله وإرشاده ونصحه {وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً} ومن يتدخل ويتوسط في أعمال الشر وارتكاب المعاصي كالزنا وشرب الخمر والربا وكالسماسة لاقتياد النساء إلى الرجال والرجال إلى

النساء أو يشفع في منع قيام حد من الحدود أو في تقديم رشوة أو غير ذلك {يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا} يكن عليه وزر وذنب من وساطته وتدخله ويتحمل عقوبة ذلك فهو شريك في الذنب والمعصية والإثم والتحريض والإغواء والإغراء وفي الوساطة {وَكَانَ} وكان من الأزل وإلى يوم القيامة {اللَّهُ} الله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ} على كل عمل من العمال والشفاعة والوساطة والتدخل والتزيين {مُقِيَّتًا} محاسباً ومعيناً ومسهلاً لمن أراد الخير والحق والعدل والصواب يوفقه الله تعالى للخير ومن أراد الشر والوساطة في المعاصي يستدرجه الله تعالى ويحاسبه يوم القيامة على سمسرتة وتدخله ووساطته أيأ كانت وكما قال تعالى: " مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبٍ " ٢٠ الشورى. وفي الصحيح: قال صلى الله عليه وسلم: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً). [ابن كثير ج ٢ ص ٦ ، ج ٣ ص ٤٠٦]. وفي الصحيح أيضاً: (ما قُتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل لآنه أول من سن القتل). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٠٦].

﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

{وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ} وإذا حياكم أحد أيها المسلمون بأية تحية من التحيات أو بلغة من اللغات حيث أن تحية الإسلام هي "السلام عليكم" {فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا} فردوا التحية أيها المؤمنون بتحية أفضل من تحيته {أَوْ رُدُّوهَا} أو أقل التحية هو بتحية تساويها أي بنفس التحية التي حييتم بها {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {كَانَ} كان من الأزل ولا يزال إلى يوم القيامة {عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ} على كل عمل يفعله الإنسان بما فيه رد التحية خاصة وباقي الأعمال عامة {حَسِيبًا} يحاسب الله تعالى على ذلك إن كان خيراً كان جزاؤه الجنة وإن كان شراً كان جزاؤه النار. قال ابن جرير: حدثنا موسى ابن سهل الرملي حدثنا عبد الله بن السري الأنطاكي حدثنا هشام بن لاحق عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليك يا رسول الله فقال: (وعليكم السلام ورحمة الله) ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وعليك السلام ورحمة الله وبركاته) ثم جاء آخر فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته فقال له: (وعليك) فقال له الرجل: يا نبي الله بأبي أنت وأمي أتاك فلان وفلان فسلمنا عليك فرددت عليهما أكثر مما رددت علي ، فقال: (إنك لم تدع لنا شيئاً قال الله تعالى: " وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا " فرددناها عليك). [ابن كثير ج ١ ص ٥٣١]. وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن كثير أخو سليمان بن كثير حدثنا جعفر بن سليمان

عن عوف عن أبي رجاء العطاردي عن عمران بن حصين أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليكم يا رسول الله فرد عليه السلام ثم جلس فقال: (عشر) ، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله يا رسول الله فرد عليه ، ثم جلس فقال: (عشرون) ، ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه السلام ، ثم جلس فقال: (ثلاثون). [وكذا رواه أبو داود عن محمد بن كثير - ابن كثير ج ١ ص ٥٣١]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير). [متفق عليه وفي رواية لمسلم من رواية أبي هريرة: (والراكب على المشي) بل هو في البخاري - سبل السلام ج ٤ ص ١٥٤]. وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ، ويجزئ عن الجماعة أن يرد أحدهم) رواه أحمد والبيهقي - فيه أنه يجزئ تسليم الواحد عن الجماعة ابتداءً ورداً. قال النووي: يستثنى من عموم ابتداء السلام من كان يأكل أو يشرب أو يجامع أو كان في الخلاء أو في الحمام أو نائماً أو ناعساً أو مصلياً أو مؤذناً ما دام متلبساً بشيء مما ذكر إلا أن السلام على من كان في الحمام إنما كره إذا لم يكن عليه إزار وإلا فلا كراهة. وأما السلام حال الخطبة في الجمعة فيكره للأمر بالإنصات. [سبل السلام ج ٤ ص ١٥٥]. وأخرج البخاري في الأدب المفرد وابن أبي شيبة بإسناد حسن عن ابن عمر رضي الله عنه: (يستحب إذا لم يكن في البيت أحد أن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين). [وأخرج الطبراني عن ابن عباس نحوه - سبل السلام ج ٤ ص ١٥٥]. وقال ابن عباس إذا سلم المسلم على المسلمين فلم يردوا عليه نزع الله عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة وإن إبليس ليبكي من سلام المؤمن على أخيه يقول يا

ويلاه لم يتفرقا حتى غفر لهما. [نزهة المجالس ص ٢٥٨]. وفي شرح البخاري لابن أبي جمرة كان علي بن أبي طالب إذا لقي أبا بكر بدأه بالسلام ثم في يوم من الأيام أعرض عنه فبدأه أبو بكر بالسلام فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بإعراض علي عنه فسأله النبي فقال علي رأيت في المنام البارحة قصراً فقلت لمن هذا فقيل لمن بدأ صاحبه بالسلام فأردت أن أوتر بذلك أبا بكر على نفسي. [نزهة المجالس ص ٢٥٨]. أما السلام باليد وهو جالس على من هو واقف بين يديه فهو من باب الكبّر ما عدا المريض كما جاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحد منها ألقيته في جهنم ولا أبالي)). [مكاشفة القلوب ص ١٥٠].

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ

حَدِيثًا ﴿٤٧﴾

{اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه رب الأرباب وخالق الكون ومسبب الأسباب {لَا إِلَهَ} لا رب ولا معبود ولا خالق غيره {إِلَّا هُوَ} إلا هو وحده لا شريك له الخالق البارئ المصور {لِيَجْمَعَنَّكُمْ} ليحشرنكم ويجمعنكم جميعاً أيها الناس والخلق أجمعين {إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} إلى المحشر في صعيد واحد ومكان واحد في فلسطين على صخرة بيت المقدس. وكما قال وهب رضي الله عنه: أوحى الله إلى صخرة بيت المقدس عليك أضع عرشي وإليك أحشر خلقي وفيك جنتي وناري ولأفجرن أنهارك لبناً وعسلاً وخمراً طوبى لمن زارك. [نزهة المجالس ص ٣٧٤]. {لَا رَيْبَ فِيهِ} لا شك ولا كذب ولا دجل فيه {وَمَنْ أَصْدَقُ} ومن هو

الذي يصدق في كلامه {مِنَ اللَّهِ} غير الله أي من أصدق من الله تعالى عز جلاله {حَدِيثًا} قولاً فهو أصدق القائلين لا يكذب ولا يداهن ولا يخادع ولا يغير قوله فقوله الحق وله الملك وكما قال تعالى: " وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ " ٧ الحج.

﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فَعْتَيْنَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ ﴿٨٨﴾ وَدُوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَابُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُليًا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ آعَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾

{فَمَا لَكُمْ} فما بالكم ولماذا أنتم أيها المؤمنون {فِي الْمُنَافِقِينَ} في شأن المنافقين {فَعْتَيْنِ} أصبحتم فرقتين أو هم فرقتين أو جماعتين أو رأيين مختلفين {وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ} والله تعالى ابتلاهم بالنفاق وأوقعهم فيه. قال الإمام أحمد حدثنا بهز حدثنا شعبة قال عدي بن ثابت أخبرني عبد الله بن يزيد عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى أحد فرجع ناس خرجوا معه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم وفرقة تقول: لا. [ابن كثير ج ١ ص ٥٣٢]. وقال العوفي عن ابن عباس: نزلت في قوم كانوا قد تكلموا بالإسلام وكانوا يظاهرون المشركين فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم فقالوا: إن لقينا أصحاب محمد فليس علينا منهم بأس وإن المؤمنين لما أخبروا أنهم

قد خرجوا من مكة قالت فئة من المؤمنين اركبوا إلى الجبناء فاقتلوهم فإنهم يظهرون عليكم عدوكم. وقالت فئة أخرى من المؤمنين: سبحان الله أو كما قالوا: أقتلون قوماً قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل إنهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم ، نستحل دماءهم وأموالهم فكانوا كذلك فئتین والرسول عندهم لا ينهي واحداً من الفريقين عن شيء فنزلت: " فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَيْنِ " . [رواه ابن أبي حاتم - ابن كثير ج ١ ص ٥٣٢]. {بِمَا كَسَبُوا} بما عملوا في صفوف المشركين وساعدوهم ووافقوهم وأيدوهم على شركهم {أَتْرِيدُونَ} أتودون وتطمعون وتطلبون {أَنْ تَهْدُوا} أن تهدوا وترشدوا المنافقين ليدعوا الشرك والضلال {مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ} من أضله الله تعالى على ضلاله وزيادة في نفاقه وبعده عن الهدى {وَمَنْ يُضَلِّ اللَّهُ} ومن يستدرجه الله في المعصية والنفاق ويحلي ويمهد له ليزداد نفاقاً وكفراً ومعصيةً {فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} فلن تجد له وسيلة ولا طريق للخلاص من هذه المعاصي لأنه منغمس فيها إلى رقبته كمدمن الخمر مثلاً كيف الخلاص من إدمانه الذي لا رجعة فيه {وَدُّوا} تمنى هؤلاء المنافقون {لَوْ تَكْفُرُونَ} لو ترجعوا أيها المؤمنون كفاراً مثلهم {كَمَا كَفَرُوا} كما جحدوا وأنكروا وكذبوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {فَتَكُونُونَ سَوَاءً} فتكونوا شركاء أيها المؤمنون ومثلهم في المعصية والنفاق والكفر {فَلَا تَتَّخِذُوا} فلا تأخذوا أيها المؤمنون {مِنْهُمْ} من المنافقين {أَوْلِيَاءَ} أصدقاء {حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} حتى يهاجروا ويتركوا أوطانهم في مكة مثلكم ويتركوا الشرك وأهل الشرك {فَإِنْ تَوَلَّوْا} فإن أعرضوا واتبعوا أهل الشرك والكفر بمكة {فَخُذُوهُمْ} فخذوهم بالأسر {وَأَقْتُلُوهُمْ} واقتلوهم بالجهاد والحرب {حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} في أي مكان ظفرتهم بهم سواء في مكة أو خارجها

ومحيطها {وَلَا تَتَّخِذُوا} ولا تتخذوا أيها المؤمنون {مِنْهُمْ} من المنافقين {وَلِيًّا} صديقاً {وَلَا نَصِيرًا} ولا أحداً ناصرًا لكم ولا معيناً ولا مساعداً في الجهاد {إِلَّا} ما عدا {الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} إلا الذين لهم صلة وقرابة أو مودة أو عهد مع من عاهدتم من الكفار كميثاق صلح الحديبية وهو أن كل قبيلة لها عهد وميثاق مع قريش تعتبر في حكم قريش لا تقاتل {أَوْ جَاءُوكُمْ} أو حضر إليكم المنافقون {حَصَرَتْ صُدُورُهُمْ} ندمت وأسفت قلوبهم {أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ} أن يحاربوكم أيها المؤمنون {أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ} أو يحاربوا قومهم فهم محيرون ومتضايقون بينكم وبين قومهم {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ} ولو أراد الله تعالى ولو أراد الله تعالى {لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ} لحرصهم الله تعالى على قتالكم {فَلَقَاتِلُوكُمْ} فيقاتلونكم {فَإِنْ أَعْرَضُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ} فإن تركوكم ولم يحاربوكم مع الكفار {وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ} وهادنوكم وأعطوكم الأمان على عدم حربكم {فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا} فقد عصمهم الله تعالى منكم فليس لكم عليهم حجة لحربهم وقتالهم فهم عندها في مأمن منكم.

﴿ سَتَجِدُونَ ءَاخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلًّا مَا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴾

{ سَتَجِدُونَ } ستجدون وتشاهدون وتعلمون أيها المؤمنون { ءَاخِرِينَ } قوماً آخرين وفئةً أخرى من المنافقين { يُرِيدُونَ } يطلبون { أَنْ يَأْمَنُوكُمْ } أن يأمنوا حربكم وقتالكم لهم وعدم إيذائهم وقتالهم { وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ } وكذلك يأمنوا غضب وشر قومهم عليهم عندما لا يكونوا معهم { كُلًّا مَا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ } كلما أعيديا وارتدوا إلى الشرك والكفر مرة أخرى مع قومهم { أُرْكَسُوا } انغمسوا ووقعوا ومكثوا { فِيهَا } في فتنة النفاق والشرك والكفر { فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ } فإن لم يبتعدوا عن حربكم وقتالكم { وَيُلْقُوا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ } ويهادنوكم ويعطوكم الأمان والعهد والميثاق بعدم حربهم وقتالهم لكم مع المشركين { وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ } ويمتنعوا عن حربكم وقتالكم وإيذائكم { فَخُذُوهُمْ } فحاربوهم وخذوهم أسرى { وَأَقْتُلُوهُمْ } وجاهدوهم وحاربوهم واقتلوهم عند حربكم لهم { حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ } حيث وجدتموهم وظفرتم بهم { وَأُولَئِكُمْ } وهؤلاء المنافقين { جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ } جعل الله تعالى لكم عليهم { سُلْطٰنًا مُّبِينًا } غلبةً وقوةً ونصراً بيناً وحجةً واضحةً في النصر عليهم عند محاربتهم.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢١﴾ وَمَنْ يَقتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٢٢﴾ ﴾

{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ } لا يحق للمؤمن وهو من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا } أن يقتل عامداً رجلاً مؤمناً مثله { إِلَّا خَطَأً } إلا إذا كان القتل خطأً منه ويجوز القتل في ثلاث حالات إما لإقامة الحد في قتل نفس بريئة قد قتلها بغير حق فعندها يُقتل القاتل أو الثيب الزاني والمحصن أو المرتد وهذا يجوز للسلطان أو الأمير أو ولي الأمر فقط قتله. وكما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس ، والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة). [ابن كثير ج ١ ص ٥٣٤]. { وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً } وعند قتل المؤمن خطأً. ومثال ذلك كأن أطلق طلقةً ليصطاد طيراً أو غزالاً فأصابت الطلقة رجلاً آخر خطأً فقتلته ، أو حسبه في الليل عند قدومه عليه بأنه عدو من أعداء المسلمين أثناء حراسته في أرض المعركة وتبين أنه غير ذلك وهكذا { فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ } فمن قتل مؤمناً خطأً عليه تحرير رقبة مؤمنة كفارة لقتله مسلماً خطأً وهي أن يعتق عبداً مملوكاً رجلاً أو أمةً على شرط أن يكون مسلماً { وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ } وأن يدفع الدية الشرعية إلى أهل القاتل وإن الدية مائة

من الإبل أو مقدارها {إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا} إلا إذا عفا أهل المقتول عنه وسامحوا في أخذ الدية وتنازلوا عنها فعندها لا شيء على القاتل {فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ} فإن كان القاتل من قوم أعداء لكم ولكنه مؤمن وقتل خطأ {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} فعلى القاتل أن يعتق رجلاً أو امرأة مؤمنة ولا دية لأهله لأنهم أعداء لكم. قال الإمام أحمد: أنبأنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الله ابن عبد الله عن رجل من الأنصار أنه جاء بأمّة سوداء فقال يا رسول الله إن عليّ عتق رقبة مؤمنة فإن كنت ترى هذه مؤمنة أعتقتها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتشهدين أن لا إله إلا الله؟) قالت: نعم قال: (أتشهدين أني رسول الله؟) قالت نعم. قال: (أتؤمنين بالبعث بعد الموت؟) قالت: نعم قال: (اعتقها). [وهذا إسناد صحيح - ابن كثير ج ١ ص ٥٣٤]. وفي موطأ مالك ومسند الشافعي وأحمد وصحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي من طريق هلال ابن أبي ميمونة عن عطاء ابن يسار عن معاوية بن الحكم أنه لما جاء بتلك الجارية السوداء قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أين الله؟) قالت: في السماء. قال: (من أنا؟) قالت: أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اعتقها فإنها مؤمنة). [ابن كثير ج ١ ص ٥٣٤]. {وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} أما إن كان المقتول من قوم كان بينكم وبينهم معاهدة بعدم الاعتداء وكان المقتول مؤمناً أو غير مؤمن {فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ} فلاهله منه دية شرعاً وعلى القاتل أيضاً {وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ} وأيضاً عليه أن يحرر ويعتق رقبة مؤمنة. وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (دية الخطأ أخماساً عشرون حقة وعشرون جدعة وعشرون بنات مخاض وعشرون بنات لبون وعشرون بني لبون).

[أخرجه الدارقطني - سبل السلام ج ٣ ص ٢٤٨]. وحقّة بكسر الحاء وتشديد القاف هي من الإبل ما استكمل السنة الثالثة ودخل في الرابعة إلى تمامها ويقال للذكر حقّ سميت بذلك لاستحقاقها أن يُحمل عليها ويركبها الفحل ، وجذعة بفتح الجيم والذال هي التي أتت عليها أربع سنين ودخلت في الخامسة ، وَالْمَخَاضُ بفتح الميم هي من الإبل ما استكمل السنّة الأولى ودخل في الثانية إلى آخرها سُمِّيَ بذلك ذكراً كان أو أنثى لأن أمه من المخاض أي الحوامل والمخاض الحامل التي دخل وقت حملها وإن لم تحمل ، وابن لبون هو من الإبل ما استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة إلى تمامها سمي بذلك لأن أمه ذات لبن ويقال بنت اللبون للأنثى. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا إن دية الخطأ وشبه العمدة) ما كان بالسوط والعصا (مائة من الإبل منها أربعون في بطونها أولادها). [أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان - سبل السلام ج ٣ ص ٢٤٩]. {فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ} فمن لم يقدر على العتق ولم يجده أو لم يجد المال الذي يعتق به فعليه {فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ} عليه كفارة بدلاً من العتق صيام شهرين أي ستون يوماً متتابعة ومتتالية وإذا أفطر منها يوماً أعادها من جديد {تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ} أي كفارة له على ذنبه حتى يتوب الله تعالى عليه لذنبه الذي اقترفه من القتل حتى يسود السلام والوثام والأمان بين الناس {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى من الأزل وإلى ما شاء الله {عَلِيمًا} يعلم بما ينفع الناس ويحفظ ويحمي دماءهم {حَكِيمًا} ذو حكمة في شرعه حتى لا يكون سفك الدماء وزهق الأرواح سهلاً وبدون عقاب وبدون احتراز واحتراس من الخطأ {وَمَنْ يَقْتُلْ} ومن يتسبب في قتل وموت {مُؤْمِنًا} رجلاً

مسلماً ومؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والمؤمن سواء رجل أو امرأة ولكن القتل في الغالب يكون بين الرجال وتكون النساء مقصورات في البيوت في الغالب ولذلك كان العام اللفظ للرجال {مُتَعَمِّدًا} أي عن قصد وإصرار وسابق ترصد وإعداد العدة لذلك {فَجَزَأُوهُرُ} فعقابه عند الله تعالى يوم القيامة {جَهَنَّمُ} خَلِدًا فِيهَا} في نار جهنم يُخَلد فيها يوم القيامة لتعمده في القتل وهو إعداد العدة والترصد والتحضير والتقرب وطويل التفكير وهذا هو سبب تخليده في جهنم لأنه قتل وأزهق روحاً مؤمنة بريئة {وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ} وسخط الله تعالى عليه وهو شدة عذابه له في نار جهنم يوم القيامة {وَلَعَنَهُرُ} أي أخرجه من رحمته وعفوه ومغفرته {وَأَعَدَّ} وحضر وجهز {لَهُرُ} للقاتل عمداً {عَذَابًا} عقاباً {عَظِيمًا} أليماً وشديداً وقاسياً وكبيراً.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ بَدَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٥٧﴾﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِذَا ضَرَبْتُمْ} إذا خرجتم {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} للجهاد أو للحرب أو في عمل فيه طاعة لله تعالى وفي مرضاته {فَتَبَيَّنُوا} فتثبتوا وتحققوا {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ} ولا تقولوا لمن رد عليكم السلام وأعطاكم الأمان أو نطق بالشهادتين أمامكم بأنه مسلم وموحد بالله تعالى {لَسْتَ مُؤْمِنًا} تقولون له لست

مؤمناً ولست مسلماً وتكذبوه { تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } تبتغون وتطلبون من وراء ذلك الغنيمة وسلب أمواله { فَعِنْدَ اللَّهِ } فعند الله تعالى لكم يوم القيامة { مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ } في الدنيا بالنصر على أعدائكم وأخذكم منهم الغنائم وفي الجنة نعيم مقيم ورزق الله تعالى لا ينفد { كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ } وهكذا كنتم قبل إيمانكم كفاراً { فَمَنْ بَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ } فتفضل الله تعالى عليكم بفضله وكرمه ومثمه بأن هداكم للإيمان فهل تقبلوا وأنتم عندها مستضعفون وتخفون إيمانكم في مكة بأن يقتلكم أحد { فَتَبَيَّنُوا } فتثبتوا وتحققوا وتأكدوا من صدقه قبل قتله ظلماً وعدواناً { إِنَّ اللَّهَ } إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { كَانَ } كان من الأزل ولا يزال إلى ما شاء الله { بِمَا تَعْمَلُونَ } بما تفعلون أيها الناس جميعاً { خَبِيرًا } عليماً ومطلعاً ويعلم ويعرف ما تفعلون من خير أو شر. وقال البخاري: قال حبيب بن أبي عمرة عن سعيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد: (إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته فكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة من قبل). [هكذا ذكره البخاري معلقاً موصولاً - ابن كثير ج ١ ص ٥٣٩]. وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا حماد ابن علي البغدادي حدثنا جعفر بن سلمة حدثنا أبو بكر بن علي بن مُقَدَّم حدثنا حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فيها المقداد بن الأسود فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير لم يبرح فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأهوى إليه المقداد فقتله فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله؟ والله لأذكرن ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا

رسول الله إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد فقال: (ادعوا لي المقداد. يا مقداد أقتلت رجلاً يقول: لا إله إلا الله فكيف لك بلا إله إلا الله غدا؟) قال: فأنزل الله: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمقداد: (كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل). [ابن كثير ج ١ ص ٥٣٩].

﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥٦﴾ دَرَجَتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٧﴾ ﴾

{ لَا يَسْتَوِي } لا يتساوى في الأجر والثواب كما قال تعالى: " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ " ١٦ الرعد. { الْقَاعِدُونَ } القاعدون عن الجهاد والمتخلفون عنه { مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } ممن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهم المسلمون { غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ } ما عدا المرضى كالأعمى والأعرج والمقعّد والشيخ الهرم والأطفال والنساء { وَالْمُجَاهِدُونَ } مع المجاهدين والمحاربين للأعداء { فِي سَبِيلِ اللَّهِ } في طاعة الله تعالى وفي رضائه لتكون كلمة الله هي العليا عندما تنتهك أعراض وأموال وأرض المسلمين { بِأَمْوَالِهِمْ } بما يملكون من مال وثروات { وَأَنْفُسِهِمْ } ويجاهدون الأعداء بأنفسهم وذاتهم وأشخاصهم يخرجون للجهاد. قال البخاري أيضاً: حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثني إبراهيم بن سعد

عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب حدثني سهل بن سعد الساعدي أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد قال فأقبلت حتى جلست إلى جنبه فأخبرنا أن زيد ابن ثابت أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى عليّ: " لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملئها عليّ قال: يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وكان فخذَه على فخذي فثقلت عليّ حتى خفت أن تُرَضَّ فخذي ثم سري عنه فأنزل الله: " غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ". [تفرد به البخاري دون مسلم - ابن كثير ج ١ ص ٥٤٠]. وأما أصحاب الضرر بمرض أو خلافه وقلبه ونيته مع المجاهدين ويدعو لهم بالنصر فيأخذوا الثواب مثلهم. كما ثبت في صحيح البخاري من طريق زهير بن معاوية عن حميد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم من مسير ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه) قالوا: وهم بالمدينة يا رسول الله؟ قال: (نعم حبسهم العذر). [وهكذا رواه أحمد عن محمد بن أبي عدي عن حميد عن أنس به وعلقه البخاري مجزوماً - ابن كثير ج ١ ص ٥٤١]. {فَضَّلَ اللَّهُ} أي جعل الله تعالى الفضل والأجر والثواب أكثر {لِلْمُجَاهِدِينَ} للمجاهدين في سبيل الله {بِأَمْوَالِهِمْ} بما يملكون من مال {وَأَنْفُسِهِمْ} ويجاهدون بأنفسهم {عَلَى الْقَاعِدِينَ} على المتخلفين عن الجهاد والحرب والقتال للأعداء {دَرَجَةً} منزلة رفيعة عند الله تعالى في الجنة والمجاهدون في سبيل الله هم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله). [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ٤٣]. {وَكُلًّا} وكلاً من المجاهدين والقاعدين أولي الضرر {وَعَدَّ اللَّهُ} وَعَدَّهم الله تعالى بالثواب

{الْحُسْنَى} الخير والثواب ودخول الجنة {وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ} وجعل الله تعالى المجاهدين أكثر تفضيلاً وأكثر ثواباً وأعظم درجةً {عَلَى الْقَاعِدِينَ} على المتخلفين عن الجهاد وعن القتال وعن منازل العدو {أَجْرًا} ثواباً {عَظِيمًا} أي كبيراً {دَرَجَاتٍ مِّنْهُ} أي درجات ومنازل في الجنة من الله تعالى يعطيها للمجاهدين. وقد ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض). وقال الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من رمى بسهم فله أجره درجة) فقال رجل: يا رسول الله وما الدرجة؟ فقال: (أما إنها ليست بعتبة أمك. ما بين الدرجتين مائة عام). [ابن كثير ج ١ ص ٥٤١].

{وَمَغْفِرَةً} أي يغفر الله تعالى للمجاهدين في سبيله ذنوبهم السابقة {وَرَحْمَةً} ويرحم الله تعالى المجاهدين يوم القيامة ولا يعذبهم ويدخلهم الجنة {وَوَكَانَ} وكان من الأزل ولا يزال إلى يوم القيامة {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {غَفُورًا} يغفر للتائبين زلاتهم إذا تابوا وندموا وجاهدوا في سبيله {رَحِيمًا} يرحم المجاهدين يوم القيامة ويدخلهم الجنة ولا يعذبهم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٤٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴿٤٩﴾ ﴾

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمْ} إن الناس الذين تقبض أرواحهم وتتوفاهم وتميتهم {الْمَلَائِكَةُ} ملائكة الموت الموكلين بالموت {ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} وهم ظالمون أنفسهم بالكفر والشرك والمعاصي كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة وكما قال تبارك وتعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. {قَالُوا} قالت ملائكة الموت لهم {فِيمَ كُنْتُمْ} ماذا كنتم تعملون في الدنيا ولماذا ترتكبون المعاصي والذنوب والكفر والشرك {قَالُوا} قال هؤلاء الكفار وأهل المعاصي والذنوب {كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ} كنا ضعفاء ومغلوب على أمرنا وكنا نرتكب المعاصي والذنوب غصباً عنا بأمر الحكام والأمراء والسادة أو عن طريق الإغراءات والشهوات والملذات {فِي الْأَرْضِ} في مدننا وقرانا وفي أرضنا التي نسكن ونقيم فيها ووظائفنا وأعمالنا فيها {قَالُوا} ردت عليهم الملائكة وقالوا لهم {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً} ألم تكن بلاد الله واسعة وكبيرة وكثيرة ومدن شتى {فَتُهَاجِرُوا فِيهَا} فتركوا أوطانكم وتهاجروا إليها طلباً للمعيشة وحفاظاً على دينكم {فَأُولَئِكَ} فهؤلاء الكفار وأهل المعاصي والذنوب {مَأْوَاهُمْ} مصيرهم ومآلهم إلى {جَهَنَّمِ} إلى نار جهنم يوم القيامة وعذابها {وَسَاءَتْ} وقبحت {مَصِيرًا} نهاية ومصيراً ومآلاً وعاقبة

{إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ} ما عدا الضعفاء في الجسم {مِنَ الرِّجَالِ} الشيخ الهرم من كبار السن والشيوخ الرجال والمرضى وذوو العاهات {وَالنِّسَاءِ} والنساء لأنهن ضعفاء لا يستطعن الدفاع عن أنفسهن وأعراضهن {وَالْوَالِدَانِ} والأطفال الصغار من الأولاد {لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً} لا يستطيعون الخلاص ولا عمل شيء لإنقاذ أنفسهم {وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا} ولا يعرفون طريقاً للخلاص {فَأُولَئِكَ} فهؤلاء {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ} لعل الله تعالى أن يغفر لهم ويسامحهم ويتجاوز عن سيئاتهم لضعفهم وقلة حيلتهم {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى من الأزل ولا يزال وإلى يوم القيامة {عَفُورًا} يعفو عن الضعفاء الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً {غَفُورًا} يغفر لهم لضعفهم وقلة حيلتهم ويتجاوز عن ذنوبهم ويدخلهم الجنة. وقال البخاري: أنبأنا النعمان حدثنا حماد بن زيد عن أيوب بن أبي مليكة عن ابن عباس "إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ" قال كنت أنا وأمي ممن عذر الله عز وجل. [ابن كثير ج ١ ص ٥٤٢].

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغْمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

{وَمَنْ يُهَاجِرْ} ومن يترك وطنه طلباً للأمن والعيش وحفاظاً على دينه {فِي سَبِيلِ اللَّهِ} في مرضاة الله تعالى وفي طاعته وطلباً للعيش وهو الجهاد الأكبر {يَجِدْ} يرى وينال ويحصل له {فِي الْأَرْضِ} في المدينة أو القرية التي يتوجه إليها مهاجراً

لطلب الرزق وحفاظاً على دينه {مُرَاعِمًا كَثِيرًا} رغداً وبحبوحه من العيش ونعيماً
وأمنًا وسلاماً وفرحاً وسروراً كثيراً وكما قيل:

تَعَرَّبَ عَنِ الْأُوطَانِ فِي طَلْبِ الْعِلْمِ وَسَافَرَ فِي الْأَسْفَارِ حَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرَّجُ هَمٌّ وَاکْتِسَابُ مَعِيشَةٍ وَعِلْمٌ وَآدَابٌ وَصَحْبَةٌ مَاجِدِ

{وَسَعَةً} وتوسعة في الرزق والعيش الطيب {وَمَنْ تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ} ومن يترك وطنه
وأهله ومنزله ويخرج {مُهَاجِرًا} مسافراً سفراً طويلاً وربما لا يعود ثانية {إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ} في طاعة الله تعالى وفي سبيل مرضاته وفي سبيل رسوله سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم {ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ} ثم يموت في هجرته أو سفره هذا {فَقَدْ
وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} يحصل على الثواب أي فثوابه محفوظ له عند الله تعالى
يثيبه عليه {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى من الأزل ولا يزال إلى يوم القيامة {غَفُورًا}
يغفر لمن هاجر في سبيله {رَحِيمًا} ورحيماً به ويدخله الجنة إن مات وإن رجع
إلى وطنه رجع سالماً غانماً راشداً. كما ثبت في الصحيحين وغيرهما من الصحاح
والمسانيد والسنن من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم التيمي
عن علقمة بن أبي وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى
الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة
يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه). [ابن كثير ج ١ ص ٥٤٣].

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٢﴾

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ وإذا سافرتم وخرجتم في سفر مسافة تساوي ثمانين كيلو متراً ونصف كيلو متر ومائة وأربعين متراً (مسيرة يوم وليلة بسير الإبل المحملة بالأثقال سيراً معتاداً). [الفقه على المذاهب الأربعة ص ٢٥٠]. أي مسافة تبلغ ستة عشر فرسخاً ذهاباً فقط. (الفرسخ ثلاثة أميال والميل ستة آلاف ذراع بذرّاع اليد).

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فلا مانع عليكم ولا إثم ولا ذنب {أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ} أن تخففوا من الصلاة الرباعية وتكون ثنائية في السفر. وهي أن تقصر الصلاة الرباعية وهي الظهر والعصر والعشاء في السفر إلى ركعتين سواء أكان في حالة الخوف أم في حالة الأمن. وقد شرع القصر في السنة الرابعة من الهجرة. وثبتت مشروعيته بالكتاب والسنة والإجماع. قال تعالى: " وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا " ، وقال يعلى ابن أمية: قلت لعمر: ما لنا نقصر وقد أمانا؟ فقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (صدقة تصدق الله بها عليكم ، فاقبلوا صدقته). رواه مسلم.

وقال ابن عمر رضي الله عنه: صحبت النبي صلى الله عليه وسلم: (فكان لا يزيد في السفر على ركعتين ، وأبو بكر وعمر وعثمان كذلك). متفق عليه. وروى ابن أبي شيبه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن خيار أمتي من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والذين إذا استحسنوا استبشروا ، وإذا أساءوا استغفروا وإذا سافروا قصرُوا). وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم صلى إماماً بأهل مكة بعد الهجرة صلاة رباعية فسلم على رأس ركعتين ، ثم التفت إلى القوم فقال: (أتموا صلاتكم فإننا قوم سفر). [الفقه على المذاهب الأربعة ص ٢٤٩]. {إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا} إن خفتُم أيها المسلمون أن يعتدي عليكم الكفار في الحرب وفي أثناء السفر وهذا هو سبب مشروعيتها ثم بقيت صدفة من الله تعالى علينا تصدق بها علينا كما جاء في حديث مسلم الذي ذكر آنفاً {إِنَّ الْكُفْرِينَ} إن الكفار {كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا} هم أعداء لكم دائماً لأنكم خالفتُم عقيدتهم وعبادتهم وسلوكهم {مُيَنِّينًا} عظيماً وواضحاً وجلياً. قال الإمام أحمد: حدثنا ابن إدريس حدثنا ابن جريج عن أبي عمار عن عبد الله بن ربيعة عن يعلى بن أمية قال: سألت عمر ابن الخطاب قلت له قوله: " لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا " وقد أمن الناس؟ فقال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عجبتمُ مما عجبتم منه ، فسألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: (صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته). [وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث ابن جريج عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمار به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال علي بن المديني: هذا حسن صحيح من حديث عمر ولا يحفظ إلا من هذا الوجه ورجاله معروفون - ابن كثير ج ١ ص ٥٤٤]. وقال أبو بكر بن أبي شيبه: حدثنا يزيد بن هارون حدثنا ابن عَوْن عن ابن سِيرِينَ عن

ابن عباس قال: صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة ونحن آمنون لا نخاف بينهما ركعتين ركعتين. [وهكذا رواه النسائي عن محمد ابن عبد الأعلى عن خالد الحذاء عن عبد الله بن عون به - ابن كثير ج ١ ص ٥٤٥]. وقال البخاري: حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا يحيى بن أبي إسحاق قال: سمعت أنساً يقول: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة، قلت: أقمتم بمكة شيئاً؟ قال: أقمنا بها عَشْرًا. [وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طرق عن يحيى ابن أبي إسحاق الحضرمي به - ابن كثير ج ١ ص ٥٤٥]. وروى الإمام أحمد: حدثنا وكيع وسفيان وعبد الرحمن عن زُبَيْدِ اليامي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عمر رضي الله عنه قال: صلاة السفر ركعتان، وصلاة الأضحى ركعتان، وصلاة الفطر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان تمام غير قصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم. [وهكذا رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من طرق عن زُبَيْدِ اليامي به وهذا إسناد على شرط مسلم - ابن كثير ج ١ ص ٥٤٥]. {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ} وإذا كنت يا محمد يا رسول الله في القوم ومعهم أثناء الجهاد {فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ} فأردت أن تصلي بهم إماماً {فَلَتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ} أي فليصلي معك جزء من المسلمين ركعة واحدة بسجديتين ثم ينصرفوا ليحلوا مكان من بقي للحراسة وذلك أثناء المعركة والحرب {وَلِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ} أي ليستعدوا ويكونوا على حذر إذا صلوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وتكن أسلحتهم معهم وفي حوزتهم لسرعة ملاقات العدو والتصدي له إذا هاجمهم فجأة {فَإِذَا سَجَدُوا} فإذا صلى الذين يصلون معك ركعة واحدة {فَلْيَكُونُوا مِن وَّرَآئِكُمْ} فلتكن الطائفة الأخرى التي لم تصلي معك أيضاً معها أسلحتها وجاهزة لملاقاة العدو وصدده عن المسلمين إذا

فاجأهم أثناء الصلاة أي لتكن الطائفة الأخرى والجزء الآخر الذي لم يصلي يقف حراسة على المصلين خوفاً من مفاجأة العدو لهم {وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا} أي بعد أن ينصرف الفوج الأول والجزء الأول الذين صلوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة واحدة وسجدتين وينصرفوا لتحل طائفة أخرى كانت تحرسهم ولم تصلي معهم خلف النبي صلى الله عليه وسلم {فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ} أي فلتصلي الطائفة الأخرى والجزء الثاني الذين كانوا في حراسة المصلين ويصلون مع النبي صلى الله عليه وسلم ركعة وهي الثانية بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم أو للإمام ويصلوا هم ركعة واحدة ويكون كل من الطرفين من صلى أولاً أو صلى ثانياً صلى ركعة واحدة مع النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الصلاة تسمى صلاة الخوف. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أبو قطن عمرو ابن الهيثم حدثنا المسعودي عن يزيد الفقير قال: سألت جابر بن عبد الله عن الركعتين في السفر: أقصرهما؟ فقال: الركعتان في السفر تمام إنما اقتصر واحدة عند القتال فبينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال إذ أقيمت الصلاة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة وطائفة وجهها قبل العدو فصلّى بهم ركعة وسجد بهم سجدتين ، ثم الذين خلفوا انطلقوا إلى أولئك فقاموا مقامهم ومكانهم نحو ذا ، وجاء أولئك فقاموا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلّى بهم ركعة وسجد بهم سجدتين ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس وسلم وسلم الذين خلفه ، وسلم أولئك فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين وللقوم ركعة ركعة ، ثم قرأ: " وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ " الآية. [ابن كثير ج ١ ص ٥٤٩]. وقد ورد في صلاة الخوف روايات كثيرة وصورة صلاة الخوف (سواء كانت في الحضر أو في السفر) على مذهب الإمام أبي حنيفة أن يجعل الإمام القوم

طائفتين الطائفة الأولى تقوم مع الإمام والطائفة الثانية تقوم بإزاء العدو للحراسة ويصلي الإمام بالطائفة الأولى ركعة إذا كانت الصلاة ثنائية (كصلاة الصبح وكالصلاة المقصورة في السفر) ويصلي بهم ركعتين إذا كانت الصلاة رباعية (في حالة الحضر) أو كانت صلاة المغرب ثم تمضي هذه الطائفة الأولى إلى جهة العدو مشاة ثم تأتي الطائفة الثانية فيصلي بهم ما بقي من الصلاة (وهي ركعة إن كانت الصلاة ثنائية أو كانت صلاة المغرب وركعتين إن كانت رباعية) ثم يسلم الإمام وحده لتمام صلاته في حين تذهب هذه الطائفة الثانية إلى جهة العدو مكان الطائفة الأولى وتأتي الطائفة الأولى فيتمون صلاتهم (فيصلون ركعة إن كانت الصلاة ثنائية أو كانت صلاة المغرب ويصلون ركعتين إن كانت رباعية) ويتمونها بلا قراءة لأنهم خلف الإمام حكماً ويتشهدون ويسلمون ثم يمضون إلى جهة العدو مكان الطائفة الثانية ثم تأتي الطائفة الثانية فيقضون ما فاتهم (ركعة إن كانت الصلاة ثنائية وركعتين إن كانت رباعية أو كانت صلاة المغرب) ويقضون بقراءة لأنهم مسبوقون. [انظر مراقي الفلاح باب صلاة الخوف ص ٢٢٠]. {وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ} أي تكون أسلحتهم معهم فلا يتركوها أثناء الصلاة ليكونوا على تأهب كامل لصد العدو ومحاربتة {وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} تمنى الكفار {لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ} لو تتركون أسلحتكم ومعداتكم وما معكم من عتاد وأموال وطعام وشراب {فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً} فيباغتونكم ويهجموا عليكم وينقضوا عليكم هجمة واحدة ودفعة واحدة ويهزموكم ويقتلوكم {وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ} ولا بأس عليكم ولا حرج ولا ذنب ولا إثم {إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِّنَ مَّطَرٍ} فإن أصابكم المطر بأذى لغزارته {أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ} أو كنتم مرضى ويؤذيك حمل السلاح {أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ} أن

تضعوا أسلحتكم بجانبكم وقريبة منكم {وَأَخْذُوا حِذْرَكُمْ} وكونوا على استعداد ومتنبهين وعلى أهبة الاستعداد من مفاجأة العدو لكم {إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ} إن الله تعالى أعدّ وحضّر وجهز {لِلْكَافِرِينَ} للكفار وهم من كفر وجحد وأنكر وكذب ولم يصدق ولم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ولا يؤمن ولا يصدق برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {عَذَابًا} عقاباً {مُهِينًا} يهينهم ويذلهم ويعذبهم في نار جهنم.

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۚ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۗ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ ۗ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٤﴾ ﴾

{فَإِذَا قَضَيْتُمْ} فإذا انتهيتُم من {الصَّلَاةِ} صلاة فريضة القصر {فَادْكُرُوا اللَّهَ} فرددوا ذكر الله باسم من أسمائه باللسان والقلب {قِيَمًا} وأنتم واقفون أو أثناء ما تمشون أو تسيرون {وَقُعُودًا} وأنتم جالسون في راحتكم سواء في بيوتكم أو في العمل أو في السفر {وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ} عند استرخائكم في الراحة وأنتم مضطجعون على الفرش والسرر والوسائد أو عند النوم أو في مرضكم.

وهذه الآية هي إحدى الحجج على أن الذكر هو غير الصلاة بنص هذه الآية وكما قال تعالى: " فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " ١٠ الجمعة. وكما قال تعالى: " الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " ١٩١ آل عمران. وكما قال تعالى: " رَجَالٌ لَا

تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ " ٣٧ النور. وقال تعالى: " وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا " ٣٥ الأحزاب. والذكر هو توحيد وإقرار واعتراف بالوحدانية لله تعالى وترديد اسم من أسماء الله تعالى والدوام عليه بالقلب واللسان. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفثاه). أخرجه ابن ماجه وصححه ابن حبان وذكره البخاري تعليقا وهو في البخاري بلفظ: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة). [سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله). [أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد حسن - سبل السلام ج ٤ ص ٢١٣]. وقالت عائشة رضي الله عنها: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه). [رواه البخاري ج ١ ص ١٦٣]. ومما سبق تدل الآيات والأحاديث على أن الذكر هو غير الصلاة فالصلاة فرض والذكر سنة لما له من فائدة بتذكير العبد بربه ويذكر الله تعالى على كل أحيانه كما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا {٤١} وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا {٤٢} " ٤٢، ٤١ الأحزاب. وكما قال تعالى: " الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ " ٢٨ الرعد. وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء فقراء المهاجرين فقالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور [الغنى والأموال

والثراء] بالدرجات العُلى والنعيم المقيم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (وما ذاك؟) قالوا: يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق قال صلى الله عليه وسلم: (أفلا أعلمكم شيئاً إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين). قال فقالوا يا رسول الله سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال صلى الله عليه وسلم: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٣٠]. وكما أسلفنا صلاة القصر ركعتان للمسافر وركعة واحدة مع الإمام وركعة منفرداً للخائف أثناء الحرب ولالإمام ركعتان ويسلم بعدهما {فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ} فإذا انتهت المعركة وحصل لكم الأمن والاطمئنان وانتهى الخوف وأصبحتم في السلم {فَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ} فصلوا الصلوات الخمس في أوقاتها كما هي في العادة بدون قصر وهي: الصبح ركعتان والظهر أربع ركعات والعصر والعشاء كذلك أربع ركعات والمغرب ثلاث ركعات وهي الفرائض في أوقاتها الخمس {إِنَّ الصَّلَاةَ} إن فريضة الصلاة {كَانَتْ} في حكم الله تعالى وفي أمره {عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} على كل مسلم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {كِتَابًا} فرضاً مكتوباً على كل مؤمن من الرجال والنساء من بلغ منهم سن الرشد {مَوْقُوتًا} أي فرضاً محدداً بوقته وهي صلاة الصبح وصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء كل في وقته وحينه وزمانه يجب عليه أن يؤديه فمن أخرها عن وقتها وزمانها بدون عذر فقد أثم إلا إذا نام عنها أو نسيها كما ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من نام عن صلاة أو نسيها فكفارتها أن يصلّيها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك). [ابن كثير ج ١

ص ١٤٤]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أول الوقت رضوان الله ووسط الوقت رحمة الله وآخر الوقت عفو الله). [نزهة المجالس ج ١ ص ٩٢]. وثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل؟ قال: (الصلاة في وقتها) قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله) قلت: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين) قال حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني. [ابن كثير ج ١ ص ٢٩٠]. {وَلَا تَهِنُوا} ولا تضعفوا ولا تتقاعسوا {فِي أَبِيغَاءِ الْقَوْمِ} في حرب الأعداء وجهادهم وملاقاتهم {إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونِ} إن كنتم أيها المؤمنون قد تعبتم وأرهقتم من الحرب للأعداء أو السفر في ملاقاتهم {فَإِنَّهُمْ يَأْمُونَ كَمَا تَأْمُونَ} فإنهم يتوجعون ويألمون مثلكم ومتعبون ومرهقون مثلكم {وَتَرْجُونَ} وتأملون وترجون وتطلبون {مِنَ اللَّهِ} من الله تعالى {مَا لَا يَرْجُونَ} الثواب والجنة ما لا يأملون هم في دخولها لكفرهم وشركهم ومعاصيهم {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى من الأزل ولا يزال وإلى ما شاء الله {عَلِيمًا} عالماً بالكفار ومصيرهم وخذلانهم وعالمًا بكم وبأحوالكم وبما تلاقون في سبيل الله من محاربة الأعداء {حَكِيمًا} ذو حكمة عندما يأمركم بحربهم وجهادهم فينصركم عليهم ويثبت دينه دين الإسلام في الأرض وتكون كلمة الله هي العليا.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٥﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴿١٨﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٩﴾ هَاتِئْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٢٠﴾ ﴾

{إِنَّا} الله تعالى وهنا صيغة الجمع للتبجيل والتفخيم والتعظيم لجلاله سبحانه وتعالى ذو الجلال والإكرام {أَنْزَلْنَا} أنزل الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا {إِلَيْكَ} ثم إليك يا محمد يا رسول الله بواسطة الوحي جبريل عليه السلام {الْكِتَابَ} وهو كتاب القرآن الكريم الذي نزل منجماً حسب الأحداث والوقائع {بِالْحَقِّ} بالحق والعدل وبالصدق ولا كذب ولا مرأء فيه {لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ} لتحكم وتقضي بين الناس فيما شجر بينهم وما حصل بينهم من اختلاف وشقاق سواء في المواريث أو في جميع القضايا الدنيوية والشريعة والأخروية {بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ} بما علمك الله تعالى من الكتاب والسنة وكذلك بالاجتهاد وبالقياس برأيك بما لم يكن في الكتاب والسنة وبهذا يحكم القضاة وأهل الرأي وخاصة إذا لم يكن هناك نص صريح في الكتاب والسنة وهو ما يسمى القياس. وقد ثبت في الصحيحين عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال: (ألا إنما أنا بشر وإنما أقضي بنحو ما أسمع ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له ، فمن قضيت له بحق مسلم

فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو ليذرها). وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا أسامة بن زيد عن عبد الله بن رافع عن أم سلمة قالت: جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواريث بينهما قد دَرَسَتْ ليس عندهما بينة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنكم تختصمون إليّ وإنما أنا بشر ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض وإنما أقضي بينكم على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها انتظاماً في عنقه يوم القيامة). فبكى الرجلان وقال كل منهما: حقي لأخي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما إذا قلتما فاذهبا فافتسما ، ثم توخيا الحق بينكما ثم استهما ، ثم ليُحْلِلْ كُلُّ منكما صاحبه). [وقد رواه أبو داود من حديث أسامة بن زيد به وزاد: (إني إنما أقضي بينكما برأيي فيما لم ينزل عليّ فيه). - ابن كثير ج ١ ص ٥٥٠]. وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: (بم تحكم؟) قال: بكتاب الله تعالى. قال صلى الله عليه وسلم: (فإن لم تجد؟) قال: بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم: (فإن لم تجد؟) قال رضي الله عنه: أجتهد رأيي. فضرب في صدره وقال: (الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يُرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم). [وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه - ابن كثير ج ٤ ص ٢٠٥]. {وَلَا تَكُنْ} ولا تفعل يا محمد يا رسول الله {لِللَّخَائِبِينَ} للمذنبين والسارقين والمعتدين {خَصِيمًا} مدافعاً أو مجادلاً عنهم. وهذه الآية عامة لأئمة من بعده فهي موجهة للقضاة والحكام والمحامين ممن يدافعون عن المجرمين وعن الباطل {وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهُ} واستغفر وتب يا محمد يا رسول الله وأنت أيها المسلم والمحامي للدفاع عن المجرمين والمذنبين والعاصين

{إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى {كَانَ} كان الله تعالى من الأزل ولا يزال وإلى يوم القيامة {غَفُورًا} يغفر لمن تاب وندم ورجع {رَحِيمًا} رحيمًا بخلقه وبمن تاب منهم ويرحمهم يوم القيامة ويدخلهم الجنة {وَلَا تُجَدِلْ} ولا تدافع ولا تناصر {عَنِ الَّذِينَ سَخَّتْ أُنْفُسُهُمْ} عن المذنبين والمجرمين وعن اللصوص والكذابين والخداعين {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى {لَا يُحِبُّ} يكره ويبغض ويمقت {مَنْ كَانَ حَوَانًا} من كان مجرمًا وخداعًا وكذابًا ولصًا وسارقًا ومذنبًا {أَثِيمًا} مذنبًا ومرتكبًا للذنوب والمعاصي ويقترفها عن عمد وإصرار {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ} يتوارون ويتخفون من أعين الناس ويرتكبون الذنوب والمعاصي {وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ} ولا يستترون من الله {وَهُوَ مَعَهُمْ} وهو الله تعالى معهم في أي مكان يراهم {إِذْ يُبَيِّتُونَ} إذ يمكرون ويتواعدون ويتفقون على ارتكاب المعاصي والذنوب والآثام والسراقات والإجرام {مَا لَا يَرْضَى} ما لا يقبل ولا يرضى {مِنَ الْقَوْلِ} من قول الكذب والبهتان وشهادة الزور وإلصاق التهم بالغير {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى من الأزل ولا يزال وإلى ما شاء الله {بِمَا يَعْمَلُونَ} بما يفعلون {مُحِيطًا} مطلعًا وعالمًا به ويحيط به علمًا ولا يغيب عنه علمه فهو علام الغيوب. وقد روى ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس أن نفرًا من الأنصار غزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته فسُرقت درع لأحدهم فأظن بها رجلاً من الأنصار فأتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن طعمة بن أبيرق سرق درعي ، فلما رأى السارق ذلك عمد إليها فألقاها في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته إنني غَيَّبْتُ الدرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده فانطلقوا إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلاً فقالوا: يا نبي الله إن صاحبنا بريء وإن صاحب

الدرع فلان وقد أخطنا بذلك علماً، فاعذُرْ صاحبنا على رءوس الناس وجادل عنه فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرأه وعذره على رءوس الناس فأنزل الله: " إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا. وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ " الآية. [ابن كثير ج ١ ص ٥٥١].

{هَاتَتْهُمْ} فأنتم {هَتُّوْلَاءٌ} هم من {جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ} دافعتم عنهم وأبعدتم تهمة السرقة عنهم {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} في الدنيا {فَمَنْ} مَنْ هو {يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ} يقيم الحجَّة أمام الله تعالى ويدافع عنهم وعن سرفقتهم وعن كذبهم {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} في يوم القيامة يوم الحساب {أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا} أو مَنْ هو يكون مدافعاً ومسانداً لهم ومتوكلاً يدافع عنهم ويمنعهم عذاب الله تعالى.

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۗ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۗ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾

{وَمَنْ} وكل شخص من الرجال أو النساء من بلغ منهم الرشد وهو عاقل {يَعْمَلُ} يفعل أو يرتكب أو يقتترف {سُوءًا} ذنباً أو معصية أو شراً {أَوْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ} أو يرتكب خطأً في حق نفسه كمحاولة الانتحار أو يكفر أو يشرك بالله تعالى فعمله هذا ظلم لنفسه يوم القيامة فيعذبها في نار جهنم كما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمْ

الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة وكما قال تعالى: " إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ١٣ لقمان. وكما قال تعالى: " إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ " ٤٥ الشورى. وجاء في الحديث الصحيح عن مسلم رحمه الله من رواية أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه). [ابن كثير ج ٢ ص ٣١٩]. وبذلك يكون أيضاً من ظلم غيره يكون في نفس الوقت قد ظلم نفسه لأنه سيتحمل تبعه ذلك إن عاجلاً في الدنيا بالقصاص الدنيوي أو عاجلاً في الآخرة يوم القيامة {ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ} ثم بعد معصيته يندم ويرجع عن ذنبه وظلمه ويتوب لله تعالى {يَجِدِ اللَّهُ غُفُورًا} يجد الله تعالى قد غفر له ذنبه مهما كبر أو عظم كالذي قتل تسعة وتسعين نفساً ثم تاب غفر الله له كما جاء في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قتل تسعة وتسعين نفساً ثم ندم وسأل عابداً من عبّاد بني إسرائيل هل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله وأكمل به مائة ثم سأل عالماً من علمائهم هل له من توبة؟ فقال ومن يحول بينك وبين التوبة؟ ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد الله فيها فقصدها فأتاه الموت في أثناء الطريق. فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأمر الله عز وجل أن يقيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أقرب فهو منها. فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشير فقبضته ملائكة الرحمة. وذكر أنه نأى ب صدره عن الموت وأن الله تبارك وتعالى أمر البلدة الخيرة أن تقترب وأمر تلك البلدة أن تتباعد. [ابن كثير ج ٤ ص ٥٩، ٥٨]. وقال الإمام أحمد: حدثنا شريح بن النعمان حدثنا أبو عبيدة عبد المؤمن ابن عبيد

الله السدي حدثني حسن السدوسي قال: دخلت على أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم ، والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لو لم تخطئوا لجاء الله عز وجل بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم). [تفرد به أحمد - ابن كثير ج ٤ ص ٥٩]. {رَحِيمًا} يرحم العبد التائب ويدخله الجنة يوم القيامة {وَمَنْ يَكْسِبْ} ومن يكتسب عملاً فيه ذنب {إِثْمًا} أي ذنباً ومعصية {فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ} وإنما يعملها ويقترفه ويكون وزره وذنبه وعقابه على نفسه ذاته وذلك في نار جهنم يوم القيامة {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى من الأزل ولا يزال وإلى ما شاء الله {عَلِيمًا} عالماً ويعلم كل أفعال وأعمال بني آدم السرية والجهرية {حَكِيمًا} ذو حكمة في شرعه وأمره وحكمه وعقابه وعذابه ولا يخطئ أبداً {وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً} ومن يرتكب معصية {أَوْ إِثْمًا} أو ذنباً أي عملاً يؤثم ويعاقب عليه من الله تعالى {ثُمَّ يَرْمِيهِ} ثم يتهم به غيره {بَرِيئًا} آخر لم يعمل ذلك الذنب أو الإثم أو المعصية وهو غافل ولا يعلم عنها شيئاً {فَقَدْ أَحْتَمَلَ} فقد تحمل {بِهْتِنًا} كذباً وافتراءً واختلاقاً {وَإِثْمًا} وذنوباً {مُيَبَّنًا} عظيماً وكبيراً {وَلَوْلَا} ولولا وبسبب {فَضَّلُ اللَّهُ} فضل الله وكرمه وتبليانه لك {عَلَيْكَ} عليك يا محمد يا رسول الله {وَرَحْمَتُهُ} وشفقته برفع الضرر والأذى عنك يا محمد يا رسول الله وبالمؤمنين معك {هَمَّتْ} لكادت ولعملت وقامت {طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ} جماعة منهم {أَنْ يُضْلُوكَ} أن يبعدونك عن الحق والصواب والحقيقة بكذبهم وادعائهم بالبراءة وإلصاق التهمة

بغيرهم إلى من هو منها براء براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام {وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ} وما يغوون وما يغررون بهذا الكذب إلا أنفسهم وهو افتضاح أمرهم بعد اكتشاف أمرهم وخيانتهم وهم أصحاب طعمة بن أبيرق لأنهم كانوا يريدون إلصاق تهمة السرقة بغيرهم {وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ} ولم يضرك كيدهم وكذبهم شيئاً حيث أنك تحكم بالظاهر وبناءً على قولهم فأنت تحكم يا محمد يا رسول الله وتقضي بينهم بالظاهر بما يقولون والله تعالى يتولى السرائر {وَأَنْزَلَ اللَّهُ} وأنزل الله تعالى {عَلَيْكَ} عليك يا محمد يا رسول الله {الْكِتَابَ} القرآن الكريم {وَالْحِكْمَةَ} والسنة النبوية الشريفة {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ} وعلمك الله تعالى يا محمد يا رسول الله ما لم تكن تعلم وتعرف من قبل وهو القرآن الكريم وما يتلى فيه من شرائع وفرائض وأحكام وسنن وقصص عن الأولين وعلمك علامات الساعة الصغرى والكبرى وأشراتها والجنة والنار وصفاتهما وأهلها {وَكَانَ} وكان من الأزل في علم الله تعالى ولا يزال وإلى ما شاء الله {فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكَ} فضل الله وكرمه بالنبوة والرسالة وغفر لك ذنبك ما تقدم وما تأخر وأعطاك الشفاعة الكبرى يوم القيامة {عَظِيمًا} كبيراً لم يحصل عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل وهي الشفاعة العظمى يوم القيامة.

﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ
النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ
وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ۖ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾

{لَا خَيْرَ} لا يُرجى الخير ولا فائدة تُرجى {فِي كَثِيرٍ} في كثير وأغلب {مِّن
نَّجْوَاهُمْ} من حديثهم ومسامراتهم واجتماعاتهم ومناقشاتهم وهذا هو في أغلب
اجتماعات الناس وخاصة في نواديهم ودواوينهم وفي المقاهي وأماكن تجمعهم {إِلَّا
مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ} إلا من حث الناس على أداء الصدقات للفقراء والمحتاجين {أَوْ
مَعْرُوفٍ} أو أمر بمعروف من أعمال البر والخير كبناء المساجد والمدارس
والمستشفيات ودور العلم والحث عليها {أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} وهو إصلاح
ذات البين والصلح بين الخصمين من الناس كالزوج والزوجة وبين الأبناء
والآباء وبين الإخوة وبين العشيرة والقبيلة الأخرى أي بين القبائل بعضها بين
بعض كما فعل صلى الله عليه وسلم بين الأوس والخزرج {وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ} ومن
يعمل كل أعمال البر والخير والمعروف والإصلاح بين الناس {ابْتِغَاءَ} طلباً
{مَرْضَاتِ اللَّهِ} في رضاء الله وطلباً لثوابه {فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ} فسوف أي يوم القيامة
نعطيه {أَجْرًا} ثواباً ومكافأة {عَظِيمًا} كبيراً وهو دخول الجنة {وَمَن يُشَاقِقِ} ومن
يعادي ويخاصم {الرَّسُولَ} سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مِن بَعْدِ} بعد {مَا
تَبَيَّنَ لَهُ} ما تَوَضَّحَ له {الْهُدَىٰ} الحق والعدل والصواب وهو دين الإسلام

{وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ} ويتبع ويأخذ غير طريق {الْمُؤْمِنِينَ} غير الدين الإسلامي والمؤمنين هم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {نُؤَلِّهِ} نعاقبه ونجعل أوليائه وأنصاره من الأصنام والأوثان {مَا تَوَلَّى} ما عبد من الأصنام والأوثان أي نوكله إلى ما عبد من الأصنام والأوثان التي لا تنفع ولا تضر وكما قال تعالى: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" ٢٥٧ البقرة. {وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ} ونعذبه في نار جهنم يوم القيامة {وَسَاءَتْ} وقبحت {مَصِيرًا} نهايةً ومآلاً وعاقبةً وخاتمةً {إِنَّ} للتوكيد {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهو إله الخلق ورب الأرباب ورب العالمين ورب الكون كله {لَا يَغْفِرُ} لا يغفر ولا يسامح ولا يعفو {أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} أن يجعل له نداً وشريكاً كما قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصراني عيسى ابن الله أو ثالث ثلاثة وكأهل الجاهلية جعلوا الأصنام آلهة وشركاء لله تعالى وعبدوها وكذلك كل من يعبد النار أو البقر أو الشمس أو الفرج أو الأصنام والأوثان فكل ذلك شرك بالله تعالى {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ} ويتجاوز الله تعالى عن غير الشرك لمن تاب وندم ورجع عن ذنبه ومعصيته {لِمَنْ يَشَاءُ} لمن يريد من خلقه وهم الراجعون والنادمون والتائبون {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ} ومن يجعل لله تعالى نداً أو شريكاً {فَقَدْ ضَلَّ} فقد ضل الطريق وابتعد عن الحق والهدى والصواب {ضَلِيلًا بَعِيدًا} ابتعد في الذنب والمعصية وغرق فيهما ولا يرجى له توبة لعناده وإصراره على الشرك والكفر والمعصية والذنوب.

﴿ إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾ ١٧٧ لَعَنَهُ اللَّهُ
 وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١٧٨﴾ وَلَا ضَلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِينَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ
 فَلْيَبْتَئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَمِ وَالْأَمْرَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ
 وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١٧٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ
 الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٨٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا تَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٨١﴾

{إِن يَدْعُونَ} إن يطلبون ويتوسلون ويعبدون {مِن دُونِهِ} غير الله تعالى من
 الشركاء {إِلَّا إِنثًا} أي يطلبون من الإناث وهي جمع أنثى وهم يقصدون الملائكة
 كما قال تعالى: " أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ " ١٥٠ الصافات. وطائفة
 أخرى تعبد الجن كما قال تعالى: " وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمْتِ
 الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ " ١٥٨ الصافات. {وَإِن يَدْعُونَ} وإن يطلبون ويتوسلون
 بالعبادة والدعاء لأصنامهم {إِلَّا شَيْطَانًا} إلا إبليس وأعوانه وجنوده من الشياطين
 {مَرِيدًا} أي شيطاناً من الجن متمرداً على الله تعالى ومغموساً في المعاصي
 حيث يدخل في داخل الصنم ويتكلم لهم ويخبرهم ببعض الأخبار التي يعلمها هو
 فيظن الجهلاء بأن الصنم إله وهو يتكلم لهم ومعهم ويخبرهم بعض الأشياء التي
 خفيت عليهم وبعضها كذب والله تعالى يخبرهم بأن المتكلم ليس صنماً بل شيطان
 متمرد وعاص لله تعالى هو الذي دخل في داخل الصنم وهو الذي يتكلم لهم {لَعَنَهُ
 اللَّهُ} غضب الله عليه وأذله وحقره وعذبه {وَقَالَ} وقال إبليس لله تعالى عندما
 أمره بالسجود لآدم مع الملائكة وعصى ربه بعدم السجود فأراد الله تعالى عذابه
 وهلاكه وموته في تلك اللحظة لعدم السجود لآدم فطلب من الله تعالى أن يؤجله
 ويؤخره إلى يوم القيامة وعندها قال واعداً الله تعالى بإضلال آدم وذريته بقوله

{لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ} لأجعلن من آدم وذريته {نَصِيْبًا مَّفْرُوضًا} نصيباً وافراً وعدداً كثيراً ومعيناً من العصاة والمذنبين {وَلَا ضَلَّيْنَهُمْ} ولأغوينهم وأبعدهم عن الجادة والهدى والحق والصواب وعن الإسلام {وَلَا مَيِّنَّهُمْ} ولأجعل أمنيتهم عند ارتكاب المعاصي بأن الله تعالى لا يعذبهم عليها أو لا يراهم أو سيغفر لهم وبدون توبة ويزين لهم في أمنيتهم بأنهم سيدخلون الجنة وحتى ولو لم يصوموا ولم يصلوا ولم يذكروا ولم يحجوا وحتى لو عملوا كل المعاصي والمحرمات وهذا كله أمني وبعكس الحقيقة كما قال تعالى: " لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ " ١٢٣ النساء. {وَلَا مَرِيئَهُمْ} وأمر إبليس للناس بالوسوسة والتزيين والإغراء ويجعل بعضهم يأمر بعضاً ويغري بعضاً {فَلْيَبْتَئِكُنَّ} أي يقطعن {ءِآذَانَ الْإِنْعَمِ} ومفردها آذن وجمعها آذان من البقر والغنم والماعز والجمال أو الإبل أي يشقونها ويعلمونها أي يجعلون بها علامة على: " البحيرة " وهي الناقة التي أنتجت خمسة أبطن فإن كان ذكراً ذبحوه فأكله الرجال دون النساء وإن كانت أنثى جدعوا أذنها فلا تنتفع بها امرأته ولا بناته ولا أحد من أهله لا بصوفها ولا أوبرها ولا أشعارها ولا ألبانها بل يتركونها للأصنام والطواغيت ويعلمونها ، وكذلك بقطع آذان " السائبة " وهي الناقة إذا ولدت عشراً من الإناث ليس بينهن ذكر أي كلهن إناث سببت إلى آلهتهم فلم تترك ولن يجز وبرها ولم يحلب لبنها وكذلك إذا قضيت حاجة رجل من شفاء المريض مثلاً ساب أي ترك من ماله ناقة أو غيرها للأصنام ، وكذلك " الوصيعة " تقطع آذانها وتعلم وهي الناقة التي تبكر بأنثى ثم تثت بأنثى فيقولون وصلت أنثيين ليس بينهما ذكر فيجدعونها للطواغيت وأصنامهم وهكذا {وَلَا مَرِيئَهُمْ} ويأمر إبليس هو وجنوده من

الشياطين بعض الناس {فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ} فتغيير الخلق بالوشم بتغيير البشرية والخِلقة ومنها فلج الأسنان أي توسيعها وشقها من الأمام حتى تدل على الطيبة والسماحة والكرم والحسن والجمال. وفي صحيح مسلم النهي عن الوشم في الوجه ، وفي لفظ لعن الله من فعل ذلك ، وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: (لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله عز وجل). [ابن كثير ج ١ ص ٥٥٦]. وكذلك خصي الدواب والعبيد والرجال حتى لا ينجبوا وذلك عند دخولهم على النساء وكذلك تغيير الخلقة في الزنا يأتي المولود من الزنا والسفاح وليس من الأبوين الشرعيين بأي طريقة وبأي صفة {وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا} ومن يتولى الشيطان ويعبده ويجعله له هادياً وناصرًا ومعيناً أي بديلاً عن عبادة الله تعالى وعن طاعته بأن ينفذ كل ما يزين له الشيطان من الملذات والمحرمات والمعاصي {مَنْ دُوبِ اللَّهُ} أي يعبد الشيطان ويطيعه ويترك عبادة الله تعالى وطاعته وهو الخالق والرازق والمحيي والمميت {فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا} فقد خسر نفسه يوم القيامة خساراً وهلاكاً دائماً وعظيماً وكبيراً وكما قال تعالى: "إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ" ٥٥ الشورى. {يَعِدُّهُمْ} يوعدهم {وَيُؤْمِنُهُمْ} ويجعلهم يتمنون بأحلام اليقظة أحلاماً كاذبة بأنهم سيدخلون الجنة ولا يعذبون على كفرهم وشركهم ومعاصيهم {وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ} وما يوعدهم به الشيطان من دخول الجنة والنجاة من عذاب النار {إِلَّا غُرُورًا} إلا خداعاً وتغريراً وتزييفاً وكذباً {أُولَئِكَ} هؤلاء الذين صدقوا الشيطان وعبدوه وتركوا عبادة الله تعالى {مَاؤْلَهُمْ} عاقبتهم ومصيرهم ومآلهم {جَهَنَّمَ} نار جهنم يعذبون فيها

{وَلَا يَحْدُونَهَا} ولا يجدون طريقة للخلاص منها {مَحِيصًا} خلاصاً ولا هرباً ولا فراراً ولا نجاةً أبداً.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمْاتِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا مُجْزِئًا وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾

{وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} وهم المؤمنون الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحات من التقوى والبر والخير والعبادة في مرضات الله تعالى {سَنُدْخِلُهُمْ} يدخلهم الله تعالى يوم القيامة {جَنَّاتٍ} أي كل حسب عمله يدخله إما جنة عدن أو جنة الخلد أو جنة النعيم وهكذا وهي ثمان جنان {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري خلالها الأنهار من بين أشجارها وتحت قصورها {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} دائمين فيها {وَعَدَّ اللَّهُ} ما وعد الله تعالى به عباده المؤمنين دخول الجنة يوم القيامة {حَقًّا} فهو حق وصدق وعدل {وَمَنْ} ومن هو {أَصْدَقُ} أكثر صدقاً {مِنَ اللَّهِ} من الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {قِيلًا} قولاً كما قال تعالى: " وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا " ٨٧ النساء. {لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ} ليس دخول الجنة بالتمني أيها المؤمنون {وَلَا أَمْاتِي أَهْلِ الْكِتَابِ} وليس بأما ني اليهود وهم أهل التوراة والنصارى أهل الإنجيل {مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا} من يعمل شراً أو ذنباً أو معصيةً {مُجْزِئًا} يُعاقَب ويُحاسَب

ويعذب على ذنبه الذي اقترفه وذلك يوم القيامة. روى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: تخاصم أهل الأديان ، فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب ، ونبينا خير الأنبياء ، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك ، وقال أهل الإسلام: لا دين إلا الإسلام ، وكتابنا نسخ كل كتاب ونبينا خاتم النبيين ، وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا ففضى الله بينهم وقال: " لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيٍّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ " . [ابن كثير ج ١ ص ٥٥٧]. {وَلَا تَجِدْ لَهُ رُ} ولا يوجد له أحد ينصره {مِنْ دُونِ اللَّهِ} غير الله تعالى {وَلِيًّا} من يتولى أمره ويرعاه ويعتمد عليه {وَلَا نَصِيرًا} ولا أحد ينصره ويمنعه من عذاب الله تعالى يوم القيامة {وَمَنْ يَعْمَلْ} ومن يفعل {مِنْ الصَّالِحَاتِ} من الأعمال الصالحات في عبادة الله تعالى وطاعته {مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى} سواء رجلاً أو امرأة {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} وهو مؤمن بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ومصداق بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً {فَأُولَئِكَ} هؤلاء الذين هذه صفاتهم {يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ} سيدخلون الجنة يوم القيامة {وَلَا يُظَلَّمُونَ} ولا يبخسون ولا ينقصون من ثوابهم {نَقِيرًا} وهو النقطة التي على نواة التمر وهي التي تنبت منها الشجرة وهي كالدرة الصغيرة وكما قال تعالى: " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {٨} " ٨،٧ الزلزلة.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾

{ وَمَنْ أَحْسَنُ } وهو سؤال استنكاري أي لا أحد أحسن { دِينًا } ديناً وعبادة لله تعالى { مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ } ممن وجّه وجهه لعبادة الله تعالى وأطاعه { وَهُوَ مُحْسِنٌ } وهو مخلص { وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ } واتبع دين ومذهب إبراهيم الخليل عليه السلام { حَنِيفًا } مستقيماً وسهلاً وسمحاً ومُخْلِصاً في الطاعة لله تعالى وحده { وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } واتخذ الله تعالى إبراهيم عليه السلام مطيعاً لأوامره ونواهيهِ ومستجيباً لطاعة الله تعالى وعبادته ولا ينساه أبداً وكما جاء في الحديث عن الإحسان: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ } ولله تعالى ملك وحكم كل ما في السموات من ملائكة { وَمَا فِي الْأَرْضِ } وكل ما في الأرض من جن وإنس وحيوانات وطيور وأشجار وبحار وجبال وأنهار { وَكَانَ اللَّهُ } وكان الله تعالى من الأزل ولا يزال وإلى ما شاء الله { بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا } بكل شيء من الأشياء في الأرض أو في السماء { مُّحِيطًا } عالماً ومحيطاً به علمه ولا يعزب عنه مقدار حبة في السموات والأرض إلا يعلمه ويدري به ويعرفه وهو مسخر بأمره.

﴿ وَدَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُوْنَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾

{ وَدَسْتَفْتُونَكَ } ويسألونك ويطلبون منك الفتوى يا محمد يا رسول الله { فِي النِّسَاءِ } في الزوجات من النساء وكيف معاملتهن وخاصة بالنسبة للميراث والمهور { قُلِ } قل للناس وللسائلين يا محمد يا رسول الله { اللَّهُ } الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { يُفْتِيكُمْ } يجيبكم على سؤالكم ويعلمكم بالفتوى الشرعية { فِيهِنَّ } في النساء { وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ } وما يقرأ عليكم في القرآن الكريم من أحكام { فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ } وهن من مات عنهن والدهن أو اللاتي توفيت أمهاتهن وهن صغيرات في السن قبل سن الرشد وهو سن المحيض أي يتمهن بوفاة أحد الآباء وخاصة الأب { الَّتِي لَا تُوْتُوْنَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ } اللاتي لا تعطونهن ميراثهن ولا مهرهن أسوة بغيرهن { وَتَرْغَبُونَ } وتودون { أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ } أن تتزوجوهن بدون مهر { وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ } وكذلك من الأولاد القصر غير بالغين الرشد من مات عنهم آباؤهم وتأكلون ميراثهم { وَأَنْ تَقُومُوا } وأن تنفذوا وأن تؤدوا وتعطوا { لِلْيَتَامَىٰ } لمن توفى عنهم آباؤهم أو أحدهما ولم يبلغوا سن الرشد بعد { بِالْقِسْطِ } بالعدل في ميراثهم وحقوقهم كاملة غير منقوصة { وَمَا تَفْعَلُوا } وما تعملوا { مِنْ خَيْرٍ } من أعمال البر والخير والتقوى { فَإِنَّ اللَّهَ } فإن الله تعالى

{كَانَ} كان من الأزل ولا يزال وإلى يوم القيامة {بِهِ} بعمل الخير والقسط بين
اليتامى {عَلِيمًا} يعلمه ويعرفه ولا يغيب عنه علمه أبداً.

﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا
صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ
حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ
اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًَّ مِنْ سَعَتِهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا
حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾

{وَإِنِ امْرَأَةٌ} أي امرأة من النساء {خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا} خافت وخشيت من زوجها
{نُشُوزًا} نفوراً والنشوز هو الخروج عن الواقع والطبيعي وهو سوء في المعاملة {أَوْ
إِعْرَاضًا} أو تولياً وتركها رغبة في غيرها لعدم محبتها أو مخالفتها له ومعصيته
{فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا} فلا إثم على الوالدين أو الأهل أو الأقارب أو الحكمين {أَنْ
يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا} في الإصلاح بين الزوجين {وَالصُّلْحُ خَيْرٌ} والصلح خير
للطرفين وأفضل لهما - ولأولادهما إن وُجدوا - بدلاً من الطلاق والفراق والخراب
وما يتبع ذلك من الشرور {وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ} أي الصلح يكون عندما
شحت وضافت العشرة بين الزوجين وكثر الخلاف بينهما وكل مصمم على رأيه
وموقفه {وَإِنْ تُحْسِنُوا} وإن تحسنوا وتسامحوا معاشر الأزواج بعضكما لبعض
بالعشرة الطيبة والهادئة وتحسنوا معاملة بعضكم لبعض {وَتَتَّقُوا} وتتقوا الله
وتخافوه فيما بينكم من العشرة الطيبة وتمنعوا عنكم الغضب والشجار والخصومة

والخلاف حتى تسير مركب الزوجية بسلام {فَإِنَّ اللَّهَ} فإن الله تعالى {كَانَ} كان من الأزل وقبل أن تخلقوا ولا يزال وإلى ما شاء الله {بِمَا تَعْمَلُونَ} بما تفعلون في أنفسكم وفيما بينكم من سوء أو حسن معاملة {خَبِيرًا} عالماً بكم وبأطباعكم وبخصومتكم ونفوركم وشجاركم ومن هو على الحق ومن هو على الباطل {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ} وهذا جزم وحكم الله تعالى على البشرية وعلى الناس بأنهم لن يستطيعوا العدل بين النساء أي لمن يتزوج اثنتين أو أكثر في وقت واحد لأنه لو أَرْضَى إحداهن فستغضب الأخرى وخاصة لو جاء لإحداهن بهدية ومهما صغرت حتى ترضى عنه فستغضب الأخرى وإذا أعطى الاثنتين مثل بعضهن ستغضب إحداهن التي يُريد وُدَّها له أكثر من الأخرى وهكذا فلن يستطيع العدل {وَلَوْ حَرَصْتُمْ} وحتى لو حاولتم ورغبتم في العدل فلا بد أن يميل إلى إحداهن لجمالها أو لنسبها أو لحسبها أو لمعاشرتها أو لأولادها حتى ولو بطلب الرأي والمشورة أو المعاشرة {فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ} وهنا خفف الله تعالى عن عدم الاستطاعة بعدم كل الميل أي لا تجوروا ولا تهجروا ولا تظلموا بكل الميل {فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ} فنترك الزوجة الأخرى الأقل حظاً بالمحبة بدون معاشرة ولا نفقة ولا مأكلا ولا ملبس وكأنها في حكم المطلقة أي لا يعطيها حقها في ليلتها كالأخرى ويدعها في عصمته لا هي مطلقة حتى ترى غيره ولا هو يجامعها كزوجة فهذا منهي عنه. وروى الإمام أحمد وأهل السنن من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول: (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك) يعني القلب. [ابن كثير ج ١ ص ٥٦٤]. وقال أبو داود

الطيالسي: أنبأنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيته ساقط). [وهكذا رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث همام بن يحيى عن قتادة به - ابن كثير ج ١ ص ٥٦٤]. {وَإِنْ تُصَلِحُوا} وإن تصلحوا أيها الأزواج ما فاتكم من الظلم والجور والهجر بين الزوجات {وَتَتَّقُوا} وتخافوا الله تعالى في زوجاتكم بالمعاملة الحسنة {فَارَبَّ إِلَهُكُمْ} فإن الله تعالى {كَانَ} كان من الأزل ولا يزال وإلى يوم القيامة {غَفُورًا} يغفر لمن تاب وندم ورجع إلى عقله ورشده وعدله {رَحِيمًا} يرحمه ويدخله الجنة يوم القيامة {وَإِنْ يَتَفَرَّقَا} وإن يتفرقا الزوج والزوجة بالطلاق والفراق {يُغْنِ اللَّهُ} يعطي الله {كُلًّا} كلاً من الزوجين زوجاً غيره فالزوج يجد زوجة غيرها والزوجة تجد زوجاً غيره {مِّن سَعَتِهِ} من سعة رحمته وفضله فالله تعالى كريم {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى من الأزل ولا يزال وإلى ما شاء الله {وَاسِعًا} واسعاً في رحمته وكرمه وفضله ورزقه {حَكِيمًا} ذو حكمة في خلقه وكونه.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾

{وَلِلَّهِ} ولله تعالى ملك وحكم {مَا فِي السَّمَوَاتِ} ما يوجد في السموات السبع من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وكواكب {وَمَا فِي الْأَرْضِ} وكل ما وجد في الأرض من الكائنات الحية من الجن والإنس والحيوانات والوحوش والطيور والأسماك والحياتان والبحار والأنهار والوديان والجبال والسهول والرياح والأمطار فالله تعالى هو المالك لها والمتصرف بها {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا} ولقد أوصينا ووعظنا ونصحنا {الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ} الذين أوتوا الكتب السماوية ممن سبقكم من الأمم وخاصة اليهود والنصارى وهم أصحاب كتاب التوراة والإنجيل {وَإِيَّاكُمْ} ووصيناكم أنتم أيها المسلمون في القرآن الكريم {أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ} أن اعبدوا الله وأطيعوه واخشوه ولا تنتهكوا محارمه {وَإِنْ تَكْفُرُوا} وإن عصيتم وكفرتم ووجدتم وكذبتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ} فإن لله تعالى كل شيء في السموات من ملائكة {وَمَا فِي الْأَرْضِ} من جن وإنس وحيوانات وطيور فهو ملك لله تعالى وحده لا شريك له {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى من الأزل ولا يزال وإلى ما شاء الله {غَنِيًّا} غنياً عنكم أيها الناس من الجن أو الإنس ولا يحتاج لكم ولا لأحد من خلقه لأنه هو الخالق والرازق والمحيي والمميت {حَمِيدًا}

يحمد من شكره ومن عبده وأطاعه ويدخله الجنة يوم القيامة {وَلِلَّهِ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} وقد كرر الله سبحانه وتعالى ملك وحكم ما في السماوات وما في الأرض له وحده ليُعلم أنه هو الذي لا شريك له في ملك وحكم السماوات والأرض وأنه هو الواحد الأحد الفرد الصمد ليس له شريك أحد في ملكه {وَكَفَى} ويكفي {بِاللَّهِ} بالله تعالى عز وجل {وَكَيْلًا} متوكلاً بملك وحكم كل ما في السماوات والأرض وهو الذي يرزقهم ويحييهم ويميتهم {إِنْ يَشَاءُ} إِنْ يُرِدُ اللَّهُ تَعَالَى {يُذْهِبْكُمْ} يهلككم ويمتكم سواء بالحرب أو الزلازل والصواعق أو بالموت الطبيعي {أَيُّهَا النَّاسُ} أيها الناس جميعاً ذكراً أو أنثى كبيراً أو صغيراً من الإنس أو الجن {وَيَأْتِ بِخَيْرٍ} ويخلق ويأت بغيركم وبخلق جديد وخلقة جديدة لا يعصونه {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى من الأزل قبل أن يخلق خلقه ولا يزال وإلى ما شاء الله {عَلَىٰ ذَٰلِكَ} على الموت والحياة بخلق كل ما في كونه من البداية إلى النهاية {قَدِيرًا} قادراً على ذلك بقوله تعالى كن فيكون {مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا} من كان يطمع ويريد خير الدنيا وملذاتها وشهواتها ومحرماتها وأجرها دون الآخرة {فَعِنْدَ اللَّهِ} فعند الله تعالى يوم القيامة الثواب والأجر والنعيم {ثَوَابِ الدُّنْيَا} فعند الله تعالى لمن عبده وأطاعه ولم يعصاه أجر ما عمل من الطاعات وأعمال البر والخير في الدنيا بالسعادة {وَالْآخِرَةِ} وفي يوم القيامة ثوابه وأجره هو دخول الجنة لعبادته وطاعته لله تعالى {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى من الأزل ولا يزال وإلى ما شاء الله {سَمِيعًا} يسمع لمن تاب وندم ويدخله الجنة يوم القيامة فهو يسمع كل شيء ويسمع دبيب النملة السوداء على

الصخرة الصماء في الليلة الظلماء {بَصِيرًا} يرى ويطلع على جميع خلقه وعلى جميع أحوالهم وأعمالهم وأفعالهم ليلاً أو نهاراً.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوْ

الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۗ فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىٰ أَنْ

تَعْدِلُوا ۗ وَإِن تَلَوْدًا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٥﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يأمر الله تعالى عباده المؤمنين ويحثهم بقوله أيها المؤمنون يا

من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {كُونُوا قَوَّامِينَ} قوموا وكونوا

أنتم عاملين على الحق دائماً وتحكموا بين الناس {بِالْقِسْطِ} بالعدل والحق

والصواب {شُهَدَاءَ لِلَّهِ} أن تشهدوا شهادة الحق طاعة لله تعالى على وجهها

الصحيح وبدون كذب ولا تزيف ولا مواربة ولا تحريف وتؤدوها لله تعالى كما هي

{وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ} وحتى لو كانت الشهادة عليكم أنفسكم {أَوْ الْوَالِدِينَ} أو على

والديكم أو أحدهما {وَالْأَقْرَبِينَ} أو على الأقارب من الأهل والعشيرة أو الأخوة أو

أبناء العمومة {إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا} فالشهادة سواءً على الغني أو على الفقير

لا فرق بينهما عند الله تعالى فلا تكون لصالح الغني حتى يزيد غناه ولا لصالح

الفقير إعانة له على فقره {فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا} فالله تعالى أولى منكم أيها المؤمنون

بالعدل والرفقة والرحمة بهما وبحسابهما كما قال تعالى: " وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ " ١٠٩ آل عمران. {فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىٰ} فلا

تتبعوا أيها الناس الأهواء والشهوات والمشاعر والعواطف في أداء الشهادة أو

المحسوبية {أَن تَعْدِلُوا} في عدم العدل لاتباع الهوى {وَإِن تَلَوْدًا} وإن تنحرفوا

وتبتعدوا عن شهادة الحق والعدل {أَوْ تُعَرِّضُوا} أو تمتنعوا عن أدائها حتى لا تضر بكم أو بمعارفكم أو أقربائكم {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ} فإن الله تعالى كان ولا يزال وإلى ما شاء الله {بِمَا تَعْمَلُونَ} بما تفعلون سواء أداء الشهادة على وجهها أو كتمها أو تغييرها {حَبِيرًا} عالماً بكم وبشهادتكم ومحيط علمه بكم وبأعمالكم وبأفعالكم ولا يعزب عنه مقدار ذرة في السموات أو في الأرض إلا ويعلمها. أخرج الشيخان من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟) قلنا: بلى يا رسول الله قال: (الإشراك بالله وعقوق الوالدين) - وكان متكئاً فجلس فقال: (ألا وشهادة الزور ، ألا وقول الزور) فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. [ابن كثير ج ١ ص ٤٨٢]. وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان فقال: (أتدري فيما ينتطحان يا أبا ذر؟) قلت لا قال صلى الله عليه وسلم: (لكن الله يدري وسيحكم بينهما). [ابن كثير ج ٤ ص ٥٢ - مكاشفة القلوب ص ١٢٨].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَوَالِكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ
 ءَوَالِكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ءَوْمَن يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ءَوَكُتِبِهِ ءَوُرَسُولِهِ ءَوَالْيَوْمِ
 ءَالْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦١٧﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامِنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
 الآخر {ءَامِنُوا بِاللَّهِ} صدقوا بالله تعالى رباً وخالقاً وإلهاً ومعبوداً {ءَوُرَسُولِهِ} وآمنوا
 برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {ءَوَالِكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ} والكتاب السماوي وهو القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى
 بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل منجماً على حسب الوقائع والأحداث على
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام {ءَوَالِكِتَابِ الَّذِي
 أَنزَلَ مِن قَبْلُ} والكتاب السماوي الذي أنزل من قبل وهو كتاب التوراة الذي أنزل
 على موسى عليه السلام وكتاب الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه
 السلام للنصارى وبزبور داود عليه السلام وصحف إبراهيم وشيث جميع هذه
 الكتب أمرنا الله تعالى نحن المسلمين أن نؤمن ونصدق بها لأنها نزلت من عند الله
 تعالى على رسله {ءَوْمَن يَكْفُرُ بِاللَّهِ} ومن يجحد وينكر ويكذب بالله رباً
 {ءَوْمَلَائِكَتِهِ} ويجحد وينكر ملائكة الله تعالى وهم الذين يأتون بالكتب السماوية
 إلى رسل الله تعالى وملائكة الموت وملائكة الرحمة وملائكة العذاب وحملة العرش
 فمن يكذب بهم وينكرهم كجبريل عليه السلام وهو الوحي الذي نزل على رسول
 الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن وبالسنة المشرفة وعزرائيل عليه
 السلام ملك الموت وميكائيل عليه السلام بالرحمة والأمطار وإسرافيل عليه السلام
 بالنفخ بالبوق نفخة الفزع ونفخة الصعق في يوم القيامة ونفخة القيام بإحياء الموتى

يوم القيامة {وَكُتِبَ عَلَيْهِ} ومن يجحد وينكر الكتب السماوية التي أنزلت على رسل الله تعالى كالتوراة نزلت على موسى عليه السلام لليهود والإنجيل نزل على عيسى عليه السلام للنصارى والزبور على داود عليه السلام والقرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فمن ينكرها ويكفر بها {وَرُسُلِهِ} وكذلك يكفر برسول الله تعالى وأولهم آدم عليه السلام وآخرهم عيسى عليه السلام ثم خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا نبي بعده فمن يكفر بهم ويجحد وينكر ويكذب بهم {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} وهو يوم القيامة يوم البعث والحساب والعقاب ودخول الجنة أو النار فمن ينكر ويكذب ويجحد بكل هؤلاء {فَقَدْ ضَلَّ} فقد ابتعد عن الهدى والحق والصواب وانغمس في الكفر والمعاصي {ضَلَّالًا بَعِيدًا} فقد ابتعد عن الهدى والحق والصواب بعداً لا عودة فيه ولا يرجى توبته بعد ذلك لإصراره وعناده وارتكابه الذنوب والمعاصي والإصرار على الكفر وعدم التوبة.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ

هُمَّ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾

{إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} إن من آمن وصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {ثُمَّ كَفَرُوا} ثم ارتدوا عن الإسلام {ثُمَّ ءَامَنُوا} ثم تابوا وآمنوا من جديد بعد ارتدادهم عن الإسلام {ثُمَّ كَفَرُوا} ثم كفروا وارتدوا عن الإسلام ثاني مرة {ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا} ثم ازدادوا كفراً وجحوداً وعصياناً وعناداً وإصراراً على كفرهم ومعاصيهم حتى ماتوا على ذلك الكفر {لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ} لن يغفر الله تعالى لهم ولن يعفوا عنهم بعد ذلك لعنادهم وإصرارهم على كفرهم وارتدادهم عن الإسلام حتى ماتوا {وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا} ولا يهديهم الله تعالى ولا يرشدهم إلى طريق

الخلاص والنجاة والتوبة والندم والرجوع إلى الإسلام لعنادهم وإصرارهم على كفرهم.

﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٢٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُغُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٢٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٣٠﴾ ﴾

{بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ} البشرى هنا للمنافقين بشرى عذاب أي تهكم على المنافقين لأن في الأصل تكون البشرى سعيدة وهنا بشرى شر وعذاب للمنافقين والمنافقين هم المخادعون لغيرهم والذين يظهرون ما لا يبطنون خداعاً وخيانة وغشاً وكذباً وغدراً ونفاقاً وهم بوجهين يقولون للمسلمين نحن معكم ويقولون كذلك للكفار ويميلون مع المنتصر {بِأَنَّ لَهُمْ} بأن للمنافقين وينتظرهم يوم القيامة {عَذَابًا} عقاباً {أَلِيمًا} قاسياً وموجعاً {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ} وصفة المنافقين هي أنهم يتعاونون مع الكفار على المسلمين بأي صفة من الصفات ويتخذونهم أحاباً وأصدقاءً وأنصاراً ويفشون سرهم وسر المسلمين للكفار وكذلك تأييدهم والاتكال عليهم لحمايتهم {مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} أي بدلاً عن المؤمنين {أَيْبَتُغُونَ} أي يطلبون {عِنْدَهُمْ} عند الكفار {الْعِزَّةُ} القوة والمنعة والحماية والجاه والسلطان والنصر والمؤازرة {فَإِنَّ الْعِزَّةَ} فإن المنعة والنصر والقوة والجاه والحماية {لِلَّهِ جَمِيعًا} فهي لله وحده لا شريك له فهو ينصر من يشاء ويهزم من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويؤتي الملك من يشاء كما قال تعالى: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ

الْمَلِكِ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" ٢٦ آل عمران. {وَقَدْ نَزَّلَ} وقد أنزل الله تعالى أمراً {عَلَيْكُمْ} عليكم أيها المؤمنون {فِي الْكِتَابِ} في القرآن الكريم أنه {أَنَّ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا} أنه إذا كنتم في جلسة أو في اجتماع أو في نادي أو في أي مكان وسمعتم أحداً من الكفار يكفر ويجدد ويكذب بآيات القرآن الكريم وبمعجزات الله تعالى {وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا} ويسخر منها ولم يصدقها {فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} فلا تجالسوهم إهانة لهم وتحقيراً وإنزالاً لهم حتى يعلموا أنكم غير راضين عن فعلهم وقولهم حتى يرجعوا عن سخريتهم وإنكارهم وتكذيبهم ويغيروا الحديث في شأن آخر {إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ} وإن لم تدعوهم وتتركوهم في تلك اللحظة تكونوا شركاء في الذنب مثلهم. وكما ورد: (الساكت عن الحق شيطان أخرس). {إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} إن الله تعالى سيجمع بين المنافقين والكافرين في عذاب نار جهنم يوم القيامة عقاباً لهم على نفاقهم وكفرهم واستهزائهم بآيات الله تعالى.

﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ
لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَنَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ
النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَتُولَاءٍ وَلَا إِلَى
هَتُولَاءٍ ۚ وَمَن يَضِلِ اللَّهُ فَلَئِن نَّجَدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ أُرِيدُونَ أَن يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا
﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنُجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ
وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾

{ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ } الذين ينتظرون ما يحل بكم ويراقبونكم وهم المنافقون { فَإِنْ
كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ } فإن كان لكم نصر وغلبة من الله تعالى على الكفار { قَالُوا }
قال المنافقون لكم { أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ } ألسنا معكم مسلمين كذباً ونفاقاً { وَإِنْ كَانَ
لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ } وإن كان النصر نصيب الكفار { قَالُوا } قال المنافقون للكفار { أَلَمْ
نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ } ألم نتخذكم لنا أحاباً وأصدقاء بدلاً من المؤمنين واستبدلناكم
بهم وأفشينا لكم أمرهم { وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } ونمنع عنكم قتال المؤمنين لكم
ونشب من عزائمهم { فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } فالله تعالى يحكم ويقضي
بينكم يا رسول الله ومن معك من المسلمين وبين المنافقين الذين اتخذوا الكافرين
أولياء وأنصار عليكم وذلك يوم القيامة يوم الحساب { وَلَنَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ سَيِّئًا} ولن ينصر الله الكافرين على المؤمنين بأية صفة وبأية طريقة إلا إذا ابتعدوا عن أوامره ونواهيه وعصوه فعند ذلك يتخلى عنهم وينصر الأعداء عليهم كما هزم المسلمون في موقعة أحد عندما خالفوا أمر رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولما أطاعوه في بدر نصرهم على الكفار مع قلتهم وقلة سلاحهم ولذلك قال سبحانه وتعالى: " وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَيِّئًا " ولم يقل على المسلمين {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ} إن المخادعين والكذابين {تُخَدِعُونَ اللَّهَ} يخدعون الله تعالى بالنفاق والمعاصي ويعاونون أعداء المسلمين ويظنون أن الله تعالى لم يرههم ولم يعذبهم على نفاقهم. وفي الأثر الإلهي: (كم أعصيك ولا تعاقبني؟ قال الله تعالى: يا عبدي كم أعاقبك وأنت لا تدري؟). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٤٥]. {وَهُوَ} وهو الله تعالى {خَدِعَهُمْ} أي معذبهم ومعاقبهم على أعمالهم إن عاجلاً في الدنيا أو آجلاً في الآخرة يوم القيامة في نار جهنم {وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ} وصفة المنافقين إذا صلوا أمامكم أيها المؤمنون {قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ} أي قاموا إلى الصلاة يراءونكم وهم متكاسلون دائماً عن الصلاة ومتقاعسون عنها ومتباطئون أي لا يصلون إلا أمام الناس يظهرون للناس أنهم على تقوى وعبادة وصلاة نفاقاً وكذباً وفي الحقيقة أنهم لا يصلون أو يتركون بعض الفرائض تكاسلاً وتقاعساً {وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} ولا يذكرون الله ولا يسبحونه بألسنتهم وبقلوبهم إلا مرات قليلة أو صدفه وكذلك لا يتعظون ولا يخافون الله تعالى ويعصونه إلا في قليل من الأمور {مُذَبَذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ} مترددين بين الطرفين ومتحيرين بينهم {لَا إِلَى هَتُولَاءٍ وَلَا إِلَى هَٰؤُلَاءِ} لا هم مع المؤمنين ولا هم مع الكفار فهم مع الأقوى ومع المنتصر دائماً {وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ} ومن يضلله الله ويزده معصية لكفره وجحوده

وإنكاره وإصراره على الكفر والنفاق {فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} فلن تجد له يا محمد يا رسول الله مهما حاولت من تحذيره ووعظه فلن تجد طريقاً لهدايته للإسلام لأن قلبه وعقله مقفولان ومغلقان عن الهدى والحق والرشاد {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ} لا تتخذوا الكفار أعوان ومساعدين وناصرين لكم وأصدقاء وأحباب وتوادوهم بدلاً من المؤمنين {أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ} أتودون أن تجعلوا لله تعالى عليكم {سُلْطَنًا مُبِينًا} دليلاً وحجة بالغة وقوية ودليلاً على إدانتكم وعذابكم يوم القيامة {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ} إن المخادعين لله ولرسوله وللمؤمنين {فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} في الطبقة السفلى من نار جهنم لنفاقهم وخداعهم لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين لأن للنار دركات فوق بعضها ولجهنم سبع طباق فوق بعضها وكل واحد منهم له باب كما قال تعالى: "لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ" ٤٤ الحجر. وعن علي رضي الله عنه قال: (أطباق جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيملاً الأول والثاني ثم الثالث حتى ثُملاً كلها) وقال ابن جريج: (النار سبعة دركات وهي الأولى: جهنم لموحدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. والثانية: لظى لليهود. والثالثة: الحطمة للنصارى. والرابعة: السعير للصابئين. والخامسة: صقر للمجوس. والسادسة: الجحيم للمشركين. والسابعة: الهاوية للمنافقين وهي أسفل الطباق وأشدّها ناراً. [مكاشفة القلوب ص ١٧٩]. {وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ} ولن تجد للمنافقين يا محمد يا رسول الله {نَصِيرًا} منقذاً ولا حامياً ولا ناصرًا ولا مانعاً لهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا} إلا التائبين والنادمين {وَأَصْلَحُوا} وأصلحوا أعمالهم وعبادتهم

وطاعتهم لله تعالى {وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ} واعتمدوا وتوكلوا على الله في عبادتهم وفي جميع أمورهم {وَأَخْلَصُوا دِينَهُمَ لِلَّهِ} وأخلصوا في عبادتهم وطاعتهم لله تعالى وحده لا شريك له {فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} فهؤلاء عندها يحشرون يوم القيامة مع المؤمنين المصدقين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ} وسوف يعطي الله تعالى المؤمنين والمصدقين بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {أَجْرًا عَظِيمًا} ثواباً كبيراً وهو دخول الجنة.

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿ لَا تُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَاءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾

﴿ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ خُفِّوهُ أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾

{مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ} لا يريد الله تعالى أن يعذبكم {إِنْ شَكَرْتُمْ} إن أديتم شكر النعمة بالعبادة والطاعة والصلاح {وَأَمَنْتُمْ} وصدقتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله من الأزل ولا يزال وإلى يوم القيامة {شَاكِرًا} يشكر من تاب وندم ورجع إليه بالطاعة والعبادة له وحده لا شريك له {عَلِيمًا} يعلم بخلقه وأعمالهم وعبادتهم وتوبتهم {لَا تُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ} لا يحب الله تعالى الإعلان والإظهار {بِالسُّوَاءِ} بالشر والفضيحة للغير والتكلم عنه بسوء وقبح أعماله {مِنَ الْقَوْلِ} بالكلام الجارح {إِلَّا مَنْ ظَلَمَ} إلا إذا كان صاحب مظلمة وظلم من أحد الناس فلا مانع أن يذكر ذلك للناس حتى يرتدع ويرجع عن ظلمه له وحتى يتجنبه الناس حتى لا يقعوا في شراكه وكذبه وحتى

يتقوه {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى من الأزل ولا يزال وإلى ما شاء الله وعلى الدوام {سَمِيعًا} يسمع كل شيء مما يحدث في كونه {عَلِيمًا} ويعلم كل شيء يقع في كونه {إِنْ تُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ} وإن تظهروا الخير وتعلنوا به أو تسروا به كالصدقات وأعمال البر والخير {أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ} أو تغفروا وتصفحوا لأحد أساء لكم {فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ} فإن الله تعالى كان من الأزل ولا يزال وإلى ما شاء الله {عَفْوًا} يعفو ويصفح عن الناس جميعاً على ذنوبهم وزلاتهم عند توبتهم {قَدِيرًا} قادراً على ذلك لأن الملك ملكه والحكم حكمه.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ

وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا

بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ

عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ} إن الذين يجحدون وينكرون ويكذبون {بِاللَّهِ} بالله تعالى

رباً ومعبوداً وخالقاً ورازقاً ومحياً ومميتاً {وَرُسُلِهِ} وهم أنبياء الله تعالى الذين

أرسلهم إلى أقوامهم وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً وذكر منهم خمسة وعشرين

رسولاً في القرآن الكريم {وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ} وهؤلاء الكفار

يريدون تفريقاً بين الله تعالى وبين رسله حيث يجحدوا وينكروا رسالة رسلهم

ويكذبوهم {وَيَقُولُونَ} ويقول هؤلاء الكفار {نُوْمِنُ بِبَعْضٍ} كاليهود يقولون نؤمن

بموسى عليه السلام والنصارى يقولون نؤمن ببعيسى {وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ} ويقول

اليهود والنصارى نكفروا ونجحد ونكذب بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً
ورسولاً {وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} ويريدون حلاً وسطاً وهو تصديق
البعض كاليهود يؤمنوا بموسى عليه السلام ويكذبوا بالبعض كاليهود والنصارى
يجحدوا وينكروا ويكذبوا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أُولَئِكَ} هؤلاء
الذين يؤمنون ببعض الرسل وينكرون البعض الآخر وخاصة رسالة سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم {هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا} هؤلاء هم الكفار حقاً وصدقاً {وَأَعْتَدْنَا}
وحضرتنا وجهننا {لِلْكَافِرِينَ} للكفار الذين يجحدون برسالة سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم {عَذَابًا مُّهِينًا} عذاباً قاسياً وشديداً ومؤلماً ومهيناً لهم في نار جهنم يوم
القيامة {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ} وأما المؤمنون الذين آمنوا وصدقوا بالله تعالى رباً
وخالقاً ومعبوداً ورازقاً ومحيباً ومميتاً {وَرُسُلِهِ} وآمنوا برسول الله جميعاً {وَلَمْ
يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ} وصدقوهم ولم يكذبوا رسولاً منهم ولا يفضلوا رسولاً عن
رسول لأنهم جميعاً مرسلون من قبل الله تعالى وجميعهم من أهل الجنة {أُولَئِكَ}
هؤلاء المؤمنون والمصدقون بجميع رسل الله تعالى ولم يفرقوا بين أحد منهم
{سَوْفَ} يوم القيامة {يُؤْتِيهِمْ} يعطيهم {أَجُورَهُمْ} ثوابهم وهو الجنة يوم القيامة
{وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى من الأزل ولا يزال وإلى يوم القيامة {غَفُورًا} يغفر لمن
تاب وندم ورجع إليه من المذنبين من عباده {رَحِيمًا} والله تعالى يرحم كل من
تاب من عباده ويدخلهم الجنة يوم القيامة.

﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٢﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٣﴾ فِيمَا نَقَضُوا مِّيثَاقَهُمْ وَكُفَرُوا بِمَا بَعَثْنَا إِلَيْهِمْ وَقَتَلْنَا لَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٤﴾﴾

{يَسْأَلُكَ} يطلب الإجابة منك يا محمد يا رسول الله {أَهْلُ الْكِتَابِ} وهم اليهود معجزة على رسالتك {أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ} أن تنزل عليهم كتاباً سماوياً من السماء يروه بأعينهم ويشاهدوه حتى يؤمنوا لك ويصدقوا رسالتك {فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ} فقد سأل بنو إسرائيل نبيهم ورسولهم موسى عليه السلام أكبر من المعجزة التي طلبوها منك لصدق رسالتك {فَقَالُوا} فقال اليهود {أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً} اجعلنا نرى الله تعالى علناً بأعيننا {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ} فأنزل الله تعالى عليهم صاعقة وهي نار نزلت من السماء فأحرقتهم عن آخرهم {بِظُلْمِهِمْ} بكفرهم وافترائهم وعنادهم وكما قال تعالى: " وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ " ٢٥٤ البقرة. {ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ} ثم بعد ذلك أي بعد طلبهم رؤية الله تعالى وبعد أن أماتهم أحياءهم من جديد ثم لم يتوبوا فعبدوا العجل من دون الله تعالى بعد أن تأكدوا من معجزة الله تعالى بفلق البحر ونجاتهم من فرعون ثم أغرق فرعون من بعدهم {فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ} وبعد أن طلبوا وهم وفد بني

إسرائيل الذين ذهبوا مع موسى عليه السلام لمناجاة ربه وهم يسمعون ويشاهدون فطلبوا زيادة على ذلك رؤية الله جهرة وعلناً وبعد صعقهم لطلبهم هذا عفا الله عنهم وأحياهم بناءً على طلب موسى عليه السلام من ربه {وَأَتَيْنَا مُوسَى} وأعطى الله تعالى موسى عليه السلام {سُلْطَنًا مُّبِينًا} معجزة باهرة وهي عصاه إذا ضربها في الصخر ينبع منها الماء للشرب وإذا ضربها في البحر تجعله يبساً ويمروا فيه وإذا ألقاها على الأرض فإذا هي ثعبان مبين تلقف عمل السحرة تبتلعها {وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ} ورفع الله تعالى جبل الطور على بني إسرائيل فوق رؤوسهم {بِمِيثَاقِهِمْ} وأخذنا عليهم الميثاق والعهد باتباع التوراة والعمل بها بعد أن جحدوا بها {وَوَقَلْنَا لَهُمْ} وأوحى الله تعالى على موسى أن يقول إلى قومهم من بني إسرائيل {أَدْخُلُوا الأبَابَ سُجَّدًا} ادخلوا بيت المقدس ساجدين لله تعالى على فضله وكرمه ونعمه عليهم {وَوَقَلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ} ووعظناهم بعدم الاعتداء بالصيد للحيتان في يوم السبت وهو يوم عيدهم {وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ} وأخذ الله تعالى على بني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام {مِيثَاقًا غَلِيظًا} عهداً مغلظاً على أن لا يصطادوا يوم عيدهم وهو يوم السبت للحيتان من البحر {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ} بسبب مخالفتهم ونقضهم لعهدهم وميثاقهم الذي أخذ عليهم عند رفع فوقهم الطور {وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ} وكفرهم وجحودهم بمعجزات الله تعالى من فلق البحر ومن إحيائهم بعد نزول الصاعقة عليهم وبرؤية فلق البحر بعصا موسى عليه السلام {وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ} وقتلهم رسل الله تعالى بغير ذنب. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو الزبير الحسن بن علي بن مسلم النيسابوري نزيل مكة حدثني أبو حفص عمر بن حفص يعني ابن ثابت بن زرارة الأنصاري حدثنا محمد بن حمزة

حدثنا أبو الحسن مولى لبني أسد عن مكحول عن أبي قبيصة بن ذئب الخزاعي عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذاباً يوم القيامة؟ قال: (رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ مَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ) ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ " الآية. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أبا عبيدة قَتَلْتَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ نَبِيًّا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَامَ مِائَةً وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَأَمَرُوا مَنْ قَتَلَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ فَقَتَلُوهُمْ جَمِيعًا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ. فَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ). [وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عبيد الوصابي محمد بن حفص عن ابن حمير عن أبي الحسن مولى بني أسد عن مكحول به - ابن كثير ج ١ ص ٣٥٥]. {وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ} وقول اليهود لرسولهم قلوبنا مغلقة ومقفلة ومغلقة أي لن يصدقوا برسالة رسولهم {بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا} بل ختم الله عليها بخاتم الكفر {بِكُفْرِهِمْ} وختم الله تعالى على قلوب بني إسرائيل بسبب كفرهم وجحودهم وإنكارهم برسالة رسولهم {فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا} فلا يؤمنون هؤلاء اليهود برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلا قليلاً من الأحكام التي تكون في صالحهم ويأخذوا بها.

﴿ وَبِكْفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ هَتَّنَا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴿١٥٧﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾

{ وَبِكْفَرِهِمْ } وبسبب كفرهم هذا وجحودهم وتكذيبهم وعدم تصديقهم { وَقَوْلِهِمْ }
 عَلَىٰ مَرْيَمَ { وكلامهم على مريم بنت عمران أم عيسى عليه السلام { هَتَّنَا } كذباً
 { عَظِيمًا } كبيراً بأنها ولدت عيسى عليه السلام من الزنا { وَقَوْلِهِمْ } وكذلك قولهم
 وكلامهم وادعائهم { إِنَّا } إنا نحن اليهود { قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ } بأنهم
 أي اليهود ادعوا بأنهم قتلوا عيسى عليه السلام المسيح وسمي المسيح لأنه كان
 يمسح على المريض فيبراً { رَسُولَ اللَّهِ } فهو نبي الله ورسوله أرسله الله تعالى إلى
 بني إسرائيل { وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ } ولم يقتل اليهود عيسى عليه
 السلام ولم يصلبوه كما يدَّعوا بذلك ولكن شبه لهم أي قتلوه شبهة وليس حقيقة
 لأنه كان رجل منهم يقلد عيسى عليه السلام في لباسه ومشيه فظنوه عيسى عليه
 السلام فصلبوه وقد ألقى الله تعالى الشبه عليهم بقتله لإضلالهم وكان قد خرج معهم
 للقبض على عيسى عليه السلام عندما دخل عيسى عليه السلام مزرعة أو بستان
 فأحاطوا به من جميع الجهات { وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ } وإن اليهود الذين
 اختلفوا على بعضهم هل هو عيسى المصلوب والمقتول أم غيره { لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ }
 وإنهم في شك وحيرة ولم يتأكدوا يقيناً من صلبه { مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ

الظنِّ} فلا علم عندهم يقيناً بأنهم قتلوه إلا ظناً وشكاً {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا} ولم يقتلوه يقيناً ومؤكدًا وهذا حقيقة {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} فقد رفعه الله تعالى حياً إلى السماء وهو عندما اجتمعت اليهود ليقتلوا عيسى عليه السلام جاءه جبريل عليه السلام بهذا الدعاء: (اللهم إني أسألك باسمك الأحد الأعز وأدعوك اللهم باسمك الأحد الصمد وأدعوك اللهم باسمك العظيم الوتر وأدعوك اللهم باسمك الكبير المتعال الذي ملاً الأركان كلها أن تكشف عني ما أصبحت وما أمسيتُ فيه) ولما دعا به رفعه الله إلى السماء حياً وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا بني هاشم ويا بني عبد مناف اسألوا ربكم بهؤلاء الكلمات فوالذي نفس محمد بيده ما دعا بهن عبد مؤمن إلا اهتزت العرش والسموات السبع والأرضون السبع ويقول الله تعالى لملائكته اشهدوا أنني قد استجبت للداعي بهن وأعطيته عاجل دنياه وآجل آخرته). [نزهة المجالس ج ١ ص ٧٠]. لأن الدعاء يرد القضاء قال رجل يا رسول الله أرأيت رقى نسترقئها وأدوية نتداوى بها أترد من قدر الله تعالى شيئاً؟ قال: (هي من قدر الله). وقال الترمذي هذا صحيح. قال الإمام أحمد: حدثنا ربيع بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال قلنا يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال: (نعم اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا) وهذه في يوم الأحزاب فضرب الله وجوه أعدائه بالريح. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٢]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (خرج سليمان يستسقي فرأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء تقول: اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن سقياك ، فقال: ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم). [رواه أحمد وصححه الحاكم - سبل السلام ج ٢ ص ٨٣]. وقد ألهم الله تعالى يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت أن يدعو الله بقوله تعالى: " لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ

إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ " فنجاه الله تعالى من بطن الحوت. وسبب أن جاء جبريل عليه السلام بهذا الدعاء الذي ذكر آنفاً لحكمة يعلمها الله تعالى وأن يبقى عيسى عليه السلام حياً حيث ينزل في آخر الزمان ليقتل الدجال وذلك بحكمة الله تعالى وإرادته ومشيبته {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى ومن الأزل ولا يزال وإلى ما شاء الله وعلى الدوام {عَزِيزًا} عزيزاً في سلطانه وقوياً ومنيعاً في ملكه فلا أحد يراه ولا يد تصل إليه {حَكِيمًا} ذو حكمة في شرعه وفي حكمه وفي أمره ونواهيته وأفعاله وأقواله ولا يخطئ أبداً {وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} وانه كل واحد من أهل الكتاب من النصارى {إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِمْ قَبْلَ مَوْتِهِمْ} وهذا دليل على أن عيسى عليه السلام لا يزال حياً في السماء وينزل في آخر الزمان ويقتل المسيح الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويحكم بشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أربعين سنة ويضع الجزية أي لا يقبلها من أحد بدلاً عن الإسلام فكل واحد من أهل الكتاب عندها يؤمن بعيسى عليه السلام وذلك قبل موته عليه السلام في آخر الزمان {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} وفي يوم القيامة يكون عيسى عليه السلام شاهداً على من آمن به وبرسالته وعلى من كفر به أو عبده وجعله إلهاً أو ابن الله أو ثالث ثلاثة.

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦﴾ وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَكِن الرِّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾

{ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا } فبسبب ظلم وكفر وعصيان اليهود { حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ } جعلنا عليهم حراماً { طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ } طيبات من الطعام كانت حلالاً لهم وهي الشحوم للحم { وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } وبسبب منعهم للناس من اتباع الإيمان وعبادة الله تعالى وطاعته { كَثِيرًا } دائماً وفي أغلب الأوقات والأحيان { وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا } ولأن اليهود تتعامل بالربا وتأخذ فائدة على قروض الأموال التي يقدمونها للمحتاجين { وَقَدْ هُمُوا عَنهُ } وقد نهاهم رسلهم عن ذلك لأنه محرم عليهم { وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ } وأكلهم أموال الناس بالربا وبالغش والخداع والنصب { وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ } وحضّرنا وجهّزنا وأعدنا للكفار { مِنْهُمْ } من اليهود { عَذَابًا أَلِيمًا } عذاباً قاسياً وموجعاً ومؤلماً يوم القيامة في نار جهنم { لَكِن الرِّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ } ولكن علماء بني إسرائيل وأحبارهم { وَالْمُؤْمِنُونَ } وكذلك المؤمنون من اليهود ومن أمتك يا محمد يا رسول الله من المسلمين { يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ } يؤمنون ويصدقون بالقرآن الكريم الذي أنزل عليك يا محمد يا رسول الله من الله تعالى بواسطة الوحي جبريل عليه السلام { وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ } وبالكتب السماوية التي أنزلت على الرسل السابقين قبلك { وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ } والمصلون

{وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} ودافعوا الزكاة عن أموالهم {وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} والمصدقون بالله تعالى رباً وخالقاً وإلهاً ورازقاً ومحياً ومميتاً {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} ويؤمنون بيوم القيامة والبعث والحساب والجنة والنار {أُولَئِكَ} هؤلاء الذين ذُكروا في هذه الآية جميعهم {سُنُوتِهِمْ} سنعتيهم ونثيبهم يوم القيامة {أَجْرًا عَظِيمًا} أجراً كبيراً وهو دخول الجنة.

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۗ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١١٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۗ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١١٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١١٥﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْزَلْ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۗ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١١٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١١٩﴾ ﴾

{إِنَّا} الله تعالى والجمع هنا للتفخيم والتبجيل والتعظيم لجلاله سبحانه وتعالى ذو الجلال والإكرام {أَوْحَيْنَا} أوحى الله تعالى بالرسالة بواسطة جبريل عليه السلام {إِلَيْكَ} إليك يا محمد يا رسول الله {كَمَا} مثل {أَوْحَيْنَا} أرسلنا جبريل عليه السلام {إِلَى نُوحٍ} إلى نوح عليه السلام وهو أبو البشر الثاني بعد آدم عليه السلام حيث أغرق الأرض ومن عليها ولم يبق إلا هو وذريته {وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ} وإلى

الرسول والأنبياء الذين جاءوا من بعد نوح عليه السلام {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} وكذلك أرسل الله تعالى الوحي جبريل عليه السلام إلى إبراهيم الخليل عليه السلام {وَأِسْمَاعِيلَ} وإلى ولده الأكبر إسماعيل أبو العرب {وَأِسْحَقَ} وأوحى الله تعالى كذلك إلى ابن إبراهيم إسحاق عليه السلام من سارة {وَيَعْقُوبَ} وإلى يعقوب عليه السلام ابن إسحاق ابن إبراهيم وهو أبو بني إسرائيل {وَالْأَسْبَاطَ} وهم ذرية يعقوب عليهم السلام جميعاً وإن إخوة يوسف الأحد عشر مع أخيهم يوسف عليهم جميعاً الصلاة والسلام كلُّ كون له قبيلة وعشيرة وسُموا بالأسباط كما قال تعالى: " وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ " ١٦٠ الأعراف. {وَعِيسَىٰ} وأوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم عليهما السلام وهو كتاب الإنجيل إلى النصارى {وَأَيُّوبَ} أيوب عليه السلام {وَيُونُسَ} ويونس عليه السلام ابن متى ذا النون عليه السلام {وَهَارُونَ} وهارون أخو موسى عليهما السلام {وَسُلَيْمَانَ} وسليمان بن داود عليهما السلام {وَدَاوُدَ زَبُورًا} وأعطى الله تعالى داود عليه السلام كتاب الزبور {وَزُلْزَلًا} قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ} ورسلاً قد أخبرك الله تعالى بهم يا محمد يا رسول الله وقص عليك قصصهم كيوسف عليه السلام {مِن قَبْلُ} من قبل ذكر هؤلاء الرسل في هذه الآية كهود وصالح وزكريا وغيرهم {وَزُلْزَلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ} ورسلاً وأنبياء لم يقصهم ولم يخبر الله تعالى بهم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وذلك فيما رواه ابن مردويه رحمه الله في تفسيره حيث قال: حدثنا إبراهيم بن محمد حدثنا جعفر ابن محمد بن الحسن والحسين بن عبد الله بن يزيد قالا حدثنا إبراهيم بن هشام ابن

يحيى الغساني حدثني أبي عن جدي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: (مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً) قلت يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: (ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير) قلت يا رسول الله من كان أولهم؟ قال: (آدم) قلت يا رسول الله نبي مرسل؟ قال: (نعم خلقه الله بيده ثم نفخ فيه من روحه ثم سواه قبلاً) ثم قال: (يا أبا ذر أربعة سريانيون: آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم وأربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر، وأول نبي من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك). [ابن كثير ج ١ ص ٥٨٦]. {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} وكلم الله تعالى موسى عليه السلام قبلاً من وراء حجاب على جبل الطور بسيناء وهو المكان المخصص لمناجاة موسى ربه دائماً {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ} وجميع الرسل يبشرون المؤمنين بالجنة ونعيمها لمن يعبد الله تعالى وحده ويطيعه في أوامره ونواهيه {وَمُنذِرِينَ} وينذر الرسل ويحذر قومهم ويخوفونهم من عذاب الله تعالى في نار جهنم يوم القيامة {لِئَلَّا} حتى لا {يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ} حتى لا يكون للناس على الله تعالى حجة بأنه لم يبلغهم ولم ينذرهم ولم يرسل لهم رسلاً يبلغونهم ويحذرونهم من عذابه يوم القيامة {بَعْدَ الرُّسُلِ} وبعد إرسال الله تعالى الرسل لقومهم تكون قد انتهت حجة الناس على الله تعالى بعد تبليغهم رسالته {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى من الأزل ولا يزال وإلى ما شاء الله وعلى الدوام {عَزِيزًا} منيعاً وقوياً في ملكه وسلطانه وأمره ونهيه وحكمه {حَكِيمًا} ذو حكمة في أوامره ونواهيه فهو لا يخطئ أبداً {لِيَكُنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ} فالله تعالى يشهد لك يا محمد يا رسول الله على صدق رسالتك وعلى صدق القرآن الكريم

{أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} أنزله الله تعالى بعلمه واطلاعه وبأمره وإرادته ومشئته وحكمته
{وَالْمَلَكِ} وملائكة الله تشهد بما فيهم رسول الله جبريل عليه السلام
{يَشْهَدُونَ} يشهدون لك يا محمد يا رسول الله بالرسالة {وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}
ويكفيك يا محمد يا رسول الله شهادة الله تعالى على صدق رسالتك وعلى بعثتك
للناس كافة {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} إن الكفار وهم الذين جحدوا وأنكروا وكذبوا برسالة
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {وَوَصَدُّوا} ومنعوا الناس {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} عن
الإيمان واتباع دين الإسلام {قَدْ ضَلُّوا} قد ابتعدوا وشطوا عن الحق والهدى
والإيمان {ضَلَالًا بَعِيدًا} غرقوا في الكفر والمعصية بعداً كبيراً لا يرجى توبتهم ولا
هداهم {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} إن الكفار {وَوَظَلَمُوا} وظلموا أنفسهم بالشرك والكفر {لَمْ
يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ} لا يمكن أن يغفر الله تعالى لهم {وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا} ولا
ليهديهم ولا يدلهم على طريق الصواب والهدى لكفرهم {إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ} إلا
الطريق التي تؤدي إلى نار جهنم أي يستدرجهم في المعاصي والذنوب بسبب كفرهم
وعصيانهم وجحودهم وإنكارهم {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} دائمون في نار جهنم دائماً
وباستمرار وعلى الدوام {وَكَانَ ذَلِكَ} وكان ذلك دخول النار والعذاب فيها {عَلَى
اللَّهِ يَسِيرًا} على الله سهلاً ويسيراً وبسيطاً ولا صعوبة فيه.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وُلْدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا النَّاسُ} أيها الناس جميعاً {قَدْ جَاءَكُمُ} قد أتاكم {الرَّسُولُ} الرسول والنبى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ} بالحق والصدق والرسالة وبالقرآن الكريم من ربكم الله تعالى خالقكم ورازقكم ومحبيكم ومميتكم {فَآمَنُوا} فصدقوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً {خَيْرًا لَكُمْ} أفضل وأحسن لكم حتى تدخلوا الجنة يوم القيامة {وَإِنْ تَكْفُرُوا} وإن تكفروا وتجددوا وتنكروا وتكذبوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الكريم {فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ} فإن لله تعالى ملك وحكم كل ما في السموات من الملائكة والشمس والقمر والنجوم والكواكب والأفلاك {وَالْأَرْضِ} ولله تعالى ملك الأرض وحكم كل ما عليها {وَكَانَ اللَّهُ} وكان الله تعالى من الأزل ولا يزال إلى ما شاء الله وعلى الدوام {عَلِيمًا} عليماً بكم وبما تعملون وبما تفعلون {حَكِيمًا} ذو حكمة في أمره ونهيه وحكمه وأمره ومشينته وإرادته فهو لا يخطئ

أبداً {يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ} يا أصحاب الكتاب السماوي والمقصود هم النصارى {لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} لا تتشددوا ولا تتعصبوا في دينكم وعقيدتكم {وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} ولا تكذبوا على الله ولا تقولوا إلا الحق والصدق {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} إنما عيسى ابن مريم الذي يمسح بيده على المريض فيشفى وعلى الميت فيحيا بإذن الله تعالى {رَسُولُ اللَّهِ} هو نبي الله ورسوله {وَكَلِمَتُهُ} وهي قوله تعالى: " كُنْ فَيَكُونُ " {أَلْقِنَهَا إِلَى مَرْيَمَ} قالها وأمرها أن تكون لمريم وهي ولادة عيسى عليه السلام بدون أب {وَرُوحٌ مِّنْهُ} وروح عيسى عليه السلام ابن مريم من عند الله تعالى وبأمره كباقي الأرواح كآدم عليه السلام الذي خلقه من العدم بدون أب ولا أم ولكن عيسى عليه السلام خلقه الله تعالى بقدرته من أم فقط بدون أب {فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} فآمنوا وصدقوا بالله تعالى وقدرته وحكمته وبرسوله وهم عبادٌ أمثالكم والله يعلم حيث يضع رسالته {وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً} ولا تقولوا أنتم أيها النصارى أتباع عيسى عليه السلام بأن عيسى ثالث الآلهة أي الله إله ومريم إله وعيسى إله {أَنْتَهُمْ خَيْرًا لَّكُمْ} توقفوا عن هذا الهراء والاختلاق والكذب أفضل لكم حتى لا تعذبوا يوم القيامة في نار جهنم بكفركم وشرككم هذا {إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ} إنما الله تعالى واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد {سُبْحَانَ اللَّهِ} تعالى وتقدس وتمجد عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ} أن يحتاج إلى ولد أو يكون له ولد {لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} لم يكن له ولد لأن له ملك وحكم كل ما في السموات وكل ما في الأرض من مخلوقات ومن كل شيء فهو لا يحتاج إلى الولد {وَكَفَى بِاللَّهِ} ويكفي بالله تعالى

لخلقه {وَكَيْلًا} معتمداً ومتكلاً عليه في الرزق والحياة والموت لجميع خلقه {لَنْ يَسْتَنْكِفَ} لن يرفض ولن يمتنع {الْمَسِيحُ} عيسى ابن مريم عليهما السلام {أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ} أن تكون عبوديته وعبادته لله تعالى وحده لا شريك له فهو الذي خلقه بقدرته من أم بدون أب وهو الذي يرزقه ويحييه ويميته {وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} ولن يستنكف ويرفض كذلك الملائكة المقربون أن يكونوا عبيداً لله فهو الذي خلقهم من العدم {وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ} ومن يتكبر ويتعالى {عَنْ عِبَادَتِهِ} عن عبادة الله تعالى وحده {وَيَسْتَكْبِرْ} ويرفض تلك العبادة متكبراً على الله تعالى {فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} فسيجمعهم الله تعالى إليه في المحشر جميعاً الإنس والجن والملائكة وجميع الخلق ولا يمتنع منهم أحد.

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ^ط وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا تَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ

اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٢﴾

{فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا} فأما المؤمنون وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا من العبادات والطاعات وأعمال البر والخير أعمال صالحة وطيبة {فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ} ويعطيهم الله تعالى ثواب أعمالهم يوم القيامة ويدخلهم الجنة {وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ} ويزيدهم الحسنات بعشرة أمثالها ويزيدهم درجات في الجنة أكثر مما عملوا ومما يستحقوا من الثواب {وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا} وأما الذين رفضوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى وطاعته واتباع رسوله {فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} فيعاقبهم الله تعالى يوم القيامة

في نار جهنم عذاباً قاسياً وشديداً وموجعاً ومؤلماً {وَلَا تَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ} ولا يجد الكفار لهم غير الله {وَلِيًّا} ولياً يتولى أمرهم ويدافع عنهم {وَلَا نَصِيرًا} ولا أحد ينصرهم وينقذهم ويمنعهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة في نار جهنم.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا

الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ ۖ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ

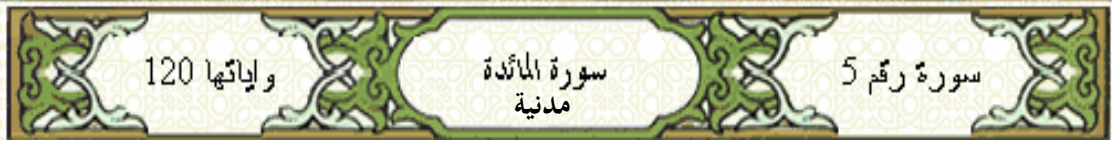
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا النَّاسُ} أيها الناس جميعاً {قَدْ جَاءَكُم} قد أتاكم {بُرْهَانٌ} بيان وإيضاح وحجة {مِّن رَّبِّكُمْ} من الله تعالى ربكم وخالقكم ورازقكم رب الأرباب ورب الكون كله ورب العالمين {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا} وأنزل الله تعالى إليكم أيها الناس جميعاً نور القرآن الكريم وعلمه من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في بيت العزة ثم نزل به جبريل عليه السلام إليكم حسب الأحداث والوقائع منجماً على الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مُّبِينًا} عظيماً وواضحاً وجلياً وهو نور العلم يخرجكم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والمعرفة {فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ} فأما المؤمنون وهم من آمن بالله تعالى رباً وخالقاً ورازقاً ومحيباً ومميتاً {وَاعْتَصَمُوا بِهِ} واحتتموا به وتوكلوا عليه {فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ} فسيدخلهم الله تعالى في رحمته وجنته يوم القيامة {وَفَضْلٍ} وكرم منه يدخلهم في رحمته وجنته يوم القيامة {وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ} ويهديهم إلى عبادته وطاعته {صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} طريقاً مستقيماً وهو طريق الحق والهدى والإسلام لا اعوجاج فيه ولا ضلال ولا فساد.

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنَّ امْرَأًا عَلِمَتْ لَيْسَ لَهَا وَرَثَةٌ وَأُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَرَثَةٌ ۚ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ ۚ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ ۚ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤٢﴾﴾

{يَسْتَفْتُونَكَ} يسألونك ويطلبون منك يا محمد يا رسول الله الفتوى والفتيا والحكم الشرعي {قُلِ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يُفْتِيكُمْ} يجيبكم على سؤالكم ويقول لكم الفتوى الصحيحة والحقة والشافية {فِي الْكَلَالَةِ} وهي من لا ولد له ولا والد وهي في الميراث بعد موت المتوفى وهي مأخوذة من الإكليل الذي يحيط بجوانب الرأس للعروسة أي ما يحيط بالميت من الورثة {إِنْ امْرَأًا} إن رجل {هَلَكَ} مات وتوفى {لَيْسَ لَهَا وَرَثَةٌ} ليس له ذرية من الأولاد {وَلَهُرَّ أُخْتٌ} وله أخت شقيقة واحدة فقط {فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ} فلأخت الشقيقة الواحدة من ميراثه نصف ميراث أخيها فرضاً {وَهُوَ يَرِثُهَا} إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَرَثَةٌ} فهو له ضعف ميراث أخته أي له كل ميراث أخته لأن للذكر مثل حظ الأنثيين إذا لم يوجد لها ولد {فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ} فإن كان للميت أختان وليس له ولد {فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ} فلأختين الثلثان من ميراثه بعد موته وأما الباقي سواء النصف بالنسبة للأخت الواحدة المتبقي أو الثلث بالنسبة للأختين فيوزع على باقي الورثة كالزوجة أو الأم وإن لم يوجد ورثة غيرهما يرد الباقي لهما {وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً} وإن كان الإخوة خليط من الذكور والإناث {فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ} أي للذكر ضعف الأنثى في الميراث {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ} يوضح

الله تعالى لكم كيف يوزع الميراث بعد وفاة المتوفى {أَنْ تَضِلُّوا} حتى لا تضلوا ولا تظلموا ولا تجوروا ولا تباعدوا عن الحق في الميراث {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِكُلِّ شَيْءٍ} بكل شيء وبكل أمر من الأمور وبكل حالة من الحالات {عَلِيمٌ} عليم بها ومحيط علمه ومطلع بها وعلى كل شيء ولا يغيب عن علمه شيء في السموات ولا في الأرض فسبحان الذي علم كل شيء بدون تعلم. وهذه السورة الشريفة سميت بسورة النساء لكثرة ما ذكر فيها الحكم عن النساء في الزواج والطلاق والمهور والميراث والله أعلم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ۚ أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحَلِّيِ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ تَحَكَّمُ مَا يُرِيدُ ۗ﴾ ﴿١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا تَجْرِمَنكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۚ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۗ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية شيبان عن ليث عن شهر ابن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزلت عليه المائدة كلها وكادت من ثقلها تدق عضد الناقة. [ابن كثير ج ٢ ص ٢].

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم وصدقتم بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {أَوْفُوا} أتموا ونفذوا ما جاء {بِالْعُقُودِ} بالعهود والمواثيق وكل ما تعاقدتم واتفقتم عليه من شروط سواء عقود البيع أو الشراء أو التجارة أو المعاهدات أي بكل شرط تعاقدتم واتفقتم عليه نفذوه إن كان في الخير والحلال وليس ما كان في حرام أو في معاداة المسلمين {أُحِلَّتْ لَكُمْ} أصبحت حلالاً ومباحة لكم أيها المسلمون {بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ} والبهيمة هي كل دابة غير ناطقة تدب وتمشي على الأرض ولا تعقل من الحيوانات والأنعام هي ما يطلق على

البهائم من الإبل والبقر والغنم والماعز والغزلان وهي من النعم التي أنعم الله تعالى وتفضل بها على الإنسان {إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ} ما عدا ما يحرم عليكم أيها المسلمون بالنص يُتلى ويُقرأ في القرآن مثل تحريم الدم والميتة والخمر ولحم الخنزير وخلافه من النص في القرآن الكريم {غَيْرِ مُحْلَىٰ الصَّيْدِ} لا يحل لكم الصيد {وَأَنْتُمْ حُرْمٌ} وأنتم محرمين أي لابسين ثياب الإحرام بالحج في الأشهر الحرم وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وكما جاء في صحيح البخاري عن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم: ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان).

[ابن كثير ج ٢ ص ٤]. والصيد المحرم وهو في الإحرام وفي الأشهر الحرم يحرم صيد الحيوانات البرية فقط وليست الأليفة وليس صيد البحر كما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ " ٩٥ المائدة. وقال تعالى: " وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا " ٩٦ المائدة. {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {تَحْكُمُ} يأمر {مَا يُرِيدُ} ما يشاء من التحريم أو الحلال فهو يأمر حتى يُطاع وهذا امتحان فيما يريد ويشاء لعباده فمن أطاع فله الجنة ومن عصى وخالف فله النار {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم وصدقتم بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تُحِلُّوا} لا تستحلوا ولا تجعلوا لكم حلالاً {شَعَتِ رَأْسُ اللَّهِ} شرائع الله تعالى وهي جمع شعيرة أي لا تستبيحوا أوامره وشرائعه وتحللوا حرامه {وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ} ولا تحللوا الصيد في الأشهر الحرم وذلك للمحرم بالحج ولا تحللوا فيه القتال إلا إذا بدؤوكم هم بالحرب

{وَلَا أَهْدَى} ولا تأخذوا لأنفسكم ما يهدى من النعم للمحرم ولا تُذبح في مكان آخر غير منى وهي مكان للذبح في الحج {وَلَا أَلْقَيْدَ} ولا تغتصبوا الحيوانات التي قلدت بإشارة بأنها مقدمة للهدى بالحرم ولا تسرقوها أو تأخذوها عنوة {وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ} ولا تمنعوا من توجه للبيت الحرام لأداء مناسك الحج والعمرة والطواف بالكعبة. وسمي البيت الحرام لأن الله تعالى حرم فيه القتال والصيد وقطع شجره إلا الإذخر {يَبْتَغُونَ} يطلبون {فَضْلًا} ثواباً {مِّن رَّبِّهِمْ} من خالقهم الله تعالى {وَرِضْوَانًا} أي يطلبون رضاء الله تعالى عليهم. وقد ذكر عكرمة والسدي وابن جرير أن هذه الآية نزلت في الحطم بن هند البكري كان قد أغار على سرح المدينة فلما كان من العام المقبل اعتمر إلى البيت فأراد بعض الصحابة أن يعترضوا عليه في طريقه إلى البيت فأنزل الله تعالى: " وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ". [ابن كثير ج ٢ ص ٥]. {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا} وإذا تحللتم من إحرامكم وأنهيتم حجكم وعمرتكم فيجوز وحلال لكم الصيد بعد ذلك أي أنه يجوز الصيد في الأشهر الحرم لجميع الناس ما عدا المحرم بالحج فقط وفي مكة فقط {وَلَا سَجْرٍ مِّنْكُمْ} ولا يجعلنكم تجرمون وتنتقمون {شَنَائِنُ} بغض وكرهية {قَوْمٍ} مجموعة من الناس من الأعداء {أَن صَدُّوكُم} أن منعوكم وحالوا بينكم {عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} عن الوصول إلى المسجد الحرام بمكة للحج والعمرة {أَن تَعْتَدُوا} أن تعتدوا على غير من اعتدى عليكم. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا سهل بن عفان حدثنا عبد الله بن جعفر عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة فقال

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم فأنزل الله هذه الآية. [ابن كثير ج ٢ ص ٦]. {وَتَعَاوَنُوا} أي يعاون ويعين ويساعد بعضكم بعضاً أيها المسلمون {عَلَى الْبِرِّ} على عمل الخير {وَأَلْتَقَوْى} وعبادة الله وطاعته من أداء الصلاة والصوم والحج والزكاة والخوف من الله تعالى من عمل المعاصي والذنوب والمحرمات {وَلَا تَعَاوَنُوا} ولا يعاون بعضكم بعضاً {عَلَى الْإِثْمِ} على الكفر والمعاصي والذنوب والمحرمات {وَأَلْعَدُونَ} والاعتداء على الغير بغير الحق ظلماً وعدواناً. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا هشيم حدثنا عبيد الله بن أبي بكر ابن أنس عن جده أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انصُرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً). قيل يا رسول الله هذا نصرتُه مظلوماً فكيف أنصره إذا كان ظالماً؟ قال: (تحجزه وتمنعه من الظلم فذاك نصره). [انفرد به البخاري من حديث هشيم به نحوه - ابن كثير ج ٢ ص ٦]. {وَاتَّقُوا اللَّهَ} خافوا الله تعالى واخشوه وأطيعوه باتباع أوامره واجتناب نواهيه وعبدوه حق عبادته {إِنَّ} للتوكيد {اللَّهُ} الله تعالى إله العالمين ورب الكون كله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {شَدِيدٌ} قوي وقاس {الْعِقَابِ} العذاب والانتقام والعقوبة على الذنب والمعصية.

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ وَالْمُنْخَنِقَةُ
وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ
وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ ۗ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ
لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ۖ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٢﴾ ﴾

{ حُرِّمَتْ } حرام عليكم ولا تحل وأصبحت حراماً { عَلَيْكُمْ } أيها المسلمون
{ الْمَيْتَةُ } التي ماتت بدون ذبح ولا ذكاة ما عدا السمك والجراد. وقد قال أبو عبد
الله محمد بن إدريس الشافعي حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن
ابن عمر مرفوعاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحل لنا ميتتان ودمان
فأما الميتتان فالسمك والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال). [ابن كثير ج ٢ ص ٧].
وأما الجنين في بطن الشاة أو الناقة فذكاته ذكاة أمه وقد ورد في ذلك حديث في
السنن رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق مجالد عن أبي الوداك جبير
ابن نوفل عن أبي سعيد قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة أو الشاة في
بطنها الجنين أنلقيه أم نأكله فقال: (كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه). [وقال
الترمذي حديث حسن - ابن كثير ج ٢ ص ٤]. { وَالْدَّمُ } أي الدم المسفوح قاله ابن
عباس وسعيد بن جبير قال ابن أبي حاتم: حدثنا كثير بن شهاب المذحجي حدثنا
محمد بن سعيد بن سابق حدثنا عمرو يعني ابن قيس عن سماك عن عكرمة عن
ابن عباس أنه سئل عن الطحال فقال كلوه فقالوا إنه دم فقال: إنما حُرِّمَ عليكم
الدم المسفوح. وكذا رواه حماد بن سلمة عن يحيى بن سعيد عن القاسم عن عائشة

قالت: إنما نهى عن الدم السافح. [ابن كثير ج ٢ ص ٧]. {وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ} أي محرم أكل لحم الخنزير ودمه وشحمه وكذلك بيعه. وفي صحيح مسلم عن بريدة ابن الخصيب الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لعب بالزندشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه). [ابن كثير ج ٢ ص ٧]. وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام) ف قيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنها تطلى بها السفن وتدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال: (لا هو حرام). [ابن كثير ج ٢ ص ٨]. {وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} أي ما قُدِّم للأصنام والأوثان أو ذُكر عليه اسم غير اسم الله تعالى كاسم صنم أو وثن أو صليب أو خلافه فهو حرام شرعاً أكله {وَالْمُنْخَنِقَةُ} وهي التي ماتت خنقاً سواء من نفسها بأن خنقها حبلها أو من غيرها {وَالْمَوْقُوذَةُ} التي تضرب بحجر أو خشبة أو بمطرقة حديد. وفي الصحيح أن عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله إني أرمي بالمعراض الصيد فأصيب قال: (إذا رميت بالمعراض فخرق فكله وإن أصاب بعرضه فإنما هو وقيذ فلا تأكله). [ابن كثير ج ٢ ص ٨]. {وَالْمُتَرَدِّيَةُ} التي سقطت في بئر أو من فوق رأس جبل أو من فوق حائط أو مكان شاهق {وَالنَّطِيحَةُ} التي نطحها حيوان آخر بقرونه وماتت من جراء النطح وقبل أن تذبح وتذكى {وَمَا أَكَلِ السَّبُعُ} وهي التي ماتت من جراء أكل السبع أو الحيوان المفترس لها وكذلك الطيور التي ماتت من أكل النسور أو الصقر أو الطيور الجارحة {إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ} ما عدا التي يلحقها قبل أن تموت ويذبحها ويذكر اسم الله عليها قبل موتها {وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ} وكذلك يحرم أكل كل ما ذبح عند نصب الأصنام والأزلام والأوثان {وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا} وأن

تقترعوا أي تعملوا قرعة في جميع أموركم في السفر أو خلافه وقد كانت العرب في الجاهلية يتعاطون ذلك وهي عبارة عن قداح ثلاثة على أحدها مكتوب أفعل وعلى الآخر لا تفعل والثالث غفل ليس عليه شيء فإذا خرج السهم افعل يذهب إلى أمره وإذا خرج السهم أو القدح لا تفعل لا يخرج إلى أمره وإن طلع الفارغ أعاد {بِالْأَزْلَمِ} وهي القداح التي يستقسمون بها عند الأصنام. قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا الحجاج بن محمد أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس: وأن تستقسموا بالأزلام قال والأزلام قداح كانوا يستقسمون بها في الأمور. [ابن كثير ج ٢ ص ١١]. {ذَلِكَمْ فِسْقٌ} أي خروج عن طاعة الله تعالى وهي معصية وإثم وذنوب لمن يفعل ذلك {الْيَوْمَ} أي يوم نزول هذه الآية وهو يوم الجمعة ويوم عرفة {يَيْسَ} قنط {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار وهم من أنكروا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مِنْ دِينِكُمْ} من إفساد دينكم ومن إضلالكم وإبعادكم عن دينكم {فَلَا تَخْشَوْهُمْ} فلا تخافوهم {وَأَخْشَوْنَ} وخافوني واتبعوا أمري وابعدونني ولا تعبدوا غيري وأطيعوني {الْيَوْمَ} وهو يوم الجمعة في عرفة يوم الحج الأكبر {أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} أكملت شرائع الإسلام وأحكامه وأوامره ونواهيه في يوم الجمعة يوم عرفة في الحج الأكبر. قال الإمام أحمد: حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن قيس بن مسلم عن طارق ابن شهاب قال جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين إنكم تقرؤون آية في كتابكم لو علينا يا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال وأي آية؟ قال قوله: " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي " فقال عمر والله إنني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم والساعة التي

نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عَرَفة في يوم الجمعة. [ورواه البخاري عن الحسن بن الصباح عن جعفر بن عون به ورواه أيضاً مسلم والترمذي والنسائي أيضاً من طرق عن قيس بن مسلم به - ابن كثير ج ٢ ص ١٣]. وقال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عليه أخبرنا رجاء بن أبي سلمة أخبرنا عبادة ابن نسي أخبرنا أميرنا إسحاق قال أبو جعفر بن جرير هو إسحاق ابن حرشة عن قبيصة يعني ابن أبي ذئب قال قال كعب: لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم فاتخذوه عيداً يجتمعون فيه فقال عمر أي آية يا كعب؟ فقال: " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ " فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت والمكان الذي أنزلت فيه نزلت في يوم الجمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد. [ابن كثير ج ٢ ص ١٣]. {وَأَتْمَمْتُ} وأكملت وأنهيت {عَلَيْكُمْ} أيها المسلمون {نِعْمَتِي} نعمة الله تعالى وهي نعمة الإيمان والإسلام {وَرَضِيْتُ} ورضي الله تعالى جلّ جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَكُمْ} أيها المسلمون جميعاً {الْإِسْلَامَ} دين الإسلام {دِينًا} ديناً ومنهجاً وعقيدة وسلوكاً وبهذه الآية تُسخت الأديان السابقة اليهودية والنصرانية كما قال تعالى: " وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ " ٨٥ آل عمران. {فَمَنْ أَضْطُرُّ} من اضطرت الظروف {فِي مَخْمَصَةٍ} في مجاعة وقحط كالمسافر إذا انقطعت به السبل أو في حالة الحرب أو في سفينة في عرض البحر أو في منجم أقفل عليه {غَيْرِ مُتَجَانِفٍ} غير متعمد لارتكاب الإثم والمعصية {لِلْإِثْمِ} لارتكاب ذنب ومعصية متعمداً وغير مضطر لذلك ولا لشهوة ولا للملذة لذلك {فَإِنَّ اللَّهَ} فإن الله تعالى جلّ جلاله وعظم وقدره وعلا شأنه {غَفُورٌ} يغفر ذنب ذلك

لحاجته الماسة للحياة ودون تعمد واضطر لذلك غصباً عنه {رَحِيمٌ} فالله تعالى يرحم عباده ولا يشق عليهم ورحمته وسعت كل شيء.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥﴾﴾

{يَسْأَلُونَكَ} يسألك يا محمد يا رسول الله المسلمون {مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ} ما هو الحلال لهم بعد آية التحريم {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {أُحِلَّ لَكُمْ} حلال لكم من الطعام والشراب {الطَّيِّبَاتُ} ما طاب من الطعام وخاصة الذبائح الحلال {وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ} وما قد علَّمتموه من كلاب الصيد والصقور {مُكَلِّبِينَ} ما يمسكونه بمخالبتهم {تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ} أي تعلمونهن الصيد كما علمكم الله تعالى بالعقل والتدريب والخبرة {فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ} فكلوا أيها المسلمون ما صاد لكم هؤلاء الجوارح من كلاب الصيد والصقور {وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ} فعندما ترسلوهن للصيد اذكروا اسم الله تعالى بقولكم بسم الله الله أكبر كما ثبت في الصحيحين عن عدي بن حاتم قال: قلت يا رسول الله إني أرسل الكلاب المعلمة وأذكر اسم الله فقال: (إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل ما أمسك عليك) قلت وإن قتلن؟ قال: (وإن قتلن ما لم يشركها كلب ليس منها فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره فأصيب) قلت له فإنني أرمي بالمعراض الصيد؟ فقال: (إذا رميت بالمعراض فخرق فكله ، وإن أصابه بعرض فإنه وقيد فلا تأكله) وفي لفظ لهما: (إذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله فإن أمسك عليك فأدرسته حياً فاذبحه وإن أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله فإن أخذ الكلب

نكاته) وفي رواية لهما: (فإن أكل فلا تأكل فإنني أخاف أن يكون أمسك على نفسه). [ابن كثير ج ٢ ص ١٦]. وفي الصحيحين أيضاً: (إذا أرسلت كلبك فاذا ذكر اسم الله وإذا رميت بسهمك فاذا ذكر اسم الله). [ابن كثير ج ٢ ص ١٦]. وفي صحيح البخاري عن عائشة أنهم قالوا يا رسول الله إن قوماً يأتوننا حديثاً عهداً بكفر بلحمان لا ندري أذكر اسم الله عليها أم لا؟ فقال: (سموا الله أنتم وكلوا). [ابن كثير ج ٢ ص ١٨]. قال ابن أبي حاتم: حدثنا يحيى بن عبد الله ابن أبي بكير حدثني عبد الله بن لهيعة حدثني عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير عن عدي ابن حاتم وزيد بن مهلهل الطائيين سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله: قد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت: "يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ" قال سعيد يعني الذبائح الحلال الطيبة لهم. [ابن كثير ج ٢ ص ١٥]. {وَاتَّقُوا اللَّهَ} وخافوا الله تعالى واخشوه وابدوه وأطيعوه {إِنَّ} للتوكيد {اللَّهُ} جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {سَرِيعُ الْحِسَابِ} سريع المحاسبة والانتقام على الذنب فلا يؤجله وخاصة للمسلم فيعاقبه عليه في الدنيا ليمحوه عنه وأما الكافر فيؤجله إلى يوم القيامة ليعذبه في نار جهنم.

﴿ اَلْيَوْمَ اُحِلَّ لَكُمْ اَلطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِيْنَ اُوتُوا اَلْكِتَابَ حَلٰلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٰلٌ هُمْ
 وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِيْنَ اُوتُوا اَلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ اِذَا
 ءَاتَيْتُمُوهُنَّ اُجُوْرَهُنَّ مُحْصِنِيْنَ غَيْرِ مُسْفِحِيْنَ وَلَا مُتَّخِذِيْ اُخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ
 بِالْاِيْمٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِيْ الْاٰخِرَةِ مِنَ الْاٰسِرِيْنَ ﴿٥﴾

{ اَلْيَوْمَ } منذ نزول هذه الآية الكريمة { اُحِلَّ } أصبح لكم حلالاً { لَّكُمْ } لكم أيها
 المسلمون { اَلطَّيِّبَاتُ } كل طعام طيب حلال وليس خبيث ولم ينزل به تحريم أي
 ما طاب أكله وفائدته وحلاله لكم { وَطَعَامُ الَّذِيْنَ اُوتُوا اَلْكِتَابَ } وطعام أهل
 الكتاب من اليهود والنصارى { حَلٰلٌ لَّكُمْ } فهو حلال لكم أكله وسببه أنهم سيكون
 بعضهم لكم صهراً من الزوجات حيث أحلت الكتابيات للزواج من المسلمين
 { وَطَعَامُكُمْ حَلٰلٌ هُمْ } وطعامكم أيها المسلمون فهو أيضاً حلال أكله لأهل الكتاب
 { وَالْمُحْصَنَاتُ } والعفيفات الحافظات فروجهن من الحرام { مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ } ممن
 آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر { وَالْمُحْصَنَاتُ } والعفيفات { مِنَ
 الَّذِيْنَ اُوتُوا اَلْكِتَابَ } من اليهود وهم أصحاب التوراة الكتاب الذي أنزل على
 موسى عليه السلام والنصارى وهم أهل كتاب الإنجيل الذي أنزل على رسول الله
 عيسى عليه السلام { مِنَ قَبْلِكُمْ } ممن سبقوكم بالدين اليهودية والنصرانية { اِذَا
 ءَاتَيْتُمُوهُنَّ } إذا أعطيتموهن { اُجُوْرَهُنَّ } مهورهن وصدقاتهن { مُحْصِنِيْنَ } حافظين
 فروجهن من الزنا أي عفيفات { غَيْرِ مُسْفِحِيْنَ } غير زانين { وَلَا مُتَّخِذِيْ
 اُخْدَانٍ } وغير متخذي عشاق لهن أو أصحاب { وَمَنْ يَكْفُرْ } ومن يجحد ومن ينكر
 ويكذب ويعصي الله تعالى ولا يصدق كلام الله تعالى { بِالْاِيْمٰنِ } يبذل نعمة الله

بالإيمان يبدلها بالكفر ولا يصدق ويكذب وينكر الإيمان بالله تعالى ورسله وأوامره ونواهيهِ {فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ} فقد خسر عمله وهلك وذهب أدراج الرياح {وَهُوَ} من يفعل ذلك {فِي الآخِرَةِ} في يوم القيامة {مِنَ الْخَاسِرِينَ} يخسرون أنفسهم في نار جهنم كما قال تعالى: " إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ " ٤٥ الشورى.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتُم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ} إذا نويتم أداء الصلاة وأردتم القيام بأدائها وذلك بعد الاستيقاظ من النوم أو بعد الحدث الأصغر وهو خروج البول أو الغائط أو خروج ریح من أحد السبيلين {فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ} ففرض الوضوء هو غسل جميع الوجه بالماء الطهور مرة واحدة لقوله صلى الله عليه وسلم: (الوضوء مرة مرة) أما الزيادة عن المرة الواحدة فهو سنة. [ابن كثير ج ٢ ص ٢٥]. وحد الوجه طولاً لمن لا لحية له من منابت شعر الرأس المعتاد إلى منتهى الذقن وإلى منتهى اللحية لمن له لحية وإن طالت. [الفقه على المذاهب الأربعة ص ٣٦]. أي حد الوجه عند الفقهاء ما بين منابت شعر الرأس ولا اعتبار بالصلع ولا بالغمم إلى منتهى اللحيين والذقن

طولاً ومن الأذن إلى الأذن عرضاً. [ابن كثير ج ٢ ص ٢٣]. وثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده في الإناء قبل أن يغسلها ثلاثاً فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٣]. وأن يبدأ الوضوء بذكر اسم الله لما ورد في الحديث من طرق جيدة عن جماعة من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٣]. {وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ} أي يغسل يديه من الرسغ إلى المرفق أي مع المرفق {وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ} أي أمسح الرأس مرة واحدة وعند الإمام أبو حنيفة يكفي مسح ربع الرأس فيجزئه {وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ} أي يغسل رجليه مع الكعبين مرة واحدة وهما العظامان البارزان في أسفل الساق فوق القدم وهذه الفرائض هي أربعة غسل الوجه وغسل اليدين مع المرفقين ومسح ربع الرأس وغسل الرجلين مع الكعبين وذلك عند الإمام أبي حنيفة وقد ثبت في الصحيحين من طريق مالك عن عمرو بن يحيى وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ؟ فقال عبد الله بن زيد نعم فدعا بوضوء فأفرغ على يديه فغسل يديه مرتين مرتين ثم مضمض واستنشق ثلاثاً وغسل وجهه ثلاثاً ثم غسل يديه مرتين إلى المرفقين ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه ثم غسل رجليه. [ابن كثير ج ٢ ص ٢٤]. وروى البخاري ومسلم من حديث نعيم المجرم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل). وفي صحيح مسلم عن قتادة عن خلف بن خليفة عن أبي مالك الأشجعي عن أبي حازم

عن أبي هريرة قال: سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول: (تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٤]. وقال ابن جرير حدثنا أبو سعيد البغدادي حدثنا إسحاق بن منصور عن هريم عن عبد الرحمن بن زياد هو الأفريقي عن غطيف عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من تَوَضَّأَ عَلَى طَهْرٍ كَتَبَ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٢]. وفي الصحيحين من رواية أبي عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال: تَخَلَّفَ عَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرَةٍ سَافَرْنَاهَا فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقْتُنَا الصَّلَاةُ صَلَاةُ الْعَصْرِ وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: (أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ) وكذلك هو في الصحيحين عن أبي هريرة وفي صحيح مسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٦]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا شداد ابن عبد الله الدمشقي قال قال أبو أمامة: حدثنا عمرو بن عبسة قال: قلت يا نبي الله أخبرني عن الوضوء قال: (ما منكم من أحد يقرب وضوءه ثم يتمضمض ويستنشق وينتثر إلا خرت خطاياه من فمه وخياشيمه مع الماء حين ينتثر، ثم يغسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أطراف أنامله، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين كما أمره الله إلا خرت خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء ثم يقوم فيحمد الله ويثني عليه بالذي هو له أهل ثم يركع ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٧]. وقال صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء

ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله) وفي رواية (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخلها من أي باب شاء) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من قال إذا توضأ سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك طبع بطابع ثم جعل تحت العرش حتى يؤتى بصاحبها يوم القيامة). [فقه مراقي الفلاح ص ٣٥]. والدعاء حال الوضوء بما ورد فيقول في ابتداء الوضوء: باسم الله العظيم والحمد لله على دين الإسلام ، ويتشهد ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقول عند المضمضة: اللهم أعني على تلاوة القرآن وذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وعند الاستنشاق: اللهم أرحني رائحة الجنة ولا ترحني رائحة النار ، وعند غسل الوجه: اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، وعند غسل ذراعه الأيمن: اللهم أعطني كتابي بيمينني وحاسبني حساباً يسيراً ، وعند غسل الأيسر: اللهم لا تعطني كتابي بيساري ولا من وراء ظهري ، وعند مسح الرأس: اللهم أظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظل عرشك ، وعند مسح الأذنين: اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وعند مسح العنق: اللهم أعتق رقبتني من النار ، وعند غسل رجله اليمنى: اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل الأقدام ، وعند غسل اليسرى: اللهم اجعل ذنبي مغفوراً وسعيي مشكوراً وتجارتي لن تبور. ومسح الرقبة بظهر يده لعدم استعمال الماء الموجود بها. أما مسح الحلقوم فإنه بدعة ، والقيام ، أي البداءة باليمين - وذلك على مذهب الإمام أبو حنيفة. [الفقه على المذاهب الأربعة ص ٤٨]. {وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا} والجنابة قسمان إما بالمعاشرة المباشرة أو عند النوم بالاحتلام إن أمنى وهو نائم فلا يجوز له الصلاة ولا قراءة القرآن قبل الغسل {فَأَطْهَرُوا} اغتسلوا بالماء

لجميع الجسم ويبدأ بالميا من والغسل كذلك للمرأة من الجماع أو دم الحيض أو النفاس بعد الولادة وبعد أن ينقطع عنها الدم بعد مدته وكذلك المرتد والكافر يغتسل بعد توبته إذا أسلم. والغسل لجميع البدن ومن سننه الوضوء أولاً أو بعد انتهاء الغسل ثم النية بقلبه للغسل من الجنابة ويقول بلسانه نويت الغسل من الجنابة أو نحو ذلك والبدء بغسل رأسه قبل بدنه ثلاثاً وتقديم شقه الأيمن على غسل شقه الأيسر وتثليث غسل كل منهما. [الفقه على المذاهب الأربعة - مذهب الحنفية ص ٦١]. {وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ} وإن كان أحد منكم مريضاً ولا يستطيع استعمال الماء {أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ} أو كان في سفر ولم يجد الماء للغسل {أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ} أو جاء أحد منكم أيها المسلمون بعد التبرز والتبول {أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ} أي باشرتكم الجماع لزوجاتكم وذلك عند الإمام أبي حنيفة وعند الشافعي لمس المرأة الأجنبية بما فيها الزوجة ما عدا الظفر والشعر فقد فسد وضوءه {فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً} ولم يوجد الماء في هذه الحالات كلها أو لا يستطيع المريض استعماله أو فقد الماء أو وجد ولا يكفي إلا للشرب فقط وخاصة في السفر أو في الانقطاع فعندها {فَتَيَمَّمُوا} فعندها التيمم هو بديل الوضوء عند عدم وجود الماء وصفته أن يضرب بيديه الاثنتين مع فتح الأصابع ضربتين على الأرض أو ما هو من جنس الأرض {صَعِيدًا} أي كل ما كان من جنس الأرض {طَيِّبًا} طاهراً وقال الحنفية الصعيد الطهور هو كل ما كان من جنس الأرض فيجوز التيمم على التراب والرمل والحصى والحجر ولو أملس والسبخ المنعقد من الأرض ما عدا الثلج لأنه ليس من أجزاء الأرض كما لا يجوز التيمم على الأشجار والزجاج والمعادن المنقولة أما المعادن التي في مقرها فإنه يجوز التيمم بالتراب الذي عليها لا بها نفسها ولا يجوز التيمم

باللؤلؤ ولا بالدقيق والرماد ولا الجص وهو الجير ولا بالنورة والزرنيخ والمغرة والكحل والكبريت ويجوز التيمم بالطوب المحترق ولا يجوز التيمم بالتراب ونحوه إذا خالطه شيء ليس من جنس الأرض وغلب عليه فإن لم يغلب عليه بأن تساويا أو غلب التراب صح التيمم وصفة التيمم {فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ} أن يضرب يديه على الصعيد ثم ينفضهما ثم يقبل بهما ويدبر ثم يمسح بهما وجهه ويعمه بحيث لا يبقى منه شيء {وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ} ثم يضرب يديه ثانياً على الصعيد ثم ينفضهما على الوجه السابق فيمسح بهما كفيه وذراعيه إلى المرفقين. [الفقه على المذاهب الأربعة ص ٨٢، ٨١]. وعند الإمام مالك والحنابلة قالوا إن الفرض مسح اليدين إلى الكوعين (الرسغين) وأما إلى المرفقين فهو سنة. [الفقه على المذاهب الأربعة ص ٨٠]. والإمام أبو حنيفة والشافعي قالوا الفرض مسح اليدين مع المرفقين. [فقه المذاهب الأربعة ص ٨٠]. {مَا يُرِيدُ اللَّهُ} لا يريد الله تعالى {لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} لا يريد الله تعالى أن يجعل عليكم من ضيق أو عسر إذا لم تجدوا الماء {وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ} ولكن الله تعالى يريد أن يطهر أجسامكم من الجنابة وهي الحدث الأكبر ومن الحدث الأصغر ويريد أن يطهر قلوبكم من الحرج والشك {وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ} وبذلك التيمم وهذا التخفيف يريد الله تعالى يريد أن يتم نعمة الإسلام والإيمان {عَلَيْكُمْ} عليكم أيها المسلمون {لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} عسى أن تشكروا الله تعالى على هذا اليسر والتسهيل عليكم.

﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

{وَأذْكُرُوا} تذكروا وافتكروا أيها الناس عامة والمسلمون خاصة {نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} فضل الله تعالى ونعمه عليكم كما قال تعالى: " وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا " ٣٤ إبراهيم. وأجلها وأعظمها بعد صحة الإنسان وعافيته هي نعمة الإيمان والإسلام والهدى وكذلك الرخص التي منحها الله تعالى ورخصها لعباده كرخصة التيمم عند عدم وجود الماء للمريض والمسافر وعند فقد الماء {وَمِيثَاقَهُ} وعهده {الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ} عهده الذي أخذه عليكم وأنتم في ظهور آبائكم من آدم عليه السلام كما قال تعالى: " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ " ١٧٢ الأعراف. وكما قال تعالى: " وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا " ٣٤ الإسراء. وكذا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل من يدخل في الإسلام يبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة وكما قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ " ١٠ الفتح. {إِذْ قُلْتُمْ} عندما بايعتم الرسول عليه الصلاة والسلام قلتم {سَمِعْنَا} سمعنا لك ولأوامرك ونواهيك {وَأَطَعْنَا} وعملنا طاعة لله ولرسوله {وَاتَّقُوا اللَّهَ} خافوا الله تعالى واخشوه وعبدوه وأطيعوه. وقد ثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير أنه قال نحلني أبي نحلاً فقالت أمي عمرة بنت رواحة لا أرضى حتى تشهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه ليشهده على صدقتي فقال: (أَكُلُّ لِدُكَ نَحَلْتُ مِثْلَهُ؟) قال لا قال: (اتقوا الله واعدلوا في أولادكم - وقال - إنني لا أشهد على

جور) قال فرجع أبي فرد تلك الصدقة. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٠]. {إِنْ} للتوكيد {اللَّهِ} تعالى عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلِيمٌ} يعلم ويعرف ويدري {بِذَاتِ الصُّدُورِ} بما تخفيه الصدور وما تكتمه من الأسرار من الخير والشر.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِعَٰيَتِنَا ءَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} يا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ} كونوا قائمين على حدود الله تعالى بالحق والعدل والصدق {شُهَدَاءَ} تشهدوا {بِالْقِسْطِ} بالعدل والحق والصدق. وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عدَّ شهادة الزور في أكبر الكبائر. متفق عليه وفي حديث لفظه أنه صلى الله عليه وسلم قال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً ، قالوا بلى ، قال: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ ، وعقوق الوالدين ، وجلس وكان متكئاً ثم قال: ألا وقول الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. [سبل السلام ج ٤ ص ١٢٩]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد ابن أبي بكر المقدمي حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن عز وجل بما أقسطوا في الدنيا). ورواه النسائي عن محمد بن المثني عن عبد الأعلى به وهذا إسناده جيد قوي رجاله على شرط الصحيح. وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان

ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا). ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به. [ابن كثير ج ٤ ص ٢١١]. {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ} ولا يجعلكم تجرمون وتنتقمون. والإجرام في حق الغير هو عدم الحكم بالعدل والحق والجور في الحكم {شَنَّانُ} بغض وكرهية وعداوة والحق على {قَوْمٍ} أمة من الأمم أو فئة من الناس أو قبيلة من القبائل أو مجموعة من الناس {عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا} على عدم العدل فيهم {أَعْدِلُوا} احكموا بينهم أو فيهم بالعدل والحق والصدق ولا تجوروا عليهم ولا تظلموهم بحقدكم عليهم {هُوَ} هذا {أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} من يتبع الحق والعدل يكون قريباً من التقوى في حكمه ويخاف الله تعالى {وَاتَّقُوا اللَّهَ} خافوا الله تعالى واعبدوه وأطيعوه في أوامره ونواهيه {إِن} للتوكيد {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه إله الآلهة ورب الأرباب وخالق الكون كله {خَبِيرٌ} عليم ويعلم {بِمَا تَعْمَلُونَ} بما تفعلون من خير أو شر {وَعَدَ اللَّهُ} أخذ الله تعالى على نفسه وعداً {الَّذِينَ ءَامَنُوا} المؤمنون الذين آمنوا وصدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحات من الطاعات وأعمال البر والخير في مرضاة الله تعالى {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} لهم من الله تعالى مغفرة لذنوبهم والتجاوز عن أخطائهم وذنوبهم {وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} وثواب عظيم وكبير وهو الجنة يوم القيامة {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} والكفار وهم الذين جحدوا وأنكروا وكذبوا ولم يصدقوا برسالة سيدنا محمد

صلى الله عليه وسلم {وَكَذَّبُوا} وكذبوا ولم يصدقوا {بِعَايَتِنَا} بمعجزاتنا وبآيات القرآن الكريم وآيات الكون ومعجزاته من شمس وقمر وليل ونهار وسما وأرض وأمطار وبحار ورياح وعواصف وزلازل وجميع المخلوقات وكلها آيات الله الكونية {أُولَئِكَ} هؤلاء {أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} هم أهل جهنم وجحيمها ونارها وعذابها يوم القيامة.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٦٦﴾﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم وصدقتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {أَذْكُرُوا} تذكروا وافتكروا ولا تنسوا {نِعْمَتَ اللَّهِ} فضل الله ونعم الله الكثيرة كما قال تعالى: " وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا " ٣٤ إبراهيم.

{عَلَيْكُمْ} عليكم أيها الناس عامة والمؤمنون خاصة {إِذْ هُمْ} إذ أراد {قَوْمٌ} فئة من الناس {أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ} أن يمدوا أيديهم إليكم بالشر والإيذاء وأن يبسطوا بكم سواء أهل مكة من الكفار أو اليهود أو خلافهم {فَكَفَّ} فمنع {أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ} منع أذاهم وشرهم عنكم والأيدي يكون فيها القتل والضرب بالسيوف أو الرماح أو السهام أو البنادق أو المدافع أو الصواريخ {وَاتَّقُوا اللَّهَ} وخافوا الله تعالى واخشوه وعبدوه وأطيعوه في أوامره ونواهيه {وَعَلَى اللَّهِ} وعلى الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فَلْيَتَوَكَّلِ} فليعتمد {الْمُؤْمِنُونَ} وهم من آمن وصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢٤﴾
فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ مُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٥﴾

{وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ} أخذ الله تعالى في كتبه السماوية وبالوحي إلى أنبيائه ورسله {مِيثَاقَ} عهد {بَنِي إِسْرَائِيلَ} على اليهود وهم أبناء يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليهم السلام جميعاً وفي لغتهم (إسرا) أي عبد و(إيل) هو الله ، وهو يعقوب عليه السلام اسمه إسرائيل أي عبد الله والعهد والميثاق هو عبادة الله تعالى وحده واتباع رسله وأوامره واجتناب نواهيه والمعاصي والذنوب {وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ} وأرسل الله من بني إسرائيل {اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا} اثني عشر عريفاً أو أميراً وهم أهل الأمر والنهي فيهم وتنفيذ الميثاق كما قال تعالى: " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ " ٨٣ البقرة. وهؤلاء النقباء الإثنا عشر هم على عدد الأسباط من بني إسرائيل كما قال تعالى: " وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ " ٦٠ البقرة. وكذلك لما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ليلة العقبة كان فيهم اثنا عشر نقيباً ثلاثة من الأوس وهم

أسيد بن حضير وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر ويقال بدله أبو الهيثم ابن التيهان رضي الله عنه وتسعة من الخزرج وهم أبو أمامة (أسعد بن زرارة) وسعيد ابن الربيع وعبد الله بن رواحة ورافع بن مالك بن العجلان والبراء بن معرور وعبادة بن الصامت وسعد بن عبادة وعبد الله بن عمر بن حرام والمنذر بن عمر ابن حنيش. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٢]. وثبت في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً). ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت عليّ فسألت أبي ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: (كلهم من قريش). [وهذا لفظ مسلم - ابن كثير ج ٢ ص ٣٢]. {وَقَالَ اللَّهُ} وقال الله تعالى في كتبه السماوية إلى بني إسرائيل {إِنِّي} إني أنا الله العزيز الحكيم {مَعَكُمْ} معكم يا بني إسرائيل بالنصر والتأييد وبرغد العيش {لَإِنِ أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ} وذلك إذا أديتم الصلاة المفروضة عليكم {وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ} وإذا أديتم زكاة أموالكم {وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي} وصدقتم برسلي المرسلين إليكم {وَعَزَّزْتُمُوهُمْ} وآزرتموهم ونصرتموهم وأطعتموهم {وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} بالصدقات للمحتاجين والفقراء وأقرضتموهم وصبرتم عليهم إلى ميسرة أو سامحتم من لم يستطع السداد منهم أو أنفقتم الصدقات في سبيل الله تعالى في الجهاد {لَأُكْفِرَنَّ} لَأَتَجَاوَزَنَّ وَلَا مَحُونَ {عَنْكُمْ} يا بني إسرائيل {سَيِّئَاتِكُمْ} ذنوبكم ومعاصيكم وآثامكم {وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ} ولأدخلنكم الجنان يوم القيامة وهي ثمانية وكلٌ يدخلها على قدر عمله {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري الأنهار من خلالها ومن تحت قصورها وأشجارها {فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ} فمن جحد وأنكر وكذب بعد أخذ الميثاق عليه على لسان

رسله { مِنْكُمْ } منكم يا بني إسرائيل { فَقَدْ ضَلَّ } فقد غوى وضل عن الطريق المستقيم وابتعد عن الهدى { سَوَاءَ السَّبِيلِ } الطريق المستقيم أي انحرف عن جادة الطريق وعن الحق وعن الهدى { فَبِمَا } بسبب ولأنهم { نَقَضِهِمْ } إلغائهم ونكثهم ومخالفتهم وعصيائهم { مِيثَاقَهُمْ } عهدهم { لَعَنَهُمُ } طردناهم من رحمة الله تعالى ووقع عليهم العذاب واللوم وسخط الله تعالى { وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ } وجعل الله تعالى قلوب الكفار من بني إسرائيل { قَسِيَةً } لا تلين إلى ذكر الله تعالى ولا إلى الحق ولا إلى الهدى وقاسية عن الإيمان بالله تعالى وعبادته وطاعته { تُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ } يغيرون نضه ومعناه { عَن مَّوَاضِعِهِ } عن نضه الأصلي وعن حكمه وشرعه وذلك لتوافق شهواتهم وهواهم وملذاتهم { وَنَسُوا } وتركوا { حَظًّا } نصيباً { مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ } مما وعظوا ونصحوا به وهو اتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبي هذه الأمة وخاتم الرسل والأنبياء حيث ذكر اسمه وكنيته وصفته في كتبهم { وَلَا تَزَالُ } ولا تزال باستمرار يا محمد يا رسول الله { تَطَّلُعُ } ترى وتعلم ويظهرك الله تعالى { عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ } على خيانتهم وغدرهم معك يا محمد يا رسول الله ومع المسلمين { إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ } إلا عدداً قليلاً من اليهود من أسلم منهم كالحبر عبد الله بن سلام وأبي بن كعب وغيرهم ممن أسلم { فَأَعْفُ عَنْهُمْ } سامحهم { وَأَصْفَحْ } وتجاوز عن مخالفتهم وخاصة بعد أن غدروا ونقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق يوم الأحزاب وانضم اليهود إلى قريش ونقضوا عهد رسول الله ولكن الله تعالى خذلهم وهزم كفار قريش بالريح والعواصف وعفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنقضهم عهدهم وميثاقهم معه وهذا هو العفو عند المقدرة

{إِنْ} للتوكيد {اللَّهِ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره علا شأنه {سُحِبْتُ}
 {الْمُحْسِنِينَ} يحب العافين عن الناس والمحسنين إليهم وكما قال تعالى: "ادْفَعْ
 بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ" ٣٤ فصلت.
 ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ
 فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا
 يَصْنَعُونَ﴾

{وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ} ومن النصارى من اعتنق دين النصارى وهم
 أتباع عيسى عليه السلام كما قال تعالى: " كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ
 أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ " ١٤ الصف. {أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ}
 أخذ الله تعالى على النصارى العهد والميثاق باتباع النبي الأمي الذين يجدونه
 مكتوباً عندهم في الإنجيل كما قال عيسى عليه السلام وكما قال تعالى: " وَمُبَشِّرًا
 بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ " ٦
 الصف. {فَنَسُوا} تناسوا وتركوا {حَظًّا} نصيباً {مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} مما وعظوا
 ونصحوا به وهو اتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {فَأَغْرَيْنَا} فآلقينا
 {بَيْنَهُمْ} بين النصارى وبعضهم البعض {الْعَدَاوَةَ} العداوة والكره والخصومة
 {وَالْبَغْضَاءَ} والكره والحقد {إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ} وحتى تقوم الساعة وهم طوائف
 عدة فمنهم من يقول عيسى هو الله ومنهم من يقول ثالث ثلاثة ومنهم من يقول
 عيسى ابن الله {وَسَوْفَ} وسيكون يوم القيامة {يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ} يخبرهم الله تعالى
 {بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} بما كانوا يعملون ويكذبون برسالة سيدنا محمد صلى
 الله عليه وسلم وبما يشركون بأن عيسى ابن الله أو ثالث ثلاثة أو هو الله.

﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥٧﴾﴾

{يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ} يخاطب الله تعالى أهل الكتاب وهم اليهود وكتابه التوراة والنصارى وكتابه الإنجيل {قَدْ جَاءَكُمْ} أرسل إليكم وجاءكم الآن فهو بينكم مبلغاً وبين أظهركم {رَسُولُنَا} وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أرسلناه لكم أيها اليهود والنصارى {يُبَيِّنُ لَكُمْ} يوضح لكم ويرشدكم {كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ} أشياء كثيرة مما أخفيتم وداريتم وكنتمتم {مِنَ الْكِتَابِ} من كتاب الله السماوي وهو التوراة والإنجيل ومنها صفة رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل وكذلك أخفوا في التوراة الرجم للزاني الثيب المحصن وأشياء أخرى كثيرة {وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} ويتجاوز عن أشياء كثيرة أخرى لا يذكرها مما أخفوه ومما حرفوه وبدلوه وغيروه في كتابهم {قَدْ جَاءَكُمْ} قد أتاكم {مِنَ اللَّهِ} من الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {نُورٌ} نور الهدى والإيمان وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نور يضيء لكم الطريق ويوضح لكم الأحكام والشرائع والهدى ليخرجكم من ظلمات الجهل والكفر إلى نور الإيمان والهدى والعدل والحق أو نور القرآن وأحكامه وشرائعه وهداه وأوامره ونواهيته {وَكِتَابٌ مُبِينٌ} وكتاب عظيم واضح وبين وهو القرآن الكريم {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ} يهدي الله تعالى بالقرآن الكريم ويرشد إلى الطريق المستقيم وطريق الحق والعدل

والصواب والهدى والإسلام {مَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَهُ} من أطاع الله تعالى وعبده واتبع أوامره واجتنب نواهيه طلباً لمرضاته {سُبُلَ السَّلَامِ} طرق النجاة والأمان والسلامة وهي طرق الجنة وهي الأعمال الصالحة وأعمال الخير {وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ} ويخرج أهل الكتاب من ظلمات الكفر والمعاصي والذنوب {إِلَى النُّورِ} إلى نور الإسلام ونور الهدى والعلم والإيمان {بِإِذْنِهِ} بإرادته تعالى ومشيئته وبأمره لمن أراد الهدى والصلاح كما قال تعالى: " إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا " ٣ الإنسان. {وَيَهْدِيهِمْ} ويدلهم ويرشدهم وهم أهل الكتاب {إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} إلى طريق مستقيم لا اعوجاج فيه وهو طريق الهدى والإسلام وطريق الجنة.

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿٧﴾

{لَقَدْ كَفَرَ} لقد أشرك وأصبح كافراً {الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} الذين ادعوا وقالوا إن عيسى ابن مريم عليهما السلام هو الله وسُمي المسيح لأنه يمسح بيده الشريفة على المريض وعلى الأكمه (الأعمى) والأبرص فيُشفوا بإذن الله تعالى وعليه من قال عيسى ابن مريم هو الله فهو كافر بنص القرآن وهذا حكم على من يدعي من النصارى بذلك وهم يقولون بأن عيسى هو الله وهو الرب اليسوع وعجباً فإذا كان عيسى هو الله فمن خلق مريم أمه قبل ولادته وأين الله الذي خلق السموات والأرض قبل أن يولد عيسى عليه السلام ومن هو الذي خلق عيسى عليه السلام من العدم وبدون أب من مريم فحجتهم داحضة فهل الإله أي الله تعالى

يأكل وينام ويبول ويموت مثل عيسى تعالى الله عن ذلك {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} فمن يستطيع أن يتدخل في قدرة الله تعالى ويفعل شيئاً {إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ} إن شاء الله تعالى وأراد أن يهلك ويميت {الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} وهو عيسى عليه السلام {وَأُمَّهُ} مريم عليهما السلام. وفعلاً قد أماتها الله تعالى فلماذا إذا كان عيسى هو الله لماذا سمح لها أن تموت ولم يمنع عنها الموت والهلاك والفناء فسبحان الله عما يشركون وكيف يُصلب كما يدعي النصارى بأنه صلب ومات فكيف يكون هو الله أو ابن الله {وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} وكل من في الأرض وكل من على الأرض يموت فمن يستطيع أن يمنع عنهم الموت غير الله تعالى {وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ} ولله تعالى ملك وحكم كل ما في السموات من الملائكة {وَالْأَرْضِ} وله ملك وحكم كل ما على الأرض وما فيها من جن وإنس وحيوانات وطيور {وَمَا بَيْنَهُمَا} وكل ما بين السماء والأرض سواء في الطائرات أو الأقمار الصناعية أو غيرها أو سكان الكواكب {تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} الله تعالى يخلق في كونه من الخلق والكائنات بكلمة كن فيكون ما يشاء وما يريد بما فيها عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام ووالدها عمران وأمها حنا والنصارى جميعاً والله تعالى هو الخالق {وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فهو على كل شيء قادر فهو خلق السموات والأرض وما فيهما وهناك من الزنادقة من سألني هل الله قادر؟ قلت له نعم قادر فقال هل يستطيع الله أن ينفيك من ملكه؟ فقلت له نعم ينفيني من ملكه كما نفى أب أو أم آدم عليه السلام حيث خلقه من عدم من الطين وكذلك ينفيني كما نفى أب ووالد عيسى ابن مريم عليهما السلام حيث خلقه بدون أب بقدرته.

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ رَبِّ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ} وهم بنو إسرائيل وهم أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام جميعاً واسمه عبد الله وفي لغتهم إسرائيل وفي لغتهم [إسرا] عبد و[إيل] الله أي عبد الله {وَالنَّصْرَىٰ} وهم أصلهم يهود ولكنهم ناصروا عيسى عليه السلام كما قال تعالى: " كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ " ١٤ الصف. {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ} أما اليهود فيقولون العزيز ابن الله وهم أبناؤه فهم بذلك أبناء الله لأن الله تعالى أماته هو وحمارة مائة عام ثم بعثه ولذلك اعتبره اليهود أنه ابن الله وكذلك تقول النصارى وهي طائفة منهم بأن عيسى ابن مريم هو ابن الله وبذلك هم أبناء الله {وَأَحِبُّهُ رَبِّ} أي أحبابه ما دام هم أبناء الله فهم أحباب إلى الله تعالى هذا ادعاؤهم {قُلْ} أجيبهم يا محمد يا رسول الله وقل لهم {فَلِمَ} فلماذا {يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ} يعاقبكم بمعاصيكم وبسبب ذنوبكم وآثامكم في الدنيا بالمرض والهزيمة والأسر في الحرب والقتل وأسر الذراري والنساء وفرض الجزية عليكم {بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ} بل انتم بشر من أولاد آدم وحواء عليهما السلام وأصلكم من طين من جملة ما خلق الله تعالى من ذرية آدم عليه السلام {يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ} يغفر ويتجاوز عن الذنوب لمن يريد من خلقه بعد توبته {وَيُعَذِّبُ} ويعاقب {مَن يَشَاءُ} من يريد من خلقه لكفرهم وعصيانهم {وَلِلَّهِ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مُلْكُ} حكم

وامتلاك {السَّمَوَاتِ} السموات السبع وما فيها {وَالْأَرْضِ} والأرضين السبع وما فيهن {وَمَا بَيْنَهُمَا} وما يوجد بين السماء والأرض من شمس وقمر ونجوم وكواكب ومخلوقات {وَالِيهِ الْمَصِيرُ} وإليه المرجع ويعود أمر الخلق والكون في الدنيا بالخلقة والرزق والحياة والموت وفي الآخرة للحساب.

﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِّنَ الرَّسْلِ أَنْ تَقُولُوا مَا

جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾

{يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ} يا أهل الكتاب من اليهود أهل التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام والنصارى أهل كتاب الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام {قَدْ جَاءَكُمْ} قد أتى إليكم وأرسل إليكم وهو الآن بين أظهركم {رَسُولُنَا} رسولنا ونبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {يُبَيِّنُ لَكُمْ} يوضح لكم الحلال من الحرام والأوامر والنواهي ويرشدكم للهدى {عَلَىٰ فِتْرَةٍ} على مسافة ومدة طويلة من الزمن {مِّنَ الرَّسْلِ} من وقت انتهاء مدة وزمن الرسل السابقين وآخرهم عيسى عليه السلام. وقيل المدة من رفع عيسى عليه السلام إلى السماء حياً حتى مبعث نبينا ورسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حوالي ستمائة سنة ورواه البخاري عن سلمان الفارسي وقتادة خمسمائة وستون سنة. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٥]. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن أولى الناس بابن مريم لأننا ليس بيني وبينه نبي). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٥]. {أَنْ تَقُولُوا} أن تقولوا وتدعوا {مَا جَاءَنَا} ما أتانا {مِّنْ بَشِيرٍ} من رسول يبشرنا بالجنة لمن يعمل صالحاً {وَلَا نَذِيرٍ} ولا رسول يحذرنا من عذاب الله تعالى وعذاب جهنم لمن أشرك

وكفر ولن عصي {فَقَدَّ جَاءَكُمْ} فقد أرسلنا وبعثنا إليكم الآن وهو بين أظهركم {بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ} من يبشركم بالجنة لمن عبد الله تعالى وأطاعه وينذركم ويحذركم من عذابه وعقابه في نار جهنم يوم القيامة وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الله ورسوله {وَاللَّهُ} والله تعالى جلّ جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ} على عمل كل شيء من كونه وفي كونه {قَدِيرٌ} قادر ومقتدر وهي صيغة المبالغة في القدرة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ ادُّكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَنْقُومِ ادُّخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن تَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادُّخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾

{وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ} إذ خاطب موسى بن عمران نبي الله ورسوله قائلاً {لِقَوْمِهِ} لقومه وهم بنو إسرائيل وهم اليهود {يَنْقُومِ} يا قومي ويا عشيرتي {ادُّكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ} تذكروا وافنكروا يا بني إسرائيل نعمة الله وفضله {عَلَيْكُمْ} يا بني إسرائيل أيها اليهود {إِذْ جَعَلَ} حيث جعل الله تعالى {فِيكُمْ} فيكم يا بني إسرائيل {أَنْبِيَاءَ} أنبياء ورسول لله تعالى {وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} وجعل منكم ملوكاً وجعلكم

تملكون الأرض بالنبوة والرسالة ويقصد يوسف عليه السلام عندما ملك مصر بعد موت العزيز {وَأَتَّكُم} وأعطاكم {مَا لَمْ يُؤْتِ} ما لم يعط {أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ} لم يعط أحداً من جميع الأمم النبوة والرسالة متتابعة ومنتالية فكان إبراهيم عليه السلام رسولاً ثم كان ابنه إسحاق رسولاً ثم كان ابن إسحاق يعقوب رسولاً ثم كان ابن يعقوب يوسف عليه السلام رسولاً {يَقَوْمٍ} يا قومي ويا عشيرتي من بني إسرائيل {أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ} ادخلوا فلسطين وهي الأرض المقدسة وهي أرض القدس {الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} التي وعد الله تعالى أن تكون لكم {وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ} ولا تعودوا ولا ترجعوا عن دخول فلسطين الأرض المقدسة {فَتَنْقَلِبُوا} فترجعوا {خَاسِرِينَ} نادمين وتخسروا فلسطين ودخولها {قَالُوا} يَمْوَسَىٰ} قالت اليهود وهم بنو إسرائيل لموسى بن عمران نبي الله ورسوله عليه السلام {إِنَّ} للتوكيد {فِيهَا} في فلسطين الأرض المقدسة {قَوْمًا} أمة وهم الفلسطينيون {جَبَّارِينَ} أقوياء وأشداء ولا يهابون الموت وهم شجعان {وَأِنَّا} وإنا نحن اليهود {لَنَنْدَخُلُهَا} لن نذهب إليها وندخلها {حَتَّىٰ تَخْرُجُوا مِنْهَا} إلا إذا خرج الفلسطينيون من وطنهم {فَإِن تَخْرُجُوا مِنْهَا} فإذا خرج أهل فلسطين منها {فَإِنَّا دَاخِلُونَ} فعندها سندخل أرض فلسطين {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ} فقال لهم رجلان من بني إسرائيل ممن يخافون الله تعالى وعذابه ولا يعصون رسولهم موسى عليه السلام وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا. قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدي والربيع بن أنس. [ابن كثير ج ٢ ص ٣٨].

{أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا} تفضل الله تعالى عليهما بالعلم والإيمان واليقين والعقل السليم

والحكمة والهدى {أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ} ادخلوا أبواب حصنهم في غفلة منهم {فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ} فإذا تمكنتم من الدخول عليهم أبواب حصونهم {فَإِنَّكُمْ} فإنكم يا بني إسرائيل مع موسى عليه السلام نبيكم ورسولكم {غَلِبُونَ} ستنتصرون عليهم وكما جاء في الحديث: (الحرب خدعة) {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا} وعلى الله تعالى فاعتمدوا وثقوا بالله تعالى بالنصر والتأييد {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} إن كنتم مؤمنين حقاً ومصديقين برسالة موسى عليه السلام {قَالُوا} قال بنو إسرائيل {يَمُوسَى} يا موسى بن عمران ولم يقولوا يا رسول الله وهذا دليل على عدم تصديقهم برسولهم موسى عليه السلام ولم يبجلوه ولم يوقروه ولم يعظموه {إِنَّا} إنا نحن اليهود {لَن} وهي للتأكيد والجزم {نَدْخُلُهَا أَبَدًا} لن ندخل فلسطين قطعياً {مَا دَامُوا فِيهَا} ما زال فيها أهل فلسطين وشعبها {فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا} وهذا منتهى المخالفة والعصيان وعدم تصديق نبيهم ورسولهم موسى عليه السلام بقولهم اذهب يا موسى وحارب أنت وربك وحدكما الفلسطينيين {إِنَّا} أي نحن اليهود {هَهُنَا} في هذا المكان في سيناء مصر {قَنَعِدُونَ} جالسون ولن نحارب أبداً. قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثني سفيان عن مخارق بن عبد الله الأحمسي عن طارق هو ابن شهاب أن المقداد بن الأسود قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. [هكذا رواه أحمد من هذا الوجه - ابن كثير ج ٢ ص ٣٩].

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾
 قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ
 الْفَاسِقِينَ ﴿٦٧﴾

{ قَالَ } قال موسى عليه السلام نبي الله ورسوله بعد أن خذله قومه من بني إسرائيل وعصوه وقالوا له: " فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ " عندها قال موسى عليه السلام { رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي } ربي وإلهي وخالقي يا الله لا أحكم إلا على نفسي وأخي هارون فقط وباقي بني إسرائيل عصوني وخالفوا أمري { فَاْفْرُقْ } ففرق وباعد { بَيْنَنَا } أنا وأخي هارون { وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } وبين القوم العاصين من بني إسرائيل حيث أنهم لم يصدقوني وعصوني { قَالَ } قال الله تعالى { فَإِنَّهَا } فإن الأرض المقدسة هي فلسطين ودخولها { مُحَرَّمَةٌ } محرم وممنوع عليهم دخولها { عَلَيْهِمْ } وهم بنو إسرائيل { أَرْبَعِينَ سَنَةً } أربعون عاماً { يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ } يتيهون ويضلون في سيناء أرض مصر عقاباً لهم لمخالفة أمر موسى عليه السلام نبيهم ورسولهم { فَلَا تَأْسَ } فلا تحزن { عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } على قوم بني إسرائيل العاصين والخارجين عن طاعة الله تعالى وعن طاعة رسوله.

﴿ وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ
 مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۗ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ
 لِتُقْتَلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ ۗ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنَّي
 أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۗ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾
 فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ۗ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا
 يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۗ قَالَ يَوَيْلَئِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ
 مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي ۗ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

{وَأَتَلُ} واقرأ يا محمد يا رسول الله {عَلَيْهِمْ} على الناس وعلى أهل الكتاب
 {نَبَأُ} خبر وقصة {ابْنِي آدَمَ} ولدي آدم وهما قابيل وهابيل {بِالْحَقِّ} بالصدق.
 وهي قصة حقيقية وقد حصلت وهي أن شريعة آدم عليه السلام في الزواج ولقطة
 الذرية كانت أن يتزوج الذكر الأنثى أخته من البطن الآخر والأخت تتزوج أخيها
 من البطن الآخر وذلك لعدم وجود إناث غيرهم وكان يولد لآدم عليه السلام زوج
 ذكر وأنثى من كل بطن فولد مع قابيل له أخت جميلة وهما توأم وولد هابيل في
 بطن آخر مع أخت له أقل جمالاً من أخت قابيل من التوأم فأراد هابيل أن يتزوج
 أخت قابيل كما هو في شريعة أبيهم آدم عليه السلام ولكن هابيل لم يقبل أن يزوج
 أخته إلى قابيل لأنها أجمل من أخت قابيل وأرادها لنفسه ولم يكثرث بشريعة
 والده آدم فلما اختلفوا أرادوا أن يتحاكموا إلى الله تعالى بالقرعة وهي عبارة عن
 تقريب كل واحد منهم قرباناً لله تعالى فمن تأكله النار هو الذي يتزوج أخت قابيل
 من التوأم فقدم كل واحد قرباناً {إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا} وعندما تقدما بالقربان قدم هابيل
 كبشاً أملحاً من أجود ما يملك وقدم قابيل قمحاً {فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا} فنزلت نار

من السماء فأخذت كبش هابيل وهي علامة على تقبل قربانه وكانت هذه عادة في زمانهم حيث لا يوجد فقراء ليتصدق عليهم بالكبش ولكن أخذته النار التي نزلت من السماء وقيل هذا الكبش الذي قدمه هابيل بن آدم هو الذي أنزله الله تعالى فداءً لإسماعيل عندما أراد والده إبراهيم عليه السلام ذبحه تصديقاً للرؤيا التي رآها في المنام ففداه الله بكبش عظيم وهو هذا الكبش الذي قدمه هابيل {وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنْ الْآخَرِ} ولم يتقبل قربان قابيل لأنه ليس على الحق {قَالَ} قال قابيل لأخيه هابيل {لَأَقْتُلَنَّكَ} عندها لما تقبل قربان هابيل غضب قابيل وهدد أخاه هابيل بالقتل {قَالَ} رد هابيل قائلاً لأخيه قابيل {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ} ليس هذا شأني لأن الله تعالى يتقبل فقط القربان {مِنَ الْمُتَّقِينَ} من الطائعين والمتقين حدود الله تعالى ومحارمه ويبتعدون عن معصيته ويخافون عذابه أي يتقبل الله تعالى قربان من هو على الحق وليس على الباطل {لَئِن بَسَطْتَ} لئن دفعت ومددت {إِلَيَّ} عليّ {يَدَكَ لَتَقْتُلَنِي} يدك لتميتني بالقتل {مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ} لا يمكن أن أمد يدي أو أرفعها لقتلك يا قابيل {إِنِّي أَخَافُ} إني أخشى {اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ} أخاف الله تعالى إله ورب وخالق العالمين جميعهم والكون كله {إِنِّي أُرِيدُ} إني أرغب {أَنْ تَبُوءَ} أن تتحمل {بِإِثْمِي} بذنبي عندما تقتلني {وَأُثْمُكَ} وذنبك لأنك القاتل {فَتَكُونُ} فتصبح {مِنَ أَصْحَابِ} من أهل {النَّارِ} نار جهنم يوم القيامة {وَذَلِكَ جَزَاءُ} وذلك عقاب {الظَّالِمِينَ} الباغين {فَطَوَّعَتْ} فزينت وأغرته وسمحت {لَهُ} لقابيل {نَفْسَهُ} شهوته ورغبته {قَتَلَ أَخِيهِ} موت أخيه {فَقَتَلَهُ} فنفذ القتل فيه {فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} فخرس قابيل دنياه وآخرته

وأخاه وأباه آدم بقتل أخيه. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية ووكيع قالا حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تُقْتَلُ نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها لأنه كان أول من سن القتل). [وقد أخرجه الجماعة سوى أبي داود من طرق عن الأعمش به - ابن كثير ج ٢ ص ٥٤]. {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ} فلما قتل قابيل أخاه هابيل لم يدر كيف يفعل في جثته بعد موته فأرسل الله تعالى له غرابين أحدهما حي والآخر ميت فبحث الغراب الحي في الأرض ثم دفن أخاه وقد بعثهما الله تعالى ليعلم قابيل كيف يكون الدفن للميت وهو أول ميت على الأرض من بني آدم. وسوءة أخيه أي جسده وعورته ورائحته إذا تعفن {قَالَ} قال قابيل {يَتَوَيْلَتِي} يا مصيبتاه وهي كلمة تقال عند المصيبة وعند العجز عن التصرف {أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ} هل فشلت أن أكون وأتصرف في دفن أخي مثل هذا الطائر البسيط وهو الغراب {فَأُورِيَ سَوَاءَ أَخِي} فأخفي وأدفن جثة وعورة أخي هابيل {فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} فأصبح قابيل نادماً على فعلته بعد فوات الأوان وبعد أن سبق السيف العذل وبعد أن قتل أخاه هابيل وخسر الدنيا والآخرة بقتل أخيه.

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۗ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ ۚ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ ۖ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿١٦﴾ ۝﴾

{ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ } بسبب قتل قابيل ابن آدم عليه السلام أخيه هابيل حتى يتزوج أخته { كَتَبْنَا } حكمنا وفرضنا وشرعنا { عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ } على اليهود وهم ذرية يعقوب عليه السلام وهو اسمه إسرائيل في لغتهم أي عبد الله { أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا } أنه من قتل شخصاً { بِغَيْرِ نَفْسٍ } بغير حد من الحدود. عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة). [متفق عليه - سبل السلام ج ٣ ص ٢٣١ - ابن كثير ج ٢ ص ١٨٩]. { أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ } أي اعتداءً وفساداً وظلماً وعدواناً

{فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} فهو كمن قتل الناس جميعاً لأن له ذرية إلى يوم القيامة {وَمَنْ أَحْيَاهَا} ومن تركها تحيا وتعيش بسلام ولم يقتلها {فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} فهو إحياء له وذريته ونسله إلى يوم القيامة وهذا هو إحياء الناس جميعاً منه ومن ذريته ونسله إلى يوم القيامة. وفي الصحيح: (ما قُتِلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل لآنه أول من سن القتل). [ابن كثير ج ٣ ص ٤٠٦].

{وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا} ولقد أتتهم رسل الله تعالى {بِالْبَيِّنَاتِ} بالحجج والدلائل والبيان والوضوح والهدى {ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ} وبعد ذلك أكثرهم {بَعَدَ ذَلِكَ} بعد إرسال الرسل والدلائل والهدى وتبيان شرع الله تعالى لهم بواسطة رسلهم {فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} فأكثرهم في الأرض لذنوبهم ومعتدون وظالمون وعاصون {إِنَّمَا جَزَاءُ} إنما عقاب {الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ} الذين يحاربون ويقاتلون الله تعالى بالمعاصي والذنوب وقتل الأنفس {وَرُسُولَهُ} ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقاتلونه ويحاربونه لمنع رسالته {وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا} وينتشرون في الأرض ظلماً واعتداءً وفساداً وخراباً وقتلاً بغير حق {أَنْ يُقْتَلُوا} أن يكون عقابهم وهم الباغون والظالمون والمعتدون والمغتصبون والقتلة بغير حق عقابهم أن يُقتلوا أي النفس بالنفس {أَوْ يُصَلَّبُوا} أو يصلبوا على جذوع النخل أو جذوع الأشجار أو على خشبات تعد لذلك عند صلبهم {أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ} أي تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى معاً أو الرجل اليمنى واليد اليسرى تقطعان معاً {أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ} أو يطردوا خارج البلاد. وفي عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانوا يُسجنوا بدلاً من الطرد إلى خارج البلاد {ذَلِكَ} ذلك القتل

أو الصلب أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف أو النفي من الأرض {لَهُمْ خِزْيٌ} لهم ذل واحتقار {فِي الدُّنْيَا} أي هذا العذاب في الدنيا {وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ} ولهم يوم القيامة {عَذَابٌ عَظِيمٌ} عذاب كبير وقاس وشديد في نار جهنم. وروى البخاري ومسلم من حديث أبي قلابة واسمه عبد الله بن زيد الجرمي البصري عن أنس بن مالك أن نفراً من عُكل ثمانية قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الإسلام فاستوخموا المدينة ، وسقمت أجسامهم فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال: (ألا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبون من أبوالها وألبانها) فقالوا: بلى. فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها فَصَحُّوا فقتلوا الراعي وطردهوا الإبل فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث في آثارهم فَأُدْرِكُوا فجيء بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسُمرت أعينهم ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا. [لفظ مسلم وفي لفظ لهما: (من عكل أو عرينة) وفي لفظ: (وألقوا في الحرّة فجعلوا يَسْتَسْقُونَ فلا يُسْقُونَ) وفي لفظ لمسلم: (ولم يحسمهم) وعند البخاري قال أبو قلابة فهؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله - ابن كثير ج ٢ ص ٤٨]. {إِلَّا} ما عدا {الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ} إلا من تاب وندم من نفسه قبل أن تقبضوا عليهم بجرمهم وبذنبهم في القتل أو السرقة والسلب والنهب {فَاعَلَمُوا} اعلموا أيها الحكام والقضاة والناس جميعاً والمذنبون التائبون خاصة {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَفُورٌ} يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب وندم ورجع عن ذنبه {رَحِيمٌ} يرحمه الله تعالى ولا يعذبه ويدخله الجنة يوم القيامة لتوبته وندمه {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم وصدقتم بالله وملائكته وكتبه ورسوله

واليوم الآخر { اتَّقُوا اللَّهَ } خافوا الله تعالى واخشوه وعبدوه وأطيعوه واجتنبوا نواهيه { وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ } واطلبوا واعملوا جاهدين إليه { الْوَسِيلَةَ } القربى والطاعة ورضاه أي اعملوا الطاعات في مرضاته وهي جميع العبادات والطاعات وأعمال الخير من النوافل والصدقات والصوم النافلة وقيام الليل والذكر والتسبيح. وفي صحيح مسلم: من حديث كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلُّوا عَلَيَّ فإنه من صلى عَلَيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حَلَّتْ عَلَيْهِ الشفاعة). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٣]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا صليتُم عَلَيَّ فَسَلُّوا لِي الْوَسِيلَةَ) قيل يا رسول الله وما الوسيلة؟ قال: (أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ لَا يَنْهَاهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٣]. { وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ } والجهاد في سبيل مرضاة الله تعالى بقتال أعداء المسلمين بالجهاد وجهاد النفس بأداء الفرائض واجتناب النواهي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعن عمير بن هانئ عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يزال أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك) قال عمير بن هانئ فقال مالك بن يخامر قال معاذ: وهم بالشام وقال معاوية: هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول: وهم بالشام. [البخاري ج ٤ ص ٢٥٢]. { لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ } لعلكم تفوزون برضاء الله تعالى عليكم وبدخول الجنة { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا } وهم الذين جحدوا وأنكروا ولم يصدقوا وكذبوا برسالة سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم {لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا} لو أن لهم ملك ممتلكات وثروات الأرض كلها {وَمِثْلَهُ مَعَهُ} ومثله مرتين أي ضعف ما في الأرض {لَيَفْتَدُوا بِهِ} ليجعلوه فداءً لهم {مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ} من عذاب الله تعالى لهم في نار جهنم عقاباً لهم يوم القيامة {مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ} لم يتقبل الله تعالى فداءهم عن أنفسهم ولن يعفوا عنهم {وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ} ولهم في جهنم عذاب قاس وموجع وشديد وأليم يوم القيامة {يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ} يريد الكفار ويطلبوا ويتمنوا أن يخرجوا من عذاب جهنم إلى الجنة {وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنْهَا} فلا يستطيعون الخروج من عذاب نار جهنم يوم القيامة {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِمٌّ} ولهم في جهنم عذاب دائم ومستمر يوم القيامة.

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

{وَالسَّارِقُ} والرجل الذي يسرق ويأخذ مال أو متاع غيره بدون حق وبدون علمه أو بعلمه ولكن بحيلة يقتطع بها مال غيره {وَالسَّارِقَةُ} وهي المرأة التي تسرق وتأخذ مال غيرها أو متاعه بغير حق بحيلة أو بدون علم {فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} فإذا سرق أحدهما سواء رجل أو امرأة فعقابه قطع يده اليمنى كما روى الثوري عن جابر عن يزيد الجعفي عن عامر بن شراحبيل الشعبي أن ابن مسعود كان يقرؤها (والسارق والسارقة فاقطعوا أيماهما). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٥]. وثبت في الصحيحين

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتَقْطَعُ يَدَهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتَقْطَعُ يَدَهُ). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٥]. وروي عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع في مِجَنِّ ثَمَنِهِ ثَلَاثَةَ دِرَاهِمٍ. أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٥]. وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تَقْطَعُ يَدَ السَّارِقِ فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا). وَلِمُسْلِمٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزْمٍ عَنْ عَمْرَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا تَقْطَعُ يَدَ السَّارِقِ إِلَّا فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٥]. وَوَقَعَ فِي لَفْظِ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (اقْطَعُوا فِي رُبْعِ دِينَارٍ وَلَا تَقْطَعُوا فِيمَا هُوَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ) وَكَانَ رُبْعُ الدِّينَارِ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةَ دِرَاهِمٍ وَالدِّينَارُ اثْنِي عَشَرَ دِرْهَمًا. وَفِي لَفْظِ لِلنِّسَائِيِّ: (لَا تَقْطَعُ يَدَ السَّارِقِ فِيمَا دُونَ ثَمَنِ الْمَجْنَنِ) قِيلَ لِعَائِشَةَ: مَا ثَمَنُ الْمَجْنَنِ؟ قَالَتْ: رُبْعُ دِينَارٍ. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٥]. وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ الْمَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ وَحَدِيثُهَا ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ رِوَايَةِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ قَرِيشًا أَهْمَهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ فَقَالُوا: مَنْ يَكْلِمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا وَمَنْ يَجْتَرِي عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاتِي بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلِمَهُ فِيهَا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) فَقَالَ لَهُ أَسَامَةُ: (اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ) فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاخْتَطَبَ فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ: (أَمَا بَعْدَ فَإِنَّمَا أَهْلُكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ

الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيفُ أقاموا عليه الحد وإنني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها) ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها قالت عائشة فحَسَنَتْ توبتها بعد وتزوجت وكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا لفظ مسلم. وفي لفظ له عن عائشة قالت: كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع يدها. وعن ابن عمر قال: كانت امرأة مخزومية تستعير متاعاً على السنة جاراتها وتجحده فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع يدها. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٧]. {جَزَاءٌ} عقاباً {بِمَا كَسَبَ} بما ارتكبا من السرقة وبما أخذنا {نَكَلًا} عقاباً وعذاباً وردعاً {مِّنَ اللَّهِ} من الله تعالى عز وجل {وَاللَّهُ عَزِيزٌ} والله تعالى قوي ومنيع في ملكه وسلطانه {حَكِيمٌ} حكيم في شرعه وفي أوامره كما قال تعالى: " وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ " ١٧٩ البقرة. {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ} فمن تاب وندم ورجع بعد ارتكاب ذنبه وبغيه {وَأَصْلَحَ} وعمل عملاً صالحاً وصلح عمله بعد توبته النصوح {فَارْتَبَّ اللَّهُ يَتُوبُ عَلَيْهِ} فإن الله تعالى يغفر ذنبه ويتجاوز عنه. وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أذنب ذنباً في الدنيا فعوقب به فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده ومن أذنب ذنباً في الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله أكرم من أن يعود عليه في شيء قد عفا عنه). [رواه الإمام أحمد - ابن كثير ج ٢ ص ٥١]. {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى {غَفُورٌ} يغفر لمن تاب ويتجاوز عنه {رَحِيمٌ} رحيم بمن تاب ويدخله الجنة يوم القيامة {أَلَمْ تَعْلَمْ} ألا تعلم يا محمد يا رسول الله {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَهُ مُلْكُ} له ملكية وحكم {السَّمَوَاتِ} السموات

السبع وما فيهن {وَالْأَرْضِ} وكذلك له ملكية وحكم الأرض وما عليها {يُعَذِّبُ} يعاقب {مَنْ يَشَاءُ} من يريد {وَيَغْفِرُ} ويعفو ويتجاوز {لِمَنْ يَشَاءُ} لمن يريد {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} والله تعالى قادر ومقتدر فأمره بين الكاف والنون يقول للشيء كن فيكون فالله تعالى قادر على عمل كل شيء في كونه وخلقه.

﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا تَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ تَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْكُلُونَ لِلشُّحِّ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ تُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

{يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ} يثبت الله تعالى الرسالة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويناديه بها بقوله يا محمد يا رسول الله {لَا تَحْزُنُكَ} لا يغضبك ولا يضايقك {الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ} في عمل أهل الكفر من الانغماس في المعاصي والذنوب والكفر وارتكاب المحرمات {مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ} ممن تشدقوا بقولهم آمنا وصدقنا برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالسنتهم

{وَلَمْ تُوْمِن قُلُوبُهُمْ} ولم تصدق قلوبهم بالإيمان بل جحدوا وأنكروا به {وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا} وبعض اليهود أي قسم منهم وهم الذين تهودوا وأصبحوا يهوداً نسبة إلى يهوذا وهو من بني إسرائيل {سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ} يصدقون الكذب الذي يقال على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه كذاب أو ساحر أو مجنون أو شاعر أو كاهن {سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ} يسمعون ويصدقون قول المنافقين مثل عبد الله بن أبي بن سلول ومن يعاديه من قومه من قريش كأبي لهب عمه وغيره {لَمْ يَأْتُوكَ} لم يأتوك ويتحققوا منك شخصياً عن رسالتك بل يصدقون كذب أعدائك ولذلك قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ " ٦ الحجرات. وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عدَّ شهادة الزور في أكبر الكبائر. متفق عليه وفي حديث ولفظه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر) ثلاثاً قالوا بلى قال: (الإشراك بالله وعقوق الوالدين) وجلس وكان متكئاً ثم قال: (ألا وقول الزور) فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. [سبل السلام ج ٤ ص ١٢٩]. {تُحَرِّفُونَ} يغيرون {الْكَلِمَ} كلام الله تعالى في التوراة {مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ} يغيرونه على أهوائهم وعلى شهواتهم ويريدون السهولة في الحكم {يَقُولُونَ إِن أوتِينَا هَذَا فَخُذُوهُ} إن حكم لكم محمد بما تهوى قلوبكم فمثلاً بدلاً من آية الرجم إلى الأسهل وهو الجلد وهكذا فخذوه واقبلوا به {وإن لَّم تُوْتَوْهُ} وإن لم يقبل طلبكم ويرفض الجلد مثلاً بدلاً من الرجم للثيب {فأحذروا} فلا تقبلوا وارفضوا حكمه {وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ} ومن يرد الله تعالى ضلاله وغيه بعدم تطبيق شرع الله تعالى {فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنْ أَلَلِّهِ شَيْئًا} فلن تستطيع له بعد أن أضله الله

تعالى وزاده ضلالاً باستدراجه وضلاله وغيه أن تهديه وترده عن ضلاله لأنه ضل
وغوى وبعده عن الحق والهدى والرشاد {أُولَئِكَ} هؤلاء {الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ
يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ} لم يشأ الله تعالى أن ينظف قلوب أولئك الكفار من الكفر والشرك
والمعاصي والذنوب لأنهم بؤرة الفساد وجبلوا على الكفر والعصيان والمعاصي
والذنوب {هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ} لهم في الحياة الدنيا ذل وصغار واحتقار من الناس
{وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ} وإلى هؤلاء الكفار والعصاة يوم القيامة {عَذَابٌ عَظِيمٌ} عذاب
كبير وموجع ومؤلم وقاس وشديد {سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ} يستمعون للكذب
ويصدقونه ويأخذون به {أَكْكُلُونَ لِّلْسُحْتِ} يأكلون الحرام كالربا والرشوة
والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل {فَإِنْ جَاءوكَ} فإن أتوك يا محمد يا رسول
الله {فَاحْكُم بَيْنَهُمْ} فاقض بينهم بشرع الله تعالى {أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ} أو لا تحكم
لهم فأنت مخير في الحكم {وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ} وإن تمتنع في الحكم بينهم وتمتنع
عن القضاء لهم {فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا} فلا يؤذونك بشيء {وَإِنْ حَكَمْتَ} وإن قضيت
بينهم {فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ} فاحكم بينهم بالحق والعدل {إِنَّ اللَّهَ مُجِبُّ
الْمُقْسِطِينَ} إن الله تعالى يحب العادلين {وَكَيفَ تَحْكُمُونَكَ} وكيف يقبلوا
بتحكيمك بينهم {وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ} وعند اليهود الكتاب السماوي وهو التوراة
التي أنزلت على رسولهم موسى عليه السلام {فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ} فيها شرع الله تعالى
وحكمه {ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ} ثم يعرضون عن حكم التوراة عندهم {مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ} من بعد
نزولها عليهم وفيها حكم الله تعالى وشرعه {وَمَا أُولَئِكَ} وليس هؤلاء
{بِالْمُؤْمِنِينَ} وليس هؤلاء بالصدقين بكتابهم التوراة ولا نبيهم ورسولهم موسى

عليه السلام. قال مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟) فقالوا: نفضحهم ويُجلدون قال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله ابن سلام ارفع يدك فرفع يده فإذا آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما فرأيت الرجل يَحْنِي على المرأة يقيها الحجارة. [أخرجاه وهذا لفظ البخاري - ابن كثير ج ٢ ص ٥٨]. وعند مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بيهودي ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء يَهُود فقال: (ما تجدون في التوراة على من زنى؟) قالوا: نُسَوِّد وجوههما ونُحَمِّمهما ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويُطَاف بهما قال: " فَأَتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " قال: فجاءوا بها فقرأوها حتى إذا مر بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرّه فليرفع يده فرفع يده فإذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما. قال عبد الله بن عمر: كنت فيمن رجمهما فلقد رأيت يقيها من الحجارة بنفسه. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٨].

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ تَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
 وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا
 تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا بِعَآيَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ
 وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ
 تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الظَّالِمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

{ إِنَّا } الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه والجمع هنا للتبجيل والتفخيم
 والتعظيم لجلاله سبحانه وتعالى ذو الجلال والإكرام { أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ } أنزل الله
 تعالى الكتاب السماوي وهو التوراة على موسى عليه السلام لقومه بني إسرائيل
 { فِيهَا } في التوراة { هُدًى } هداية لبني إسرائيل ليعبدوا الله تعالى وحده { وَنُورٌ }
 نور يضيء الطريق المستقيم وهو علم وحكم التوراة وشرع الله تعالى لهم فيها
 { تَحْكُمُ } يحكم ويقضي بين الناس فيما اختلفوا فيه وفي حكم الله تعالى وشرعه
 { بِهَا } بالتوراة { النَّبِيُّونَ } وهم رسل الله موسى وهارون ومن بعدهم { الَّذِينَ
 أَسْلَمُوا } المسلمون الذين أسلموا أمرهم لقضاء الله تعالى وحكمه وشرعه { لِلَّذِينَ
 هَادُوا } لليهود وهم بنو إسرائيل نسبة إلى يهوذا { وَالرَّبَّانِيُّونَ } وهم الرهبان الذين
 يعبدون الله تعالى ويُقرون له بالربوبية وهم الرهبان والعباد من بني إسرائيل
 { وَالْأَحْبَارُ } وهم علماء بني إسرائيل { بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ } بما قرؤوا
 وتعلموا من التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام { وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ }

وكانوا شهداء على التوراة وعلى صدقها وأنها نزلت من عند الله تعالى على موسى عليه السلام لبني إسرائيل {فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ} فلا تخافوا الناس في الحكم الشرعي {وَأَخْشَوْنَ} وخافوا الله تعالى في أوامره ونواهيه {وَلَا تَشْتَرُوا بِعَآيَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا} أي لا تأخذوا الرشوة على حكم كتاب الله بتغيير حكمه وفيما نزل وخاصة في القضاء والحكم بين الناس {وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ} ومن لم يقض ولا ينفذ شرع الله تعالى وحكمه من بني إسرائيل في الحدود {فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} فهؤلاء هم الكفار والمنكرون والجاحدون والمكذبون لحدود الله تعالى وأوامره ونواهيه {وَكُتِبْنَا} وفرضنا وحكمنا {عَلَيْهِمْ} على بني إسرائيل {فِيهَا} في التوراة {أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ} أي قاتل النفس بغير حق يُقتل نفسه ، ولا يُقتل مسلم بكافر لما جاء في الصحيحين عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يُقتل مسلم بكافر). [ابن كثير ج ٢ ص ٦٢]. أما الرجل فيقتل بالمرأة كما روى النسائي وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب في كتاب عمرو بن حزم : (أن الرجل يقتل بالمرأة). [ابن كثير ج ٢ ص ٦٢]. وفي الحديث الآخر : (المسلمون تتكافأ دماؤهم). وهذا قول جمهور العلماء ولكن أبو حنيفة احتج بعموم الآية على أنه يُقتل المسلم بالكافر وعلى قتل الحر بالعبد. [ابن كثير ج ٢ ص ٦٢]. {وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ} ومن فقا عين رجل تُفقا عينه {وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ} ومن جدد أنف رجل يُقطع أنفه {وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ} ومن قطع أذناً تُقطع أذن القاطع {وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ} ومن كسر سن رجل يُكسر سن الكاسر المعتدي {وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ} وتقدر الجروح وعقوبتها على قدر الجرح الذي أحدثه في غيره {فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ} فمن عفا عن اعتدى عليه وجعله له صدقة ومعروفاً

{فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ} فيثيبه الله تعالى على عفوه يوم القيامة {وَمَنْ لَّمْ تَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ} ومن لم ينفذ حكم الله تعالى وشرعه في الأحكام والحدود {فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} فهؤلاء الذين لم يطبقوا حكم الله تعالى وشرعه في الحدود فهم ظالمون لأنفسهم بالكفر والعصيان ومخالفة أمر الله تعالى ويظلمون أنفسهم حيث يقع عليهم عذاب الله تعالى وكما قال تعالى: " إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ " ٤٥ الشورى.

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ

الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۖ وَمَنْ لَّمْ تَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

{وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ} وأتبعنا من بعدهم {بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} أي جاء من بعد

رسل وأنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم عليهما السلام بالرسالة {مُصَدِّقًا لِّمَا

بَيْنَ يَدَيْهِ} مؤكداً للكتب السماوية التي سبقته {مِنَ التَّوْرَةِ} بما جاء في كتاب في

التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام {وَأَتَيْنَاهُ} وأعطى الله تعالى عيسى

عليه السلام وأنزل عليه {الْإِنْجِيلَ} كتاب الإنجيل {فِيهِ} في كتاب الإنجيل

{هُدًى} هداية للحق والصواب وعبادة الله تعالى وحده {وَنُورٌ} ونور وهو نور

العلم وشرع الله تعالى يضيء الطريق المستقيم بالعلم والحكمة وشرع الله تعالى

وحكمه {وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} ومؤكدًا لما سبقه من الكتب السماوية {مِنَ

التَّوْرَةِ} بما جاء في كتاب التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام

{وَهُدًى} وفي كتاب التوراة هدى للحق والصواب والعدل وعبادة الله تعالى وحده {وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} ويوعظ به المتقون وهم الملتزمون بعبادة الله تعالى وبشرعه {وَلِيَحْكُمَ} وعليه فليحكم ولينفذ حكم الله تعالى {أَهْلُ الْإِنجِيلِ} وهم النصارى {بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ} بما أنزل الله تعالى في الإنجيل من أحكام وشرائع {وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} ومن لم يحكم ويقض بشرع الله تعالى الذي أنزل في الإنجيل لعيسى عليه السلام من النصارى {فَأُولَئِكَ} فهؤلاء {هُمُ الْفَاسِقُونَ} فأولئك هم العصاة والخارجون عن طاعة الله تعالى وشرعه وهم المعلنون بالمعصية من النصارى.

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا^ط وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْتُكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

{وَأَنْزَلْنَا} وأنزل الله تعالى وأرسل وبعث {إِلَيْكَ} إليك يا محمد يا رسول الله {الْكِتَابَ} القرآن الكريم أنزله الله تعالى من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة ثم نزل على رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام

منجماً حسب الوقائع والأحداث {بِالْحَقِّ} بالحق والصدق والعدل {مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} مصدقاً بما جاء في الكتب السماوية التي سبقته {مِنَ الْكُتُبِ} من كل كتاب سماوي أنزله الله تعالى على الرسل السابقين {وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ} وظاهراً عليه ومفضلاً عليه بالوضوح والتبيان في الحكم والمنهاج والحفظ من النسيان والضياع والتغيير والتبديل كما قال تعالى: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ " ٩ الحجر. وناسخاً له لأنه آخر الكتب السماوية {فَأَحْكُم} فاحكم واقض يا محمد يا رسول الله {بَيْنَهُمْ} بين اليهود والنصارى فيما اختلفوا فيه وتشاجروا {بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} بما أنزل الله تعالى من شرائع وأحكام في كتابك القرآن الكريم {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} ولا تطع رغباتهم وشهواتهم وأهواءهم {عَمَّا جَاءَكَ} بدلاً مما آتاك الله تعالى {مِنَ الْحَقِّ} من العدل والحق والصدق والصواب {لِكُلِّ جَعَلْنَا} جعلنا لكل أمة سواء اليهود أو النصارى أو المسلمون {مِنْكُمْ} منكم أيها المسلمون واليهود والنصارى {شِرْعَةً} شرعاً وحكماً وبياناً وأوامر ونواهي فشريعة آدم عليه السلام كان يتزوج الأخ أخته من البطن الآخر ثم نسخت بعد أن تكاثر النسل في عهد نوح عليه السلام وفي شريعة موسى حرم على بني إسرائيل كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرم عليهم شحومها كما قال تعالى: " وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ " ١٤٦ الأنعام. ولما جاء عيسى عليه السلام نسخها كما قال تعالى: " وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ " وكانت سنة وشريعة الرسل السابقين عدم تحديد عدد الزوجات وشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حددت عدد الزوجات بأربع

ولم تُحدِّد من قَبْلِ {وَمِنْهَا جَا} نهجاً وطريقاً وسلوكاً وفرضاً يستمر ويداوم عليه
{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ} ولو أراد الله تعالى بالقوة والإكراه أو بقدرته {لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً} لجعلكم أمة واحدة مطيعة على قلب رجل واحد مثل الملائكة تطيع ولا
تعصي {وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ} ليختبركم {فِي مَا آتَيْنَاكُمْ} في ما أعطاكم من شرائع
وأحكام ونعم وخيرات {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} فسارعوا إلى عمل الخير والأعمال
الصالحات {إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا} إلى الله تعالى مصيركم وعودتكم يوم
القيامة {فَيُنَبِّئُكُمْ} فيخبركم ويحاسبكم {بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} بما اختلفتم عليه
من شرع الله تعالى وحكمه {وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ} وأن احكم واقض يا محمد يا رسول
الله بين الناس جميعاً {بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} بما أنزل الله تعالى في القرآن من الشرع
والأحكام {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} ولا تطع رغباتهم وشهواتهم {وَأَحْذَرَهُمْ} وكن
على حذر وتنبيه يا محمد يا رسول الله إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى {أَنْ
يَفْتِنُوكَ} أن يضلونك أو يبعدونك أو يغيثونك {عَنْ بَعْضِ} عن جزء {مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ إِلَيْكَ} ما أنزل الله تعالى من الأحكام الشرعية التي أنزلت إليك في القرآن
{فَإِنْ تَوَلَّوْا} فإن أعرضوا وخالفوا وجحدوا وابتعدوا وأنكروا ما أنزل إليك من
الرسالة ومن القرآن الكريم {فَاعْلَمْ} فاعرف وتيقن يا محمد يا رسول الله {أَنَّ
يُرِيدُ اللَّهُ} أنما يرغب الله تعالى {أَنْ يُصِيبَهُمْ} أن يعاقبهم ويعذبهم {بِبَعْضِ
ذُنُوبِهِمْ} بسبب بعض ذنوبهم ومعاصيهم {وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ} وإن عددا كبيرا
من الناس {لَفَسِيقُونَ} لعاصون وخارجون عن طاعة الله تعالى ومعلنون معصيته
{أَفْحُكْمٌ} فهل حكم {الْجَهْلِيَّةِ} فهل حكم الجهل والعصبية وشرائع الغاب وما

سبق الإسلام من جاهلية {يَبْغُونَ} يطلبون ويأخذون بحكمها {وَمَنْ أَحْسَنُ} ومن أفضل {مِنَ اللَّهِ} من الله تعالى {حُكْمًا} حكماً وقضاً وشرعاً {لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} لقوم يؤمنون ويقرون ويصدقون بحكم الله تعالى وشرعه وكل ما جاء في القرآن الكريم.

﴿ يَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

{يَتَّخِذُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ} لا يتخذ أحد منكم اليهود والنصارى [المسيحيون] {أَوْلِيَاءَ} أصدقاء وأحباب وتؤاخونهم {بَعْضُهُمْ} اليهود والنصارى {أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} أحباب وأصدقاء وموالين بعضهم البعض {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ} ومن يتخذهم أحباب ومساندين له {مِّنْكُمْ} أيها المسلمون {فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} أي فهو يهودي أو نصراني على دينهم وليس على دين الإسلام {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا يَهْدِي} لا يدل ولا يساعد {الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} الذين يظلمون أنفسهم بعدم الطاعة والمعصية والمخالفة والذنوب {فَتَرَى} فتشاهد بعينيك يا رسول الله ويا أيها المؤمن {الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ} وهم المنافقون {يُسْرِعُونَ فِيهِمْ} يسارعون إليهم والانضمام إليهم وإلى صفوفهم والتحبب والتقرب إليهم {يَقُولُونَ} يدافعون ويقولون عن سبب تقربهم إليهم

{نَخَشَى} نخاف {أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ} أن تحصل علينا شدة أو مصيبة أو هزيمة أو ضائقة ولذلك نُودُّهُمْ ونتقرب إليهم ونواليهم {فَعَسَى اللَّهُ} فلعل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ} أن يأتي للمسلمين بالفتح والنصر والتأييد {أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ} أو بأمر من الله تعالى أن يقوي شوكة المسلمين {فِيَصْبِحُوا} فيصبح هؤلاء المنافقون {عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ} على ما كتموه وأخفوه في أنفسهم من موالاته وصداقة اليهود والنصارى {تَدْمِينًا} نادمين متحسرين. وفعلاً لقد طرد اليهود من كل الجزيرة العربية وقال عكرمة نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة فسألوه ماذا هو صانع بنا فأشار بيده إلى حلقه أي أنه الذبح. [رواه ابن جرير - ابن كثير ج ٢ ص ٦٨]. وقيل في عبد الله بن أبي بن سلول.

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْتُوا لَآءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ

حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٧﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٨﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٩﴾

{وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا} ويقول ويتحدث المؤمنون وهم الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {أَهْتُوا لَآءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ} هل هؤلاء أي المنافقون

الذين حلفوا بالله {جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} أيماناً مؤكدة ومغلظة {إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ} بأنهم معكم أيها المسلمون فهم مؤمنون مثلكم {حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} خسرت أعمالهم لأنهم نافقوا معكم أيها المسلمون ولكنهم والوا اليهود والنصارى واتخذوهم أولياء وأحباب وسنداً لهم ولذلك تعجبوا من عملهم هذا ومن نفاقهم وخسرت وهلكت أعمالهم وبطلت وفسدت وذهبت أدرج الرياح {فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ} فأصبحوا خاسرين أنفسهم لا مع المسلمين ولا مع اليهود والنصارى وخسروا أنفسهم في نار جهنم يوم القيامة وقيل نزلت هذه الآية في رأس المنافقين وهو عبد الله بن أبي بن سلول وقال محمد ابن إسحاق: فكانت أول قبيلة من اليهود نقضت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو قينقاع. فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه. فقام إليه عبد الله بن أبي ابن سلول حين أمكنه الله منهم فقال: يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج قال فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: يا محمد أحسن في موالي. فأعرض عنه قال: فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (أرسلني). وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللاً ثم قال: ويحك أرسلني). قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدني في غداة واحدة إني امرؤ أخشى الدوائر. قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هم لك). [ابن كثير ج ٢ ص ٦٩]. {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {مَنْ يَرْتَدَّ} من يرجع ويخرج {مِنْكُمْ} منكم أيها المؤمنون {عَنْ دِينِهِ} عن دين الإسلام بعد

إسلامه { فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ } فعندها يأتي الله تعالى { بِقَوْمٍ } بأمة أو جماعة بدلاً ممن ارتد عن دينه { تُحِبُّهُمْ } يحبهم لعبادتهم وطاعتهم له { وَتُحِبُّونَهُ } لأنه هو خالقهم وبيديه ملكوت السموات والأرض وهو يستحق المحبة والرضا { أذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } متواضعون رحماء ليس بجبارين ولا متكبرين على المؤمنين { أَعْزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ } أقوياء وأشداء وغلاظ شداد على الكفار وكما قال تعالى: " مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ " ٢٩ الفتح. { تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } يجاهدون ويحاربون أعداء الإسلام والدين وهو في سبيل الله { وَلَا يَخَافُونَ } لا يخافون في طاعة الله ومرضاته وفي سبيله { لَوْمَةً لَأِيْمٍ } لا أحد يلومهم أو يعنفهم فهم لا يخافون أحداً إلا الله تعالى { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ } ذاك فضل الله وعطاؤه وكرمه ومنه وهو القوة في الحق وألا يخشى في الله لومة لائم يعطيه الله تعالى لمن يشاء من عباده وكما وصى لقمان ابنه في قوله تعالى: " يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ " ١٧ لقمان. { وَاللَّهُ } والله تعالى واسع الرحمة والكرم والفضل والعطاء { وَاسِعٌ } أي كثير العطاء { عَلِيمٌ } يعلم ويدري ويعرف بما في السموات وما في الأرض وبجميع مخلوقاته سرهم وعلانيتهم وبما في صدورهم وبما في نفوسهم من خير أو شر بالمؤمنين والكافرين والطائعين والعاصين والمذنبين { إِنَّهَا } إن ما يجب أن تعلمونه وتعرفونه { وَلِيُكُمُ اللَّهُ } هو الذي يتولاكم ويتولى أمركم في الدنيا والآخرة بالحياة والموت والرزق وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { وَرَسُولُهُ } وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يتولاكم بالهداية والرسالة والعلم والبيان

والتفسير والتوضيح والقدوة الحسنة {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} وهم المؤمنون وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشره وحلوه ومره وهم يتولونكم بالمؤاخاة بينكم وبالموعظة الحسنة والدفاع عنكم وعن أعراضكم وأموالكم والجهاد معكم في سبيل الله تعالى {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} الذين يؤدون الصلوات الخمس في أوقاتها {وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} ويزكون أموالهم وزروعهم ومواشيهم وأغنامهم وأبقارهم وجمالهم {وَهُمْ رَاكِعُونَ} وهم دائمون يصلون النوافل زيادة على الفروض لأن الأولى وهي إقامة الصلاة للفريضة والثانية الركوع للتطوع بالنوافل {وَمَنْ يَتَوَلَّ} الله {ومن يلتجئ إلى الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه ويتوكل عليه ويطيعه ويعبده حق عبادته ويجعل طاعته قبل كل طاعة وأمره قبل كل شيء وعبادته قبل كل مصلحة ورضاه فوق كل شيء ومعاداة من عاداه وموالاته من والاه {وَرَسُولُهُ} وموالاته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو نبيه ورسوله أرسله للناس كافة وموالاته بالطاعة والمحبة والمؤازرة والجهاد معه في سبيل الله تعالى ضد الأعداء {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا} وهم المؤمنون ويتولهم بالمؤاخاة والجهاد معهم في سبيل الله تعالى ضد الأعداء {فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ} فإن حزب الله وهم الذين لا يخشون في الله لومة لائم ويجاهدون في سبيل الله حق جهاده ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة ويؤدون الطاعة ويجتنبون المعصية {هُمُ الْغَالِبُونَ} هم الفائزون والمنتصرون على أعداء الله تعالى وعلى أعدائهم ، نزلت في عبادة بن الصامت حين تبرأ من حلف اليهود.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى
 الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا } يا أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله
 واليوم الآخر { لَا تَتَّخِذُوا } لا تأخذوا { الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ } الذين اتخذوا دينكم
 دين الإسلام { هُزُوءًا } استهزاءً وسخريةً واحتقاراً { وَلَعِبًا } ولعباً ولهواً وتسلييةً { مِّنَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } (من اليهود) وكتابهم التوراة أنزل على موسى عليه الصلاة
 والسلام (ومن النصارى) وكتابهم الإنجيل وأنزل على عيسى ابن مريم عليهما
 الصلاة والسلام { مِّن قَبْلِكُمْ } وهم رسلهم وكتبهم جاءت قبل سيدنا محمد صلى
 الله عليه وسلم وهو رسولكم { وَالْكَفَّارَ } وهم أهل قريش { أَوْلِيَاءَ } أحاباب
 ومساندين لكم بدلاً من المسلمين { وَاتَّقُوا اللَّهَ } خافوه واخشوه وأطيعوه في أوامره
 ونواهيه واعبدوه حق عبادته وطاعته { إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ } لو كنتم مؤمنين ومصدين
 بالله تعالى وجنته ونعيمه وناره وعذابه { وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ } والنداء هو الأذان
 والإقامة للصلاة المفروضة لأن النافلة ليس لها أذان ولا إقامة { اتَّخَذُوهَا } الصلاة
 وأذانها وإقامتها { هُزُوءًا } استهزاءً واحتقاراً وسخريةً { وَلَعِبًا } لعباً ولهواً وتسلييةً
 وتمثيلاً وتقليداً سخريةً واستهزاءً { ذَٰلِكَ } ذاك { بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ } لنهم أمة وجماعة
 { لَا يَعْقِلُونَ } لا يدركون عاقبة أمرهم وعبثهم هذا ومصيرهم إلى النار.

﴿ قُلْ يَتَاهَلَّ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾ قُلْ هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٥٥﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ؕ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٥٦﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكَلِهِمُ الشُّحْتُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾ لَوْلَا يَهْتَهُمُ الرَّبُّنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْآثِمَ وَأَكَلِهِمُ الشُّحْتُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٥٨﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {يَتَاهَلَّ الْكِتَابِ} يا أصحاب الكتاب التوراة وهم اليهود ويا أصحاب الإنجيل وهم النصارى {هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا} هل تغضبون منا وتحقدون علينا {إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ} إلا وبسبب إيماننا بالله تعالى {وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا} وبسبب ما أنزل إلينا وهو القرآن الكريم وإيماننا به {وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ} وإيماننا بما أنزل من قبلنا أي بالتوراة والإنجيل {وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ} وأن أكثركم وأغلبكم أيها اليهود والنصارى {فَاسِقُونَ} خارجون عن طاعة الله تعالى وعاصون له {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هَلْ أَنْبَيْتُكُمْ} هل أخبركم {بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً} بشر من هذا عقوبة وجزاء {عِنْدَ اللَّهِ} يوم القيامة في نار جهنم وهو ما عند الله وما حضره وجهزه لهم وهم ممن يستحق الجزاء والعقاب الأشد وهم {مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ} من سخط الله وغضب عليه وسيعذبه في نار جهنم {وَوَجَعَلَ عَلَيْهِ} وسخط عليه وسينتقم منه يوم القيامة في نار جهنم {وَجَعَلَ مِنْهُمْ} وجعل من بني إسرائيل وهم

اليهود {الْقِرْدَةَ} أي مسخهم قردة {وَالْخَنَازِيرَ} أي مسخهم كذلك خنازير. وقال قتادة مسخ الشيخ خنازير والشباب قردة. [نزهة المجالس ص ١٦٥]. والمسوخ كان في بني إسرائيل وكما قال الله تعالى: " وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ " ٦٥ البقرة. وأن المسوخ لا عقب له ولا ولد ولا نسل. قال سفيان الثوري عن عَلْقَمَةَ عن المغيرة بن عبد الله عن المعرور بن سُوَيْد عن ابن مسعود قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القردة والخنازير أهى مسخ الله فقال: (إن الله لم يهلك قوماً -أو قال- لم يمسح قوماً فيجعل لهم نَسْلاً ولا عَقَباً وإن القردة والخنازير كانت قبل ذلك). [وقد رواه مسلم من حديث سفيان الثوري ومسعر كلاهما عن مُغِيرَةَ بن عبد الله اليشكري به - ابن كثير ج ٢ ص ٧٣].

وقال ابن مردويه: حدثنا عبد الباقي حدثنا أحمد بن إسحق بن صالح حدثنا الحسن بن محبوب حدثنا عبد العزيز ابن المختار عن داود بن أبي هند عن عِكْرِمَةَ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الحيات مَسْخُ الْجِنِّ كَمَا مُسِخَتْ الْقِرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ). [ابن كثير ج ٢ ص ٧٤]. {وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} وعباد الأصنام والأوثان {أُولَئِكَ} هؤلاء {شَرُّ مَكَانًا} أشر منزلة ومكانة بين الناس {وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ} وأبعد عن الطريق المستقيم وعن الهدى والإيمان {وَإِذَا جَاءَهُمْ} وإذا جاء إليك يا محمد يا رسول الله وإلى المؤمنين هؤلاء الكفار والمنافقون {قَالُوا ءَأَمَنَّا} قالوا بأفواههم وبأسنتهم فقط آمننا وصدقنا {وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ} وجاءوا إليك وهم كفار {وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ} وقد خرجوا من عندك وهم كذلك كفار أي لم يهتدوا ولم يؤمنوا {وَاللَّهُ أَعْلَمُ} والله تعالى أعلم وأدرى وأخبر {بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ} بما أسروا من الكفر والعناد والعصيان {وَتَرَى} وتنظر بعينك يا

محمد يا رسول الله {كَثِيرًا مِّنْهُمْ} عدداً كثيراً منهم {يُسْرِعُونَ} يندفعون ويستعجلون ولا يتورعون {فِي الْإِثْمِ} ويسقطون في الإثم والمنكر والذنب والمعصية والكفر {وَالْعُدْوَانَ} والاعتداء على الأعراض والممتلكات والحقوق والظلم للغير {وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ} أكل الحرام ومنها الربا والرشوة والسرقة وأموال الناس بالباطل {لَبِئْسَ} ساء وقبح {مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ما كانوا يصنعون وما كانوا يفعلون من المعاصي والذنوب والكفر والعناد {لَوْلَا} أفلا {يَنْهَهُمُ} يزجرهم ويمنعهم {الرَّبَّيْنِيُونَ} وهم العباد والصالحون وفي الحديث: حتى يكون عبداً ربانياً يقول للشيء كن فيكون {وَالْأَحْبَارُ} وهم علماءهم وفقهائهم {عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمُ} عن تكذيبهم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقولهم العزيز ابن الله وعيسى هو الله أو ثالث ثلاثة {وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ} ومنعهم من أكل الحرام والمحرمات {لَبِئْسَ} لساء وقبح {مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} ما كانوا يعملون ويفعلون من أكل السحت وتكذيبهم لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكفرهم وعنادهم وجحودهم وكفرهم بالقرآن والإسلام. قال ابن أبي حاتم ذكره يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح حدثنا ثابت أبو سعيد الهمذاني قال لقيته بالري فحدث عن يحيى بن يعمر قال خطب علي ابن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ولم يفهمهم الربانيون والأحبار فلما تماردوا في المعاصي أخذتهم العقوبات فمروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً ولا يقرب أجلاً). [ابن كثير ج ٢ ص ٧٤]. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شريك عن أبي إسحاق

عن المنذر بن جرير عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي هم أعز منه وأمنع ولم يغيروا إلا أصابهم الله منه بعداب). [تفرد به أحمد - ابن كثير ج ٢ ص ٧٤].

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٧٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ } وقالت طائفة من اليهود وهم بنو إسرائيل { يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ } أي فقير وبخيل وشحيح ولا ينفق على عباده وكما قال تعالى: " لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ " ١٨١ آل عمران. وقال عكرمة أنها نزلت في فنحاص اليهودي وقال محمد بن إسحاق حدثنا محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال رجل من اليهود يقال له شاس بن قيس إن ربك بخيل لا ينفق. [ابن كثير ج ٢ ص ٧٥]. وقد قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سخاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه -

قال - وعرشه على الماء وفي يده الأخرى الفيض يرفع ويخفض - وقال يقول الله تعالى (أنفق أنفق عليك). [أخرجاه في الصحيحين البخاري في التوحيد عن علي ابن المديني ، ومسلم فيه عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق به - ابن كثير ج ٢ ص ٧٥]. {غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ} قطعت أيديهم وألقيت في نار جهنم وشلت وبترت أيديهم {وَلَعْنُوا} طردوا من رحمة الله تعالى وهلكوا وعذبوا {بِمَا قَالُوا} بما قالوا وتحدثوا وتكلموا بأن يد الله مغلولة وان الله فقير وهم أغنياء وهو اليهود {بَلْ} ولكن {يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} يده بالخير مبسوطتان وينفق بهما على خلقه ألم يطعم النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ألم يطعم الطير في عشه والوليد في بطن أمه والصَّوْصُ في البيضة المشيدة والمغلقة {يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} ينفق ويرزق خلقه كيفما شاء وأراد وبقدر معلوم. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئاً إلا كما يُنقص المخيط إذا دخل البحر). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٢٤]. {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ} وسوف يزيد عدداً كثيراً منهم {مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ} القرآن الكريم يزيدهم {طُغْيَانًا} أي عصياناً وظلماً وتجبراً وفساداً ومعصيةً {وَكُفْرًا} وجحوداً ونكراناً وتكذيباً لك يا محمد يا رسول الله {وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} وجعلنا العداوة والبغضاء

والكراهية والشحناء وعدم الألفة بين طوائف اليهود إلى أن تقوم الساعة وهي يوم القيامة {كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ} كلما أشعل اليهود نار الفتنة والشقاق والحرب بين المسلمين {أَطْفَأَهَا اللَّهُ} أبطلها الله وأبطل كيد اليهود ومؤامراتهم وكشفها للمسلمين {وَيَسْعَوْنَ} أي ويمشون {فِي الْأَرْضِ} في الأرض بالإفساد والفتنة والتحريض {فَسَادًا} إفساداً وتحريضاً وفتنةً وتخريباً وتفريقاً {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا يُحِبُّ} يبغض ويكره {الْمُفْسِدِينَ} الذين يمشون بالنميمة والإفساد والتحريض وبالفتنة وبالمؤامرات {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ} ولو أن اليهود أهل كتاب التوراة والنصارى وهم أهل كتاب الإنجيل {ءَامَنُوا} صدقوا بالله رباً وبالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {وَاتَّقَوْا} وخافوا الله تعالى وأطاعوه في أوامره ونواهيه وعبدوه حق عبادته وطاعته {لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ} لمحونا وتجاوزنا وعفونا عن خطاياهم وذنوبهم {وَلَأَدْخُلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ} ولأدخلنا من آمن منهم جنات النعيم يوم القيامة وجنات وهي جمع جنة لأن الجنان هي ثمانية فيدخل إحداها وذلك كل حسب عمله ومنزلته. وأولها: دار الجلال. وثانيها: دار السلام. وثالثها: جنة المأوى. ورابعها: جنة الخلد. وخامسها: جنة النعيم. وسادسها: جنة الفردوس. وسابعها: جنة عدن. وثامنها: دار القرار. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٧ ، ٢١٨]. {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ} ولو أن اليهود عملوا بما جاء في التوراة والنصارى عملوا بما جاء في كتابهم الإنجيل {وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ} وبالقرآن الكريم الذي أنزل من الله تعالى لأنه ذكر في التوراة والإنجيل بأنه

سيأتي آخر الزمان نبي ورسول وصفته في كتابهم وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اتباعه وتصديقه ولو أنهم عملوا بما جاء في كتبهم {لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ} أي لرزقهم الله تعالى رزقاً حلالاً وأكلوا من فوقهم من السحاب ومن الطيور التي هي في السماء ومن الثمار للأشجار العالية من النخيل والرمان والأعاب والتين والزيتون ومن جميع الفواكه والثمار {وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} من الحبوب كالقمح والشعير والبقول والخضروات والبطاطس والجزر والبطيخ والخيار والبندورة أو الطماطم وغيرها وكذلك من ثمن البترول والمعادن التي داخل الأرض {مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ} من اليهود أمة وجماعة معتدلة تتقي الله تعالى وتعبده وتصدق برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأبي ابن كعب وغيرهم {وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ} وعدد كثير منهم {سَاءَ} قبح {مَا يَعْمَلُونَ} ما يفعلون ويصنعون من المعاصي والكفر والذنوب.

﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ۗ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَلَيُزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ} أيها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وهذا تشریف لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه لم يدعوه باسمه بل يا أيها الرسول ويا أيها النبي ويا أيها المزمّل ويا أيها المدثر وكما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعُكُنَّ وَأُسْرُحُكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا " ٢٨

الأحزاب. وكما قال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزُوجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ " ٥٩ الأحزاب. {بَلِّغْ} أخبر الناس وأنبئهم وأعلمهم {مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} ما أرسل الله تعالى لك من القرآن ومن الإسلام والشرائع والأحكام {وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ} وإذا لم تبلغ رسالة ربك إلى الناس {فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} فعندها تكون أنت لم تبلغ الرسالة إلى الناس كما أمرك ربك {وَاللَّهُ يَعَصْمُكَ مِنَ النَّاسِ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه يعصمك ويحفظك من شر الناس وأذاهم وبطشهم {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} إن الله تعالى لا يهدي الكفار أي لا يدلهم على الصواب لكفرهم وجحودهم وإنكارهم {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ} أيها اليهود وكتابتهم التوراة ويا أيها النصارى وكتابتهم الإنجيل {لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ} أنتم ليس على شيء من الحق والصواب والعبادة {حَتَّى تُقِيمُوا} حتى تؤدوا {التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ} أي تعملوا بما فيها {وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} وما أنزل إليكم فيها من الله تعالى وما فيها من اسم وصفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه والدخول في دين الإسلام {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ} وسيزيد عدداً كثيراً من اليهود والنصارى {مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} وهو القرآن الكريم الذي أنزل إليك من ربك {طُغْيَنًا} عصياناً وظلماً وتجبراً وفساداً ومعصيةً {وَكُفْرًا} وجحوداً ونكراناً وتكذيباً لك يا محمد يا رسول الله {فَلَا تَأْسَ} فلا تحزن ولا يصيبك هم بسببهم ولا تتكدر {عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} على الكفار لأن مصيرهم النار. وقصة غورث بن الحرث مشهورة في الصحيح وقال أبو بكر ابن مردويه: حدثنا أبو عمرو بن أحمد بن محمد بن إبراهيم

حدثنا محمد بن عبد الوهاب حدثنا آدم حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال كنا إذا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلمها فينزل تحتها فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها فجاء رجل فأخذه فقال يا محمد من يمنعك مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله يمنعني منك ضع السيف). فوضعه فأنزل الله عز وجل: "وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ". [وكذا رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه - ابن كثير ج ٢ ص ٧٩]. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد حدثنا يحيى قال سمعت عبد الله ابن عامر بن ربيعة يحدث أن عائشة رضي الله عنها كانت تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ذات ليلة وهي إلى جنبه قالت ما شأنك يا رسول الله قال: (ليت رجلا صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة) قالت فبينما أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح فقال: (من هذا؟) فقال: أنا سعد بن مالك. فقال: (ما جاء بك؟) قال: جنئت لأحرسك يا رسول الله. قالت: فسمعت غطيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه. [أخرجاه في الصحيحين من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري به وفي لفظ: سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة مقدّمة المدينة يعني على أثر هجرته بعد دخوله بعائشة رضي الله عنها وكان ذلك في سنة ثنتين منها - ابن كثير ج ٢ ص ٧٨]. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا إبراهيم بن مرزوق البصري نزيل مصر حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الحارث بن عبيد يعني أبا قدامة عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحرس حتى نزلت هذه الآية: " وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ " قالت فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من القُبّة وقال: (يأيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله عز وجل). [ابن كثير ج ٢ ص ٧٨].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصْرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾

{إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا} وهم المؤمنون وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
وباليوم الآخر {وَالَّذِينَ هَادُوا} وهم اليهود نسبة إلى يهوذا وهو في بني إسرائيل
{وَالصَّابِغُونَ} وهم طائفة يقال أن مركزهم اليوم في العراق {وَالنَّصْرَىٰ} وهم
المسيحيون أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام وهم أنصاره {مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ} من
صدق بالله رباً {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} وآمن بيوم القيامة والآخرة وما فيها من ثواب
للمؤمنين وهو دخول الجنة ومن عقاب للكفار والعصاة والمذنبين ويدخلون النار
{وَعَمِلَ صَالِحًا} عمل في الدنيا بالعمل الصالح وعمل الخير والطاعات والعبادات
لله وحده لا شريك له {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} فلا خوف عليهم في الدنيا من عمل
المعاصي لعملمهم بالطاعات ولا يخافون عذاب الله تعالى لهم يوم القيامة لطاعتهم له
{وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ولا يحزنون في الآخرة لأن الجنة موعدهم ولا يحزنون على
الدنيا وفراقها لأن الجنة أفضل منها بدرجات.

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا ۖ قَالُوا مَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧﴾ وَحَسِبُوا أَنَّا لَأَنكُورُونَ ۖ فَبَدَّلْنَا صَوْمَهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧﴾ وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

{لَقَدْ أَخَذْنَا} لقد أخذ الله تعالى {مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} العهد على اليهود وهم بنو إسرائيل أي أبناء يعقوب عليه السلام واسمه إسرائيل أي عبد الله في لغتهم. والعهد هو كما جاء في هذه الآية: " وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ " ٨٣ البقرة. {وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا} وأرسل الله تعالى إلى بني إسرائيل الأنبياء والرسل ليرشدوهم إلى عبادة الله تعالى وحده وعدم أكل السحت والربا والرشوة {كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ} كلما جاءهم نبي ورسول من عند الله تعالى {بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ} بما لا يوافق شهواتهم ولا ملذاتهم ولا رغباتهم {فَرِيقًا} فريقاً من الرسل والأنبياء {كَذَّبُوا} كذبوا موسى عليه الصلاة والسلام واتخذوا العجل إلهاً وكذلك كذبوا أخاه هارون وكذبوا سليمان عليه الصلاة والسلام واتهموه بالسحر والكذب {وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ} وقد قتلوا زكريا عليه الصلاة والسلام واتهموا بالزنا مريم عليها السلام وأنجبت منه عيسى عليه الصلاة والسلام وأرادوا قتل عيسى عليه الصلاة والسلام ولكن رفعه الله حياً إلى السماء ونجاه منهم {وَحَسِبُوا} وظنوا واعتقدوا {أَلَّا تَكُونُ} لا تكون بعد ذلك {فِتْنَةً} مصيبة وعذاب لهم بعد قتلهم وتكذيبهم لأنبيائهم ورسولهم

{فَعَمُوا} عن الحق والهدى واتباع رسلهم وعبادة الله وحده {وَصَمُّوا} وصموا وطرشوا عن اتباع الحق والعدل والصواب وسماع الهدى والنصيحة من رسلهم وأنبيائهم وعبدوا العجل {ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} ثم بعد عبادة العجل تاب الله عليهم {ثُمَّ عَمُوا} عموا عن رؤية الحق وعن الطريق المستقيم وهو اتباع رسلهم وأنبيائهم {وَصَمُّوا} وصموا آذانهم عن سماع الحق والهدى {كَثِيرٌ مِنْهُمْ} عدد كثير من اليهود وكانت فتنة فرعون لهم فعذبهم وقتل أطفالهم الذكور واستحى نساءهم واستذلهم ثم تاب عليهم بعد أن أمرهم بتقتيل أنفسهم لأنهم عبدوا العجل {وَاللَّهُ بِصِيرِبِمَا يَعْمَلُونَ} مطلع ويشاهد ويعلم ويرى أعمال بني آدم عامة وبني إسرائيل خاصة.

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ ۖ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۗ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۗ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ۗ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۗ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۗ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ۗ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفِكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

{لَقَدْ كَفَرَ} أصبح في حكم الكفار الذين مصيرهم إلى نار جهنم {الَّذِينَ قَالُوا} الذين قالوا واعتقدوا {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى الذي خلق السموات والأرض

وجميع الخلق {هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} هو عيسى ابن مريم عليهما السلام وسُمي المسيح لأنه إذا مسح بيده الشريفة على المريض يشفى ويبرأ ومنها الأعمى والأبرص {وَقَالَ الْمَسِيحُ} وقال عيسى ابن مريم وهو من يُطَلَقُ عليه المسيح وأتباعه مسيحيون وليس إلهاً كما يدعي النصارى {يَلْبَنِي إِسْرَائِيلَ} يا أبناء إسرائيل وهو يعقوب عليه الصلاة والسلام لأنه أرسل لبني إسرائيل وهم اليهود كما قال تعالى: "وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ" ٦ الصف. {أَعْبُدُوا اللَّهَ} اعبدوا الله وحده حق عبادته {رَبِّي وَرَبِّكُمْ} خالقي وخالقكم {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ} إنه من يجعل مع الله غيره وشريكاً له في ملكه {فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ} أي لم يدخل الجنة أبداً فهي عليه حرام وممنوع من دخولها قطعياً ونهائياً {وَمَا أَوْلَاهُ النَّارُ} ومصيره إلى نار جهنم يخلد فيها وكما قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا" ٤٨ النساء. {وَمَا لِلظَّالِمِينَ} وما للمشركين وهم الظالمون أنفسهم {مِنْ أَنْصَارٍ} من مناصرين ومنقذين ولا مساعدين على الخلاص لهم من نار جهنم {لَقَدْ كَفَرَ} لقد أصبح في حكم الكفار ومصيره إلى جهنم كما قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا تَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلًا لَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا" ٥٦ النساء. {الَّذِينَ قَالُوا} الذين قالوا واعتقدوا {إِنَّ اللَّهَ} إن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ} أي الله إله وعيسى إله وأمه مريم إله وهذا قول النصارى وهم المسيحيون {وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ} وأنه لا يوجد إله إلا

الله تعالى إله واحد { وَإِنْ لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ } وإن لم يمتنعوا عن هذا التخريص والكذب بأن الله ثالث ثلاثة { لَيَمَسَّنَّ } ليصيبن { الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ } وهم من كفر منهم أي من النصارى { عَذَابٌ أَلِيمٌ } عذاب أليم وقوي وشديد موجع { أَفَلَا } ألا { يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ } يرجعون ويندمون { وَبَسْتَغْفِرُونَ } لذنوبهم أي يستغفرون الله تعالى ويتوبون عن ذنوبهم وكفرهم { وَاللَّهُ غَفُورٌ } والله يغفر لمن تاب ورجع وندم عن ذنبه { رَحِيمٌ } رحيم به ويرحمه ويدخله الجنة يوم القيامة { مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ } ما عيسى ابن مريم وهو المسيح الذي يمسخ على المريض فيشفيه { إِلَّا رَسُولٌ } إلا نبي الله ورسوله { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } انتهت فترة الرسل وزمانهم من قبله لأن كل رسول له عمر وأجل معين ومدة من الزمان فإذا انتهت أرسل الله تعالى بدلاً منه رسولاً آخر لأمة أخرى في زمان آخر كما قال تعالى: " كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِنَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ " ٣٠ الرعد. { وَأُمَةٌ صِدِّيقَةٌ } وأمه صادقة في العبادة لله وحده لا شريك له { كَانَا } عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه مريم ابنة عمران { يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ } أي بشر يأكلان ويشربان ويتغوطان والإله لا يأكل ولا يشرب ولا يتغوط { أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ } انظر يا محمد يا رسول الله كيف نبين ونضرب الأمثال لهؤلاء { الْآيَاتِ } الحجج والبراهين لهؤلاء { ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِي } يُؤَفِّكُونَ } ثم انظر متى ينصرفون عن كفرهم وقولهم عيسى ابن الله أو ثالث ثلاثة أو هو الله.

﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للناس عامة ولأهل الكتاب من اليهود والنصارى خاصة {أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} أتؤدون العبادات لغير الله تعالى وتعبدون غيره {مَا لَا يَمْلِكُ} ولا يملك ولا يستطيع أن يعمل {لَكُمْ ضَرًّا} لكم شراً ولا أذى {وَلَا نَفْعًا} ولا فائدةً ولا ومنفعةً ولا ينفع نفسه هو لأنه حجر كالأوثان والأصنام لا تنفع ولا تضر لأنها جمادات {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {هُوَ السَّمِيعُ} هو السميع لدعاء خلقه ويجيب المضطر إذا دعاه ويجيب المهوف وذا الحاجة إذا دعاه بقلب سليم ومخلص وموقن بالإجابة {الْعَلِيمُ} العليم يعلم بالسر وأخفى ويعلم ما تريدون وما تطلبون ويعلم ما في السموات وما في الأرض. وغيره من الأصنام والأوثان لا يسمع ولا يعلم وإذا سمع لا يعلم وإذا علم لا يجيب لأنه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فكيف ينفع غيره ممن هم على شاكلته {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ} أيها اليهود والنصارى يا أصحاب التوراة والإنجيل {لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} لا تغالوا ولا تزايدوا ولا تتعصبوا ولا تتشددوا ولا تتجاوزوا في دينكم اليهودية والنصرانية {غَيْرَ الْحَقِّ} إلى غير الحق والباطل من أنه لا دين إلا دينكم ودين الإسلام غير الحق وأن العزيز هو ابن الله وأن عيسى كذلك هو ابن الله أو ثالث ثلاثة أو هو الله وهذا باطل وغير الحق وغير الصواب {وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ} ولا تتبعوا رغبات وشهوات

{قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا} وهم الأحرار والقسيسون الذين غيروا وبدلوا في التوراة والإنجيل على أهوائهم ورغباتهم وإشباعاً لشهواتهم وملذاتهم ومصالحهم {مِنْ قَبْلُ} وهم من سبقوكم وغيروا وبدلوا وحرفوا في التوراة والإنجيل {وَأَضَلُّوا كَثِيرًا} وأضلوا غيركم كثيراً ممن صدقهم ووافقهم وتبعهم {وَضَلُّوا} وضلوا وغواهم أنفسهم {عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} وانحرفوا عن الطريق المستقيم والواضح والسليم لأنهم اتبعوا شهواتهم وأهواءهم ورغباتهم وملذاتهم.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾

{لُعِنَ} شتم وسب {الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ} الذين جحدوا وكذبوا بالرسول وكتبهم من اليهود وهم بنو إسرائيل أي أولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام وذريته واسمه في لغتهم إسرائيل أي عبد الله {عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ} بلسان داود عليه الصلاة والسلام {وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} وبلسان عيسى عليه السلام ابن مريم ابنة عمران عليها السلام {ذَلِكَ} وذلك {بِمَا عَصَوْا} بما عصوا وخالفوا وكذبوا زبور داود وهو الكتاب المنزل من عند الله تعالى عليه وبكتاب الإنجيل المنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام {وَوَكَانُوا يَعْتَدُونَ} أي يعتدون على حدود الله تعالى

وعلى شرعه وكذلك يعتدون على الأنبياء بقتلهم ومخالفتهم {كَانُوا} اليهود كانوا في الماضي في عهد رسلكم {لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ} لا يمتنعون ولا ينتهون إذا اتعظوا من غيرهم ولا يقبلون النصيحة من علمائهم وأخبارهم وعبادهم ورسلكم {فَعَلُوهُ} عملوه وارتكبوه {لَبِئْسَ} لساء وقبح {مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} ما كانوا يصنعون من المعاصي والذنوب والكفر ومخالفة الرسل ويرفضون النصيحة. وكما قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا يزيد حدثنا شريك بن عبد الله عن علي بن بزيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسهم في مجالسهم) - قال يزيد: وأحسبه قال: (في أسواقهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم " ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ") وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس فقال: (لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا). [ابن كثير ج ٢ ص ٨٢ ، ٨٣].

{تَرَى} تشاهد وتنظر بعينك يا محمد يا رسول الله {كَثِيرًا مِّنْهُمْ} عدداً كثيراً من اليهود ومن النصارى {يَتَوَلَّوْنَ} يوالونهم ويصادقونهم ويتحالفون معهم {الَّذِينَ كَفَرُوا} وهم كفار قريش {لَبِئْسَ} لقبح وساء {مَا قَدَّمَتْ هُمْ أَنفُسَهُمْ} ما دلتهم عليه أنفسهم من مصاحبة ومصادقة الكفار من دون المؤمنين بالله وهم المسلمون {أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} وأن الله تعالى بذلك قد سخط وغضب عليهم {وَفِي الْعَذَابِ هُمْ} ويوم القيامة هؤلاء الكفار من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ممن اتخذ الكفار أحاب من دون المسلمين والمؤمنين هم في نار جهنم وعذابها {خَالِدُونَ} مخلدون {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ} ولو كان اليهود والنصارى يؤمنون

ويصدقون {بِاللَّهِ} بالله تعالى رباً {وَالنَّبِيِّ} والنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً {وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ} والقرآن الكريم الذي أنزل إليه إماماً وهادياً ودليلاً {مَا آتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ} ما اتخذ اليهود والنصارى كفار قريش أولياء وأحباب من دون المسلمين {وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ} ولكن عدداً كثيراً من اليهود والنصارى {فَاسِقُونَ} عاصون ومذنبون وخارجون عن طاعة الله تعالى.

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾

{لَتَجِدَنَّ} لسوف ترى حقيقة وبالتجربة وعلى الواقع يا محمد يا رسول الله وأنت كذلك أيها المؤمن {أَشَدَّ} أعظم وأكبر وأكثر وأقوى {النَّاسِ عَدَاوَةً} أكثرهم عداوة وحقداً وحسداً وكرهاً وبغضاً {لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} للمؤمنين وهم من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر {الْيَهُودَ} هم اليهود وهم بنو إسرائيل وهم ذرية يعقوب عليه السلام ابن إسحاق ابن إبراهيم عليه السلام ويعقوب عليه السلام في لغتهم اسمه اسرائيل أي عبد الله ومعناها [إسرا] أي (عبد) ومعنى [إيل] أي

(الله) أي عبد الله وهذا في لغتهم. قال الحافظ أبو بكر بن مردويه: حدثنا أحمد ابن محمد بن السرى حدثنا محمد بن علي بن حبيب الرقي حدثنا علي بن سعيد العلاف حدثنا أبو النضر عن الأشجعي عن سفيان عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما خلا يهودي بمسلم قط إلا هم بقتله). وفي رواية: (ما خلا يهودي بمسلم إلا حدث نفسه بقتله). [ابن كثير ج ٢ ص ٨٥]. وقصص اليهود كثيرة منها: أن زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم أهدت شاة مشوية مسمومة للرسول عليه الصلاة والسلام وأكثر السم في الذراع لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يحبه فلاكه فقال: (إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم). وأكل معه بشر بن البراء بن معرور فمات في الحال وهي من يهود خيبر. فاعترفت فقال لها: (ما حملك على ذلك؟) قالت: بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت إن كان ملكاً استرحت منه وإن كان نبياً فسيخبر. [ابن هشام ج ٣ ص ٣٥٣]. وبني النضير حينما ذهب صلى الله عليه وسلم ليستعينهم في دفع دية رجلين فأرادوا إلقاء صخرة عليه وهو جالس إلى جنب جدار من بيوتهم فأخبره الله تعالى فأجلاهم عن المدينة ومنهم خرج إلى خيبر ومنهم سار إلى الشام. [ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٠]. وأنزلت فيهم سورة الحشر كلها. ويهود بني قريظة نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب ونقضوا عهدهم وانضموا إلى قريش ولما رجع أهل قريش مهزومين بالريح أمر الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين قائلاً: (لا يصلين أحدٌ منكم العصر إلا في بني قريظة) وحاصرهم صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة وبعدها نزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس وقال رضي الله عنه: إني احكم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وأموالهم. فقال صلى الله عليه وسلم: (لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة). ثم

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأخاديد فحُدَّت في الأرض وجثى بهم مكتفين
فضرب أعناقهم وكانوا ما بين السبعمائة إلى الثمانمائة وسبى من لم ينبت منهم مع
النساء وأموالهم. [ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٨]. وأما يهود بني قينقاع فقد قدمت امرأة
إلى سوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ بها فجعلوا يريدونها على كشف وجهها
فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سواتها
فضحكوا بها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود
على المسلم فقتلوه فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة حتى
نزلوا على حكمه. {وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} وهم المشركون أهل قريش لأنهم عبدوا
الأوثان والأصنام وجعلوها آلهة {وَلَتَجِدَنَّ} وسوف تجد {أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً}
أقربهم من يوادد المسلمين {لِلَّذِينَ ءَامَنُوا} للمسلمين وللمؤمنين {الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا
نَصْرَى} أي أقربهم مودة للمؤمنين هم النصارى والمسيحيون وهم النجاشي ملك
الحبشة وقومه {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ} أي من النصارى علماء {وَرُهْبَانًا}
أي عباداً {وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} وهم متواضعون ولا يتكبرون {وَإِذَا سَمِعُوا مَا
أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ} وإذا سمعوا القرآن الذي قرأه جعفر بن أبي طالب {تَرَى
أَعْيُنُهُمْ} وهم النجاشي وقومه {تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ} ترى أعينهم تبكي ويسيل
دمعها {مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ} بما عرفوا من الحق وهو القرآن الكريم وأنه الحق من
عند الله تعالى {يَقُولُونَ} يقول النجاشي وقومه {رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا} ربنا وإلهنا
آمنا وصدقنا بك وبرسولك محمد صلى الله عليه وسلم فاكتبنا {مَعَ الشَّاهِدِينَ} مع
الشاهدين على أن دين الإسلام دين الحق ونحن نشهد على ذلك {وَمَا لَنَا} ولماذا
{لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ} لا نصدق ونعتقد بالله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه

{وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ} وما جاء إلينا في الإنجيل من صفة سيدنا محمد واسمه بأنه نبي ورسول آخر الزمان وكذلك ما جاءنا من القرآن الحق والصدق {وَنَطْمَعُ} ونأمل {أَنْ يُدْخِلَنَا} أن يجعلنا {مَرَبُّنَا} الله تعالى ورب الكون كله {مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ} مع المسلمين الذين صلحوا وصلحت عقيدتهم وأعمالهم وطاعتهم لله تعالى {فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ} فكافأهم الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِمَا قَالُوا} بما قالوا كلمة الإيمان بالله تعالى والتصديق به {جَنَّتٍ} إحدى الجنان في الجنة يوم القيامة: دار الجلال ودار السلام وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة الفردوس وجنة عدن ودار القرار ويدخل المسلم إحدى تلك الجنات على قدر منزلته وعمله {تَجْرِي} تسير {مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} من تحت قصورها وأشجارها وبين أشجارها الأنهار {خَالِدِينَ فِيهَا} دائمين فيها أي في الجنة {وَذَلِكَ جَزَاءُ} وذلك ثواب {الْمُحْسِنِينَ} المحسنين دينهم والمحسنين إيمانهم وعقيدتهم والمحسنين أعمالهم وطاعتهم لله وحده {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} والكفار وهم المنكرون والجاحدون والمكذبون بالله ورسله {وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} كذبوا بالقرآن الكريم {أُولَئِكَ} هؤلاء {أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} أهل نار جهنم وجحيمها وعذابها.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ ءُمُومُونَ ﴿٨٨﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تُحَرِّمُوا} لا تجعلوها عليكم حراماً {طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ} الأشياء الطيبة والحلال لا تحرموها على أنفسكم وهذه الآية نزلت في ناس من الصحابة استقلوا عبادتهم بالنسبة إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فاجتمع نفر منهم أما أحدهم فحرم على نفسه النساء والآخر قال سأقوم الليل كله والآخر قال سأصوم الدهر كله. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر فقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لا أتزوج النساء وقال بعضهم لا أنام على فراش. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا لكني أصوم وأفطر وأنام وأقوم وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سننّي فليس مني). [ابن كثير ج ٢ ص ٨٧]. {وَلَا تَعْتَدُوا} ولا تعتدوا على المحرمات ولا تنتهكوها ولا تتعدوا حدود الله ولا تقربوا المحرمات والمعاصي والذنوب والاعتداء على حدود الله بالزنا والاعتداء على الأعراض وأكل المحرمات كشرب الخمر ولحم الخنزير وأكل الربا والرشوة ومال اليتيم والسلب والنهب والسرقة وغيرها من المحرمات {إِنَّ} للتأكيد {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لَا تُحِبُّ} يكره ويبغض ومن يبغضه الله تعالى يعذب {الْمُعْتَدِينَ} وهم المتسلطون والظالم والمتجبرون والمعتدون على الأعراض والممتلكات وعلى الأموال وعلى الناس

وعلى الحقوق ظلماً وعدواناً وعلى حقوق الغير والمعتدون على حدود الله تعالى وشرعه والاعتداء على أنفسهم بحرمانها من متعة الحياة الدنيا الحلال بعدم الزواج أو تعذيب نفسه وتحميلها ما لا تطيق فهو كالمنتحر ببطء {وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا} كلوا من الحلال مما قسمه الله تعالى لكم {طَيِّبًا} ما طاب أكله وحلا مذاقه ولذ طعمه وما اشتتهه أنفسكم من الحلال {وَاتَّقُوا اللَّهَ} خافوه واخشوه وأطيعوه في أوامره واجتنبوا نواهيه واعبدوه حق عبادته وطاعته {الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ} الذي أنتم به موقنون ومصدقون ومعتقدون وواثقون وعابدون.

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ ط فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ط فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

{لَا يُؤَاخِذُكُمُ} لا يحاسبكم ولا تقع عليكم العقوبة والعذاب {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِاللَّغْوِ} ما يلفظ به سهواً بدون قصد ولا نية أي ناسياً بدون تعمد {فِي أَيْمَانِكُمْ} في حلفكم وقسمكم {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ} ولكن يحاسبكم ويُجري عليكم العقوبة والعذاب {بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ} بما أكدتم وغلظتم ووثقتهم وأصررتهم عليه من حلف الأيمان وتعمدتم الحلف والقسم بالأيمان المؤكدة {فَكَفَرْتُمْ} تصليح خطئه والعتو عنه والتجاوز عن ذنبه وعقوبته يوم القيامة هو {إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ} أن يطعم الذي وقع عليه اليمين عشرة فقراء وجبتين مشبعتين {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ} من أوسط الطعام الذي يأكله

الحالف وأهل بيته. قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن الثقفى حدثنا عبيد بن الحسن بن يوسف حدثنا محمد بن معاوية حدثنا زياد ابن عبد الله بن الطفيل بن سخبرة بن أخي عائشة لأمه حدثنا عمر بن يعلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كَفَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ وَأَمَرَ النَّاسَ بِهِ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَنِصْفَ صَاعٍ مِنْ بُرٍّ. [ابن كثير ج ٢ ص ٨٩]. {أَوْ كَسَوْتُهُمْ} أي كل واحد رداء من العشرة مساكين هذا من لم يستطع الإطعام {أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} أو إعتاق أحد من الرقيق رجلاً أو امرأة مسلمة {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ} فمن لم يجد أي من لم يستطع الإطعام أو الكسوة للمساكين أو الفقراء العشرة ولم يجد ولم يستطع تحرير رقبة مسلمة {فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ} فعليه صيام ثلاثة أيام متتالية كما قال مجاهد والشعبي وأبو إسحاق عن عبد الله ابن مسعود وقال إبراهيم في قراءة أصحاب عبد الله بن مسعود: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) وقال الأعمش كان أصحاب ابن مسعود يقرؤونها كذلك. [ابن كثير ج ٢ ص ٩١]. وهذا مذهب أبو حنيفة وابن حنبل والشافعي الجديد. وقال أبو بكر ابن مردويه: حدثنا محمد بن علي حدثنا محمد بن جعفر الأشعري حدثنا الهيثم ابن خالد القرشي حدثنا يزيد بن قيس عن إسماعيل بن يحيى عن ابن جريج عن ابن عباس قال: لما نزلت آية الكفارات قال حذيفة: يا رسول الله نحن بالخيار؟ قال: (وأنت بالخيار إن شئت أعتقت وإن شئت كسوت وإن شئت أطعمت فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات). [ابن كثير ج ٢ ص ٩١]. {ذَلِكَ} هذا أو ذاك {كَفَرَةٌ} أَيَّمَانِكُمْ} التجاوز والعفو عن أيمانكم والحلف بها إذا وقعت عليكم {إِذَا حَلَفْتُمْ} إذا أقسمتم ووقع عليكم اليمين أو الحلف {وَأَحْفَظُوا أَيَّمَانِكُمْ} لا تحلفوا ولا

تقسموا في كل صغيرة وكبيرة على الفارغ والمالآن {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ} كذلك يوضح {اللَّهُ} الله تعالى {لَكُمْ} أيها المسلمون {ءَايَاتِهِ} حكم آياته وشرعه {لَعَلَّكُمْ} تَشْكُرُونَ} لتشكروا الله تعالى على هذه الرخصة والكفارة لذنب القسم عند حلفانه وأردتم أن تتحللوا منه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۗ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا ءَالْبَلِغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِنَّمَا الْخَمْرُ} كل ما خامر العقل وأسكره وهو كل ما أفقد العقل حواسه والسيطرة والتمييز وأفقدته الوعي. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل مسكر خمر وكل مسكر حرام). [أخرجه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٣٣]. وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل مسكر خمر وكل خمر حرام). [رواه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٢٩]. قال الشافعي رحمه الله: أنبأنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة). [أخرجه البخاري ومسلم من حديث مالك به - ابن كثير ج ٢ ص ٩٦]. وقال الإمام أحمد: حدثنا

داود بن مهران الدباج حدثنا داود يعني العطار عن أبي خيثم عن شهر ابن حَوْشَب عن أسماء بنت يزيد أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (من شرب الخمر لم يَرْضَ الله عنه أربعين ليلة إن مات مات كافراً وإن تاب تاب الله عليه وإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخَبَال). قال قلت يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: (صديد أهل النار). [ابن كثير ج ٢ ص ٩٧]. وعن عمر رضي الله عنه قال: نزل تحريم الخمر وهي من خمسة (من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير) والخمر ما خامر العقل. [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ٣٣ - ابن كثير ج ٢ ص ٩٢]. وقال ابن وهب: أخبرني عمر بن محمد عن عبد الله ابن يسار أنه سمع سالم بن عبد الله يقول: قال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة العاق لوالديه والمُدْمِن الخمر والمَنَّان بما أعطى). [ابن كثير ج ٢ ص ٩٦]. وقال الإمام أحمد: حدثنا خلف ابن الوليد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب أنه لما نزل تحريم الخمر قال: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً. فنزلت هذه الآية التي في البقرة: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ " ٢١٩ البقرة. فدُعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً. فنزلت الآية التي في سورة النساء: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى " ٤٣ النساء فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال حيّ على الصلاة نادى: (لا يقربن الصلاة سكران). فدُعي عمر فقرئت عليه فقال: (اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً). فنزلت الآية التي في المائدة. فدُعي عمر فقرئت عليه فلما بلغ قول الله تعالى: " فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ " ٩١ المائدة. قال عمر: انتهينا. [وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن إسرائيل عن أبي إسحاق عمر بن عبد الله

السبيعي وعن أبي ميسرة واسمه عمرو بن شُرْحَيْيل الهمداني عن عمر به. [ابن كثير ج ٢ ص ٩٢]. وقال أحمد: حدثنا حسن بن لهيعة حدثنا أبو طعمة سمعت ابن عمر يقول: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المربد فخرجت معه فكنت عن يمينه وأقبل أبو بكر فتأخرت عنه فكان عن يمينه وكنت عن يساره ثم أقبل عمر فتنحيت له فكان عن يساره فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم المربد فإذا بزقاق على المربد فيها خمر - قال ابن عمر فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة - قال ابن عمر: وما عرفت المدينة إلا يومئذ - فأمر بالزقاق فشقت ثم قال: (لعنت الخمر وشاربها وساقبها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وعاصرها ومعتصرها وآكل ثمنها). وقال أحمد: حدثنا الحكم بن نافع حدثنا أبو بكر ابن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب قال قال عبد الله بن عمر: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آتية بمدينة (وهي الشفرة) فأتيته بها فأرسل بها فأرهفت ثم أعطانيها وقال: (اغد عليّ بها). ففعلت فخرج بأصحابه إلى أسواق المدينة وفيها زقاق الخمر قد جلبت من الشام فأخذ المدينة مني فشق ما كان من تلك الزقاق بحضرته ثم أعطانيها وأمر أصحابه الذين كانوا معه أن يمشوا معي وأن يعاونوني وأمرني أن آتي الأسواق فلا أجد فيها زق خمر إلا شققته ففعلت فلم أترك في أسواقها زقاً إلا شققته. [ابن كثير ج ٢ ص ٩٤]. وحد الخمر هو أربعون جلدة ولكن عمر جعلها ثمانين. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين. وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن بن عوف: أخف الحدود ثمانون فأمر به عمر. [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ٢٨]. وثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق سارقة

حين يسرقها وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن). [ابن كثير ج ٢ ص ٩٧]. {وَالْمَيْسِرُ} هو لعب القمار والمراهنة على الأشياء. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن ليث عن عطاء ومجاهد وطاوس قال سفيان أو اثنين منهم قالوا: كل شيء من القمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز. [ابن كثير ج ٢ ص ٩١]. {وَالْأَنْصَابُ} وهي أنصاب الأوثان والأصنام وهي أحجار عند الكعبة يعبدونها ويذبحون عندها قرابينهم وعددها ثلاثمائة وستون نصباً {وَالْأَزْلَمُ} هي قدام كانوا يستقسمون بها في أمورهم عند الأصنام أي يقرعون عليها هل أفعل أم لا وهي ثلاثة أحدها مكتوب عليها أفعل والثاني لا أفعل والثالث لا شيء {رَجَسٌ} ذنب وإثم وفحش وسوء وشر وقبح وسيئة ومعصية {مَنْ عَمِلَ الشَّيْطَانَ} من خطوات الشيطان ومن أعماله القبيحة والسيئة وكلها أخطاء وذنوب ومعاصي {فَأَجْتَنِبُوهُ} فدعوه واتركوه وابتعدوا عنه فهو حرام عليكم سواء الخمر أو الميسر أو الأنصاب أو الأزام {لَعَلَّكُمْ} عسى أن {تُفْلِحُونَ} تفوزون بالجنة ونعيمها إذا ابتعدتم عن هذه المحرمات {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ} إنما الشيطان يريد ويأمل ويتمنى {أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ} أي أن يجعلكم أعداء لبعضكم البعض {وَالْبَغْضَاءُ} وبوقع الكره والبغض في نفوسكم لبعضكم البعض {فِي الْخَمْرِ} في شرب الخمر {وَالْمَيْسِرِ} وعند لعب القمار {وَيُصَدِّكُمْ} ويمنعكم ويبعدكم {عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} عن الذكر والتسبيح وتلاوة القرآن {وَعَنِ الصَّلَاةِ} ويلهيكم عن أداء الصلاة في وقتها {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} فهل بعد كل هذا التوضيح والبيان أنتم أيها المسلمون منتهون ومتوقفون ومبتعدون عن هذه الأعمال الشريرة والحرام وهذه هي آية التحريم النهائية للخمر

كما قال عمر بن الخطاب سابقاً: انتهينا. {وَأَطِيعُوا اللَّهَ} أطيعوا أيها المسلمون الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه في أوامره واجتناب نواهيه {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} وأطيعوا رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في سننه وما يأمركم به {وَأَحْذَرُوا} وإياكم والمخالفة والمعصية {فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ} فإن أعرضتم ورفضتم الامتثال والطاعة لله ولرسوله {فَاعَلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} فاعلموا أنه ليس على الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلا تبليغ الرسالة فقط لكم تبليغاً واضحاً فمن صدق وأطاع له الجنة ومن عصى وأعرض وكذب فله النار وعذابها يوم القيامة {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا} ليس على المؤمنين {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحة في مرضاة الله تعالى {جُنَاحٌ} ذنب {فِيمَا طَعِمُوا} ما أكلوه قبل موتهم وقبل نزول هذا التحريم {إِذَا مَا اتَّقَوْا} إذا كانوا أتقياء ورعون {وَوَءَامَنُوا} وصدقوا {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} وعملوا الأعمال الصالحة والطيبة في مرضاة الله تعالى {ثُمَّ اتَّقَوْا} ثم بعد ذلك كانوا متقين عابدين طائعين لله تعالى {وَوَءَامَنُوا} وآمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {ثُمَّ اتَّقَوْا} ثم خافوا الله تعالى وأطاعوه {وَأَحْسَنُوا} وأحسنوا طاعتهم لله تعالى وجودوها وحسنوها {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {سُحْبٌ} يحبهم {الْمُحْسِنِينَ} المحسنين أعمالهم وطاعتهم وعبادتهم لله وحده.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن تَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٦١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ تَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدِيًّا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةً طَعَامٌ مَّسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّذُوقِ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ ﴿٦٢﴾ أَجَلٌ لَّكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ} ليمتحننكم ويختبركم الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ} بأي نوع من الصيد سواء كانت طيراً أو حيوانات مثل الأرانب والغزلان والنعامة وغيرها {تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ} تستطيعون صيده وإمساكه بأيديكم من صغارها أو وهي نائمة أو مصابة أو انحجزت في مكان ضيق لا تستطيع الخلاص منه أو وقعت في شباك الصيد {وَرِمَاحُكُمْ} وما تصطادونه بالرمح والسهام والبنادق وخلافه {لِيَعْلَمَ اللَّهُ} ليرى الله تعالى ويعلم وهو علام الغيوب {مَن تَخَافُهُ بِالْغَيْبِ} من يخشاه في خلوته وفي سره وعلنه ويعلم أن الله تعالى يراه وكما جاء في الحديث عن الإحسان: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وهذه حتى يعلم العبد أن الله تعالى يراه ويراقبه في جميع أعماله وأفعاله في علنه وسره وخلوته في ليله ونهاره {فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ} فمن خالف واعتدى على الصيد وصاده بعد نزول هذا الحكم وهذا الشرع وهذا الهدى

{فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} فسيعذبه الله تعالى في نار جهنم عذاب أليم وشديد وقاس وموجع {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ} لا تقتلوا ولا تصطادوا أي نوع من الصيد سواء من الطيور أو الحيوانات كالأرنب والغزال والنعامة وغيرها {وَأَنْتُمْ حُرْمٌ} وأنتم في ملابس الإحرام وفي الأشهر الحرم وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب سواء في الحج أو في العمرة {وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا} ومن قتل ذلك الصيد عمداً منكم أيها المؤمنون وبيا أيها المسلمون ما عدا الحيوانات الأليفة فهي ليست بصيد كالشاه والماعز والبقر والإبل {فَجَزَاءٌ} فعقابه {مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ} أي عليه فداء مثل ما صاد من هذه النعم التي أنعم الله بها على الإنسان {تَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ} ويحكم عليه بذلك عدلان أي رجلان مسلمان صالحان عالمان بحكم الشرع وهي من قتل أو صاد ظبياً أو غزالاً أو نحوها فعليه شاة تذبح في مكة ومن قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الإبل ومن قتل حمامة فعليه أرنب {هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ} أي يهدي الذبح ويذبح في مكة عند الحرم {أَوْ كَفَرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ} وكفارة ذلك الصيد إن لم يجد أو لم يستطع شراء مقابلها فعليه إطعام الفقراء أي من لم يجد الشاة فعليه إطعام ستة مساكين ومن كان عليه كفارة بقرة فإن لم يجد ولا يستطيعها فعليه إطعام عشرين مسكيناً ومن كان عليه فداء بدنة من الإبل فإن لم يجد أو لم يستطع شراءها وهديتها فعليه إطعام ثلاثين مسكيناً وهو عند الإمام أبو حنيفة مدين وعند الشافعي ، والمقصود في الإطعام هو الإشباع وجبتين لكل مسكين {أَوْ عَدْلٌ ذَلِكِ صَيَّامًا} أو مقابل ذلك إذا لم يجد ولم يستطعه فعليه صوم عن كل مسكين يوماً. وملخصها فإذا قتل المحرم للحج شيئاً من الصيد فإن قتل ظبياً أو

نحوه فعليه شاة تذبح بمكة في منى فإن لم يجد فإطعام ستة مساكين فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فإن قتل أياً أو نحوه فعليه بقرة فإن لم يجدها أطعم عشرين مسكيناً أي فقيراً عند الحرم فإن لم يجد صام عشرين يوماً ، وإن قتل نعامة أو حمار وحش أو نحوه فعليه بدنة من الإبل فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكيناً أو فقيراً فإن لم يجد صام ثلاثين يوماً. [رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزادوا الطعام مدّ مدّ يشبعهم - ابن كثير ج ٢ ص ١٠٠]. {لَيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ} ليعذب على فعله وليذوق عاقبة عمله وكما قال تعالى: " وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ " {عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ} عفا وتجاوز الله تعالى عما مضى وعما سبق قبل هذا التشريع وقبل نزول هذه الآية الكريمة {وَمَنْ عَادَ} ومن عاد ورجع وصاد وهو محرم بالحج بعد نزول هذه الآية الكريمة وهذا التشريع الحكيم {فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ} فسيقتص الله تعالى منه ويحاسبه على ذنبه هذا وسيعذبه بما ارتكب واقتترف وخالف وعصى أمره سبحانه وتعالى في الدنيا وفي الآخرة {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {عَزِيزٌ} عزيز الجانب قوي في حكمه وملكه وسلطانه {ذُو أَنْتِقَامٍ} ذو عذاب شديد وذو حساب وعقاب وعذاب لمن خالف وعصى وأذنب {أُحِلَّ لَكُمْ} حلال لكم {صَيْدُ الْبَحْرِ} كل ما تصطادونه من البحر من أسماك {وَوَطَعَامُهُ} أكله طازجاً أو مجففاً أو مملحاً [فسيخ] {مَتَعًا لَكُمْ} فهو متعة وأكلة طيبة لكم أيها المسلمون المقيمون منكم {وَاللِّسْيَارَةِ} وللمسافرين إذا جُفِفَ وملح وأصبح فسيخاً وفي الحديث: (أحل لنا ميتتان ودمان: السمك والجراد والكبد والطحال). [أخرجه أحمد والدارقطني مرفوعاً من حديث ابن عمر - سبل السلام ج ٤ ص ٧٦]. وروى الإمام أبو عبد الله الشافعي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحلت لنا ميتتان ودمان. فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال). [ورواه أحمد وابن ماجه والدارقطني والبيهقي - ابن كثير ج ٢ ص ١٠٣]. {وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ} حرم عليكم أيها المسلمون المحرمون بالحج {صَيْدُ الْبَرِّ} جميع الصيد في البر {مَا دُمِّمَ حُرْمًا} ما دتمتم في ملابس الإحرام {وَاتَّقُوا اللَّهَ} خافوا الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه واخشوه وأطيعوه في أوامره واجتنبوا نواهيه وعبدوه حق عبادته وطاعته {الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} الذي إليه يوم القيامة ترجعون في المحشر جميعاً للحساب والجزاء والثواب والعقاب.

﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَيْدَ ۚ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

{جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ} جعل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الكعبة المشرفة وهي قبلة المسلمين في جميع العالم الإسلامي وفيها الحجر الأسود الذي يشهد لمن وافاه يوم القيامة بالإيمان جعلها الله تعالى داخل البيت الحرام في مكة أي جعلهما واحداً من قال الكعبة أي البيت الحرام ومن قال البيت الحرام أي بما فيه الكعبة {قِيَمًا لِلنَّاسِ} أي يتعبدون فيهما فيطاف بالكعبة سبعة أشواط للعمرة والثلاثة الأولى يرمل فيها ويضع أي يجعل الرداء تحت إبطه

الأيمن وعلى إبطه الأيسر وكتفه وظهره ويصلي ركعتين في مقام إبراهيم والركعة في البيت الحرام بمائة ألف ركعة في غيرها {وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ} والمقصود بالشهر الحرام ذو الحجة شهر الحج {وَأَهْدَى} كل ما يهدى إلى الكعبة من النعم وذبحه يكون في منى والذبح يكون للقارن وللمتمتع {وَأَلْقَلْتِدَ} وكل ما قلد من النعم لإهدائه إلى الكعبة في الحج {ذَلِكَ} وذاك {لِتَعْلَمُوا} لتعرفوا وتعلموا علم اليقين {أَنَّ اللَّهَ} أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَعْلَمُ} يعلم علم الحقيقة والمعرفة والرؤية والمشاهدة ويدري ويعرف {مَا فِي السَّمَوَاتِ} ما في السموات السبع من الملائكة وعملها وما بينهما {وَمَا فِي الْأَرْضِ} وكل ما في الأرض من مخلوقات ونباتات وأشجار وطيور وحيوانات وحشرات وبراري وقفار وجبال وواديان وسهول وبحار وأنهار وأمطار وعدد ورق الشجر وعدد ذرات الرمال والمطر وعدد نجوم السماء وكل حصا وحجر {وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} وأن الله تعالى بكل ما في الكون من شيء فهو به عليم ويعرفه ويدري به ويعلمه وهو يعلم النملة السمراء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ويعلم عدد الحيتان في البحار وعدد مكيال الأمطار ويعلم بالعبادات كلها ومن يعبده ممن لا يعبده ومن يطيعه ممن لا يطيعه {أَعْلَمُوا} اعرفوا وتأكدوا {أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} أن الله تعالى شديد وقوي وعظيم العقاب والعذاب لمن عصى وكفر وأذنب {وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} وأن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه غفور لمن تاب وندم ورجع ورحيم به ويدخله الجنة يوم القيامة {مَا عَلَى الرَّسُولِ} ليس على الرسول والنبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {إِلَّا الْبَلَاغُ} إلا فقط تبليغ الدعوة للناس {وَاللَّهُ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يَعْلَمُ} يعلم ويعرف ويدري

{ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ } ما تعلنون وما تخفون وما تعلنون وما تسرون في أنفسكم من خير أو شر أو من طاعة أو من معصية { قُلْ } قل يا محمد يا رسول الله للناس { لَا يَسْتَوِي } لا يتساوى في الأجر والثواب والعقاب والعذاب { الْحَبِيثُ وَالطَّيِّبُ } الحرام والحلال والحسن والقبيح والثواب والعقاب { وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْحَبِيثِ } ولو أعجبك وأسعدك كثرة الخبيث والحرام سواء جلبته من الربا أو الرشوة والسرقه فلا يبارك لك فيه فهو زادك إلى النار { فَاتَّقُوا اللَّهَ } خافوه واحشوه وأطيعوه في أوامره واجتنبوا نواهيه واعبدوه حق عبادته وطاعته { يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ } يا أصحاب العقول السليمة والفهم والذكاء وكما قيل [إن اللبيب بالإشارة يفهم] { لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ } عساكم تفوزون بالجنة ونعيمها.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٢﴾

{ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا } أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر { لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ } لا تسألوا عن أشياء لا فائدة منها { إِنْ تُبَدَ لَكُمْ } إن تعرفونها وتبين وتوضح لكم { تَسْأَلُكُمْ } تغضبكم وتزعلكم وتضايقكم وقد ورد في الحديث: (أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته). [ابن كثير ج ٢ ص ١٠٦]. وفي الحديث الصحيح: (أن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها). [ابن كثير ج ٢ ص ١٠٦]. وقال ابن جرير: حدثنا الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا قيس عن أبي حصين عن أبي

صالح عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمراً وجهه حتى جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال أين أنا؟ قال: (في النار) فقام آخر فقال: من أبي؟ فقال: (أبوك حذافة) فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وبالقرآن إماماً إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك والله أعلم من آباؤنا قال فسكن غضبه ونزلت هذه الآية: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ " الآية. إسناده جيد. [ابن كثير ج ٢ ص ١٠٥]. {وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ} وإن تسألوا وتستفسروا عن الأشياء التي نزل فيها القرآن {تَبَدَّ لَكُمْ} توضح وتبين وتفسر لكم {عَفَا اللَّهُ عَنْهَا} عفا الله تعالى وتجاوز عنها وهي الأسئلة التي طرحتموها على الرسول عليه الصلاة والسلام قبل نزول القرآن بها {وَأَلَّ اللَّهُ غُفُورٌ} والله تعالى غفور يغفر الذنوب ويتجاوز عنها {حَلِيمٌ} الذي يحلم على عباده ويتجاوز ويصبر ولا يؤاخذهم على ذنوبهم فوراً بل يمهلهم لعلهم يتوبون ويندمون ويرجعون إليه وكما قال تعالى: " وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا " ٥٨ الكهف. {قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكَ} قد سألها وطلبها قوم قبلكم وهم اليهود سألو عيسى عليه السلام أن ينزل عليهم مائدة من السماء فلما نزلها كفروا بها ولم يصدقوا نبيهم عيسى عليه السلام أنه رسول الله. وكذلك سأل اليهود نبياً لهم الجهاد فلما فرض عليهم الجهاد تولوا وأعرضوا {ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ} ثم كذبوا بها وكفروا وأنكروا وجحدوا بها.

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ نَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ءَأُولَٰئِكَ هُمُ الْبَاطِلُونَ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾

{ مَا جَعَلَ اللَّهُ } لم يجعل الله تعالى ولم يشرعه ولم يرضه ولم يقله أبداً { مِنْ نَحِيرَةٍ } هي الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس فإن كان ذكراً ذبحوه فأكله الرجال دون النساء وإن كان أنثى جددوا آذانها فقالوا هذه بحيرة. ويجددون آذانها فلا تنفع امرأته ولا بناته ولا أحد من أهل بيته بصوفها ولا أوبرها ولا أشعارها ولا ألبانها فإذا ماتت اشتركوا فيها. [ابن كثير ج ٢ ص ١٠٧، ١٠٨]. { وَلَا سَائِبَةٍ } والسائبة هي الناقة إذا ولدت عشر إناث من الولد ليس بينهن ذكر سئبت فلم تركب ولم يُجرَّ وبرها، ولم يحلب لبنها إلا الضيف. ويسيبونها لآلهتهم وكذلك إذا قضيت حاجة رجل من شفاء المريض ساب من ماله ناقة أو غيرها فجعلها للطواغيت. [ابن كثير ج ٢ ص ١٠٨]. { وَلَا وَصِيلَةٍ } والوصيلة من الإبل كانت الناقة تبكر بأنثى ثم ثنت بأنثى فسموها الوصيلة ويقولون: وصلت أنثيين ليس بينهما ذكر فكانوا يجددونها لطواغيتهم. وكذلك الشاة تلد ستة أبطن فإذا ولدت السابع جدعت وقطع قرننها فيقولون قد وصلت فلا يذبحونها ولا تضرب ولا تمنع مهما وردت على حوض. [ابن كثير ج ٢ ص ١٠٨]. { وَلَا حَامٍ } وأما الحام وأما الحام، فقال العوفي عن ابن عباس قال: كان الرجل إذا لقع فحله عشراً قيل حام فاتركوه. [ابن كثير ج ٢ ص ١٠٨]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عمرو بن مجمع حدثنا إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى

الله عليه وسلم قال: (إن أول من سَيَّب السوائب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو ابن عامر وإني رأيته يجر أمعاءه في النار). [ابن كثير ج ٢ ص ١٠٧]. وقال ابن جرير: حدثنا هناد حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن إسحاق حدثني محمد ابن إبراهيم بن الحارث عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون: (يا أكثم رأيت عمرو بن لُحَيَّ بن قَمَعَةَ ابن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت رجلاً أشبهه برجل به منك ولا منك به) فقال أكثم: تخشى أن يضرني شبهه يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا إنك مؤمن وهو كافر إنه أول من غيّر دين إبراهيم وبحر البحيرة وسيب السائبة وحمى الحامي). [ابن كثير ج ٢ ص ١٠٧]. وقال أبو هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت عمرو ابن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيب السوائب). [ابن كثير ج ٢ ص ١٠٧]. وقال البخاري: حدثنا محمد ابن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرمانى حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً ورأيت عمراً يجر قصبه وهو أول من سيب السوائب). تفرد به البخاري. [ابن كثير ج ٢ ص ١٠٧]. {وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} ولكن الكفار وهم من كفر وجحد بالله وملائكته وكتبه ورسله وأنكر رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذب بها {يَفْتَرُونَ} يكذبون ويختلقون {عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ} فهم يكذبون على لسان الله تعالى ويقولون كذباً: الله أمر بها {وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} وكثير منهم لا يعقلون عاقبة كذبهم وعملهم هذا وهو عذابهم يوم القيامة في نار جهنم {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا} وإذا ما دعوا

{إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} إلى كتاب الله تعالى {وإِلَى الرَّسُولِ} وإلى النبي والرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليعلمهم الإسلام والشرع والأحكام الشرعية {قَالُوا} حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} قالوا يكفيننا من العلم والمعرفة ما علمنا عليه آباءنا ولا نتبع غير طريقة الآباء والأجداد {أُولَٰئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} يفعلون ذلك حتى لو كان آباؤهم جهلة {شَيْئًا} من الأحكام الشرعية {وَلَا يَهْتَدُونَ} ولا يعلمون الحلال من الحرام وهم ضالون وغير مهتدين للحق ولا للصواب.

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۗ إِلَى اللَّهِ

مَرْجِعُكُمْ ۗ جَمِيعًا ۖ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

{يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ} على كل واحد أن يهدي نفسه ويحثها على طاعة الله وعبادته وحده {لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} لا يلحقكم ضرر أيها الناس إذا اهتديتم وضل الناس فلا تحاسبوا على ذنوبهم كما قال تعالى: " مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا " ١٥ الإسراء. وفي الصحيح من طريق الأعمش عن إسماعيل ابن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد وعن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان). [رواه مسلم - ابن كثير ج ٢ ص ٨٣]. وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شريك عن أبي إسحاق عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي هم أعز

منه وأمنع ولم يغيروا إلا أصابهم الله منه بعداب). [ابن كثير ج ٢ ص ٧٤]. وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا عتبة بن أبي حليم حدثنا عمرو بن حارثة اللخمي عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ قال: آية آية؟ قلت: قول الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ " قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً - سألتُ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متَّبِعاً ودنياً مؤثِّرةً وإعجابَ كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فإن من ورائكم أياماً الصابر فيهن مثل القابض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون كعملكم) قال عبد الله بن المبارك: وزاد غير عتبة: قيل يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: (بل أجر خمسين منكم). [ابن كثير ج ٢ ص ١٠٩]. {إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ} إلى الله تعالى مصيركم ونهايتكم وإليه يوم القيامة ترجعون {جَمِيعًا} جميع الخلق والبشر {فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من خير أو شر أو من طاعة أو معصية.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتُمْ مُصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١٦﴾ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخِرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتَيْهِمَا وَمَا أَعْتَدَيْنَا إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْههَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٨﴾﴾

{يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا} أيها المؤمنون يا من آمنتم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ} الشهادة تكون فيما بينكم وبعضكم البعض {إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ} إذا قرب الأجل وظهرت علاماته وفقد الأمل في الحياة {حِينَ الْوَصِيَّةِ} حين سماع الوصية وما يريد الذي قرب أجله أن يوصي به يجب أن يكون أمام {اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ} أمام اثنين من أهل العدل والصلاح والتقوى ويوصي بما أراد وخاصة إن كان معه مال {مِّنْكُمْ} من أقاربه أو جماعته {أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ} أو اثنين غرباء عن القبيلة والأهل ولكنهم من المسلمين لأنه لا يعقل أن يسافر مسلم منفرداً مع يهودي أو نصراني {إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ} إن سافرتم طلباً للرزق أو التجارة أو للحج أو أي سفر {فَأَصَبْتُمْ مُصِيبَةَ الْمَوْتِ} وهذه الآية تدل على أن الموت مصيبة فعلاً وهو أشد المصائب وما دونه يهون وإن أصابكم الموت بمصيبته {تَحْبِسُونَهُمَا} تحجزونهما أي الشاهدين

{ مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ } من بعد أداء فريضة الصلاة أياً كانت الصلاة ولكن الحلف بعد صلاة العصر يكون أشد لأنه تحضره ملائكة الليل وملائكة النهار حتى يتبادلان ويتعاقبان في الناس { فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ } فيحلفان بالله تعالى { إِنْ أَرْتَبْتُمْ } إن شككتم فيهما فاطلبوا منهما القسم ويقولون فيه { لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ } لا نطلب بهذا القسم ثمناً من الورثة ولو كان أحدهم ذا قرى لنا حتى ننفعه ونكذب { وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ } ونخفي شيئاً من الشهادة لله تعالى { إِنَّا إِذَا لَّمِنَ الْأَثْمِينَ } إنا إذا كذبنا نكون بعد هذا القسم من الأثمين والمذنبين والمستحقين لعذاب الله تعالى وعقابه { فَإِنْ عُرِثْ } فإن عثر على دليل أو ثبت { عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا } على أنهما حلفا كاذبين وحلفهما كاذب وباطل وأنهما مذنبان { فَخَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا } فينوب عنهما اثنان آخران { مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَايَيْنِ } من الورثة يقومان مقامهما { فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ } فيحلفان بالله تعالى { لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا } شهادتهما وقولهما وحلفهما أحق وأصدق من شهادة اللذين حلفا بالباطل وكذبا { وَمَا أَعْتَدَيْنَا } وما اعتدينا ولا ظلمناهما { إِنَّا إِذَا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ } وإذا كذبنا عليهم نكون من الظالمين لهم وسيعاقبنا الله تعالى على ذلك { ذَلِكَ } ذاك أو هذا { أَدْنَىٰ } أقل ما { أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ } أن يأتوا بلفظ الشهادة لله تعالى { عَلَىٰ وَجْهَيْهَا } على وجهها الصحيح وكيفيتها الصحيحة والعدالة { أَوْ تَخَافُوا } وهذا الحلف والقسم خوفاً { أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُهُمْ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ } حتى لا تنقض أيمانهم ولا حلفهم أو حتى لا يبطلها قسم وحلف غيرهم { وَاتَّقُوا اللَّهَ } وخافوا الله تعالى واخشوه وأطيعوه في أوامره واجتنبوا نواهيه وعبدوه حق عبادته وطاعته

{وَأَسْمَعُوا} واسمعوا بطاعة الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه {وَأَلَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} لا يدلهم الله تعالى على النجاة ولا يوفقهم في كذبهم ومكيدتهم لأكل مال الموصي. والقوم الفاسقون هم الخارجون عن طاعة الله تعالى بالمعصية والكذب وهم العاصون.

﴿ يَوْمَ تَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ ﴾

الْغُيُوبِ ﴿١٩﴾

{يَوْمَ} يوم القيامة {تَجْمَعُ اللَّهُ} يجمع الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه بين يديه في المحشر {الرُّسُلَ} الرسل والأنبياء ومن أرسلهم إلى عباده من جميع الأمم السابقة واللاحقة {فَيَقُولُ} فيقول عز جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {مَاذَا أُجِبْتُمْ} بماذا أجبتهم أيها الرسل من أقوامكم وماذا فعلوا وهل آمنوا أم لا؟ {قَالُوا} قالوا جميعهم وهم الرسل جميعاً {لَا عِلْمَ لَنَا} لا نعلم من آمن منهم ولا من كفر {إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ} إنك أنت يا الله جل جلالك وعظم قدرك وعلا شأنك تعلم الغيب كله ولا تخفى عليك خافية فأنت تعلم المؤمن من الكافر والطائع من العاصي وأنت تعلم السر وأخفى.

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ
الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا
بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ
بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ ﴿٥٦﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ
بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

{ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ } إذ أوحى الله إلى عيسى ابن مريم وقال له يا
عيسى ابن مريم { اذْكُرْ } تذكر { نِعْمَتِي عَلَيْكَ } بأن خلقتك بقدرتي من دون أب
وجعلتك تتكلم في المهد وجعلتك رسولاً ونبياً { وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ } بأن أظهرت اسمها
وفضلتها على نساء العالمين وجعلتها أمّاً لنبي ورسول { إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ }
إذ جعلت جبريل عليه الصلاة والسلام يرافقك ويؤيدك { تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ }
جعلتك تتكلم وأنت صغير في المهد وقريب العهد بالولادة من دون الصبيان
{ وَكَهْلًا } وأنت كبير كذلك ولم ولن أسلبك الكلام والفصاحة { وَإِذْ عَلَّمْتُكَ
الْكِتَابَ } علمتك كتاب الإنجيل وما فيه عن ظهر قلب { وَالْحِكْمَةَ } والنطق
بالحكمة والموعظة { وَالتَّوْرَةَ } وعلمتك كتاب التوراة الذي أنزل على موسى عليه
الصلاة والسلام { وَالْإِنْجِيلَ } وكتابك الذي أنزل عليك والإنجيل للنصارى { وَإِذْ
تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ } تصنع من الطين على شكل طير { بِإِذْنِي } بإذن الله
تعالى وأمره وإرادته { فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا } فتنفخ في الطينة التي هي على شكل

طير فتصير طيراً يطير في السماء {بِإِذْنِي} كله بإذن الله تعالى وأمره وإرادته
{وَتُبْرِئُ} وتشفى {الْأَكْمَهَ} الذي ولد أعمى {وَالْأَبْرَصَ} والذي به برص
وهو يقشر الجلد للجسم ولا يشفى ولكن عيسى عليه الصلاة والسلام يشفيه
{بِإِذْنِي} بإذن الله تعالى وأمره وإرادته {وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي} وإذ تخرج الموتى
من قبورهم أحياء وتحييهم بإذن الله تعالى وبأمره وإرادته {وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي
إِسْرَائِيلَ عَنْكَ} وإذ منعت عنك أذى بني إسرائيل وهم اليهود {إِذْ جِئْتَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ} عندما جئتهم بالبينات وبالدلالات الواضحة {فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ}
قال من كفر من اليهود {إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} هذا العمل الذي عمله عيسى
عليه الصلاة والسلام وهو عمل الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيطير ويشفي
الأعمى والأبرص فقالوا كل هذه الأعمال هي من باب السحر العظيم والقوي {وَإِذْ
أَوْحَيْتُ} ألهمت {إِلَى الْحَوَارِيِّينَ} أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام {أَنْ ءَامِنُوا
بِي وَبِرَسُولِي} أن آمنوا بالله تعالى وبعيسى نبي الله ورسوله {قَالُوا ءَامِنَّا} قالوا
لعيسى عليه الصلاة والسلام آمنا بالله رباً وبك يا عيسى رسولاً وبالإنجيل كتاباً
{وَأَشْهَدُ} واشهد يا عيسى يا رسول الله {بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ} بأننا تبعناك وأسلمنا لله
رب العالمين.

﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً
 مِّنَ السَّمَاءِ ۗ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا
 وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ
 مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً
 مِنكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ
 مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾

{ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ } إذ قال أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام وأتباعه
 { يَٰعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ } يا عيسى ابن مريم يا نبي الله ورسوله { هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ }
 أن ينزل علينا مائدة من السماء { هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من
 الطعام من السماء؟ } { قَالَ } قال لهم عيسى عليه الصلاة والسلام { اتَّقُوا اللَّهَ } خافوا
 الله واخشوه من العصيان { إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ } إن آمنتم بالله رباً وبعيسى نبياً
 ورسولاً { قَالُوا } قال الحواريون وهم أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام { نُرِيدُ أَنْ
 نَأْكُلَ مِنْهَا } نريد المائدة لنأكل منها { وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا } وحتى تطمئن قلوبنا وتزداد
 إيماناً { وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا } ونعرف أنك صادق في رسالتك ونبوتك { وَنَكُونُ
 عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ } ونشهد على نزولها ونخبر الناس بها وبحقيقتها { قَالَ
 عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ } طلب عندها عيسى ابن مريم وقال { اللَّهُمَّ رَبَّنَا } اللهم يا ربنا
 وخالقنا { أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً } نزل علينا والحواريين مائدة بها طعام شهوي { مِّنَ
 السَّمَاءِ } من السماء بقدرتك { تَكُونُ لَنَا عِيدًا } تكون لنا عيداً وفرحة وسروراً
 { لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا } تُشْبِعُ أَوْلَانَا وَآخِرِنَا وَنَحْتَفِلُ بِهَا أَوْلَانَا وَآخِرِنَا مِمَّنْ يَأْتِي فِي آخِرِ

الزمان {وَأَيَّةٌ مِّنكَ} ومعجزة منك يا الله لنا {وَأَرْزُقْنَا} ومُنَّ علينا بالرزق بالحلال {وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} وأنت يا الله خير من يرزق ويعطي ويطعم {قَالَ اللَّهُ} قال الله تعالى {إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ} سأنزلها عليكم. نزلت المائدة في عمواس قرية في فلسطين {فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ} فمن يكفر ويجحد وينكر بعد نزولها أي واحد منكم {فَأِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ} فسوف أعذبه عذاباً شديداً لم أعذبه أحداً من العالمين فلما كذبوا بعد نزولها مسخهم قردة وخنازير. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا الحسن بن قزعة الباهلي حدثنا سفيان ابن حبيب حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن جلاس عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (نزلت المائدة من السماء عليها خبز ولحم وأمروا أن لا يخونوا ولا يرفعوا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة وخنازير). [وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن قزعة - ابن كثير ج ٢ ص ١١٧].

﴿وَأِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ط قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٰ أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِيٰ بِحَقِّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ؕ تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ؕ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ط فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تَعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عِبَادُكَ ط وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾

{وَأِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ} سأل الله تعالى نبيه ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام سؤال استفهام إخباري يخبر به النصارى من هو عيسى وأمه {ءَأَنْتَ قُلْتَ} هل أنت قلت {لِلنَّاسِ} المقصود للنصارى والمسيحيين

{ اَتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ } اعبدوني أنا وأمي مريم ابنة عمران واتخذونا إلهين { مِنْ دُونِ اللَّهِ } غير الله تعالى { قَالَ } قال عيسى عليه الصلاة والسلام { سُبْحَانَكَ } تَنَزَّهْتَ وَعَلَوْتَ { مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ } لا يحق لي أن أقول ما ليس لي فيه حق { إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ } إن كان قلت ذلك { فَقَدْ عَلِمْتُهُ } فَإِنَّكَ تَعْلَمُهُ ولا يخفى عليك شيء { تَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي } تعلم وتعرف وتدرى ما في نفسي وسري وما أكتمه في صدري { وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ } ولا أعلم ما في نفسك وكما قال تعالى: " وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ " { إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ } إنك أنت يا الله جل جلالك وعظم قدرك وعلا شأنك أنت علام الغيوب كلها لا يخفى عليك شيء في الأرض ولا في السماء { مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ } لم أقل لهم إلا فقط ما أمرتني أن أبلغه لهم وهو { أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ } أن اعبدوا الله تعالى فهو ربي وربكم أيها الناس عامة والنصارى خاصة وهذه حجة تدحض الألوهية عن عيسى عليه الصلاة والسلام وما يدعيه النصارى من أنه إله أو ثالث ثلاثة أو ابن الله { وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا } وكنت أنا عليهم شاهداً على أفعالهم وعبادتهم { مَا دُمْتُ فِيهِمْ } ما دمت حياً فيهم ولم أمت { فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي } وبعد موتي { كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ } كنت أنت يا الله رقيباً عليهم وعلى أعمالهم وعبادتهم { وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } وأنت تشاهدهم وتشاهد كل شيء وتراه وتعلمه وتحيط به وتشهده { إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ } إن تعذب النصارى الذين جعلوا عيسى ابن مريم إله فإنهم عبادك وخلقك وأنت المسئول عنهم ونواصيهم بيدك { وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ } وإن تغفر لهم وتسامحهم وتعفو عنهم { فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ } فَإِنَّكَ يَا اللَّهُ أَنْتَ الْعَزِيزُ

الجانب القوي في حكمه وملكه وسلطانه وفي عقابه وعذابه {الْحَكِيمُ} في شرعه وأوامره ونواهييه وأفعاله وأقواله وعذابه وعفوه فهو بحكمته وقدرته وتدبيره بالحكمة والرشاد دون أخطاء.

﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۗ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٤﴾ لِلَّهِ مُلْكُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٥﴾

{قَالَ اللَّهُ} قال الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وقوله الحق {هَذَا يَوْمٌ

يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ} هذا الجواب من الرسول عيسى عليه الصلاة والسلام بأنه أمر

قومه بعبادة الله تعالى وحده وأنه ليس إله كما يدعي ويكذب عليه النصراني بأنه

ثالث ثلاثة أو ابن الله أو هو الله فقال تعالى هذا يوم القيامة أي هذا القول يوم

القيامة ينفع الصادقين مع الله ومع قومهم ولم يكذبوا على الله تعالى ينفعهم

{صِدْقُهُمْ} إخلاصهم وقولهم الصدق والحق بعبادة الله تعالى وحده وصدقهم

ينفعهم وينجيهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة {لَهُمْ جَنَّاتٌ} لهم جنات

يدخلونها بأعمالهم وعبادتهم وصدقهم والجنات هي ثمانية ويدخلها كل حسب

عمله وأولها: دار الجلال. وثانيها: دار السلام. وثالثها: جنة المأوى.

ورابعها: جنة الخلد. وخامسها: جنة النعيم. وسادسها: جنة الفردوس.

وسابعها: جنة عدن. وثامنها: دار القرار. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٧ ،

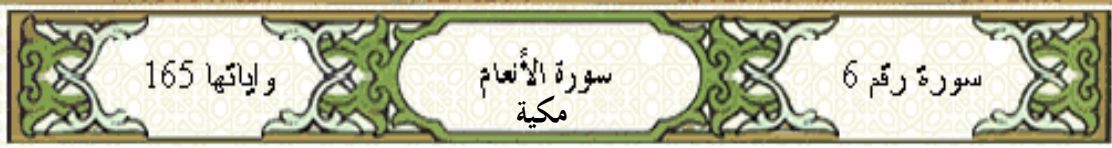
٢١٨]. {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} تجري الأنهار خلال أشجارها ومن تحت

قصورها {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} دائمين فيها ما دامت السماوات والأرض {رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمْ} رضي الله عنهم وعن أعمالهم وعبادتهم في الدنيا ولذلك أدخلهم جناته

والجنان منازل وكل يدخل حسب منزلته ودرجته وعمله في الدنيا وعبادته التي كان يتعبدها {وَرَضُوا عَنْهُ} ورضوا عن كرمه لهم وإدخالهم الجنة وتخليدهم فيها {ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} وذاك هو الفوز والنجاح العظيم والكبير وهو الفوز بالجنة ونعيمها {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} لله تعالى ملك وحكم وامتلاك السموات السبع والأرض {وَمَا فِيهِنَّ} وما فيهن من ملائكة وإنس وجان وحيوانات وطيور وأشجار وبحار وأنهار وبراري وجبال ووديان وحيثان وحشرات ورياح وأمطار ونجوم وكواكب وشمس وقمر وكل ما خلق الله تعالى {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} والله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه فهو على كل أمر وشيء قادر على فعله وخلقته وتكوينه وعمله وأمره بين الكاف والنون يقول للشيء كن فيكون. وقدير صيغة المبالغة من القدرة. وفي صحيح مسلم عن أبي نر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث قدسي فيه: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر). وزاد الترمذي وغيره: (وذلك بأني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام وإذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون). [سبل السلام ج ٤ ص ١٧٦].

قال ابن وهب: سمعت حبي بن عبد الله يحدث عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمر قال: آخر سورة أنزلت سورة المائدة. [ابن كثير ج ٢ ص ١٢٢].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۗ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ۗ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى
عِنْدَهُ ۗ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۗ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾

روى ابن مردويه عن الطبراني عن إبراهيم بن نائلة عن إسماعيل بن عمر عن يوسف بن عطية عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نزلت عليّ سورة الأنعام جملة واحدة وشيعتها سبعون ألفاً من الملائكة لهم زجلٌ بالتسبيح والتحميد). [ابن كثير ج ٢ ص ١٢٢]. وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سد ما بين الخافقين لهم زجلٌ بالتسبيح والأرض بهم ترج) ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم). [ابن كثير ج ٢ ص ١٢٢]. وقال العوفي وعكرمة وعطاء عن ابن عباس أنزلت سورة الأنعام بمكة. [ابن كثير ج ٢ ص ١٢٢].

{ الْحَمْدُ } الحمد والفضل والشكر والثناء والمدح { لِلَّهِ } لله وحده جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه وهو إله الكون وخالقه وموجده. والحمد أبلغ وأجمع للشكر والمدح والثناء وهي دائماً لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه. أما الشكر فهي على نعمة واحدة أو معروف واحد كما قال تعالى: " فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ". والحمد لله

هي كلمة رضيها الله تعالى لنفسه وهي جامعة للشكر والثناء والمدح {الَّذِي خَلَقَ} فهو الخالق والموجد من العدم {السَّمَوَاتِ} السبع سموات وما فيهن {وَالْأَرْضِ} والأرض التي نعيش عليها وما فيها {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ} وهي جمع ظلمة وهي التي لا يرى فيها ولا يميز الأشياء عن بعد وهي عكس النور والضياء. والظلمات منها ظلمة الليل وسواده وعتمته وخاصة في ليالي الشتاء عند وجود الأمطار والضباب والسحب وكما قال تعالى: " مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ " ١٧ البقرة. وكذلك من الظلمات ظلمة الشرك والكفر كما قال تعالى: " وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " ٢٥٧ البقرة. وهناك بعد الموت ظلمة القبر ووحشته للكفار والعصاة. وهناك كذلك ظلمات ثلاث بالنسبة للطفل في بطن أمه وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة. قال تعالى: " يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ " ٦ الزمر. {وَالنُّورِ} وهو نور النهار وضياؤه ونور الشمس والقمر والنجوم والكواكب في الليل وكذلك نور المصباح الكهربائي والشمع كلها أنوار تخترق حجب الظلام. وكذلك نور الإيمان واليقين والتقوى والصلاح كما قال تعالى: " أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " ٢٢ الزمر. وكما قال تعالى: " اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ... " ٢٥٧ البقرة. والنور الأكبر والأعظم هو نور الله تعالى: " وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ... " ٦٩ الزمر. وقال تعالى: " اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " ٣٥ النور. {ثُمَّ} بعد ذلك {الَّذِينَ كَفَرُوا} الكفار وهم من كفر وكذب ووجد وأنكر ولم يصدق ولم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

{بِرَبِّهِمْ} بربهم وإلههم وخالقهم وموجدهم من العدم ورازقهم ومحييهم ومميتهم رب الكون والخلق كلهم أجمعين ورب الأرباب ومسبب الأسباب {يَعْدِلُونَ} يكذبون ويجحدون وينكرون ويعرضون ويتولون عن عبادته ويعدلون عن الحق والصواب {هُوَ} اسم إشارة وهو اسم الذات وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي خَلَقَكُمْ} الذي خلقكم وأوجدكم من العدم {مِّن طِينٍ} من طينة الأرض حمراء وسوداء وبيضاء وهو أصل خلقة أبينا آدم عليه الصلاة والسلام ثم بعد الخلقة والتكوين ونفخ الروح في الجسد يصبح مخلوقاً جديداً {ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا} وجعل لكل مخلوق أجل وعمر لا يزيد ولا ينقص " لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ " {وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ} وهناك أجل وموت نهائي لجميع الخلائق في يوم مسمى ومعروف ومقدر عند الله تعالى في اللوح المحفوظ وهو يوم القيامة {ثُمَّ} بعد ذلك {أَنْتُمْ} أنتم أيها المشركون والكفار والمنافقون والمكذبون والجاحدون والمنكرون والعاصون {تَمَّتُّونَ} تشكون وتكذبون بالبعث وبيوم القيامة {وَهُوَ اللَّهُ} وهو الله تعالى إله الكون وخالقه وموجه من العدم ورازقه ومحييه ومميته جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه ذو الجلال والإكرام إله {فِي السَّمَوَاتِ} إله في السموات وفي السموات خلقه وأمره وحكمه {وَفِي الْأَرْضِ} وكذلك هو إله في الأرض وفيها خلقه وأمره وحكمه وهو إله السموات والأرض وحده لا شريك له وكما قال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ " ٨٤ الزخرف. {يَعْلَمُ} يعرف ويعلم ويدري {سِرِّكُمْ} يعلم ما تسرون وما تخفون وما تكتُمون {وَجَهْرِكُمْ} ويعلم ما تعلنون وما تظهرون وما تجهرون به أي يعلم السر

والعلن {وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} ما تعملون وما تفعلون وما تقتربون من خير أو شر ومن كفر أو إيمان ومن توبة أو معصية كما قال تعالى: " لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ " ٢٥٩ البقرة. وروي عن جابر مرفوعاً: (من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى قوله " تَكْسِبُونَ " حين يصبح وكل الله به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له أعمالهم إلى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد كلما أراد الشيطان أن يُلقِي في قلبه شيئاً من الشر ضربه بها وجعل بينه وبين الشيطان سبعين ألف حجاب فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى يا ابن آدم امش تحت ظلي وكل ثمار جنتي واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فأنت عبدي وأنا ربك لا حساب عليك ولا عذاب). [كذا في شيخ زاده عن رواية الإمام الواحدي في الوسيط - خزينة الأسرار ص ٧٥].

﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٦٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّنَّهِمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ لِنُمْكِنْ لَّهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

{وَمَا تَأْتِيهِمْ} وما تنزل عليهم وتأتيهم وتجيء إليهم {مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ} من آية من القرآن وهي آية من آيات الله ربهم وخالقهم وموجدهم من العدم ورازقهم ومحبيهم ومميتهم وفيها حكمه وشرعه وأمره ونهيه أو آية من المعجزات التي يرسلها الله تعالى لتثبيت الأنبياء والرسول كعصا موسى فلق بها البحر نصفين وتلقف وتبلع حبال السحرة وهي في صورة حية أو ثعبان أو آية من آيات الله

الكونية كالشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض والجبال والبحار والمخلوقات جميعها {إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} إلا كانوا لها منكرين ومكذبين وجاحدين وابتعدوا عنها وتركوها خلف ظهورهم ولم يصدقوها ولم يأخذوا بها {فَقَدْ كَذَّبُوا} أنكروا وجحدوا ولم يصدقوا {بِالْحَقِّ} بالحق والصدق وهو القرآن الكريم وكما قال تعالى: " وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا " ١٠٥ الإسراء.

{لَمَّا جَاءَهُمْ} لما أتاهم على لسان رسول الله سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي جبريل عليه الصلاة والسلام {فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ} فسوف يأتيهم علم ذلك العذاب يوم القيامة {أَنْبِئُونَا} علم وخبر وصدق {مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ} ما كانوا به يضحكون ويسخرون ويكذبون وهو عذاب نار جهنم يوم القيامة وكما قال تعالى: " فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ " ١١٠ المؤمنون {أَلَمْ يَرَوْا} ألم يعلموا وألم يروا بأعينهم {كَمْ أَهْلَكْنَا} كم عذبنا وأمتنا {مِنْ قَبْلِهِمْ} ممن سبقهم من الأمم السابقة {مِنْ قَرْنٍ} من زمن من القرون الماضية والسالفة التي مرت قبلهم {مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ} ثبتناهم وقويناهم ومهدنا لهم العيش الرغيد وملكناهم الأرض وحكموا فيها {مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ} ما لم نعطكم مثلهم [أي لم نعطيكم مثله] {وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا} وأنزلنا عليهم من السماء الأمطار الكثيرة التي تسقي زرعهم ومواشيهم وهم أنفسهم. أي دليلاً على الخصب والكثرة في الثمار والرخاء التام {وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ} وشققنا لهم الأنهار تجري من تحت قصورهم ومن تحت أشجارهم راحة ورزقاً سهلاً لهم {فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِدُنُوبِهِمْ} ولما عصوا وطغوا وكفروا وتجبروا أهلكناهم

وعذبناهم وأمتناهم بسبب ذنوبهم التي اقترفوها وارتكبوها {وَأَنْشَأْنَا} وخلقنا {مِنْ بَعْدِهِمْ} ممن جاء بعدهم {قَرْنًا ءَاخِرِينَ} قرون أخرى كثيرة متعاقبة.

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٥﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

{وَلَوْ نَزَّلْنَا} ولو أنزلنا {عَلَيْكَ} عليك يا محمد يا رسول الله {كِتَابًا} قرآنًا {فِي قِرْطَاسٍ} ورق مكتوب {فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ} نزل إليهم وأمسكوه بأيديهم وتحققوا من نزوله عليهم {لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} لقال الكفار وهم من كفر وجحد وأنكر ولم يصدق ولم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {إِنَّ هَذَا} إن هذا القرآن الموجود في قرطاس وفي ورق وشاهدوه بأعينهم ينزل عليهم من السماء {إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} إلا من عمل السحر العظيم الذي أثر فينا وذلك منتهى جحودهم وإنكارهم وكفرهم {وَقَالُوا} وقال الكفار أيضاً {لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ} لو أنزل مع القرآن ملك يؤكد نزوله {وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ} ولو أنزلنا عليهم ملكاً يؤيده وترونيه {لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ} لانتهى الأمر ثم لا يصبر الله عليهم لو كذبوا وجحدوا بل يعذبهم ويهلكهم فوراً كالأمم السابقة ولا يمهلون بعدها {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ} ولو كان الرسول ملكاً من الملائكة المرسل لكم {لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا} لجعلناه رجلاً مثلكم حتى يكون من جنسكم ويقوم بالعبادة مثلكم خوفاً أن تقولوا هذا ملك

غير جنسنا ويستطيع العبادة ونحن تكويننا وخلقنا لا تتحمل العبادة مثله ولذلك جعله منكم {وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ} ولخلطنا الأمر عليهم واشتبه عليهم زيادة على خلطهم واشتباهم في نزول الملك أي لزادهم الملك خلطاً واشتباهاً وشكاً {وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكُمْ} ولقد استهزئ وسخر بجميع الرسل الذين سبقوك {فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا} فلحق ونزل بالمستهزئين {مِنْهُمْ} من المكذبين والكفار {مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ} وهو العذاب الذي وعدوهم به قد نزل بهم. فقوم نوح أغرقوا ، ولوط جعل قريتهم عاليها سافلها ، وقوم صالح لما عقروا الناقة وهم ثمود أهلكوا بالصاعقة والزلزلة ، وقوم هود عليه الصلاة والسلام لما كذبوه أهلكهم الله تعالى بالريح العقيم وهم عاد.

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَنقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾

{قُلْ} قل للكفار يا محمد يا رسول الله {سِيرُوا فِي الْأَرْضِ} امشوا في الأرض {ثُمَّ أَنْظِرُوا} ثم شاهدوا بأعينكم {كَيْفَ كَانَ عَنقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} كيف كان مصير المكذبين للرسل وما مصيرهم وكيف كانت نهايتهم أي عذبوا وأهلكوا وماتوا.

﴿ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ

إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للناس {لِمَن} من يملكها {مَّا فِي السَّمَوَاتِ} من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وكواكب {وَالْأَرْضِ} وما في الأرض من مخلوقات وأشجار وجبال وبحار وأنهار وإنس وجان وحيوان ونبات وطيور وأسماك {قُلْ} قل لهم مجيباً عنهم {لِلَّهِ} هم جميعاً لله تعالى وحده جل جلاله وعظم قدره وعلا

شأنه { كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } أوجب على نفسه وقضى وتعهد بالرحمة لخلقه. ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله لما خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي). [ابن كثير ج ٢ ص ١٢٥]. وفي الحديث الصحيح: وقد رأى امرأة من السبي فرّق بينها وبين ولدها فجعلت تدور على ولدها فلما وجدته من السبي أخذته فألصقته بصدرها وأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (أترون هذه طارحة ولدها في النار وهي تقدر على ذلك؟) قالوا لا يا رسول الله قال: (فوالله لله أرحم بعباده من هذه بولدها). [ابن كثير ج ١ ص ٤٥٨]. وعن أبي هريرة مرفوعاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من عقوبة ما طمع في جنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط أحد من الجنة خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون). رواه الترمذي. { لِيَجْمَعَنَّكُمْ } ليجمعنكم جميعاً وجميع الخلق من إنس وجان وملائكة { إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ } إلى ذلك اليوم وهو يوم القيامة ويجمع الله تعالى فيه الأولين والآخرين للحساب والجزاء والثواب والعقاب { لَا رَيْبَ فِيهِ } لا شك ولا كذب { الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ } الذين أهلكوا أنفسهم بالعذاب في نار جهنم يوم القيامة { فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } هم الذين لا يؤمنون بالله ولا ملائكته ولا كتبه ولا برسله ولا باليوم الآخر.

﴿ وَ لَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

{وَلَهُ} لله تعالى وحده لا شريك له {مَا سَكَنَ} ما وجد وما أقام. وهي من المسكن والسكنى كما روى الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن أبي موسى عن وهب بن منبه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن). [ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٣]. {فِي اللَّيْلِ} في ظلام الليل وسواده {وَالنَّهَارِ} وله كل من وجد في نور النهار وضياؤه أي له كل من وجد وأقام في الليل وظلمته والنهار وضياؤه ونوره أي كل شيء مخلوق أو موجود في الدنيا فهو لله تعالى وحده لا شريك له من إنس وجن وملائكة وسماوات وحيثان وأرض وجبال ورياح وبحار وأنهار وأمطار وحيوانات وطيور وأشجار ونباتات فهي كلها ملك لله تعالى وحده لا شريك له {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {السَّمِيعُ} يسمع جميع خلقه وجميع لغاتهم سواء في أرضه أو في سماواته ويسمع دبيب النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ويسمع سرهم كما يسمع علانيتهم {الْعَلِيمُ} العليم بجميع خلقه وحاجاتهم وطلباتهم ويعلم ويدري ويعرف ما في سماواته وما في أرضه ويعلم لغاتهم وألسنتهم وألوانهم ويعلم محياهم ومماتهم ويعلم السر وأخفى ويعلم ما في السر كما في العلن ويعلم ما كان وما يكون وما هو كائن لجميع خلقه وجميع كونه ويعلم المخلوقات والأرزاق والآجال من الأزل إلى يوم القيامة ومن يوم القيامة إلى ما شاء الله بعد ويعلم عدد ذرات الرمال وكل حصى وحجر ويعلم عدد قطرات ماء البحار والأنهار والأمطار ويعلم عدد أوراق الأشجار وكل رطب ويابس وعدد نجوم السماء وحيثان البحار ووزن كل شيء وملء كل شيء وعدد كل شيء وسبحان الذي علم كل شيء بدون تعلم.

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٦٥﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ رَبِّي وَإِنَّكَ أَنتَ الْمُبِينُ ﴿٦٦﴾ ﴾

{قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا} هل غير الله تعالى أتخذ معبوداً أو نصيراً ووكيلاً ومساعداً وأن يتولى أمري غيره أحد من الأوثان والأصنام {فَاطِرِ} خالق {السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} السموات السبع والأرض التي نحن عليها {وَهُوَ يُطْعِمُ} والله تعالى يطعم ويرزق خلقه جميعهم {وَلَا يُطْعَمُ} ولا أحد يطعمه ولا يرزقه فهو الخالق الذي لا يأكل ولا يحتاج إلى أحد من خلقه {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله للناس {إِنِّي أُمِرْتُ} أمرني ربي أن أعبد {أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ} وأن أكون أول من يسلم ويدين بالإسلام من أمته كيف لا وهو الرسول والنبى الذي يهدي الأمة {وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} ولا تشرك بالله تعالى أحداً ولا تجعل له شريكاً {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنِّي أَخَافُ} إني أخشى {إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي} إن خالفت أوامر ربي ونواهيه {عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} عذاب جهنم في يوم عظيم وهو يوم القيامة {مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ} من يبعد عنه عذاب جهنم {يَوْمَئِذٍ} يوم القيامة {فَقَدْ رَحِمَهُ رَبِّي} فقد رحمه الله تعالى ونجاه من العذاب {وَذَلِكَ الْفَوْزُ} وذلك هو الفوز والنجاح {الْمُبِينُ} العظيم والباهر.

﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٨﴾ ﴾

{وَأِنْ يَمَسُّكَ} وإن يصيبك {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {بِضُرٍّ} بشر وبلاء ومصيبة {فَلَا كَاشِفَ لَهُ} فلا رافع لذلك الضر والبلاء {إِلَّا هُوَ} إلا هو الله وحده لا شريك له {وَأِنْ يَمَسُّكَ} وإن يمنحك أو يعطيك أو يتفضل عليك {بِخَيْرٍ} بنعمة فيها خير وسعادة وهناء {فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} فهو قادر على ذلك وعلى كل شيء يريد {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الْقَاهِرُ} الذي يقهر عباده بالموت وهو الغالب والمسيطر والحاكم والمتسلط {فَوْقَ عِبَادِهِ} على عباده وهو فوقهم متعالى ومذل لمن تجبر منهم وعصى وكفر وأشرك {وَهُوَ الْحَكِيمُ} ذو حكمة في شرعه وأوامره ونواهيته وأفعاله وأقواله وعذابه وعفوه فهو بحكمته وقدرته وتدبيره بالحكمة والرشاد دون أخطاء {الْخَبِيرُ} العليم بأمور خلقه وما ينفعهم وما يصلحهم.

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَبَيْنُكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

{قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ} أي شيء أعظم {شَهَادَةً} يشهد شهادة حق وصدق وعدل {قُلِ} قل لهم مجيباً عنهم يا محمد يا رسول الله {اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} الله تعالى شاهد على ما دار بيني وبينكم ويشهد الله تعالى على قولي لكم بأني رسول الله حقاً وصدقاً {وَأُوحِيَ} وأوحى وأنزل الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام رسول رب العالمين {إِلَيَّ} أنا محمد رسول الله {هَذَا الْقُرْآنُ} كتاب الله تعالى هذا وهو القرآن الكريم والمجيد والعظيم {لِأُنذِرَكُمْ بِهِ} لأحذركم أيها الناس جميعاً عامة والكفار خاصة بما جاء به القرآن الكريم من عذاب جهنم يوم القيامة لمن كذب وأنكر وجحد به وعصى وكفر {وَمَنْ بَلَغَ} ومن وصل إليه خبره وعلمه من الأمم اللاحقة والقادمة وكذلك أنذر به كل من بلغ الحلم وهو في المتوسط يحتلم في الخامسة عشر ويجري عليه القلم عندها ويكلف بالأحكام الشرعية ويعذب على تركها {أَبَيْنُكُمْ} هل إنكم {لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى} هل تشهدون وتعترفون وتقررون أن لله شركاء غيره من الآلهة {قُلِ} قل لهؤلاء يا محمد يا رسول الله {لَا أَشْهَدُ} لا أشهد أن مع الله شريكاً غيره {قُلِ} قل لهم يا محمد يا رسول

الله {إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ} بل هو الله وحده لا شريك له وهو إله الكون والخلق
 كلهم {وَإِنِّي بَرِيءٌ} وإني أبرأ وأتبرأ {مِمَّا تُشْرِكُونَ} مما تجعلون لله شركاء وأنداداً
 {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} اليهود والنصارى وهم أهل كتاب التوراة والإنجيل
 {يَعْرِفُونَهُ} يعرفون سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صفته واسمه وأنه رسول
 هذه الأمة وآخر الزمان {كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ} يعرفونه معرفة الوالد بولده
 وبابنه فإنه لا يجهله ولا يشك في معرفته {الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ} الذين خسروا
 وأهلكوا أنفسهم بالعذاب في نار جهنم يوم القيامة {فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} فهم الذين لا
 يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً
 ولا باليوم الآخر {وَمَنْ أَظْلَمُ} لا أحد أظلم لنفسه ولغيره {مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ}
 ممن كذب واختلق على الله تعالى {كَذِبًا} كذباً واختلاقاً {أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ} أو
 كذب بآيات القرآن الكريم وآيات الله الكونية من خلق السموات والأرض والشمس
 والقمر والنجوم والكواكب {إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ} لا يفلح ولا يفوز ولا ينجو {الظَّالِمُونَ}
 الكافرون لظلمهم أنفسهم بالكفر والشرك في نار جهنم يوم القيامة ويتحملون عذاب
 أنفسهم بظلمهم وكفرهم.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾
 ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ
 أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

{ وَيَوْمَ } ويوم القيامة { نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا } نجتمعهم في المحشر حفاة عراة { ثُمَّ نَقُولُ
 لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا } ثم نقول للمشركين وهم من جعل مع الله إلها غيره وشركاً له { أَيْنَ
 شُرَكَائِكُمْ } أين الأصنام والأوثان الذين جعلتموهم شركاء مع الله تعالى في الألوهية
 { الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } الذين زعمتم وادعيتم أنها آلهة كاللات والعزى وهبل ومناة
 الثالثة { ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَتُهُمْ } ثم لم تكن حجتهم وبليتهم ومصيبتهم وعذرهم
 وخلصهم { إِلَّا أَنْ قَالُوا } قال المشركون { وَاللَّهِ رَبِّنَا } أقسموا وحلفوا بربهم { مَا كُنَّا
 مُشْرِكِينَ } لم نشرك بك أحداً { أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ } انظر يا محمد كيف
 كذب هؤلاء المشركون على أنفسهم في الدنيا وأشركوا ويوم القيامة كذلك كذبوا على
 أنفسهم بالحلف كذباً بأنهم لم يشركوا { وَضَلَّ عَنْهُمْ } وذهب عنهم وضاع { مَا
 كَانُوا يَفْتَرُونَ } ما كانوا يختلقون ويكذبون.

﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ تُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأُولَىٰ ﴿٢٦﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

{ وَمِنْهُمْ } من المشركين والكفار { مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ } من يستمع وينصت لما تقول للكفار يا محمد يا رسول الله سواء من قراءتك للقرآن عليهم أو من أحاديثك لهم عن البعث والحساب والجزاء والثواب والعقاب يوم القيامة وهو أن من آمن وعمل صالحاً وعبد الله تعالى وحده دخل الجنة ومن عصى وأنكر وجحد بالبعث وكفر فله النار خالداً فيها { وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ } وجعل الله تعالى على قلوب الكفار لكفرهم ومعصيتهم { أَكِنَّةً } أغطيةً وحجباً { أَنْ يَفْقَهُوهُ } تمنع الفهم { وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } وتجعلهم أصماء طرش لا يسمعون للنصيحة ولا للهدى { وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا آيَةً } ولو حتى يشاهدون أو ينظرون بأعينهم كل آية ودليل ومعجزة وبرهان على تصديق رسالته { لَا يُؤْمِنُوا بِهَا } لا يصدقوا بها { حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ } حتى لو حضروا عندك يا رسول الله وحضروا مجلسك { تُجَادِلُونَكَ } يحاججونك ويقارعونك في المناظرة ويدافعون عن رأيهم وعقيدتهم عقيدة الأكابر ويدلون بالبراهين والأدلة

{ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا } ويقول لك الكفار وهم من كفر وكذب ووجد وأنكر ولم يصدق ولم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا باليوم الآخر { إِنَّ هَذَا } إن هذا القرآن والبعث يوم القيامة { إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ } إلا تخريص وكذب وخرافة الناس الأولين الذين سبقوا ومضوا { وَهُمْ } الكفار { يَنْهَوْنَ عَنْهُ } ينهون بعضهم بعضاً بعدم التصديق لا بالقرآن ولا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا برسالاته ولا بالبعث ولا بيوم القيامة { وَيَنْفَعُونَ عَنْهُ } وهم أنفسهم يبتعدون ويرفضون تصديقه { وَإِنْ يُهْلِكُونَ } ولا يعذبون بكفرهم هذا { إِلَّا أَنْفُسَهُمْ } لا يعذبون إلا أنفسهم في نار جهنم يوم القيامة { وَمَا يَشْعُرُونَ } وما يعلمون ذلك الآن حتى يروا نار جهنم بأعينهم يوم القيامة { وَلَوْ تَرَى } ولو تنظر وتشاهد يا محمد الكفار والمكذبين والمنكرين { إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ } إذ أوقفوا أمام نار جهنم { فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ } يا ليت نرجع إلى الدنيا ثانياً ولا نكذب ولا ننكر ولا نجحد { بِعَايَتِ رَبِّنَا } بآيات القرآن الكريم والآيات الكونية وبالبراهين والأدلة التي قدمها الرسل { وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } ونؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر { بَلْ بَدَأَ هُمْ } ولكن ظهر لهم بالعين المجردة { مَا كَانُوا يُخْفُونَ } ما كانوا يخفون في أنفسهم من صدق رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وما هو موجود في التوراة والإنجيل من صدق رسالته ولكنهم أخفوها عن الناس ظمناً وعدواناً { مِنْ قَبْلُ } في الحياة الدنيا { وَلَوْ رُدُّوا } ولو أرجعوا إلى الدنيا ثانياً { لَعَادُوا لِمَا بُهُوا عَنْهُ } لما تركوا الكفر والعصيان والإنكار والجحود { وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } وهؤلاء الكفار كاذبون في ادعائهم بالإيمان لو رجعوا ثانياً إلى الدنيا وقد كان كما عبد اليهود العجل من

بعد ما رأوا معجزة فلق البحر بعصا نبيهم سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وهذا هو حقيقة أهل الكفر دائماً { وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا } وقال الكفار ما هذه إلا حياة واحدة في الدنيا ولا يوجد غيرها { وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ } ولا نبعث ولا نحيا ثانياً يوم القيامة كما يدعي محمد صلى الله عليه وسلم { وَلَوْ تَرَى } ولو تنظر وتشاهد يا محمد يا رسول الله حال الكفار { إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ } عندما عرضوا على ربهم للحساب يوم القيامة { قَالَ } قائلاً لهم { أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ } أليس هذا اليوم حقاً وستعرضون على نار جهنم لكفركم وتكذيبكم { قَالُوا } قال الكفار { بَلَى } أجابوا بالإيجاب { وَرَبِّنَا } أقسموا إنه لصدق هذا اليوم وهو يوم القيامة والحساب والعقاب فيه { قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } قال الله تعالى إذا أخذوا نصيبكم من العذاب على إجرامكم وعلى كفركم وجحودكم وتكذيبكم للرسول عن البعث وعن يوم القيامة.

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتْنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٧٧٠﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۗ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٧١﴾ ﴾

{ قَدْ خَسِرَ } خسرت تجارتهم وأعمالهم وخسروا أنفسهم وضيعوها وفقدوها وأهلكوها بالعذاب في نار جهنم يوم القيامة { الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ } وهم الكفار الذين كذبوا بالبعث وبيوم القيامة ولقاء الله تعالى للحساب والجزاء والثواب والعقاب { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ } حتى إذا قامت القيامة { بَغْتَةً } فجأة { قَالُوا } قال الكفار { يَحْسِرْتْنَا } يا ندامتنا { عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا } ما قصرنا { فِيهَا } في العمل لها

من الأعمال الصالحة لما فيها من الحساب والعقاب {وَهُمْ تَحْمِلُونُ} الكفار {أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ} ذنوبهم على عاتقهم {أَلَا سَاءَ} الأ قبح {مَا يَزِرُونَ} ما يذنبون ويعصون {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} وما العيش في الدنيا {إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} واللعب كل ما يلعب به واللهو كل ما يلهي ويذهب الوقت بدون فائدة أو بمعنى أصح: ما يلهي عن عبادة الله تعالى {وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ} يوم القيامة ودخول الجنة {خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ} أفضل وأحسن لمن اتقى الله تعالى وعبده حق عبادته {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} أفلا تعلمون ذلك وتعقلونه وتعبدون الله تعالى وحده حتى يدخلكم الجنة يوم القيامة.

﴿ قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ
 اللَّهُ تَجَحَّدُونَ ﴿٦٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ
 أَتَهُم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۗ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِن
 كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا
 فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۗ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
 الْجَاهِلِينَ ﴿٦٥﴾

﴿ إِنَّمَا يَسْتَحِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

{قَدْ نَعَلِمُ} يعلم الله تعالى حرص نبيه ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على هداية جميع الأمة وجميع الناس {إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ} إنه ليؤسفك ويغضبك ويزعجك ويؤذيك ويزيدك حزناً وأماً ما يقولون من الإنكار والتكذيب لرسالتك وللبعث وللقرآن {فَأِنَّهُمْ} فهم أي الكفار {لَا يُكَذِّبُونَكَ} لا يكذبونك

وحدك يا محمد يا رسول الله {وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ} ولكن الكفار الظالمين لأنفسهم يوم القيامة لتعذيب أنفسهم بدخول جهنم يوم القيامة {بِعَايَتِ اللَّهِ} بقرآنه ومعجزاته الكونية من خلق السموات والأرض والجبال والبحار والأنهار والشمس والقمر والنجوم والمخلوقات والليل والنهار {تَجْحَدُونَ} ينكرون ويكذبون {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ} ولقد سبق وأن كذبت الرسل من قبل مجيئك {فَصَبَرُوا} فصبروا وجلدوا وتحملوا {عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا} على ما أصابهم من التكذيب لرسالتهم ولكتبهم السماوية {وَأُودُوا} أصابهم الأذى والضرر فعيسى عليه الصلاة والسلام أرادوا قتله وصلبه ولكن الله تعالى نجاه منهم ، وزكريا عليه السلام نشره بالمنشار عندما هرب إلى جذع شجرة ، ونوح عليه الصلاة والسلام كان يبني السفينة في النهار ويأتي قومه يخربونها في الليل ، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام أراد قومه وعلى رأسهم النمرود ملك العراق حرقه وألقوه في النار ولكن الله تعالى نجاه منهم {حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} حتى نصرهم الله تعالى فقوم نوح أغرقهم الله تعالى بالطوفان ، وشعيب عليه الصلاة والسلام أخذ الله قومه بالرجفة كما قال تعالى: " فَأَخَذْتُهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ " ٩١ الأعراف. وقوم لوط جعل الله قريتهم عاليها سافلها ، وقوم هود لما كذبوه أرسل الله على قومه الريح العقيم وكما قال تعالى: " وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ " ٦ الحاقة. وأما صالح لما عقر قومه ثمود الناقة أهلكوا بالصاعقة والزلزلة ، وموسى عليه الصلاة والسلام أغرق الله تعالى عدوه فرعون وجنده في اليم وهكذا يكون نصر الله تعالى دائما قريبا {وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} ولا تغيير لكلام الله تعالى " وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " ٤٠ الحج. وكما قال تعالى: " كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ

عَزِيزٌ " ٢١ المجادلة. {وَلَقَدْ جَاءَكَ} ولقد أتى وحضر إليك من العلم يا محمد يا رسول الله {مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ} من أخبار الرسل السابقين ما يطمئن فؤادك ويُسكِّن من حزنك وغضبك {وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ} وإن شق وعظم عليك يا محمد يا رسول الله {إِعْرَاضُهُمْ} إنكارهم وجحودهم وتكذيبهم لك وعدم متابعتك وتولوا عنك وتركوك وذهبوا عنك معرضين مبتعدين {فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ} فإن قدرت وتمكنت {أَنْ تَبْتَغِيَ} أن تطلب أو تجد {تَفَقَّأَ فِي الْأَرْضِ} سرداباً أو ممراً تحت الأرض {أَوْ سُلِّمًا فِي السَّمَاءِ} أو تجد سلماً يصعد بك إلى السماء {فَتَأْتِيهِمْ بَعَايَةٌ} فتحضر لهم معجزة يصدقوها بأنك رسول وبدون مساعدة الله تعالى لك فافعل وهذا يعني أن الله تعالى لن يأتيهم بمعجزة وأنه لا حاجة له بها لأنه أرسلها للأمم من سبق منهم فكذبوا بها فلا حاجة لها الآن {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ} ولو أراد الله سبحانه وتعالى قسراً لهم الإيمان والهدى {لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى} أي لجعلهم يهتدون جميعهم كما هدى الملائكة {فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} فلا تجهل هذه الحقيقة وهي لو أراد الله أن يغضب أحداً على الهدى وعلى الإيمان لفعل كما فعل بطائفة الملائكة فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولا تكن يا محمد يا رسول الله في صف الجهلة والجهال والجاهلين بأمره وحكمه ومشيتته {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ} إنما يلبي النداء الأحياء والذين يسمعون للنصيحة والموعظة {وَالْمَوْتَى} وشبه الكفار والمنكرون كالموتى {يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} أي يوم القيامة يحييهم الله تعالى {ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} ثم يوم القيامة يرجعون إلى الله تعالى للحساب والعقاب والعذاب في

نار جهنم لكفرهم وإنكارهم وجحودهم وتكذيبهم للرسول وللسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

{ وَقَالُوا } قال الكفار والجاحدون والمنكرون للرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { لَوْلَا } هلا { نُزِّلَ عَلَيْهِ } أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم { آيَةٌ } معجزة { مِّن رَّبِّهِ } من الله تعالى رب محمد حتى نصدقه بأنه رسول الله { قُلْ } قل لهم يا محمد يا رسول الله { إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ } إن الله على كل شيء قدير وهو قادر ويستطيع ويقدر { عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً } أن ينزل معجزة لهم ويصدقونها { وَلَٰكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } ولكن أكثر الكفار لا يعلمون أن الله تعالى لو أنزلها عليهم ولم يصدقوا ليعذبهم عذاباً شديداً كالأمم السابقة ولا يعلمون أن الله تعالى قادر على كل شيء ولكنه يمهلهم حتى يتوبوا ويعودوا إلى رشدهم ويسلموا كما أسلم عمر بن الخطاب وسيف الله المسلول خالد بن الوليد بعد أن حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحد وكما أسلم عمرو بن العاص وأبو سفيان (صخر ابن حرب) ولا يعلمون أن من طلب المعجزة يريد التحدي والتكذيب وعدم التصديق. ولا يعلمون أن الله تعالى قد حضر لمن أنكر وجحد وكفر نار جهنم يعذب فيها ويخلد فيها مهاناً يوم القيامة.

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي
الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾

{ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ } وما من حيوان أو حشرة أو نملة تدب وتمشي على وجه الأرض أو أي شيء يمشي ويدب برجليه على وجه الأرض فهو دابة { فِي الْأَرْضِ } على هذه الأرض التي نحن عليها { وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ } وحتى جميع الطيور التي تطير في السماء { إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ } فهي هذه الدواب جميعاً أمم أمثالكم مثل أمة الإنس فالنمل أمة من الأمم كما قال تعالى على لسان النملة: " حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " ١٨ النمل. وكذلك الطيور أمم ومنها على سبيل المثال الهدهد وكما قال تعالى عن سيدنا سليمان: " وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ {٢٠} لِأَعَدَّبْنَاهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحْنَاهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ {٢١} فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ {٢٢} " ٢٠-٢٢ النمل. وكذلك مملكة النحل أمة أخرى في الهندسة لخلية النحل وهي أمة تسكن الجبال والشجر كما قال تعالى: " وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ " ٦٨ النحل. وقيل من هذه الأمم مع الإنسان تدخل الجنة: (ناقة صالح ، وعجل إبراهيم الحنيد ، وكبش إسماعيل الذي فداه الله تعالى به عندما أراد إبراهيم عليه السلام ذبحه ، وبقرة بني إسرائيل التي أحيا الله بها ميت بني إسرائيل عندما ضربوه ببعضها ، وحوت يونس عليه السلام الذي ابتلعه ولم يؤذه ، ونملة سيدنا سليمان التي قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ، وهدهد بلقيس الذي أخبر سيدنا سليمان عنها ، وحمار العزيز ، وكلب أهل الكهف "الرقيم" ، وناقة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

القصواء والعضباء ، وحمامة الغار) والله أعلم {مَا فَرَطْنَا فِي آلِ كَتَبٍ مِنْ شَيْءٍ} أي ما تركنا ذكر شيء في القرآن وكما قال تعالى: " إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا " ٢٦ البقرة. وكما قال تعالى: " وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا " ٤٤ الكهف. {ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} ثم يوم القيامة إلى ربهم جميع الخلائق يحشرون ويجمعون للحساب والجزاء والثواب والعقاب والعذاب.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ تَجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٧﴾ بَلْ إِلَٰهُهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا} والذين جحدوا وأنكروا وهم الكفار {بِآيَاتِنَا} بآيات القرآن الكريم وآيات الله الكونية وبراهينه ومعجزاته عن يوم البعث ويوم القيامة {صُمُّ} طُرَش لا يسمعون {وَبُكْمٌ} وخُرْس لا يستطيعون الكلام {فِي الظُّلُمَاتِ} في عتمة الليل فكيف من يكون أطرش وأخرس في ظلمة لا يرى ولا يسمع فهو لا يستطيع الخلاص وهكذا الكفار فهم في ظلمة الكفر وظلمة المعصية والذنوب {مَنْ يَشَأِ اللَّهُ} من يريد الله {يُضِلَّهُ} يغويه بكفره وبمعاصيه ويستدرجه ويزيده ضلالاً واستدراجاً {وَمَنْ يَشَأِ} ومن يشاء ويريد الخير وعبادة الله وحده {تَجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} يجعله الله تعالى على خط مستقيم وعلى الهدى. وكذلك (ومن يشأ) من يشأ الله تعالى أن يهديه بهداه وبأعماله الصالحات (يجعله على صراط مستقيم) يجعله دائماً على طريق الصواب والعبادة ويعينه عليها وكما قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ

ابن جبل: (يا معاذ إني والله لأحبك فلا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: [اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك]). [أخرجه أبو داود والنسائي - الكلم الطيب ص ٤٦ ، وكذلك أحمد - سبل السلام ج ١ ص ٢٠٠]. {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار والعصاة {أَرَأَيْتَكُمْ} هل أنتم {إِنْ أَتَيْتُمْ} إن جاءكم أو حضر إليكم {عَذَابُ اللَّهِ} هلاكه وهو الموت {أَوْ أَتَيْتُمُ السَّاعَةَ} أو جاءت القيامة {أَغْيَرِ اللَّهُ تَدْعُونَ} هل تدعون غيره وهذه حقيقة ملموسة فإن أولئك الزنادقة أو من يدعون الشيعية وأنه لا يوجد إله والحياة مادة إذا أصابتهم مصيبة في النفس أو المال أو الأهل أو الولد وبدون أن يفكر يصير ينادي يا رب يا رب أو يا الله يا الله ولكنه في الوسع ينكر ويجحد ولكنه في الضيق أو المصائب أو كان داخل البحر وكبر البحر وهاج ينسى نفسه ويقول يا رب يا رب {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إن كنتم صادقين في تكذيبكم ولماذا تدعونه في الضيق والشدة والمصائب والمرض الشديد {بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ} ولكن تدعونه وحده في الشدة {فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ} فيزيل عنكم الغمة والضيق والشدة والمصيبة والبلاء {إِنْ شَاءَ} إن أراد لكم الرحمة والخلاص {وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} وفي الضيق والشدة والمصائب والبلاء تنسون الأصنام والأوثان وعبادتها وتدعون الله وحده لينجيكم من تلك المصيبة أو الشدة أو البلاء. وقال الرازي لما أرسل الله الطوفان على قوم فرعون لمخالفتهم وتكذيبهم لموسى عليه السلام استغاثوا بفرعون فاستغاث بموسى فرعون واستغاث موسى عليه السلام بربه. [نزهة المجالس ج ١ ص ١١].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا} بعثنا أنبياء ورسلاً {إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ} إلى الأمم السابقة التي سبقتك نوح ولوط وشعيب وصالح وهود وموسى وعيسى عليهم جميعاً الصلاة والسلام فكل نبي أرسل إلى قومه {فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ} بالشدائد والحروب والعذاب والقحط {وَالضَّرَّاءِ} الأمراض والأسقام والأوجاع والطاعون وما شابهه {لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} لعلهم يرجعون لله تعالى ويدعونه لرفع ما نزل بهم من شدائد ومصائب {فَلَوْلَا} فلو عندما {إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا} حلَّ بهم عذاب الله تعالى {تَضَرَّعُوا} تابوا ودعوا الله تعالى أن يرفع الضر الذي نزل بهم {وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ} جحدت وتحجرت قلوبهم وازدادت كفراً ومعصية {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ} وزين وجمل وحسن وحلّى الشيطان للكفار والعصاة {مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ما كانوا يصنعون ويفعلون من المعاصي فشارب الخمر يرى أنه أكثر سروراً بسكره وأكل الربا والرشوة يرى زيادة الأموال من الحرام ويظنها أنها ستنتفعه والمعاصي والزاني يجد متعة مؤقتة يفرح بها ويُسِرُّ بها وهكذا {فَلَمَّا نَسُوا} فلما نسي الكفار وتركوا {مَا ذُكِّرُوا بِهِ} ما وعظوا به من ترك المعاصي وعبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه {فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} فتحنا لهم

أبواب الرزق والحياة الرغدة والذرية من الأولاد وكثرة الأموال وأبواب الترف والبذخ {حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا} حتى إذا أصبحوا مسرورين فرحين {بِمَا أُوتُوا} بما أعطاهم الله تعالى من المال والولد والرزق والحياة المترفة والعمارات والقصور {أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً} أخذهم الله تعالى بالعذاب فجأة وبدون سابق إنذار {فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} فإذا هم هالكون بالعذاب وبالموت آيسون من النجاة ولا نجاة لهم {فَقُطِعَ} فانتهى {دَابِرُ الْقَوْمِ} أصلهم وذريتهم وكما قال تعالى: " فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ " ٨ الحاقة. {الَّذِينَ ظَلَمُوا} وهم الكفار وهم من ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك لأنهم سيعذبون في نار جهنم يوم القيامة {وَأَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وشكراً وثناءً لله رب العالمين ورب الكون كله بعذابهم واجتثاثهم من أصلهم فلم تبقى لهم باقية وهلكوا جميعاً وهم كقوم نوح أغرقوا جميعهم ما عدا من آمن منهم وقوم لوط وهود وصالح وغيرهم جميعهم أهلكهم الله تعالى لكفرهم وجحودهم.

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ ۗ أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله إلى الكفار والجاحدين والمنكرين {أَرَأَيْتُمْ} هل علمتم {إِنْ أَخَذَ اللَّهُ} إن أفقدكم الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {سَمْعَكُمْ} حاسة السمع وجعلكم صم {وَأَبْصَارَكُمْ} وأفقدكم النظر وجعلكم عمي {وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ} أقفلها وختم على قلوبكم الكفر والعصيان وجعلكم كالأنعام بل أضل سبيلاً أي لا تعرفون الحلال من الحرام أو تكونوا مجانين لا تفقهون شيئاً كمن يُرَدُّ إلى أرذل العمر وكما قال تعالى: " وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا

يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ " ٧٠ النحل. {مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ} من يستطيع غير الله أن يرد عليكم سمعكم وبصركم وقلوبكم إذا جعلكم تفقدونها {أَنْظُرْ كَيْفَ} انظر يا محمد يا رسول الله كيف {نُصِرَفُ الْآيَاتِ} ندلل بالبراهين والحجج ونبينها ونوضحها ونأت بها {ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ} ثم هم بعد كل ذلك يُعرضون ويتولون ويجحدون وينكرون ويكذبون {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {أَرَأَيْتَكُمْ} هل علمتم {إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ} إن أتاكم وحضر إليكم عذاب الله ونقمته وهلاكه {بَغْتَةً} فجأة {أَوْ جَهْرَةً} أو عياناً وظاهراً وعلناً وظهرت مقدماته وإشاراته {هَلْ يَهْلِكُ} هل يعذب ويموت {إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ} إلا القوم الذين يظلمون أنفسهم بالشرك والكفر والمعاصي وعذاب الله تعالى يوم القيامة في نار جهنم.

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

{وَمَا نُرْسِلُ} وما نبعث {الْمُرْسَلِينَ} رسل الله تعالى {إِلَّا مُبَشِّرِينَ} إلا مبشرين من آمن وصدق وعبد الله حق عبادته دخل الجنة يوم القيامة {وَمُنذِرِينَ} محذرين من كفر وأشرك وعصى وجحد وأنكر وكذب الرسل فله عذاب جهنم يوم القيامة {فَمَنْ ءَامَنَ} فمن آمن وصدق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَأَصْلَحَ} أعماله وعبادته لله وحده وأصلح قلبه بالهدى والإيمان والتقوى والعمل الصالح {فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} لا خوف عليهم في الدنيا من عمل المعاصي لعملهم بالطاعات

ولا يخافون عذاب الله تعالى لهم لطاعتهم له {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} لا يحزنون في الآخرة لأن الجنة موعدهم ولا يحزنون على الدنيا لأن الجنة أفضل منها بدرجات {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} والذين كذبوا بآيات القرآن وبالمعجزات الكونية من خلق السموات والأرض والجبال والأنهار والبحار والشمس والقمر والنجوم وبحجج وبراهين ودلائل قدرة الله تعالى {يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ} يصيبهم عذاب الله تعالى {بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} بما كانوا يعصون الله تعالى.

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للناس عامة وللکفار خاصة {لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي} قل يا محمد للکفار لا أدعي لكم عندي وتحت يدي وملكي {خَزَائِنُ اللَّهِ} من الأموال والكنوز ، أي من أراد الغنى فلن أستطيع أن أغنيه ، أي من أراد الدخول في الإسلام حتى يصبح من الأغنياء والأثرياء فليس عندي ذلك {وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} أي ليس عندي علم الغيب كله ولكن فقط ما يعلمني الله تعالى به وكما قال تعالى: " وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ " آية الكرسي ٢٥٥ البقرة. وأنه يعلم الغيب مما يوحيه الله تعالى له كما قال تعالى: " ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيماً وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ " ٤٤ آل عمران. وكما قال تعالى: " ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ " ١٠٢ يوسف. {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ} ولا أدعي أنني ملك من الملائكة بل أنا من بني آدم ومن جنسكم {إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ} فلا أتبع إلا ما يوحيه الله تعالى من الغيب في القرآن على لسان

جبريل عليه الصلاة والسلام وليس من عندي {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {هَلْ يَسْتَوِي} هل يتساوى {الْأَعْمَى} الذي لا يبصر وهو من فقد عينيه ولا يعلم من العلم شيئاً وهو الكافر والجاهل {وَالْبَصِيرُ} وهل يستوي ويتساوى مع المبصر وعنده هدى وعلم من الله تعالى وهو الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ} أفلا تتعظون وتعتبرون. أليس القرآن من الغيب؟.

﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

{وَأَنْذِرْ بِهِ} وحذر بالقرآن تخويفاً {الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ} الذين يخافون الله تعالى في يوم المحشر عندما يُحشرون ويرجعون إليه يوم القيامة للحساب والعقاب والجزاء والثواب {لَيْسَ} لا يوجد {لَهُمْ} للكفار {مِنْ دُونِهِ} غيره {وَلِيٌّ} مساعد ولا مساند ولا مؤازر ولا وكيل ولا كافي ولا حسيب {وَلَا شَفِيعٌ} ولا أحد غيره يشفع ويتشفع يوم القيامة لكم ليخرجكم من عذاب الله من نار جهنم {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} لعلهم يطيعون الله تعالى ويخافونه ويحذرون عذابه {وَلَا تَطْرُدِ} ولا تبعد {الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} وهم المؤمنون من فقراء المهاجرين كصهيب وبلال وعمار بن ياسر وخباب وغيرهم. [ابن كثير ج ٢ ص ١٣٤]. وذلك بناء على طلب سادة قريش وعظمائها أن يكون للفقراء وقت ولسادة قريش اجتماع منفرد بالنبي صلى الله عليه وسلم بدون وجود هؤلاء الفقراء لث ثيابهم ومنزلتهم

الاجتماعية {بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} وهؤلاء الفقراء الذين يدعون الله صباحاً ومساءً يصلون ويتعبدون ويذكرون الله تعالى إنما يعملون ذلك يريدون به وجه الله تعالى وعبادته وحده ويريدون رضاه وطاعته {مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} ليس لك أن تحاسب هؤلاء الفقراء وتمنعهم من الاجتماع بك مع الأغنياء ولا تحاسبهم وتمنعهم لا لشيء إلا لأنه طلبُ أغنياءٍ وسادةٍ قريشٍ وبدون ذنب ارتكبه {وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ} وما محاسبتك وطردهم لهم ومنعهم من الاجتماع بك {مِنْ شَيْءٍ} بضارهم من شيءٍ أي لن يضرهم لأن الله تعالى هو الذي يعلم ويحاسب كما قال تعالى: "إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ" لأنه تعالى علام الغيوب {فَتَطْرُدَهُمْ} فتطردهم وتبعدهم وتمنعهم من الاجتماع بك عند حضور سادة قريش {فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} فتكون من الظالمين للرسالة والنبوة ولنفسك بذنب منعهم من الجلوس والاستماع إليك وتظلمهم هم لأنهم لم يعملوا ذنباً ولم يرتكبوا خطيئة أو سيئة. وهذا كما قال الله عز وجل للرسول صلى الله عليه وسلم في سورة عبس: "أَمَا مَنْ اسْتَعْنَى {٥} فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى {٦} وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي {٧} وَأَمَا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى {٨} وَهُوَ يَخْشَى {٩} فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى {١٠}" ١٠-٥ عبس.

﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَن بَلَّغَهُم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾

{ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا } وهكذا ابتلينا { بَعْضَهُم بِبَعْضٍ } الكفار بفقراء المؤمنين وعبيدهم ورقيقهم { لِيَقُولُوا } ليقول الكفار { أَهَؤُلَاءِ } هل هؤلاء فقراء المسلمين { مَن بَلَّغَهُم } فضل الله تعالى عليهم بالإيمان { مِّن بَيْنِنَا } من دوننا { أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ } ألم يكن الله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه بأعلم من يشكر من عباده ومن يطيعه ويعبده ويشكره على فضله أن هداه الله للإسلام ممن كفر وعصى وأشرك.

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا مَّجْهَلًا لَّمْ يَجِدْ لَهُ تَابًا مِّن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

{ وَإِذَا جَاءَكَ } وإذا أتى وحضر إليك يا محمد يا رسول الله { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا } وهم المؤمنون الذين ويصدقون بآيات الله من القرآن الكريم وبآيات الله الكونية من السموات والأرض والجبال والأنهار والبحار والشمس والقمر والنجوم وبحجج وبراهين ودلائل قدرة الله تعالى في خلقه وكونه من موت وحياة { فَقُلْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ } فقل لهؤلاء المؤمنين يا محمد يا رسول الله سلام عليكم وأمان وتحية من الله لكم بإسلامكم { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ } كتب وقضى وحكم فأوجب على نفسه { الرَّحْمَةَ } يرحم بها عباده يوم القيامة. ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله

عليه وسلم: (إن الله لما خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي). [ابن كثير ج ٢ ص ١٢٥]. {أَنَّهُ مَن عَمَلٍ مِّنْكُمْ} أنه من عمل منكم أيها المؤمنون {سُوءًا} شراً أو معصية أو ذنباً {بِجَهْلَةٍ} بجهل وجميع أعمال أهل الدنيا يعملون المعاصي والذنوب بجهالة وعن جهل وقلة علم بالعذاب الذي ينتظرهم {ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ} ثم تاب بعد ارتكاب الإثم أو الذنب {وَأَصْلَحَ} وأصلح عمله وطاعته لله تعالى {فَأَنَّهُ} فإن الله تعالى {عَفُورٌ} يغفر الذنب ويتجاوز عنه لمن تاب {رَّحِيمٌ} ويرحمه يوم القيامة بإدخاله الجنة. وثبت في صحيح مسلم قال: حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قال حدثنا يونس حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا إسحاق بن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك وهو عمه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لله تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب من أحدكم كانت راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك -أخطأ من شدة الفرح-). [ابن كثير ج ٤ ص ١١٤].

﴿ وَكَذَلِكَ نَفِصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾

{وَكَذَلِكَ} وهكذا {نُفِصِلُ الْآيَاتِ} نوضحها ونبينها ونضرب بها الأمثال ونأتي بالحكم والتفسير لكل شيء وننزل عليها آية من القرآن الكريم جواباً لها وتوضيحاً وتفسيراً {وَلِتَسْتَبِينَ} ولتتري ويتوضح لك ويستبان ويبين لك يا محمد {سَبِيلُ} طريق وسلوك {الْمُجْرِمِينَ} المذنبين والعاصين ممن يتولى ويعرض ويصد عنك وعن دين الإسلام يا محمد يا رسول الله.

﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار {إِنِّي نُهَيْتُ} منعت وأمرت أن لا أفعل {أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} أن أعبد الأصنام والأوثان وهم ما تدعون غير الله {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول {لَأَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ} لا أتبع رغباتكم ولا شهواتكم {قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا} قد غويت وضللت وابتعدت عن الحق وعن الطريق المستقيم وعن الهدى عندها {وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} ولم أكن مهتدياً للحق ولم أكن من العارفين ولا مع من هداهم الله تعالى {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار {إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي} على هدى وبيان من الله تعالى ربي وخالقي ربي ورب الكون والخلق كلهم أجمعين وهو رب الأرباب ومسبب الأسباب {وَكَذَّبْتُمْ بِهِ} أي وكذبتم بربي وهو الله تعالى وعبدتم وأشركتم غيره وهي تكملة لقوله تعالى: " إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ " {مَا عِنْدِي} لا يوجد عندي ولا ملكي ولا في استطاعتي {مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ} ما تطلبون السرعة والعجلة بقدمه وهو العذاب عذاب الله تعالى {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ} حكم وأمر العذاب بيد الله تعالى وحده ولا أحد يستطيعه من نفسه فهو إما يستعجل به أو يؤخره إلى يوم القيامة فهو الحكيم في ذلك {يَقْضُ الْحَقَّ} يروي قصة الحق وما

يقول به الكفار لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولكن الله تعالى ذات مرة جعل الأمر بيده في عذابهم وهلاكهم وهو أعلم كما ثبت في الصحيحين من طريق ابن وهب عن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال: (لقد لقيتُ من قومك وكان أشد ما لقيت منه يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن ياليل ابن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردتُ فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد ظللتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فيما شئت إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً). [وهذا لفظ مسلم - ابن كثير ج ٢ ص ١٣٧]. والاختلاف بين هذه الآية وهذا الحديث في ظاهره ولكن هذه الآية عامة وحادثة الأخشبين كانت خاصة ومرة واحدة ولم تتكرر والله تعالى أعلم بنبيه ورسوله ونيته وبما ينوي أن يفعل والمهم هو العام. والخاص من المعجزات لرسوله وكما أن النار تحرق في العام ولكن أبطل الله تعالى مرة واحدة مفعولها على إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال: " يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ " وهذه خاصة ومرة واحدة. وكذلك جبل الأخشبين كانت خاصة ومرة واحدة ومعجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم {وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلَيْنِ} والله هو أحكم الحاكمين يوم القيامة ويفصل ويحكم بالحق والعدل فالكفار لهم نار جهنم وعذابها والمؤمنون لهم الجنة ونعيمها {قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي} لو كان ملكي وفي

استطاعتي وفي قدرتي { مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ } ما تطلبون السرعة والعجلة به وهو أن ينزل بكم العذاب والهلاك { لَقُضِيَ الْأَمْرُ } لانتهى وحسم الخلاف فوراً { بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } بيني أنا رسول الله وبينكم أيها الكفار ولكن الأمر كله بيد الله تعالى وما أنا إلا بشير ونذير وما على الرسول إلا البلاغ المبين. { وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ } والله أعلم بالظالمين من خلقه وبظلمهم لأنفسهم بالشرك والكفر والمعاصي وعذاب الله تعالى لهم يوم القيامة في نار جهنم.

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

{ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ } عنده علم { الْغَيْبِ } ما غاب علمه ولم يُحِطْ به ولا بعلمه قبل أن يُطَّلِعَ اللهُ عليه أحداً من العالمين { لَا يَعْلَمُهَا } لا يعرفها ولا يحيط بها علماً { إِلَّا هُوَ } إلا هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه.

وهذا لا يمنع أن أحداً يعلم الغيب في أمر من الأمور وهو كمن بيده أو عنده ملك وخزائن الأموال فلا مانع أن يتصدق بشيء من ماله لأحد من الناس وهكذا الله تعالى لا مانع من إعطاء علمه لبعض الناس من الرسل أو الأولياء: كما أعلم الخضر عليه الصلاة والسلام عن الكنز الموجود تحت الجدار ، وعلمه من علمه أن هناك ملكاً يأخذ كل سفينة غصباً ، وكذلك علم رسولنا سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم القرآن فهو من الغيب وكما قال تعالى عن مريم: " ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ " ٤٤ آل عمران. وكذلك عن قصة يوسف كما قال تعالى: " ذَلِكَ مِنْ

أَنْبَاءِ الْغَيْبِ تُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ " ١٠٢

يوسف. فالغيب العام كله عند الله تعالى يعطي علمه لمن يشاء ما يشاء وبقدر معلوم. وكما قال تعالى: " وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ " ٢٥٥ البقرة.

وقال البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مفتاح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله " إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَادًّا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " ٣٤ لقمان). [ابن كثير ج ٢ ص ١٣٧]. وهنا أكرر أن علم الغيب كله بيد الله تعالى وكله عند الله تعالى وكله ملكٌ لله تعالى وهذا لا يمنع كما أسلفنا أن يوهبَ أحدٌ خلقه منه علماً وذلك كمثل رجل يملك بستاناً يقال هذا ملكٌ فقط لفلان ولا أحد يملكه غيره ولكن هذا لا يمنع صاحب البستان من إهداء بعض الثمار أو الفاكهة لأحدٍ من الناس كصدقة أو بعض أصدقائه كهدية ولله المثل الأعلى فلا مانع أن يعطي الله تعالى بعض علمه بالغيب أو شيئاً منه لرسله أو لأوليائه كما أوردنا الآيات القرآنية السابقة. وكذلك هناك من علم الغيب الرؤيا الصادقة فهي تخبر عن علم الغيب في المستقبل كما رأى يوسف عليه السلام وكما قال تعالى: " إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ {٤} قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ {٥} " ٥، ٤ يوسف. وكذلك الغيب عند يعقوب عليه السلام عندما طلب إخوة يوسف يوسف للذهاب معهم علم بما سيقولون له بأن الذئب أكله فقال: " قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ " ١٣ يوسف. ولما ذهبوا به قالوا كما قال تعالى:

”وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ {١٦} قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ {١٧}“ ١٧، ١٦ يوسف. ثم علم الغيب عند يعقوب عليه السلام بأن يوسف عليه السلام لا يزال حياً كما قال تعالى: ” يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ “ ٨٧ يوسف. وتجلي علم الغيب عند يعقوب عليه الصلاة والسلام بشم رائحة يوسف من مصر وهو في بلاد الشام في فلسطين وكما قال تعالى: ” وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ {٩٤} قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ {٩٥}“ [وهذا هو قول الجهلة والذين لم يؤتوا العلم من الناس وهم من حجب الله أبصارهم وقلوبهم عن العلم والمعرفة عن الصالحين وكما قال تعالى: ” بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ “]] فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {٩٦} “ ٩٤-٩٦ يوسف. وهذا العلم الذي يعلمه يعقوب عليه الصلاة والسلام هو علم الغيب.

كيف لا ولا نزال نرجع ونكمل باقي الرؤيا الصادقة والحقة في القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه عن رؤيا فتيان السجن كما قال تعالى: ” وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ “ ٣٦ يوسف. ثم فسرهما وأولها لهم يوسف عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى: ” يَا صَاحِبِي السَّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ “ ٤١ يوسف.

ولا نزال مع الرؤيا: "وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ {٤٣} قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ {٤٤} " {٤٣، ٤٤} يوسف. ولكن يوسف عليه السلام أولها لهم كما قال تعالى: " قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ {٤٧} ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ {٤٨} ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ {٤٩} " {٤٧-٤٩} يوسف.

وهذه الآيات شملت علم الغيب: بعضه بالرؤيا كرؤيا يوسف عليه الصلاة والسلام ورؤيا الفتيان ورؤيا الملك وحتى لو كان كافراً كما كان ملك مصر في ذلك الزمان ، وبعضه بعلم الغيب حقيقةً عياناً كوضوح الشمس الشم عند يعقوب عليه الصلاة والسلام لرائحة يوسف من مصر وهو في فلسطين مسيرة سير قافلة الجمال شهراً. وبهذه الرائحة يعرف الصالحون بعضهم بعضاً ويعرفوا بها من كان جُنُباً وخاصة في حلقات الذكر. وما ذلك إلا تصديقاً لرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقاً للرسل السابقين عليهم جميعاً الصلاة والسلام وتصديقاً لديننا الحنيف فهل من مدكر؟! وإن في ذلك لآيات لأولي الألباب.

{وَيَعْلَمُ} ويحيط علمه علماً ومعرفةً ودرايةً وحقيقةً ومشاهدةً {مَا فِي الْبَرِّ} ما على الأرض اليابسة أي يعلم كل شيء على الأرض من إنس وجان وحيوانات وحشرات وجبال وسهول ووديان وأشجار ورمال {وَالْبَحْرِ} ويعلم ما في البحر من قطرات وما فيها من أسماك وحياتان ومخلوقات {وَمَا تَسْقُطُ} وما تقع {مِنْ وَرَقَةٍ} من ورقة من ورق الشجر على الأرض من مكانها ومن شجرتها {إِلَّا يَعْلَمُهَا} إلا ويعلم الله تعالى بها معرفةً وحقيقةً ومشاهدةً {وَلَا حَبَّةٌ} ولا حبة من الحبوب أو

الثمار أو الخردل أو الفواكه ولا بذرة من البذور { فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ } في بطون الناس أو الحيوانات لأن في البطون ظلمة أو في ظلمات الكهوف والأنهار والبحار والوديان أو في ظلمات الليل البهيم أو ظلمات الغابات الكثيفة في ليلة الشتاء المظلم أو في أعماق الأرض والجبال أو تحت صخرة جرفتها ماء الأمطار والسيول وكما قال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: " يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ " ١٦ لقمان. { وَلَا رَطْبٌ } ولا عود أخضر أو شجرة خضراء { وَلَا يَابِسٌ } ولا شيء جاف من الأشجار والعيوان { إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } إلا وهو مسجل في اللوح المحفوظ وكما قال تعالى: " وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ " ٦ هود. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقبلوا البشرى يا بني تميم) قالوا: قد بشرتنا فأعطنا. قال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن) قالوا: قد قبلنا فأخبرنا عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال: (كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء) قال: فأتاني آت فقال: يا عمران انحلت ناقتك من عقالها قال فخرجت في إثرها فلا أدري ما كان بعدي. وهذا الحديث مخرج في صحيح البخاري ومسلم بألفاظ كثيرة فمنها: قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فقال: (كان الله ولم يكن شيء قبله ، وفي رواية: - غيره - وفي رواية: - معه - وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، ثم خلق السموات والأرض). [ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٧].

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٧﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۗ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٨﴾ ﴾

{ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ } وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو الذي يميئتم بالنوم الميتة الصغرى في الليل وطبعاً الموتة الكبرى هي الموت { وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ } ويعلم الله كذلك ما عملتم وما عملت جوارحكم بالنهار من خير أو شر ومن طاعة أو معصية { ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ } ثم يحييكم عند الاستيقاظ من النوم ويرد إلى كل منكم روحه ويرسلكم بالنهار لتبتغوا من فضله وكل في النهار يذهب إلى عمله وحرفته ومدرسته وجامعته { فِيهِ } في النهار وكما قال تعالى: " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا " ٤٧ الفرقان. وكما قال تعالى: " وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا {٩} وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا {١٠} وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا {١١} " ٩-١١ النبأ. { لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى } حتى ينتهي الأجل وهو يسمى بالموت { ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ } ثم إلى الله مرجعكم يوم القيامة جميعاً أيها الناس { ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ } ثم يوم القيامة يعلمكم ويخبركم { بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } بما عملتم في الدنيا من خير أو شر أو طاعة أو معصية وكما قال تعالى: " وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا " ٤٩ الكهف. { وَهُوَ الْقَاهِرُ } وهو القوي والقاهر الذي يقهر العباد بالمرض والموت { فَوْقَ عِبَادِهِ } على عباده ومخلوقاته جميعهم وهو فوقهم بالقهر والغلبة والجبروت والموت

{وَيُرْسَلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةٌ} ويرسل عليكم أيها الناس حفظة تحفظكم من الشياطين ومن الجن في الليل والنهار وكذلك ملائكة أخرى حفظة تحفظ وتحصي عليكم أعمالكم. وقد روى الإمام أبو جعفر بن جرير حديثاً قال: حدثني المثنى حدثنا إبراهيم بن عبد السلام بن صالح القشيري بن عبد الرحمن حدثنا علي بن جرير عن حماد بن سلمة عن عبد الحميد بن جعفر عن كنانة العدوي قال: دخل عثمان ابن عفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ فقال: (ملك عن يمينك على حسناتك وهو أمير على الذي على الشمال فإذا عملت حسنة كتبت عشراً ، وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين أكتبها؟ قال لا لعله يستغفر ويتوب فيستأذنه ثلاث مرات ، فإذا قال ثلاثاً قال أكتبها أراحنا الله منه فبئس القرين ، ما أقل مراقبته لله وأقل استحياءه منا ، يقول الله: " مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ " وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله تعالى: " لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ " الآية. وملك قابض على ناصيتك فإذا تواضعت لله رفعك ، وإذا تجبرت على الله قصمك ، وملكان على شفقتك ليس يحفظان عليك إلا الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ، وملك قائم على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك ، وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي ، ينزلون ملائكة الليل على ملائكة النهار لأن ملائكة الليل سوى ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكاً على كل آدمي ، وإبليس بالنهار وولده بالليل). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٤]. وكما جاء في الصحيح: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر. فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون). [ابن كثير ج ٢

ص ٥٠٣]. وقال صلى الله عليه وسلم: (إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرمهم). [ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٣]. وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: "يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ" قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خلوا عنه. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٣]. وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما منها شيء يأتيه يريد به إلا قال له الملك وراءك إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه. [ابن كثير ج ٢ ص ٥٠٣]. {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ} حتى إذا حضر وقرب الأجل وأصبح في سكرات الموت وفي الغرغرة {تَوَفَّتَهُ رُسُلُنَا} قبضت روحه الملائكة الموكلة بالموت وهم رسل الله تعالى لقبض الأرواح وللموت {وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ} وهم لا يؤخرون أجلاً لأحد ولا يستقدمونه ولا يتركون أحداً جاء أجله إلا قبضوا روحه في الوقت المحدد وكما قال تعالى: "لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ" ٣٨ الرعد. وكما قال تعالى: "فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ" ٦١ النحل. {ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ} ثم عادوا ورجعوا إلى الله تعالى في المحشر يوم القيامة {مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ} وهو مولاهم ومتولي أمرهم حقاً وصدقاً {أَلَا لَهُ الْحُكْمُ} أليس الأمر والحكم بيده يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم {وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ} والله سريع الحساب وقد سئل علي بن أبي طالب كيف يحاسب الله تعالى الناس جميعاً في وقت واحد فقال: كما يرزقهم.

﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيِّنَ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظَرْكُمْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٥﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار {مَنْ يُنَجِّيكُمْ} من ينقذكم {مِنْ ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} من التيه في الصحراء في ظلام ليلها في الليلة الظلماء الممطرة ومن شر أوديتها وأنهارها ومن شر وحوشها وسباعها ، وكذلك ظلمات البحر وهي ظلمات هيجان البحر في يوم عاصف وليل ممطر. أي ظلمات البر من التيه ، ومن ظلمات البحر من الغرق والتيه في ظلام الليل وعند اشتداد الريح والعواصف {تَدْعُونَهُ} تتوسلون إلى الله تعالى بأنواع الأدعية {تَضَرُّعًا} تدعونه بتوسل بصوت عالٍ {وَخُفْيَةً} أي سراً وبصوت خافت {لَّيِّنَ أَنْجَيْنَا} لئن نجانا وأنقذنا {مِنْ هَذِهِ} من هذه الورطة وهي التيه في الصحراء أو الغرق في البحر {لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} لنكونن ممن يشكر الله تعالى بالحمد والشكر والصلاة والعبادة لله وحده {قُلِ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {اللَّهُ} الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ} فالله تعالى ينجيكم من هذه الورطة أو المصيبة أو التيه أو الغرق وكذلك ينجيكم من كل كرب كل شدة وكل هم وغم {ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ} ثم أنتم أيها الكفار بعد هذه النجاة ورفع الكرب والهم والمصيبة والشدة عنكم تكفرون وتشركون وتجعلون مع الله إلهاً غيره {قُلِ} قل للكفار يا محمد يا

رسول الله {هُوَ الْقَادِرُ} هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو الذي يستطيع ويقدر {عَلَى أَنْ يَبْعَثَ} على أن يرسل {عَلَيْكُمْ} أيها الكفار {عَذَابًا} عذاباً وهلاكاً {مِّنْ فَوْقِكُمْ} وهي الصواعق والأمطار والطائرات القاذفات والصواريخ والمدافع والقنابل الذرية والهيدروجينية أو سقوط البنايات عليكم أو الحائط والملاجئ {أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} الزلازل والبراكين والمتفجرات والطوفان والوديان أو من الثعابين والعقارب وما شابه ذلك {أَوْ يَلْبَسَكُمْ} أو يجعلكم {شِيْعًا} أحزاباً وطوائف وملل وطرق مختلفة وكما جاء في الحديث: (إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة وإن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة في الجنة وثلثان وسبعون في النار قيل من هم يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي). [رواه الحاكم في مستدرکه بهذا اللفظ وهو في السنن والمسائيد - ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٢]. {وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ وَيُعَذِّبُكُمْ} ويذيقكم ويعذبكم {بِأَسِّ} ظلم وقهر وعذاب {بَعْضٍ} طائفة منكم متسلطة ومتجبرة. قال أبو جعفر بن جرير في تفسيره: حدثني زياد بن عبد الله المزني حدثنا مروان ابن معاوية الفزاري حدثنا أبو مالك حدثني نافع بن خالد الخزاعي عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة خفيفة تامة الركوع والسجود فقال: (قد كانت صلاة رَغْبَةً وَرَهْبَةً سألت الله عَزَّ وَجَلَّ فيها ثلاثاً أعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألت الله أن لا يصيبكم بعذاب أصاب به من كان قبلكم فأعطانيها ، وسألت الله ألا يسلط عليكم عدوا يستبيح بيضتكم فأعطانيها وسألت الله أن لا يلبسكم شيعة ويذيق بعضكم بأس بعض فمنعنيها). قال أبو مالك فقلت له أبوك سمع هذا من في رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال نعم سمعته يحدث بها القوم أنه سمعها من

في رسول الله صلى الله عليه وسلم. [ابن كثير ج ٢ ص ١٤١]. {أَنْظُرْ} انظر وشاهد يا محمد يا رسول الله {كَيْفَ نُصَرِّفُ} كيف نوضح لهم ونبين {الْآيَاتِ} البراهين والأمثلة والعبر والمصائب والعذاب {لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} لعلهم يفهمون ويعتبرون بها.

﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ تَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

{وَكَذَّبَ} أنكره وجحد به ولم يصدقه {بِهِ} القرآن الكريم {قَوْمُكَ} قومك يا محمد يا رسول الله وهم أهل قريش وهم قومه {وَهُوَ الْحَقُّ} والقرآن هو الحق والصدق والعدل {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} لست عليكم بمسئول وكما قال تعالى: " لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ " ٢٢ الغاشية. {لِكُلِّ نَبَأٍ} لكل خبر {مُسْتَقَرٌّ} نهاية يستقر فيها ويوقف عندها {وَسَوْفَ} يوم القيامة {تَعْلَمُونَ} تعرفون الحقيقة {وَإِذَا رَأَيْتَ} وإذا رأيت يا رسول الله ويا أيها المؤمن {الَّذِينَ تَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا} الذين يتكلمون في آيات الله بالكفر أو المعصية أو الذنب أو التكذيب {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} ابتعد عنهم واتركهم وشأنهم هذا إذا لم يكن لك عليهم سلطة أو حكم {حَتَّىٰ تَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} حتى يغيروا مجرى الحديث إلى حديث آخر {وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ} وإذا ما نسيت وأنساك

الشیطان ذلك {فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى} فلا تجلس معهم بعد تفكرك ذلك {مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} مع العصاة الذين ظلموا أنفسهم بالمعصية {وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ} وما على المتقين {مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} وليس على المتقين حسابهم ولا معاقبتهم {وَلَكِنْ} ولكن عدم مجالستهم {ذِكْرِى} عظة وعبرة {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} لعلهم يرجعون عن غيرهم ومعصيتهم ويخافون الله تعالى ويخشونه ويعبدونه حق عبادته.

﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلَّ عَدَلٍ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُمَّتِنَا قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرُنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

{وَذَرِ} ودع واترك {الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا} وهم الكفار الذين فرطوا في دينهم واتخذوا دينهم لعباً ولهواً وسخرية واستهزاء {وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} وفتنتهم الدنيا وحياة الترف والبذخ وملذات الدنيا وشهواتها وألهتهم عن الآخرة وعذابها {وَذَكَرَ بِهِمْ} وذكر وعظ بالقرآن الكريم بأن من يتق الله يدخله الجنة ومن يعص الله يدخله النار {أَنْ تَبْسَلَ} أن تهلك وتعذب وتعاقب {نَفْسٌ بِمَا

كَسَبَتْ} كل نفس بما عملت كما قال تعالى: " كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ " ٣٨
المدثر. {لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ} ليس لها غير الله {وَلِيٌّ} معين ونصير ومساعد
ومساند ومؤازر ووكيل وحسيب وكافي ومنقذ {وَلَا شَفِيعٌ} يشفع لها ويدافع عنها
{وَأِنْ تَعَدَلَ} وإن تفتد {كُلَّ عَدَلٍ} كل فداء {لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا} لا يقبل منها
وكما قال تعالى: " وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ
وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ " ٤٨ البقرة. {أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا} هم الذين
عذبوا وهلكوا وعوقبوا {بِمَا كَسَبُوا} بما عملوا من ذنب ومعصية {لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ
حَمِيمٍ} لهم شراب من ماء يغلي وشديد الحرارة {وَعَذَابٌ أَلِيمٌ} وعذاب شديد
قاسٍ ومؤلم {بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} وذلك بسبب كفرهم {قُلْ} قل يا محمد يا
رسول الله {أَنْدَعُوا} أنعبد {مِنْ دُونِ اللَّهِ} غير الله {مَا لَا يَنْفَعُنَا} ما لا يوجد
فيه منفعة لنا {وَلَا يَضُرُّنَا} ولا يملك لنا مضره {وَوَرُدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا} ونرجع {بَعْدَ
إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ} بعدما هدانا الله {كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ} كالمجنون {فِي
الْأَرْضِ} يسيح ويأخذ على وجهه {حَيْرَانَ} لا يدري ماذا يفعل لأنه فاقد العقل
ومسلوب الإرادة لأن الشياطين الذين التبسوه يسوقونه حيث أرادوا وليس ما هو
يريد ويكون مسلوب العقل والإرادة {لَهُمْ أَصْحَابٌ} له أهل وأصدقاء وأحباب
{يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ أَتَيْنَا} يدعونه ويطلبون منه الهدى وأن يتبعهم ويأتي إليهم
ولكن بدون جدوى لجنونه {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنَّ هُدَىٰ
اللَّهِ} إن هدى الله تعالى {هُوَ الْهُدَىٰ} هو الهدى والرشاد والحق وأن الخير كله
فيه {وَأْمَرْنَا} وأمرنا الله تعالى {لِنُسَلِّمَ} لنتبع دين الإسلام {لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}

لله وحده رب العالمين ولا نعبد سواه {وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ} وصلوا الفرائض الخمس في أوقاتها {وَاتَّقُوهُ} وخافوه واحشوه واعبدوه حق عبادته وطاعته {وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو الذي إليه ترجعون وتقفون أمامه في المحشر حفاة عراة للحساب والعقاب والجزاء والثواب يوم القيامة.

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الذي خلق وأوجد من العدم {السَّمَوَاتِ} السبع سموات {وَالْأَرْضَ} والأرض التي نعيش عليها {بِالْحَقِّ} بالصدق أي صدقاً وليس كذباً ولا باطلاً وكما قال تعالى: " وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ " ٢٧ ص. {وَيَوْمَ} يوم القيامة {يَقُولُ} يقول الله تعالى لقيام الساعة {كُنْ} أمره كن بين الكاف والنون أي وأمره أسرع من لمح البصر وكما قال تعالى: " إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ " ٨٢ يس. {فَيَكُونُ} فيصير فوراً كلمح البصر {قَوْلُهُ} قول الله تعالى {الْحَقُّ} الصدق والعدل {وَلَهُ الْمُلْكُ} ولله تعالى ملك السموات والأرض وله الحكم والأمر {يَوْمَ} يوم القيامة {يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} يأمر الله تعالى إسرافيل عليه السلام بالنفخ في الصور وهو البوق وكما قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان التيمي عن أسلم العجلي عن

بشر بن شعاف عن عبد الله بن عمرو قال قال أعرابي يا رسول الله ما الصور؟ قال: (قرن ينفخ فيه). [ابن كثير ج ٢ ص ١٤٦]. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ). [رواه مسلم في صحيحه - ابن كثير ج ٢ ص ١٤٦]. {عَلِمُ الْغَيْبِ} الله تعالى يعلم الغيب وهم عالمه ومُعلّمه ولا أحد يعلمه غيره ، والغيب كل ما غاب عنك خبره ونباه كيوم القيامة ومتى تقوم وكم يدخل الجنة ومن يدخلها وكذلك من يدخل النار وأين هما ومتى يدخلونهما وهذا كله من الغيب وكما قال تعالى: " الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ " ٣ البقرة. {وَالشَّهَادَةِ} عالم المشاهدة والحس وهي الدنيا وما فيها من العالم المنظور والمعلوم والمشاهد بالعين فمعنى عالم الغيب عالم الآخرة وما فيها والجنة وأهلها والنار وأهلها ومتى تقوم وأحوالها وأحداثها ، والشهادة عالم الدنيا وما يشاهد فيها أي أنه يعلم الغيب والسر ويعلم العلى وأهله {وَهُوَ} وهو الله {الْحَكِيمُ} ذو الحكمة في خلقه ومُلكه وحكمه وأوامره ونواهيته وأفعاله وأقواله فهو بحكمته وقدرته وتدبيره في خلقه وكونه بالحكمة والرشاد ودون أخطاء {الْخَبِيرُ} العليم بأمور خلقه وذو خبرة ومعرفة فيما ينفعهم وما يضرهم وما يصلحهم.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۗ إِنِّي أَرِنَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ ﴿٧٤﴾

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ} قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو خليل الرحمن ونبي الله ورسوله {لِأَبِيهِ ءَازَرَ} لوالده آزر {أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً} هل تتخذ الأصنام آلهة من دون الله تعالى {إِنِّي أَرِنَاكَ} إني أنظرك {وَقَوْمَكَ} وعشيرتك {فِي ضَلَالٍ} في غيٍّ وبعد عن الحق والصواب والحقيقة {مُبِينٍ} بَيِّن وواضح. أي في كفر عظيم.

﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأَحِبُّ الأَفْلِينَ ۖ

﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي

لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي ۖ هَذَا

أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِمُ رَبِّي ءِ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي

فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ۖ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

{وَكَذَلِكَ} وهكذا {نُرَى إِبْرَاهِيمَ} نجعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو نبي

الله ورسوله وخليله نجعله يرى ببصره وبالعين المجردة وبالبصيرة بالتفكر والتدبر

والتمعن والتفحص والعظة والعبرة {مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ} ما في السموات

من كواكب ونجوم وشمس وقمر والأرض وما فيها من جبال وبحار وأنهار وسهول

ووديان وحيوانات وطيور {وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} حتى يكون من المتأكدين

والمصدقين والمتيقنين من وحدانية الله وحده لا شريك له وبأنه هو وحده الخالق

والبارئ والمبدئ والبدیع للسموات وما فيهن والأرض وما فيها وقيل أنه حصل

التجلي له فرأى ملكوت السموات والأرض بالعين المجردة وما فيها من العجائب حتى أنه رأى العرش والكرسي والأرض وما فيها من العجائب ليزيد إيمانه يقيناً وصلابةً ورسوخاً زيادة على إيمانه الذي لا يتزعزع وهذه معجزة أخرى لإبراهيم عليه الصلاة والسلام وقد أراه الله تعالى إحياء الموتى كذلك ليطمئن قلبه كما قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّهُ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " ٢٦٠ البقرة. ولا مانع من الأمرين الأول أن الله تعالى أرى إبراهيم عليه السلام ملكوت السموات والأرض من شمس وقمر ونجوم بتفكر وتدبر وتمعن وتفحص وعظة وعبرة ليقن ويتأكد بنفسه من أن للكون خالقاً ومدبراً وهو الله تعالى وفي مرة ثانية أراه الله معجزة له ملكوت السموات والأرض من العرش والكرسي وما فيهم من مخلوقات وعجائب لزيادة ترسيخ إيمان إبراهيم عليه الصلاة والسلام كما أراه إحياء الموتى الأربعة من الطير كما أسلفنا كيف لا وهو نبي الله ورسوله وخليله ومن الأربعة أولي العزم من الرسل الذين جاءوا قبل النبي صلى الله عليه وسلم {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ} فلما أقبل عليه وجاء {الَّيْلُ} الليل بظلامه صار يتفكر في خلق الله تعالى وينظر إلى السماء وما فيها {رءَا كَوْكَبًا} رأى كوكباً لامعاً ومضيئاً وقيل هو كوكب الزهرة وهو أشد لمعان الكواكب التي نراها بالعين المجردة {قَالَ} فقال إبراهيم عليه السلام في نفسه {هَذَا رَبِّي} أن هذا الكوكب الذي يلمع أكثر من كل النجوم والكواكب هذا هو ربي وخالقي وذلك قبل الرسالة وقيل وكان عمره خمس عشرة سنة. [نزهة المجالس ج ٢ ص ٩٨]. {فَلَمَّا أَفَلَ} فلما غاب هذا الكوكب

{ قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ } قال لا أحب الإله الذي يذهب ويغيب وهو ليس ربي
{ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ } فلما شاهد القمر { بَارِغًا } أي طالعا { قَالَ } قال إبراهيم عليه
الصلاة والسلام في نفسه { هَذَا رَبِّي } هذا هو ربي حيث نور القمر وجماله في الليل
يعطي للنفس بهجة فظنه ربه فقال هذا هو ربي { فَلَمَّا أَفَلَ } فلما غاب وتدارى
عنه في الأفق { قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي } إذا لم يهدني ويرشدني نفس ربي به
{ لَا كُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ } أي سأضل مع الضالين ولن أهتدي إليه أبداً
{ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ } فلما رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام طلوع الشمس { بَارِغَةً }
طالعة { قَالَ هَذَا رَبِّي } قال عنها هذا ربي { هَذَا أَكْبَرُ } أي الشمس هي ربي
وهي أكبر المخلوقات وكذلك ربي أكبر المخلوقات حيث تضيء الأرض كلها في يوم
واحد { فَلَمَّا أَفَلَتْ } فلما غابت { قَالَ يَنْقُومُ } قال لقومه يا قوم ويا عشيرتي { إِنِّي
بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } إني أبرأ مما تشركون مع الله غيره من الآلهة والأصنام
والأوثان وغيرها { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ } إني اتجهت بوجهي وكليتي { لِلَّذِي فَطَرَ }
للذي خلق السموات والأرض { حَنِيفًا } مستقيماً لا اعوجاج فيه { وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ } وما أنا من المشركين بالله غيره فهو وحده لا شريك له.

﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

{ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ } خاصمه وجادله قومه أي أهل العراق وهم قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وملكهم اسمه النمرود بن كنعان { قَالَ } قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام { أَتُحْجُونِي } أتجادلونني وتخاصمونني { فِي اللَّهِ } في عبادة الله وحده { وَقَدْ هَدَانِي } وقد هداني وأرشدني إلى عبادته وحده { وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ } ولا أخاف آلهتكم وأصنامكم لأنها عبارة عن حجارة وجمادات لا تنفع ولا تضر. وكان إبراهيم عليه السلام يبيع أصناماً ينحتها أبوه وينادي من يشتري شيئاً يضره ولا ينفعه فقالت له امرأة يا إبراهيم إنني أريد أن أشتري من أبيك صنماً فقال لها أنا أبيعك صنماً ثلثه يسخن الماء وثلثه يطبخ الطعام وثلثه يخبز لك العجين فتفكرت المرأة في كلامه ثم قال لها أنا أدلك على إله من أجابه ومن استغاث به أغاثه فقالت وكيف الوصول إليه فقال من قال: (لا إله إلا الله) مخلصاً من قلبه وصل إليه فقالت المرأة: (لا إله إلا الله) فسقط الصنم من يد إبراهيم على وجهه فقالت يا إبراهيم نعم الرب ربك من أمل غيره خاب والتعب في غير طاعته ضائع ثم أخذت الصنم فكسرتة. [نزهة المجالس ج ١ ص ١٦]. وكما قال تعالى: " وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا {٤١} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا {٤٢} " ٤١، ٤٢ مريم. { إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا } إلا إذا أراد الله تعالى بي أمراً أو شراً { وَسِعَ } أحاط { رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا } ربي

وخالقي الله تعالى بكل شيء علماً ودراية ومعرفة وإحاطة {أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} أفلا تتفكرون وتتعضون وتعتبرون {وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ} وكيف أخاف وأخشى ما أشركتم مع الله من الأصنام والأوثان والأنداد التي لا تنفع ولا تضر {وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ} ولا تخشون أنكم أيها الكفار {أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ} أشركتم مع الله غيره {مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا} ما لم ينزل الله تعالى عليكم أيها الكفار بعبادتها بيانا ودليلاً {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ} فأي القسمين {أَحَقُّ بِالْأَمْنِ} أحق بالأمن يوم القيامة والنجاة من عذاب الله ودخول الجنة الذين يعبدون الأصنام والأوثان التي لا تنفع ولا تضر أم الذين يعبدون الله تعالى وحده خالقهم وخالق الكون كله ورازقهم ومحييهم ومميتهم وهو على كل شيء قدير {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} إن كنتم تعلمون وتعرفون الحق من الباطل والصدق والصواب من الكذب والحقيقة من الباطل.

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٧﴾
 وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ
 حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٨﴾ ﴾

{الَّذِينَ ءَامَنُوا} وهم المؤمنون من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر {وَلَمْ يَلْبِسُوا} لم يخلطوا ولم يدخلوا على {إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} على إيمانهم ظلماً للعباد بأكل الحقوق والتجبر عليهم ومع الله لم يشركوا معه غيره {أُولَٰئِكَ} هؤلاء {لَهُمُ الْأَمْنُ} لهم الأمان والسلامة يوم القيامة فلا يدخلون نار جهنم بل لهم الجنة {وَهُمْ} وهم بذلك في الدنيا إذا لم يلبسوا إيمانهم بظلم

{مُهْتَدُونَ} أي مهتدون للطريق المستقيم وللحق والصواب وهم على الهدى. قال البخاري: حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: لما نزلت: "وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ" قال أصحابه وأينا لم يظلم نفسه؟ فنزلت: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ". [ابن كثير ج ٢ ص ١٥٢]. وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: لما نزلت هذه الآية: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ" شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله أينما لم يظلم نفسه؟ قال: (إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: "يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" إنما هو الشرك). [ابن كثير ج ٢ ص ١٥٣]. وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن يوسف حدثنا أبو جناب عن زاذان عن جرير بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كأن هذا راكب إياكم يريد). فانتهى إلينا الرجل فسلم فرددنا عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (من أين أقبلت؟) قال: من أهلي وولدي وعشيرتي. قال: (فأين تريد؟) قال: أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: (فقد أصبته). قال: يا رسول الله علمني ما الإيمان؟ قال: (أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت). قال: قد أقررت. قال ثم إن بعيره دخلت يده في شبكة جرزان فهوى بعيره وهوى الرجل فوق على هامته فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليّ بالرجل). فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعدها. فقالا يا رسول الله قبض الرجل. فأعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أما رأيتما

إعراضي عن الرجل فإني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة فعلمت أنه مات جائعاً). ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذا من الذين قال الله عز وجل فيهم: " الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ " الآية). ثم قال: (دونكم أخاكم) فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على شفير القبر فقال: (ألحدوا ولا تشقوا فإن للحد لنا والشق لغيرنا). [ابن كثير ج ٢ ص ١٥٣]. وروى ابن مردويه من حديث محمد بن يعلى الكوفي وكان نزل الري حدثنا زياد بن خيثمة عن أبي داود عن عبد الله ابن سخره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أعطي فشكر ومُنِع فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر) وسكت. فقالوا: يا رسول الله ما له؟ قال: (" أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ "). [ابن كثير ج ٢ ص ١٥٤]. {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا} وتلك حجتنا وبرهاننا ودلالتنا وبياننا {ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ} أعطيناها لإبراهيم حجة على قومه وهو كيف يخاف ما أشركوا من الحجارة والأوثان ولا يخافون أنهم هم أشركوا مع الله غيره. {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ} يرفع الله من يشاء من عباده بالرسالة والعلم والحجة كإبراهيم عليه الصلاة والسلام على قومه {إِنَّ رَبَّكَ} إن ربك وخالقك وإلهك يا محمد يا رسول الله {حَكِيمٌ} حكيم في شرعه وأمره {عَلِيمٌ} عليم بخلقه وما يفعلون.

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ ۚ
 دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾
 وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ ۚ كُلُّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
 وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ
 وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ
 مِن عِبَادِهِ ۗ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
 الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هُنَّآءَ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا
 بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ آقْتَدِهِ ۗ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
 إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

{ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ } وهب الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه
 إلى سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام سيدنا إسحاق من سارة بنت عمه
 وهي أخت لوط عليه الصلاة والسلام وولد لإسحاق عليه الصلاة والسلام يعقوب
 عليه الصلاة والسلام وهما نبيان ورسولان { كَلَّا هَدَيْنَا } كلاً منهما هداه الله
 تعالى بالإسلام وجعله نبياً ورسولاً { وَنُوحًا } ونوح عليه الصلاة والسلام وهو أبو
 البشر الثاني بعد آدم عليه الصلاة والسلام { هَدَيْنَا مِن قَبْلُ } وهو من قبل إبراهيم
 عليه الصلاة والسلام هداه الله تعالى لعبادته وطاعته { وَمِن ذُرِّيَّتِهِ } ومن ذرية
 إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأن الجميع بما فيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام هم
 أيضاً من ذرية نوح عليه السلام لأنه الأب الثاني للبشرية بعد آدم لأن الجميع
 أغرقوا ما عدا ذرية نوح وكما قال تعالى: " وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ " ٧٧ الصافات.

{دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ} داود عليه السلام وابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام وهما نبيان ورسولان إلى بني إسرائيل {وَأَيُّوبَ} عليه الصلاة والسلام وهو ابن بنت لوط وأيوب من ذرية موسى وكان تحتها ابنة يعقوب يقال لها ليا بنت يعقوب ويقال رحمة بنت يوسف عليه الصلاة والسلام. [بستان العارفين للسمرقندي ص ٦٧]. {وَيُوسُفَ} عليه الصلاة والسلام وهو ابن يعقوب عليه الصلاة والسلام {وَمُوسَى وَهَارُونَ} وسيدنا موسى بن عمران وأخوه هارون {وَكَذَلِكَ نَجْزِي} وكذلك نكافئ {الْمُحْسِنِينَ} الذين يحسنون طاعتهم وعبادتهم لله وحده فكافأهم بالنبوة والرسالة {وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى} وهو زكريا ابن ماثان وابنه يحيى عليهما الصلاة والسلام {وَعِيسَى} وعيسى عليه الصلاة والسلام ابن مريم بنت عمران {وَالْيَاسَ} وكان نبياً مرسلًا من سبط يوشع بن نون بعثه الله تعالى إلى أهل بعلبك {كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ} أي جميعهم من الصالحين أي من صلحت أعمالهم وعبادتهم وطاعتهم لله تعالى {وَأِسْمَاعِيلَ} وهو ولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام من هاجر المصرية وهو أبو العرب جميعهم وأبو النبي محمد صلى الله عليه وسلم {وَالْيَسَعَ} وهو تلميذ إلياس وخليفته وهو نبي ورسول {وَيُونُسَ} وهو يونس بن متى عليه السلام ابتلاه الله تعالى بالحوث فالتقمه لأنه أبق إلى السفينة وترك قومه قبل أن يؤمر بتركهم ولما علم أنه أخطأ صار يسبح في بطن الحوت ويقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ويقال بقي في بطن الحوت حتى أربعين يوماً أو أقل ثم بعثه الله تعالى إلى أهل نينوى من قرب الموصل بالعراق {وَلُوطًا} وهو ابن عم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأخته سارة زوجة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

والدة إسحاق {وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ} وكل منهم فضلهم الله تعالى بالنبوة والرسالة على عالم الجن والإنس {وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ} ومن بين آباءهم ومن بين ذرياتهم وإخوانهم {وَأَجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ} اخترناهم وهديناهم لطاعة الله تعالى وعبادته {إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} إلى طريق الحق والصواب وهو دين الله وشرعه {ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ} وهذا هو هدى الله {يَهْدِي بِهِ} يهدي بالرسالة والنبوة والإخلاص والعبادة والطاعة {مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} من يريد له الهدى من عباده {وَلَوْ أَشْرَكُوا} ولو أشركوا وجعلوا مع الله غيره {لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} لهلك وذهب عملهم الصالح وما كانوا يصنعون {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} هؤلاء الذين آتاهم وأنزل عليهم الكتب السماوية {وَالْحُكْمَ} والحكم والقضاء بالشرع وبما أنزل الله تعالى {وَالنَّبُوءَةَ} والرسالة {فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا} فإن يكفر ويجحد وينكر بها {هَتُونًا} هؤلاء الكفار من قريش أو اليهود والنصارى من أهل الكتاب {فَقَدَّ وَكَلْنَا بِهَا} فقد أسندنا أمر الرسالة والإيمان بها {قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ} قوماً غير جاحدين ولا منكرين وهم المؤمنون {أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ} وهؤلاء هم الذين هداهم الله تعالى لطاعته وعبادته {فَبِهْدَاهُمْ} فبهدى هؤلاء الرسل والأنبياء اقتده واتبع واقتفى أثرهم في الطاعة والعبادة والرسالة والصبر عليها وكما قال تعالى: " فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ " ٣٥ الأحقاف {قُلْ} قل للناس عامة والكفار خاصة يا محمد يا رسول الله {لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} لا أسأل من اتبع الإسلام أجراً على هداه {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي} إن هذا الهدى ما هو إلا ذكرى وعظة وموعظة {لِلْعَالَمِينَ} لجميع عالم الإنس والجن.

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشْرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعَلَّمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٦١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

{ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ } ولم يقدر الكفار قدر الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه من توقير وتعظيم وتبجيل وتقديس وتنزيه { حَقَّ قَدْرِهِ } كما ينبغي لجلاله وعظيم شأنه وسلطانه من طاعة وعبادة لله وحده لا شريك له وترك ما عداه وما سواه من الأصنام والأوثان والأنداد ومن الشرك والكفر والمعاصي والعناد والتكذيب وكما قال الله تعالى في آية أخرى: " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ " ٦٧ الزمر. أي وما وقروه وما عظموه كما ينبغي لكريم وجهه وعظيم شأنه وسلطانه فهو الخالق والرازق والمحيي والمميت فهو رب الأرباب ومسبب الأسباب ورازق العباد { إِذْ قَالُوا } قال الكفار { مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشْرًا مِّنْ شَيْءٍ } لم ينزل الله رسالته على أحد من الناس مثل محمد { قُلْ } قل لهم يا محمد يا رسول الله { مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى } من أنزل التوراة على موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام { نُورًا } علماً يضيء الطريق { وَهُدًى لِلنَّاسِ } وهدى يهدي به الله تعالى الناس من الضلال إلى الهدى ومن الباطل إلى الحق ومن الكفر إلى الرشاد { تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ } تجعلونه قصاصات من الورق وليس كتاباً كاملاً وهو التوراة التي أنزلت مع موسى

عليه الصلاة والسلام إلى اليهود {تُبْدُونَهَا} تظهرون حقيقتها {وَتُخْفُونَ كَثِيرًا} وتكتُمون كثيراً من الأحكام في التوراة ومنها التحريف والتغيير {وَعَلَّمْتُم مَّا لَمْ تَعَلَّمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ} وعرفتم ما لم تعرفوا أيها اليهود والنصارى لا أنتم ولا آبائكم من العلوم والأحكام التي جاءت بها التوراة من العلم والشرع {قُلِ اللَّهُ} وهو جواب قوله تعالى: " قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى " جوابه قل لهم يا محمد يا رسول الله هو الله الذي أنزل التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام {ثُمَّ ذَرَّهُمْ} دعهم واتركهم {فِي خَوْضِهِمْ} في ضلالهم وغييهم وعماهم وكفرهم ومعاصيهم {يَلْعَبُونَ} يمرحون ويلهون ويلعبون {وَهَذَا} وهذا القرآن الكريم هو {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ} هو كتاب مبارك لأنه منزل من عند الله تعالى فيه شفاء لما في الصدور ورحمة كما قال تعالى: " وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ " ٨٢ الإسراء. {مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} مصدق الكتب التي سبقته {وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى} ولتنذر وتحذر مكة (أي أهلها) فهي مثل الأم للمدن حولها فهي قبلة المسلمين {وَمَنْ حَوْلَهَا} من البلاد الإسلامية المجاورة القريبة والبعيدة {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} والمؤمنون وهم يؤمنون بيوم القيامة {يُؤْمِنُونَ بِهِ} يصدقون بالقرآن الكريم وما أنزل فيه ومن أنزله ومن نزل عليه {وَهُمْ} أي المؤمنون {عَلَى صَلَاتِهِمْ} على فرائض الصلاة الخمس وهي صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء {تُحَافِظُونَ} يداومون ويحافظون على أدائها في وقتها.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ أَتَيْتُمْ تُحْزُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

{ وَمَنْ أَظْلَمُ } لا أحد أظلم { مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا } ممن اختلق على الله جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه كذباً واختلاقاً وافتراءً وكما قال تعالى: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ... " ٥٧ الكهف. { أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ } أو ادعى بأنه قد أوحى إليه من عند الله تعالى { وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ } ولم يوح الله تعالى له أبداً بشيء بل يكذب على الله تعالى مثل مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة وهو من بني حنيفة في اليمامة واسمه مسيلمة بن حبيب ، والثاني الذي ادعى النبوة واسمه الأسود العنسي في اليمن وهو أول مرتد في الإسلام ، والثالث طلحة بن خويلد من بني أسد ولكن ابنه عمرو قد أسلم ، والرابع هي امرأة ادعت النبوة واسمها سجاح { وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } وهو مسيلمة الكذاب قال سأنزل مثل ما أنزل الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد أرسل مسيلمة الكذاب رسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وجاء فيها: (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فإنني قد أشركتك في الأمر فلك المدر [أي الحجر أي المدينة] ولي الوبر ولكن قريش قوم يعتدون). فكتب

إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين). [ابن كثير ج ٣ ص ١٥٥]. وقد جهز أبو بكر الصديق في خلافته جيشاً لمحاربة مسيلمة الكذاب بقيادة خالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر ألفاً وكان جيش مسيلمة من المرتدين ومن معه قريب من مائة ألف وهزمهم خالد ابن الوليد وقتل وحشي مسيلمة الكذاب وذلك في معركة اليمامة وقتل من القراء قريب من خمسمائة رضي الله عنهم وكانوا قريباً من ثلاثة آلاف ولهذا أشار عمر ابن الخطاب على الصديق بأن يجمع القرآن {وَلَوْ تَرَىٰ} ولو تشاهد يا محمد يا رسول الله {إِذِ الظَّالِمُونَ} إذ الكفار {فِي غَمْرَاتِ الموتِ} في سكرات الموت وعند النزع الأخير {وَالْمَلٰٓئِكَةُ} الملائكة الموكلون بالموت {بَاسِطُوٓا۟ اَيْدِيهِمْ} أي يضربونهم ويعذبونهم كما قال تعالى: " وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهُهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ " ٥٠ الأنفال. وعن الحسن البصري قال قال رجل يا رسول الله: إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشوك؟ قال صلى الله عليه وسلم: (ذاك ضرب الملائكة). [رواه ابن جرير - ابن كثير ج ٢ ص ٣١٩].

{أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ} أخرجوا أرواحكم من أجسادكم إلى جهنم وبئس المصير {الْيَوْمِ} يوم يموت الكافر {مُجْرَوْنَ} تعاقبون {عَذَابِ الْهُونِ} العذاب الشديد والذي يهين الكافر {بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ} بما كنتم تقولون من الشرك ومن عبادة الأصنام والأوثان {غَيْرِ الْحَقِّ} غير الصدق {وَكُنْتُمْ} وكنتم أيها الكفار {عَنْ ءَايَاتِهِ} عن دلائل الله تعالى وبياناته ومعجزاته وعن عبادته وطاعته {تَسْتَكْبِرُونَ} تتعالون وتتعاظمون وتعاندون وتتكبرون {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا} ولقد جئتم بالموت وإلى

يوم القيامة {فُرْدَى} آحاداً {كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} كما خلقكم الله تعالى أول مرة من بطون أمهاتكم كل واحد عريان لا يستطيع كلاماً ولا نطقاً ولا حراكاً {وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ} وتركتم ما أنعمنا عليكم من النعم والأموال والبنين والزوجات والممتلكات والأرض والعقارات {وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ} خلفكم للورثة في الدنيا يتنعمون بها {وَمَا نَرَى} ولا نشاهد {مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُم} معكم من يشفع لكم من {الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} ممن زعمتم أنهم شركاء الله في ملكه من الأصنام والأوثان والأنداد {لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ} لقد بعد بينهم وبينكم وانقطعت السبل بينكم {وَوَضَلَّ عَنْكُمْ} وذهب عنكم {مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} ما كنتم تكذبون وتدعون من الشركاء مع الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۗ يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ ۗ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ ۗ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٤٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۗ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

{إِنَّ} للتوكيد {اللَّهُ} الله تعالى خالق الكون ومبدعه وإله الكون ومن فيه وهو رب الأرباب جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {فالِقُ} خالق ومنبت أي عندما يفلق نصفين {الْحَبِّ} وهو جميع البذور من القمح والشعير والذرة والبقول والعدس والباامية والملوخية {وَالنَّوَى} وهو جميع النوى كنوى البلح والمشمش والزيتون وخلافها والله تعالى عندما يفلقه أي يفتحه ويشقه إلى فلقتين أو إلى نصفين لينبته

عندما يكون في الأرض وفي التربة بعد الزراعة {مُخْرِجُ الْحَيِّ مِنَ الْمَمِيتِ} أي يفصل الله تعالى الحي عن الميت وهو إشارة إلى قدره الله تعالى كيف يبدأ الخلق وكيف يخلقه من العدم فهو يخرج بني آدم الكائن الحي من النطفة وهي تبدو ميتة لا حراك فيها وهذا كناية وتشبيه وكذلك يخرج الحي الدجاجة (الصُّوصُ أو الكتكوت) من الميت البيضة وهي ميتة لا حراك فيها ويخرج النخلة من الميت وهي النواة ويخرج النبات والأشجار الحية من الحب والنوى الميت في ظاهره لأنه بدون حركة ونراه جماداً وهو كناية وتشبيه كيف الحياة وكيف الموت وكيف يخلق الله تعالى من الميت ما هو حي ، وكذلك يخرج الله تعالى بقدرته ومشينته وحكمته الحي في الحروب من بين الموتى وذلك عندما تسقط عليهم قذيفة مدفع أو بناية وكذلك في الزلازل قسم يخرجهم الله تعالى أحياء من بين الموتى والأنقاض {وَمُخْرِجُ الْمَمِيتِ مِنَ الْحَيِّ} وهي عكس الأولى يخرج البيضة الميتة من الدجاجة الحية ومخرج الحب والنوى الميت من الأشجار والنباتات الحية ويخرج النطفة الميتة من الإنسان الحي وكذلك يخرج المولود الذي مات في بطن أمه من أمه الحية وكذلك في الحروب والزلازل يخرج الميت من بين الأحياء وهم من قصر وحضر أجلهم {ذَلِكُمْ اللَّهُ} وهذا هو الله تعالى الذي يحيي ويميت ويختار وهو الذي يفعل كل ذلك بمشيئته وإرادته وقدرته وحكمته {فَأَنِّي} فمتى {تُؤَفِّكُونَ} تعدلون عن كفركم وتبتعدون وتصرفون عن شرككم وضلالكم وغيكم {فَالِقُ} خالق ومُظْهِرٌ وَمُخْرِجُ {الْإِصْبَاحِ} النهار وضيأؤه ونوره {وَجَعَلَ} وجعل الله تعالى {الَّيْلَ سَكَنًا} هادئاً يُنَامُ فيه ويُسْتَرَاخُ من عمل النهار الشاق والدؤوب أي تلجؤون في الليل إلى سكنكم لتستريحون فيه من عناء وتعب عمل النهار وما فيه من طلب المعيشة

{وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا} والشمس والقمر يحسب بهما عدد السنين والأشهر والأيام والساعات فالشمس يعرف بها عدد ساعات النهار والليل وعدد الأيام والقمر يعرف به عدد الأشهر العربية وكما قال تعالى: " وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلاً " ١٢ الإسراء. {ذَلِكَ} ذلك الحساب من الشمس والقمر والليل والنهار هو {تَقْدِيرٌ} عمله وقدره وحكمته وبرهانه وحسابه لعدد السنين والحساب وهو {الْعَزِيزُ} العزيز في سلطانه وملكه والقوي في حكمه {الْعَلِيمُ} العليم بكونه وخلقه وما ينفعهم {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ} الذي جعل لكم أيها الناس {النُّجُومَ} النجوم التي في السماء {لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} أي تضيء لكم الطريق وتدلکم على الجهات الأربع الشرق والغرب والجنوب والشمال في سفرکم في الليل المظلم سواء في البر أو البحر ومنها النجم القطبي ونجم الجدي وهو نجم صغير خافت الإضاءة ويكون دائماً في الشمال الغربي وهو منفرد بهذا المكان لا يتغير لا في صيف ولا في شتاء وهذا يعرفه أهل البادية وأهل السفر وهذا من فضل الله تعالى على الناس {قَدْ فَصَّلْنَا} قد وضحنا وبيننا {الْآيَاتِ} هذه الآيات القرآنية والآيات الكونية {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} لقوم يعلمون ذلك ويعلمون قدرة الله في خلقه وكونه ويعلمون معجزته الكونية من ليل ونهار وشمس وقمر ويعلمون قدرته ومشيتته وحكمته وهو المتصرف في كونه وخلقه وحده لا شريك له {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي أَنْشَأَكُم} الذي خلقكم {مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} وهي آدم عليه السلام {فَمُسْتَقَرٌّ} في الأرحام ومن ثم مستقر في الدنيا كما

قال تعالى: " وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ " ٣٦ البقرة. { وَمُسْتَوْدَعٌ } صُلب الرجل ومن ثم خصيته اليسرى فيهما مستودع للنطفة والحيوانات المنوية وهي أن الله تعالى يستودع الذرية لبني آدم في أصلاب الرجال والخصية للرجال البالغين ثم يستودعه بعد موته القبر { قَدْ فَصَّلْنَا } قد بينا ووضحنا وفسرنا { الْآيَاتِ } الآيات القرآنية والآيات الكونية { لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ } لقوم يفهمون قدرة الله تعالى وعلمه ومشيبته وهم المؤمنون والعلماء وكما قال تعالى: " وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ " ٤٣ العنكبوت.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

{ وَهُوَ } الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } انزل من السماء ماء المطر { فَأَخْرَجْنَا } فأخرج الله تعالى { بِهِ } بماء المطر { نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ } نبات كل شيء من الفواكه والخضار والأشجار { فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا } فأخرج الله بهذا الماء وهو ماء المطر ورق الشجر أخضر اللون { نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا } يخرج الله به حباً مرصوفاً مثل سنبله القمح والشعير أو قطف العنب به حب بعضه فوق بعض { وَمِنَ النَّخْلِ } من النخيل وشجرها { مِن طَلْعِهَا } من كوزها { قِنْوَانٌ } قنو البلح { دَانِيَةٌ } أي قريبة من الأرض وقريبة للأكل { وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ } وحدائق وبساتين من شجر العنب { وَالزَّيْتُونَ } وهو الذي يؤكل مع

الخبز ويستخرج منه زيت الزيتون {وَالزَّمَانَ مُشْتَبِهًا} أي متشابهاً في الطعم واللون والرائحة {وغير متشبهه} وهو منه المالح ومنها لونه مختلف الأبيض والأصفر والأسود {انظروا} شاهدوا وانظروا بأعينكم {إلى ثمره} إذا أثمر كيف يكون ثمره {وبينه} ونضجه وحلاوته ولونه منها الأصفر والأخضر والأسود والأبيض وهو مختلف الألوان {إن في ذلكم} إن في ثمره ولونه وطعمه وحلاوة منظره {آيات} لبيانات ودلالات ومعجزات {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} للمؤمنين بذلك ويعتبرون بذلك وهم المؤمنون.

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۗ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ سُبْحَانَ رَّبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١١﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۗ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۗ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ فَاعْبُدُوهُ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٣﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ ۗ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ عَمِيَٰ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ ﴿١٥﴾ ﴾

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ} وجعل الكفار والمشركون لله شركاء غيره من الجن بأن عبدوهم وكما قال تعالى: " أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ " ٦٠ يس. وكما قال تعالى: " وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ " ١٥٨ الصافات. {وَخَلَقَهُمْ} واللّه تعالى خلقهم أي الجن {وخرقوا له} وخرقوا العادة وخرقوا قدرته وربوبيته وجعلوا له {بنين} فاليهود جعلوا العزيز هو ابن الله والنصارى قالوا عيسى هو ابن الله {وبنت}

وجعلوا الملائكة هم بنات الله كما قال تعالى: " أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ " ١٥٠ الصافات. {بِغَيْرِ عِلْمٍ} بدون علم صحيح ولا علم يقين ولا علم من كتب الله السماوية كالقرآن الكريم والتوراة والإنجيل {سُبْحٰنَهُ} تنزهه وترفع الله تعالى عن هذا الشرك {وَتَعَالَى} وتعالى وتعظيم الله تعالى {عَمَّا يَصِفُونَ} عما يقولون من الشرك مع غيره {بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ} محسن صنعاً وخلقاً وهو عظيم الخلق والإبداع للسموات والأرض {أَنِّي يَكُونُ لَهُ وُلْدٌ} من أين يأتي له الولد {وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ} ولم يتخذ له صاحبة أو عشيقة أو زوجة وذلك أنه ليس كمثلته شيء فمريم عليها السلام حديثة الولادة فلماذا لم يتزوج سبحانه وتعالى قبلها فهل كان عنيناً أو مريضاً وكيف يتزوج واحدة من خلقه يأتيها الحيض وتبول فكيف ينجس بجماعها وهل لم يجد لا قبلها ولا غيرها ولم يولد له إلا واحد أو اثنان من الولد مثلما يقول اليهود العزيز ابن الله ويقول النصارى عيسى ابن الله فهل حدد النسل أم لا يستطيع الإنفاق على أولاده وهل هو شهواني سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد ولم تكن له صاحبة ولا ولد وكما قال تعالى: " وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا " ١١١ الإسراء. {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} خلق الخلق والكون كله {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} وهو يعلم بكل شيء من خلقه ويعرفه ويحيط به علماً وإحاطةً ومعرفةً {ذٰلِكُمْ اَللّٰهُ رَبُّكُمْ} فهو الذي يخلق كل شيء ويعلم كل شيء هو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه هو ربكم {لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ} لا إله إلا هو الله وحده {خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} خالق كل شيء في كونه {فَاعْبُدُوهُ} فاعبدوه حق عبادته وأدوا فرائضه وأطيعوه واجتنبوا نواهيه {وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} وهو

الله تعالى يُعتمد عليه في كل شيء وموكل إليه أمر خلقه من خلق وموت ورزق وحياء وغيرها {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} لا تستطيع الأبصار والعيون رؤية الله تعالى قطعياً في الحياة الدنيا لا يراه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولكن في الآخرة يراه أهل الجنة فقط كما قال تعالى: "وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ {٢٢} إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ {٢٣}" ٢٢، ٢٣ القيامة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (احتجب الله عن أهل السماء كما احتجب عن أهل الأرض واحتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وأنه تعالى ما حل في شيء ولا غاب عن شيء وإن الملائكة الأعلى يطلبون الله تعالى كما تطلبونه أنتم). [نزهة المجالس ص ٤٠١]. وقال أنس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل: (هل ترى ربك؟ قال: بيني وبينه سبعون حجاباً من نور). [نزهة المجالس ج ٢ ص ١١٦]. وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ فقال: (نور أنى أراه) وفي رواية: (رأيت نوراً). [ابن كثير ج ٤ ص ٢٥٠]. وجاء في الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) ثم قرأ هذه الآية: "وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا". [ابن كثير ج ٣ ص ١٧٠]. {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {يُدْرِكُ الْأَبْصَارُ} يراها ويعلمها ويعرفها {وَهُوَ اللَّطِيفُ} الذي يلطف بعباده ويحميهم وينجيهم من العمى والمرض {الْخَبِيرُ} الذي يعلم ويعرف ما يضرهم وما ينفعهم {قَدْ جَاءَكُمْ} قد جاءكم وأتاكم من الله تعالى {بَصَائِرُ} علم ومعرفة وبيان وإيضاح {مِنْ رَبِّكُمْ} من الله تعالى {فَمَنْ أَبْصَرَ} فمن عرف وعقل {فَلَئِنْسِئَهُ} فذلك ينفع نفسه

حيث ينجي من عذاب الله تعالى يوم القيامة ويدخل الجنة {وَمَنْ عَمِيَ} ومن عمي عن الحق والهدى والرشاد {فَعَلَيْهَا} فيقع العذاب في نار جهنم على نفسه هو وهو الذي يعذب في نار جهنم {وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} وما أنت يا رسول الله بحفيظ تمنعهم من المعاصي والكفر والشرك بل أنت واعظ وناصح فقط.

﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ١٥
 أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۗ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٧﴾

{وَكَذَلِكَ} وهكذا {نُصَرِّفُ الْآيَاتِ} نرسل الآيات ونوضحها ونبينها ونفسرها وتأتي الآيات حسب الأحداث أو السؤال عن شيء {وَلِيَقُولُوا} يقول كفار قريش للنبي صلى الله عليه وسلم {دَرَسْتَ} أي تعلمت وقرأت وكما قال تعالى: " وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ " ١٠٣ النحل. {وَلِنُبَيِّنَهُ} ولنوضحه ونفسره ولنبينه {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} أن القرآن حق والرسول محمد صلى الله عليه وسلم حق وأن يوم القيامة حق والجنة حق والنار حق ويعلمون الحق من الباطل {اتَّبِعْ} اتبع يا محمد ونفذه وأمر به المؤمنين وهو {مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} ما أنزل إليك من القرآن الكريم بواسطة جبريل عليه السلام وهو الوحي من الله تعالى إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} لا إله ولا معبود إلا هو الله تعالى ربك يا محمد يا رسول الله ورب كل شيء {وَأَعْرِضْ} واترك ودع وابتعد {عَنِ الْمُشْرِكِينَ} عن من أشرك مع الله غيره وهم عبدة الأصنام والأوثان والأنداد وكما

قال تعالى: " أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا " ٤٤ الفرقان. {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ} ولو أراد الله قهراً لهم كما جعل الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون {مَا أَشْرَكُوا} ما كفروا ولا جعلوا لله أنداداً وجعلوا معه غيره {وَمَا جَعَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَمْ نَجْعَلْكَ {عَلَيْهِمْ} على الكفار والمشركين {حَفِيفًا} تسيطر عليهم وتحفظهم من الكفر والعصيان {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} وما أنت عنهم مسؤول وكما قال تعالى: "لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ" ٢٢ الغاشية.

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢٠﴾

﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّا أَكْثَرُهُمْ تَجَاهِلُونَ ﴿٢١﴾

{وَلَا تَسُبُّوا} ولا تشتموا ولا تلعنوا {الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} ما يشركون به مع الله وهم الأصنام والأوثان والأنداد والشركاء من الأنبياء والبنات من خلقه (ويدعون) أي يعبدون ويطلبون منهم الإعانة والمساعدة في قضاء حوائجهم وهم الأصنام {فَيَسُبُّوا اللَّهَ} فيسب الكفار الله تعالى وهو إله المؤمنين لأنهم سبوا وشتموا آلهتهم وأصنامهم وأوثانهم {عَدَوًّا} عدواناً وظلماً {بِغَيْرِ عِلْمٍ} بغير علم منهم بأنه

هو الإله الحق وهو خالقهم ورازقهم ومحبيهم ومميتهم وهو الله تعالى رب الأرباب
ومسبب الأسباب وخالق الكون كله {كَذَلِكَ} وهكذا {زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ} زَيْنٌ
وحُسْنٌ وجُمْلٌ وزُخْرَفٌ لكل أمة ما يقومون به من عمل أو عبادة سواء من الأصنام
أو غيرها {ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ} ثم في النهاية نهايتهم ومرجعهم بالموت إلى ربهم
يوم القيامة للحساب والعقاب والجزاء والثواب {فَيُنَبِّئُهُمْ} فيخبرهم ويعلمهم {بِمَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ} بما عملوا في الدنيا من الإشراك والكفر {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ} وأقسم
وحلف الكفار {جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} أيمان مغلظة {لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ} لئن جئتهم يا
محمد يا رسول الله بمعجزة من المعجزات كعصاة موسى {لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا} ليصدقونها
{قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ} إنما الآيات بيد الله
تعالى يرسلها متى شاء وكيف شاء ولا أحد يستطيعها من نفسه {وَمَا يُشْعِرُكُمْ} وما
يدريكم {أَنَّهُآ إِذَا جَاءَتْ} إذا جاءتهم ورأوها بأعينهم {لَا يُؤْمِنُونَ} لا يصدقون
بها ويكذبونها كما فعلوا مع الأنبياء السابقين كناقاة صالح كذبوها وعقروها
{وَنُقِلِّبُ أَفْعَادَهُمْ} ونحول قلوبهم {وَأَبْصُرُهُمْ} وأعينهم عنها بعدم تصديقها
{كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ} لأنهم لا يؤمنون بها {أَوَّلَ مَرَّةٍ} أول مرة بلُّغوا فيها الرسالة
فكذبوا بها {وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ} وندعهم ونتركهم في ضلالهم {يَعْمَهُونَ}
يتخبطون ولا يبصرون الحق من الباطل حتى يأتي الله بأمره {وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ
الْمَلٰٓئِكَةَ} ولو أرسل الله إليهم الملائكة رسلاً {وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ} ولو كلمهم الموتى
{وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ} وأحضرنا لهم كل شيء من الجن والإنس والطيور
والحيوانات كمعجزة لهم {قُبُلًا} أمامهم {مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا} لم يؤمنوا ولم يصدقوا

بالرسالة {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} إلا إذا أراد الله {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ} ولكن أغلبهم {تَجْهَلُونَ} يجهلون الحق ويجهلون الرسالة وأنها الحق من ربهم والجاهل هو من اتبع الضلال والباطل والهوى ولم يصدق برسول الله تعالى.

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَتَّبَعِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۗ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۗ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٥﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۗ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٦﴾ ﴾

{وَكَذَلِكَ} وهكذا {جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا} جعل الله تعالى لكل نبي من الأنبياء السابقين عدواً له ومبغضاً له من {شَيْطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ} والشيطان وهو ما شاط عن القوم وعن الحق والهدى وابتعد وانحرف بالشر والمعاصي والفجور والطغيان والكفر أي يطلق الشيطان على من كفر وعصى وطغى وتجبى وظلم وفسد. قال ابن جرير: حدثنا المثني حدثنا الحجاج حدثنا حماد عن حميد بن هلال حدثني رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يا أبا ذر هل تعودت بالله من شر شياطين الإنس والجن؟) قال قلت يا رسول الله هل للإنس من شياطين؟ قال: (نعم). [ابن كثير ج ٢ ص ١٦٦]. {يُوحِي} يغري وينفت سمومه وأحقاده وينقلها {بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ} بعض الشياطين سواء أهل الشر والفساد من الإنس أو الجن {زُخْرُفَ الْقَوْلِ} الكلام المنمق والمعسول في

الإغراء أو التوشيب [الوشاية] أو التأليب على الغير {غُرُورًا} تغريراً وتضليلاً بالغير {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ} ولو أراد الله ربك يا محمد أن يمنعهم بالقوة {مَا فَعَلُوهُ} ما عملوا ذلك الإفساد والتوقيع بين الغير {فَدَرَهُمْ} فدعهم واتركهم وشأنهم {وَمَا يَفْتَرُونَ} وما يختلقون من كذب وتضليل وإفساد {وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ} ولتسمع إليه {أَفِئدة الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} قلوب الكفار وهم لا يؤمنون {بِالْآخِرَةِ} لا يصدقون بيوم القيامة وما فيه من الحساب والعقاب والجزاء والثواب {وَلِيَرْضَوْهُ} وليقبلوه على ما فيه من كذب وتضليل وإفساد وحقد {وَلِيَقْتَرِفُوا} وليتحمّلوا {مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ} ما هم مرتكبون من الإثم والعقاب والعذاب {أَفَغَيْرَ اللَّهِ} فهل غير الله {أَبْتَعِي} أطلب وألتمس {حَكْمًا} حكماً وقاضياً يحكم بشرعه وأمره {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ} وهو الله تعالى الذي أنزل لكم أيها الناس القرآن الكريم {مُفَصَّلًا} مفصلاً وموضحاً ومبيناً {وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} والمؤمنون وهم الذين أنزل الله تعالى إليهم القرآن الكريم {يَعْلَمُونَ} يعلمون ويعرفون {أَنَّهُ} القرآن الكريم {مُنزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ} مُنَزَّلٌ من عند الله تعالى للناس لهدايتهم {بِالْحَقِّ} بالحق والصدق {فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} فلا تكن يا محمد يا رسول الله ويا أيها المؤمن من المكذبين أو الشاكين فيه وفي نزوله {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ} وانتهت رسالة ربك يا محمد وكملت بالتمام والكمال {صِدْقًا} بالحق والصدق {وَعَدَلًا} وبها عدل الله فلا حيف ولا جور بها {لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} لا تغير لكلامه ولا لقرانه {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {السَّمِيعُ} الذي يسمع

قول وأحاديث خلقه {الْعَلِيمُ} ويعلم أخبارهم وأفعالهم وأعمالهم وأقوالهم ويدري ويعرف كل شيء يُسرونه أو يُعلنونه.

﴿ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾

{وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ} وإن يا محمد تطع أكثر الناس {يُضِلُّوكَ}

يبعدوك {عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} عن عبادة الله وحده وكما قال تعالى: " وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ

وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ " ١٠٣ يوسف. {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ} لأنهم في عبادتهم

للأصنام يظنون ظناً أنها آلهة ولم يتحققوا من ذلك بالعلم الحقيقي {وَإِنْ هُمْ إِلَّا

تَخْرُصُونَ} وهم لم يتحققوا ولكن يكذبون ويفترون {إِنَّ رَبَّكَ} إن ربك يا محمد يا

رسول الله {هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ} والله تعالى أعلم ويعلم من يضل ويبتعد

عن عبادة الله وحده ويعبد الأصنام {وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} والله تعالى يعلم

بمن اهتدى واتبع طريق الحق واتبع الإسلام وعبد الله وحده لا شريك له.

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّ لَوْكُمْ ط وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

{ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } يأمرنا الله تعالى بأكل اللحم مما ذُبح ، وذكر اسم الله على الذبيحة عند ذبحها وهو قول (بسم الله الله أكبر) ، وأن تكون التسمية من نفس الذابح حال الذبح والرامي لصيد حال الرمي ومرسل كلب الصيد حال الإرسال فلو سمي غير الفاعل لا يحل الأكل. ويصح الذبح بكل ما يقطع العروق المشروط قطعها [وهي أن يقطع الودجين (وهما عرقان كبيران في جانبي قدام العنق)، وكذلك يقطع الحلقوم (وهو مجرى النفس) ، والمريء (وهو مجرى الطعام والشراب) ويكفي قطع ثلاثة منها فإن للأكثر حكم الكل فلا بد من قطع الحلقوم أو المريء مع الودجين أو قطع ودج مع الاثنين ويرى بعضهم ضرورة قطع الحلقوم والمريء مع أحد الودجين ومتى تحقق القطع على هذا الوجه صار الذبح شرعياً وحل أكل الذبيحة سواء كان الذبح فوق العقدة التي في أعلى الحلق أو تحتها] فيجوز الذبح بالسكين وقشر القصب الأزرق (الغاب) والمروة وهي حجر أبيض كالسكين وغير ذلك ما عدا السن والظفر وهذا مذهب الإمام أبو حنيفة. [الفقه على المذاهب الأربعة ص ٤١٢، ٤١٣]. وعن رافع بن خديج رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [سبب الحديث أنه قال رافع بن خديج: يا رسول الله

إنا لاقوا العدو غداً وليس معنا مُدَى فقال صلى الله عليه وسلم: [ما أنهر الدم وذكّر اسم الله عليه فَكُلْ ليس السن والظفر أما السن فعظم وأما الظفر فمدى الحبشة]. [متفق عليه - سبل السلام ج ٤ ص ٨٧]. وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أرسلت كلبك فاذا ذكر اسم الله تعالى عليه فإن أمسك عليك فأدركته حياً فاذبحه وإن أدركته قد قتل ولم يأكل منه فكله وإن وجدت مع كلبك كلباً غيره وقد قتل فلا تأكل فإنك لا تدري أيهما قتله وإن رميت بسهمك فاذا ذكر اسم الله تعالى فإن غاب عنك يوماً فلم تجد فيه إلا أثر سهمك فَكُلْ إن شئت وإن وجدته غريقاً في الماء فلا تأكل). [متفق عليه وهذا لفظ مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٨١]. وعن أبي ثعلبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا رميت بسهمك فغاب عنك فأدركته فَكُلْ ما لم ينتن). [أخرجه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٨٤]. وعن شداد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليُحِدْ أحدكم شفرته وليُرح ذبيحته). [رواه مسلم - سبل السلام ج ٤ ص ٨٨]. {إِنْ كُنْتُمْ بِعَايَتِهِ مُؤْمِنِينَ} إن كنتم تؤمنوا بآيات الله وبقرآنه تصدقون وتوقنون {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا} ولماذا لا تأكلون {مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} من اللحم الذي يذكر اسم الله عليه ويكون حلالاً {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ} وقد بين لكم {مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ} ما هو حرام عليكم وهو أكل اللحم الحرام وهو ما لم يذكر اسم الله عليه {إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} إلا ما اضطررتم إليه كأكل الميتة في المجاعة {وَأِنَّ كَثِيرًا} وإن أكثرهم {لَيُضِلُّونَ} يُضِلُّونَ ويغوون ويُبعدون عن الحق والهدى {بِأَهْوَاءِهِمْ} برغباتهم وشهواتهم وملذاتهم {بِغَيْرِ عِلْمٍ} بغير هدى وبدون

علم ولا بينة {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ} إن ربك يا محمد هو يعلم وهو أعلم وأدرى {بِالْمُعْتَدِينَ} بالمعتدين على حدود الله وعلى حرمانه بتحليل الحرام {وَدُرُوءًا} واتركوا {ظَهَرَ الْآثَمُ} علنه وما ظهر منه {وَبَاطِنُهُ} سره وخفائه {إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ} يرتكبون {الْآثَمَ} الذنب والمعصية {سَيَجْزُونَ} سيحاسبون {بِمَا كَانُوا يَكْتَرُونَ} بما كانوا يعملون ويكسبون {وَلَا تَأْكُلُوا} ولا تأكلوا أي محرم عليكم {مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} مما لا يذكر اسم الله على الذبيحة {وَأِنَّهُ لَفِسْقٌ} وأكله فسق ومعصية وحرام وذنوب {وَأَنَّ الشَّيْطَانَ} شياطين الإنس والجن {لِيُوحُونَ} ليشيرون {إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ} إلى أتباعهم ومن هم على شاكلتهم {لِيُجَادِلُوكُمْ} يخاصموكم ويدلوا بالحجة الواهية في جعل الحرام حلالاً كذباً {وَأَنَّ أَطَعْتُمُوهُمْ} وإن وافقتموهم وأخذتم برأيهم ومشورتهم {إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} تكونون عندها مشركين بالله غيره.

﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

{أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} ويضرب الله تعالى الأمثال ويشبه الكافر بميت فأحياه الله تعالى بالإيمان وبالإسلام {وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا} وجعل الله تعالى له نور العلم وهو

نور القرآن ونور الإيمان والإسلام {يَمْشِي بِهِ} يهتدي به في ظلمات الجهل والكفر {فِ النَّاسِ} يهدي به الناس {كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَتِ} وهو الكافر مثل أبو جهل {لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} لم يخرج من ظلمات الكفر والجهل والعصيان {كَذَلِكَ} وهكذا {زَيْنَ} زُخْرَفٍ وَحُسْنٍ وَجَمَلٍ {لِلْكَافِرِينَ} للذين كفروا ووجدوا وأنكروا الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكما قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا {١٥٠} أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا {١٥١} وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا {١٥٢} " ١٥٢-١٥٠ النساء. {مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ما كانوا يفعلون وكما قال تعالى: " زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ " ١٤ آل عمران.

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ} وقد جعل الله في كل قرية ومدينة {أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا} عظماء ورؤساء الإجرام {لِيَمَّكُرُوا فِيهَا} ليفسدوا فيها بالظلم والتجبر والقهر {وَمَا يَمْكُرُونَ} وما يظلمون {إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ} إلا ويرجع الوزر والذنب والعقاب والعذاب على أنفسهم نفسهم {وَمَا يَشْعُرُونَ} ولا يعلمون ذلك لأن حسابهم يكون يوم القيامة {وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ} وإذا جاءتهم معجزة واضحة {قَالُوا} قال الكفار {لَنْ نُؤْمِنَ} لن نصدق {حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ} حتى نرى من المعجزات كمعجزات الرسل السابقين كعصاة موسى عليه السلام يفلق بها البحر أو كمعجزة عيسى عليه السلام من إحياء الموتى وشفاء الأكمه

والأبرص {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ تَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} واللّه أعلم كيف ومتى وأين يضع رسالته ومن هو لها أهل {سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا} وسينزل الله بمن أجرم وعصى وكفر {صَغَارٌ} احتقار وذل وهوان وعذاب {عِنْدَ اللَّهِ} في نار جهنم يوم القيامة {وَعَذَابٌ شَدِيدٌ} وعذاب أليم وقوي وعظيم {بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ} بما كانوا يعملون السيئات ويكفرون ويعصون الرسل وتكذيبهم ومحاربتهم.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ تَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَلِكَ تَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿هُمْ دَارُ الْإِسْلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ} من يرد الله له الهدى {يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} شرح الصدر هو الانبساط والفرح والسرور والاطمئنان لما جاء به الإسلام من شرائع {وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ} ومن يرد له الضلالة لفسقه وكفره وعصيانه {تَجْعَلْ صَدْرَهُ} يجعل قلبه {ضَيِّقًا} يضيق بما يسمع من النصح والإرشاد والهدى {حَرَجًا} مانعاً من دخول شيء إلى قلبه أو عقله أو أذنيه {كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} ويضرب الله الأمثال كأن روحه تريد الخروج إلى السماء من جسده أي من شدة ضيقه وحرجه وغضبه كان روحه تريد أن تخرج من جسده وتطير إلى السماء أي لا يستطيع التنفس من شدة الضيق والحرج والغضب من سماع الإسلام {كَذَلِكَ تَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ} الرجس هو الذنب والعقاب {عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} أي وكذلك

يجعل الله تعالى الذنب والمعصية والعذاب على الكفار والمشركين. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس عن عمرو ابن مرة عن عبد الله بن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: " فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ " قالوا يا رسول الله ما هذا الشرح؟ قال: (نور يقذف في القلب) قالوا يا رسول الله فهل لذلك من أمانة تعرف؟ قال: (نعم) قالوا وما هي؟ قال: (الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت). [ابن كثير ج ٢ ص ١٧٤]. {وَهَذَا} وهذا يا محمد يا رسول الله ويا أيها المؤمن هو {صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا} طريق ربك إليه وإلى الهدى فهو مستقيم لا اعوجاج فيه ولا زيغ ولا ضلال {قَدْ فَصَّلْنَا} قد بينا ووضحنا وفسرنا {الآيَاتِ} آيات القرآن الكريم {لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} لقوم يتفكرون ويتعظون {هُمَّ دَارُ السَّلَامِ} لهم أي للمؤمنين الجنة {عِنْدَ رَبِّهِمْ} عند خالقهم عند الله تعالى يوم القيامة {وَهُوَ وَلِيُّهُمْ} وهو يتولاهم بالرعاية والعناية والكرم ودخول الجنة {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} بما كانوا في الدنيا يعملون من الأعمال الصالحة.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ۗ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا ۗ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ۗ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا ۗ وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ ۗ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾

{ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ } يوم القيامة يحشر ويجمع الخلق { جَمِيعًا } جميعهم { يَمَعَشَرَ } يا جماعة أو يا قوم { الْجِنِّ } وهم كل أولاد إبليس { قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ } قد أغويتم أعداد كثيرة { مِّنَ الْإِنْسِ } من أولاد آدم عليه الصلاة والسلام وهو تقريع وتوبيخ لهم { وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ } وقال أتباعهم وأعاونهم ومن يستعين بهم { مِّنَ الْإِنْسِ } من أبناء آدم { رَبَّنَا } ربنا وإلهنا وخالقنا { اسْتَمْتَعَ } استفاد وتمتع بالفائدة والاستعانة { بَعْضُنَا بِبَعْضٍ } نحن الإنس بالجن والجن بالإنس. والاستمتاع هو بالنسبة للإنس مع الجن هو التسخير في أعمال السحر بالمحبة والكره والطلاق وربط غيرهم من الإنس بواسطة شياطين الجن ، وأما تمتع الجن بالإنس هو التباس الناس بالمس وهو ما يطلق عليه الجنون وما فيه من الجماع حتى يطأ الجن الإنسان كما جاء في الحديث ما من أحد يقصد دخول البيت إلا ويتبعه الشيطان فإن دخل البيت فقال [بسم الله الرحمن الرحيم] يقول الشيطان لا مدخل لي في هذا البيت وإن قُدِّم إليه الطعام فقال [بسم الله الرحمن الرحيم] يقول الشيطان لا طعام لي ههنا وإذا قدم الشراب وقال [بسم الله الرحمن الرحيم] يقول الشيطان لا شراب لي ههنا وإذا

اضطجع وقال [بسم الله الرحمن الرحيم] يقول الشيطان لا مضجع لي ههنا وإذا ترك التسمية عند الدخول دخل معه الشيطان وإذا تركها عند الأكل يأكل معه الشيطان وإذا شرب يضع الشيطان فمه أولاً على الكوز وإذا أراد أن يجامع ولم يسم جامع الشيطان معه ويكون بعض المولود بسبب اختلاط مائه زنيماً وبعضه أعمى وبعضه أعور وبعضه أعرج وبعضه فاسق وبعضه كافر وغير ذلك ففي مثل هذا قال تعالى: " وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ " الآية. [خزينة الأسرار ص ٨٣].

{وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا} ووصل بنا العمر حتى انتهى الأجل {الَّذِي أَجَلْتِ} الذي حددت لنا فيه مدة العمر وهو عدد سنين العمر {لَنَا} نحن الكفار {قَالَ} قال الله تعالى يوم القيامة للكفار {الْتَارُ مَثْوُونَكُمْ} نهايتكم ومصيركم ومقرمكم هو نار جهنم {خَلِيدِينَ فِيهَا} دائمين فيها {إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} إلا إذا أراد الله غير ذلك لمن شاء {إِنَّ رَبَّكَ} إن ربك يا محمد {حَكِيمٌ} ذو حكمة {عَلِيمٌ} علیم يعلم كل شيء {وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا} وكذلك نسلط على الظالم من هو أظلم منه {بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} بما كانوا يعملون ويرتكبون من الآثام والذنوب والمعاصي والظلم للعباد ومن الكفر {يَمَعَشَرُ} يا قوم {الْجِنِّ} وهم أولاد إبليس {وَالْإِنْسِ} أولاد آدم عليه الصلاة والسلام {أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ} أليس الله أرسل عليكم رسلاً منكم والرسل من الإنس ، ونفر من الجن سمعوا مقال الرسل وبلغوه إلى قومهم من الجن كما قال تعالى: " وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ {٢٩} قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ {٣٠} يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرُكُمْ مِنْ

عَذَابٍ أَلِيمٍ {٣١} " ٢٩-٣١ الأحقاف. وقول الجن: " مِنْ بَعْدِ مُوسَى " يدل على أن الرسل الذين هم أنبياء الله هم من الإنس فقط والجن إنما يسمعون من رسل الإنس ثم هم يبلغون قومهم من الجن وينذرونهم {يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ} يقرؤون عليكم ويحدثونكم {ءَايَاتِي} آيات الله تعالى من القرآن الكريم {وَيُنذِرُونَكُمْ} ويحذرونكم {لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} اجتماعكم وحضوركم يوم القيامة وعرضكم للحساب والعقاب والجزاء والثواب {قَالُوا} قالوا لله تعالى يوم القيامة {شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا} اعترفنا ونشهد على أنفسنا بالكفر والعصيان {وَوَعَرَّتَهُمْ} وغررت بهم وأفسدتهم {الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} الحياة في الدنيا وملذاتها وشهواتها {وَشَهِدُوا} واعترفوا وهم الكفار {عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} على أنفسهم بالكفر والعصيان {ذَلِكَ} وعلى ذلك {أَنْ لَمْ} أنه لم {يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى} لم يهلك ربك يا محمد القرى والمدن {بِظُلْمٍ} وما كان ليظلمها الله تعالى كما قال تعالى: "وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ" ٤٦ فصلت. {وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ} وأهلها غافلون ساهون لا يعلمون شيئاً ولم يعملوا معصية أو أي شيء.

﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ وَرَبُّكَ
 الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا
 أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿٣٤﴾ إِنْ مَا تُوَعَّدُونَ لَأَتِيَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ
 بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
 مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٦﴾

{وَلِكُلِّ} ولكل شخص سواء من الكفار أو المؤمنين {دَرَجَتٍ} منازل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار. فأهل الجنة وهم المؤمنون فدرجاتهم ومنازلهم ومقامهم ودرجاتهم في الجنة. قال الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من رمى بسهم فله أجره درجة) فقال رجل يا رسول الله وما الدرجة؟ فقال: (أما إنها ليست بعتبة أمك ما بين الدرجتين مائة عام). [ابن كثير ج ١ ص ٥٤١]. وقال الإمام أحمد: حدثنا عفان أنبأنا همام حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تخرج الأنهار الأربعة والعرش فوقها فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس). [ابن كثير ج ٣ ص ١٥٩ ، ١٦٠]. وأما الكفار والمنافقون فهم في الدرك الأسفل من النار كما قال تعالى: " إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا " ١٤٥ النساء. {مِمَّا عَمِلُوا} وكل له درجة على حسب عمله {وَمَا رَبُّكَ} وما ربك يا محمد {بِغَفِلٍ} بلاه {عَمَّا يَعْمَلُونَ} على ما يفعلون في الدنيا من خير أو شر {وَرَبُّكَ} وربك يا محمد {الْغَنِيُّ} الغني والذي لا يحتاج إلى خلقه {ذُو الرَّحْمَةِ} ذو العفو ويرحم جميع

مخلوقاته {إِنْ يَشَاءُ} إن يريد {يُذْهِبْكُمْ} يُمِتْكُمْ {وَيَسْتَخْلِفْ} ويورث {مِنْ بَعْدِكُمْ} من بعد موتكم {مَا يَشَاءُ} ما يريد من خلقه {كَمَا أَنْشَأَكُمْ} كما خلقكم من البداية {مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ} أي يأتي بذرية قوم آخرين غيركم أي ذرية أخرى غير ذريبتكم وكما خلقكم من ذرية ناس آخرين وهم آباؤكم وأجدادكم وقد أماتهم وأذهبهم {إِنَّ مَا تُوْعَدُونَ لَأْتِي} إن يوم القيامة وهو ما توعدون له للحساب لآت لا ريب فيه وسوف تقوم القيامة وتبعثون للحساب والجزاء {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} وما أنتم بقادرين على إعجاز الله تعالى على بعثكم من جديد فهو القادر على إحيائكم كما بدأكم أول مرة {قُلْ يَنْقُومُ} قل لهم يا رسول الله يا محمد {أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ} اعملوا وابقوا على حالكم على الكفر {إِنِّي عَامِلٌ} إني عامل الخيرات وعبادة الله وحده {فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} فيوم القيامة سوف تعلمون {مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ} من تكون له العاقبة الحسنة والطيبة يوم القيامة في الجنة {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ} إنه لا ينجح ولا يفوز {الظَّالِمُونَ} وهم من ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك لأنهم سيدخلون جهنم يوم القيامة.

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ
 وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ
 فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ
 لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرِدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ
 دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ
 وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا
 يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا
 مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مَيْتَةً
 فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُرُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ ﴾

{ وَجَعَلُوا } وهم الكفار كفار قريش { لِلَّهِ } لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا
 شأنه { مِمَّا ذَرَأَ } مما خلق لهم في الأرض { مِنَ الْحَرْثِ } من الزروع والحبوب
 والثمار { وَالْأَنْعَامِ } وهي الإبل والبقر والغنم { نَصِيبًا } جزءاً منها { فَقَالُوا } قال
 الكفار { هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ } هذا الجزء من الحرث والأنعام لله تعالى وذلك بزعمهم
 وادعائهم وكذبهم { وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا } سواء شركاؤهم من الناس والورثة أو ممن
 أشركوهم من الأصنام والأوثان { فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ } فما كان إلى أصنامهم
 وأوثانهم أو شركائهم من الناس { فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ } فلا ينفقوا منه شيئاً ولا
 يتصدقوا منه فهو لا يصل إلى الله تعالى { وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى
 شُرَكَائِهِمْ } والذي عيّن وخصّص للصدقة منه لله تعالى لم يخرجوه لله تعالى بل
 أعادوه إلى شركائهم من الناس ومن الورثة أو يصل إلى أصنامهم وما أشركوا مع الله

بالذبح لهم والإهداء لهم ولسدنتهم {سَاءَ} قبح {مَا يَحْكُمُونَ} ما يُشْرَعُونَ به وما يقسمون به وهذا حكم فاشل وفساد وقبيح {وَكَذَلِكَ} ومثل ذلك من الحكم والقسمة {زَيْنَ} زخرف وجمّل {لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ} لجماعات كثيرة من الكفار والمشركين ممن اتخذوا مع الله إلهاً آخر {قَتَلَ} أَوْلَادِهِمْ} قتلهم وإماتتهم ووأدهم وهم أحياء فالقتل للأولاد والوآد للبنات فقتل الأولاد خشية الإملاق وهو الفقر ووآد البنات خشية الزنا والفضيحة والعار {شُرَكَاءُهُمْ} شركاؤهم في الرزق والطعام والمآكل والمشرب والملبس وفي الميراث {لِيُرَدُّوهُمْ} ليهلكوهم وليدخلوهم نار جهنم بفعلتهم هذه القبيحة {وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ} ويخلطوا عليهم في دينهم فلا يميزوا بين الحلال والحرام ولا بين الحسن ولا بين القبيح ولا بين الصحيح ولا بين الخطأ وهذا القتل هو من باب التزيين من الشيطان ليردي الناس في جهنم بجهلهم وكما قال تعالى: " الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ " ٢٦٨ البقرة. وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم). [ابن كثير ج ٣ ص ٥٠].

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ} ولو أراد الله تعالى بالقوة الجبرية كما جعل الملائكة لا يعصون الله طرفة عين ومشيتته في سماواته {مَا فَعَلُوهُ} ما عملوا ذلك الذنب والمعصية {فَدَرَّهُمْ} دعهم واتركهم يا رسول الله يا محمد {وَمَا يَفْتَرُونَ} وما يختلقون ويكذبون {وَقَالُوا} قال الكفار {هَذِهِمُ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ} هذه الأنعام من الإبل والبقر والغنم والحرث من الزروع والحبوب والثمار {حِجْرٌ} حكر ووقف ومنع

{لَا يَطْعُمُهَا} لا يأكلها {إِلَّا مَنْ نَشَاءُ} إلا من نريد كالضيوف والذكور من دون الإناث {بِرِعْمِهِمْ} بادعائهم وكذبهم {وَأَنْعَمُوا} ومن الإبل والغنم {حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا} أي يحرمون ويمنعون ركوب ظهورها. وهي (السائبة) التي يتركونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء ، وكذلك (الوصيلة) التي تبكر بأنثى ثم تثني بأنثى يتركونها لطواغيتهم وآلهتهم لا يحمل عليها شيء ، وكذلك (الحام) فحل الإبل إذا لقي عشراً تركوه للطواغيت والأصنام وأعفوه عن الحمل فلا يحمل عليه شيء {وَأَنْعَمُوا} من الإبل والغنم {لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا} عند ذبحها لا يذكرون اسم الله عليها بل يذكرون أسماء آلهتهم وأصنامهم {أَفْتَرَاءً عَلَيْهِ} تكذيباً على الله بأنه هو الذي أمرهم بذلك {سَيَجْزِيهِمْ} سيحاسبهم ويعاقبهم {بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} على كذبهم هذا {وَقَالُوا} وقال الكفار {مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ} ما تحمل الأنعام في بطونها {خَالِصَةً لِّذُكُورِنَا} فهي فقط للذكور من الأولاد {وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا} وهي حرام على نسائهم وهي (البحيرة) وهي الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس فإن كان ذكراً ذبحوه وأكله الرجال دون النساء وهو ما حرموه على النساء وعلى أزواجهن ، وكذلك (الوصيلة) وهي الشاة إذا ولدت عشر إناث في خمسة أبطن فما ولدت بعد ذلك من ذكر أو أنثى جعلت للذكور دون الإناث {وَإِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً} وإن ولدت بعد العشرة ونزل المولود ميتاً {فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ} فهم في المولود العاشر شركاء الرجال والنساء يأكلونه جميعاً {سَيَجْزِيهِمْ} سيحاسبهم ويعاقبهم الله تعالى {وَصَفَّهُمْ} قولهم هذا وعملهم هذا {إِنَّهُ حَكِيمٌ} الله تعالى فهو حكيم ذو حكمة في شرعه وأمره {عَلِيمٌ} علِيمٌ بعباده وبأفعالهم وأقوالهم وأعمالهم.

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ ﴿٤٠﴾

{ قَدْ خَسِرَ } قد خاب وهلك وفقد نفسه يوم القيامة { الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا } من قتل أولاده سفهًا جهلاً مع سفاهة وحمق { بِغَيْرِ عِلْمٍ } بغير بيان ومعرفة { وَحَرَّمُوا } وجعلوه محرماً وحراماً عليهم { مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ } من قتل أولادهم خشية الإملاق والفقر وواد البنات خوفاً من الفضيحة والعار ومنها تحديد النسل وعن جذامة بنت وهب قالت حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في أناس وهو يقول: (لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت في الروم وفارس فإذا هم يغيلون أولادهم فلا يضر ذلك أولادهم شيئاً ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ذلك الواد الخفي). [رواه مسلم - سبل السلام ج ٣ ص ١٥٤]. { افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ } كذباً واختلاقاً على الله تعالى { قَدْ ضَلُّوا } قد وقعوا في الضلال والحرام { وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } وما هم بمهتدين للحق ولا للصواب وليسوا على حق ولا على شيء.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا
أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ
وَوَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿١٦﴾

{ وَهُوَ } وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه { الَّذِي أَنْشَأَ } الذي خلق
لكم وجعل لكم { جَنَّاتٍ } حدائق وبساتين { مَعْرُوشَاتٍ } أي تصبح مثل العريش
مغطاة من أعلاها ويصير لها ظل وتحجب حرارة الشمس مثل أشجار الكرم أي
العنب والأشجار العالية التي يستظل تحتها وتكون كالعريش لمن أراد النزهة
والقيولة بها والاستراحة تحتها وحفظ طعامه ومتاعه تحتها { وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ }
أي ليس لها ظل يستظل به أو تحته لصغر أشجارها ودونها من الأرض بعكس
الأولى { وَالنَّخْلَ } شجر النخيل المعروف الذي يؤخذ منه الرطب { وَالزَّرْعَ } وكل ما
يزرع من الحبوب والبقول وغيرها { مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ } مختلفاً طعمه ، وحتى عملية
الأكل منها ما تؤكل الثمرة بكاملها وليس لها نواة وبعضها له نواة صغيرة وبعضها
له نواة كبيرة { وَالزَّيْتُونَ } وهو شجر الزيتون الذي يستخرج منه زيت الزيتون
وهو ما يطلق عليه الزيت الطيب { وَالرُّمَانَ } وهو شجر الرمان { مُتَشَابِهًا } أي
متشابهها في اللون والطعم { وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ } ومختلف في اللون والطعم لونه أحمر أو
أسمر أو أبيض وطعمه إما حلو أو مالح أو دون ذلك { كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ } أي حلال
أكله فكلوا من ثماره { إِذَا أَثْمَرَ } إذا نضج { وَوَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ } أدوا
زكاته عند حصاده وجمعه وهو العشر أي (١٠٪) عشرة في المائة إذا كانت تسقى
بماء المطر فقط أو نصف العشر أي (٥٪) خمسة في المائة إذا كانت تسقى بماء
السواقي ويدفع ثمنها وكما قال صلى الله عليه وسلم: (ما سقت السماء ففيه العشر

وما سقى غرب (دلو) أو داليه (دولاب) ففيه نصف العشر). [الفقه على المذاهب الأربعة ص ٣٤١]. مع ملاحظة أنه لا يوجد نصاب في زكاة الزراعة كما هو في الأموال {وَلَا تُسْرِفُوا} أي خذوا حاجتكم منه في الأكل والباقي يدخر أو يباع فلا تأكلوه كله وخاصة إذا كان كثيراً {إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} الله تعالى يبغض ويكره من أكل في مخيلة وإسراف حتى يقال عنه بأنه رجل غنى وثرء ولا يحتاج لثمنه فهو يأكل منه ببذخ وترف ومخيلة ومباهاة وفي صحيح البخاري: (كلوا واشربوا والبسوا من غير إسراف ولا مخيلة). [ابن كثير ج ٢ ص ١٨٢].

﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ تَمَنِّيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الْأُنثِيَّاتِ وَمِنَ الْمَعْزِ أُنثَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَّاتِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَّاتِ نُبُؤُنِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ أُنثَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أُنثَيْنِ قُلْ ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَّاتِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَّاتِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَلَكُمُ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ؕ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾

{وَمِنَ الْأَنْعَامِ} وهي الغنم وهي الشاة والمعز والإبل والبقر وهي من النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده كما قال تعالى: " أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ {٧١} وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ {٧٢} "

٧١،٧٢ يس. {حَمُولَةٌ} أي تحملون عليها أحمالكم ومتاعكم كما قال تعالى: "اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ {٧٩} وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ {٨٠}" ٨٠،٧٩ غافر. وكما قال تعالى: " وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ {٢١} وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ {٢٢}" ٢٢،٢١ المؤمنون.

{وَفَرَشًا} أي فراشاً من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها تجعلون فراشاً وأثاثاً وكما قال تعالى: " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ " ٨٠ النحل.

{كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} أي كلوا من لحوم الأنعام والطيور والفواكه {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ} أي لا تتبعوا إغواء الشيطان وخطواته وشركه في الحرام {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} إنه عدو لكم عظيم {ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ} ثمانية أعداد من الذكر والأنثى وهم {مِنَ الضَّأْنِ} من الغنم {أَثْنَيْنِ} أي ذكر وأنثى {وَمِنَ الْمَعَزِ أَثْنَيْنِ} ومن الماعز اثنين كذلك ذكر وأنثى {قُلْ} يا محمد يا رسول الله للكفار {ءَالِدُكَّرِينَ حَرَّمَ} هل حرم الله عليكم الذكور الاثنين وهم ذكور الضأن والمعز {أَمِ الْأُنثَيْنِ} أم أنثى الغنم وأنثى المعز {أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ} أم ما هو محرم ما حملت به أنثى الغنم وأنثى المعز سواء ذكر أو أنثى وهو حملها {نَبِيُونِي بَعَلِمٍ} أخبروني بعلم أكيد لديكم نزل عليكم {إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} إن كنتم بزعمكم صادقين بادعائكم {وَمِنَ الْإِبِلِ أَثْنَيْنِ} أي ذكر وأنثى أي جمل وناقة {وَمِنَ الْبَقَرِ أَثْنَيْنِ} أي ذكر وهو الثور وأنثى وهي البقرة

{قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {ءَالذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ} هل ذكر الإبل وذكر البقر حرم عليكم {أَمِ الْأُنثَيَيْنِ} أم حرم عليكم أنثى الإبل وهي الناقة وأنثى البقر {أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ} أم هل حرم عليكم ما تحمل أنثى الإبل وأنثى البقر سواء كان الحمل أنثى أو ذكر {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ} أو هل كنتم حضور وشاهدتم {إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا} إذ وصاكم الله تعالى بتحريم أكل الحام والوصيلة والبحيرة {فَمَنْ أَظْلَمُ} هل يوجد أحد أظلم {مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} ممن اختلق وكذب على الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {لِيُضِلَّ النَّاسَ} ليبعد الناس عن الحق والهدى ويغويهم {بِغَيْرِ عِلْمٍ} بغير علم حقيقي عنده وليس ظناً أو كذباً أو اختلاقاً {إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} الكفار والمشركين فهم ظلموا أنفسهم بشركهم وسيعذبون يوم القيامة في نار جهنم {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {لَا أُجِدُ} لا يوجد {فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ} في القرآن الكريم وهو ما نزل به الوحي جبريل عليه الصلاة والسلام {مُحَرَّمًا} أي حراماً {عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ} على آكل يأكله أو يطعمه الناس {إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً} ما عدا الميتة وهي التي لم تذبح ويذكر اسم الله تعالى عليها أي ماتت بدون تذكية [أي فطيس] {أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا} وهو الدم الذي يسيل ويشربه الناس بحجة تقوية أجسامهم فهو أيضاً حرام {أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ} فإنه حرام على المسلمين أكله {فَإِنَّهُ رِجْسٌ} فإنه نجس وذنب أكله {أَوْ فَسْقًا} أو معصية وخروجاً عن طاعة الله {أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} أي ذبح لغير الله أو ذكر عليه اسم صنم أو وثن أو غير اسم الله تعالى {فَمَنْ أَضْطَرُّ} أي فمن

أُغْصِبَ عَلَى أَكْلِ ذَلِكَ {غَيْرِ بَاغٍ} غَيْرِ جَا حِدٍ وَلَا مَنكَرٍ {وَلَا عَادٍ} وَلَا مُتَعَمِّدٍ وَلَا مُعْتَدٍ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ إِنْكَارًا وَجُحُودًا بَلْ بِسَبَبِ مَجَاعَةٍ أَوْ أُجْبِرَ عَلَى ذَلِكَ بِقُوَّةٍ مِنْ قَبْلِ الْأَعْدَاءِ بِقُوَّةِ السَّلَاحِ {فَإِنَّ رَبَّكَ} فَإِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ {غَفُورٌ} أَي يَغْفِرُ ذَلِكَ لِمَنْ أَكَلَ مِنْ ذَلِكَ مُضْطَرًا {رَحِيمٌ} يَرْحَمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَدْخُلُهُ فِي عَفْوِهِ وَفِي جَنَّتِهِ.

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٦﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾

{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا} وهم اليهود {حَرَّمْنَا} جعلناه محرماً عليهم {كُلَّ ذِي ظُفْرٍ} وهي من البهائم والطيور والبهائم هي ذات الحافر أي الذي ليس مشقوقاً وهي البعير والنعامة ومن الطيور ذو المخلب والأوز والبط {وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ} أي من البقر والشاة {حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا} أي جميع الشحم {إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا} أي ما علق بالظهر من الشحم وقال السدي الإلية ما حملت ظهورهما {أَوِ الْحَوَايَا} وهي الأمعاء {أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ} أي الشحم الذي اختلط بالعظم أحله الله تعالى لهم {ذَلِكَ} ذلك التحريم {جَزَيْنَهُمْ} عاقبناهم {بِبَغْيِهِمْ} بظلمهم واعتدائهم على حدود الله تعالى {وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} وإنا على حق بذلك وإنا لعادلون فيهم {فَإِنْ كَذَّبُوكَ} فإن كذبوك ولم يصدقوك يا محمد يا رسول الله فيما جنتهم به {فَقُلْ} فقل للكفار يا محمد يا رسول الله {رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ}

ربكم وخالقكم ذو رحمة واسعة أي رحمة كبيرة يرحم بها المؤمنين الطائعين {وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ} ولا يُمنع عذابه وعقابه {عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} عن القوم الكافرين والمذنبين والعاصين.

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ۚ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۗ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ ۗ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلْمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا ۗ فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۗ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾

{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا} سيقول لك المشركون يا محمد يا رسول الله {لَوْ شَاءَ اللَّهُ} لو أراد الله {مَا أَشْرَكْنَا} ما أشركنا بالله غيره ولا عبدنا غيره {وَلَا آبَاؤُنَا} ولا أجدادنا ما أشركوا وعبدوا غير الله تعالى {وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ} ولا جعلنا محرماً من شيء من البحيرة والحام والسائبة التي حرموا أكلها {كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} وهم قوم نوح ولوط وهود وصالح وغيرهم من الأمم السابقة الذين كذبوا رسلهم {حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا} حتى عذبهم الله تعالى بالغرق والصيحة والخسف والريح العقيم {قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ} قل لهم يا محمد يا رسول الله للكفار هل يوجد عندكم علم وبيان {فَتُخْرِجُوهُ لَنَا} فتظهروه لنا وتبينوه لنا {إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ} فلا تتبعون أيها الكفار إلا الظن والشك {وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} وإن انتم أيها الكفار إلا تكذبون وتختلقون {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ} قل لهم يا

محمد لله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه الحجة والبينة {الْبَلِغَةُ} الواضحة والأكيدة والداخضة والقوية {فَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ} فلو شاء الله لهداكم أيها الكفار بالقوة الجبرية كمثل الملائكة فهم لا يعصون الله طرفة عين وخلقهم لذلك ولكن الله خيركم بالهداية حيث جعل لكم العقل تفكرون به وتهتدون والعقل حجة عليكم فأنتم مخيرون وكما قال تعالى: " وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ " ١٠ البلد. {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله أي للكفار {هَلُمُّ} هاتوا {شُهَدَاءَ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ} من يشهد معكم {أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا} أن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه حرم هذا وهو البحيرة والحام والسائبة التي تدعون بأنها حرام أكلها أو الحمل عليها {فَإِنْ شَهِدُوا} فإن وافقت شهادتهم بعضها لبعض وشهدوا بالتحريم لما ذكر {فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ} فلا تشهد معهم أي الكفار بالحرمة {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا} ولا تتبع شهوات ولا رغبات الذين كذبوا وجحدوا وأنكروا بآيات الله تعالى من القرآن العظيم {وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} والذين لا يصدقون ولا يوقنون بيوم القيامة وبالبعث والحساب والجزاء {وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} وهم عن ربهم وحكمه وشرعه يرفضون ويبتعدون ويكذبون ويعدلون عن الحق والصواب.

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

{قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله {تَعَالَوْا} تعالوا أيها الناس {أَتْلُ} أقرأ عليكم {مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} ما جعله عليكم حراماً {أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} ألا تعبدوا معه غيره من الأصنام والأوثان وغيرها {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} والإحسان هو كل عمل حسن يعني إحساناً في المعاملة والمعاشرة وفي أدب الحديث معهما والإنفاق عليهما ومعاملتها معاملة حسنة وطيبة {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ} ولا تقتلوا أبناءكم كأود البنات وقتل الأولاد {مِنْ إِمْلَاقٍ} بسبب الفقر وكما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك). قلت: ثم أي؟ قال: (أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك). قلت: ثم أي؟ قال: (أن تزاني حليلة جارك). ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ " الآية. [ابن كثير ج ٢

ص ١٨٨]. {نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ} الله تعالى هو الذي يرزقكم أيها الناس {وَأَيَّاهُمْ} أي وأولادكم فالله تعالى هو الرازق لكم جميعاً {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ} الفواحش ما فحش وعظم ذنبه وما فيه حد مثل الزنى والسرقة والقتل أي لا تقربوها إطلاقاً {مَا ظَهَرَ مِنْهَا} ما كان في العلن وما كان من قبلة أو غيرها {وَمَا بَطَّنَ} أي في السر وهو مثل الزنا وغيره {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} أي ولا تقتلوا الناس ظلماً وبدون حق ما عدا النفس بالنفس والزاني المحصن والمترد كما قال صلى الله عليه وسلم وكما جاء في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة). [ابن كثير ج ٢ ص ١٨٩]. {ذَلِكَ وَمَا بِهِ} ذلك هو ما وصاكم به الله تعالى في كتابه العزيز {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} لعلكم تفهمون ذلك وتتبعوه {وَلَا تَقْرَبُوا} أي لا تقربوا إطلاقاً ولا تأخذوه لكم وهو {مَالَ الْيَتِيمِ} وهو كل مال سواء نقدي أو منقول من مال اليتيم {إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ} أي إلا برضاء منه {حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} حتى يبلغ الحلم والرشد وهو سن العقل والإدراك عند اليتيم {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ} وأعطوه حقه وأوفوه حقه. والكيل هو ما يكال به من الكيل أو الإردب أو الصاع أو غيرها. والميزان هو ما يوزن به في البيع والشراء {بِالْقِسْطِ} بالعدل والحق دون نقص أو زيادة {لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} لا يحمل الله نفساً إلا طاقتها وما هو بوسعها {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا} وإذا شهدتم أو حكمتم بين الناس فاعدلوا واحكموا بينهم بالعدل والحق {وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ} ولو

كان الذي عليه القول أو الشهادة أو الحكم من الأقرباء فقل واحكم عليه واشهد بالحق والعدل {وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا} وإذا عاهدتم عهداً فأوفوا به ولا تنقضوه {ذَلِكَمَ وَصْنِكُمْ بِهِ} ذلك هو ما وصاكم به الله تعالى {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} لعلمكم تتعظون {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ} وأن هذا الهدى والوعظ وهذه الوصايا هي طريق الله المستقيم فاتبعوها {وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} ولا تتبعوا الطرق الفرعية المتفرقة {فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} ففتتبعوها وتبتعدوا عن الحق والصواب والهدى والطريق المستقيم {ذَلِكَمَ وَصْنِكُمْ بِهِ} ذلك هو ما وصاكم به الله تعالى {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} لعلمكم تتقون وتخافون وتخشون الله تعالى في حدوده وشرعه وأوامره ونواهيه. قال الإمام أحمد ابن حنبل: حدثنا الأسود بن عامر شاذان حدثنا أبو بكر هو ابن عياش عن عاصم هو ابن أبي النجود عن أبي وائل عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال: حَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: (هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا). وخط على يمينه وشماله ثم قال: (هذه السُّبُلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ). ثم قرأ: " وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ". [وكذا رواه الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي بكر بن عياش به وقال صحيح ولم يخرجاه - ابن كثير ج ٢ ص ١٩٠].

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
 وَرَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا
 لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا
 عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْنا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ
 فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ
 وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا
 يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

{ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى} ثم أنزلنا إلى موسى بن عمران نبي الله ورسوله وكليمه
 {الْكِتَابَ} وهو التوراة {تَمَامًا} كمالاً وتمام البيان والإيضاح وتمام شريعة موسى
 عليه السلام {عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ} على أفضل وأحسن وجه شريعة ومنهاجاً
 {وَتَفْصِيلًا} توضيحاً وبياناً {لِكُلِّ شَيْءٍ} لكل شيء تحتاج إليه بنو إسرائيل في
 الدنيا وفي الآخرة {وَهُدًى} وهداية يهتدي بالتوراة بنو إسرائيل {وَرَحْمَةً}
 يرحمهم الله تعالى بها ليدخلهم باتباعهم التوراة يدخلهم الجنة {لَعَلَّهِمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ
 يُؤْمِنُونَ} لعل وعسى أن يؤمنوا ويصدقوا بلقاء الله تعالى يوم القيامة للحساب
 والجزاء {وَهَذَا كِتَابٌ} وهذا قرآن {أَنْزَلْنَاهُ} أنزله الله تعالى بحكمته وإرادته من
 اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم بواسطة الوحي جبريل عليه السلام إلى رسولنا
 سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم {مُبَارَكٌ} فيه البركة والخير العميم والشفاء
 والهدى وخير الدنيا والآخرة {فَاتَّبِعُوهُ} اتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه {وَاتَّقُوا}
 واتقوا الله وأطيعوه وخافوه واخشوا عذابه {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} لعلكم ترحمون ولا

تعذبون يوم القيامة بطاعتكم لله تعالى {أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ} حتى لا تقولوا أي إياكم أن تقولوا إنما أنزل كتاب الله {عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا} على طائفتين وهم اليهود انزل عليهم كتاب التوراة وطائفة النصارى أنزل عليهم كتاب الإنجيل واليهود والنصارى وهم سبقونا بكتبهم {وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ} وإنما كنا عن قراءة ودراسة وتلاوة التوراة والإنجيل {لِغَافِلِينَ} للاهين وغير عارفين ولا مطلعين {أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ} أو تقولوا وتحتجوا أيها الناس لو أنزل علينا كتاب الله بدلاً من اليهود والنصارى {لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ} لكننا أكثر هداية واتباعاً منهم {فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} فقد جاءكم أيها الناس القرآن الكريم بينة وبيانا وتوضيحاً من ربكم الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {وَهُدًى} وهداية من الله تعالى يهديكم إلى طريق الحق والرشاد والطريق المستقيم {وَرَحْمَةً} ورحمة يرحمكم الله به يوم القيامة ليدخلكم جنته {فَمَنْ أَظْلَمُ} لا أحد أظلم ولا أكثر ظلماً {مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ} ممن كذب بآيات الله من قرآنه الكريم {وَوَصَدَفَ عَنْهَا} أعرض عنها ولم يصدقها ولم يأخذ بها استكباراً {سَنَجْزِي} سنحاسب ونعاقب ونعذب {الَّذِينَ يَصْدِفُونَ} الذين يتكبرون ويتعالون ويتعاضمون ويُعرضون ويبتعدون {عَنْ آيَاتِنَا} عن آيات القرآن الكريم {سُوءَ الْعَذَابِ} شدة العذاب {بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} بما كانوا يكذبون ويجحدون ويتكبرون ويعرضون.

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾

{ هَلْ يَنْظُرُونَ } هل ينتظرون { إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ } أي تنزل عليهم الملائكة { أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ } أو يأتي ربك لهم يا محمد يوم القيامة للحساب والجزاء والثواب والعقاب { أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ } أو تأتي بعض المعجزات من علامات يوم القيامة وهي عشر آيات وكما روى الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا سفيان عن فُرَاتٍ عن أبي الطفيل عن حُدَيْفَةَ بنِ أَسَدٍ الغفاري قال: أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى تَرَوُا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى بن مريم ، وخروج الدجال ، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبیت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا). [وهكذا رواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث فُرَاتٍ القزاز عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حُدَيْفَةَ بنِ أَسِيدٍ به وقال الترمذي حسن صحيح - ابن كثير ج ٢ ص ١٩٤]. { يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ } يوم تأتي الآيات الكونية والمعجزات الدالة على يوم القيامة وهي من آيات ربك العشرة المذكورة فيما سبق { لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا } لا ينفع الإيمان عندها { لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ } إن لم تكن آمنت وصدقت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر من قبل أن تأتي الآيات الدالة على قيام القيامة { أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا } أو عملت خيراً

بعد إيمانها وعملت أعمالاً صالحة قبل ذلك {قُلْ} قل يا محمد يا رسول الله للكفار {أَنْتَظِرُونَ} إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} انتظروا أيها الكفار يوم القيامة وعذابها إنا منتظرون مثلكم يوم القيامة فمن عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ

يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٦﴾

{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ} إن الذين تفرقوا في دينهم وجعلوه فرقا {وَكَانُوا شِيَعًا} وكانوا طوائف وأحزاب مختلفة وهمهم الوحيد هو حزبهم وجماعتهم ويتسترون خلف الدين والشعارات الزائفة {لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} ليست شريعتك مثلهم فهم ليسوا على شيء من الحق {إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ} إنما مصيرهم إلى لقاء الله تعالى يوم القيامة {ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} ثم يخبرهم ويحاسبهم ويعاقبهم ويعذبهم بما كانوا يفعلون ويفرقون ويتسترون خلف أحزابهم وشعاراتهم وتسترهم بالدين. وقد ورد في الحديث: (إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة وإن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار) قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي). [رواه الحاكم في مستدرکه بهذا اللفظ وهو في السنن والمسانيد - ابن كثير ج ٢ ص ٤٣٢].

﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَالِهَا ^ط وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا تُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١٦﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٧﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٨﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ^ط وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٩﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ^ج وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ^ج وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ^ج ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾

{ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ } الحسنه هي كل عمل صالح من الطاعات وأعمال الخير { فَلَهُ } عشر أمثالها { أي من عمل حسنة فله عشرة أضعافها } وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ { والسيئة هي كل عمل سيء من المعاصي والذنوب والآثام وأعمال الشر فمن عمل سيئة أو معصية { فَلَا تُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا } أي للسيئة تكتب بذنب واحد { وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } وهم لا ينقصون من أعمالهم شيئاً كما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: حدثنا عفان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا الجعد أبو عثمان عن أبي رجاء العطاردي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: (إن ربكم عز وجل رحيم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة. ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله عز وجل ولا يهلك على الله إلا هالك). [ورواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث الجعد أبي عثمان به - ابن كثير ج ٢ ص ١٩٦]. { قُلْ } قل لهم يا محمد { إِنِّي هَدَيْتَنِي } إني هداني ربي وأرشدني إلى طاعته وعبادته واتباع دين الإسلام { رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } هداني ربي الله تعالى إلى طريق لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا زيغ عن

الحق وهو دين الإسلام {دِينًا قِيمًا} أي ديناً ذا قيمة مستقيماً رفيعاً ذا خير وبركة {مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} عقيدة ومذهب ودين إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام {حَنِيفًا} مستقيماً وسمحاً وسهلاً {وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} لم يكن إبراهيم عليه السلام مشركاً قط بل هو حطم الأصنام. قال عبد الرحمن عن أبيه قال قال لي عروة إن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: (لتعلم يهود أن في ديننا فسحة إني أرسلت بحنيفية سمحة). [أصل الحديث مخرج في الصحيحين - ابن كثير ج ٢ ص ١٩٨]. {قُلْ} قل لهم يا محمد يا رسول الله {إِنَّ صَلَاتِي} إن عبادتي وقيامي بالصلاة {وَنُصُوحِي} وهي ما أقوم به من مناسك وشعائر الحج من ذبح وطواف وسعي ووقوف {وَمَحْيَايَ} أي كل حياتي {وَمَمَاتِي} أي وموتي {لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} أي لله وفي الله وفي طاعة الله وهو رب العالمين والخلق والكون كله {لَا شَرِيكَ لَهُ} أي لا أحد شريك له في الخلق والعبادة من الأوثان والأصنام وغيرها {وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ} وبهذا أمرت وهو طاعة الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له {وَأَنَا} وأنا رسول الله {أَوَّلُ} أول الطائعين والعابدین {الْمُسْلِمِينَ} من المسلمين {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا} قل لهم يا محمد يا رسول الله هل غير الله أطلب رباً وخالقاً وإلهاً {وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {رَبُّ} رب وإله وخالق ورازق ومحيي ومميت {كُلِّ شَيْءٍ} كل شيء من الكون أي جميع مخلوقاته من الملائكة والجن والإنس والسماء والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار {وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا} ولا تعمل كل نفس من الإنس والجن من ذنب أو معصية إلا واقع عليها تبعة ذلك الذنب والإثم والمعصية

والشر {وَلَا تَزُرْ} ولا تحمل {وَأَزِرَةٌ} العاملة بالإثم أو الذنب أو المعصية أو الشر {وِزْرًا أُخْرَى} أي ذنب نفس غيرها بل كل نفس تحمل وزرها وذنبها التي عملته أو اقترفته ولا يسأل غيرها عنها {ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ} ثم إلى ربكم مرجعكم وعودتكم يوم القيامة {فَيُنَبِّئُكُمْ} فيخبركم ويحاسبكم ويعاقبكم {بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} بما اختلفتم فيه في الدنيا.

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

{وَهُوَ} وهو الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه {الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ} الذي جعل الإنسان من بني آدم خليفة يستخلف بعضهم بعضاً ويتوارث بعضهم بعضاً في ميراث الأرض جيلاً بعد جيل وأمة بعد أمة وقوماً بعد قوم وقبيلة بعد قبيلة وهكذا إلى يوم القيامة وكما قال تعالى: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً... " ٣٠ البقرة. وفي صحيح مسلم من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٠٠]. {وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ} وجعل الله تعالى لبعض الناس درجات أعلى من بعض في المنزلة والجاه والولد والمال فمنهم الملوك والسلاطين والحكام والأمراء والقادة والمسئولون ومنهم دون ذلك من الرعية والعمال والخدم وما إلى ذلك {لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ} ليختبركم ويمتحنكم في ما أعطاكم الله تعالى من المال والجاه والولد والوظيفة والرتبة والمسئولية فهل تنشرون العدل والحق وإعانة

الضعيف والمسكين والفقير أو هل تظلمون الناس في حقوقهم وأموالهم وأعراضهم {إِنَّ رَبَّكَ} إن ربك يا محمد يا رسول الله ويا أيها المؤمن {سَرِيعُ الْعِقَابِ} سريع الانتقام وسريع العذاب لمن عصى وأذنب وظلم وتجبر وتكبر على خلق الله تعالى {وإنَّهُ لَغَفُورٌ} وإن الله تعالى جل جلاله وعظم قدره وعلا شأنه لغفور ويغفر ذنب من أطاع وتاب وندم {رَحِيمٌ} يرحم يوم القيامة من أطاعه وعمل صالحاً ولم يظلم أحداً وأن رحمته وسعت كل شيء. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن حدثنا زهير عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط أحد من الجنة خلق الله مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند الله تسعة وتسعون). [ابن كثير ج ٢ ص ٢٠٠]. وعن العلاء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية من أن تصيبه). [رواه مسلم - ابن كثير ج ٢ ص ٢٠٠].

وفي كتاب خزينة الأسرار: سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة ليلاً معها سبعون ألف ملك وروى الحاكم عن جابر مرفوعاً: (من قرأ سورة الأنعام يصلي عليه أولئك السبعون ألف ملك ليله ونهاره). وروى عنه مرفوعاً: (من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى قوله " تَكْسِبُونَ " حين يصبح وكل الله به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له أعمالهم إلى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد كلما أراد الشيطان أن يلقي في قلبه شيئاً من الشر ضربه بها وجعل بينه وبين الشيطان سبعين ألف حجاب فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى

يا ابن آدم امش تحت ظلي وكل ثمار جننتي واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فأنت عبدي وأنا ربك لا حساب عليك ولا عذاب). [كذا في شيخ زاده عن رواية الإمام الواحدي في الوسيط - خزينة الأسرار ص ٧٤ ، ٧٥]. ويرتفع القرآن في الجنة ما عدا سورة (طه ويس) وأول من يقرأ داود عليه السلام يقول الله تعالى (أحبابي ما تحبون مني؟) فيقولون (صوت داود) فيقول الله تعالى (يا داود اتل على أوليائي كلامي) فيقول: (بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين) فيطربون وفي رواية يطربون مائة عام. ثم يقول الله تعالى (أتحبون كلامي مني؟) فيقولون (نعم) فيقول جل جلاله (أنا الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن) فيتباهون في الملكوت ألف عام وسورة الرحمن هي عروس القرآن وفي مرة أخرى يقرأ داود الزبور بصوت حسن ثم محمد صلى الله عليه وسلم يقرأ (طه ويس) بصوت أحسن من داود سبعين ضعفاً ويتكلم سبحانه (سورة الأنعام) فيطرب القوم وتتمايل الأشجار والقصور ويهتز العرش ويكشف الحجاب عن وجهه فيقول (يا عبادي من أنا) فيقولون (أنت ربنا) فيقول (أنا السلام وأنتم المسلمون يا ملائكتي قدموا لهم النجائب فيقدمون لهم نجائب غير التي قدموا عليها فيركب الرجال على خيل بلق أجنحتها خضر والنساء على نجائب أقتابها من ذهب ثم يدخلون سوق المعرفة فيسأل بعضهم بعضاً أين أنت يا فلان فيقول أسكن الفردوس ويقول الآخر في جنة عدن ويقول الآخر في جنة الخلد والآخر في جنة المأوى على اختلاف درجاتهم). [نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٧].

فهرس أآءء الأول

الموضوع	الصفءة
المقدمة	١
تمهيد	١٢
تفسير سورة الفآءءة (١)	١٦
تفسير سورة البقرة (٢)	٢٥
تفسير سورة آل عمرآن (٣)	٢٩٣
تفسير سورة النساء (٤)	٤٦١
تفسير سورة المآءدة (٥)	٦٤٤
تفسير سورة الأنعم (٦)	٧٥٤